

الإبريز

من

كلام سيدي الغوث عبد العزيز الدباغ

الحسني الصدّيقي المغربي الفاسي

من كبار أولياء الله تعالى في بلاد المغرب

(١٠٩٠ - ١١٣٢ هـ)

تأليف

العلامة العارف بالله الفقيه المالكي القارئ الجامع الشيخ أحمد بن المبارك

المغربي السجلماسي اللمطي المتوفى ١١٥٥ هـ = ١٧٤٢ م

(تلميذ الشيخ عبد العزيز الدباغ قدس الله سره)

تحقيق

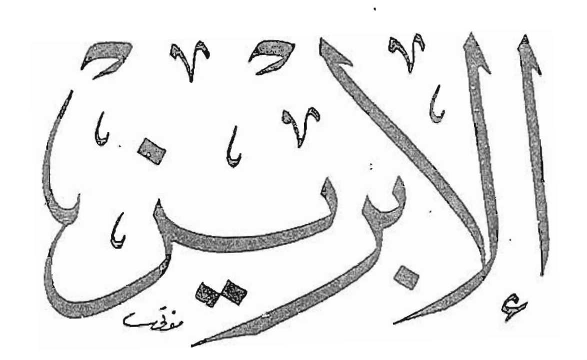
محمد عدنان الشماع

طبعة مدققة ومحققة ومقابلة على عدة نسخ مع فهارس متنوعة وتعليقات مُرْضية وتراجم للأعلام ومقدمة هامة

تقديم ثلة من العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الإبريز



من

كلام سيدي الغوث عبد العزيز الدباغ

الحسني الصدّيقي المغربي الفاسي

من كبار أولياء الله تعالى في بلاد المغرب

(١٠٩٠ - ١١٣٢ هـ)

تأليف

العلامة العارف بالله الفقيه المالكي القارئ الجامع الشيخ أحمد بن المبارك

المغربي السجلماسي اللمطي المتوفى ١١٥٥ هـ = ١٧٤٢ م

(تلميذ الشيخ عبد العزيز الدباغ قدس الله سره)

تحقيق

محمد عدنان الشماع

(الجزء الأول)

طبعة مدققة ومحققة ومقابلة على عدة نسخ مع فهارس متنوعة وتعليقات موضحية وتراجم للأعلام ومقدمة هامة

تقديم ثلة من العلماء

موافقة إدارة الإفتاء العام في وزارة الأوقاف السورية
رقم ١٠٢٦
تاريخ ٦ / ٩ / ١٩٨٢
وموافقة وزارة الإعلام السورية
رقم ٨٩٦٠
تاريخ ١٥ / ٩ / ١٩٨٢

الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

مخطط أبحاث الكتاب

تقديم

(١)

كلمة الشيخ إبراهيم اليعقوبي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلام على من ارتضى من عباده ، وبعد .

فقد تصفحت هذه التعليقات التي كتبها الأستاذ عدنان الشماع وفقه الله تعالى على كتاب الإبريز في ترجمة القطب الغوث الجامع سيدنا ومولانا عبد العزيز الدباغ الفاسي لتلميذه العلامة أحمد بن المبارك السجلماسي رحمهما الله تعالى وأعاد علينا من نفحاتهما آمين ، فوجدت هذه التعليقات مفيدة نافعة خصوصاً وأن الكتاب بحاجة إلى إخراج جديد يتمشى مع حاجة العصر في تقريب هذه الكتب والمواضيع إلى الناس وتقديمها في حلة جديدة .

وكنا قد قرأنا هذا الكتاب على عدد من مشايخنا ، كما أقرأته درساً في الأسبوع في صيف عام / ١٣٨٨ / للهجرة وأنهيناه ولله الحمد على مدى ثلاث سنين .

وفقنا الله تعالى جميعاً لنشر العلم وإحياء التراث الذي جمع العلم الواسع والعقائد الصحيحة شاملاً معظم فروع العلم والمعرفة ، وعلى مثل هذا فليحرص من أراد الهدى والخير والعلم .

نسأل الله تعالى أن يسدد خطانا وأن يوفقنا جميعاً لكل خير إنه خير مأمول وأكرم مسؤول ، والشكر للمتلق حيث قام بهذا العمل وخطا هذه الخطوة المباركة

داعين الله له بالعون على أن يُتبعها خطوات أخرى في هذا المضمار ، وفقه الله تعالى لكل خير .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مساء الأربعاء ٦ / ذو القعدة / ١٤٠٢ للهجرة

كتبه خادم العلم
إبراهيم بن إسماعيل بن محمد الصديق بن محمد
الحسن بن محمد العربي اليعقوبي الحسني
كان الله تعالى له ولجميع المسلمين
آمين



(٢)

كلمة شيخ القراء

فضيلة العلامة حسين خطاب

الحمد لله رب العالمين المفيض على عباده بأنواع النعم الذي علم الإنسان مالم يعلم وألهمه رشده وهداه إلى الصواب وبدائع الحكم : ﴿ وعلمناه من لدنا علماً ﴾ [الكهف : ٦٥] .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي امتن الله عليه بالرسالة العظمى وأنزل عليه الكتاب فيه تبيان كل شيء وهدى وبشرى للمؤمنين : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ [النساء : ١١٣] .

ورضي الله عن الصحابة الأبرار وخلفائه الراشدين الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فقد استوقفني الأستاذ محمد عدنان الشماع الشاب الأديب ، الذي نشأ في العلم والعبادة وتربى في طاعة الله تعالى على يدي العالم الشهير الشيخ محمد سعيد البرهاني رحمه الله .

استوقفني ليعرض علي كتاباً تأبطه محترماً ، وقدمه إلي معظماً ، وقد أحسن بي ظنه يرجو أن أطلع على ما فيه من تعليقات وتراجم ، وأقدم له كلمة بين يدي الكتاب ليقدمه إلى القراء منقحاً مصححاً بثوب أنيق جديد ، علهم ينتفعون به إذا قرؤوه متفهمين ، ويرتفعون به إلى المقام الأسمى إذا عملوا بما فيه مخلصين .

وإذا بالكتاب هو : (الذهب الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز) كما سماه

صاحب كشف الظنون والذي ألفه العلامة الأصولي الفقيه المالكي أحمد بن المبارك السجلماسي اللمطي تلميذ سيدي عبد العزيز ولكن غلبت نسبته للشيخ لما له من كرامة وولاية وشاع اسمه على الألسنة (الإبريز لسيدي عبد العزيز) .

وكنت أسمع بهذا الكتاب على ألسنة العلماء والشيوخ مُكْبرين له ومعظمين من نُسب إليه الكتاب لصلاحه وتقواه وما كان يلهمه الله إياه من بدائع الحكم وروائع الأحكام المتفقة مع الشريعة الإسلامية وإعلان عن شمائل النبي ﷺ وحسن سيرته وغير ذلك مما ستعرفه في طوايا هذا السفر الكريم . على أن الشيخ أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولله في خلقه شؤون ، والله على كل شيء قدير ، وقد شاع على ألسنة المتكلمين : ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي .

وقد أتى المؤلف ابن المبارك في مقدمة الكتاب على ترجمة ضافية لسيدي عبد العزيز اقتبس منها الشيخ النبهاني في جامع كرامات الأولياء ، فذكر أكثرها في ترجمة الشيخ عبد العزيز رحمه الله تعالى .

وفي الحقيقة أن أكثر الكتاب يصلح أن يكون بياناً لمناقب الشيخ وذكر علومه وكريم أخلاقه ومحبته للرسول الأعظم ﷺ .

ومن قرأ الكتاب وجده قد وضعه مؤلفه ابن المبارك على طريقة السؤال لشيخه وتسجيل الأجوبة التي صدرت على لسان الشيخ بإلهام من الله عز وجل . ثم يأتي بالأدلة من الكتاب والسنة المؤيدة لما نطق به الشيخ وربما نافسه في بعض ذلك .

وهذا هو الذي اطلعت عليه في هذا الكتاب حينما تصفحته لأول مرة وكنت في شوق إليه وكنت أظن أنه فقد من الأسواق .

وفاجأني الأستاذ محمد الشماع بالكتاب وقد بذل جهده في تصحيحه وتنقيحه ومراجعته على نسخ أخرى ، فنص على كل آية فيه وذكر موضعها من القرآن الكريم ، وخرج أحاديثه ، ورد خطأه إلى الصواب ، وعنون لكل موضوع فيه ، وترجم للرجال الواردة أسماؤهم فيه ، فعل ذلك جهد المستطاع ليخرجه إلى القراء

مهذباً منقحاً سهل القراءة قليل الخطأ ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء وزاده الله وإيانا توفيقاً لنشر العلم والفضيلة ، والعمل بما يرضي الله عنا إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين والحمد لله رب العالمين .

١٩ ذي القعدة ١٤٠٢
٧ أيلول ١٩٨٢

خادم القرآن الكريم
شيخ القراء بدمشق
حسين خطاب



(٣)

كلمة فضيلة الشيخ
أحمد نصيب المحاميد

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد سيد الكائنات ، وعلى آله وأصحابه ذوي المآثر الحميدة والأعمال الخالدات ، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم القويم إلى يوم الممات .

وبعد فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة . لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [سورة يونس ٦٢ - ٦٤] .

لقد وصف الحق سبحانه أولياءه بصفتين اثنتين : الإيمان والتقوى ، ولا شك بأن هاتين الصفتين جامعتان لكل الخيرات والفضائل التي يتحلى بها بنو الإنسان . ويبلغون بها أعلى درجات الفضل والإحسان .

ولابد في الإيمان الذي هو أُولى الصفتين أن يؤمن الولي بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مرسل إلى جميع الثقلين : الجن والإنس فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن فضلاً عن أن يكون من أولياء الله المتقين .

ومن الإيمان به الإيمان بأنه ﷺ الواسطة بينه وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه

ووعده ووعيده ، وحَلاله وحرامه ، وأن يحبه حباً خالصاً لأن محبته هي طريق محبة الله عز وجل ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى فمن كان أكمل إيماناً وتقوى كان أكمل ولاية لله عز وجل ، فالناس متفاضلون بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى .

« وأولياء الله على طبقتين سابقون ومقربون ، وأصحاب يمين مقتصدون ذكرهم الله تعالى في عدة مواضع من كتابه العزيز ، فالأبرار أصحاب اليمين ، هم المتقربون إليه بالفرائض ، يفعلون ماأوجب الله عليهم ، ويتركون ماحرم عليهم ، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ، ولا الكف عن فضول المباحات .

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات .. فلما تقربوا إليه تعالى بكل ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حباً تاماً كما قال تعالى : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ... »[١] .

روى سعيد بن جبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئِل : مَن أولياء الله ؟ فقال : « الذين يُذْكر الله برؤيتهم » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من عباد الله عباداً ماهم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى » . قيل : يارسول الله خَبِّرنا مَنْ هم وماأعمالهم فلعلنا نحبهم ؟؟

قال : « هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها ، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ،

---

(١) حديث قدسي . ا هـ المحقق .

ولا يحزنـون إذا حـزن النـاس ـ ثم قرأ ـ ﴿ ألا إن أوليـاء الله لا خـوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

وقال سيدنـا علي بن أبي طـالب رضي الله عنـه وكرم وجهـه : أوليـاء الله قوم صُفْر الوجوه من السهر ، عُمْشُ العيون من العبر ، خُمُصُ البطون من الجوع ، يُبُسُ الشفاه من الذوى[٢]

☆ ☆ ☆

هذه لمحة خاطفة في التعريف بالولي حسب ماذكر علماؤنا الأعلام يستـدل بهـا على صفات سامية . يتحلى بها الولي .

والأخ الكريم المؤمن السيد عدنان الشماع أحد الشباب المؤمنين الـذين تربوا في مسجد التوبة على يد علماء مخلصين معروفين في ذلك الحي وفي ذلـك المسجـد بعلمهم وفضلهم وورعهم وتقواهم يقدم لنـا وليـاً من الأوليـاء في كتـاب يتحـدث عن مـآثره وعلومه ومعارفه وكراماته ...

ونحن ـ المسلمين ـ لا نرتاب بأن الله عز وجل أكرم أحبابه بكرامـات تبيَّن بهـا فضلهم ، ورفع بها من شأنهم .

والكرامـات نوعـان : نوع **معقول** يتقبلـه العقل ويهضمـه الفكر ونوع يـأتي **فوق ما يتصور العقل** ومايتوقعه التفكير . وهذه الكرامات ثابتة قديمـاً وحـديثـاً ولاتزال الأمة المحمدية بخير وهدى مادامت تسير على نور ربها وهـدي نبيهـا . وهي واقعة للأولياء في الحيـاة وبعـد المات كما ذهب إليـه جمهور أهل السنـة ، وقـد قيـل : « من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق » .

واستدلوا على الوقوع بما جاء من قصـة مريم رضي الله عنهـا في قولـه تعـالى :

---

(٢) ذوي العود ذوياً أي ذبل من عدم الري . ا هـ المقدّم .

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ... ﴾ الآية فقد كان يجد عندها فاكهة الصيف بالشتاء ، وبالعكس .

وما جاء من قصة أصحاب الكهف حيث مكثوا تلك المدة الطويلة بلا طعام ولا شراب ولا تغير .

وما جاء من قصة أصف وزير سيدنا سليمان عليه السلام حيث أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه . وما وقع من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى وقتنا هذا .

فقد صح أن سيدنا عمر رضي الله عنه خاطب سارية وهو أمير جيش في بلاد الفرس بنهاوند خاطبه من المدينة المنورة وهو يخطب على المنبر فكُشِف له أن الجيش مهدد من قبل العدو . ناداه : ياسارية الجبل الجبل !! والقصة مشهورة معروفة لاداعي إلى تفصيلها .

وقصة العلاء بن الحضرمي حين دعا فنزل المطر ، وحين مشى بجيشه على الماء فما ابتلت حوافر دوابّهم. كل ذلك ثابت مشهور .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن لأهيان بن صيفي أنه أمر أهله حين ثَقُلَ أن يكفنوه ولا يلبسوه قميصا قال : فألبسناه قميصاً ، فأصبحنا والقميص على المشجب .

وأورد ابن حجر هذه الحادثة في الإصابة عن عُدَيْسة بنت وهبان أن أباها لما حضرته الوفاة أوصى أن يكفن في ثوبين . فكفنوه في ثلاثة فأصبحوا فوجدوا الثالث على السرير .

* * *

وقد ذكر في ثنايا هذا الكتاب طائفة من أسماء الكتب التي ألفت وسجل فيها الكثير من كرامات الأولياء .

ولا يعني هذا أنه لابد للولي من كرامات كما لا يعني أن الكرامة تدل على

الأفضلية فقد يوجد في المفضول مالا يوجد في الفاضل فهذا كعب بن سور يهتدى في حادثة إلى مالم يهتد إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فقد روى ابن قدامة المقدسي في كتابه المغني كما روى ابن الأثير في كتابه أسد الغابة في معرفة الصحابة أن كعب بن سُور كان جالساً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاءت امرأة فقالت : مارأيت أفضل من زوجي أن يبيت ليله قائماً ، ويظل نهاره صائماً في اليوم الحار مايفطر ، فاستغفر لها عمر وأثنى عليها ، وقال : مثلك أثنى بالخير وقاله .

فاستحيت المرأة وقامت راجعة . فقال كعب بن سور : ياأمير المؤمنين هلا أعديت المرأة على زوجها إذ جاءتك تستعديك ؟ قال : أكذلك أرادت ؟ قال : نعم .

قال عمر : ردوا علي المرأة فَرُدَّت . فقال : لابأس بالحق أن تقوليه . إن هذا يزعم أنك جئت تشتكين أنه يهجر فراشك ! قالت : أجل . إني امرأة شابة وإنني أتتبع مايتتبع النساء ، فأرسل إلى زوجها فجاء . فقال لكعب : إقض بينهما . فقال كعب : أميرُ المؤمنين أحق أن يقضي بينهما فقال عمر : عزمت عليك لَتقضين بينهما فإنك فهمت من أمرهما مالم أفهم ! فقال : إني أرى لها يوماً من أربعة أيام ، كَأن زوجها له أربع نسوة فإذا لم يكن له غيرها فإني أقضي له بثلاثة أيام بلياليهن يتعبد فيهن ، ولها يوم وليلة .

فقال له عمر : والله مارأيك الأول بأعجب من رأيك الآخر . إذهب فأنت قاضٍ على أهل البصرة ، وكتب عمر إلى أبي موسى بذلك فذهب قاضياً ومكث في القضاء إلى أن مات .

وقد أحسن الأخ المؤمن عدنان الشماع في هذه التعليقات والتحقيقات على هذا الكتاب فهي لابد منها حيث أوضح بها عبارات في الكتاب غامضات وأبان بها

تعبيرات مشكلات ، لأن في الكتاب كثيراً من كلمات القوم واصطلاحاتهم ، لا يفهمها إلا من صحبهم وأخذ عنهم ، وفهم مرادهم ... على أن في الكتاب من كلام الشيخ المترجم رحمه الله كثيراً من الشروح الوافية لمصطلحات السادة الصوفية . من القبض والبسط ، والفناء والبقاء والمقامات ، والمراقبة ، والهاتف ، وغير ذلك من الكلمات التي تهدف إلى معان سامية يرتكز عليها السلوك إلى الوصول ...

وقد اشتملت هذه التعليقات على تراجم لكثير من العلماء والقراء والأدباء والمؤرخين والمفكرين من أمتنا الخالدة .

كما أن في الكتاب أبحاثاً قيمة ذكرها الشيخ رحمه الله بين فيها الفرق بين القرآن الكريم والسنة النبوية والحديث القدسي بكلام منطقي وفلسفي بآن واحد يدل على علم واسع وذوق أصيل ، واحساس مرهف .

☆ ☆ ☆

فجزى الله أخانا عدنان خير الجزاء على مابذل من جهد في تحقيقه وتعليقه ، وإخراجه هذا الكتاب بثوبه الجديد ، وطبعته الأنيقة ، وفهارسه الممتعة .

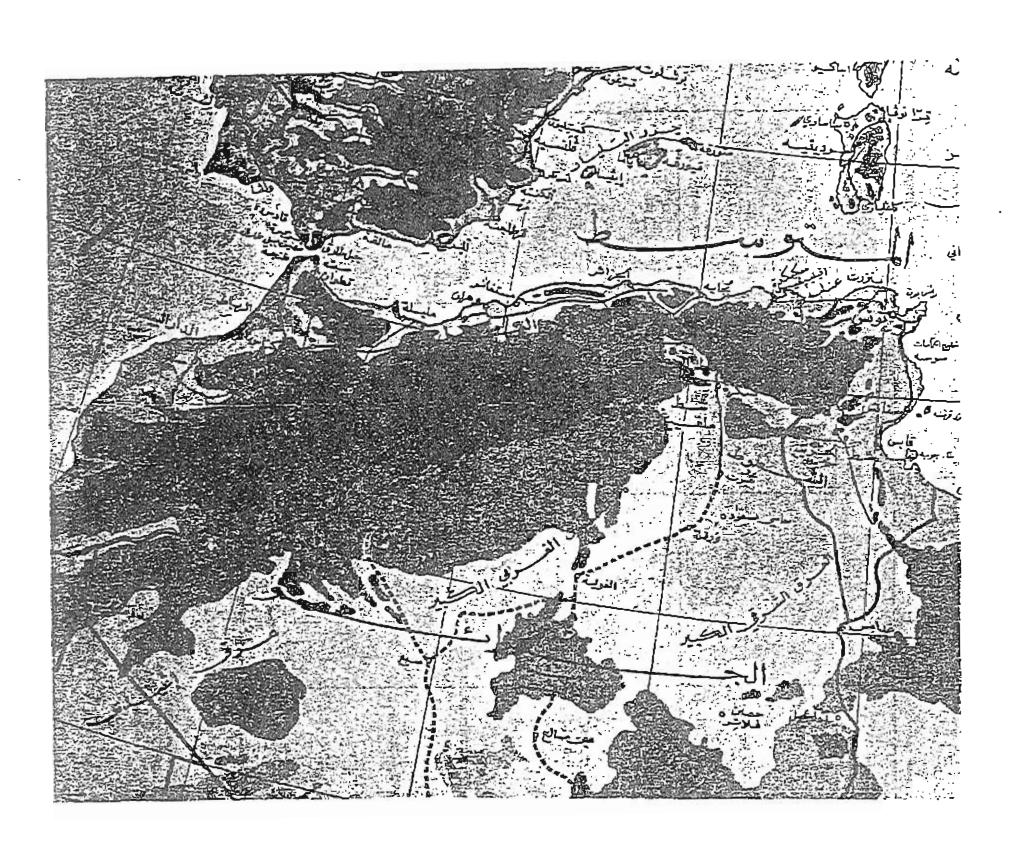
ونسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وابتغاء مرضاته ، وأن يجعلنا من أحبابه وأصفيائه وأوليائه الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون .

دمشق ٥ / شوال / ١٤٠٣ هـ

كتبه
خادم العلم الشريف
أحمد نصيب المحاميد



ملاحظة : إن جميع الخطوط المتقطعة هي تعبير عن التقسيم الحالي للبلدان بحدود تقريبية



خارطة بلاد المغرب الحديثة

الجدول (١)

أحرف الأنوار السبعة في القرآن الكريم وأجزاؤها (*)

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
	حرف الآدمية يعود إليه خفض الحروف توجد في النبي وغيره	حرف القبض يعود إليه تسكين الحروف ورفعها توجد في النبي وغيره	حرف البسط توجد في النبي وغيره	حرف النبوة	حرف الروح	حرف العلم	حرف الرسالة يعود إليه نصب الحروف
١	كمال حسن خلق الصورة الظاهرة (ت)	الحاسة السارية في الذات بالتلذذ والألم (أ)	الفرح الكامل (ن)	قول الحق تنزل على ٢١ خصلة في الآدمية والقبض والبسط (ض)	ذوق الأنوار (خ)	الحمل للمعلومات (ف)	سكون الروح في الذات بالرضا والمحبة والقبول (أ)
٢	الحواس كمال منافع الذات الظاهرة (غ)	الإنصاف (ث)	سكون الخير في الذات دون الشر (أ)	الصبر تنزل على ٢٢ خصلة التي في الآدمية والقبض والبسط (ج)	الطهارة حساً ومعنى (د)	عدم التضييع (ي)	العلم الكامل (ل)

* ملاحظة : هذان الجدولان (١ و ٢) هما ملخصا ماجاء في [س٢] من الباب الأول .

٣	كال حسن خلق الصورة الباطنية (أ)	النفرة عن الضد (هـ)	فتح الحواس الظاهرة (و)	الرحمة الكاملة تنزل على ٢٣ خصلة (ح)	التميز (ط)	معرفة اللغات أصوات الحيوانات والجمادات (ذ)	الصدق في الأقوال والأفعال (ز)
٤	كال الحس الباطني (أ)	امتثال الأوامر (د)	فتح الحواس الباطنة (و)	معرفة الله (ك)	البصيرة (ق)	معرفة العواقب (ي)	السكينة والوقار (ب)
٥	الذكورية (م)	الميل إلى الجنس (أ)	مقام الرفعة الباطنة	الخوف التام منه سبحانه (ي)	عدم الغفلة (لا)	معرفة علوم أحوال الكونين (ي)	المشاهدة الكاملة
٦	نزع حظ الشيطان (ظ)	القوة الكاملة في الانكماش (ش)	حسن التجاوز (ر)	بغض الباطل (أ)	قوة السريان (و)	معرفة علوم أحوال الثقلين (ي)	أن يموت وهو حي (و)
٧	كال العقل (ص)	عدم الحياء من قول الحق (و)	خفض جناح الذلّ (س)	العفو (ع)	عدم الإحساس بمؤلمات الأجرام (و)	انحصار الجهات في جهة واحدة (ي)	أن يحيا حياة أهل الجنة (ي)

الجدول (٢)

الأحرف السبعة وأنوارها السبعة (*) (في القرآن الكريم)

		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
١	الآدمية (لها حركة الخفض) وينشأ عنها : التقديم	كال حسن خلق الصورة الظاهرة (ت)	كال الحواس الظاهرة (غ)	كال حسن خلق الصورة الباطنة (أ) المد : أ- قدر (٤) ألفات ب- قدر ألف	كال الحس الباطني (أ) المد : أ- قدر ألف ب- قدر (٥) ألفات	الذكورية (م)	نزع حظ الشيطان (ظ)	كال العقل (ص)
٢	القبض (له الرفع والجزم حركة) وينشأ عنه : الاسراع مع إقامة الحروف وزيادة الحروف	سريان حاسة في الذات تلتذ بالخير وتتألم بالباطل (أ) المد : أ- (قدر ثلاث ألفات) ب- قدر (٤) ألفات	الإنصاف (ث)	النفرة عن الضدّ (هـ)	امتثال الأوامر (ء)	الميل إلى الجنس بحيث يتكيف به (و) المد : أ- ٢ واو، ٣ واو، ٤ واو، ٥ واو، ٦ واو ب- ٢ واو، ٤ واو، ٥ واو، ٦ واو	القوّة الكاملة في الانكماش (ش)	عدم الحياء من قول الحق (و) المد : أ- مقدار ١ واو، مقدار ٢-٢، مقدار ٢-٤، مقدار ٥-٦ ب- ٤ واو، ٥ واو، ٦ واو

* ملاحظة : هذان الجدولان (١ و ٢) هما ملخصا ماجاء في [س٢] من الباب الأول .

٣	البسط وينشأ عنه : الحركات التي لاخلاف فيها	الفرح الكامل (ن)	سكون الخير في الذات (أ) المد : أ- قدر (١) ألفات ب- قدر (٣) ألفات	فتح الحواس الظاهرة (و) المد : أ- مقدار ٣ واو ٤ واو ٥ واو ٦ واو ب- ٢ واو ٣ واو ٤ واو ٥ واو ٦ واو	فتح الحواس الباطنة (و) المد : أ- مقدار ٤ واو ٥ واو ٦ واو ب- ١ واو ٢ واو ٣ واو ٤ واو ٥ واو ٦ واو	مقام الرفعة —	حُسن التجاوز (ر)	خفض جناح الذلّ (س)
٤	النبوّة وينشأ عنها : الإمالة وعدم الاعجام	قول الحق (ض)	الصبر (ج)	الرحمة (ح)	المعرفة بالله تعالى (ك)	الخوف التام من سبحانه (ي)	بغض الباطل (أ) المد : أ- قدر (٥) ألفات ب- قدر (٢) ألف	العفو (ع)
٥	الروح وينشأ عنها : الترتيل في القراءة والإشمام ونقص الحروف	الذوق للأنوار (خ)	الطهارة (د)	التميز (ط)	البصيرة (ق)	عدم الغفلة (لا)	قوة السريان (و) المد : أ- قدر ٦ واوات ب- قدر ٦ واوات	عدم الاحساس بؤلمات الأجرام (و) المد : ب- قدر ٥ واوات قدر ٦ واوات

٦	العلم وينشأ عنه نقصان الكلمات والتأخير	الحمل للعلوم (ف)	عدم التضييع (ي) المد : أ- ٢ ياء ٣ ياء ٤ ياء ٥ ياء ٦ ياء ب- ٥ ياءات ٦ ياءات	معرفة اللغات (ذ)	معرفة العواقب (ي) المد : أ- ٢ ياء ٤ ياء ٥ ياء ٦ ياء ب- ١ ياء ٥ ياء ٦ ياء	معرفة العلوم المتعلقة بأحوال الكونين (ي) المد : أ- ١ ياء ٢ ياء ٣ ياء ٤ ياء ٥ ياء ٦ ياء ب- ٦ ياء	مسرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين (ي) المد : أ- ٥ ياء ٦ ياء ب- ٢ ياء ٣ ياء ٤ ياء ٥ ياء ٦ ياء	انحصار الجهات في امام (ي) المد : أ- ٤ ياء ٥ ياء ٦ ياء ب- ١ ياء ٢ ياء ٣ ياء ٤ ياء ٥ ياء ٦ ياء
٧	الرسالة وينشأ عنها: الفتح وزيادة الكلمات	سكون الروح في الذات سكون المحبة والرضا (أ) المد : أ- (قدر ألفين) ب- قدر (٦) ألفات	العلم الكامل غيباً وشهادة (ل)	الصدق مع كل أحد (ز)	السكينة والوقار (ب)	المشاهدة الكاملة —	يموت وهو حي (و)	يحيا حياة أهل الجنة (ي) المد : أ- ٦ ياء ب- ٣ ياء ٤ ياء ٥ ياء ٦ ياء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

بسم الله ، والحمد لله ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه .
وبعد ..! فهذه مقدمة تشتمل على :

١ ـ التعريف بالكتاب ، ثم بنسخه المخطوطة والمطبوعة .

٢ ـ التعريف بالمؤلف الشيخ أحمد بن مبارك ، وبشيخه الذي نسب الكتاب إليه الشيخ الولي الكبير عبد العزيز بن مسعود الدباغ نفعنا الله به .

٣ ـ مصادر عن الكتاب .

٤ . أسباب إعادة طبع الكتاب وتحقيقه والتقديم له .

٥ ـ منهج التحقيق .

٦ ـ مراجع التحقيق .

٧ ـ الرموز والمصطلحات .

٨ ـ إجازاتنا في رواية الكتاب .

٩ ـ خاتمة وكلمة شكر .

١-١ ـ التعريف بالكتاب :

الكتاب هو : الإبريز أو الذهب الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز
ـ ليس هذا الكتاب مشهوراً في الأوساط العامة بل شهرته في الأوساط الخاصة لدى كبار العلماء ، وخاصة المتصوفة منهم ، وذلك نظراً لما يحوينه من المعاني الروحية والفتوحات الربانية .

وأول معرفتي بهذا الكتاب حين قرأناه على شيخنا العارف سيدي « محمد سعيد البرهاني » في الفترة بين (١٣٨٣ ـ ١٣٨٦ هـ) . ابتدأناه في بيته رحمه الله تعالىٰ مع لفيف من خواص إخوانه ثم انتقلنا إلىٰ جامع النوفرة قرب بيت شيخنا قدس سره وقرأنا غالبه حتىٰ انتقاله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ .

وحين كنت أقرأ على شيخنا العلامة المفتي الطبيب « محمد أبو اليسر عابدين » مختلف العلوم الشرعية والعقلية بين أعوام (١٣٩٠ ـ ١٤٠٠ هـ) كنت أسمع ثناءه وتعظيمه لهذا الكتاب .

موضوعه : تدور الأبحاث فيه حول كلام الشيخ الدباغ حيث يتمثل فيه علم المواهب أو العلم اللدني الذي قال فيه رب العزة ـ جل وعلا ـ حاكياً عن الخضر صاحب موسى عليهما السلام ﴿ وعَلّمناه مِنْ لَدُنا عِلْماً ﴾ . يتضح ذلك جلياً عند مقارنة كلام الشيخ بكلام أصحاب النقول من فحول العلماء ، الذين كان علمهم علم كسب ، علم دليل وبرهان ، وكلّ حكم ـ في مسألة ما ـ بما ظهر له من الدليل ، شرعياً كان أو عقلياً . وكم توقفوا عند كثير من الإشكالات والشُبه ..!! فكان الشيخ الدباغ قدس سره ـ يجيب عنها متكلماً عن شهود عيان ، مُدَعّماً أقواله بأمثلة وأدلة مدهشة ، تقريباً للفهم .

ـ يثبت هذا الكتاب وبدلالة كبيرة ماورد في الأثر :

« مااتّخَذَ الله وليّاً جاهلاً ولو اتّخَذَه لعلّمه »

ـ هذا الكتاب يرسخ في نفس القارئ المؤمن الذي يعتقد بوجود الأولياء أن طريق الولاية إنما هو :

ـ بالإكثار من ذكره سبحانه وتعالى وتلقّن هذا الذكر عن أهله وملازمتهم .

ـ بالالتزام الكبير بشرع النبي محمد ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال ، لما قالوا : « منتهى سير الرجال الشرع المحمديّ » .

ـ بتجديد التوبة دائماً وعقد النية الصادقة مع الله سبحانه والمحافظة على صفاء القلب وطهارته .

محتواه : هذا الكتاب لون جديد من ألوان المعرفة والعلوم الشرعية المتنوعة مجموعة في اثني عشر فصلاً :

تتناول : أبحاثاً عالية في علوم القرآن الكريم ومشكله ومتشابهه .

- أبحاثاً عالية في علوم السنة والسيرة النبوية وتحقيقات فيها .

- تحقيقات في تربية النفس والإرشاد والتوجيه الروحي تدل على السلوك الصحيح الموصل إلى معرفة الله سبحانه ، تفيد المريد الصادق والشيخ المربي .

- التعريف بأحوال الأولياء الكاملين وصفاتهم وقواعد سلوكهم وأصولهم ، ومَجْمَعِهم وتصرفاتهم .

- تحقيقات في تدرج خلق أبينا آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام مع بيان خَلْق كثير من المكوّنات ، وصفات الجنة والنار والملائكة والجانّ .

- حكايات كثيرة « وحكايات الصالحين جنود المريدين - وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » وقصصا عن المنتسبين إلى المشايخ ، وذلك تقريباً للفهم وشواهد على البحث المقرر .

- ولم يخلُ الكتاب عن بعض إشكالات ربما يعترض عليها البعض[1] ، ومن بعض شطحات يغلب فيها الحال - ولله تعالى ثم لرسوله الكمال - . لكنها في جميعها لاتعدو خلاف الأولى ، أو فهماً خاصاً يصح فيه التأويل لمن يحسّن الظن بأوليائه سبحانه . ومع هذا فقد عملنا جهدنا (- مستعينين بالله - ، ورغم قصر الباع) في إزالة الإشكال أو توجيهه ماأمكن أو بيان ماهو الأصوب على حسب ضعفنا ؛ فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان . نسأل الله العافية .

---

(١) قلت فما من أحد إلا رَدّ ورُدَّ عليه - كما يقول الإمام مالك - إلا صاحب هذا المقام - ويشير إلى قبر النبيّ الأعظم ﷺ .

وأخيراً : إن هذا الكتاب لون مُحَبّب من علوم المعرفة والتصوف ، يناسب جداً تقريبه للناس ليفهموه فهماً صحيحاً ، تتداوى به أنفسهم وأرواحهم ، وليكون مدعاة لهم أن يفتّشوا عن شيخ مرشد عارف يتذوقون بواسطته العلم الصحيح العلم النوراني لا الظلماني ؛ لكي يصلوا به إلىٰ شاطيء المعرفة والأنس بالله عز وجل ؛ فقد قالوا : « من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان » . فلربما وصلوا بذلك إلىٰ ماوصل إليه الشيخ سيدي عبد العزيز الدباغ . وماذلك على الله بعزيز ، ﴿ وماكان عطاء ربك محظوراً ﴾ .

☆ ☆ ☆ ☆

١ ـ ٢ التعريف بالنسخ المخطوطة والمطبوعة للكتاب :

ـ النسخ المخطوطة :

أ ـ يوجد في المكتبة الظاهرية بدمشق نسختان مخطوطتان :

ـ الأولى : ذات حرف مغربي جميل ومرصوف ، يرجع تاريخها إلىٰ ١١٩٦ هـ وهي برقم ١١٤١٥ . الناسخ : محمد بن محمد ماخور . تتميز هذه النسخة بخطها الواضح رغم وجود نقص في بعض الجمل . وقد وجدت فيها عدة كراسات متتالية مفقودة . وسنوضح فيما يلي صوراً من هذه المخطوطة لأول صحيفة وآخر صحيفة فيها . وقد اعتمدنا هذه النسخة في المطابقة عليها حرفاً حرفاً ، وجرىٰ بموجبها تصحيح لكثير من الأخطاء على الطبعة المعتمدة الحلبية التي هي آخر طبعة متداولة .

ـ الثانية : نسخة مخطوطة بخط نسخ عادي يرجع تاريخها إلىٰ ١٢٤٧ هـ . الناسخ : محمد بن سليمان المالكي الشاذلي وهي برقم ٨٣٠٤ تصوف ١٠٣ .

ب ـ نسخة مخطوطة بمصر جاء ذكرها في فهرس الخديوية ج٢ ، ص٦٢ .

جـ ـ نسخٌ مخطوطة في مكتبات المغرب .

د ـ نسخة مخطوطة عند الأستاذ مطيع الحافظ .

النسخ المطبوعة :

١) تم استعراض فهارس المكتبة الظاهرية ، فكانت تحمل الأرقام التالية مع بيان سنة الطبع ، والطابع أحياناً :

الرقم	تاريخ الطبع	الطابع أو المطبعة	ملاحظات
س١١٢٦	١٢٧٨ هـ	طبعة حجرية بمصر	(ذكرها أيضاً في فهرس الخديوية) .
و٥٠٥٢	١٢٧٨ هـ	طبع مؤنس	—
ك٤٧٢	١٢٩٣ هـ	بولاق	جزءان بمجلد دون هامش . وقد اعتمدناها (وذكرها أيضاً في فهرس الخديوية) .
س١١١٩	—	—	—
س١١٣٤	١٣١٧ هـ	أزهرية	وبهامشها كتابان للإمام الشعراني وقد اعتمدناها
ك٢٥٠٧	—	طبع محمد علي صبح بميدان الأزهر على نفقة محمد الطباوي .	بهامشها كتابان للإمام الشعراني (وهي متداولة في الأسواق) وقد اعتمدناها .

٢) **ومن المتداول في المكتبات في الأسواق وجدنا :**

- طبعة الشيخ عثمان عبد الرزاق سنة ١٣٠٤ هـ وبهامشها كتابان للإمام الشعراني وقد اعتمدناها .
- طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . وهي طبعة جيدة حديثة نسبياً (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١ م) وهي بدون هامش . وكان أغلب اعتمادنا عليها في التحقيق والتصحيح .

تنبيه : جاء في دليل مؤرخ المغرب لعبد السلام بن سودة ص٢٤٥ ، الطبعة الأولى تطوان ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م [حيث تكلم على الكتاب الذهب الإبريز ... وطبعاته في المغرب] قوله :

اختصره أبو عبد الله محمد بن محمد بن عامر التادري المتوفى ١٢٣٤ هـ = ١٨١٨ م بأمر السلطان مولانا سليمان بن سيدي محمد بن عبد الله ، وسماه :

« القول الوجيز في تهذيب الإبريز » [اهـ . نقلاً عن الأستاذ رياض المالح] .

قلت : هذا الأمر كان يساورني أثناء عملي في التحقيق وهو : أن هذا الكتاب - الإبريز - من المفيد جداً تلخيصه ، لتسهل مطالعته للخاص والعام من الناس ويبتعد عن مواطن الإشكال فيه . وقد جعلت ذلك مشروعاً في ذهني مستقبلاً - إن شاء الله - .

فأرجوا الله تعالى أن يجمعني بذلك المختصر أو يسهل لي تلخيصه في وقت قريب ، لأخرجه محققاً ينتفع به إخوتي المؤمنون .

٢ - ١ التعريف بالمؤلف الشيخ أحمد بن مبارك :

قال في معجم المؤلفين - ماملخصه - [ج٢ ص٥٦] :

- الشيخ أحمد بن مبارك بن محمد بن علي السجلماسي اللمطي البكري الصديقي المالكي (١٠٩٠ - ١١٥٥ هـ) = (١٦٧٩ - ١٧٤٢ م) عالم في البيان والفقه والأصول والحديث والقراءات والتفسير . ولد في حدود سجلماسه اهـ .

قلت : ويؤيد ماذكر ، كلامه وعرضه وأسئلته لشيخه الدباغ قدّس سره ، مما يدل على أنه من العلماء العارفين ، حافظ ، مقرىء ، جامع ، مشارك في أنواع العلوم حصّل على كثير من الأسرار من شيخه ، فَسَطّرها في كتابه هذا ، واختار ما يناسب البوح به ، وكَتَم كثيراً من الأسرار التي لا يجوز التصريح بها ، فكان بذلك مرشداً كاملاً .

وقد جاءت ترجمته أيضاً في عدة مراجع منها :

- نشر المثاني في تراجم القرن الأول والثاني عشر ج٢ ص٢٤٧ .
- سلوة الأنفاس .... للسيد محمد بن جعفر الكتاني ج٢ ص٢٠٣ حتى ٢٠٥ .
- اليواقيت السمتية .... ج٢ ص٤٧ حتى ٥١ .

مؤلفات الشيخ أحمد بن مبارك : عدّ منها في كتاب هدية العارفين ج١ ص١٧٤ لـ « إسماعيل باشا البغدادي » . وفي غيره أيضاً :

١ - إنارة الأفهام بسماع ماقيل في دلالة العام [من علم أصول الفقه] : وهو مخطوطة في مكتبة المطارين في جامع الزيتونة بتونس .

٢ ـ تفسير قوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ .

٣ ـ تقارير وأجوبة في مجموعتين مخطوطتين . محفوظة في الخزانة العامة بالرباط برقم ١١٧٧ك و ١١٦٨١ .

٤ ـ ردّ التسديد في مسألة التقليد .

٥ ـ شرح المحلي على جمع الجوامع .

٦ ـ طرر على شرح سعيد قدورة على السلم [في علم المنطق] .

٧ ـ كشف اللّبس عن المسائل الخمس : مخطوط في مكتبة الرباط العامة برقم ١٥٣ جلا .

٣ ـ ٢ التعريف بالشيخ عبد العزيز الدباغ قدس سره : (١٠٩٥ ـ ١١٣١ هـ) .

ـ ترجمه في كتاب « جامع كرامات العلية في طبقات الشاذلية » لـ « محمد الكوهن الفاسي الشاذلي » وهو مطبوع في المطبعة العلامية عام ١٣٤٧ هـ جوار الأزهر وأتى في ترجمته على نحو ماذكره في كتاب الإبريز هذا . من حيث نسبه الشريف ومقامه في الولاية ، وماكان قبل ولادته ، ووصية شيخ والده الشيخ العربي الفشتالي لوالديه به..

.... وقال : كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب[١] . [وختم ترجمته بقوله] : وضريح مولانا سيدي عبد العزيز بحضرة فاس ، من أعظم الأضرحة وأجلها ... ومقامه تشدّ إليه الرحال ، وتتزاحم عليه العباد ... اهـ .

ـ وترجمه أيضاً في كتاب « جامع كرامات الأولياء » لـ « الشيخ يوسف النبهاني » .
واقتطع نفس مقدمة تلميذه الشيخ أحمد بن مبارك التي ذكرها في الإبريز .

ـ أصله وموطنه ونسبه رضي الله عنه :

---

(١) قلت وهو يخالف ماذكره المؤلف أثناء الكتاب (ص ٩٦، ١٠٩، ٤١٧) حيث جاء أن قراءته وكتابته ضعيفة .

جاء في معجم الشيوخ المسمى برياض الجنة ج١ ص١٤٧ : [عند ترجمة الشيخ إبراهيم الدباغ[٢]] :

أصله من برابرة « تادلة » الذين استوطنوا « آية عتاب » . وجدّهم « عيسى بن إدريس » كان أول أمره خليفة عن أخيه الأمير السيد « محمد بن إدريس » صاحب فاس . ثم انتقلوا لعدوة الأندلس ، فنزلوا « غرناطة » وأول من حلها منهم هو جدهم « أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى » وذلك سنة ٤٥٦ هـ . ثمن انتقلوا منها إلى « سلا » سنة ٧٩٠ هـ . وكان المنتقل هو « أبو العباس أحمد بن أبي القاسم » المذكور في عامود النسب . ولما استوطنوا « سلا » جرى عليهم الدعاء بـ « الدباغ » ، وليس ينسب إلى الحرفة المعلومة إذ لم يعهد لهم الاحتراف بها قط . بل سبب ذلك أنه كان أعطي لهم مرتب من مجبى دار الدباغ ، فجرى عليهم النسب بلفظ المبالغة من الدبغ لأجل ذلك .

- وكان خروجهم من سلا إلى فاس أوائل المائة التاسعة . وأول مانزلوا منها حومة فعرفوا بها . وأول دار لهم بها هي دار سكنى الشيخ إبراهيم الدباغ الكائنة بعين البغل[٣] ، التي مازالت بيد أولاده . [ثم قال] ومن هذه الشعبة الكريمة الشيخ الأشهر « أبو فارس عبد العزيز الدباغ » المُؤلف في مناقبه كتاب « الإبريز » . ومنهم والده أبو سرحان « مسعود » كان علامة مشاركاً . له شرح على الألفية . اهـ .

قلت : ويلاحظ من مجمل ترجمته : أن ظهوره كان في بلدة فاس من المغرب الأقصى ؛ وفتوحه الأكبر كان سنة ١١٢٩ هـ . وقد وافق ظهوره أيام دولة العلويين [نسبة لآل البيت الشرفاء] والتي كان من أشهر سلاطينها المولى إسماعيل . وأن من خصائصه رضي الله عنه : أن التوسل به إلى الله تعالى مجرب ، تحققته بنفسي ، وسمعته من غيري . وهو يدل على علو مقامه

(٢) وهو الجد الحادي عشر للشيخ عبد العزيز الدباغ قدس سره .

(٣) ذكر لي الأستاذ رياض المالح عن الشيخ السيد مكي الكتاني أن الشيخ الأكبر محي الدين الطائي الحاتمي نزل بهذه العين وأقام بها فترة . وفيها مسجد باسمها .

وولايته الكبرى . ويوضح هذا ماسمعته من شيخنا سيدي محمد سعيد البرهاني رحمه الله ونفعنا به :

مامعناه ـ أن « الوليّ مَنْ ينفعك [بإذن الله] بعد موته أكثر منه في حياته . وذلك لكمال إطلاق الروح » .

٣ ـ مصادر عن الكتاب :

١ ـ عَدّدها في فهرس التصوف للأستاذ رياض المالح لموجودات المكتبة الظاهرية بدمشق . وحسب ماجاء في هذا الفهرس أن المراجع التي ذكرت هذا الكتاب « الإبريز » هي :

- إيضاح المتون ١ / ٥٤٤
- معجم المطبوعات ١ / ١٠٠٩
- فهرس الخديوية ٢ / ٦١
- فهرس التيمورية ٢ / ١١ و ٩٧ .

٢ ـ وقد سبق التعريف بالنسخ المخطوطة والمطبوعة عن الكتاب في (١ ـ ٢) من هذه المقدمة .

٤ ـ أسباب إعادة طبع هذا الكتاب وتحقيقه والتقديم له :

- طلب مني أحد كبار الصالحين من الشرفاء أهل الفضل والكرم سيدي الشيخ أحمد الحبال الرفاعي إعادة طبع هذا الكتاب نظراً لفقده وكثرة الطالبين له من الأحباب ، فأجبته ممتثلاً طالباً الدعاء بالعون والتوفيق . وكان ذلك في شعبان ١٤٠١ هـ .

- عرضت الأمر على إخوة لنا في الله فأكدوا على ضرورة التحقيق والتعليق وإخراجه بثوب جديد لتتم به الفائدة ويسهل فهمه ....

- وبدأت مستعيناً بالله تعالى وقوته ، وشمرت عن ساعد الجدّ وعكفت على الكتاب لوحدي أبحث في المكتبات عن نسخه المخطوطة والمطبوعة ووضعت خطة للعمل

[انظر منهج التحقيق] واسترشدت بخبرة المختصين في هذا المجال لأصل إلى أحدث الأساليب العصرية في التحقيق والإخراج ؛ أصحح وأطابق وأترجم وأشرح وأفهرس . وقد ساعدني مؤخراً ثلة من أحبابنا في تبييض مسودّات وكشف بعض تراجم . واستغرق مني قرابة السنتين أعمل كل يوم بمعدل خمس ساعات خارج أوقات دروسي في المسجد والجامعة والخطبة والمهنة الهندسية .

- وتتمياً للفائدة ، وتوثيقاً للعمل وتبريكاً له ، فقد عمدت إلى عرض نتاجي على ثلة من العلماء قبل طبعه وبعده ، لاستئذانهم وأخذ ملاحظاتهم ؛ فكان جُلّهم مستحسناً ومشجعاً ومباركاً ، ومقدّماً للكتاب بكلمة موجزة .

٥ - **منهج التحقيق** : جعل الكتاب في جزئين - كما هو في طبعة بولاق ولأسباب اضطرارية - على أساس ما يلي :

أ - مطابقةٌ على مخطوطة المكتبة الظاهرية وعلى نسخ مطبوعه (طبعة بولاق وعثمان والأزهرية والحلبية وغيرها) وإثبات ما هو الأقرب للصواب حسب السياق مع التنبيه في التعليق على ماجاء في النسخ الأخرى .

ب - تخريجُ الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ؛ وتكميل باقي الآية أو النص النبوي إن لزم .

جـ - ترجمه لغالب الأعلام والأمكنة المذكورة ، بشكل مختصر ؛ مكتفياً بأهم النقاط المميزة للمُتَرجم من حيث تاريخ الولادة والوفاة ومكانها ، والنسب والمكانة العلمية ، ومشايخه وتلامذته ، ومؤلفاته ، ونبذه من نصحه وإرشاده ، وأهم ما يقال فيه ؛ وبعض مواقف له ومآثر إن وجدت .

د - شرحٌ لكلمات لغوية أو اصطلاحية في فن ما ، حديثاً كان أو فقهاً أو أصولاً أو منطقاً أو فلسفة أو غيره .

هـ - تشكيل الكلمات المهمة ، ووضع علامات للقراءة من نقاط وفواصل وإشارات ، وبداية سطر ونهايته ، وغير ذلك . ووضع أقواس ومعترضات حيثما يلزم ، تسهيلاً للقراءة والفهم .

و ـ إبراز العناوين الرئيسية بحرف أسود ماأمكن ؛ وكذا كل ما كان أصلاً أو قاعدة أو إرشاداً هاماً أو تنبيهاً ضرورياً فيه فائدة للقارئ المسترشد .

ز ـ إضافة هامش بحرف أصغر نسبياً أشير فيه إلى قاعدة أو أصل أو تنبيه أو عنوان لموضوع جزئي .

ح ـ تلخيص كل فصل أو باب قبل بدايته وبحرف أكبر نسبياً ؛ أذكرُ في هذا الملخص ـ مُرَقِّماً ـ أهم المواضيع الأساسية التي يتناولها الباب أو الفصل الآتي ، مع العزو إلى أرقام الصفحات .

وقد حملني على ذلك :

١) ماوجدت من تداخلُ المواضيع أحياناً .

٢) وتشويقُ القارئ للمطالعة والبحث والمراجعة بسهولة في الكتاب .

٣) ليكون هذا الملخص بمثابة مخطط لمواضيع الفصل أو الباب المذكور تمشياً مع الطرق الحديثة المتطورة في التأليف والتحقيق .

ط ـ عمل فهارس متنوعة وفق أحدث أساليب الإخراج ؛ وجعلها شاملة واختصاصية : للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، والمواضيع والأعلام والأمكنة والمصطلحات . فهارس عامة أو على حسب حروف الهجاء حسب الأصول المتبعة . مختصرة أو مفصلة . وسيكون موضعها إن شاء الله تعالى عقب نهاية الجزء الثاني من الكتاب وللجزئين معاً بينما أكتفي في الجزء الأول بفهرس مختصر عام في نهايته .

٦ ـ مراجع التحقيق

١) ـ القرآن الكريم وعلومه :

ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ـ مطابع الشعب بمصر ١٣٧٨ هـ .

ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي .

- النشر في القراءات العشر لابن الجزري طبع بإشراف علي محمد الضباع طباعة ونشر دار الكتب العلمية - بيروت .

- حجة القراءات لأبي زَرعة بن زنجله . طبع ونشر مؤسسة الرسالة - بيروت . تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - (١٠) أجزاء مطابع دار الشعب بمصر .

- تفسير القرآن لإسماعيل بن كثير (٤) أجزاء طبع دار المعرفة ١٣٨٨ هـ .

- تفسير القرآن - بيان المعاني حسب ترتيب النزول لعبد القادر ملا حويش (عالم معاصر من دير الزور) .

٢) الأحاديث الشريفة وعلوم السنة :

- كتب السنن الستّة .

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لـ « وِنْسِنْكْ » بمشاركة « محمد فؤاد عبد الباقي » (٧) مجلدات طبعة ليدن ١٩٥٥ م .

- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (٣) أجزاء لجلال الدين السيوطي .

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة للسخاوي تحقيق عبد الله محمد الصديق . طبع ونشر دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م طبعة أولى .

- مفتاح كنوز السنة لـ « منسنك » ترجمة « محمد فؤاد عبد الباقي » طبعة لاهور ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

- الدرر المنثورة في الأحاديث المشهورة لجلال الدين السيوطي . مطبوع على هامش الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي .

- الخصائص الكبرى لجلال الدين السيوطي . جزءان .

- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي لجلال الدين السيوطي جزءان .

- حاشية لقط الدرر على نخبة الفكر . للعدوي المالكي .

- حجة الله البالغة لأحمد الدهلوي جزءان بمجلد - طبع ونشر دار المعرفة - بيروت .

٣ - السيرة النبوية

- سيرة ابن هشام مجلدان في (٤) أجزاء تحقيق فهمي السرجاني طبع دار التوفيقية بالأزهر .

- فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي طبع دار الفكر .

- نور اليقين للخضري .

٤) - العقيدة والتوحيد :

- شروح جوهرة التوحيد .

- الحصون الحميدية لحسين الجسر الطرابلسي .

- مفتاح الجنة للسيد محمد الهاشمي التلمساني .

- بحث العقيدة في كتاب الهدية العلائية لعلاء الدين بن السيد محمد أمين عابدين مع التعليقات لسيدي العارف محمد سعيد البرهاني الطبعة الثالثة .

٥) - الفقه وأصوله :

- حاشية ابن عابدين على الدر (المسماة : رد المحتار على الدر المختار) .

- حاشية ابن عابدين على شرح المنار (المسماة : نسمات الأسحار) .

- الهدية العلائية (ذكرت سابقاً) .

٦) - الأخلاق والتصوف وعلوم القوم :

- الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري .

ـ شروح الحكم العطائية : لـ « ابن عجيبة » و « ابن عباد » .

ـ معجم المصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم الحفني نشر دار المسيرة ببيروت .

٧) ـ معاجم اللغة العربية

ـ مختار الصحاح للجوهري .

ـ المصباح المنير لمحمد بن علي المقري الفيومي .

ـ المعجم الوسيط : جزءان ـ صادر عن مجمع اللغة العربية بمصر .

ـ المنجد .

٨) ـ الفلسفة والمنطق :

ـ شروح السلم .

ـ ضوابط المعرفة لعبد الرحمن بن العلامة المجاهد حسن حبنكة الميداني .

٩) ـ أعلام المشاهير من رجال ونساء وأمكنة :

ـ الأعلام للزركلي (١٠) أجزاء ـ الطبعة الثانية . ـ سير نبلاء الأعلام للذهبي .

ـ تقريب التهذيب لابن حجر (مجلدان) . ـ مراصد الاطلاع للبغدادي .

ـ رياض الجنة لعبد الحفيظ الفاسي ـ طبع المغرب ١٣٥٠ هـ .

ـ الطبقات الكبرى للشعراني جزءان بمجلد واحد .

ـ حلية الأولياء (١٠) أجزاء (٥) مجلدات لأبي نعيم الأصبهاني الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م . نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت .

ـ صفوة الصفوة لابن الجوزي (٣) مجلدات ـ مطبعة الأصيل بحلب نشر دار الوعي طبعة أولى ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

ـ الرسالة القشيرية (تقدمت) .

ـ سبل السلام شرح بلوغ المرام (٤) أجزاء بمجلدين .

- معجم المؤلفين .　　　　　　- خلاصة تهذيب الكمال

- الوَفَيات لابن قنفذ القسنطيني .　　　- هدية العارفين

- خطط الشام .

- تراجم مقتبسة من تحقيقات على الكتب التالية :

حجة القراءات لأبي زرعة - غريب الحديث للهروي - مدخل السلوك إلى ملك الملوك للغزالي تحقيق وتعليق رياض المالح .

- الأجوبة الفاضلة للكنوي . تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة - معجم البلدان لياقوت الحموي - المغرب العربي لإحسان حقي .

- المغرب العربي (قادة الفتح الإسلامي) لمحمود شيت خطاب جزءان بمجلد واحد طبع دار الفكر .

- المختار من (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لمحمد بن أحمد المقدسي) طبعه وزارة الثقافة اختيار غازي طليمات .

- خريدة العجائب وفريدة الغرائب لعمر بن الوردي .

- مجلة المعرفة .

التعاريف والمصطلحات :

- التعريفات للسيد
- المُغْرب للمطرزي
- القاموس الفقهي لسعدي أبو جيب
- المعجم الصوفي لسعاد حكيم .

٧ ـ الرموز والاصطلاحات المستعملة في التحقيق والإخراج :

الرمز	س	ج	س١ ، س٢ ، ...
معناه	بداية سؤال لموضوع فرعي	بداية الجواب على السؤال	بداية سؤال لموضوع جديد رقمه مثلاً «١» ، «٢» ، ....
الرمز	[ ]	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ...	ص
معناه	مابين هذين القوسين هو زيادة من قبلنا على النص ضرورة المعنى أو الترتيب	كل الأرقام المتسلسلة هي من إضافتنا على النص تسهيلاً للمطالعة والفهم	اختصار صحيفة
الرمز	ظ	بولاق	أزهرية
معناه	مخطوطة المكتبة الظاهرية (النسخة الأولى رقم ١١٤١٥)	أي حسب طبعة بولاق بمصر	أي حسب مطبعة حي الجامع الأزهر
الرمز	عثمان	حلبية	مثلاً ١١/٢
المعنى	طبعة عثمان	مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر القاهرة	أي جزء ٢ صحيفة ١١ من الكتاب
الرمز	ح	اهـ .	(ـ هـ) م
المعنى	تحويل سند الرواية	انتهى	تاريخ(ولادة ـ وفاة هجري)ميلادي

٨ ـ إجازاتنا في رواية الكتاب

١ ـ هذا الكتاب أرويه قراءة عن شيخنا العارف بالله تعالى سيدي محمد سعيد البرهاني الحنفي الشاذلي الدمشقي (المتوفى في شوال ١٣٨٦ هـ) عن شيخه العارف الشيخ محمد الهاشمي التلمساني (المتوفى بدمشق ١٣٨٣ هـ) عن شيخه العارف سيدي محمد بن يلس التلمساني (المتوفى) وأحمد بن مصطفى عليوه عن السيد محمد بن جعفر الكتاني عن والده سيدي جعفر عن محمد السنوسي عن أحمد بن إدريس عن عبد الوهاب التازي عن سيدي عبد العزيز الدباغ قدس سره .

٢ ـ كما وأرويه بالإجازة العامة المطلقة من الأستاذ رياض المالح عن الشيخ محمد صالح الخطيب الحسني (المتوفى بدمشق ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م) في ثبته الدرر الغالية ؛ المشمول على غالب الأثبات المعروفة .

٣ ـ (ح) كما وأرويه بإجازة من الأستاذ رياض المالح عن الشيخ السيد محمد مكي بن محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي (المتوفى يوم الأثنين ١٦ ذي القعدة ١٣٩٣ هـ) = (١٠ كانون أول ١٩٧٣ م) عن جده جعفر بن إدريس[1] عن سيدي محمد بن علي السنوسي الخطابي عن العارف سيدي أحمد بن إدريس عن سيدي الشيخ عبد الوهاب التازي عن سيدي القطب عبد العزيز الدبّاغ بكتابه الإبريز .

٤ ـ (ح) كما وأرويه عنه عن الشيخ السيد محمد مكي الكتاني ، عن عبد الحفيظ الفاسي ـ في رياض الجنة ٢ / ٨ بسنده عن الحبيب الدباغ أبي عبد الله محمد بن عمر بن إدريس بن أبي فارس عبد العزيز الدباغ عن جده سيدي عبد العزيز [وقارن المعجم الوجيز لابن الصدّيق ص١٦ . وقارن معجم الشيوخ للفاسي طبع فاس ٢ / ١٤١] .

٥ ـ (ح) كما وأرويه عن الأستاذ رياض المالح مشافهة عن حفيد سيدي عبد العزيز الدباغ سيدي أحمد بن سعود الدباغ مفتي الطفيلة المتوفى تقريباً ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م بالمدينة المنورة بسنده عن جده .

٦ ـ كما وأرويه عن شيخنا العلامة المفتي الطبيب الشريف محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله تعالى (المتوفى بدمشق ١٤٠٠ هـ) بإجازة عامة خطية بسائر العلوم الشرعية وعلم المعقول والمنقول وغيره عن أبيه العلامة المفتي الشيخ أبو الخير عابدين عن جده الشيخ أحمد عابدين عن السيد محمد أمين عابدين صاحب الحاشية الشهيرة على الدر المختار ، عن بقية السند المذكور في ثبته [المطبوع في رسائله الشهيرة] .

٩) ـ خاتمة وكلمة شكر

حين أنهيت الكتاب وشرعت في عرضه على السادة العلماء أستأذنهم ، رأيت في المنام

---

(١) قارن ثبت السيد جعفر بن إدريس الكتاني المسمى أعلام الأئمة ص٤٩ طبع فاس على الحجر سنة ١٣١٨ .

رؤيا حقّ ، رأيت شيخنا وقدوتنا إلى الله سيدي محمد سعيد البرهاني ؛ ومفاد الرؤية :

إذنه الروحي لي بطبع الكتاب وتحقيقه ، وحثه لي في نفس الرؤيا على جمع القراءات الأربعة عشر على شيخ القراء فضيلة العلامة حسين الخطاب ـ حفظه الله تعالى ـ .

فها أنا ذا العبد الفقير إلى الله سبحانه أشرع بالعمل وأعمل بالوصية ، مستعيناً بالله تعالى ، سائلاً منه أن يتقبل مني ويمنّ علي بالتمام مع اليُسر ويحفظني من الزلل ، وأن يرضي جميع الأحباب عني ؛ بجاه نبيه الكريم سيدنا محمد ﷺ . وإنني إذ أحمد الله تعالى وأشكره على مامنّ به عليّ وأولاه ، ومارزقني من الصبر والدأب على هذا العمل ؛ أتوجه بالشكر إلى كل من شاركني وساهم في هذا الإنتاج جزاهم الله عني كل خير وأخص بالذكر منهم أخي في الله الأستاذ إبراهيم شحادة الذي كتب لي وبيض ، والأستاذ مطيع الحافظ الذي سهّل لي التعرف على المخطوطات والفهارس والحصول على المطلوب منها في المكتبة الظاهرية ، والأستاذ رياض المالح الذي زودني بالمزيد من المراجع والتعرف عليها فيما يتعلق بالتعريف بالكتاب ومؤلفه وشيخه سيدي الدباغ . وكذلك أشكر الأحباب نبيل ونادر وأحمد ومأمون وحمدي ومحمد وغيرهم من الذين يقرءون عليّ بعض العلوم حيث آزروني في تبييض بعض مسودات وشاركوني في الكشف عن بعض تراجم وأحاديث شريفة مع المطابقة على المخطوط أو المطبوع أحياناً .

أكرمني الله وإياهم جميعاً ، وجعلنا أهلاً لفضله ورزقنا الإخلاص في القول والعمل . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

دمشق ربيع الأول ١٤٠٣ هـ
كانون الأول ١٩٨٢ م

كتبه
محمد عدنان بن تيسير الشماع
عفا الله عنه

هذا كتاب الأبريز لسيدي العالم العلامة
سيدي احمد ابو العباس بن المبارك
اللمطي جمعه من كلام شيخه القطب
الغوث سيدي عبد العزيز
الدباغ الفاسي الشريف
الحسني رضي الله
عنه امين

انتقل بالشراء الشرعي
لنوبة محمد عبده
الخالدي الحسني
الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي وفق لأوليائه طريق الوسائل وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل فمن اقتدى بهم انتصر واهتدى ومن حاد عن طريقهم انتكس وتردى ومن تمسك بأذيالهم أفلح وأدرك ومن قابلهم بالاعتراض انقطع وهلك أحمده حمد من علم أن لا ملجأ منه إلا إليه وأشكره شكر من تحقق أن خير الدنيا والآخرة بيديه وأستعينه استعانة من لا يعول في الأمور إلا عليه وأصلي على سيدنا محمد وعلى آله وأسلم عليه وعلى آله عدد نعم الله الكريم وأفضاله **أما بعد** فإنه لما من الله علي وله الحمد والشكر بمعرفة الولي الكامل الغوث الحافل الصوفي الباهر نجم العرفان الزاهر صاحب الإشارات العلية والعبارات السنية والحقائق القدسية والأنوار المحمدية والأسرار الربانية والهمم العرشية منشئ علم الطريقة بعد خفائها ومجدد علوم الحقائق بعد خبو أنوارها الشريف الحسيب الوجيه النسيب نخبة النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية والسلالتين الطيبتين الشاهدية والغيبية والولايتين الكريمتين الملكية والملكوتية المحمدي العلوي الحسني قطب السالكين وحامل لواء العارفين شيخنا وسيدنا ومولانا عبد الغني بن سيدنا ومولانا مسعود بن سيدنا ومولانا أحمد بن سيدنا ومولانا أحمد بن سيدنا ومولانا محمد بن سيدنا ومولانا أحمد بن سيدنا ومولانا عبد الرحمن بن سيدنا ومولانا قاسم بن سيدنا ومولانا

محمد بن سيدنا ومولانا احمد بن سيدنا ومولانا قاسم بن سيدنا احمد بن
سيدنا ابراهيم بن سيدنا محمد بن سيدنا عبد الرحيم بن سيدنا عبد
العزيز بن سيدنا هارون بن سيدنا منون بن سيدنا علوش بن سيدنا
منديل بن سيدنا علي بن سيدنا عبد الرحمن بن سيدنا عيسى بن سيدنا
احمد بن سيدنا محمد بن سيدنا عيسى بن سيدنا ادريس بن سيدنا عبد الله
الكامل بن سيدنا الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط بن سيدنا علي رضي
الله عنهم اجمعين ونفعنا ببركاتهم امين وشاهدت من علومه ومعارفه
وشمايله ولطايفه ما اعجزني وبهرني وناداني بكليتي واسرني و سمعت
منه في جانب سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه وسلم من المعرفة بقدره العظيم وجاهه الكريم ما لم يطرق سمعي مثله
نشأت من انسان والقرائن مسطورة في ديوان وسنذكر بعضه ان شاء الله
تعالى اثناء الكتاب واعرف الناس والاهم به يوم الحساب وكذا سمعت منه
من المعرفة بالله تعالى وعلى صفاته وعظيم اسمائه ما لا يكيف ولا يطاق
ولا يدرك الا بهبة الملك الخلاق وكذا سمعت منه من المعرفة بانبياء
الله تعالى ورسله الكرام والفضائل لاجناسهم وتفاوت مراتبهم العظام
ما كنت احسب ان البشر لا يبلغون العلم ذلك ولا يتخطون الى ما هنالك
وكذا سمعت منه من المعرفة بالكتب السماوية والشرايع النبوية ه
السالفة الاعصار المتقادمة الليل والنهار ما تقطع وتجزم انك اذا سمعته
بانه سيد العارفين واولياء اهل زمانه اجمعين وكذا سمعت منه المعرفة
باليوم الآخر وجميع ما فيه من حشر ونشر وصراط وميزان ونعيم باهوالها
تعرف اذا سمعته انه يتكلم عن شهود وعيان ويخبر عن تحقيق وعرفان
ما يفتح بولايته العظمى واتصافه بجنابه الاحمى وقلت الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله بان كل مومن اهل ملكته

أفضل
عليهم الصلاة وازكى السلام
ما خصه به كانه كان
مع كل نبي في زمانه ومن
أهل عصره واوانه.
وكذا سمعت منه من المعرفة
بالملائكة الكرام واختلاف
أجناسهم ..
/ متصل /

احدهما يعلق فيه اليهود والاخر يعلق فيه المومنين ثم انه عصاه واحد
من المومنين فعلقه في سور اليهود فنعلم انه اهانه اهانة عظيمة
حيث جمعه مع اليهود في سور واحد فقلت بين لنا فقال رضي الله
عنه ان في جهنم نارا حارة وبها يعذب بنو آدم ونارا باردة وبها
يعذب الشياطين فانه كما سبق بيانه وقلنا الارواح بمنزلة النار يعذبون
مع الشياطين فقال رضي الله عنه ولا يختص هذا بالقتلة بل بعض
العصاة كذلك ثم اراد ان يعينهم ويعين الحكمة في تعذيبهم بالنار الباردة
فجاء من قطع الكلام والله اعلم وقال رضي الله عنه مرة ان من اشد
الناس عذابا يوم القيامة فقلت من هو فقال رضي الله عنه عبد اعطاه
الله ذاتا كاملة وعقلا كاملا وصحة كاملة ويسر له في العيش واسباب
الرزق ثم يبقى هذا الرجل اليوم واليومين والثلاث ولا يخطر بباله خالقه
سبحانه واذا اكتسب المعصية اقبل عليها بذاته الكاملة وعقله
الكامل واستحسنها واستلذ بها من غير ان يكون مشوش عليه من ناحية
ربه عز وجل فتجده متصلا بالمعصية غاية الاتصال ومنقطعا عن
ربه تعالى كل الانقطاع يميل بكليته وهمته الى المعصية ويستحليه
غاية الاستحلاء فيكون جزاء هذا يوم القيامة بان ينقطع الى العذاب
بجميع شراشره ينساق اليه بالكلية ويقع فيه بالمرة الواحدة
فقال رضي الله عنه فالغفلة عن الخالق سبحانه ولا سيما في
حال المعصية شانها عظيم وامرها جسيم فينبغي للمومن اذا عصى ان
يعلم ان له ربا قادرا عليه فيحصل له الخوف والوجل فتنكسر بذلك سورة
العذاب ان لم يقع بالكلية والله تعالى اعلم وهذا اخر ما كتبه
الشيخ الامام العلم الهمام العالم العلامة سيدي ابو العباس احمد بن مبارك
اللمطي السجلماسي رحمه الله تعالى مما سمعه من شيخه العارف بالله

أزوجل

عز وجل الولي الصالح صاحب الكرامات والمكاشفات سيدي عبد العزيز بن
الدباغ الفاسي رضي الله تعالى عنه ونفعنا وذريتنا واهلينا وجميع
المسلمين به وحشرنا في زمرته آمين وكان الفراغ من نسخ هذه
النسخة المباركة ليلة الاثنين منتصف شهر صفر الخير سنة ستة
وتسعين ومائة والف عرفنا الله خيرها وخير ما بعدها ووقانا شرها
وشر ما بعدها بجاه سيد المرسلين سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم كتبه العبد
الفقير الراجي الغفور عبده محمد بن محمد
... السليماني
...
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما
كثيرا

تبرك بمطالعته الفقير
إلى الله الهادي محمد بن
عبد الله الخالدي عفي عنه
...

...

خطبة المؤلف ومقدمته

(ملخص)

خطبة المؤلف ومقدمته

الحمد لله الذي فتح لأوليائه طريق الوسائل ، وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل ، فمن اقتدى بهم انتصر واهتدى ، ومن حاد عن طريقهم انتكس وتردّى ، ومن تمسك بأذيالهم أفلح وأدرك ، ومن قابلهم بالاعتراض انقطع وهلك .

أحمده حمدَ من علم أن لا ملجأ منه إلا إليه ؛ وأشكره شكرَ من تحقق أن خيري الدنيا والآخرة بيديه ؛ **وأستعينه** استعانةَ من لا يُعَوّل في الأمور إلا عليه ؛ **وأصلّي** على سيدنا محمد وعلى آله ؛ **وأسلّم** عليه وعلى آله ؛ عددَ خلق الله الكريم وأفضاله .

أما بعد ..! فإنه لما منَّ اللهُ عليّ ـ وله الحمد والشكر ـ بمعرفة الوليّ الكامل ، الغوث الحافل ، الصوفي الباهر ، نجم العرفان الزاهر ، صاحب الإشارات العلية ، والعبارات السنية ، والحقائق القدسية ، والأنوار المحمدية ، والأسرار الربانية ، والهمم العرشية ؛ منشئ معالم[1] الطريقة بعد خفاء آثارها ، ومبدي علوم الحقائق بعد خبوّ أنوارها ؛ الشريف الحسيب ، الوجيه النسيب ، ذي النسبتين الطاهرتين الجسمية والروحية ، والسلالتين الطيبتين الشاهدية والغيبية ، والولايتين الكريمتين الملكية والملكوتية : المحمديّ العلويّ الحسنيّ ، قطب السالكين ، وحامل لواء العارفين ، شيخنا وسيدنا ومولانا عبد العزيز ابن سيدنا ومولانا مسعود ، ابن سيدنا ومولانا أحمد ، ابن سيدنا ومولانا محمد ، ابن سيدنا ومولانا محمد ، ابن سيدنا ومولانا أحمد ، نسبه الشريف رضي الله عنه

(١) في ظ ١ : علم .

ابن سيدنا ومولانا عبد الرحمن ، ابن سيدنا ومولانا قاسم ، ابن سيدنا ومولانا محمد ، ابن سيدنا ومولانا أحمد ، ابن سيدنا ومولانا قاسم ، ابن سيدنا ومولانا محمد ، ابن سيدنا ومولانا إبراهيم ، ابن سيدنا ومولانا عمر ، ابن سيدنا ومولانا عبد الرحيم ، ابن سيدنا ومولانا عبد العزيز ، ابن سيدنا ومولانا هرون ، ابن سيدنا ومولانا قنون ، ابن سيدنا ومولانا علّوش ، ابن سيدنا ومولانا منديل ، ابن سيدنا ومولانا علي ، ابن سيدنا ومولانا عبد الرحمن ، ابن سيدنا ومولانا عيسى ، ابن سيدنا ومولانا أحمد ، ابن سيدنا ومولانا محمد ، ابن سيدنا ومولانا عيسى ، ابن سيدنا ومولانا إدريس ، ابن سيدنا ومولانا إدريس ، ابن سيدنا ومولانا عبد الله الكامل ، ابن سيدنا ومولانا الحسن المُثَنّى ، ابن سيدنا ومولانا **الحسن** السِبط ، ابن سيدنا ومولانا **علي** - رضي الله عنهم أجمعين ، ونفعنا ببركاتهم . آمين -

فشاهدت من علومه ، ومعارفه ، وشمائله ، ولطائفه ، ما غمرني ، وبهرني ، وقادني بكليتي ، وأسرني .

وسمعت منه في جانب سيد الوجود وعَلم الشهود سيدنا ومولانا محمد ﷺ من المعرفة بقَدْره العظيم ، وجاهه الكريم ، ما لم يطرق سمعي - منذ نشأت - من إنسان ولا رأيته مسطوراً في ديوان ؛ وسترى بعضه - إن شاء الله تعالى - أثناء الكتاب ، وأعرف الناس به [ﷺ] أولاهم به يوم الحساب .

وكذا سمعت منه من المعرفة بالله تعالى وعليِّ صفاته وعظيم أسمائه ، ما لا يُكيف ولا يطاق ، ولا يدرك إلا بعطية المَلِك الخلاق .

وكذا سمعت منه من المعرفة بأنبياء الله تعالى ، ورسله الكرام - عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام - ما تخصه به كأنه كان مع كل نبيّ في زمانه ، ومن أهل عصره وأوانه .

وكذا **سمعت منه** من المعرفة بالملائكة الكرام ، واختلاف أجناسهم ، وتفاوت مراتبهم العظام ، ما كنتُ أحسب أن البشر لا يبلغون إلى علم ذلك ، ولا يتخطون إلى ما هنالك .

وكذا **سمعت منه** من المعرفة بالكتب السماوية ، والشرائع النبوية السالفة الأعصار ، المتقادمة الليلَ والنهار ، ما تَقْطعُ وتجزم أنك[2] إذا سمعته بأنه سيدَ العارفين ، وإمام[3] أولياء أهل زمانه أجمعين .

وكذا **سمعت منه** من المعرفة باليوم الآخر ، وجميع ما فيه من حشر ونشر ، وصراط وميزان ، ونعيم باهر ، ما تعرف إذا سمعته أنه يتكلم عن شهود وعيان ، ويخبر عن تحقيق وعرفان . فأيقنت حينئذ بولايته العظمى ، وانتسبت لجنابه الأحمى ، وقلت :

﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

فإنّ كل مؤمن إنما تكون طِلبته معرفة الأمور السابقة ؛ وبذلك تكون صفقته رابحة ونافقة ؛ وقد سأل سيدُنا جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ سيدَنا ومولانا محمداً ﷺ عن حقيقة الإيمان فقال :

« أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ » [رواه البخاري ومسلم عن عمر] .

فمن كان أعرف الناس بهذه الأمور كان أحسنَهم إيماناً وأكملهم عرفاناً . فهذه ـ وفقك الله ـ هي المحَجة البيضاء ، والطريقة التي فَجْرُها أضاء[4] .

وكان اجتماعي به ـ ولله الحمد ـ في رجب سنة خمس وعشرين ومائة وألف . فبقيت في عشرته وتحت لواء محبته ، أسمع من معارفه التي لا تعدّ ولا تحصى ، ولم يُجرِ الله تعالى على يدي تقييد شيء من كلامه ، بل كنت أسمعه وأعقله ، وأذكره لبعض أحبابي ، وخاصة أصحابي ؛ فكلّ من سمعه يتعجب منه ، ويقول : ما سمعنا مثلَ هذه المعارف ..! . ويزيدهم تعجباً كونَ صاحبها ـ رضي الله عنه ـ أمياً لم

اجتماع المؤلف بالشيخ ١١٢٥ هـ

---

(٢) نقص في بولاق : أنك .

(٣) إمام : في بولاق .

(٤) في ظ ١ : واعلم وفقك الله إلى الحجة البيضاء والطريقة التي فجرها أضاء أنه كان اجتماعي معه .

يتعاط العلم ، ومِن الذين أعرضوا عنه في الظاهر غايةَ الإعراض . وكلٌّ من سمع منهم شيئاً يبقى متلذذاً به اليوم واليومين ، والجمعة والجمعتين ؛ وإذا لقيتُهم ولقُوني سألوني : هل سمعتَ شيئاً من تلك المعارف ، والفوائد اللطائف ؟ فأذكرُ لهم ما تيسّر ؛ فيزيدهم ذلك حباً وتعجباً . ولولا خشيةُ الملل لسمّيت هؤلاء الذين كانوا يسمعون مني كلامه ، ويتلذذون به ؛ فإن مَن عرفهم بأسمائهم علم مكانةَ شيخنا ـ رضي الله عنه ـ لشهرتهم في الناس بالولاية والتعظيم والتوقير إلى النهاية ، مع كثرة مخالطتهم للصالحين ، والأولياء العارفين ، وطول معاشرتهم لهم المعاشرة التامّة ، بالقلب والحبّ واللبّ ؛ حتى عَلِموا بذلك أسرار الولاية ، وأوصاف المحبين وسماتِ العارفين ، ومناقبَ الصادقين ، وأحوال الهادين المهتدين ؛ هذا مع كونهم من أكابر العلماء وفحول الفقهاء . وحين سمعوا منّي بعض كلام شيخنا ـ رضي الله عنه ـ أمروني بالدوام على محبته ، وقالوا : هذا ـ واللهِ ـ الولي الكامل ، والعارف الواصل .

وبالجملة فما سمع أحد كلامه إلا ويبادر إليه بالقبول التامّ . وستقف على ذلك بما تراه أثناء الكتاب ـ إن شاء الله تعالى بمنه وكرمه ـ .

١١٢٩ هـ (ولما كان رجب) سنة تسع وعشرين ومائة وألف ، ألهمني تبارك وتعالى ـ وله الحمد والشكر ـ تقييدَ[٥] بعضِ فوائده لتعم به الفائدة ، وتتم العائدة ؛ فجمعتُ بعضَ ما سمعته في شهر رجبَ وشعبان ورمضان وشوال وذي القَعدة ، فإذا هو يقرب من خمسة عشر كرّاساً ، فعلمت أني لو قيدت ما سمعت منه في السنين الأربع الماضية لكان أزيد من مائتي كرّاس ؛ « وآفة العلم عدم التقييد » .

واعلم ـ وفقك الله ـ أن جميع ما قيّدتُ إنما هو قطرات من بحر زَخّار ، لا قعر له ولا ساحل ؛ تلاطمت أمواجُه فتطايرت علينا منها قطرات ـ نفعنا الله بها ـ فتلك القطرات هي التي لو قيدتها لزادت على مائتي كرّاس .

وأما **العلوم التي في صدر الشيخ** ـ رضي الله عنه ـ فلا يحصيها إلا ربّه ـ تعالى ـ الذي خصه بها . والله تعالى يوفقنا لما يحبه ويرضاه ويسعدنا بحسن قَضاه .

---

(٥) في ظ ١ : إلى تقييد .

فأقول - وبالله تعالى أستعين ، وإياه أسأل ، ومنه أستمد ، وإليه أرغب ، وبه أستكفي فهو حسبي ولا أزيد - : إنّ **هذا المجموع المبارك المقصودُ منه هو جمع بعض ما سمعناه من شيخنا** رضي الله عنه . ولا بد أن نقدم على ذلك مقدمة تتعلق بشمائل هذا الشيخ الكريم ، وكيف كانت بداية أمره ؟ وكيف كان فتحُهُ ؟ ومَن لقنه الذكر ؟ والشيوخ الذين لقيهم في الظاهر وفي الباطن ، وغير ذلك ، مما ينجرّ إليه الكلام . وينحصر ذلك في ثلاثة فصول .



مقدمة المؤلف

(ملخص)

الفصل الأول

في أولية أمره قبل ولادته

سمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : كان سيدي العربي الفشتالي[1] ولياً من أولياء الله تعالى ، أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن ناصر صاحب وادي دِرعَة[2] ـ نفعنا الله به ـ ، وأخذ ثانياً عن سيدي مبارك بن علي ، وكان سيدي مبارك المذكور يخدم الشطاطيب ، فلقيه سيدي العربي بجامع القرويين من محروسة فاس[3] ، فتوسم سيدي العربي فيه الخير والصلاح ، وقال له : يا سيدي ، علّمني كيف يحصل السر لأربابه . فقال له سيدي مبارك : اعطس ، فقال سيدي العربي : ما جاءني عطاس في هذا الوقت ، فقال سيدي مبارك : وكذلك أنا ما جاءني كيف أعلّمك ذلك ؟ فالتزمَهُ سيدي العربي ودام على محبته إلى أن نال منه ما نال .

قال ـ رضي الله عنه ـ : وكانت لسيدي العربي أختٌ ، وكانت لهذه الأخت بنت ، وأبو البنت علاّل القمارشي من ذوي السعة والغنى ؛ فمات علال القمارشي وتزوجها رجل من أهل مكناسة الزيتون[4] بعد علاّل القمارشيّ ، فبقيت البنت عند

---

(١) الفشتالي : نسبة إلى « فشتالة » قبيلة بالشمال الغربي لفاس ا هـ . من الأعلام .

(٢) درعة : مدينة بينها وبين سجلماسة أربعة أيام ، وهي طريق غانة ا هـ . من معجم البلدان وغيره .

(٣) فاس : مدينة عظيمة في المغرب بناها إدريس الثاني (١٩٢ هـ) وجدد عمرانها ابن ابنه يحيى بن محمد . وهي عاصمة الشمال .

وفاس : مدينة قديمة وحديثة فيها قصور على الطراز الأندلسي . والقديمة كان لها ناحيتان مشهورتان : طنجة والزاب ا هـ .

ومن آثارها : مدارس وسوق العطارين وكذا القرويين . ومن جوامعها : جامع مولاي إدريس وجامع القرويين والأندلس ا هـ . معجم البلدان ـ أحسن التقاسيم ـ المغرب العربي ـ خريدة ـ مجلة المعرفة .

(٤) مكناسة الزيتون : وهي بالمغرب قرب مدينة فاس الحديثة (انظر الخارطة رقم ٢) وتسمى الآن مكناس .

سيّدي العربي ، فجعل يُرَبّيها ويحضنها ، ويحبّها محبة شديدة ، وينفق عليها متاعه . وكانَ سيّدي العربي ـ مع كونه ولياً ـ فقيهاً من الفقهاء ، ومقرئاً من جملة المقرئين ؛ فكان يُدرّس العلم لأهله ، ويصحّح الطلبةُ عليه ألواحَهم ويجوّدونها عليه .

الشيخ مسعود والد الشيخ عبد العزيز رضي الله عنه

فكان أبي مسعود من جملة من يأخذ عنه العلم ، فلما كان ذات يوم ـ وقد تمّ المجلس ـ ناداه سيّدي العربي ، وقال له : إنّي أريد أن أزوّجك ابنة أختي ؛ ـ وكان اسم أخته : راضية ؛ واسم ابنتها : فارحة ـ ؛ فقال له أبي ـ مسعود ـ : إن أعطيتني فإني[٥] أقبل ؛ فقال : أنا أعطيتك ، فقال أبي ـ مسعود ـ : وأنا قبلت ، فقال له سيّدي العربي : والصَداق والجهازُ كلّه عليّ ، لا ينوبك أنت منه شيء ؛ ففرح أبي غاية الفرح . وكان سيّدي العربي يتودد إليه قبل ذلك غاية الوداد ، وكلّما لقيه أعطاه ما تيسّر ، وفرح به ؛ فلما تمّ العقد بينهما جهّز سيّدي العربي ابنة أخته ، وبعث بها إلى أبي ؛ ثم لقيه بعد ذلك ، وقال له : جئني إلى حانوتي ـ وكان يشهد في « سماط العدول » ـ ؛ فكان أبي يجيئه كلّ يوم ، بعد صلاة العصر ، فيعطيه سيّدي العربي موزونتين كلّ يوم .

وسمعت الشيخ سيّدي محمد بن عبد الرحمن الفاسي يقول : كنت أسلك لَوْحي على سيّدي العربي الفشتالي ، فيجيء أبوكَ ـ مولاي مسعود الدبّاغ ـ فيعطيه سيّدي العربي كلَّ ما قَبضَ في الحانوت ، وكانت لابنة أخته أرضٌ للحراثة كثيرة[٦] ، « بزواغة »[☆] ـ الموضع المعروف ـ ورِثَتها من أبيها علال القارشي . فقال سيّدي العربي لأبي مسعود : إنّ البنت التي عندك رشيدة فتوكلْك على بيع البلاد التي لها « بزواغة » ؛ فاذهبْ وبعْها ولا تتركْ منها شيئاً . فذهب إلى زوجته فوكّلته ؛ وكانت لها أخت من أبيها ؛ فذهب إليها أبي لتوكله على بيع الجميع فأبتْ ، فباعَ نصيبَ أُمي ، وبقيتْ أختها تستغلّ بلادها نحو الثلاثة الأعوام ؛ ثم جاءت

---

(٥) في ظ ١ : فإن أعطيتني فأنا ...

(٦) في ظ ١ : كبيرة .

(☆) زواغة : من قرى تاهرت الحديثة في غربيها . كما في معجم البلدان .

« الوادّيـة »[٧] ـ الطـائفـة المعروفـة بـالظلم ـ فغصبوا بلاد النـاس التي « بزواغـة » ، فغُصبت أرض أختها في جملة ما غُصب ؛ فمن ذلك اليوم ما انتفَعَتْ منها بشيء ، فعلموا أنّ ذلك كشف من سيّدي العربي . قال : ولم يزل سيّدي العربي يتودّد إلى أبي ، ويأتي له بالطعام العجيب ؛ حتى لقد سمعتُ أمي ـ رحمها الله تعالى ـ تقول : منذ مات سيّدي العربي ، ما أكلنا « الطنجية » ؛ كان ـ رحمه الله ـ يصنعها لنا كلّ يوم ؛ فإذا صلى بالناس العشاء في مسجده دقّ علينا الباب ، فنخرج إليه فيمكّنها لي . هذا شغله معنا كلّ يوم ، حتى توفي ـ رحمه الله تعالى ـ .

بشارة بالشيخ رضي الله عنه

وكان [الفشتالي] يقول لنا : إنه يتزايد عندكم ولد اسمه : عبد العزيز ؛ له شأن عظيم في الولاية .

رؤيا مبشرة بالشيخ عبدالعزيز

وسمعت أمي تقول : إن سيّدي العربي الفشتالي قال : رأيت النبيّ ﷺ فقال لي : إنه سيزيد وليّ كبير عند ابنة أختك ، فقلت : يا رسول الله ﷺ ، ومَن أبوه ؟ فقال ﷺ : أبوه مسعود الدبّاغ . فهذا كان أعظم سبب في رغبة سيدي العربي في مصاهرة أبي ـ مسعود ـ ؛ وكان سيدي العربي يتمنى أن يدرك ولادة مولاي عبد العزيز ، فلما كان الوباء الذي جاء عام تسعين[٨] وألف مات سيّدي العربي في ذلك الوباء ؛ فلما حضَرَته الوفاة أرسل إلى أبي ـ مسعود ـ فجاءه ، فقال : أين زوجتك ؟ فأرسَلُوا إليها فلما حضرا معاً ، قال لهما سيّدي العربي : هذه أمانة الله عندكما ، حتى يزيدَ عندكما عبد العزيز ، فأعطُوه هذه الأمانة . قال : وكانت الأمانة شاشية وسَبَاطاً كتّابياً أسود ، لأنّه هو الملبوس في ذلك الوقت . قال : فأخذَتْ أُمّي الأمانة وصانتها ؛ فزاد عندها في ذلك الحمل بنت ؛ ثم بقيت ما شاء الله ؛ ثم حملت بي ، فزدت عندهم ، وبقيتُ حتى بلغت وصمت رمضان ؛ فألهم الله تعالى أمّي إلى

وباء عام ١٠٩٠ هـ

أمانة شيخ والده أوصى بها لسيدي عبد العزيز

---

(٧) الوادية : [كذا في ظ ١ . وجاء في غيرها : الودية . وهو خطأ] وهي نسبة إلى بني عبد الواد ، الذين كانت لهم الدولة في تلمسان (٦٣٣ ـ ٩٦٢) هـ (١٢٣٥ ـ ١٥٥٤)م وهم من بطون زناتة .
امتدت رقعتهم إلى : وجدة ـ قسنطينة ـ بجاية ؛ غرباً وشرقاً ، وبلغت حدودها الجنوبية الغربية إلى ـ سجلماسة ـ تافيلالت . تجرأ الاسبان زمنهم على احتلال وهران (٩١٥ هـ) ثم اقتحام بجاية وغيرها (٩٢٨ هـ) . ا هـ المغرب العربي ٢ / ٢٣٤ ، الأعلام / العبد الوادي .

(٨) في ظ ١ : عام سبعين وألف .

الأمانة فذهبت ، فجاءتني بها ؛ وقالت : يا ولدي ، إنّ سيّدي العربي الفشتالي أوصَى إليك بهذه الأمانة . قال : فأخذتها ، وجعلتُ الشاشية على رأسي ، ولبست السَّبّاط في رجلي ، فحصلتْ لي سَخانة عظيمة ، حتى دمعت عينايَ ، وعرفتُ ما قال لي سيّدي العربي ؛ وفهمتُ إشارته ؛ والحمد لله رب العالمين . وكان ذلك سنة تسع ومائة وألف ؛ . . .

مولد الشيخ عبد العزيز ١٠٩٠ هـ

قلت : هذا ما سمعت منه في شأن سيدي العربي ، ولم أدرك أنا سيدي العربي ، بل كنت في ذلك الوقت الذي مات فيه في المهد ابن ستة أشهر ، أو ما يقرب منها ، غيرَ أني سمعت الناس يُثنون عليه بالخير ، ويذكرونه بالورع والزهد وقيام الليل .

وسمعت من الثقات أنّ سيدي أحمد بن عبد الله [المصري الغوث] الوليّ الكبير ، العارف الشهير ، صاحب الخفية - رضي الله عنه - ، وكان يثني كثيراً على سيّدي العربي الفشتالي ويقول : إن سيّدي العربي كان من أكابر الأولياء العارفين ؛ وقد علمتَ جلالة سيّدي أحمد بن عبد الله المذكور ، وأمانَتَه ، واتفاقَ الناس على ولايته ، وإجماعَهم على سرّه وكشفه ، وسطوع نور بصيرته .

وقد سمعت العدل الأرضي الفقيه سيدي عبد القادر أحماموش هو من القاطنين بمدينة صفر - وكان من أصحاب سيّدي أحمد بن عبد الله (المذكور) ومن المكثرين زيارته - يقول :

لما مات سيدي العربي الفشتالي قال لنا سيّدي أحمد بن عبد الله - نفعنا الله به - : إن سيّدي العربي الفشتالي كان من أكابر الأولياء ، ولو لم يمتْ ما ذكرت لكم شيئاً من أموره . قال : وكنت من طلبة سيّدي العربي ، وممن يحضر درسه ، ويلازمه ؛ وما كنا قط نظنه ولياً ، لأنه كان يُخفي أمره .

قال : وسمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول : بينما أنا مع سيدي العربي الفشتالي « بسايس » - الموضع المعروف - إذ قال لي : إنه حدث أمر ، فقلت : وما هو ؟ قال : مات سيّدي محمد بن ناصر - رحمه الله - الآن ، فقلت : وما يدريك ؟ فقال : مات من غير شكّ . قال سيدي أحمد بن عبد الله : فتعجب

منه . ثم قال لي : انظر إلى هذا الذي أمامنا ؛ فإذا هو خيال بعيد جداً . فقال : إنه يأتينا بخبر سيّدي محمّد بن ناصر . قال : فجعلنا نسير حتى اجتمعنا مع ذلك الرجل ، فقلنا له : ما الخبر ؟ فقال : مات سيّدي محمّد بن ناصر .

قال : وسمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول : كنا في وقت الحصار بعد موت زيدان[9] تَضُرُّ بِنَا الشبارات التي بالقصبة الجديدة ؛ وكانوا ينصبون عليها الأنقاض[10] حتى كانت كورتها تبلغ بقرب ديار سيدي أحمد بن عبد الله ؛ قال سيّدي أحمد : فذهبت لأنظر مواضع الشبار ، فخرجت - وما يعلم ما في قلبي أحد - ؛ فلقيني سيدي العربي الفشتالي فقال لي : إلى أين تريد ؟ فقلت : لأنظر إلى الشبارات ؛ فقال : لا تفعل ، فقلت له : لا بد أن أفعل ، فقال : إن كنت ولا بد ذاهباً فأنا أذهب معك ؛ قال : فذهب معي ، فجعلت كلّما أردت أن أنظر شباراً يرغّبني سيّدي العربي ، وأساعفه ؛ حتى تغفلته مرة فنظرت إلى شبار في برج ، فسقط ذلك البرج بأهله .

قال : وسمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول : كنت ذات يوم بالقَرَويين فلقيني سيّدي العربي - ولا نيّة لي في زواج - ، فلما رآني قال لي : المرأة مباركة ؛ فقلت : أيّة امرأة ؟ فقال لي : المرأة التي تتزوّجها ، فقلت : ما في خاطري شيء ، فقال : إنّك تتزوجها ، قال سيّدي أحمد بن عبد الله : فما بقيت إلاّ سبعة أيام ، وإذا بخاطري تحرك للزواج فتزوّجت .

قلت : وسمعت أنا قريباً من هذه الحكاية من سيدي أحمد بن عبد الله ، وأبهم فيها من أخبره .

(٩) زيدان (-١١١٩ هـ = ١٧٠٧ م) : هو ابن إسماعيل بن الشريف ، المولى أبو محمد الحسني العلوي السجلماسي ، أمير من بيت الملك بالمغرب الأقصى . استخلفه والده على مكناس (١١٠٢ هـ) ، ووجّهه بجيش لقتال الترك في جهات تلمسان (١١١١ هـ) وعيّنه خليفة على فاس ، ثم انتدبه لقتال أخيه المولى محمد - وكان قد ثار بالبلاد السوسية - فطارده زيدان إلى أن قبض عليه في تارودانت وبعثه إلى أبيه . واستقر بتارودانت إلى أن توفي . وهو جدّ المؤرخ ابن زيدان ا هـ : الأعلام .

(١٠) في ظ ١ : الأنتاض .

قـال : وسمعت سيـدي أحمد بن عبـد الله يقـول : كنت مـع سيـدي العربي الفشتالي فجعل يتكلم معي في شأن الأولياء ، فجعلت أذكر لـه عـدداً منهم ، فقـال لي : إني أتكلم معـك في الأكابر ؛ وأمـا الأصـاغر ، فـإني أعرف من هنـا إلى « بني بازغة » ـ وهي على مرحلة[11] من فاس ـ نحواً من أربعمائة ولي ، قلت : وسمعت أنـا هذه الحكاية من سيدي أحمد بن عبد الله ، وأبهم أيضاً صاحبَ الحكاية .

تواضع وتستر

قال : وسمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول : كان سيدي العربي الفشتالي يخفي أحوالـه ويكتم أسراره ، ولقـد تكلم ذات يـوم مـع[12] بعض طلبتـه فقـال : أتظنون أن الكشف شيء ، إنما هو شطارة وسرعة فهم ؛ وإن شككتم في هذا فانظروا إليّ فـإنكم تعرفوني وتعرفون أحوالي كلها ، وتعرفـون أني لست بـوَليّ ؛ فقـالـوا لـه : نعرفك ونعرف أنك لست بولي ، فقال سيدي العربي الفشتـالي لواحـد منهم مكاشفاً له : ألست أنك تريد تفعل كذا في وقت كذا ؟ فقال الطالب : نعم ؛ فقـال سيـدي العربي : هو مـا قلتُ ، إن الكشف شطـارة ؛ فصـدَّقوه وظنّوا أن الكشف شطـارة ، قال : وتلاهى سيدي العربي عنهم .

قـال : وسمعت سيـدي أحمد بن عبـد الله يقـول : دخلت ذات يـوم مسجـد القَرَويين فوجدت فيـه سيـدي العربي الفشتـالي ، وهو متغيرُ الوجـه ، أصفر اللون ؛ فقال لي : ما في هذه السـاعة ما يُتكلم به معك ، ولا مع غيرك ؟ فقلت له : ولِمَ ؟ فقال : إنّي قرأتُ هذا البيتَ من تائيـة ابن الفـارض [المسماة بنظم السلوك] ؛ وهو قوله :

فَلَـــوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِـــوَاكَ إِرَادَةٌ   عَلَى خَـــاطِرِي سَهْـواً قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

فـوجـــدت إرادةً خطرت لي في ســواهم ، فقضيت بردتي ؛ فمــا فيّ خير ، ولا مـا يخـالـط ولا مـا[13] يعرف ؛ وتَغَيَّر كثيراً ؛ قـال سيـدي أحمـد بن عبـد الله :

---

(11) المرحلة : المسافة التي يقطعها المسافر في يوم . ا هـ المصباح المنير . وفي غيره : المرحلة أو الارسطارليوس = ٢٤ ميلاً = ٧٢ ألف ذراع .

(12) مع : في ظ ١ .

(13) ما : في ظ ١ عند ـ ولا ما ـ

فقلت له : إنما هذه حالة نزلت بابن الفارض ، ولم تدُم عليه ؛ فقال سيدي العربي : جزاك الله خيراً ، لقد سُرِّي عني ، من كلامك هذا . قال : وكان مولاي العربي القادري ممن أدرك شيئاً من طريق القوم ، ولاحت عليه شواهد أنوارها ، وكان ممن يَعرف سيدي العربي الفشتالي ، وكان لا يَظنّ فيه ولايةً بل يعتقده من جملة العلماء لا غير .

قال : وكان سيدي العربي إذا لقيه يفرح به ويرحب به غاية الترحيب . قال : فلما كان ذات يوم وجد مولاي العربي سيدي العربي مع سيدي أحمد بن عبد الله ، فوجدهما يتكلمان في معارف وعلوم عالية ، قال : فسأل مولاي العربي القادري سيدي محمدَ دُرّيج التطاوني ـ وهو بضم الدال وتشديد الراء بعدها ياء وجيم في آخره ـ ؛ فقال له : وهل يتكلم سيدي العربي مع سيدي أحمد بن عبد الله في هذه المعارف في غير هذا اليوم ؟ أوْ ما تَكلّم معه فيها إلا في هذا اليوم ؟ فقال له سيدي محمد دُرّيج : دائماً يتكلمان في هذه المعارف ، قال صاحبنا سيدي عبد القادر المشد : فَعَلم مولاي العربي بولاية سيدي العربي الفشتالي ؛ وعلم سيدي العربي أن مولاي العربي علم بها ؛ قال : فمن ذلك اليوم ما لقيه إلا وتستّر منه ، وانقطع ما كان من الفرح والترحيب إذا لقيه ؛ لكثرة ما كان يُخفي أمورَه .

وسمعت صاحبنا المذكور يقول : كنت قاطناً بفاس في « حصار زيدان » ؛ فطال الأمر على أهل فاس ، ولحقهم من ذلك ضرر عظيم . قال : فكان سيدي العربي الفشتالي يقول : ما لكم بد من[١٤] مولاي إسماعيل ، طَوّلتُم أو قَصّرتم . فكان يذكر هذا الكلام دائماً حتى عرف به فصار الناس الذين لا يحبون السلطان يقولون : إن سيدي العربي الفشتالي إسماعيلي . قال : فما ذهب الليل والنهار حتى ظهر مصداق ما قال سيدي العربي ؛ وألقوا السَّلْم ، وطلبوا الأمان من السلطان ـ نصره الله ـ ، ووقع الصلح ، والحمد لله رب العالمين .

وسمعته يقول : سمعنا من جيران سيدي العربي الفشتالي يقولون : كان سيدي

---

(١٤) في ظ ١ : عن .

العربي الفشتالي يحيي عامّة الليل بالقيام وتلاوة القرآن ؛ فكانوا في أول الليل يسمعون قراءته ؛ ثم لا يزال كذلك حتى تنزل به أحوال وواردات إلهية ؛ فلا يسمعون في آخر الليل إلا حركة ذاته بالاضطراب والاهتزاز والدريج[١٥] على الأرض ـ رضي الله عنه ، ونفعنا به آمين ـ .

وسمعت الثقة الأرضي الفقيه سيدي المهدي بن يحيي يقول : إن سيدي أحمد بن عبد الله ـ نفعنا الله به ـ كان كثيراً ما يثني على سيدي العربي الفشتالي ، ويصفه بالولاية التامة والكشف الكبير ، ويحكي عنه في ذلك حكايات كثيرة . قال : فمن ذلك أني سمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول : كنت مع سيدي العربي الفشتالي « بسوق الخميس » ؛ قال : والسلطان مولاي رشيد[١٦] ـ رحمه الله ـ في ملكه ، والمَلِك في استعلاء أمره ؛ ولم يبق منازع ، ولا معارض ، وطاب له المُلك ، وجاءه الهناء ؛ فبينما أنا مع سيدي العربي الفشتالي في « سوق الخميس » فقال لي : إني الآن أسمع النديب على مولاي رشيد ـ يشير إلى موته ، وكان موته بمراكش ـ فقلت : كيف يكون هذا ، والآن استفحل ملكه ؟ قال : فلم يكن إلا قليل حتى جاء الخبر بموت مولاي رشيد ـ رحمه الله ـ .

وسمعت سيدي المهدي ـ المذكور ـ يقول : سمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول : كان سيدي العربي الفشتالي من أهل الخير والصلاح ، والولاية الظاهرة ؛ وكان ممن يحافظ على ظاهر الشرع المحافظةَ التامة ؛ فكنت معه ذات يوم بمسجد القرويين ونحن نتحدث فبينما نحن نتحدث إذ سمعنا المؤذن يؤذن . قال : فخرج سيدي العربي من المسجد وغاب هنيهة ثم رجع ؛ فقلت له : ما فعلت في خروجك ؟ فإنك لم تقض حاجة حتى تقول إنك خرجت[١٧] إليها ، وليس وقت صلاة جماعة حتى تقول إنك خرجت إليها . فأيُّ شيء خرجتَ تصنع ؟ فسكتَ

---

(١٥) في ظ ١ : والرديح .

(١٦) المولى الرشيد (١٠٤٢ -١٠٨٢ هـ) . ثاني ملوك الأسرة العلوية الشريفة في المغرب ، كان كريماً ميالاً للعلم مكرّماً لأهله . خلف أخاه المولى محمد ، وخلفه أخوه المولى إسماعيل ا هـ . ملخصاً من المغرب العربي .

(١٧) في ظ ١ : حتى تقول خرج إليها .

عني ؛ فألححت عليه ؛ فقال : إنك لسؤول ؛ خرجتُ لأخطُوَ خطوات من جاء إلى مسجد ربه ليصلي فيه فإنّ الخطوات التي كانت قبل جلوسي معك إنما كانت لأجل الجلوس معك ، فأعجبني ذلك من أمره غاية ، وعلمتُ أنه من المحافظين على آداب الشريعة . أدب شرعي

وسمعته يقول : سمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول : كان سيدي العربي الفشتالي حَسَن الخُلق ؛ كثيرَ التحمل والصبر على إذاية الخَلق ؛ وكان من جملة العدول ، فشهد ذات يوم على رجل بشهادة حق ، فغضب الرجل ، فواجه سيدي العربي بالشتم والسبّ ، فلما فرغ من شتمه لم يزد سيدي العربي على أن قال له : إن الشهادة التي شهدت بها عليك وجهها في الشرع كذا ، وحكمها كذا ، ووجه صوابها كذا ؛ فلم يزد على أن ذكر له وجه ما فعل ، وأعرض عن شتمه وسبه . قال : فتعجب شاتمه من حسن خلقه ، وندم على ما صدر منه ، وتاب .

وسمعت سيدي المهدي المذكور يقول : ما زلنا نسمع من جيران سيدي العربي الفشتالي الثناء عليه ، ويذكرونه بالخير ، حتى إنهم ذكروا عنه : أنه كان إذا اشترى اللحم لداره اشتراه لجيرانه ، ويقول : لا أطبخ اللحم وحدي وأترك جيراني بلا لحم .

وسمعت غير واحد من الثقات يقول : إن سيدي العربي قدم لزاوية المخفية قبل أن يكون بابها الكبير ـ يعني باب المسجد الكبير ـ ، فنظر إلى موضع الباب الكبير اليوم وقال : لا بد أن يُفتح في هذا الموضع باب يدخل الناس منه إلى المسجد . وسَمِع منه هذا الكلامَ غيرُ واحد ، منهم سيدي المهدي الفاسي[18] ـ شارح دلائل الخيرات ـ ، فلم يذهب الليل والنهار حتى فتحوا الباب في الموضع المذكور ـ وهو الباب المعروف الذي يُسلك منه إلى دار الوضوء ـ . كشف

وسمعت العدل الأرضي الحاج محمد بن سودة يقول : سمعت فلاناً يقول : دخلت على سيدي العربي الفشتالي في داره ، فوجدته يروح ويشطح ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال :

---

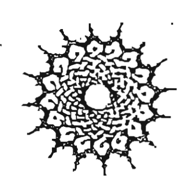
(١٨) المهدي بن الطاهر الفهري الفاسي (ـ ١١٧٨ هـ) : أبو عيسى ، فاضل من أهل فاس . توفي ودفن بتطوان . له « جواهر الأصداف بجمع مناقب الأسلاف » و « رجز في التعريف بسلفه » ا هـ . من الأعلام .

﴿ ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الجمعة : ٤ - الحديد : ٢١] .

وسمعت العدل سيدي العالم الشامي يقول : كنت أتكلم مع سيدي العربي الفشتالي وأمدح له الوقت وحكامه ، وأذم الحكام السابقين مثل ابن صالح وأمثاله ؛ فذكر لي - رضي الله عنه - ما سيقع من حكّام الزمان ؛ فعلمت أن ذلك من كشوفاته - رضي الله عنه - .

وسمعته يقول هو وغيره : إن سيدي العربي كان في العدول يشهد ، وكان يتورع كثيراً فلا يشهد إلا فيما هو مثل النهار ، وإذا أعطي أجرة كثيرة ردها ، ولا يأخذ إلا ما قلّ ، وإذا جاء من يَشهد عنده وقبض منه ما يقبض ثم جاء آخر يشهد عنده يقول له : اذهب إلى جاري فإنا قد استَفْتحنا .

وكراماته [أي سيدي العربي الفشتالي] رضي الله عنه كثيرة ، ومناقبه في الناس شهيرة ؛ وكفاه فخراً وجلالة ذكر(١٩) الربط الذي وقع بينه وبين شيخنا [أحمد بن عبد الله] غوث الزمان وسيد العصر والأوان . والله تعالى يجعلنا - بمنه وفضله وكرمه - من المحسوبين(٢٠) عليهم . آمين . آمين . آمين بجاه سيد الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين - .



(١٩) في ظ ١ : وذكرا الربط ...

(٢٠) في ظ ١ : من المنسوبين إليهم المحسوبين منهم .

(تابع) . مقدمة المؤلف

(ملخص)

الفصل الثاني

في كيفية تدريجه إلى أن وقع له الفتح رضي الله عنه وذكر العارفين الذين رشّهم في الشهادة والغيب

سمعته - رضي الله عنه - يقول : منذ لبست الأمانة[1] التي أوصَى لي بها سيدي العربي الفشتالي ،وفهمتُ ما قال لي فيها ، ألقى الله في قلبي التشوف إلى العبودية الخالصة ؛ فجعلت أبحث عنها غاية البحث ؛ فما سمعت بأحد يُشيّخه الناس ويشيرون إليه بالولاية إلا ذهبت إليه وشيختـه ، فإذا شيخته ودمت على أوراده مدة يضيق صدري ولا أرى زيادة ، فأتركه ، ثم أذهب إلى غيره ، فأشيخه ؛ فيقع لي معه مثل ما وقع من الأول ، فأتركه ، ثم أذهب إلى غيرهما ؛ فيقع لي مثل ذلك .

فبقيت متحيراً في أمري من سنة تسع إلى سنة إحدى وعشرين . وكنت أبيت كل ١١٠٩ هـ

ليلة جمعة في ضريح الولي الصالح سيدي **علي بن حرزهم**[☆] ؛ وكنت أقرأ البُردة ١١٢١ هـ

مع من يبيت به ، حتى نختمها كلَّ ليلة جمعة ؛ فلما كان ذات ليلة طلعت ليلة الجمعة كالعادة ؛ فقرأنا البردة وختمناها ، ثم خرجت من الروضة ، فوجدت رجلاً جالساً تحت السدرة المحررة التي بقرب « باب الروضة » ، فجعل يكلمني ويكاشفني بأمور في

باطني فعلمت أنه من الأولياء العارفين بالله عز وجل ، فقلت : يا سيدي أعطني أخذه الوِرْد

الورد ولَقِّنّي الذكْرَ . فجعل يتغافل عنّي في أمور أخر ؛ فجعلت أُلِحّ عليه في الطلب وهو يمتنع ؛ ومقصوده أن يستخرج مني العزم الصحيح حتى لا أتركَ ما أسمع منه . فلم أزل معه كذلك إلى أن طلع الفجر وظهر الغبار[2] في الصومعة ، فقال : لا أعطيك الوِرْد حتى تعطيَني عهدَ الله أنك لا تتركه ؛ فأعطيته عهدَ الله وميثاقه أني

---

(١) تقدمت ص ٤١ .

(٢) في ظ ١ : الفنار .

(☆) **علي بن حرزهم** (.. - ٥٥٩ هـ) : أبو الحسن ، فقيه ، زاهد ، من كبار رجال التصوف بالمغرب ومن أهل فاس . أخباره كثيرة . توفي ودفن في فاس ، اهـ . الوفيات ٢٨٣ . جذوة الاقتباس ٢٩٣ ، سلوة الأنفاس ٧١/٣

لا أتركه ؛ قال : وكنت أظنّ أنه يعطيني مثلَ أوراد من شَيَختُ قبله ، فإذا به يقول لي : اذكر كلَّ يوم سبعة آلاف : **اللهم يا رب بجاه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ اجمع بيني وبين سيدنا محمد بن عبد الله [ﷺ] في الدنيا قبل الآخرة** . قال : ثم قمنا فخلط علينا سيدي عمر بن محمد الهواري - قيّم الروضة - فقال له ذلك الرجل : ثم أنشأ[٣] في هذا أوصيك به خيراً ، فقال سيدي عمر : هو سيدي ، يا سيدي ؛ قال : فقال لي سيدي عمر - عند خروج روحه وانتقاله إلى الآخرة - : أتدري مَن الرجل الذي لقنك الذكر عند السدرة المحررة ؟ فقلت : لا يا سيدي ؛ فقال : هو سيدنا **الخضر** - عليه السلام - .

ورد الخضر عليه السلام لرؤيته ﷺ

قال شيخنا - رضي الله عنه - : فلما فتح الله عليّ علمتُ ما قال لي سيدي عمر . قال : فبقيت على ذلك الذكر ؛ فثقل عليّ في اليوم الأول ، فما كَمّلته حتى جاء الليل ؛ ثم جعل يخفّ عليّ شيئاً فشيئاً ، وذاتي تصطحب معه ، حتى كنت أكمله عند الزوال ؛ ثم جعل يَخفّ عليّ حتى كنت أكمله عند الضحى ؛ ثم زاد في الخفّة حتى[٤] صرتُ أكمله عند طلوع الشمس . وبقيت مع سيّدي عمر أُحبه ويحبني في الله إلى أن كانت سنة خمس وعشرين [١١٢٥ هـ] ، فجاءته الوفاة وكنتُ جالساً معه ، فقال : أتدري من شيخي ؟ فقلت : لا يا سيّدي ، فقال : هو سيّدي العربي الفشتالي . ولم يذكر لي أنَّ شيخه سيّدي العربي الفشتالي إلاّ وَقْت خروجه من الدنيا .

الشيخ عمر الهواري (- ١١٢٥ هـ) من أهل الديوان

قال شيخنا - رضي الله عنه - : فلما فتح الله عليّ علمتُ ما قال لي سيدي عمر . قال : فبقيت على ذلك الذكر ؛ فثقل عليّ في اليوم الأول ، فما كَمّلته حتى بعد الفتح ؛ ولم يكن سيدي عمر حاملاً لأسرار سيدي العربي بأسرها إنما كان عنده بعضُها ؛ وتفضل الله - تبارك وتعالى - عليّ بجميعها ؛ وزادني عليها ما لا أقدر على شكره . وكان سيدي العربي من العارفين بالله - عز وجل - ؛ وممن يحضر ديوان الصالحين في حياته . فقلت : وبعد مماته ؟ فقال : لا .

الشيخ الفشتالي من أهل الديوان

---

(٣) في بولاق : أنشاء في هذا . وفي ظ ١ : اتهلى في هذا وأوصيك به ...

(٤) في ظ ١ : إلى أن صرت ..

الشيخ منصور من أهل الديوان

وسمعته يذكر مثل هذا عن سيدي منصور وكان من الأقطاب ؛ فقال : إنه كان من أهل الديوان في حال حياته وأما بعد موته فإنه لا يحضره . وذكر لذلك سبباً ، سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في أثناء الكتاب [ص (   ) جـ٢] .

وقوع الفتح ١١٢٥ هـ

قال شيخنا ـ رضي الله عنه ـ : وبعد وفاة سيدي عمر بثلاثة أيام وقع لي ـ والحمد لله ـ الفتحُ ، وعرَّفنا الله بحقيقة نفوسنا ـ فله الحمد وله الشكر ـ وذلك يوم الخميس الثامن من رجب عام خمسة وعشرين ومائة وألف ؛ فخرجتُ من دارنا فرزقني الله تعالى على يد بعض المتصدقين من عباده أربعَ موزونات[٥] ؛ فاشتريت الحوت ، وقدمتُ به إلى دارنا ؛ فقالتْ لي المرأة : اذهب إلى سيدي **علي بن حرزهم** ، واقدم لنا بالزيت لنقليَ به هذا الحوت ؛ فذهبت ؛ فلما بلغت باب الفتوح دخلتني قشعريرة ؛ ثم رعدة كثيرة[٦] ؛ ثم جعل لحمي يتنمّل كثيراً ؛ فجعلت أمشي وأنا على ذلك ؛ والحال يتزايد ، إلى أن بلغتُ إلى قبر سيدي **يحيى بن علال** ـ نفعنا الله به ـ وهو في طريق سيدي علي بن حرزهم . فاشتد الحال ، وجعل صدري يضطرب اضطراباً عظيماً ؛ حتى كانت تَرقُوتي تضرب لحيتي ؛ فقلت : هذا هو الموت من غير شكّ ؛ ثم خرج شيء من ذاتي كأنه بخار الكسكاس[٧] ثم جَعلتْ ذاتي تتطاول حتى صارَتْ أطولَ من كل طويل . ثم جَعلتْ الأشياء تنكشف لي ، وتظهر كأنها بين يديّ ؛ فرأيتُ جميعَ القرى والمدن والمداشر ؛ ورأيتُ كلّ ما في هذا البر[٨] ، ورأيت النصرانيةَ تُرضع ولدها وهو في حِجْرها ؛ ورأيتُ جميع البحور ؛ ورأيت الأرضين السبع وكلّ ما فيهن من دواب ومخلوقات ؛ ورأيت السماء وكأني فوقها وأنا أنظر ما فيها ؛ وإذا بنور عظيم كالبرق الخاطف الذي يجيء من كل جهة ؛ فجاء ذلك النور من فوقي ومن تحتي وعن يميني وعن شمالي ومن أمامي وخلفي ؛ وأصابني منه بَرْد عظيم ، حتى ظننت أني متّ ؛ فبادرت ورقدتُ على وجهي ، لئلا أنظر إلى

كشف عظيم

(٥) الموزونات : مفردها موزونة وهي اسم نقد رائج زمن الشيخ رحمه الله تعالى ا هـ . المحقق .

(٦) في ظ ١ : كبيرة .

(٧) **الكسكاس** : أكلة مغربية مشهورة حتى اليوم ، تطبخ الخضار المتنوعة واللحم في ماء ويجعل فوقها إناء مثقب (ممفاة) محكم ، يوضع فيه السميد المعروف ، حتى ينضج بالبخار ا هـ . المحقق .

(٨) في ظ ١ : كل ما في هذا البر وكل ما في ذلك البر .

ذلك النور . فلما رقدتُ رأيت ذاتي كلّها عيوناً . العين تبصر ؛ والرأس تبصر ؛ والرِجل تبصر ؛ وجميع أعضائي تبصر ؛ ونظرت إلى الثياب التي عليّ ، فوجدتها لا تحجب ذلك النظر الذي سرى في الذات ؛ فعلمت أن الرقاد على وجهي والقيام ، على حدٍ سواء . ثم استمر الأمر عليّ ساعة وانقطع ، وصرتُ بمثابة الحالة الأولى التي كنت عليها أولاً . فرجعت إلى المدينة ولم أقدر على الوصول إلى سيدي علي بن حرزهم ، وخِفتُ على نفسي ؛ واشتغلت بالبكاء ، ثم عاودني ذلك الحال ساعة ؛ ثم انقطع . فجعل يأتيني ساعة ؛ وينقطع ساعة أخرى ، إلى أن اصطحب مع ذاتي ؛ فصار يَغيب ساعة في النهار وساعة في الليل ، ثم صار لا يغيب .

ورحمني الله ـ تعالى ـ بأن جمعني مع بعض العارفين من أوليائه ؛ وذلك أنّي لما أصبحت من الليلة التي بعد يوم الفتح ، ذهبتُ لزيارة **مولاي إدريس** ـ نفعنا الله به(٩) ـ فلقيت في سماط العدول ، الفقيهَ سيدي الحاج أحمد الجرندي ـ وهو إمام مولاي إدريس ـ ؛ فذكرت له ما رأيت ، وما وقع لي ، فقال : انطلقْ معي إلى دارنا ؛ فذهبت معه إلى الدار التي بقرب السقاية التي بجوار العسّالين الذين هم في الصفّارين ؛ فدخلَ ودخلتُ معه ، وجلس على الدكان التي(١٠) بداخلها ، وجلست معه ؛ فقال : أعدْ عليّ ما رأيتَ ؛ فأعدتُ عليه ، فنظرتُ إليه وهو يبكي ، فقال : لا إله إلا الله ، هذه أربعمائة عام ، ما سمعنا مَن يذكر مثلَ هذا . قال : وأعطاني دراهم كثيرة ؛ ومرة ، قال : أعطاني خمسةَ مثاقيل ، وقال لي : خذها ، واقض بها حاجتك ؛ وإذا فَنيت لا تقل لأحد يعطيكَ شيئاً ؛ وارجعْ إليّ ، فأنا أعطيك كلَّ ما يخصك ؛ وأؤكد عليكَ أن تذهب إلى سيدي **عبد الله التاودي** فإنك ترى

---

(٩) **مولاي إدريس** (ـ ١٧٧ هـ ـ ٧٩٣ م) : هو إدريس عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، قدم من المشرق إثر موقعة الزاب ، وأسس الدولة الإدريسية في المغرب ، ويسمى « إدريس الأكبر » تمييزاً بينه وبين ابنه إدريس مؤسس « فاس » (٨٠٨ م) .
دفن مولاي إدريس في مدينة « زرهون » الواقعة على جبل قرب فاس ومكناس . ثم اشتهرت المدينة باسمه وأصبحت مقدسة ، فيها جامع مشهور باسمه وزاوية ا هـ . من الأعلام ، والمغرب العربي (قادة الفتح الإسلامي) لخطاب ، والمغرب العربي لحقي ، وغيرها .

(١٠) في ظ ١ : الذي .

خيراً . قال : فخرجت عنه ؛ وما رأيته من ذلك اليوم جاءه مرض موته فمات ـ رحمه الله ـ . وعملتُ بوصيته ؛ فذهبت نحو سيدي عبد الله التاودي ، فلمّا بلغتُ باب الجيسة فإذا برجل أسود خارج الباب ؛ فجعل يصوّب نظره إليّ ، فأقول في نفسي : ما يريد هذا ؟ وكان واقفاً عند الصخرة الكبيرة التي يجلس بقربها المجدي[11] ، فلما بلغت إليه أخذ بيدي ، وسلّم عليّ ، وسلّمت[12] عليه ؛ فقال لي : إني أريد منكَ أن ترجع معي إلى الجامع ـ يعني جامع باب الجيسة ـ فنجلس معك ساعة ، نتكلم ونتحدث ؛ فقلت له : حباً وكرامة ؛ فرجعت معه ، وجلسنا في الجامع ، فجعل يكلمني ويقول : إني مريض بكذا وكذا ورأيتُ كذا وكذا ، ووقع لي كذا وكذا ، ويذكر جميع ما وقع لي ، فطرح عني ـ والله ـ الحمل بكلامه ذلك ؛ وعلمت أنه من أولياء الله تعالى العارفين . وقال : إن اسمه **عبد الله البرناوي** ، وأنه من برنو ، وأنه إنما جاء لفاس بقصدي ؛ ففرحت وعرفت بركة كلام الفقيه سيدي الحاج أحمد الجرندي ـ رحمه الله تعالى ـ فإنه كان من أهل الخير والصلاح .

اجتماعه مع عبد الله البرناوي القطب

قال : فبقي معي سيدي عبد الله البرناوي ، يرشدني ، ويسدّدني ، ويقويني ، ويمحو الخوف من قلبي فيما أشاهده ؛ بقيةَ رجب وشعبان ورمضان وشوال وذي القعدة وعشر ذي الحجة .

فلما كان اليوم الثالث من يوم العيد رأيتُ سيد الوجود ﷺ ، فقال : سيدي عبد الله البرناوي : يا سيدي عبد العزيز ، قبل اليوم كنت أخاف عليك ؛ واليوم حيث جمعك الله مع رحمته ـ تعالى ـ سيدِ الوجود ﷺ ، أَمِنَ قلبي واطمأن خاطري . فأستودعك الله ـ عز وجل[13] ـ ، فذهب إلى بلاده وتركني . وكانت إقامته معي بقصد أن يحفظني من دخول الظلام عليّ في الفتح الذي وقع لي ؛ إلى أن يقع لي الفتح في مشاهدة النبيّ ﷺ ، لأنه[14] لا يخاف على المفتوح حينئذ ، وإنما يخاف عليه قبل ذلك .

لا يُخاف على المفتوح عليه متى شاهد النبي ﷺ

---

(11) في ظ ١ : المجدمين . وفي بولاق جاء على هامشها : في نسخة الجزمي .

(12) في ظ ١ : فسلمت .

(13) سيأتي قريب منها ص (...) جـ٢ .

(14) في ظ ١ : فإنه .

فقال : ووقعت لي معه **حكايات** ؛ فمن أغربها : أنه تَصور لي ـ ذات يوم ـ على صورة امرأة ؛ وجعلتْ تراودني عن نفسها ، وألحّتْ عليّ غاية الإلحاح ؛ وذلك أني كنت في جزائر بن عامر[15] فلقيتني امرأة مِلحفة ، ملثمة مطيبة ، بيضاء نقية ، من أحسن النساء ؛ فقالت : يا سيدي أني أريد أن أخلو بك وأتحدثَ معك ؛ فهربت مصاريني منها ، وأسرعتُ في الفرار عنها ، حتى قلت : إني انجليت عنها في الناس ؛ فبينما أنا في الرصيف فإذا هي واقفة معي تراودني ، ففررت منها مسرعاً ، حتى بلغتُ « الشراطين » ؛ وقلت : ما بقي لها طمع ؛ فثقلت مشيتي ؛ وإذا بها واقفة معي تراودني ؛ ففررت منها ، حتى بلغت « الشماعين » ؛ فإذا بها واقفة معي ؛ ففررت منها ؛ حتى بلغت شرقي مسجد القرويين ؛ فقلتُ : نجوت منها ؛ وإذا بها واقفة معي ، ففررت منها حتى بلغت « الصفارين » ، فقلت نجوت منها ؛ وإذا بها واقفة معي ؛ ففررت منها حتى بلغتُ « الشماعين » مرة أخرى فقلت : نجوتُ فإذا بها واقفة معي ففررت منها حتى بلغت مسجد القرويين فدخلت إليه فقلت : الآن نجوت ، فلما وصلت « الثريا الكبرى » فإذا بها واقفة معي ، فغلبني الحال ، وكدت أصيح حتى يجتمع الناس عليّ وعليها ؛ فإذا بها انقلبت ، ورجعتْ سيدي عبدَ الله البرناوي ، وقال : فعلتُ هذا بك ، وأردت أن أختبرك ، لما أعلم من كثرة ميل الشرفاء إلى النساء ؛ فوجدتك كما أحب ؛ ـ والحمد لله ـ . وفرح بذلك غايةَ الفرح .

امتحان

وفاة البرناوي ١١٢٦ هـ

قلت : وسيأتي أثناء الكتاب[16] بعض الفوائد من معارف سيدي عبد الله البرناوي ـ نفعنا الله به ـ قال : وكانت وفاته سنة ست وعشرين [١١٢٦ هـ] .

وسمعته يقول ـ في المدة التي ذهب فيها سيدي عبد الله البرناوي إلى بلاده ـ : كنتُ مع سيدي عبد الله اليوم ، وقال لي ، وقلت له ، وفعلنا كذا وكذا ، ونحو هذا ، وكنت في تلك المدة أخرج معه ـ رضي الله عنه ـ وأذهب وأجيء بحيث لا نتفارق إلا في أقل الأوقات ؛ فكنت إذا سمعت هذا منه أقول له :

---

(١٥) جزائر بن عامر : قلت : لعلها منسوبة لأحد أبناء عامر بن لؤي الذين من فرسانهم عبد الله بن سعد أخو سيدنا عثمان بن عفان بالرضاعة ، فليراجع .

(١٦) ص (٣٩١) وكذا في جـ٢ .

أليس إن سيدي عبد الله ذهب لبلاده ؟ فقال لي رضي الله عنه : « ما بين الصالحين بعدٌ وإن تباعدت أوطانهم » ، حتى إن صالحاً في المغرب يريد أن يتحدث مع آخر في السودان أو البصرة ونحو ذلك ؛ فتراه يكلمه وهو بمنزلة من يكلم رجلاً إلى جنبه ؛ وإذا أراد ثالث أن يتحدث معهما تحدث ؛ وهكذا الرابع ، حتى ترى جماعة من الصالحين متفرقين كل واحد منهم من قطر وهم يتحدثون بمنزلة القوم المجتمعين في موضع واحد .

قاعدة

قال : ولما مات سيدي عبد الله البرناوي ورثتُ ما كان عنده من الأسرار - والحمد لله - .

قال رضي الله عنه : ومن جملة من لقيناه وكان من الأكابر وبلغ درجة القطبانية ، فكان من جملة الأقطاب سيدي **منصور بن أحمد** ؛ وكان اجتماعي معه قبل كسوف الشمس بشهر . وسبب اجتماعي معه : أنه كان - رضي الله عنه - يخدم الغزل نساجاً من جملة النساجين ، فذهبنا بأخي **علال** لأنظر من يعلمه صنعة النسيج ، فدخلت إلى طرّاز ، فجعلت أنظر مع من يخدم ، فوجدت رجلاً ، فاتفقت معه ؛ فلما فرغنا وأردت أن أخرج صاح بي رجل لا أعرفه من هو ؟ فقال لي : إني أريد أن أتحدث معك فجئته ، فقال : من أنت ؟ فقلت : شريف . فقال : أخيارٌ وأطهار وأبرار ؛ ثم قال : ما اسمك ؟ فقلت : عبد العزيز . فقال : حباً وكرامة ، ثم قال : ألك أب وأم ؟ فقلت : ماتا ؛ فقال : إني أريد أن أعلم هل لك من زوجة وأولاد ؟ فقلت : نعم . فقال : وهل لك من دنيا ؟ فقلت : لا ؛ فقال : خذ هذه الموزونات . وإذا بها ثلاثون موزونة ؛ قال - رضي الله عنه - : فهذا سبب معرفتي به ، ووقعت لي معه حكايات وأمور عجيبة سيأتي بعضها أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى[17] . قال : فبقيت معه في محبة الله ورسوله ، إلى أن توفي سنة تسع وعشرين [١١٢٩ هـ] .

اجتماعه مع القطب منصور بن أحمد

سيدي منصور (- ١١٢٩ هـ)

قلت : وكسوف الشمس كان في التاسع والعشرين من المحرم فاتح سنة ثمان عشرة ومائة وألف ، فلها في العِشْرة نحوٌ من اثني عشر عاماً . وقلت لشيخنا رضي

---

(١٧) ص (، ، ،) جـ ٢

الله عنه : أيهما أكبر سيدي عبد الله البرناوي ، أو سيـدي منصور ؟ فقـال ـ رضي الله عنه ـ : سيدي عبد الله البرناوي ؛ وإن كان كل منهما قطباً .

قال ـ رضي الله عنه ـ : ولما مات سيدي منصور ورثت ما عنده ، والحمد لله .

اجتماعه بالشيخ اللهواج ١١١٢هـ

قال ـ رضي الله عنه ـ : ومن جملة من لقيته سيدي **محمد اللهواج**[١٧] وبلاده بقرب « تطـاون » ، كما أن سيـدي منصـوراً من « جبـل حبيب من الفحص[١٨] » . قال : وكان سبب اجتماعي معه أنه لما مات أبونا ، ذهب عمّنا بنـا وبأخي **العربي** ، إلى طرّاز يخدمون فيه الشاشية ؛ وكان بعض من يخدم هناك قريبـاً من سيـدي محمـد اللهـواج ؛ فكان سيـدي محمـد إذا جـاء إلى الطرّاز لقريبـه يقصـدني ويجلس معي ، ويتحدث ، حتى وقعت بيني وبينه المعرفة التامة ؛ ووقعت معه لي حكايات عجيبـة وكرامات غريبة ـ سيأتي بعضها أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى[١٩] ـ ؛ وكان اجتماعي معه قبل سيدي منصور ، اجتمعت معه في عام اثني عشر ومائة وألف . وكانت وفاتـه بعد سيدي منصور بأيام قليلة . ولما مات وَرِثتُه ـ والحمد لله ـ .

اللهـواج (ـ ١١٢٩ هـ)

فهؤلاء هم الـذين اجتمـع معهم الاجتماع المعروف : أولهم : شيـخ الشيـوخ ، وقطب العارفين وإمام الأولياء والصالحين **سيـدنـا الخضر** عليـه السلام . وثـانيهم : سيدنا **عمر بن محمد الهواري** خـديم روضـة سيـدي علي بن حرزهم نفعنـا الله بـه : وكان ذلك بوصية سيدنا الخضر ، كما سبق . وثالثهم : سيدي **عبـد الله البرنـاوي** ، وكان اجتماعي معه ثـاني يـوم الفتـح . ورابعهم : سيـدي **منصـور بن أحمـد** . وخامسهم : سيدي **محمد اللهواج** .

أهمّ من اجتمع بهم من المشايخ خمسة

قلت : وقد اجتمع اجتماعاً آخر مع جماعة من الأوليـاء وورثهم ؛ وسيـأتي ذكرهم

---

(١٧) في بعض النسخ : « السراج » فيه وفيما بعده أيضاً ا هـ . هامش طبعة بولاق .
قلت : والصواب : « اللهواج » كما في أكثر النسخ .

(١٨) كذا في ظ ١ ، وعلى هامش بولاق . بينما جاء في بولاق جبل حصب . قلت : هو تصحيف وذلك بالمقارنة مع ماتكرر في ص (، ،) جـ ٢ .

(١٩) ص (، ،) جـ ٢ .

أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى[٢٠] ؛ ومن جملتهم غوث زمانه وعارف وقته وأوانه ، سيدي أحمد بن عبد الله المصري .

دخوله ديوان الأولياء

سمعت شيخنا - رضي الله عنه - يقول : وفي اليوم الذي دخلت فيه إلى الديوان لم يتكلم سيدي أحمد بن عبد الله في ذلك اليوم ، وكذا غيره من أهل الديوان إلا بالوصية لي ، والتوكيد عليّ في كتمان السر . وأمَر سيدي أحمد بن عبد الله كلَّ من عنده حكايةٌ في ذلك أن يحكيها . قال - رضي الله عنه - : فحكوا نحواً من مائتي حكاية ؛ سمعت من شيخنا - رضي الله عنه - ثمانية منها :

الحكاية الأولى [من حكايا أهل الديوان]

حكاية سيدي أحمد بن عبد الله الغوث - رضي الله عنه -

قال رضي الله عنه : كان لي مريد وكنت أحبه حباً شديداً ؛ فكنت ذات يوم أُعظّم له أمر سيد الوجود ﷺ ، فقلت له يا ولدي : **لولا نورُ سيدنا محمد ﷺ ما ظهرَ سرٌ من أسرار الأرض** ؛ فلولا هو ما تفجرتْ عينٌ من العيون ، ولا جرى نهر من الأنهار ؛ وإن نوره ﷺ - يا ولدي - يفوح في شهر مارس [آذار] ثلاث مرات على سائر الحبوب ، فيقع لها الإثمار ببركته ﷺ ؛ ولولا نورُه ﷺ ما أثمرت . يا ولدي : **إن أقلَّ الناس إيماناً من يرى إيمانه على ذاته مثل الجبل وأعظم منه** ، فأحرى غيره . وإن الذات تكلُّ أحياناً عن حمل الإيمان ، فتريد أن ترميه فيفوح نور النبيّ ﷺ عليها ، فيكون معيناً لها على حمل الإيمان ، فتستحليه وتستطيبه . فبينما أذكر له تعظيمه ﷺ ، وأُعدّد له الخيرات المكتسبة منه ، حتى غبت فيه ﷺ ، فلما رآني - حصل لي ما حصل - ، قال : يا سيدي . قدّمت عليك جاه هذا النبي الكريم إلا ما أعطيتَني السرّ . فأردت أن أمتنع ، فرأيت الجاه العظيم ، فساعفته وأعطيته السرّ ؛ فلم يبق إلا مدة قليلة وشهدوا عليه وقتلوه ، وذلك أنه كان من عرب خوز[٢١] ، وكان قاطناً بناحية

نوره ﷺ

---

(٢٠) ص (، ؛) جـ ٢ .

(٢١) في ظ ١ : حوز .

« المحلّة » من أعمال مصر ، فلما سمع مني السرّ ، ذهب وجمع عليه جماعة ، وجعل يذكر لهم السرّ ؛ فلم تطقه عقولُهم ؛ فعملوا عليه البيّنة بما سمعوا منه ؛ وقتلوه .

الحكاية الثانية [من حكايا أهل الديوان]

قال بعضهم : كان لي مريد خدمني اثني عشر عاماً ، وكنت أحبه حباً شديداً حتى إني أردت أن أزوجه ابنتي . قال : وكنت أغيب في كل جمعة ثلاثة أيام ؛ أجلس بساحل البحر ؛ فصادف غيبتي في تلك المدة مجيء العيد وكان لي أولاد سبعة وبنات ثلاث وخادم ؛ فجئت إلى الدار فوجدته كسا جميعهم ، واشترى لهم كلّ ما يخصهم ؛ ففرحت بذلك غاية الفرح ، فلما لقيته رغبني وطلب مني أن أعطيه السرّ ، وألحّ عليّ في ذلك ؛ فأعطيته السرّ ، وأنا كاره ؛ فلم يبق إلا أربعين يوماً ، وعملوا عليه بالبينة بما سمعوا منه من الأسرار ، التي لا تطيقها العقول ، وصلبوه .

الحكاية الثالثة [من حكايا أهل الديوان]

قال بعضهم : كان لي مريد ، خدمني تسع سنين ، وكنت أحبه حباً شديداً لخدمته وحسن معاشرته ، ولأنه كان من أهل حومتنا ومن جيراننا ، وكانت لي امرأة يعتريها المرض كثيراً ، وكان للمريد امرأة جميلة ، فيأتي بها لدارنا فتباشر الخدمة التي لا تطيقها امرأتي ؛ فكان هو وامرأته يخدمان ، وكنت أحبه لذلك حباً شديداً .

فبينما أنا ذات يوم واقف في موضع من المواضع إذا به أتى بصبية له صغيرة في يدها مصحف ؛ فلم أشعر إلا بالصبية سقطت بين رجليّ وفي يديها المصحف ، فقلت ـ بعد أن تأخرت وتقهقرت ـ : ما تريد يا فلان ؟ فهذا دخيل عظيم ، وعوريط كبير ؛ فقال : يا سيدي أريد أن تعطيني السرّ ، فقلت له : يا فلان إنك لا تطيقه ، وإن السرّ أمرٌ عظيم ، وخَطبٌ جسيم ، لا يطيقه إلا من قوّاه الله عليه ؛ وإن ثلثي البشر يقولان لحامله : بخٍ بخٍ ، وفي بوحه هلاكُه وحتفه ؛ فقال : يا سيدي أعطني السر فإني أطيقه . قال : فنظرت إلى خدمته ، وخدمة امرأته ، وإلى المعرفة التي كانت بيننا ، وإلى الدخيل الذي أتى به ؛ فقلت له : نعم أنا

أعطيك السرّ ، فأعطيته السرّ . قال شيخنا ـ رضي الله عنه ـ : فأخَذَ السرَّ بلا ذاتٍ ، « وكل من أخذه بلا ذات فإنه يهلكه » . فقلت : ما المراد بالذات ؟ فقال : ذاتُ الشيخ وأسرارها ، وهي لا تنتقل إلى المريد إلا بعد وفاة الشيخ . قال : والولي يقدر على إعطاء السرّ ؛ ولا يقدرُ على إعطاء الذات إلا الله تعالى . فأخذَ السرَّ وانطلق ؛ وتغيّب عن الشيخ ثلاثة أيام ، فلم يكملْها ، حتى جعل يتكلم في شيخه ، فجاء من أخبر الشيخ ، وقال : إن فلاناً ـ مريدك ـ يتكلم فيك ؛ قال : فتعامى عنه الشيخ ، والبلاء ينزل عليه ؛ فلم يَزَلْ أمره في العماية والظلام ، حتى جاءت قافلة فخرج معها وركب البحر ، فأُسِر ؛ ثم تنصّر ـ والعياذ بالله ـ .

قاعدة السرّ وسرّ الذات

وقد حصل له هذا الشقاء من « استعجاله السرّ قبل أوانه ؛ فعوقب بحرمان الإسلام » ، ـ نسأل الله السلامة ـ .

حكمة

الحكاية الرابعة [من حكايا أهل الديوان]

قال بعضهم : كنت أنا ورجل آخر أخوين في الله ـ عز وجل ـ ؛ فاتفقنا على أن نسيحَ في الأرض ، ونطلبَ ولياً من أولياء الله تعالى يأخذُ بأيدينا ويجمعنا على الله سبحانه ؛ فلم نزل نسيح حتى جمعنا الله بولي من أوليائه ؛ فوجدناه يتعاطى صنعة الثريد ؛ فجلس واحد منا يوقد النار ، والآخر يزن الثريد للناس ، والشيخ يصنعه ؛ فبقينا على ذلك مدة طويلة ، ثم إن الشيخ قرب أجله فحصلت له ـ مرةً ـ غيبةٌ عن حسّه ، فجاءه أخي في الله فقال له : يا سيدي الشيخ إني أريد منك أن تعطيني السرّ ؛ فقال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : إنك إلى الآن لم تُطق ؛ فقال له : لا بد أن تعطيه لي يا سيّدي ، قال : فالتفتَ إليّ الشيخُ وقال : أتسمح ؟ فقلت : يا سيدي إن كان بخاطرك فإني أسمح ؛ فقال : اسمحْ ، واللهُ تعالى يعاوض لك من عنده . قال : فسمحْتُ ، وأخذ أخي في الله السرّ ، وبقي الشيخ يومين ، وتوفي ؛ وانصرف أخي إلى بلاده ؛ وبقيتُ في حانوت الشيخ ، أخدم فيها وكلُّ ما زُوّدته[٢٢]

(٢٢) في بولاق : رددته . قلت : يظهر أنه تصحيف والصواب ما أثبتناه من ظ ١ .

أصرفه على دار الشيخ ؛ وكانت له امرأة وثلاث بنات وذكر ؛ فبقيتُ في الحانوت أخدمهم اثني عشر عاماً ، وأنا على المحبة ما نقص منها شيء ؛ فلما كملت المدة تزوجَتْ بناتُ الشيخ ، وذهبتْ كل واحدة إلى دارها ؛ وسافر ولد الشيخ إلى ناحية المغرب ، وتزوج أخوه زوجته ، فلم أجد عليّ مَن أرُدّ الألفة ، فضقتُ ، وعزمتُ على السفر إلى بلادي ؛ فيسرت الزاد ، وبعت جميع ما عندي ، ولم يبق إلا زيارة قبر الشيخ - رضي الله عنه - ؛ فلما ذهبت نحو قبره للزيارة - وكان في موضع مخوف بعيد من العمارة - ، فلما زرته وأردت أن أنصرف قال لي قلبي : ويحك ..! أتذهب ولا ترى قبر شيخك أبداً ...؟! فأدركتني حنانة في الشيخ ، ووحشة عظيمة ، فرجعت ، وبقيت عنده ساعة ؛ فأردت أن أنصرف ، فأدركتني الوحشة ثانياً ، كما أدركتني أولاً ، فرجعتُ ؛ وبقيت عنده إلى الزوال ، فأردت أن أنصرف ، فعاودني الأمر ؛ فبقيت عنده إلى الليل وأنا أبكي من حبّ الشيخ ووحشته مع إرادتي فراقه ؛ ثم بتّ على قبره ، والحال يتزايد ، إلى أن طلع الفجر ؛ فجاءني سيدنا الخضر - عليه السلام - فلقّنني الذكر ؛ وفتح الله عليّ ، فذهبتُ إلى بلادي كيف أُحبّ ؛ فمررت على بلاد أخي - وكانت في الطريق - ، فلما دخلتها وجدتهم يجمعون الحطب لرجل يريدون حرقه ؛ فذهبتُ لأنظر الرجل ، من هو ؟ فإذا هو أخي في الله - عز وجل - ؛ فقلت للجماعة الذين يجمعون الحطب : ما ذنب هذا الرجل ؟ فقالوا : إنه يقول كذا وكذا - لسرّ من أسرار الله تعالى ، أفشاه وسمعوه منه ، ولم تطقه عقولهم - ، فاستفتوا فيه العلماء فأفتوا بحرقه . فتقدّمتُ إلى أخي فعرفتُه ولم يعرفني هو - لشدة البلاء الذي نزل به - ، فقلت له : ولِمَ أراد هؤلاء قتلَكَ وحرقَكَ ؟ فقال : إنهم سمعوني أقول : كذا وكذا ؛ وما قلت لهم فيه إلا الحقّ ، فقلت له : وهل قلتَ غيرَ هذا ؟ فقال : ما قلت شيئاً غيره ؛ قال : فالتفتُّ إلى الجماعة وقلت لهم : لا تُحدِثوا فيه شيئاً حتى أجيء من عند السلطان ، فإني ذاهب إليه ، وأكلمه ، وأقول له : إن هذا الرجلَ لا يلزمه قتل . فعليكم بالصبر[٢٣] حتى أجيء من عند السلطان ، ومَن أحدث فيه شيئاً فإنه يخاف على نفسه ؛ فإني أرجو إذا كلمت

الخضر عليه السلام

---

(٢٣) في ظ ١ : بالتصبر .

السلطان في أمره أن يرجع ؛ فقالت الجماعة : إنّا نصبر حتى ترجع . فانطلقت إلى السلطان ، فدخلت عليه ، فوجدتُ العلماء عنده وهم يتحدثون في شأنه ، ويُحرِّضونه على قتله ؛ فقلت : أيها السلطان ـ نصرك الله نصراً عزيزاً ، وسددك ، ووفقك لما يحبه ويرضاه ـ ، إن ذات بني آدم عليها ثلثمائة وستة وستون ملكاً ، وهذا العدد على كل ذات[٢٤] ، فمن قتل ذاتاً بغير حق فإن هذا العدد من الملائكة الذين في الذات المقتولة ، إذا خرجوا منها بعد القتل ، لا يكون لهم شغل إلا الدعاءُ باللعنة على مَن قتل الذات وأخرجهم منها بغير حقّ ؛ ودعاء الملائكة مستجاب ؛ فيُخاف أيها المَلِك من هذا الدعاء . وأيضاً فإنّ الذاتَ عليها سبعةٌ من الكرام الحفظة الكاتبين ؛ فإذا قُتلت الذات بغير حقّ فإنهم لا شغل لهم إلا نقلُ كلّ ما في صحيفة المقتول من سيئات ، فينقلونه من صحيفته ويجعلونه في صحيفة القاتل ؛ وكل ما فعل القاتل من حسنة فإنهم ينقلونه منها ويجعلونه في صحيفة المقتول ؛ وهذا شغلهم إلى أن يموت القاتل . ثم يصير هذا ذكراً لهم ، فيذكرون ما فعلَ القاتلُ من السيئات ؛ وذِكرُ الملائكة كالمطر فكلّ ذكر ينزل معه ، فإن ذكروا أحداً بسوء نزل عليه السوء ، وإن ذكروه بخير نزل عليه الخير ، فلا يزالون يذكرون المقتول بخير والخير ينزل عليه ، ولا يزالون يذكرون القاتل بشر والشر ينزل عليه ، أما تخاف من هذا أيها المَلِك ؟...! فقال المَلِك : إن العلماء هم الذين أفتوا بقتله ؛ قلت : فإنهم[٢٥] عجّلوا حيث أفتَوا بقتله ، وكان من حقهم أن ينظروا في لفظه وقصده ؛ فإذا اقتضى لفظُه قَتْلَه فَيُسألُ عن قصده ؛ فإن كان قصدُه صحيحاً فلا قتلَ عليه . فابعثوا للرجل حتى يحضر واسألوه عن قصده ، قال : فقال العلماء ـ رضي الله عنهم ـ : هذا حقّ وصواب ، يجب علينا أن نعمل به فبعثوا إلي الرجل فسألوه عن قصده ؛ فوجدوه صحيحاً لا يجب عليه بَهِ قتل ؛ فخلوا سبيله .

ملائكة ذات بني آدم

---

(٢٤) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : ذات ذات .

(٢٥) كذا في ظ ١ . وفي بولاق : فقلت فإنهم .

قلت لشيخنا ـ رضي الله عنه ـ : فما فَعلَ بعد تخلية سبيله ؟ قال : سلبه أخوه الذي فكّه ؛ وصيّره من جملة العوامّ ؛ وأخَذَ جميع السرّ الذي كان الشيخُ أعطاه له .

فقلت : فما حال صاحب الحكاية الأولى والثانية بعد قتلها ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : ماتا على الولاية . وأما صاحب الحكاية الثالثة فإنه مات على كفر ـ نسأل الله السلامة ـ .

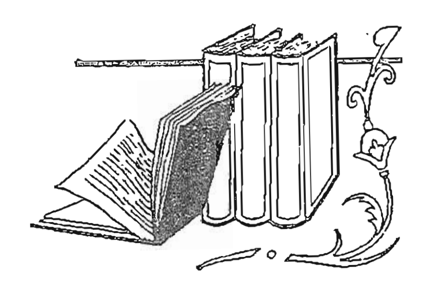
الحكاية الخامسة [من حكايا أهل الديوان]

قال بعضهم : كان لي مريد يخدمني اثنتي عشرة سنة ؛ وكان مع المريد سخاء وكرم ، فأفسد عليّ وعلى الفقراء ـ إخوانه ـ ما ينيف على قنطار ؛ وكان لي أخ متصل بخدمة السلطان ، قال : فغضب السلطان ـ ذات يوم ـ على أخي ، ورمى عليه مالاً كثيراً لا يطيقه ؛ وكنت معظماً عند الناس وفي قلوب العامة ، فلم يستطع المخزن أن يمسني بمكروه ؛ قال : فاغتَنَمها المريد ، وقال : يا سيدي الشيخ ، لا بد أن تعطيني السرّ ، أو تعطيني جميعَ ما أفسدتُ عليك وعلى الفقراء من المال الكثير ؛ أو ندعُوَك للمخزن ؛ فاخترْ لنفسك واحدة من هذه الخِلال الثلاث ، قال : فقلت : يا ولدي اتق الله ، وسيعطيك سبحانه السر كيف تحب ، وفوق ما تظن ؛ وإن شككت في كلامي هذا فإني أعطيك عهدَ الله وميثاقه عليه ؛ فلم يزده كلامي إلا نفوراً وتحريضاً على إذايتي ؛ فقال : والله لا أفارقك إلا إذا أعطيتني جميع ما أفسدتُ عليكَ من المال ، أو ندعوك للمخزن ؛ قال : ولو وَجدَ المخزن إليَّ سبيلاً ما أفلتني ؛ فأكثر عليّ من كلامه السابق ، وجعل يردّده عليّ ؛ فأزلت ما على رأسي ، ودعوت له بالسرّ ، فأعطاه الله السرّ ؛ فلم يبق إلا أياماً قليلة ، حتى رأى شيئاً حجبَ اللهُ عقولَ عباده عنه ، لأنها لا تطيقه ؛ فجعل يَذْكُره للناس ؛ فلما سمعوا ذلك منه ، جعلوا عليه البينة ، وقتلوه من ساعته . **ولو أنه صبر حتى يأخذ سرّ الذات الذي يدوم به سرّ الولاية لوفقه الله تعالى ؛ ولم يذكر شيئاً من أسرار الولاية ؛ لكنْ لما استعجل عاقَبَه الله ـ تعالى ـ .** سرّ الذات

فقلت لشيخنا ـ رضي الله عنه ـ : فعلى أيّ شيء مات هذا ؟

فقال : مات على الولاية . فحمدت الله تعالى له .

والأسرارَ الذي مات عليها هؤلاء سمعناها من شيخنا ـ رضي الله عنه ـ ولم نكتبها ؛ لكونها من الأسرار التي لا تذكر . والله تعالى يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، ببركة شيخنا وبنسبه الطاهر آمين . ولنقتصر على هذا القدر من الحكايات ، لئلا يقع الملل . والله الموفق .



(تابع) مقدمة المؤلف

(ملخص)

الفصل الثالث

في ذكر بعض الكرامات

التي ظهرت على يد الشيخ رضي الله عنه

اعلم أن شيخنا ـ رضي الله عنه ـ أمره غريب ، وشأنه كله عجيب ؛ ومثله لا يحتاج إلى كرامة لأنه كلَّه كرامة ، فإنه يخوض في العلوم التي تعجز عنها الفحول ، ويأتي فيها بما يوافق المعقول والمنقول مع كونه أمياً لا يحفظ القرآن العزيز ، فضلاً عن أن يُسام بتعاطي شيء من العلوم ، مع أنه ـ قط ـ لم يُرَ في مجلس درس من صغره إلى كِبَره . ولنبدأ بالكرامة التي لا كرامة فوقها ، وهي **سلامة العقيدة واستقامتها** .

عقيدته في التوحيد

ولما جمعني الله به سألته عن عقيدته في التوحيد ؛ فسرد عليّ عقيدة أهل السنّة والجماعة ، ولم يغادر منها شيئاً ؛ وقال لي مرة : **إنه لا يفتح على العبد إلاّ إذا كان على عقيدة أهل السنّة والجماعة ، وليس لله ولي على عقيدة غيرهم** ، ولو كان عليها قبل الفتح لوجب عليه أن يتوب بعد الفتح ويرجع إلى عقيدة أهل السنة . قلت : وكذا ذكر بدر الدين الزركشي في شرح جمع الجوامع للسبكي ، ولم أزل أسمعه ـ رضي الله عنه ـ يمدح أهل السنة ويثني عليهم كثيراً ، ويقول : إنّي أحبهم محبّة عظيمة ، ويطلب من الله تعالى أن يتوفاه على عقيدتهم ، ثم جعلتُ أُلقي عليه شيئاً من شُبه أهل الأهواء ، فيفهم الشبهة غاية [الفهم] ، ويقررها أحسن تقرير ؛ ويجيب عنها بطريق الشهود والعيان ؛ فتسمع عنه في أمر الربوبية ، وسرّ الألوهيّة ، وهو يجيب بما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر ـ قط ـ على عقولنا ؛ مع كثرة معاناتنا للمعقول والمنقول ، حتى إن من وفقه الله ـ تعالى ـ ،

وخالطه في هذا الباب ، وجال معه في أجوبة شُبه أهلِ الأهواء ، فإنه يكتسب منه قوة ، وتحصل له ملكة ؛ يقدر بها على حلّ **شُبه اثنتين وسبعين فرقة** .

وقال لي - مرة - رضي الله عنه مشيراً إلى الكشف والعيان الذي فتح الله عليه به : ما آمنا إلا بما رأينا ، أيؤمن أحد بما لا يَرى ؟ فإن « **الوسواس لا ينقطع إلا بالرؤية** » . أصل

أحاديث الصفات

[س] - ثم سألته عن **أحاديث الصفات** : هل الواجب فيها التفويض الذي هو طريق السلف ، أو التأويل ، الذي هو طريق الخلف ؟

[ج] **فقال** - رضي الله عنه - : الواجب فيها التفويض ، وشأن الربوبية عظيم ، ولا يَقْدُر العباد قَدْرها ، ولا يطيقون الوصول إلى شيء من كنهها . قال : ولو أن أهل الدنيا أرادوا الوقوف على حقيقة ما سمعوا في نعيم أهل الجنة ، ما أمكنهم ذلك ؛ فإن العنب ليس كالعنب ؛ والتمر ليس كالتمر ؛ والذَهَب ليس كالذهب ؛ ولو فتح الله على عبد ، ونظر إلى ذهب أهل الجنة ، وذهب الدنيا ، وعنب الجنة ، وعنب الدنيا ، لوجد المعاني متباينة إلى الغاية ، ولم يجد بينهما اشتراكاً إلا في مجرد الأسامي . وكذا أهل الأرض الثانية بالنسبة إلى نعيم أهل الأرض الأولى ؛ فإنه لو تَمنّى لهم العسل والسمن واللبن والخبز ونحوها بأسماء بعض ما يأكلون ، فإنهم لا يبلغون إلى معرفة العسل وما ذُكر معه ؛ وذلك أن هذه الأشياء مفقودة في الأرض الثانية . فإذا كان هذا في الحادث مع الحادث فكيف بالقديم سبحانه مع الحادث ؟..!

فالواجب على العباد إذا سمعوا شيئاً **من أحاديث الصفات أن ينزّهوه تعالى عن الظاهر المستحيل ، ويفوّضوا معناه إلى الله - عز وجل -** .

قلت : **والتفويض** هو قول : مالك ، وسفيان بن عيينة[1] ، وسفيان

---

(١) سفيان بن عيينة (١٠٧ هـ - ١٩٨ هـ) : حفظ القرآن ابن أربع سنين وكتب الحديث وهو ابن سبع سنين ، ولد بالكوفة . من أقواله : - بعد صلاته يدعو : اللهم اغفر لي ما كان فيها .
- الزهد في الدنيا هو الصبر .
سكن مكّة وتوفي فيها . دفنَ بالحجون ، وقيل بالمعلّى ا هـ . ملخصاً الطبقات .

مذهب السلف التسليم

الثوري ، وحماد بن زيد[2] وحماد بن سلمة[3] ، وشعبة[4] وشريك[5] ، وأبي عوانة[6] ، وربيعة ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والوليد بن مسلم ، والبخاري ، والترمذي ، وابن المبارك[7] ، وابن أبي حاتم ، ويونس بن عبد الأعلى .

اتفاق للفقهاء

وهو قول أهل القرون الثلاثة الذين هم خير القرون ؛ حتى قال محمد بن الحسن الشيباني[8] - صاحب أبي حنيفة - : اتفق الفقهاء كلهم ، من المشرق إلى

---

(2) **حماد بن زيد** (٩٨ - ١٧٩ هـ) (٧١٧ - ٧٩٥ م) : ابن درهم الأزدي الجهضمي ، مولاهم ، البصري ، أبو إسماعيل ، شيخ العراق ، من حفاظ الحديث المجوّدين ، يعرف **بالأزرق** .
مولده ووفاته بالبصرة ، كان ضريراً طرأ عليه العمى ، يحفظ (٤٠٠٠) حديث ؛ خرّج حديثه الأئمة الستة .
ا هـ ملخصاً الأعلام .

(3) **حماد بن سلمة** (.. - ١٦٧ هـ) (.. - ٧٨٤ م) : ابن دينار البصري الرّبَعيّ بالولاء ، أبو سلمة ، مفتي البصرة ، من رجال الحديث ومن النحاة ؛ حافظ ، ثقة ، مأمون ، تغير حفظه لما كبر ، هو أول من صنف التصانيف المرضية ، وهو شيخ الإمام أبي حنيفة النعمان . ا هـ ملخصاً الأعلام .

(4) **شعبة بن الحجاج** (٨٢ - ١٦٠ هـ) : ابن الورد العتكي ، الأزدي ، مولاهم ، الواسطي ، ثم البصري أبو بسطام . من أئمة الحديث حفظاً ودراية وتثبتاً . ولد ونشأ بواسط . سكن البصرة وبها توفي . أول من فتش بالعراق عن أمر المحدّثين . قال الشافعي : لولا شعبة ما عُرف الحديث بالعراق . كان عالماً بالأدب والشعر ، صائم الدهر . له كتاب « الغرائب » في الحديث ا هـ . ملخصاً ، الأعلام ، والطبقات ١ / ٥٧ .

(5) **شريك النخعيّ** (٩٥ - ١٧٧ هـ) : هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي ، أبو عبد الله عالم بالحديث ، فقيه ، اشتهر بذكائه وسرعة بديهته . تولى قضاء الكوفة وكان عادلاً . ولد في بخارى وتوفي بالكوفة ا هـ . ملخصاً ، الأعلام .

(6) **أبو عوانة** (.. - ٣١٦ هـ) : هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الإسفراييني من أكابر حفاظ الحديث . قيل : إنه أحد حفاظ الدنيا . طاف البلاد الإسلامية في طلب الحديث واستقر في إسفراين وبها توفي ، وهو أول من أدخل كتب الشافعي ومذهبه إليها . له « الصحيح المسند » مخرج على صحيح مسلم ، وله فيه زيادات ا هـ . الأعلام .

(7) **عبد الله بن المبارك** (١١٨ - ١٨١ هـ) : أقام بخراسان ، قدّم في الأدب على سفيان الثوري ، كان إذا اشتهى شيئاً لا يأكله إلا مع ضيف . وإذا قرأ شيئاً من كتب الوعظ كأنه بقرة منحورة من البكاء لا يجرأ أحدٌ من الدنو منه وسؤاله .
من أقواله : أربع كلمات انتخبن من أربعة آلاف حديث : لا تثقنّ بامرأة ، ولا تغترّن بمال ، ولا تحمّل معدتك مالا تطيق ، وتعلّم من العلم ما ينفعك فقط . دفن بهيت - مدينة معروفة على الفرات - ا هـ . ملخصاً الطبقات ١ / ٥٩ (قلت : وهو من أصحاب أبي حنيفة النعمان المقدّمين) .

(8) **محمد بن الحسن الشيباني** (١٣٢ - ١٨٩ هـ) : ثاني أصحاب أبي حنيفة بعد صاحبه الأول أبي يوسف يعقوب . ويعتبر من المجتهدين في المذهب ، ومحرر المذهب النعماني ، المجمع على فقاهته . له كتب ظاهر=

المغرب - على : الإيمان بالقرآن ، والأحاديثِ التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الربّ ، من غير تشبيه ولا تفسير .

وقال إمام الحرمين - في الرسالة النظامية - : اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها[9] . والتزم ذلك في آي الكتاب ، وما يصحّ من السنن . وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل ، وتفويض معانيها إلى الله - عز وجل - .

[قال إمام الحرمين] : والذي نرتضيه رأياً ، وندين الله به عقيدةً ، اتباع سلف الأئمة ؛ للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة ؛ فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لأوشك[10] أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، وإذا انصرم عَصرُ الصحابة والتابعين على[11] الإضراب عن التأويل ، كان ذلك هو الوجه المتبع ا هـ .

قال الحافظ ابن حجر : وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث ، وهم فقهاء الأمصار : كالثوري ، والأوزاعي ، ومالك والليث ، ومن عاصرهم ؛ وكذا من أخذ عنهم من الأئمة . فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة ؛ وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة [ﷺ] ا هـ .

= الرواية الستة في الفقه الحنفي ، رواية عن أبي يوسف عن أبي حنيفة ، وله رواية للموطأ - عن الإمام مالك - . وقيل : صنف (٩٩٩) كتاباً .

كان الإمام الشافعي رَبيبَه . وقرأ الشافعي عليه وأخذ عنه وامتدحه بقوله : أمَنّ الناس عليّ في الفقه محمد بن الحسن . وقد ردّ المحققون قصته مع الشافعي ، ووشايته عليه عند هرون الرشيد التي أوردها في الحلية - أبو نعيم - وأنها لا أصل لها .

قال له الناس : ألّف لنا كتاباً في الزهد ؛ فقال لهم : ألّفت لكم كتاباً في البيوع .

وفي حاشية ابن عابدين (٢ / ٢٣) : كان ثعلب يقول : « محمد » عندنا من أقران سيبويه ، فكان قوله حجة في اللغة . وقد قلّده أبو عبيد (تلميذ سيبويه) مع جلالة قدره ؛ واحتج بقوله أبو العباس . ا هـ توفي بالريّ .

(٩) في الأزهرية : تنسيرها .

(١٠) في الأزهرية : حتماً لا شكّ .

(١١) في ظ ١ : عن .

ويشير بقوله : ـ وقد تقدم النقل ـ إلى ما لَخَّصناه من كلامه في تسمية من سبق ذكره ، فعقيدة شيخنا ـ رضي الله عنه ـ هي عقيدة أهل القرون الثلاثة[١٢] ؛ وهذه هي الكرامة التي لا كرامة فوقها . قال الحافظ ابن حجر : قال ناصر الدين بن المُنير : « الاستقامة يستحيل أن لا تكون كرامة ؛ بخلاف غيرها من الخوارق ، فقد يكون رحمة ، وقد يكون فتنة » .

الاستقامة في الكرامة

وبعد سماعك هذا الكلام ، فاعلم : أن ما شهدناه من كرامات الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، وكشوفاته شيء كثير ، لا يمكننا استقصاؤه ؛ فلنذكر بعضه :

كرامات الشيخ رضي الله عنه

[١ ـ ١] (فمن ذلك) أنه مات لي ولد ـ أولَ معرفتي به ـ فحزنَتْ عليه أمه ، وكان مات ولد آخر قبل ذلك ؛ فجعلتُ أسلّيها ، وقلت لها : سمعت سيدي أحمد بن عبد الله ـ صاحب المخفية ـ يقول : إني إذا نظرتُ إلى الصبيان ، ونظرتُ إلى الأمور المستقبلة النازلة ، رحمتُهم ، ومن مات منهم سَلِم من ذلك ؛ وقد مات ولدُك . ونحو هذا الكلام ، مما يسلّيها ويصبرها . فلقيت شيخنا ـ رضي الله عنه ـ عند الصبح ، فقال : إنكم قلتم البارحة لزوجتكم : كذا وكذا ؛ وذكر الكلام الذي نقلته عن سيدي أحمد بن عبد الله . فعلمتُ أنه كاشفني بما وقع في الدار .

وقائع مع تلميذه الشيخ أحمد المبارك

[١ ـ ٢] (ومن ذلك) أنه ـ رضي الله عنه ـ كان يأكل القرنفل لضر بصدره ، فصارت تشمّ منه رائحة طيبة ، وهي رائحة القرنفل ؛ فكنت أشمها منه كثيراً إذا كنت معه بالنهار ، فإذا تنفس خرجت رائحة القرنفل مع نَفَسه الشريف ؛ ثم صرت أشم تلك الرائحة بنفسها إذا كنت في داري ليلاً ، وقد سدّت الأبواب وهو بداره في رأس الجنان ، وأنا أسكن في بكر تقر[١٣] ـ بقاف معقودة ـ ، فجعلَتْ الرائحة تفوح علينا في البيت ، المرة بعد المرة ، فانتبهت لذلك ، وأعلمتُ المرأة بذلك ؛ وكانت تحبه حباً شديداً ، وكذلك هو ـ رضي الله عنه ـ يحبها حباً شديداً ؛ ثم طال أمر الرائحة علينا مدة كثيرة ، وأياماً عديدة ؛ فقلت له ـ رضي الله عنه ـ :

شمّ الصالحين

(١٢) قلت : والمقرر عند علماء التوحيد أن مذهب السلف ـ وهو التفويض ـ أسلم . ومذهب الخلف ـ وهم ما بعد القرون الثلاثة ، وهو التأويل ـ أحكم اهـ . انظر التعليقات المرضية على الهدية العلائية بحث المتشابهات .

(١٣) (قوله : في بكر تقر) في نسخة : في كرنيز فليحرر اهـ . هامش طبعة بولاق .

إن رائحتك تكون عندنا ليلاً ، ونشمها كثيراً ، فهل تكون عندنا ؟ **فقال** - رضي الله عنه - : نعم ؛ **فقلت** له - على سبيل الضحك - : فإني يا سيدي أتيم الرائحة ، حتى أقبضك بيدي . **فقال** - رضي الله عنه - ممازحاً : وأنا أتحول إلى زاوية أخرى من البيت . ثم ذكرت له - مرة أخرى - أمر الرائحة ؛ فقال : هذا الشمّ فأين الشوق ؟

تصرف للشيخ رضي الله عنه

[١ - ٣] **وقال** لي - رضي الله عنه - مرة أخرى : إني لا أفارقك ليلاً ولا نهاراً . وقال لي مرة أخرى : حاسِبْني بين يدي الله - عز وجل - إن كنتُ لا أنتبه لكَ في الساعة الواحدة خمسمائة مرة .

رؤيا المريد لشيخه في المنام

[١ - ٤] **وقلت** له مرة : يا سيدي ..! رأيت في المنام ذاتي وذاتك في ثوب واحد ؛ **فقال** : هذه رؤيا حق ؛ وأشار إلي[14] أنه لا يفارقني ليلاً ولا نهاراً . **وقال** لي مرة : أنا آتيك في هذه الليلة فردّ بالك ؛ فلما كان السدس الأخير من الليل - وأنا بين اليقظة والمنام - أتاني رضي الله عنه ، فلما دنا مني أخذت بيده الشريفة فقبضتها فتبعته ، وأنا أريد أن أقبلها ؛ فلما قَبَّلْتها وقَبّلتُ ، رأسَه الكريم ، غاب عنّي .

تصرف للشيخ رضي الله عنه

[١ - ٥] (ومن ذلك) أن السلطان - نصره الله - كتب كتابه ، وأرسل معه اثنين من أصحابه إليّ ، برسم أن أذهب إلى « مكناسة » لأُصلّي بالناس في « جامع الرياض »[☆] فنزلَ بي ماالله به عليم . فلما سمع بذلك ، قال لي : لا تخف ؛ فإنك إن رحلتَ إلى « مكناسة » رحلنا معك ؛ ولكن لا بأس عليك ؛ وما طلبوه منك لا يكون ؛ فذهبتُ معهما إلى « مكناسة » ، وسلك الله الأمر على خير ، ولا كان إلا ما قال الشيخ - رضي الله عنه - ؛ فرجعتُ إلى داري « بفاس » ؛ ولما سمع بذلك والد الزوجة - الفقيه سيدي **محمد بن عمر** - ، كتب إليّ يقول : إنك قدمت من « مكناسة » ، ولم تلتقِ مع السلطان - نصره الله - ولا فاصلتَ نفسك ؛ فلا تدري ما ينزل بعد قدومك ؛ فالرأي أن ترجع إلى « مكناسة » ، وتلتقي مع السلطان - نصره الله - ، وتُظهرَ له الرضا بقبول الإمامة في المسجد المذكور ؛ وغيرَ هذا

---

(١٤) في بولاق : وأشار أنه .

(☆) **والرياض** : هي ضاحية في مكناسة ، بناها المولى إسماعيل ؛ كانت من أبهى البلدان ، خربّها ابنه عبد الله ظلماً ا هـ . انظر المغرب العربي ١٢٦ . قلت : والظاهر أن هذا الجامع كان في تلك الضاحية فليراجع .

نجدة الشيخ لأتباعه

لا تفعله . فأتيتُ بمكتوبه إلى الشيخ - رضي الله عنه - ، فقال لي : اقعد في دارك ، ولا تخشَ مكروهاً . فكان الأمر كما قال الشيخ - رضي الله عنه - . وهذه كرامة غريبة ولو شرحت أمرَ الحكاية لظهرت الغرابة التي أشرنا إليها ؛ حتى كان بعض أصحابنا من المقربين « بمكناسة » يقول : ما رأينا أغرب مما فعلتَ ...! ؛ بعثَ إليكَ السلطانُ - نصره الله - كتابَه وأكّدَ عليكَ فيه ؛ وأرسل اثنين من أصحابه ؛ وقدما بك إليه . ثم إنك امتنعت من اللقاء معه ، ورجعتَ إلى « فاس » ، ولم تبال ؛ إنّ هذا لشيء عجيب ...! . وكلّ ذلك من بركة الشيخ - رضي الله عنه - .

[١ - ٦] (ومن ذلك) أن المرأة حصل لها حَمْل فقال : هو ذَكر ، ولما كان تاسعها - وعادتها أن تضع في أوله - جاءها وجع ، فما شككنا أنه وجع الولادة ؛ فقال رضي الله عنه : إن الوجع الذي ترون عن ضَرّ نزل ؛ وأما الولادة فإنها بعيدة . فكان كما قال - رضي الله عنه - .

[١ - ٧] (ومن ذلك) أنني التقيت مع الفقيه سيدي **محمد ميّارة** ، فأعطى للشيخ - رضي الله عنه - أربع موزونات ، فقال لي الشيخ بعد ذلك : إن سيدي محمداً ميارة شيء كبير ؛ أدخلَ يده في جيبه ، فخرجت له موزونات لم يرضَها فردّها ؛ ثم أخرج ما يُرضي ، ودفعه لنا ؛ فلقيتُ سيدي محمداً ميارة ، فذكرتُ له ما قال الشيخ ؛ فقال : قال الحقّ ؛ خَرَجَت موزونات رديئة فرددتها ، وأعطيت الجيد .

وكنت أتكلم مع الفقيه المذكور ، فجرى ذكر رجل يَعتقدُ فيه الخيرَ الفقيه المذكور ، فأشرتُ أنا إلى ما أعلم فيه ؛ فقال الشيخ : إنك لَمَّا ذكرتَ ما ذكرتَ في الرجل ، ارتعدت مصارينه في جوفه ، من قوة نيته الخير في الرجل . فلقيت الفقيه المذكور وذكرت له ما قال الشيخ - رضي الله عنه - ، فقال : صدق - والله - ، لقد كان الأمر كما قال .

[١ - ٨] (ومن ذلك) أن ولده سيدي إدريس - أصلحه الله وأنبته نباتاً حسناً - ، مرض مرضاً مخوفاً ؛ وأحزن ذلك أمه كثيراً ، فدخلتُ - ذات يوم - بعد المغرب على الولد ، وإذا به لا يتكلم - من قوة المرض وغَلَبتِه - ؛ فأحزنني أمره ؛

فلما خرجنا قال لي الشيخ : إنه لا يموت من هذا المرض ؛ وأنه سيعافى . فكان كما قال - رضي الله عنه - .

فاطمة بنت سيدي عبد العزيز

وكذا وقع لابنته السيدة فاطمة - أصلحها الله - نزل بها مرض ، وطال أمره ، فقال لي : إنها لا تموت منه ، وأنها ستعافى . فكان كما قال - رضي الله عنه - .

وكذا مرض ولد صاحبنا سيدي الحاج **محمد بن علي بن عبد العزيز بن علي المرابطي السجلماسي** ، فقطع منه أبوه الإياس - فيما أخبرني به - ، فذكرتُ أمره للشيخ - رضي الله عنه - ، وقد خرجنا من صلاة الجمعة بجامع الأندلس[١٥] وتوجهنا نحو باب الفتوح[١٦] ، فقال رضي الله عنه : ما عنده بأس ، وإن أمه لا تحب أن يموت ؛ ولو مات لنزل بأمه ما لا تطيقه فهو لا يموت . فكان الأمر كما قال رضي الله عنه .

وهؤلاء كلهم في قيد الحياة إلى وقتنا هذا ، وهو الثاني والعشرون من ربيع الأول عام ثلاثين ومائة وألف [١١٣٠ هـ] .

زيارة مقام ابن مشيش

[١ - ٩] (ومن ذلك) أنّا ذهبنا لزيارة القطب مولاي **عبد السلام بن مشيش**[١٧] - نفعنا الله به آمين - وبلغنا إليه عند صلاة الظهر ، وكنا نظنّ أنْ يقيم بنا عنده ، وإذا به - رضي الله عنه - يقول : لا تحطّوا عن[١٨] الدواب حتى نرجع من زيارة الشيخ ؛ فصعدت معه إلى قبر الشيخ عبد السلام ، وزرناه ، وقال لي : كيف كانت زيارتك ودعواتك ؟ قلت : دعواتي في هذه الزيارة قصرتها عليك ؛ فمنذ جلست للزيارة وأنا أدعو لك بخير ، ولم أدعُ لنفسي فضلاً عن غيري . فقال رضي الله عنه : وكذلك أنا ، كانت زيارتي كلُّها لك ولم أدع لغيرك ؛ ففرحت بذلك

(١٥) جامع الأندلس : مشهور في مدينة فاس .

(١٦) وهو أحد أبواب فاس .

(١٧) عبد السلام بن مشيش الحسني (- ٦٢٢ هـ = ١٢٢٨ م) : من كبار الأولياء والمرشدين في طريق الصوفية في المغرب ؛ مات مقتولاً ، قتله ابن أبي الطوجن . وكان تلميذ أبي ميدان شعيب وشيخ الإمام أبي الحسن الشاذلي . له مزار مشهور . اهـ الطبقات . وفي غيره : كان شيخه عبد الرحمن المدني .

(١٨) في ظ ١ : على الدواب .

غايةَ الفرح ولله الحمد . ثم نزلنا من الجبل وأَمَرَنا بالذهاب إلى مدينة تطاون ، فقلت : يا سيدي ...! إن المدينة بعيدة ولا نقدر على وصولها في هذا اليوم ، وأمرك مطاع ...! ؛ فعزم علينا ؛ فعلمنا أنه لا يأمر إلا بصواب ، فركبنا على الدواب ؛ ولم نزل نسير إلى أن طلع الفجر ؛ فدخلنا مدينة تطاون ، وبنفس دخولنا أرسلت السماء غرابيلها ، وجاءت الأمطار التي لا تطاق ودامت يومين ، فأصعدني - رضي الله عنه - إلى سطح الدار التي نزلنا بها ، والأمطار تنزل ، فقال : أتنظر إلى هذه الأمطار الغزيرة ؟ قلت : نعم يا سيدي ، فقال : لأجلها سرت بكم ليلاً ، فإني لما بلغت إلى مولاي عبد السلام رأيتها ؛ فما تظن أن يكون لو صادفتنا هذه الأمطار في تلك السلاليم ، ولا عندنا ما نَأْكلُ ، ولا ما تأكلُ دوابّنا ؛ ثم تدوم علينا ؟ قلت : ما يبقى شيء من المشقة إلا نالنا ، - إن نجونا من الموت - . ثم قَبَّلتُ يدَه الكريمة ، وقلت : جزاكم الله عنّا خيراً .

ولما خرجنا من تطاون بعد اليومين ، خرجنا والأمطار في أشد ما يكون ؛ فقلنا يا سيدي : هربنا من الأمطار ، وأردنا أن نرجع إليها ؛ فسكت عنا ؛ ثم خرجنا ، وأردنا أن نشتري شعيراً لعلف الدواب ؛ فأبى علينا . فخرجنا والأمطار في أشدّ ما يكون ، فلم نسر إلا ميلاً أو ميلين ، وانجابت السحاب ، وسكنت الرياح ، وظهرت الشمس ، وطاب الزمان ، واعتدل الحال . فعجبنا من ذلك ؛ ثم لما كان نصف العصر قلنا : يا سيدي ..! أين ما تأكله الدواب ؟ فسأل الناس عن العمارة ، فقالوا : بعيدة لا تبلغونها حتى ينتصف الليل ، فسكت ، وجعل يمشي بنا ، ونحن سامعون مطيعون ؛ فلما قرب المغرب ، قال : ميلوا ذاتَ اليمين ؛ فخرجنا عن الطريق ، وعَدَلنا إلى ذاتِ اليمين ؛ فلم نمش إلا قليلاً ، ووجدنا[١٩] أنْدَاراً[٢٠] لم تدرَس ، وعينَ ماء قريبة منها ؛ فقال : انزلوا هنا ، فقد أتى الله للدوابّ بما تأكله ؛ فأَمَرَنا بالأخذ من الأندر ؛ فأخذنا ، وأعطينا الدوابّ تأكل ؛ وبتنا بأحسنِ مبيت ؛ ثم لما بلغت العشاء - أو قريباً منه - جاء ربُّ الأنْدَر ، ففرح بنا غاية الفرح ؛

(١٩) في ظ ١ : فوجدنا .

(٢٠) الأَنْدَر : بوزن الأحمر ، البَيْدر بلغة أهل الشام . والصواب أن يجمع على أنادر . ا هـ مختار الصحاح .

وأعطاه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ أكثرَ من قيمة ما أكلت الدواب ؛ ففرح وسُرّ بذلك ، وباتَ معنا ، وأكلَ من طعامنا ؛ وصار كأنه واحد منا .

[١ ـ ١٠] وكذا وقع لنا ـ مرة أخرى ـ ، قبل أن نبلغ إلى الشيخ عبد السلام ؛ فإنا لَمّا قطعنا عقبة بني زكار ، وفات وقت العصر ؛ ونزل من كان قطعها من الناس قبلنا ؛ قلنا له : يا سيدي ..! قد نزل الناس الذين جاءوا قبلنا ؛ فقال : سيروا ؛ قلنا : يا سيدي ..! كيف نسير ولا نعرف طريقاً ، وليس فينا من يعرفها ؟ فقال : سيروا ؛ فسرنا فتركنا الناسَ ، ولا دليل معنا ؛ فلم نزل نمشي ، واللهُ سبحانه وتعالى يلهمنا الطريق ، حتى بلغنا إلى عين ماء وبقربها أَنْدَرٌ قد دُرِست ؛ فلقينا ربَّها ؛ فدلنا على النزول ، وبتنا أحسن مبيت ، وباتت الدواب تأكل التبن ، وباتت الدواب الذين نزلوا قَبلنا على غير تبن ، وسمعنا منه في هذه الزورة الكريمة علوماً من الحقائق والدقائق ؛ وقد كَتَبْنا الكثير منها في هذا الكتاب .

من كشوفاته كلامه رضي الله عنه في الأماكن

ـ وإذا كان يتكلم معك في الأماكن والمواضع ، تظن ـ إن لم تكن تعرفه ـ أنه سافر إلى الموضع الذي يخبر عنه ، وأنه ممن عاينه ، ورآه ؛ وما هو إلا الكشفُ الصحيح . وكم مرةٍ يسافر إلى المواضع البعيدة بلا دليل ، ثم يسلك في سفره ذلك طرقاً نافذة ، لا يعرفها أكثر الناس . وقد قال ذاتَ يوم للفقيه سيدي علي بن عبد الله الصباغي رحمه الله ـ وكان مسكنه بالصباغات ، على أربع مراحل من مدينة فاس ـ : إني جئت مع جماعةٍ راكبين علىَ الخيل حتى بلغنا إلى موضع ـ وَصَفه له وسمّاه ـ ، فتركتُ القوم هناك ودخلتُ لمرشدكم ، ثم جعل يصفِه له ، ويصف له داره كأنها نُصْبَ عينيه . وذَكَرَ له ركوب الخيل ستراً للكشف . قال لنا سيدي علي ـ رحمه الله ـ : لقد وصف وصَفَ المعاينة الذي لا يَزيد ولا ينقُص ؛ ثم قال له : إن الموضع الذي تربطون فيه الخيل ، فيه قبر ولي من الأكابر ؛ فلا تعودوا لربط الخيل فيه ؛ فبحثوا فوجدوا الأمر كما قال ـ رضي الله عنه ـ ، فاتَّخَذوا ذلك الموضع مزاراً .

التعريف بقبر ولي كان غوثاً

وسمعت الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يقول في ذلك الولي : إنه من آبائنا ـ يعني أنه كان غوثاً ـ ، وصرّح لي بذلك .

[١ ـ ١١] وكنت جالساً معه ذات يوم ، فجاءه رجل من أهل « زا » ـ بزاي معجمة بعدها ألف ـ ناحية معروفة : فقال : من أين أنتم ؟ فقال له : من أهل « زا » : فجعل ـ رضي الله عنه ـ يصف له البلد ، ويذكر له مواضع ، وعلامات ؛ والرجل يصدّقه ، ويظن أنه ممن قدم إلى الموضع ؛ ثم لما قام الرجل التفت إليّ وقال : « **إن الناس يحبون الكشف وفيه ضرر عظيم على الولي ، وعلى من يريد ذلك منه** ؛ أما ضرره على الولي : فلأن فيه نزولاً عن مشاهدة الحق إلى مشاهدة الخلق ، وذلك انحطاط[٢١] عن الذروة العليا ، وأما على الذي يقصده من الولي : فلأنه لا يقصد من الولي الكشفَ والكرامةَ إلا من كانت محبتُه على حرف ، فإذا ساعفه الوليّ فقد أقره على حالته ، وأبقاه على عمايته » . وسيأتي ـ إن شاء الله ـ شرح هذين الأمرين في أثناء الكتاب [ص ، ، جـ٢] .

إرشاد التعريف بالكشف ووجه الضرر فيه

[١ ـ ١٢] (ومن ذلك) أن بعض الأشراف كان يقرأ عليّ شيئاً من العلوم الدقيقة ، فكنتُ أُفسّرها له بحسب ما عندي ؛ فكان يعجبه ذلك ، ويقول : ما وجدنا في الفقهاء من يشرح لنا هذا الشرح الذي تشرحه أنت ؛ فبينما أنا أشرح له ذلك الكتاب فإذا بصاحب الكتاب أشار إلى مسألة كبيرة فيها سر من أسرار الله ـ تعالى ـ ، فقال لي الشريف : ما معنى هذا الكلام ؟ فقلت : لا أدري ، ـ وخفت[٢٢] من إفشاء السر ـ ؛ فلم يزل الشريف يرغب ، فقلت له : والله لا أفسرها لك ، إلا إذا أعطيتني العهود والمواثيق أنك لا تتكلم بما تسمع مع قريب ، ولا مع بعيد ؛ فأعطاني ذلك وفسرت له المعنى المراد ، وأجبته عن جميع الإشكالات الواردة العارضة ؛ حتى ظهرت المسألة ظهور الشمس ، ففرح الشريف بذلك غاية الفرح ، فقلت له : إن لقيتَ شيخَنا الإمام ـ رضي الله عنه ـ يوماً من الأيام في دهرك ، وانجرّ الكلام إلى هذه المسألة ، وأراد أن يشرحها لكم ، فأظهر الجهل ، وصَوِّرْ نفسَك بصورةِ من لم يسمعها ، ولا طرقتْ سمعه ؛ فأعطاني العهد على ذلك أيضاً . ثم إني التقيت مع سيدنا الشيخ في ذلك اليوم ، فكان أول ما بدأني به أن قال

كتم السرّ

---

(٢١) في ظ ١ : من .

(٢٢) في ظ ١ : وخفت عليّ من ...

لي : تكلمت مع الشريف فلان بكذا وكذا - وذكر المسألة - فقلت له : يا سيدي نعم ، ولم أردْ إلا الخير . ثم جعلت أفتش عن خاطره ، فإذا به - والحمد لله - مثل الحليب .

وكشوفاته - رضي الله عنه - لا تنحصر . ومن أراد جمعَ كراماته احتاج إلى تأليف خاص ، مع أن كل ما في هذا الكتاب من الكرامات .

[١ - ١٣] **ومن كراماته** - رضي الله عنه - : **تأثير كلامه في القلوب .**

فقد جاءه فقيه من الفقهاء ؛ ذات يوم ، فقال له : يا سيدي ؛ ادعُ الله لي أن يقطع الوساوس[٢٢] من قلبي ؛ **فقال** - رضي الله عنه - : **الوسواس : لا يكون إلا مع الجهل بالطريق ؛** فمن قصد مدينة ، وهو جاهل بطريقها ، فإن الخواطر تختلف عليه ، فيقول له خاطره : الطريق هكذا ، فيتبعه ؛ ثم يقول له آخر : بل الطريق من ههنا ؛ فيبقى حيران ، ولا يدري أين يذهب . والعارف بالطريق ، يسير وقلبه سالم من ذلك . وطريق الدنيا والآخرة : هو الله تعالى ؛ فمَن عرف هذا ، ربح خيري الدنيا والآخرة ، وأحياه الله حياة طيبة ؛ ومَن جهل هذا ، كان على الضد . فلما سمعت هذا الكلام رحمني الله به - عز وجل - ؛ فصار الخاطر إذا توجه لقضاء حاجة من غيره تعالى ، جذبه جاذب من غيره وردّه إلى الله - عز وجل - ، ونطلب من الله تمام ذلك .

الوسواس - سببه -

حكمة

وسمعته يقول : « **المؤمنون إذا ناموا ناموا على الله ، وإذا استيقظوا استيقظوا على الله** » . فلما سمعت منه هذا الكلام سكن معناه في قلبي - ولله الحمد - ، فأنا في النوم ، والله تعالى في قلبي [أي ذكره ومحبته ومعرفته] .

إرشاد

سبب القطيعة عن الله تعالى

وسمعته يقول : **إذا ذهب خاطر العبد مع غير الله فقد انقطع عن الله - عز وجل -** . ثم مَن الناس من يرجع إلى الله - عز وجل - عن ساعة ؛ ومنهم من يرجع عن ساعتين ؛ ومنهم من يرجع عن أقل ؛ ومنهم من يرجع عن أكثر . فلينظرْ العبد كيف قلبه مع الله - عز وجل - ؟ فصار هذا الكلام - ولله الحمد - بمنزلة اللجام

(٢٢) في ظ ١ : الوساويس .

لقلبي ؛ فكلما أراد أن يسرح في بحار الغفلة جذبه هذا الكلام .

شرط المعرفة

وسمعته - مرة - يقول : « **إن العبد لا ينال معرفة الله تعالى حتى يعرف سيدَ الوجود ﷺ ؛ ولا يعرفُ سيدَ الوجود ﷺ حتى يعرفَ شيخه ؛ ولا يعرفُ شيخه حتى يموت الناس في نظره ؛ فلا يراقبُهم ولا يراعيهم ؛ فصَلِّ عليهم صلاة الجنازة ، وانزعْ من قلبك التشوفَ إليهم** » . فرحمني الله بهذا الكلام حين سمعته ؛ وكان هو سببَ دخول الخير عليّ . ولهذا الكلام تفسير عريض وشرح طويل ؛ ولو تتبعنا هذا الباب لطال . وفيما ذكرناه كفاية .

ما كتبه الفقيه الزيراري عن شيخه الدباغ رضي الله عنه

[٢] وقد طلبت من الفقهاء أصحابه - رضي الله عنهم - أن يقيّدوا بعضَ ما عاينوا من كراماته ؛ **فكتب إليّ الفقيه** الثقة الأرضي أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن حنين[٢٤] **الزيراري** ؛ فعرضتُ ما كتبه على الشيخ - رضي الله عنه - فأقرّ به ، وصدّقه ، ونصُّ ما كتبه :

[٢ - ١] الحمد لله وحده . ومما مَنّ الله به عليّ : أني لما التقيت مع شيخنا الإمام الغوث الهمام مولاي عبد العزيز بن مولاي مسعود ، كان قلبي متعلقاً جداً بأمور الدنيا ، من حرث وتجارة ونحو ذلك ؛ حتى كنت من ذلك في غاية الكدّ والتعب ، وكانت الدنيا هي المقصودة ، والآخرة أضغاثُ أحلام ؛ وكنت ممن رزقه الله شيئاً من العلم ؛ وعزمت على أن أدخل في زمرة العدول ؛ أو أسعى في تولية خطة القضاء - والعياذ بالله - ؛ فرحمني الله عز وجل حين لقيته ، وطهّر الله قلبي ؛ وذلك ببركته وحسن سياسته ؛ فإنيّ لّما التقيت معه وأخذت عنه ، ورأى ما بي من العلة المعضلة ؛ أمرني ببيع ما عندي من ثيران الحرث ، وأن أفعل بها كذا وكذا ؛ وذكر لي أمراً لاينافي الأسباب الدنيوية ، وهو في الباطن يريد أن يمحوَها من قلبي . فلله در هذا الإمام ماأحسن سياسته .. ! إذ مامن حالة خبيثة يريد أن ينقلني منها ، إلا وينقلني وأنا لاأشعر ، حتى أجد نفسي فيما هو أطيب منها

(٢٤) في ظ ١ : حنيني .

وأحسن ؛ ويَظهر لي خُبث الحالة الأولى ، وظلامُها عَيانا ، وهذا دأب هذا الإمام العظيم معي ، ومع سائر إخواني ؛ بحيث إذا وجدَك على حالة قبيحة ، لا يقول لك : اترك هذا الأمر - صراحة - ويشنّع عليك في ذلك ، ويتبرأ منك إذا لم تترك - ، إذ ربّما تأبى النفسُ ذلك ، ويدعوها ذلك إلى المخالفة ؛ بل يرفق بك ويُحسّن لك ما أنت عليه بعض التحسين ؛ ثم يسايرك شيئاً فشيئاً ، حتى تجد نفسك على حالة لم تكن عليها ؛ وتستقبح ماكنت عليه ، مع انشراح صدر وطيب نفس . ولمّا أمرني - رضي الله عنه - ببيع الثيران بقيت أياماً ، وغسَل الله من قلبي حب الفلاحة ، بل صرت كارهاً لها ؛ ثم أمرني ببيع ما عندي من الكتب كلها وأن أفعل بها شيئاً يحبه قلبي وتفرح به نفسي ، ثم بعد ذلك حصل لي طمع في الناس وصرت أتشوف لما في أيديهم ؛ ففرّقاني - رضي الله عنه - ، حتى صرتُ لا أشاهد للناس نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عن الطمع فيهم .

[٢ - ٢] **ومن كشوفاته** - رضي الله عنه - : أن قال لي ذات يوم - في أول ما لقيته - : هل عندك شيء من السمن ؟ فقلت له : نعم سيدي ، عندي كذا وكذا ؛ فقال : ائتني ببعضه ؛ فقلت : نعم ، فقال بعض الإخوان : لعل ما بقي من السمن لا يُوصل إلى وقت رخاءِ السمن . فقلت : نعم ، فقال - رضي الله عنه - : هل بقي ما يوصلك إلى الوقت الفلاني ؟ قلت : نعم ، فقال : ائتني بما زاد على ذلك ؛ ثم إنه لما وصل ذلك الوقت ، أتاني رجل بشيء من السمن - لوجه الله من حيث لا أحتسب - ، فكفاني إلى رخائه .

[٢ - ٣] (ومنها) أني كنت أستشيره - رضي الله عنه ونفعني به - في بيع شيء من الزرع ، كان عندي ؛ فقال لي : اليومَ الخامسَ من الشهر الفلاني بِعْ ما تريده ؛ فلما وصل ذلك الشهرُ كان غاية بيع الزرع في اليوم الخامس والسادس منه ؛ فلما كان اليوم السابع أعطى الله المطر الغزير ، فرخص الزرع غاية - والحمد لله - .

كشف في الأجنة في بطون أمهاتها

[٢ - ٤] (ومنها) أني ذهبت لزيارته - وكانت إحدى زوجاتي حاملاً - فتكلمتُ معه في شأنها ، فقال لي : إنها تلد ولداً ذكراً ، اسمه أحمد ، فلما قدمت

ذكرت لأهلي ذلك ، فكان كما قال ـ رضي الله عنه ـ ؛ ثم إن زوجتي الأخرى دخلتها غَيْرة ، حيث ولدت الأولى ذَكَراً ؛ وكانت ترضع بُنَيَّة ففطَمَتها قبل الأوان ، لعلها تحمل ؛ فلمتُها على ذلك ، فقالت : إنّي حامل ، وخفتُ على البنت ؛ وأَقسَمَتْ على ذلك . فلما ذهبتُ لزيارة الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ذكرتُ له القصة فقال : كَذَبَتْ ؛ ليس عندها شيء ، فرجعتُ فوجدتها كما قال ـ رضي الله عنه ـ ، فمكثتُ ثلاثة أشهر ومضيت لزيارته ؛ فقال لي : أَحملَتْ زوجتك ؟ فقلتُ : لا أدري ، يا سيدي ؛ فقال : إنها حامل منذ خمسةَ عشر يوماً ؛ وهو ذَكَر ـ إن شاء الله ـ ؛ فسمِّه باسمي ، وهو يشبهني ـ إن شاء الله ـ ؛ فلما رجعتُ ؛ أعلمتُ الزوجة بما قال ، ففرحت[٢٥] ؛ ثم وَلدَت ذكراً ـ كما قال رضي الله عنه ـ ؛ وهو أشبه الناس به بَشَرةً .

[٢ ـ ٥] (ومنها) أنّ الزوجة الأولى حملت ثانياً فسألته عن حملها فقال لي : بنت وسمها باسم أمي ، فكان الأمر كما قال ، فزادت عندنا بنت وسمّيتها باسم أمه ـ رضي الله عنه ـ .

[٢ ـ ٦] (ومنها) أنّي كنت جالساً معه ذات يوم وهو يمازحني ، فقال لي : هل فعلت كذا وكذا ـ وذكر لي أمراً من جملة المعاصي ـ ، فقلت له : لا ـ ظناً مني أنّي لم أفعله ـ ، فقال لي : انظر ، وهو يضحك ، فأقسمت له بأنّي لم أفعله ؛ ثانياً ، وثالثاً ، ثم إني في المرة الرابعة تفكرتُ وإذا بي قد فعلت ذلك منذ خمسة عشر عاماً في بلدة بعيدة ، بينها وبين فاس نحو من سبع مراحل[☆] ، فاستحييت فعلم بي وقال : أتحلف الآن ؟ قلت : لا سيدي ، وقبّلت يده الكريمة ، فقلت له : ومن أين لك بهذا يا سيدي ؟..! فقال : وهل يغيب عليه تعالى شيءٌ ، وكذا من أطلعه الله على أسراره ، ثم نَبَّأني بأمور فعلتها قبل ذلك ، وبعد ذلك ، وتبت إلى الله على يده توبة نصوحاً ، والحمد لله .

[٢ ـ ٧] (ومنها) أنّي كنت جالساً ذات يوم أمامه وهو متكئ على يمينه ـ رضي الله عنه ـ ، وهو بين النوم واليقظة ؛ فخطر بقلبي خاطرُ سوء ـ والعياذ

(٢٥) في بولاق : وفرحت .

(☆) مفردها مرحلة . تقدمت ص ٤٤ .

بالله ـ ، ففتح عينيه ، **وقال :** ما الـذي قلت ؟ فقلت : يـا سيـدي لم أقلْ شيئـاً ، فقال : ما الذي قلتَ في قلبك ؟ فاستحييت منه ، وتبت إلى الله تعالى .

النظـــــر إلى عورة المرأة

[٢ ـ ٨] (ومنهـا) أنّي خلـوت ذات ليلـة بـإحـدى زوجـاتي ـ وكانت مستلقية ـ ، فكنت أمازحها حتى حصل مني النظر إلى عورتها قصداً وعمـداً ؛ فلما قدمتُ عليـه للزيـارة ـ وكان بيني وبينـه مرحلتـان ـ جعل يمـازحني ، حتى **قـال :** ما تقولون أنتم أيها العلماء في النظر إلى عورة المرأة ؟ فقلت لـه مـا قـالت العلمـاء ، فقـال لي : وهل تفعلـه ؟ فقلت : لا ؛ ـ نسيـانـاً لمـا وقـع منّي ـ ، فقـال : حتى في الليلة الفلانية ، فاستحييت وتذكرتُ ما فعلتُ ، فقام عني **وقـال :** لاتَعُـدْ ؛ وَجِّهْ نظرَك إلى الكعبة ، إن شاء الله .

[٢ ـ ٩] (ومنهـا) أنّي جمعت بين زوجتَيَّ ـ ذات ليلـة ـ في مبيت واحـد لعذرٍ منع إحداهما من مبيتها بمسكنها ، فباتت كلٌّ واحدة منهما على فراش وحدهـا ، وبتُّ أنـا على فراش وحـدي ، وبقي فراش رابع في البيت لم يبت عليـه أحـد ؛ ثم دعتني نفسي إلى وطء إحدى الزوجتين ، فوطئتها ـ ظنّاً منّي أنّ الأخرى نائمة ـ ؛ ثمّ لمّا نمت شيئاً قليلاً قمت وطئتُ الأخرى ، ـ ظنّاً منّي أنّ الأولى نائمة أيضـاً ـ . ثم لمـا قدمت لزيارته ـ وكنت أُكثر منها وإن بَعدَت المسـافـة ـ جعل ذات يوم يمـازحني ،

وطء المرأتين في مسكن واحد

حتى قال : ما تقولون في جمع المرأتين في مسكن واحد مع وطئِهما ؟ فعلمتُ أنه أشـار إلى ما وقع منّي ؛ فقلت : سيدي وكيف علمتَ ذلك ؟ فقال : ومن نام على الفراش الرابـع ؟ فقلت : سيـدي ..! ظننتُ أنّهما نـائمتـان ، فقـال : مـا نـامت الأولى ولا الثـانيـة ؛ على أنّـه لا يليـق ذلـك ولـو نـائمتين ؛ فقلت : سيـدي ..! ذلـك هـو المذهب ؛ وأنا تائب إلى الله[٢٦] .

(٢٦) اعلم أيها القـارئ الكريم أن مقصود الشيخ من كلامـه مع تلميـذه ـ الفقيـه الزبيراري ـ ومع غيره هـو النهوض بتلميذه ليزداد أدبه مع الله تعالى في خلوته وجلوته فيكونَ على حدود الشريعة المطهرة .

فهو يصـارحهم بمـا يفعلـون دون تحقير لهم ؛ بـل نظره إليهم نظر الأب الرحيم إلى ولـده ، وهـو دأب العـارفين جميعاً مع أتباعهم . فـإنهم يختـارون الأسلوب الأفضل لتوجيههم ، فغـالبـاً مـا يكون نصحهم سرّاً ، وقـد يكون جهراً ، حسب مـا يلمسـونـه منهم وحسب مـا هو الأنجع في تهذيبهم ؛ فـإنهم أطبـاء النفوس ينظرون بنـور الله ويدلّون عليه .

[٢ ـ ١٠] (ومنها) أنّي كنت ذات يوم جالساً عنده مع جماعة من الإخوان وسيدتنا زوجتُه لم تكن بالدار ، فأراد بعض أصحابنا الحاضرين أن ينزل لدار الوضوء ليقضيَ حاجته ـ وكانت دار الوضوء مقابلة لباب الدار حتى إن الداخل قد يرى من بها ـ ، وإذا به ـ رضي الله عنه ـ قد صعد مسرعاً وقفل علينا باب المسكن ، ونزل مسرعاً : فلم ندرِ لِمَ فعل ذلك ؟ وبقينا متحيرين ، وإذا بالسيدة قد دخلت : فعلمنا أن ذلك كان لذلك .

[٢ ـ ١١] (ومنها) أنّي قَدمت لزيارته ـ رضي الله عنه ـ ، فجلس معي في مسكن من مساكن داره حتى كان وقت النوم ، فقال : نَمْ ؛ ونَـزَلَ ؛ فأزلت ثيابي واستلقيت ، وإذا بيدٍ دخلتْ معي ، ودغدغتني في مراقيّ ، فضحكتُ قهراً ، وضحك هو ـ رضي الله عنه ـ ، وهو بموضع مبيته بالسفل في البيت ؛ فعلمتُ أنه الذي فعل ذلك .

مداعبة الشيخ لمريده

[٢ ـ ١٢] (ومنها) أنّي سافرت لزيارته مع جماعة من الإخوان [في الله] ، فلما قَفَلنا من عنده ـ ولم يكن معنا سلاح ، ولا ما نردّ به اللصوص ـ أخطأْنا العمارة ، وبتنا بموضع قَفْرٍ مُخوف ، مأوى اللصوص ؛ فبتنا ، ونام الأصحاب ؛ وبقيت أنا ورجل ، فأحسنا بالأسد قريباً منا ، فقلت له : لا توقظْ أصحابَنا لئلا تصيبهم فجعة ـ وكان فيهم من لم يجرب الأمور ـ وعسى الله أن يدفعه عنا ؛ فلما قرب الصباح أخذنا في السير ، فوجدنا بقربنا أرنباً كأنها خرجَتْ روحُها الساعة . ثم لما قدمتُ ـ مرة أخرى ـ لزيارته مع بعض الإخوان لم أنم ؛ وجعلت أحرس الدوابّ ؛ فلما قدمنا عليه قلت : يا سيدي ...! أردتُ أن أنام لأني البارحة لم أنم ، فقال : ولِمَ ؟ فقلت : كنت أحرس الدوابّ ؛ فقال لي ـ رضي الله عنه ـ : وما تنفع حراستك ، وكيف بكم لو جاءكم القطّاع ليلة كذا ؟ ـ وأشار إلى ليلةِ الأسد ـ ؛ قلت : يا سيدي ..! وكيف ذلك ؟ فقال : أليس لمّا بلغتم إلى الوادي الفلاني لحق بكم

= ملاحظة : كان من الأدب الشرعي أن لا يذكر المؤلف صريح المخالفة التي أوردها في [٢ ـ ٨ و ٢ ـ ٩] وكذا ما سيأتي في [٢ ـ ١٤] لما ورد في الأثر : « إذا ابتليتم بالمعاصي فاستتروا » فيلحق بها ما هو مكروه ، وخاصة باعتبار أن صاحب الواقعة قدوة إذ هو من الفقهاء ومن تلامذة الشيخ رضي الله عنه . ا هـ . المحقق .

ثلاثة من الناس ؟ فقلت : نعم ؛ فقال : لمّا صعدوا إلى الجبل وجدوا أربعة رجال ، ينظرون من يقطعون عليه ؛ فلما وَصَلوهم أعطَوهم خبرَكم ، وتبعوكم السبعة ، ينظرون أين تبيتون ؟ فلما بتّم جلسوا ينتظرون نومكم ؛ فلما ظنّوا نومكم ، قاموا يطلبونكم ، فوجدوا أسداً قريباً منكم ؛ فقالوا : كيف نفعل ؟ إن قاتَلْنا الأسد ، فَطِن القوم ؛ وإن ذهبنا إليهم مَنَعنا الأسد ..! فخلّوا سبيلكم ؛ وذهبوا إلى قافلة أخرى ؛ فلما لم يحصلوا على شيء منها ، رجعوا إليكم من جهة أخرى ؛ فتعرض لهم الأسد أيضاً من تلك الجهة ، وظنّوه أسداً آخر ؛ فقال بعضهم : ما بالُ هؤلاء القوم ..!! جئناهم من جهة كذا فحماهم الأسد ؛ ثم جئناهم من جهة أخرى فحماهم الأسد ...! ؛ فأرادوا أن يفهموا ، ثم طبع الله على قلوبهم . فسألتُه عن الأرنب ؛ فقال : إن الأسد فيه عزة نفس ، كابن آدم ؛ وكما أن ابن آدم إذا نزل بوجهه ذُباب ، فإنه يطرده ، فكذلك ذلك الأسد ، بينما هو جالس وإذا بالأرنب بين يديه ، ولم تره ، فقتلها .

[٢ ـ ١٣] (ومنها) أنّي لمّا أردت أن أتزوج الزيرارية ـ وكنت غيرَ عارف بصفتها ـ فوصفها لي بما وجَدْتُها عليه ؛ وذكر لي فيها أموراً لا يعلمها إلا الله ؛ ثم لمّا عزمتُ على الدخول ، قال لي : أنا ليلة الدخول أكون عندكم ، فقلت له : وبم أعلم ذلك يا سيدي ؟ فقال لي : إنّي أفعل لك علامة . ثمّ لمّا اجتمعت بالزوجة وكلّمتها بعضَ الكلام وإذا بالدم يسيل من خياشيمها ؛ فقلتُ لها : وما بالُكِ ؟ فقالت لي : أنت ضربتني على أنفي . فسكتُّ عنها ، وعلمتُ أنه فِعْلُ سيدنا الإمام ؛ ثم لما ذهبتُ لزيارته ؛ وذكرتُ له القصة ، قال لي : نعم ، ولو لم يهبط ذلك الدّم من خياشيمها لمرضتْ ؛ وذلك أنها جاءت من موضع بعيد وكان يوماً بارداً فامتخض فيها الدم .

تصرّفٌ للشيخ رضي الله عنه

[٢ ـ ١٤] (ومنها) أنّي كنت معه ـ رضي الله عنه ـ ذات يوم بداره وهو ـ رضي الله عنه ـ بالسُّفْل يصنع شيئاً ، وأنا بالفوق واقفٌ أنظر إلى سطح أمامي ؛ وإذا بامرأة صعدت عليه فرأيت بوجهها حُمرةً ، فتأملتها أَحمرةُ دم ، أم حمرةُ عكّار ؟ فبأيِ نظرة منّي إليها نظَرَ إليّ ؛ وقال : اتّقِ الله ؛ هذا مع حضوري ؟ وجعلَ يضحك ـ رضي الله عنه ـ .

الشيخ ينهى مريده عن المنكر

[٢ ـ ١٥] (ومنها) أنّي ذهبت لزيارته مرة ـ وكنت راكباً على بغلة ـ ، فلما وصلت موضعاً صعباً نزلت عن الدابة ، وتركتها تمشي : فلما جاوزت المحل ، وأردت أن أركب فرّت ؛ فجعلتُ أصيح : يا سيدي مولاي عبد العزيز ...!! فأتاح الله لي أُناساً ، فقبضوها . فلما وصلتُه ، جعل يضحك ويقول : ما يفعل عبد العزيز ؟ أنت بموضع كذا ، وهو بموضع كذا ؛ نعم ، لو كنتُ معكَ لأعنتُك . فقلت : يا سيدي ! كل ذلك عليك سواء .

استغاثة وتوسل بالشيخ رضي الله عنه

[٢ ـ ١٦] (ومنها) أنّي كنت جالساً ذاتَ يوم بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي[٢٧] ، مستنداً إلى حائط القبلة ، وأمامي سارية ، لم يستند عليها أحد ، ولا بيني وبينها أحد ، وأنا أذكر الله ؛ ثم بعد مدة قمت لأنصرف إلى داره ـ رضي الله عنه ـ ، فمشيت خُطوات قليلة ، فنسيت شيئاً ، فرجعت إليه فلم أشعر إلا وسيدنا الإمام واقف مع السارية يَلبس سلهامَه[٢٨] ؛ وأنا أجزم بأنه لم يكن هناك أحد ، فقلت : سيدي ومولاي ...! ، كم لك بهذا الموضع ومتى جئته ؟ فقال : حين شرعتَ تذكر الذكْرَ الفلانيّ ؛ وكنت أذكره سرّاً ، بحيث لا يسمعه الذي جنبي . فعلمتُ أنه كان على حالة احتجب فيها عن العيون .

[٢ ـ ١٧] (ومنها) أنّه كان وقع لي مع امرأة أجنبية شيء يكرهه الشرع الشريف ، إلا أنه خفيف ؛ فكنت ذاتَ يوم جالساً معه ، وأنا أتكلم معه على شأن النساء حتى ذكرناها ولا أدري لأي سبب ذكرناها ، فقال لي ـ بديهة ـ : أرى بينك وبين تلك المرأة خيطاً أزرق[٢٩] ؛ فَلِم ذلك ؟ فتذكرت ما كان ، واستحييت . وكان مضى لتلك القصة نَحوٌ من الخمس سنين .

[٢ ـ ١٨] (ومنها) أنّي استشرته ـ مرة ـ في شراء شيء من أمور الزاد ، فقال لي : لا ؛ ما عندك يكفيك ..! بل اشترِ السّمن ، إنه ليس عندك ما يوصلك

---

(٢٧) عبد القادر الفاسي (١٠٠٨ ـ ١٠٩٣ هـ) (١٥٩٨ ـ ١٦٨٠ م) : محدث ومفسر ومن كبار الصوفية . اشتهر في بلاد المغرب بعلمه وفضله . له (الأجوبة الكبرى) وبهامشها (الأجوبة الصغرى) في الفقه المالكي ا هـ . من الأعلام وغيره .

(٢٨) في الأزهرية : فلبس .

(٢٩) الخيط الأزرق : يدل على شقاوة . كما سيأتي بيانه ص (،   ،   ) جـ ٢

إلى أوانه ؛ فقلت : نعم سيدي ، غير أن فلانة لها عندي سمنٌ أمانةً ، وكنت يوماً ذكرت قِلّة السمن ـ وهي عندي ـ فقالت : ها ..! السمن عندي كثير ، فما يخصك منه فخذه . ولم أدرِ مرادَها هل عطيةً لوجه الله ، أو سلفٌ ، أظنها صادقة ؟ فسكَتَ عنّي شيئاً قليلاً ، وقال لي : اشترِ السمن ، وأعادها ، ثانياً ، وثالثاً ؛ فعلمتُ أن المرأة لا تفي بشيء مما قالت . فكان الأمر كذلك ؛ وذلك أنه لما كان وقت بيعه قَدِمَتْ وباعته ، وهي بداري ، وهي تعلم حالي ، وأنه ليسَ عندي شيء ؛ ثم يسّر الله عليّ أكثر مما كنت أرجوه منها ، ببركة الشيخ ـ رضي الله عنه ـ .

[٢ ـ ١٩] (ومنها) أنّ بعض الناس كان أسلفني دراهم وترك دراهم أخرى أمانةً عندي ، ثم قدم ليأخذ سلفه وأمانته ، ولم يكن عندي شيء مما أسلفني ، ولا تيسر لي ما أبيعه في قضائه ، وكنت أظنه بطيءَ الاحتياج له فأخرجتُ له الأمانة ، وجعلت أذكر الشيخ بقلبي لكي لا يذكر لي السلف . فسكتَ ، ولم يذكر لي ذلك ـ إلى الآن ـ وذلك نحو الستة أشهر ، مع أنه قَدم ليأخذ الأمرين لا محالة . فالحمد لله على ذلك ا هـ . ما كتبه [الفقيه الزيراري من تلامذة الشيخ رضي الله عنه] .

ما كتبه الفقيه الصباغي عن شيخه الدباغ رضي الله عنه

[٣] **وكتب لي الفقيه** الثقة الصدوق سيدي عليّ بن عبد الله **الصبّاغي** ـ رحمه الله ـ ما رأى مِن كرامات الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، فعرضته على الشيخ حرفاً حرفاً ، فأقرّ به وصدّقه في ذلك ؛ لأن غرضي أن لا أكتب في هذا المجموع إلا ما رأيتُه بعيني ، أو سمعته من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ بأُذني . ونص ما كَتَب :

الحمد لله وحده ، هذا تقييدُ ما رأيتُ من شيخنا الإمام الأستاذ الأكبر ، الغوث الأشهر سيدي ومولاي : عبد العزيز بن مولاي مسعود ؛ من الشرفاء الفاسيين الشهير نسبهم بالدباغين رضي الله عنه ، من الكرامات والمكاشفات :

[٣ ـ ١] (فمنها) ما وقع لي أولَ ما رأيته ، وصحبته ، وأخذت عنه ـ رضي الله عنه ـ ، فحين رجعت إلى أهلي ، وبقيت نحو العشرة الأيام ، وقَعَتْ عند بعض قرابتي مسألةٌ كبيرة ، وعلم بها بعض الناس ، وبعضهم ، حضرها نحو العشرين نفساً ما بين صغير وكبير ، ذكرٍ وأنثى ؛ وكانت تلك المسألة من المسائل التي إن سمع بها

الحزن يَهلك القبيلةَ كلَّها ؛ فخرجت إلى الخلاء وعَيَطتُ عليه رضي الله عنه - ثلاث مرات - برفع صوتي وقلت : يا سيدي ..!! استر هذه القبيلة من نار هذه المسألة ...! فصارت تلك المسألة كأنه سقَطَ عليها جبل ، أو رُمي بها في البحر ؛ وسكَتَ جميع من علم بها ، وصار بمثابة من لم يعلم بها ، وإن سمعها بعضهم من أحد خفية يُكَذّب بها[٣٠] . وحَفِظَ الله القبيلة ومَنْ فَعَلها ببركته - رضي الله عنه - .

[٣ - ٢] (ومنها) ما وقع لي حين رجعت إليه - المرةَ الثانية - ، فرأيت من مكاشفاته رضي الله عنه وحسنِ جوابه للمشاورين له ؛ فقلت : يا سيدي ...! فازَ وسَعِد من هو قريب منك ، كلما وقعت له مسألة يجدك قريباً منه ، ويشاورك فيها . وكيف أصنع أنا - يا سيدي - في مسائل وأنا منك على مسيرة أربعة أيام ؛ فَمَنْ أشاور فيها ؟ فقال لي رضي الله عنه : كلّما عرضت لك مسألة ولم تدر ما تفعل فيها « فاخرجْ إلى الخلاء ، وصلّ ركعتين بقل هو الله أحد - إحدى عشرة مرة في الركعة - وبعد أن تسلّم عيّط عليّ - ثلاثَ مرات - ، واعتقدْ ، واستحضرْ أنّي حاضر معكَ ، وشاورني في مسألتك ؛ فإنّك تجد الجواب » ، فعرضَتْ لي مسألة وكثر عليّ الهمّ فيها ، فخرجت إلى الخلاء وفعلت كما أمرني - رضي الله عنه - فوجدت المَخرجَ قريباً ببركته رضي الله عنه ؛ وكان الإخوان إذ ذاك بين يدي الشيخ رضي الله عنه وأنا منه حينئذ مسيرة أربعة أيام . فلما التقيت بعد ذلك مع الإخوان ، قالوا لي : هل كان منك كذا وكذا ، يومَ كذا وكذا ؟ فقلت : نعم ، فقالوا : نحن بين يدي الشيخ - رضي الله عنه - فإذا به ضحك ، وقال : مسكين سيدي علي بن عبد الله هذه النيّة فيه ، خرج إلى الخلاء وينادي : يا مولاي عبد العزيز . أين مولاي عبد العزيز منه ؟ وحين التقيت به رضي الله عنه قال لي : لا تهتم بمسألة أبداً ولو بلغت بك الحاجة ما بلغت . فمن حينَ قال لي هذا الكلام أذهب الله عني الهمّ كله ؛ فما أراد الهمّ أن يَقربَ مني في مسألة إلا ويسّرها الله عليّ قبل أن أهتم بها ببركته - رضي الله عنه - .

فائدة عامة لقضاء الحاجة

قلت[٣١] للشيخ - رضي الله عنه - : مسألة الركعتين خاصة بسيّدي علي بن

---

(٣٠) في ظ ١ : يكذّب فيها .

(٣١) أي الشيخ أحمد المبارك ، المؤلف .

عبد الله ، أو لكلّ من أرادها ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : هي لكل من أرادها . فحمدت الله على ذلك(٣٢) .

[٣ ـ ٣] قال سيّدي عليّ : ومنها وما وقع لي معه ـ رضي الله عنه ـ حين ودّعته وودّعني في المرة الأولى ، ـ وكان ذلك في آخر رمضان ـ ، فقال لي رضي الله عنه : تأتي بكبش نُعيّد عليه ـ يعني العيد الكبير(٣٣) ـ ؛ فقلت له : نعم يا سيدي ؛ فحين قرب العيد اشتريت كبشين ، وكان حينئذ بعض الأخلاّء من الإخوان عنده ، وكان بيني وبين ذلك الأخ مسيرة يومين ، في نصف المسافة بيني وبين الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، فقال له : إنّ فلاناً يقدم عليك بكبشين ؛ فخذ أحدَهما وعيّد به ، واقدموا بالآخر . وحين قَدمت على ذلك الأخ قال لي ما قال له الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، فلم تأخذني ريبة في ذلك ، لما رأيت من مكانته عند الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، فقلت له : خذْ ما شئتَ منها ؛ فقال : نأخذ الأدنى ، ونذهب للشيخ بالأجود ؛ فتركنا واحداً وذهبنا بالذي ظهر أنه الأجود ، فلما رآه الشيخ رضي الله عنه ، قال لي : عَمِلَها بك فلان ؟ أَخذَ الأجود وأتيتَ لي بالأدنى ...! ؛ فقلنا له : يا سيّدي ..! هذا الذي ظَهَر لنا أنه أجود وأسمن ؛ فقال : ذلك شحمه في كِرشه ـ وهو لم يره قط ـ فخرجَا يوم ذَبْحها كما ذكره ـ رضي الله عنه ـ . وحين تركنا كبشاً وذهبنا له بالآخر ، فقلنا : كيف نصنع لهذا الكبش ، وكيف يوافقنا(٣٤) [أي الكبش] ونحن ركبان ؟ فَيَسّر الله علينا رِفقة من الغنم ، ذاهبةً إلى فاس ، ولم يكن معنا من هو راحل إلاّ أخ لي من أبي ؛ فتركناه مع ذلك الكبش ليأتي به مع تلك الرفقة ؛ فلم يلحق بنا إلا بعد يوم من لحوقنا للشيخ ـ رضي الله عنه ـ ؛ فلما رآه

---

(٣٢) أقول : إن ما ذُكر في هذه الكرامات من استغاثة وتوسلات بالشيخ رضي الله عنه إنما هو من قبيل ابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى ، فالله ـ تعالى شأنه ـ هو وحده الذي بيده مفاتح الغيب وهو الصمد الذي يقصد في الحوائج كلها ؛ وعباده الصالحون من أنبياء وأولياء إنما هم من أعظم الوسائط إليه سبحانه ، إذ هم محل نظر الحق جل وعلا ، وبهم يرحم الله العباد والبلاد . فالوسيلة عند أهل السنة والجماعة ثابتة عقلاً ونقلاً . وإن كل عباد الله الصالحين متبرؤون من حولهم وقوتهم ، لا يملكون لأنفسهم ـ فضلاً عن غيرهم ـ نفعاً ولا ضراً . ولا يفعلون شيئاً إلا بإذن من الله تعالى أو من رسوله ﷺ ومع التزام كبير بآداب الشريعة المطهرة .

(٣٣) العيد الكبير أو الأكبر : عيد الأضحى . كانوا يسمون العمرة بالعيد الأصغر ا هـ . أحكام القرآن للجصاص .

(٣٤) في ظ ١ : يرافقنا .

الشيخ ـ رضي الله عنه ـ قال له : أنت أتيتنا بكبش ، ونحن أعطيناك ولداً ؛ فقلت له : يا سيدي ! تلك حاجته ؛ وكان أخي شديدَ الاشتياق إلى الأولاد ؛ وله زوجة صغيرة لها نحو الخمس عشرة سنة عنده ، ما ولدت قط ، حتى يئست من الولادة ؛ وحتى كانت تتّهم زوجَها أنه هو العقيم ؛ فلما ربطنا الكبش في مكان ، وذهب بنا الشيخ ـ رضي الله عنه ـ لمسكنه وكان ذلك ليلاً ، فلمّا رأى أخي على ضوء المصباح ، قال له : ادنُ منّي ؛ فدنا منه وكَشَفَ عن جبهته وقال : هذا ما هو غندور عندك يا فلان ـ ثلاث مرات ـ ؛ ثم قال له ـ رضي الله عنه ـ : كيف تسمّيه ؟ فقال له : يا سيّدي سمّهِ أنتَ كيف شئت ..! ، فسكَتَ ساعة ، وقال : سمّه رَحّالاً . ولم يكن هذا الاسم عندنا في القبيلة ، ولم يتسم به أحد من أجدادنا ؛ فقال له بعض الإخوان الحاضرين : من أين لك يا سيدي هذا الاسم الغريب الذي لم يكن عندهم قطّ ؟ فضحك ـ رضي الله عنه ـ فقال : هذا الذي رَأيتُ ؛ فلما رجعنا إلى أهلنا ، وجدنا امرأة أخي ظهر بها حمل ، ولم يكن لهم بها علم قَبلُ ؛ فزاد عنده ولد وسمّوه رَحّالاً ، كما ذكر الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ؛ وتعجّب الناس من ذلك . قلت[٣٥] : وإنّما سماه « رَحّالاً » إشارةً إلى أنه سيرحل ، ولا يدوم ؛ فكان الأمر كذلك ، فإنّه عاش نحو الثلاثة الأعوام ؛ ومات ؛ فكان في هذا الاسم كرامةً أخرى .

[٣ ـ ٤] وقد سمعتُ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يقول لوالده[٣٦] بعد موته : المرة الأولى أعطيناك فيها رحّالاً ، وفي هذه المرة ، نعطيك من يقيم عندكم ، ولا يرحلُ عنكم .

[٣ ـ ٥] ثم قال سيدي عليّ : (ومنها أيضاً) أنّي ذهبتُ بعض الأيام إلى الصيد مع صاحب لي ؛ وكنت رجلاً صيّاداً بالمكحلة فتغدّينا في بيوتنا وقتَ الفطور ، وخرجنا ولم نحمل معنا خبزاً لأنا ظننا أن لا نبطئ ؛ فأخذنا « شاة غزال » بأسفل جبل في بلادنا يسمى جليذاً بأرضٍ صحراءَ ، كثيرةً الغزلان[٣٧] فيها ،

---

(٣٥) أي المؤلف الشيخ أحمد مبارك .

(٣٦) أي والد الغلام وهو أخو الشيخ علي بن عبد الله . بعد موته : أي بعد موت الغلام رحّال .

(٣٧) في بولاق : كثيرة الغزال ، فأبطأ .

فأبطأ بنا الحال ، وأخذنا الجوعُ عشية ، وندمنا على عدم حمل الخبز معنا ؛ فلما زرته - رضي الله عنه - بعد ذلك ، قال لي : لِمَ ذهبتَ إلى الصيد - يومَ الأربعاء - ولم تحمل معك ما يُؤكل ، فلقيكَ رجل وفتّشكَ فلم يجد عندك ما يؤكل ، ثم أخذتم « شاة غزال » بأسفل الجبل . فأعطاني نعتَ البلد كلها ، ونَعْتَ الجبل ؛ وقال لي : إن برأس ذلك الجبل ، عُوَينةَ ماء صغيرة قدر القصعة ، لا تيبس ، ولا تسيل خارجاً عن محلها ، لا تزيد ولا تنقص . وأنا لا أعرفها ، ولا يَطلَع إلى رأس الجبل إلا قليل من الصيّادين - وقليل ما هم - . فلما رجعت سألتُ عن تلك العُوينة ، فذكرها لي من يعرفها كما نعتَ الشيخُ - رضي الله عنه - .

قلت[٣٨] : والرجل الذي لقيه وفتّشه هو الشيخ - رضي الله عنه - . سألته - رضي الله عنه - عن الرجل ؟ ففسّره لي . وسمعته يقول : لا إله إلا الله ..! كم صلّينا عند تلك العوينة التي برأس الجبل أنا وسيّدي منصور ؛ وكان يعجبنا ذلك الموضع لعلوه .

[٣ - ٦] ثم قال سيدي علي : (ومنها) أنّه نعتَ لي بلادي كلَّها مرةً أخرى ، ونعتَ مسكَنَنَا كما هو ، ونعتَ غيره ؛ وهو منه على مسيرة أربعة أيام ولم يره قطّ ، وكان كما وصف - رضي الله عنه - لم يُزِد ولم يُنقِص .

[٣ - ٧] (ومنها) أنّي لمّا زرته مرة أخرى ونعت مسكننا كما هو قال : لِمَ تربطُ خيلك في ذلك الموضع ؛ وهناك رجل صالح مدفون عند أرجُلِ خيلك ؟ وما رأينا أَثَرَ قبر قطّ ، ولا بإزائنا مقبرة ؛ وبيننا وبين المقبرة نحو نصف ميلٍ ، فقال لي - رضي الله عنه - : بِمُراحك[٣٩] سبعة قبور ، ولا عليك فيها ، إلا ذلك القبر الذي عند أرجُل الخيل ، فحوِّلْ خيلك عن ذلك الموضع ووقِّرْه واحترمْه ، واجعلْ عليه حائلاً يحول بينه وبين ما يؤذيه . فقال له بعض الإخوان الحاضرين :

---

(٣٨) القائل هو المؤلف الشيخ أحمد .

(٣٩) المُراح : بالضم حيث تأوي إليه الإبل والغنم بالليل . مختار الصحاح .

يـا سيـدي ممن هـو ؟ فقـال : مِن عَرَبٍ بين « وجـدة وتلمسـان »[٤٠] ؛ كان معـاشراً للصياغـات ، وكانوا يعـدّونـه من جملـة الطلبـة ؛ وليس معروفـاً عنـدهم بـالصلاح ؛ ومـات ودفن هنـاك ، فـأخـذنـا نسمّي لـه الأعراب التي بين وجـدة وتلمسـان ؛ وهو يقول : لا ؛ حتى ذكرنا له أولاد رياح[٤١] ، فقال : منهم . وهو - رضي الله عنـه - لم يعرف بلادنا ، ولا مَسْكَننا ، ولا وجدة ، ولا تلمسان ، ولا الأعراب التي بينهما ، ولم يطأها ، ولا رآها قطّ ؛ ثم قال لي : إن أردت أن تقف عليه فخذ الفـاس ، وانبش به ، تجدْه ، فقلت له : يا سيّدي ...! أين هو في المُراح ؟ فقال لي : هـا هو غربيّ بيت ابنك ، خارجَه ، مقـابلاً للمطمورة[٤٢] التي من جهـة بـاب المُراح . وعنـدنـا في المُراح ثـلاثـة مطـامير ، ولمـا رجعتُ إلى أهلي ذكرتُ لهم ذلـك ، وأخـذنـا الفـأس ، ونَبَشنـا بـه في الموضع الـذي وصف ؛ فـوجـدنـا الأمر كلـه كما ذَكَر - رضي الله عنـه - وتعجب الناس من ذلك ؛ قلت للشيخ - رضي الله عنـه - : ولِمَ كانت القبور التي في مُراحه لا بأس عليه فيها إلا قبر هذا الوليّ ؟ فقال - رضي الله عنه - : لأن روح هذا الولي كانت مُسرَّحـة ، وروح غيره كانت محبوسـة في البرزخ . وقد طـال الأمـد على القبور ، ومر عليهم نحو الثلثمائة سنة . فزال عنّي الإشكال ؛ والحمد لله على ذلك .

[٣ - ٨] ثم قال سيّدي عليّ : (ومنها) أنه ذهب معي - لزيـارتـه رضي الله عنه - ابنُ عمّي وكان نسيبي[٤٣] ، فجئنا للشيخ ، وتركنا امرأةَ ابنِ عمّي حاملاً ، ونية ابن عمي في زيارته أن يشكو للشيخ بقلة الشيء ، وغلبة الفقر ؛ وذلك أولَ زيـارتـه للشيخ - رضي الله عنه - ؛ فلما رآه - رضي الله عنه - قال له : ألكَ زوجـة ؟ قـال : نعم يا سيّدي ، فقال له : أهي حامل ؟ قال : نعم ، يا سيّـدي ، فقـال لـه : أتحب أن تلدَ لكَ بنتاً مرزوقة ؟ فقـال : نعم ، بـالفرحـة عليّ يـا سيـدي ..! ذلـك الـذي

---

(٤٠) وجدة : مدينـة شمالي المغرب الأقصى فيهـا جـامع مشهور أثري وهي الآن قرب الحدود مع الجزائر وتـابعـة للمغرب .
تلمسان : مدينة في الجزائر فيها جامع مشهور أثري .

(٤١) في ظ ١ : أولاد رباح .

(٤٢) المطمورة : حفرة يطمر فيها الطعام أي يَخْبأ . مختار الصحاح .

(٤٣) النسيب : القريب . مختار الصحاح .

نحبّ ؛ فجمع له ـ رضي الله عنه ـ بين خبر البنت ، وبين تيسير أمر الرزق ، الذي هو بُغيتُه ؛ فلما رجع إلى أهله وجد امرأته ولدت بنتاً وحضر ضحوةَ سابعها ، فوجدهم ينظرون كيف يسمّونها ، وكان الشيخ ـ رضي الله عنه ـ قال له : كيف تسمّيها ؟ فقال : كيف شئت أنت يا سيّدي ...! ؛ فسماها خديجة ؛ ولم يكن ذلك الاسم عندنا قطّ ، فتعجّب الناس من ذلك . قلت[44] للشيخ ـ رضي الله عنه ـ : لِمَ سميتُموها خديجة ؟ فقال ـ رضيَ الله عنه ـ : **كلُّ من فتح الله عليه ، وتهنأ ، وأدرك الفتحَ الكبير ، فـإنّـه إن أراد أن يتزوج امرأة ، طلب أن يكون اسمها « خديجة »** ؛ وإن زادت عندي بنت أحب أن يكون اسمُها « خديجة » ، لأن النبيّ ﷺ سعد بمولاتنا « خديجة » ، وأدرك معها خيري الدنيا والآخرة .

التيمن بزوجة اسمها خديجة

[٢ ـ ٩] ثم قال سيدي علي : (ومنها) أنـه ـ رضي الله عنـه ـ وَصَفَ لي زوجتي من رأسها إلى قدمها ، عضواً عضواً ، ما ظهر منها وما خفي : وكانت كما وصفها ـ رضي الله عنه ـ ، لم يزد ولم يُنقص : حتى لو كلّفت أنا بوصفها ما وصفتها كما وصف ـ رضي الله عنه ـ ، فلو حَضَرَتْ والله بين يديه ما زاد فيها معرفةً ؛ وكانت منه على مسيرة أربعة أيام ، ولم يَرَها قطّ .

[٢ ـ ١٠] (ومنها) أنّي كنت رجلاً كثيرَ النوم ، فتارة أفيق عند طلوع الفجر فأطأ زوجتي في ذلك الوقت : وتارة يجدني الفجرُ نائماً : فلمّا حضرتُ بين يديه ـ رضي الله عنه ـ قال للإخوان الحاضرين : إنّ فلاناً كلّما قَدمتُ[45] عليه ـ عند طلوع الفجر ـ أجده إما نائماً ، وإما أن يطأ زوجته في ذلك الوقت ، فقال له بعض الإخوان الحاضرين : يا سيدي ..! ما الأفضل ؟ هل وطء الزوجة ، أو النوم في ذلك الوقت ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : وطء الزوجة أفضل من النوم في ذلك الوقت ، ولكن **وطء الزوجة في أوقات الصلاة إن تكوّن منه ولد فإنه لا يكون بإذن الله إلا عاقاً لوالديه** . فتبت إلى الله من ذلك ولم أَعُد إلى ذلك ، ولا إلى النوم في ذلك الوقت ، منذ سمعت منه ذلك ـ رضي الله عنه ـ .

مهمة

وطء الزوجة أوقات الصلاة

---

(٤٤) القائل هو المؤلف الشيخ أحمد .

(٤٥) في بولاق : أقدمت .

قلت[٤٦] : وفي قوله : « إن الولد الكائن من ذلك الوطء يكون عاقاً » كرامةً أخرى ، فإنّ سيّدي عليّ بن عبد الله - رحمه الله - يشكو العقوق من أولاده كثيراً ؛ ورأينا منهم من يفعل له أفاعيل كبيرة[٤٧] .

مداعبة الزوجة

[٣ - ١١] (ومنها) أنّي كنت رجلاً كثيرَ الملاعبة لزوجتي ، وأنوّع لها في الملاعبة أنواعاً ؛ فذكرت بعض ذلك لبعض الأخلاّء من الإخوان ؛ فذكر ذلك للشيخ - رضي الله عنه - كالذي يعيب عليّ ، فضحك الشيخ - رضي الله عنه - وقال : إنما ذكر لك بعضَ ما يفعل ، وبقي مما يفعل ، أنه يفعل كيتَ وكيتَ ؛ حتى ذكر له كلّ ما كنتُ أفعلُ ؛ وأنا أسمع ، ولا يَقدرُ أحد أن يبوح به لأحد ؛ ولا يطلع عليه أحدٌ إلا الله تعالى ، ثم قال - رضي الله عنه - : ولكنّ ذلك هو السُّنّة ، وكلُّ ما تفعل من ذلك فله به حسنات ؛ فسُررتُ بذلك . والحمد لله رب العالمين .

هذا ما حَضَرَنا وقتَ التقييد . وكراماتُه - رضي الله عنه - لا تحصى - نفعنا الله به وأماتنا على حبّه ، وحشرنا في حزبه بجاه سيّدنا محمّد نبيّه ، وحبيبه ﷺ وعلى آله وصحبه ا هـ .

وفاة تلميذه علي بن عبد الله الصباغي

قلت[٤٦] : وقد استجاب الله دعاءه ، فإنّه - رحمه الله ورضي عنه - لما دنت وفاته حدّثه قلبه بقرب أجله ، فودّع أهله بالصباغات ، وقال لزوجته : إنّي أذهب إلى الشيخ - رضي الله عنه - بفاس لأموت عنده ؛ فقدم على الشيخ - نفعنا الله به - ومرض ، فأمره الشيخ بالوصية ، والتأهب للقاء الله - عز وجل - ، فامتثل أمرَ الشيخ ، ومرّضه - رضي الله عنه - في داره ، وكانت زوجته ومن معها يصنعون له ما يليق بالمريض ؛ فلما قرب أمره قال الشيخ رضي الله عنه - وهو في البيت وسيّدي عليّ بالصقلابية - لمن حضر : إن سيّدي علياً الآن رأى النبيّ ﷺ وأبا بكر - رضي الله عنه - ؛ فصعدوا للسيّد عليّ يسألونه ، فوجدوا لسانه قد سقط فكلموه ففهم كلامهم وهزّ رأسه - أيْ نعم - ، وجعل يفتح فاه كهيئة الضَحِك ، ثم بعد ذلك اتصل تبسّمه وفرحه ، إلى أن خرجتْ روحه ؛ فسمعتُ الشيخ - رضي الله عنه - يقول :

---

(٤٦) القائل هو المؤلف الشيخ أحمد مبارك .

(٤٧) في ظ ١ : كثيرة .

لقد رحمه الله - عز وجل - بمنّه وفضله ، ولو جلس في الصبّاغات تسعين عاماً ما أدرك الحالة التي مات عليها .

[٤] وكتب إليّ الفقيه سيّدي عبد الله بن عليّ التازيّ ما عاينه بعضُ الأصحاب ؛ فعرضته على الشيخ أيضاً فصدّقه . ونصّ ما كَتَب :

ما كتبه التازي عن شيخه الدباغ رضي الله عنه

الحمد لله . ذِكْرُ بعضِ كرامات شيخنا وكنزنا وذخرنا ، غوثِ الزمان وينبوعِ العرفان ، سيدي ومولاي عبد العزيز - نفعنا الله به آمين - :

[٤ - ١] (منها) **ما ذكر** لنا الثقة سيّدي **عبد الرحمن المخوخي : أنّه** كان ذات يوم مع الشيخ - رضي الله عنه - بإزاء « مولاي إدريس » ؛ ومع الشيخ - رضي الله عنه - حينئذ الشيخ العلامة سيّدي أحمد بن مبارك . قال سيّدي عبد الرحمن : فبعثني الشيخ لداره بقصد قضاء حاجة ، فذهبت مسرعاً نحو الدار ، وتركتُ الشيخ - رضي الله عنه - بالموضع المذكور : فلما وصلت الدار وجدت رجلاً يطلب الشيخ ليأخذ ثيابه ، ليغسلها . فبينما نحن ننتظر قدوم الشيخ من « مولاي إدريس » وإذا به - رضي الله عنه - خرج من داره وثيابه في يده فأعطاها للذي يريد غسلَها ؛ وحين تركته بـ « مولاي إدريس » تركته يمشي بالقباقيب ، لطين ووحل في الطريق لكثرة[٤٨] المطر ، ولو كان يمشي بنعله وذهب الذهاب المعتاد لم يكن أن يسبقني إلى الدار ، لأنّي جئتها مسرعاً غاية الإسراع .

[٤ - ٢] (ومنها) ما ذكر سيّدي عبد الرحمن - أيضاً - قال : كانت للشيخ مرآة[٤٩] ينظر بها في الكتب ، فتلفتْ له ، فجئته بمرآة أخرى منْ عند حبيبه وصديقه الحاجّ محمد الكوّاش ، فوجدها لا تليق فقال : انظروا المرآة الأولى فإنّها صافية ؛ لعلّكم تجدونها . قال : فأخَذْنا كتاباً كان يضعها فيه وفتشناه ورقة ورقة غيرَ ما مرة ، فلم تجدها فيه ، فتغير الشيخ حينئذ ، وتنكّر وجهه ؛ فقلت له : يا سيّدي ..! ما لك ؟ فقال : إنّي تغيّرت على هذه المرآة : ثم رفع الكتاب الذي

---

(٤٨) في بولاق : من المطر .

(٤٩) المقصود بالمرآة هنا حسب المفهوم من السياق : هو المكبِّر - العدسة - الذي يستعمل لتوضيح الأحرف أثناء القراءة ، أو نوع من المرايا غير المستوية التي تكبِّر ما تعكسه ا هـ . المحقق .

فتشناه ، والمرآة التي ليست بجيدة في أنفه ، فسقطت من أنفه ، فوضع الكتاب ، فوجد المرآة التالفة مطروحة فوقَ ظهره ، فقال لولده مولاي عمر : قلْ لأُمّك : الحمد لله ؛ قد ردّ الله عليّ مرآتي .

(ومنها) قال سيّدي عبد الرحمن : كنا نجلس مع الشيخ - رضي الله عنه - في فصل البرد الشديد فنشاهد جبينه - رضي الله عنه - يسيل بالعرق سيلاناً كثيراً ، وقد شاهدنا انتقاله عن هذه الحالة . قلت للشيخ - رضي الله عنه - : ما سبب انتقال هذه الحالة ؟ قال - رضي الله عنه - : إن العرق الذي يسيل منّي كان في أول الأمر ، حيث كانت المشاهدة تحضر وتغيب ؛ فإذا غابت كنتُ كواحد من الناس ، فإذا رجعتْ أخذتْني عن حالة الآدمي ، فإذا ذهبتْ رجعتُ إلى الحالة الآدمية فإذا رجعتْ نقلتني عنها . فكان ذلك يضرّني كثيراً ، ولمّا دامت عليّ وصارت لا تغيب وأَنِسَت الذاتُ بها ، صارت لا تتأثر بها .

[٤ - ٣] (ومنها) أيضاً ما وقع لكاتبه عبد الله بن علي ولأخيه عبد الرحمن المذكور ، أنّهما صعدا يوماً على سطح مدرسة العطّارين . قالا : فرأينا على سطوح الدور نسوةً مجتمعات ومتفرقات . فجعلنا ننظر إليهن ونتذاكر أمرهن فيما بيننا ونضحك أحياناً ، ثم وثب أحدنا مرة إلى الهواء من قوّة ما غلب علينا من المزاح ، فلما قدمنا دار الشيخ رضي الله عنه وجلسنا في الصقلابية المعروفة جعل - رضي الله عنه - يضحك ضحكاً كثيراً ، ويقول : ما أملح الشيخ الذي لا يكاشَف ...!! ثم قال : أين كنتما ؟ اصدُقاني ولا تكذبا عليّ ؛ فذكرنا له الأمر الذي كان ؛ فجعل - رضي الله عنه - يذكر لنا أمر النسوة ، ومكانهنّ في السطوح - كأنه حاضر معنا - ، وذكر لنا أيضاً الوثبة المتقدمة ، من غير أن نذكرها له ، فذكر لنا - رضي الله عنه - أنه كان حينئذ جالساً مع بعض من قصده للزيارة ، فلم يشعروا به حتى تفرقع بالضحك ، وذلك حين شاهد تلك الوثبة ؛ فظنّ من حضر أنّه كان يضحك عليه .

[٤ - ٤] (ومنها) قال سيدي عبد الرحمن : كانت امرأتي حاملاً ، فلما قدمنا على الشيخ ذكرنا له أمرَ الحمل ؛ فقال بعض من حضر ؛ - يضحك على سيدي عبد الرحمن - : إنما هو بنتٌ ، فقال له الشيخ : ادنُ منّي ، فقال له في أذنه : - واللهِ - إنّه لولد ذَكَر . فكان الأمر كما قال - رضي الله عنه - .

قال : وجئته ـ مرة أخرى ـ أزوره وتركتُ الولد مريضاً ، فطلبت من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ أن يدعوَ له بالشفاء ؛ فقال : أمهلني إلى مرة أخرى ، وأدعو له ؛ قال : فعلمتُ بذلك أن الولد يموت بالقرب ؛ فكان كذلك .

قال : وقد ذهبتُ لأزورَهُ مرة أخرى ، ـ وقد تركتُ الزوجةَ حاملاً ـ فقال لي الشيخ رضي الله عنه ـ وأنا عنده والزوجة « بتازة »(☆) ـ : إنها زادت عندك بنت . فكان الأمر كما قال ـ رضي الله عنه ـ .

[٤ ـ ٥] (ومنها) قال سيدي عبد الرحمن : توجهت للشيخ لأزوره « بفاس » ومعي ثلاثون أوقيّة للشيخ ؛ فلمّا دنوت من المدينة أخذت منها أوقيّة . قال : فلمّا أعطيتُ الدراهم للشيخ قال لي : أنت لا تترك عمايلك ، قُمْ اشترِ لي بموزونة تمراً ، وبثلاثة موزونات جبْناً(٥٠) ، مكان الأوقية التي أخذتَ ؛ فقلت له : يا سيدي إنّك تخلصتَ بالكَياسَة والعقل .

[٤ ـ ٦] (ومنها) قال سيّدي عبد الرحمن : قصدت الشيخَ للزيارة ، فلما جلست بين يديه قال لي : أيّ شيء كنتَ تفعل ليلةَ الأحد ؟ فقلت : وأي شيء يا سيدي ؟ فقال : حيث كنتَ تجامع أهلك ، وقد أجلستَ ولدك على الوسادة ، حيث أبى النوم ، وحيث كان القنديل على الصندوق ؛ أَوَ ما علمتَ أني حاضر معك ؟...!

وبالجملة فكرامات الشيخ ـ رضي الله عنه ـ لا تُعَدّ ولا تحصى ا هـ . ما كتبه [تلميذه الفقيه التازيّ] .

قلت : وقد ظهر من ذلك الوقت إلى وقتنا هذا ما لا يحصى من كرامات الشيخ ـ رضي الله عنه ـ . وكانت كتابة هؤلاء إلى أواخر عام ثمانية وعشرين ، وعرضت ما كتبوه على الشيخ يومَ عاشوراء عاشر المحرم فاتح سنة تسع وعشرين [١١٢٩ هـ] .

(☆) تازة : قرية . قلت : لعلها مصحفة أو محرفة عن التي ذكرها في معجم البلدان [« تادَلّة » : من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس] .

(٥٠) في بولاق وغيرها : اشتر لي موزونة تمراً ، وثلاثة موزونات ...

ما كتبه العربي الزيادي عن شيخه الدباغ رضي الله عنه

[٥]وكتب لي الفقيه الثقة الأرضي سيدي العربي الزيادي وغالب ما كتبه حضرته ، ورأيته بعيني ؛ وما لم أحضره سألت عنه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ فصدّقه . ونصّ ما كتب :

[٥ ـ ١] ومما وقع لي مع شيخنا الإمام غوث الأنام سيّدي ومولاي عبد العزيز ـ نفعني الله به ـ : أنّي كنت أشتري الكتب لبعض كتّاب المخزن ؛ فاشتريت كتباً عديدة ، وصرفتها له ، وصرف لي الدراهم قبل أن تبلغه ، فلما بلغته أرْعَدَ وأبرَق عليها ، لكونها لم تعجبه ، ثم ردها عليّ وأمرني أنْ أردّها على أربابها ، وإلاّ فنعمل لنفسنا ما لا نحبّ ؛ فهالني ذلك الأمر ، وأهمّني ، وأحزنني وأكربني ، وخفت من الكاتب لسطوته ، فذهبتُ إلى الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، وذكرت له المسألة ، وقلت له : إن أصحاب الكتب أبَوا أن يردّوها ، وبقيت متحيراً خائفاً ؛ وليس عندي ما يوفّي الثمن الذي صرفه الكاتب ؛ وللكاتب سطوة على أهلي . إلى غير ذلك من الأمور المعضلة في تلك الساعة . فقال لي الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : يا ولدي ..! لا تخش من شيء ـ إن شاء الله ـ ، فإنّه سيكون فرج ، ومخرج ، عن قريب ـ إن شاء الله ـ ؛ فلم نلبث إلا قليلاً ، حتى فرج الله بموت الكاتب ؛ قتله السلطان ـ نصره الله ـ ، وكان الفَرَج ، كما قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ .

[٥ ـ ٢] (ومن ذلك) : أنه وقع هَرْج عظيم في بلادنا تامسْنا[٥١] ، وكان قاضيها مؤاخياً لي في الله ـ عزّ وجلّ ـ ؛ فخفت عليه ، فجئت للشيخ ـ رضي الله عنه ـ ليدعوَ له بخير ، فقال : أما السيد الطاهر فلا تخف عليه مكروهاً ؛ وأما الكاتب فلا أضمنه . ولم أسأله عن الكاتب ـ وكان أيضاً مؤاخياً لي ، وللقاضي المذكور ؛ وهو صاحب الكتب السابقة ـ . فكان الأمر كما قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ؛ فإن القاضي لم ينله مكروه ؛ وقُتل الكاتب .

[٥ ـ ٣] (ومن ذلك) أيضاً : أنّه لما بلغنا موت الكاتب ، ـ ولم يعلم ذلك إلا القليل من الناس ـ ذهبت لدار الشيخ ـ رضي الله عنه ـ فنقرتُ الباب ؛ فخرج ؛ ولم

---

(٥١) تامسنا : اسم قرية بتونس . وفي معجم البلدان : تامست : قرية لكتامة وزناتة قرب المسيلة وأشير بالمغرب ا هـ . قلت : فلعلها نفسها قد تحرف اسمها .

نُعلمه بموت الكاتب ، فقال ـ رضي الله عنه ـ : ماتَ ذلك الكاتب ؟ فقلت : نعم سيّدي ، فقال : هو ما قلتُ لك أوّلاً ، ثم قال : وهل عندك شيء من كتبه ؟ فقلت : نعم سيّدي ، فقال لي : الله يخرج الأمور على خير وعافية ، فخفتُ من كلامه هذا ، ودخلني منه رُعب شديد ؛ فأكببت على يده وقبلتها وقلت : يا سيّدي إنّي خفت من جانب ذلك الكاتب ؛ وأعانني من حضر من أصحاب الشيخ فطلبوا لي من الشيخ الدعاء بخير ، فقال لي ولهم ـ حين رغبوا ـ : لا بدّ لك من الطلبة ، ولكنها سالمة ـ إن شاء الله ـ فبقيت متشوفاً لذلك الأمر ؛ ثم وقع الطلب والبحث والتفتيش على جميع من بينه وبين ذلك الكاتب خِلطة ؛ ونزل بمن قبضوه أنواعٌ من المحن : من ضَرْب الرقاب ، وسبي الأموال ، وهتك الحريم ؛ فهالني الأمر ، وزدت خوفاً على خوفي ، فأذهب إلى الشيخ ـ رضي الله عنه ـ فيقول : الموت لا ، والمحنة تقال[٥٢] ، فلم نزل على ذلك ، حتى جاء من يذهب بي إلى « مكناسة » ، فجئت به إلى الشيخ ، وأظهر له ـ رضي الله عنه ـ الفرح والسرور ، ودعا له بخير ، وأوصاه عليّ كثيراً ؛ فقال الرجل : على الرأس والعين يا سيّدي ؛ وقال لي الشيخ : إنك ترجع سالماً ؛ وبعث بسلامه مع الرجل إلى متولي البحث عن التفتيش للكاتب المذكور ، فذهبت « لمكناسة » وأعطيتُهم الكتب التي للكاتب فأخذوها وودّعوني فرجعت إلى « فاس ».والحمد لله .

ثم بقي هناك بعضٌ من يزيّن وجهه مع الظلمة ، فجعل يدلّ ذلك المتوليّ عليّ ، ويقول : بقيَتْ عنده أموال لفلان ـ في أكاذيب يفتريها ـ ، فلم أبق في « فاس » إلا جمعة ، وإذا بالرجل قد رجع ، وأظهرَ لي محبة وصداقة ؛ وقال : إن محبّكم قاضي « تامسنا » كتب إلى المتولي المذكور ـ بعد علمه بفصل القضية على خير ـ : أنْ وَجِّهْ لي فلاناً يلقاني بمدينة « سلا »[☆] ، فإن أردتَ أن تذهب فعلى خاطرك ؛ وإن أردتَ أن تقعد فعلى خاطرك ؛ ثم جئتُ به للشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، فجعل يذكر عنده مثلَ هذا الكلام ؛ والشيخ ـ رضي الله عنه ـ ساكت

---

(٥٢) في ظ ١ : تنالك .

(☆) سلا : مدينة قرب الرباط على البحر المحيط .

عنه ؛ ثم قال لي : يا فلان ...! الرأي الذي أشيرُ به عليك أن تذهبَ مع صاحبك هذا الرجل ولا بد ، وتذهب[٥٣] معك بنحو الثلاثين أوقية لتعطيها للمتولّي المذكور . فقال الرجل المذكور : وأنا - يا سيدي - هذا هو الذي يظهر لي ، والسيد العربي أخبرُ ؛ فقلت : يا سيدي ..! إن كان إنما يريد أن يذهب بي لأجل أخي السيّد « الطاهر القاضي » ، فما وجهُ ذهابي معه ولا بد ؟ وما وجه ذهابي بنحو الثلاثين أوقيّة ؟ فقال لي - رضي الله عنه - : اسمع ما أقول ، فإني لا أقول إلا الجدّ . ولم أشعر بالبلاء الذي في قلب الرجل وأن كلامه معي إنما كان حيلة وخديعة ، فلما لم أفهم وتماديت على الغفلة صرح لي الشيخ - رضي الله عنه - لما أرادوا[٥٤] والرجل يسمعه ، ولكنْ جلا ذلك بالضحك ، ثم قال لي الشيخ - رضي الله عنه - لمّا أردنا القيام من عنده : لا تخف من الموت ، والحبس تُحبس ؛ فذهبت مع الرجل لمكناسة ، ولم أذهبْ بالثلاثين أوقيّة ، التي أمرني الشيخ بها ؛ فلما بلغنا « مكناسة » ، أعرض عني ذلك المتولي ، وأمر بحبسي في داره ، ومنعني من الخروج ، حتى يشاور السلطان - نصره الله - عليّ . وقد شاور على أناس قبلي فقتلهم ، وكانوا من أهل بلادنا ، فدخلني من الخوف ما الله يعلمه ، وقلت : ما بقي إلا القتل . فذهب ذلك المتولي يشاور ؛ فصادف ببركة الشيخ - رضي الله عنه - كسوة سيدي أبي العباس السَّبْتي[٥٥] ، قدم بها بعض إخوان الكاتب المذكور ؛ فسمح له السلطان ، ولكلّ من انتسب إلى الكاتب ، فجاءني الفرج ببركة الشيخ - رضي الله عنه - ، غير أنهم قبضوني في السخرة[٥٦] ؛ وكانت السخرة[٥٦] ثلاثين أوقية ، فوقفتُ على كلام الشيخ - رضي الله عنه - حيث قال : اذهب معك بنحو الثلاثين أوقيّة . فما زلتُ أقوم وأطيح حتى يسرها الله عليّ - بمنّه وكرمه وفضله - وأطلق الله سراحي ؛ وذهبَت المحن - والحمد لله - . وكل ذلك ببركة الشيخ - رضي الله عنه - .

(٥٣) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والأزهرية وغيرها : وأن تذهب .

(٥٤) لما أرادوا : زيادة في ظ ١ وهي أتم معنى .

(٥٥) أبو العباس السبتي : (٥٢٤ - ٦٠١ هـ) ولي كبير ، له مقام مشهور بمكناسة ، نسبتُه إلى سَبْتَة مدينة على البحر في المغرب بينها وبين فاس عشرة أيام ا هـ . معجم البلدان . ولد بسبتة وتوفي في مراكش أهـ الوفيات .

(٥٦) في الأزهرية : السنخرة .

[٥ ـ ٤] (ومن ذلك) أيضاً : أني ذهبت بعد صلاة المغرب لداره ـ رضي الله عنه ـ ، وجلست ببابها ساعة طويلة ولم ندقّ الباب : فنزل ـ رضي الله عنه ـ من الصقلابية ، فسمعتُ حسّه في درج السُّلَّم فناداني : يا فلان ...! : فقلت : نعم سيدي ، فقال لي ـ رضي الله عنه ـ : ألم تزل بالباب منذ ساعة ، فقلت : نعم سيّدي ! والظلام نازل ، ولم أدقّ الباب ولم أخبر أحداً بأنّي بالباب ، حتى ناداني ...!! ، ثم خرج وقَبّلتُ يده السعيدة .

كشف

[٥ ـ ٥] (ومن ذلك) أيضاً : أنّي بتّ ذاتَ ليلة بغير بيتي بالمدرسة ؛ فذهبت إليه ـ رضي الله عنه ـ غُدوة[٥٧] ، فخرج إليّ ، وقال : أين بتّ البارحة ؛ ولِمَ لم تبت في بيتك ؟ فقلت : يا سيدي بل بتُّ في بيتي ـ وأردتُ أن أرُوغ[٥٨] ـ ، فقال : ألم تبت في موضع كذا وكذا ؟ فقلت : لا يا سيدي ، فقال لي ـ رضي الله عنه ـ : إن لم تصدقني أخبرتك بكل ما فعلتَ البارحة في ذلك الموضع ، فخفت من الفضيحة ، وقَبّلت يده الكريمة ؛ وقلت : صدقْتَ يا سيدي ..!

[٥ ـ ٦] (ومن ذلك) أيضاً أني كنت ذات يوم بالمدرسة ، وأنا أتجادل مع رجل جاهل بقَدْر الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في شأن الشيخ ـ نفعنا الله به ـ ؛ فلما ذهبت إليه بعد ذلك ، قال : مَن الرجل الذي كنتَ تتكلم معه البارحة ؟ وأيّ شيء قلت ؟ وأيُّ شيء قال ؟ فسكتُّ ؛ ثم أتى ـ رضي الله عنه ـ بالقصة على وجهها .

وكراماته رضي الله عنه لا تعد ولا تحصى ا هـ . ما كتبه [النقيه الزيادي] .

عودة إلى وقائع الشيخ أحمد المبارك مع شيخه عبد العزيز قدس سره

[١ ـ ١٤] قلت : ومن كرامات الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، أنّي كنت أتكلم معه ذات يوم في شأن رجل ، فقلت : يا سيّدي إنّه يحبّكم كثيراً ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : إنه ما يحبّني[٥٩] ؛ وإن شئت أن تجرّبه فأظهِرْ له في كلامك أنّك رجعت عن محبّتي ، واسمعْ ما يقول لك . فجاءني الرجل فقلت له : يا فلان إنه بدا لي أمر آخر ـ وجعلتُ أشير إلى ما يقتضي الرجوع ـ فبادر الرجل فقال : قد قلتُ لك

---

(٥٧) الغُدوة : ما بين صلاة الغداة ـ الصبح ـ وطلوع الشمس . مختار الصحاح والمصباح .

(٥٨) من راغ إلى كذا : مالَ إليه سراً وحَادَ . مختار الصحاح .

(٥٩) وفي ظ ١ : لا يحبني .

هذا ، ـ وأظهر باطنه الخبيث ـ فعند ذلك قلت له : إنما أردت اختبارك فظهر لنا ما أنت عليه ؛ فندم غاية الندم ، ثم أعلمتُ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ بذلك فقال لي ـ رضي الله عنه ـ : أَلَمْ أقل لك ذلك ؟

[١ ـ ١٥] (ومنها) أنّي كنت جالساً معه ـ رضي الله عنه ـ بالصقلابية ، فبينما نتحدث في شيء من الأمور ، وإذا بالسيدة زوجته قامت تبكي ، وجعلت تدور في الدار ـ وقد احترق كبدها مما سمعت ـ ؛ وذلك أنه جاءها الخبر بموت أخيها ـ وكان غائباً ـ ، فقال لها ـ رضي الله عنه ـ بعد ما أشرف عليها : إنه لم يمت ، وكَذَب من أخبركم بموته ، وأقسَمَ على ذلك . فوالله ما رجعت عن حالها ، لقوّة ما نزل بها ؛ ثم جاء الخبر بعد ذلك كما قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ وأخوها إلى الآن في قيد الحياة .

[١ ـ ١٦] (ومنها) أنّه ـ رضي الله عنه ـ كان صاعداً نحو القَرْصة[٦٠] ، فلقيه رجل ، كان له قريب غائب بالمحلّة ، مع مولاي عبد الملك بن السلطان[٦١] ـ نصره الله ـ ، فرأى الشيخَ ـ رضي الله عنه ـ وهو جالس مع بعض من ينتسب للصلاح وليس من أهله ؛ فقام ذلك الرجل للشيخ ـ رضي الله عنه ـ وقال : يا سيدي عبد العزيز ..! أعطني خبر أخي الغائب ـ يعني في المحلة ـ هل حيّ أو ميّت ؟ فإنّ سيّدي فلاناً ـ يعني المنتسب السابق الذكر ـ أعطاني خَبَره ، وأنّه حيّ . فتعامى عنه الشيخ ، فأبى الرجل إلاّ أن يخبره ؛ فقال الشيخ : فأمّا إذا أبيتم فخذ الخبرَ الصحيح : الله يرحم الحاج عبد الكريم السبكي ـ وهو القريب[٦٢] الغائب ـ يخبرك بخبره مَن صلّى عليه يوم مات ؛ قتله ابن السلطان . ثم بعد ذلك جاء الخبر كما قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ .

[١ ـ ١٧] (ومنها) أنه كان للشيخ ـ رضي الله عنه ـ خادم يخدم في القَرْصة

---

(٦٠) القَرْصة : البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء . مختار الصحاح .

(٦١) عبد الملك أبو مروان بن السلطان المولى إسماعيل : من الأشراف ، تولى الخلافة بعد أخيه (١١٣٩ هـ) توفي في ١١٤١ هـ .

(٦٢) في أكثر النسخ : الغريب ـ بالغين ـ وهو خطأ حسب أول الكلام .

مشاهرة ، ويعطيه أجرته كلّ شهر ؛ وكان مستتراً من ظُلم المخزن ؛ وكان له أخ يبحث عنه ويُعَرِّضَه للنوائب ؛ فكلّمه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ أن يتركه فأبى . ثم بلغ به الحال ، حتى ذهب إلى القائد ، وقال : إن أخي عند مولاي عبد العزيز ، وإنه منعني منه . فأرسلَ القائد صاحبَه ، فبينما أنا جالس معه ـ رضي الله عنه ـ في العَرْصة إذ أقبل الحَرَسيّ المُرسَل ، فقال للشيخ : قم للقائد ، فقال له الشيخ : أنا ؟ فقال الحرسيّ : نعم . فقال الشيخ رضي الله عنه : سمعاً وطاعة ؛ إنما أنا مسكين ورعية ؛ فقال لي : قم ؛ فذهبنا متوجهين نحو القائد ؛ ثم ندم الحرسي وقال : يا سيدي الحاجة إنما هي بأخي[٦٣] هذا الشاكي ، فَمَكِّنا منه وارجع ؛ فقال : وهل منعتكم منه ؛ فأخذوه وانطلقوا به ، فما بقي أخوه إلا نحواً من شهر وسافر إلى الآخرة ؛ ورجع بعد ذلك أخوه إلى العَرْصة ، ولم يَبقَ له مشوّش .

[١ ـ ١٨] (ومنها) أن بني بزتاسن[٦٤] ـ القبيلة المعروفة ـ لمّا وقع بينهم وبين السلطان ما وقع ، وظفر بمن ظفر منهم ؛ أراد بعض الكتّاب من أهل « تازة » أن تنقل[٦٥] نارهم إلى أهل « تازة » فزَوّر كتاباً على أهلها ، ذَكَر فيه : أنهم بعثوا إلى بني بزتاسن ، وقالوا لهم : إنا معكم يد واحدة . وذهب بها إلى السلطان ـ نصره الله ـ وقرأها عليه ، فغضب ـ نصره الله ـ ، وأراد أن يبعث لهم من ينتقم منهم ، ثم بدا له ـ نصره الله ـ فحبسه ؛ وسمع بذلك أهل « تازة » فمرّ منهم من مرّ على الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، وشاوره في الهرب والجلاء عن بلادهم ، لأنهم خافوا من السلطان ؛ فقال ـ رضي الله عنه ـ لهم : إن كنتم تفعلون ما أقول لكم فأنا أقول ؛ فقالوا : قل يا سيدي ما جئنا إلا لنهتدي بنصيحتك ؛ فقال : ليكن هذا وجهكم إلى السلطان ـ نصره الله ـ ، واسبقوا عند[٦٦] الوزير . ففعلوا ما أمرهم به وذهب بهم الوزير إلى السلطان ، وأثنى عليهم خيراً ، وبَرَّأهم مما رماهم به ذلك الكاتب ؛ فما زاد ـ نصره الله ـ على أن أمر بذبحه ؛ وكان ذلك عاقبة أمره .

---

(٦٣) في الأزهرية : لأخي .

(٦٤) بنو بزتاسن . وفي بولاق : بزناسن . وفي ظ ١ : يزناس .

(٦٥) في ظ ١ : ينقل .

(٦٦) في ظ ١ : مَن عند الوزير .

[١ ـ ١٩] وكذا وقع لرجل آخر ، كان من جانب المخزن الفاسيين ، الذين قتل منهم نيف وعشرون في شوال سنة ثلاثين ومائة وألف ؛ فكان من قَدَرِ الله أن جاء هذا الرجل حين سمع بالبحث والتفتيش عليهم ، قبل القبض على القائد ؛ فشاور الشيخ في الهروب ؛ فقال : لا تفعل واذهب إلى القائد بنفسك ، وقل له : ها أنا ذا ، فافعل بي ما شئت ، فأنا عند الأمر والطاعة . فذهب وفعل ما قال له الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ؛ فقال له القائد : إن كنت كما تقول فاذهب إلى ناحية فَجيج[٦٧] ، وكن مع تلك الرماة الذين بتلك الناحية . فجاء إلى الشيخ ، وذكر له ما أمره به القائد ، فقال له الشيخ : العزم العزم ، بادِرْ بالخروج إلى الناحية المذكورة . فبعد ما خرج بأيام قليلة قُبض القائد وأصحابه ، فمات منهم العدد السابق ؛ ونَجّى الله ذلك الرجل السابق ببركة الشيخ ـ رضي الله عنه ـ .

وهذا دأبه رضي الله عنه في هذا الباب ، فإنّي ما رأيت أحداً شاوره في الهروب من المخزن إلا أمره بالذهاب إليه ، ولا تكون عاقبته إلا خيراً . ولو ذكرتُ الحكايات الواقعة له في هذا المعنى لطال الكلام .

[١ ـ ٢٠] (ومنها) أن بعض الحكّام عزله السلطان وجعله في زوايا الإهمال ؛ فأرسل إلى الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يطلب منه أن يرجع إلى الولاية ، فوعده ـ رضي الله عنه ـ بها ، فلم يذهب الليل والنهار حتى ولاّه السلطان ، ورجع إلى حالته الأولى ؛ فأرسل إليه الشيخ يرغبه في بعض حَمَلَة كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ لكي يسمح لهم في بعض المغارم ، فأبى وامتنع ، فلقي أخو ذلك الحاكم الشيخَ ـ رضي الله عنه ـ فوعده بأن يتولّى مرتبة أخيه ؛ فكان الأمر كذلك ؛ فإنه لم يبق بعد امتناعه من قَبول رغبة الشيخ ـ رضي الله عنه ـ إلا مدّة قليلة ، ثم سافر إلى الآخرة ، وولي أخوه مرتَبتَه ؛ وقضى حاجَةَ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في أولئك المرغوب فيهم .

[١ ـ ٢١] (ومنها) أنّي أولَ ما عرفته ، كانت تحتي ابنة الشيخ الفقيه العالم العلامة سيّدي محمد بن عمر السجلماسي ـ نزيلِ زاوية « مولاي إدريس الأكبر » ،

---

(٦٧) فجيج (وفي ظ ١ : هجيج) .

وإمامها وخطيبها ـ ؛ وقد عَرفتَ مكانته ـ رحمه الله ـ : فكنت أحب البنتَ حباً شديداً ، لكمال عقلها ، وحسنِ عِشرتها ، ولين جانبها في مواردها ومصادرها : ولما علم ـ رضي الله عنه ـ مكانتها في قلبي ، وأني لا أحب أحداً حُبَّها : جعل يسألني في بعض الأحيان ، ويقول : هل تحبني مثلَها أو هي أكثر ؟ فأُصْدُقه ، وأقول : هي أكثر ـ وكنت معذوراً بجهلي بمكانة الشيخ ، وإمامته في ذلك الوقت ـ فكان يتأثر بذلك وحُقَّ له ـ رضي الله عنه ـ فإن « **المريد لا يجيء منه شيء حتى لا يكون في قلبه غير الشيخ والله والرسول**[٦٨] » . فكان يسايرني في هذا الباب ، ويريد أن ينقلني عن تلك الحالة ؛ فلما أن أبيت ، وسبق من قدر الله ما سَبق ، دخلتُ عليه ذات يوم ـ رضي الله عنه ـ وذلك صبيحة ليلة سبع وعشرين من رمضان عام خمسة وعشرين ومائة وألف ؛ فما زلنا نتكلم ، حتى قال : « **إن مخالطة الأولياء بمنزلة أكل السموم** » ؛ وقد كان سيّدي فلان لما عَرَفَه مريده لم يترك له امرأةً ولا ولداً ، حتى أفردَه به ؛ ولم أفهم الإشارة حتى نزل بالمرأة ما نزل . ـ وكان بقرب ذلك الكلام ـ ؛ فبقيَتْ في مرضها إلى أن توفيت ـ رحمها الله ـ ؛ وكان رضي الله عنه يحبها محبة شديدة ، ـ فهنيئاً لها ـ . وما زال يؤنسها في مرضها ، ويبعث لها بالأدوية والأشربة وكلّ ما يحبّه المريض ، ويعدها بالشفاء ـ ويعني به شفاءَ الآخرة ، كما أخبرنا بذلك ـ . ولما توفيتْ بقي قلبي متعلّقاً بولد تَركته لي ، فجعلتُ إذا نظرت فيه اشتغل به قلبي ؛ فبقي مدة قليلة بعد أُمّه ، ثم قبضه الله عز وجل . ثم إنّي تزوجت من الفقيه المذكور بنتاً أخرى ؛ فلما بنيت بها ، وجدتها والله فوق ما نظنّ ، في الحسن والجمال والعقل والكمال ، واستولت على قلبي ؛ فلم تبقَ إلا مدةً قليلة حتى قبضها الله ـ عز وجل ـ . ثم مَنّ الله عَليّ بمحبّة الشيخ ـ رضي الله عنه ـ المحبةَ التي لا محبّةَ فوقها ؛ وذلك أني كنت جالساً معه رضي الله عنه في الدار ، وهو يتكلم على محبة الله ، وكيف تكون ، وأوردتُ عليه أسئلةً كثيرة ، وأجابني عنها

أصل في الطريق

تنبيه

(٦٨) قلت : وهذا من باب التدرج بالوسائط والأسباب ، إذ محبة المريد شيخَه تنقله إلى محبة الرسول الأعظم ﷺ وبالتالي إلى محبة الله تعالى ومعرفته . والأدبُ مع الشيخ ينقله إلى الأدب الصحيح مع سيدنا محمد ﷺ ومن ثم يترقى إلى الأدب مع الحضرة الإلهية ، كما هو مقرر عند العارفين بالله تعالى . وفي ظ ١ : غير الله والرسول والشيخ . قلت : وفيها أدب التقديم أكثر .

ـ وقد قيدت ذلك وستراه إن شاء الله في أثناء الكتاب ـ ، ثم ضحك ـ رضي الله عنه ـ ، وقال : كيف نصنع معك ؟ ولم تَزَل تحبَّ المرأتين في الدنيا حتى نقلهما الله ـ عز وجل ـ إلى رحمته وأنزلها مع سائر الأرواح في البرزخ ، ثم لم تزل مقيماً على محبتهما المحبة الكاملة ؛ فإلى أي موضع ينقلهما الله عز وجل من البرزخ ويجعلهما فيه حتى يغيبا عن قلبك ؟ ففسل كلامُه هذا ـ والله ـ محبّتَهما من قلبي ، وخلّصت المحبةَ كلها للشيخ ـ رضي الله عنه ـ . ولقد تزوجت بنتاً ثالثة من بنات الفقيه المذكور ـ رحمه الله ـ ولم يتعلق بها قلبي فهي ـ والحمد لله ـ على السلامة والعافية .

[١ ـ ٢٢] (ومنها) أن السيدة زوجته وقع لها حمل ، فقالت له : يا سيدي عبد العزيز! ، ما لي حاجة بهذا الحمل ، وأولادي ـ والحمد لله ـ عندي ، وأنا ذاتُ مشقة وقيام على الدار ، ولا عندي أمَة تقوم عَليَّ إذا تمادى بي هذا الحمل ؛ فإن كانت الولاية التي يشار بها إليكَ حقاً ، فاللهُ يسقط عنّي هذا الحمل ؛ فلا حاجة لي فيه . وكان الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يوصيها إذا نامت وغطّت رأسها أن لا تُعَري وجهها خيفة أن ترى ما لا تُطيق ، فاتفق أن كشفت ذات يوم وجهها في وسط الليل ، فرأتْ مع الشيخ رضي الله عنه ثلاثةَ رجال من أهلِ الغيب ؛ فدخلها خوف عظيم ، أوجب لها إسقاطَ الحمل من بطنها .

[١ ـ ٢٣] (ومنها) وقد شاهد ذلك أهل الدار وبعض من قصد الشيخ للزيارة ؛ وذلك أنه ـ رضي الله عنه ـ كانت تحصل له غيبة خفيفة عن جسمه ، حتى إن الجالس معه يراه بمنزلة من خرجت روحه ، ولا تبقى في ذاته ـ رضي الله عنه ـ حركةُ نَفَس ، ولا غيرها ، إلا[٦٩] في شفتيه ، وما يقرب منها من العروق . فوقع له ذلك ذاتَ يوم ، فدخل من دخل عليه البيت ، فوجد النورَ يسطع على هيئة البرق إلا أنه أبطأُ وأصفى ، فخرج فأعلم من حَضر ، فدخلوا فعاينوا ذلك ، فلما كان الغدُ ، لقيت الشيخ ـ رضي الله عنه ـ وخرجتُ معه إلى القَرْصة ، فاسترجع وقال : لقد ظهر عَلَيّ بالأمس أمر ما كانت عادته إلا الستر : فقلت يا سيدي : لقد سمعتُ بهذا ، وما علمت سرّ الحكاية ، فقال ـ رضي الله عنه ـ : هو نوره ﷺ : وذَكَر ما كان ، ـ نفعنا الله به ـ .

ظهور نور على الشيخ الدباغ قدس سره هو من نوره ﷺ

(٦٩) وفي الأزهرية : ـ بدون ـ إلا ـ .

[١ ـ ٢٤] (ومنها) أنه كان لي بعض الأصحاب من حملة القرآن العزيز وهو من « الحبانية »[☆] ـ القبيلة المشهورة ـ ولما وقع للقبيلة المذكورة من العسف والظلم ما وقع سنة سبع وعشرين ، أرسلتُ للذي كان عليهم في شأن ذلك الصاحب ، فحرّره من جميع المطالب ثم عُزل بعد ولايته عليهم ـ نحواً من عامين ـ ؛ وتولاّهم من كنت أجزم أنّه لا يخالف ما أقول له ، فأرسلتُ إليه في شأن الصاحب ، فلم يقض شيئاً ، فأردت أن أرسل لقائده ؛ فقال لي الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : لو أراد الله تحريره لأجابك الوالي عليهم ، ولقضى مرادك ؛ فتعاميت ، وجعلت أرسل لمن يغلب في ذلك الوالي ، ومن بلغه كتابي منهم يفرح به ، ويصرح بقضاء الحاجة ؛ ثم يمنع الله منها ؛ فلا أحصي كم سعيتُ ، ولا قضى الله منها شيئاً ، فعرفتُ صدق كشف الشيخ ـ رضي الله عنه ـ .

[١ ـ ٢٥] (ومنها) أني كنت ذات يوم معه في العَرْصة ، ومعه شريف من أولاد الشيخ عبد السلام بن مشيش ـ نفعنا الله به ـ ، فقال له ذلك الشريف : يا سيدي ! إنّ رجلاً من أهل الجبل المجاور للشيخ عبد السلام دعاه الشرفاء للسلطان ، وقالوا له : إنه تزوج الشريفات ، وهو من العوامّ ؛ والسلطان ـ نصره الله ـ يكره ذلك كثيراً ؛ فلما سمعه أمر به ، فأتي به ، وحبسه ، ووعده بالقتل ؛ فقال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : أما يتقي الله ..! كيف يتزوج بنات مولاي عبد السلام وهو ملموز بتجر طانيت[٧٠] ...!!؟ ؛ فقال الشريف : يا سيدي من أين لك هذا ، وما عرفتَ الرجل ولا رأيتَه ، ولا اجتمعتَ به قطّ ، ولا أظنّك سمعتَ به قبل هذا ؟ وهذا الأمر الذي لمز به لا يعرفه إلا النادر من قبيلته ..!! ؛ فتعجّبَ من كشف الشيخ ، وقبّل يده الكريمة .

[١ ـ ٢٦] (ومنها) ما رأيته بخط يده الكريمة رأيته في كناش الحاج عبد القادر التازي . وكان الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في صغره يخدم عنده الشاشية ، بعد ما كان يخدمها عند رجل آخر قبله اسمه : محمد بن عمر الدلاي ؛ فسافر محمد

(☆) الحبانية : نسبة إلى قرية في الكوفة . اهـ . مراصد الاطلاع للبغدادي ٣٦٣/١

(٧٠) هكذا في كثير من النسخ . وفي ظ ١ : بتجر طابنت . وجاء في هامش طبعة بولاق : في نسخة بتجر طاب . قلت : لعلها اسم لحادثة مخزية وقع بها ذاك الملموز .

المذكور بقصد الحجّ ، وبقي الشيخ يخدم عند الحاج عبد القادر ـ السابق ـ . قال لي الحاج عبد القادر : فأخذَ ذاتَ يوم سيدي عبد العزيز الكناش وكتب فيه : الحمد لله وحده . توفي سيدي محمد بن عمر اليوم ؛ وانقلب إلى رحمة الله . قاله وكتبه ـ في شهر ذي القعدة عام ثمانية عشر ومائة وألف ـ عبد العزيز بن مسعود الدباغ ـ لطف الله به آمين ـ .

قال الحاج عبد القادر : فصِحْتُ به ، وقلت : أيُّ شيء تكتب ؟ قال : وكنت شاهدت له كراماتٍ قبل ذلك . قال : فأخذ القلم وخطّطَ على ما كتب ، وقال : ما كتبت شيئاً . قال : فلمّا قدم الحاجّ أخبَروا بموت محمد بن عمر المذكور في الشهر الذي ذكر الشيخ ـ رضي الله عنه ـ . فقلت للشيخ ـ رضي الله عنه ـ : كيف وقع لكم هذا ، والفتح إنما كان عام خمسة وعشرين ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : منذ لبست الأمانة التي أوصى لي بها سيدي العربي الفشتالي[٧١] ، حصل لي فتح ؛ ولكنه ضيّق ؛ فإذا توجهتُ إلى شيء لا أُحجب عنه ، ولكنّي لا أرى غيره . قلت : وصدق ـ رضي الله عنه ـ ، فإنّ الناس الذين كانوا يخالطونه في العشرة الثانية حدّثوا عنه بكشوفات وكرامات . بدء كشفه رضي الله عنه

[١ ـ ٢٧] (فمنها) أنه كان عند محمد بن عمر ـ المتقدم [ص ١٠٨] ـ يخدم الشاشية ، قَرُبَ صبيحةَ ذاتِ يومٍ من الطنجير الذي كانوا يصنعون فيه ، فصاح به القيم على الطنجير ، فغضب الشيخ ـ رضي الله عنه ـ وقال : والله لا يحمَى لكم هذا الطنجير ؛ ولو أوقدتم عليه ما أوقدتم ..!! . فجعلوا يوقدون عليه من الصبح إلى العصر ، وأفنوا عليه حطباً كثيراً ؛ والماء بارد . وكان محمد بن عمر غائباً عن موضع الخدمة . فلما جاء وأعلموه بالحكاية قال : يا سيدي عبد العزيز أردتَ أن تخليني ، وأنا أحبك ، وأفعل معك الخير ، ولا ضرر على هذا الذي صاح بك ، وإنما الضرر عليّ ، وأنا لا ذنب لي ....!! فلم يزل يستلطف بالشيخ ـ رضي الله عنه ـ ويستعطفه . قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : فاستحييت منه لكثرة خيره ، فإنه كان يعطيني الأجرة سواء خدمتُ ، أم لا ؛ ويقول : إنما أشدك عندي للبركة ، ولا عليّ

---

(٧١) تقدمت ص ٤١ .

في خدمتك . قال : فأخذتُ الحطب ، وجعلته تحت الطنجير ، وقلت لهم : إنكم لا تحسنون إيقاد النار ، وها الطنجير أخذ في الحماية ؛ فمسّوا الماء ، فوجدوه حامياً فتعجبوا . سمعت هذه الحكاية والكرامة من جماعة كثيرين ؛ وسمعتها من الشيخ أيضاً .

[١ ـ ٢٨] (ومن كراماته) رضي الله عنه : أني أسأله عن أقوال العلماء في المسألة فيعرفها ؛ ويعرف المسألة التي فيها خلاف ، والتي فيها وفاق ؛ ويعرف أقوال علماء الظاهر وعلماء الباطن في كل مسألة مسألة ؛ اختبرته في هذا[٧٢] نحو الستّ سنين . ويعرف الحوادث الكائنة في الأعصار السالفة . ولقد كنت ذاتَ يوم معه في سوق الخميس فسألته عن سبب الرعد والبرق والصواعق ، فذكر في ذلك كلاماً نفيساً ، ما يتكلم به إلا مثله . وانجرّ الكلام بنا إلى أن ذكرتُ له النار التي ظهرت بقريظة[☆] في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستّمائة ، وقد ذكرها القرطبي في التذكرة ، والحافظ ابن حجر في كتاب الفتن ، وأبو شامة والنووي ؛ وشرحوا أمرها . فأردت أنْ أذْكر كلامهم فجعل ـ رضي الله عنه ـ يذكر حكايتها ؛ وكيف كانت ، حتى ذكر ما ذكره العلماء رضي الله عنهم ، وزاد بذكر سبب خروجها ؛ ومن

نار قريظة سنة ٦٥٤ هـ

(٧٢) كذا في أكثر النسخ . وفي الأزهرية : وانجرّ الكلام بنا إلى نحو ...

(☆) **نار قريظة :** ظهرت سنة (٦٥٤ هـ) قبل قتل المستعصم وخراب بغداد بسنتين ـ ذكرها في الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي نقلاً عن السمهودي في تاريخ المدينة ـ ثم قال : ولما كان نصف النهار ظهرت تلك النار ، فثار من محل ظهورها دخان متراكم غشي الأفق سواده فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطع شعاع النار وظهر بقريظة بطرف الحرة ترى بصفة البلد العظيم عليها سور محيط ، عليه شراريف وأبراجٌ ومنائر وتُرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا أدركته وأذابته ، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق ، له دوي كدوي الرعد ، يأخذ الصخور من بين يديه ، وينتهي إلى محط الركب العراقي ؛ واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر ... ورؤيت من مكة ومن جبال بصرى ... وبات أهل المدينة مع أميرهم في المسجد النبوي يتضرعون ويبكون .. مستجيرين بنبيهم ﷺ . فصرف الله عنهم تلك النار المظيمة ذاتَ الشمال فسارت من مخرجها وسارت ببحْر عظيم من النار وأخذت في وادي أحيلين ، وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم واستمرت مدة ثلاثة أشهر .. وكانت تذيب الحجر ولا تحرق الشجر .. ولم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرة ... ثم استمرت حتى استقرت تجاه حرم النبي ﷺ فطفئت ا هـ . باختصار الإشاعة ص ٣٧ .

هو صاحب تلك النار التي يعذب بها في الآخرة ؛ في أسرارٍ أُخر لا تُذكر . فقضيتُ منه العجب .

[١ ـ ٢٩] واعلم أن كراماتـه ـ رضي الله عنـه ـ لا تعـدّ ولا تُحصى ؛ ولو تتبعت ما أعلم منها ، وما يعلمه الأصحاب ـ وفَّرَهم الله ـ ما وسعها إلا مجلد كبير . فلنقتصر على هذا القدر فإنّ فيه كفاية .

* * *

خاتمة المقدمة

اختباره رضي الله عنه بالحديث

ولنختم هذا الفصل بكرامة عظيمة ، كما افتتحناه بكرامة عظيمة ، وذلك أنّي لّما عرفته ـ رضي الله عنه ـ في أوّل الأمر ورأيت سَعَةَ عرفانه ، وفيضانَ إيمانه ، جعلت أختبره ، فأسألُه عن الحديث الصحيح من الباطل ؛ وكان عندي تأليف الحافظ جلال الدين السيوطيّ ـ رحمه الله تعالى ـ (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة) ، وهو تأليف عجيب ، رتب فيه الأحاديث المشهورة بين الناس على الحروف [الهجائية] ؛ ويَسِم كلّ حديث بسمته ، فيقول في الصحيح : صحيح : وفي المكذوب : مكذوب . ولا ينبغي للطالب أن يخلو منه ، فإنه كتاب نفيس[٧٣] .

[س] فسألت شيخنا ـ رضي الله عنه ـ عن حديث :

« أُمِرْتُ أَنْ أَحْكُمَ بِالظَّوَاهِرِ وَاللهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ » .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : ما قاله النبي ﷺ . وكذا قال الحافظ السيوطي .

[س] وعن حديث :

« كُنْتُ كَنْزاً لاَ أُعْرَفُ » [فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فعرّفتهم بي فعرفوني] .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : لم يقله النبيّ ﷺ . وكذا قال الحافظ السيوطي : إنه لا أصل له .

[س] وعن حديث :

---

(٧٣) وهو كتاب مطبوع على هامش الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي .

« لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ » [قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر . فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أشرف منك ، فبك آخذ وبك أعطي] .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : لم يقله النبي ﷺ . وكذا قال أحمد بن حنبل ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ؛ وصرح ابن تيمية[٧٤] بأنّه كذب ؛ وقال الزركشيّ : إنّه موضوع بالاتفاق ؛ وكذا أورده الحافظ السيوطيّ في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ؛ وإن كان في الدرر المنتثرة ذكر له شاهداً صالحاً .

(قلت) : وذلك الشاهد من مراسيل الحسن البصري ؛ وقال ابن حجر في الشرح : إنه لا يحتج بمراسيل الحسن .

[س] وعن حديث :

« اتخذُوا عِنْدَ الْفُقَرَاءِ يَداً فَإِنَّ لَهُمْ دَوْلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ » .

[ج] فقال : إنه عليه الصلاة والسلام لم يقله . وكذا قاله الحافظ السيوطي في « الحاوي في الفتاوى » .

[س] وعن حديث :

« أحِبُّوا الْعَرَبَ لِثَلاثٍ : لِأَنّي عَرَبِيٌّ ، وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ ، وَكَلامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ » .

[ج] فقال : لم يقله عليه الصلاة والسلام[٧٥] .

---

(٧٤) ابن تَيْمِيَّة (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس ، شيخ الإسلام . ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق ، مات معتقلاً بقلعة دمشق . كان كثير البحث في فنون الحكمة ، داعية إصلاح في الدين . أفتى ودرس وهو دون العشرين . تصانيفه تزيد على (٤٠٠٠) كراسة قيل : تبلغ (٣٠٠) مجلد ، أشهرها « الفتاوى » . يؤخذ عليه تهجمه على السادة الصوفية ، وله بعض فتاوى شاذة منكرة ا.هـ . الأعلام ملخصاً ، وشيخنا أبو اليسر عابدين مذاكرة .

(٧٥) وسيأتي أيضاً ص ٢٤٥ . وقد جاء في النسخ أكثرها : أحِبُّ . قلت : وهو خطأ .

(قلت) : وكذا قال ابن الجوزي في الموضوعات ؛ وتصحيح الحاكم له متعقب[٧٦] .

[س] وعن حديث : « عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

[ج] فقال : ليس بحديث . وكذا قال الحافظ السيوطيّ في الدرر .

[س] وعن حديث : « أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمُ النَّخْلَةَ » الحديث[٧٧] .

[ج] فقال : ليس بحديث . وكذا قال ابن حجر في الشرح والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ، وابن الجوزي في الموضوعات .

[س] وعن حديث : « أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ » .

[ج] فقال : ليس بحديث . وكذا قال الحافظ ابن كثير[٧٨] ، والحافظ ابن الجزري في النشر[٧٩] ، والحافظ السيوطي في الدرر .

---

(٧٦) رواه الطبراني في معجميه الكبير والأوسط ، والحاكم في مستدركه والبيهقي في الشعب ، وتَمّام في فوائده ، وآخرون . كلهم من حديث العلاء بن عمرو الحنفي بالسند عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه بهذا . وفيه ضعف - كما قاله الطبراني والبيهقي - ومتابعةُ محمد بن الفضل التي أخرجها الحاكم أيضاً من جهته عن ابن جريج لا يُعتدّ بها ، فابن الفضل لا يصلح للمتابعة ، ولا يعتبر بحديثه للاتفاق على ضعفه ، واتهامه بالكذب ؛ ولكن لحديث ابن عباس شاهد رواه الطبراني أيضاً في معجمه الأوسط عن أبي هريرة مرفوعاً : « أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » . وهو مع ضعفه أيضاً أصح من حديث ابن عباس [الذي ذكره المؤلف] . وأخرج أبو الشيخ في الثواب بسند ضعيف عن أبي هريرة مرفوعاً : « أحبّوا العرب وبقاءهم ، فإن بقاءهم نورٌ في الإسلام ، وإن فناءهم ظلمة في الإسلام » ، وفي حبّ العرب أحاديث كثيرة أفردها بالتأليف العراقي ا هـ . ملخصاً من المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي .

(٧٧) وفي بعض النسخ : عماتكم النخل . وهو خطأ . وسيأتي أيضاً ص

(٧٨) الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب عمر بن كثير الشافعي المتوفى ٧٧٤ هـ صاحب التفسير ا هـ . من تفسير ابن كثير .

(٧٩) محمد بن محمد بن الجزري (٧٥١ - ٨٣٣ هـ) : إمام الحفاظ وحجة القراء زمنه فما بعده ، له طيبة النشر في القراءات العشر والنشر وتقريب النشر وطيبة النشر وغاية النهاية في طبقات القراء . ولد ونشأ في دمشق ، ورحل إلى عدة بلاد . الأعلام وغاية النهاية .

وعن أحاديث كثيرة لا أحصيها فوافق كلامُه ـ رضي الله عنه ـ كلامَ العلماء .

ومن عجيب أمره وغريب شأنه ـ رضي الله عنه ـ أني إذا خضت معه في هذا الباب يميز الحديث الذي أخرجه البخاري وليس في مسلم ؛ والذي أخرجه مسلم وليس في البخاري .

فلما طالت خبرتي له ، وثبت عندي معرفته بالحديث من غيره ، سألته عن السبب الذي يعرف به ذلك ؟ فقال مرة : كلام النبيّ ﷺ لا يخفى . وسألته مرة أخرى ؛ فقال : إن الشخص في الشتاء إذا تكلم خرج من فمه الفُوَار[٨٠] ؛ وإذا تكلم في الصيف لا يخرج من فمه فوار . وكذلك من تكلم بكلام النبيّ ﷺ ، خرج النور مع كلامه ؛ ومن تكلم بغير كلامه خرج الكلام بغير نور .

[س و ج] (وسألته) مرة أخرى ، فقال : إن السراج إذا تغذّى قوي نوره ، وإذ ترك بقي على حالته ؛ وكذا **حال العارفين إذا سمعوا كلامه ﷺ تقوى أنوارهم ، وتزداد معارفهم** ،وإذا سمعوا كلام غيره بَقُوا على حالتهم . ضرب مثل

فلما ظهر لي رسوخ قدمه في هذا ، وأنه جبل لا يتزلزل ، في معرفةِ ما خرجَ من شفتي النبي ﷺ ،بدا لي أن أختبره في الفرق بين القرآن والحديث ، ـ فإنه لا يحفظ من القرآن حزب « سبح »، فضلاً عن غيره ـ ؛ فجعلت أذكر له ـ مرة ـ آية ، وأقول : هل هي حديث ؟ أم قرآن ؟ فيقول : هي قرآن . ثم أذكر له حديثاً ، وأقول له : هل هو قرآن ؟ أو حديث ؟ فيقول : هو حديث . وطال اختباري له في هذا الباب ، حتى ذكرت له مرة قوله تعالى : اختبار

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى ﴾ ، وهي صلاة العصر . ﴿ وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

فقلت : قرآن هذا أو حديث ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : فيه قرآن ، وفيه حديث ؛ فقوله : « وهي صلاة العصر » خرج من شفتي النبيّ ﷺ وليس بقرآن ،

---

(٨٠) الفُوار أي البخار . وفي مختار الصحاح فُوَارة القدر : بالضم والتخفيف ما يفور من حرّها .

والباقي قرآن . وكان حاضراً معي جماعة من الفقهاء حين سألته فتعجبنا ـ والله ـ جميعاً منه .

فلما علمت أنه لا يخفى عليه القرآن من الحديث ؛ بدا لي أن أختبره في الفرق بين القرآن والأحاديث القدسية ، فجعلت أذكر له الحديث القدسي ، وأقول : أهو قرآن ؟ فيقول : ما هو قرآن ، ولا هو بالحديث الذي كنتَ تَسأل عنه ، أوّلاً . هذا نوع آخر من الحديث ، يقال له : الحديث الربّاني . فقبّلت يده الكريمة ، وقلت له : يا سيدي ؛ نريد من الله ، ثم منكم أن تبيّنوا لي الفرق بين هذه الثلاثة ؛ فإن الحديث القدسي له شبه بالقرآن ، وبالحديث الذي ليس بقدسي ، فيشبه القرآن من حيث هو مُنزل ، ويشبه ما ليس بقدسي من حيث إنه ليس متعبَّداً بتلاوته ؟

اختبار

فقال ـ رضي الله عنه ـ : الفرق بين هذه الثلاثة (وإن كانت كلُّها خرجت من بين شفتيه ﷺ وكلها معها أنوار من أنواره ﷺ) : أن النور الذي في القرآن قديم ، من ذات الحقّ سبحانه ، لأنّ كلامه تعالى قديم ؛ والنورُ الذي في الحديث القدسي من روحه ﷺ وليس هو مثل نور القرآن ، فإنّ نور القرآن قديم ، ونور هذا ليس بقديم ؛ والنور الذي في الحديث الذي ليس بقدسي من ذاته ﷺ . فهي أنوار[81] ثلاثة اختلفت بالإضافة . « **فنور القرآن من ذات الحق سبحانه ، ونور الحديث القدسي من روحه ﷺ ، ونورُ ما ليس بقدسي من ذاته ﷺ** » .

مطلب هام الفرق بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي

[س] (فقلت) : ما الفرق بين نور الروح ونور الذات ؟

الفرق بين نور الروح ونور الذات

[ج] فقال رضي الله عنه : الذات خلقت من تراب ؛ ومن التراب خلق سائر العباد ؛ والروح من الملأ الأعلى ؛ وهم أعرف الخلق بالحقّ سبحانه ؛ وكل واحد يحن إلى أصله ؛ فكان نور الروح متعلقاً بالحق سبحانه ؛ ونور الذات متعلقاً بالخلق . فلذا ترى الأحاديث القدسية تتعلق بالحق سبحانه وتعالى : [١] ـ بتبيين عظمته ، [٢] ـ أو بإظهار رحمته ، [٣] ـ أو بالتنبيه على سعة مُلْكه ، وكثرة عطائه . فمن الأول حديث :

---

(٨١) في ظ ١ : فهذه الأنوار الثلاثة ..

« يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ » إلى آخره ؛ وهو حديث أبي ذرّ في مسلم .

ومن الثاني حديث : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ » الحديث[٨٢] .

ومن الثالث حديث : « يَدُ اللهِ مَلأَى لاَ تُغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » إلخ[٨٣] .

وهذه من علوم الروح في الحقّ سبحانه . وترى الأحاديث التي ليست بقدسية تتكلم على ما يُصلح البلادَ والعبادَ ، بذكر الحلال والحرام ؛ والحث على الامتثال ، بذكر الوعد والوعيد . هذا بعض ما فهمت من كلامه ـ رضي الله عنه ـ ، والحقّ أنّي لم أُوفِّ به ولم آت بجميع المعنى الذي أشار إليه .

(**فقلت**) : الحديث القدسي من كلام الله ـ عز وجل ـ أم لا ؟ **فقال** : ليس هو من كلامه وإنما هو من كلام النبيّ ﷺ ، **فقلت** : فلِمَ أضيف للرب سبحانه ؟ فقيل فيه : حديث قدسيّ ؛ وقيل فيه : فيما يرويه عن ربه ؟ وإذا كان من كلامه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأيّ رواية له فيه عن ربه ؟ وكيف نعمل مع هذه الضمائر في قوله :

« يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ » إلخ . وقوله : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ » . وقوله : « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ[٨٤] ... » .

فإن هذه الضمائر لا تليق إلا بالله ؛ فتكون الأحاديث القدسية من كلام الله تعالى ؛ وإن لم تكن ألفاظها للإعجاز ، ولا تَعَبَّدنَا بتلاوتها[٨٥] ؟

---

(٨٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه والدارمي وأحمد . ولفظ البخاري : أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً ، بَلْهَ ما أطلعتم عليه . ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كان يعملون ﴾ .

(٨٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه ، وتمامه : « أرأيتم ما أنفق منذ خلقَ السموات والأرض فإنه لم يَغِضْ ما في يده ، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع » .

(٨٤) الحديث سيأتي مع تخريجه ص (   ) جـ ٢ .

(٨٥) في ظ ١ : وإن كانت ألفاظها لا إعجاز فيها .

فقال ـ رضي الله عنه ـ مرة ـ : إن الأنوار من الحقّ ـ سبحانه ـ تَهُبّ على ذات النبيّ ﷺ حتى تحصل له مشاهدة خاصة ـ وإن كان دائماً في المشاهدة ـ ، فإنْ سمع مع الأنوار كلامَ الحق ـ سبحانه ـ أو نزل عليه مَلَك فذلك هو القرآن ؛ وإن لم يَسمعْ كلاماً ، ولا نزل عليه مَلَك ، فذلك وقت[٨٦] الحديث القدسي ؛ فيتكلم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا يتكلم حينئذ إلا في شأن الربوبية بتعظيمها وذكر حقوقها . ووجه إضافة هذا الكلام إلى الرب سبحانه أنه كان مع هذه المشاهدة ، التي اختلطت فيها الأمور ، حتى رجع الغيب شهادة ، والباطن ظاهراً ، فأضيف إلى الربّ ، وقيل فيه : حديث ربانِي ، وقيل فيه : فيما يرويه عن ربه ـ عز وجل ـ . ووجه الضمائر : أن كلامه ـ عليه الصلاة والسلام ـ خرج على حكاية لسان الحال التي شاهدها من ربه ـ عز وجل ـ .

وأما الحديث الذي ليس بقدسي : فإنه يخرج مع النور الساكن في ذاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي لا يغيب عنها أبداً ، وذلك أنه ـ عز وجل ـ أمدّ ذاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنوار الحقّ ؛ كما أمدّ جِرم الشمس بالأنوار المحسوسة ؛ فالنور لازم للذات الشريفة لزومَ نور الشمس لها .

ضرب مثال للأنوار الثلاثة

وقال مرة أخرى : وإذا فرضنا محموماً دامت عليه الحُمّى على قَدْر معلوم ؛ وفرضناها تارة تقوى ، حتى يخرجَ بها عن حسه ، ويتكلم بما لا يدري ؛ وفرضناها مرة أخرى تقوى ، ولا تخرجه عن حسه ، ويبقى على عقله ، ويتكلم بما يدري . فصار لهذه الحمى ثلاثةُ أحوالٍ : قَدْرُها المعلوم ، وقوتُها المخرجةُ عن الحس ، وقوتُها التي لا تُخرج عن الحس . فكذا الأنوار في ذاته عليه الصلاة والسلام ، فإن كانت على القدر المعلوم ـ فما كان من الكلام حينئذ ـ فهو الحديث الذي ليس بقدسي ؛ وإن سطعت الأنوار وشعلت في الذات حتى خرج بها عليه الصلاة والسلام عن حالته المعلومة ، ـ فما كان من الكلام حينئذ ـ فهو كلام الله سبحانه ، وهذه كانت حالته ـ عليه الصلاة والسلام ـ عند نزول القرآن عليه ؛ وإن سطعت الأنوار ولم تخرجه عن حالته عليه

---

(٨٦) في ظ ١ : فذلك هو ..

الصلاة والسلام - فما كان من الكلام حينئذ - قيل فيه : حديث قدسي .

وقال مرة : إذا تكلم النبي ﷺ وكان الكلام بغير اختياره فهو القرآن ، وإن كان باختياره ؛ فإن سطعت حينئذ أنوار عارضة فهو : الحديث القدسي ؛ وإن كانت الأنوار الدائمة فهو : الحديث الذي ليس بقدسي ؛ ولأجل أنّ كلامه ﷺ لا بد أن تكون معه أنوار الحق سبحانه ، كان جميع ما يتكلم به ﷺ وحياً يوحى ، وباختلاف أحوال الأنوار افترق إلى الأقسام الثلاثة ، والله أعلم .

[س] فقلت : هذا كلام في غاية الحسن ؛ ولكن ، ما الدليل على أن الحديث القدسي ليس من كلامه عز وجل ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : كلامه تعالى لا يخفى ؛ فقلت : بكشف ؟ فقال - رضي الله عنه - : بكشف ، وبغير كشف ؛ وكل من له عقل ، وأنصتَ للقرآن ، ثم أنصت لغيره ، أدرك الفرق لا محالة . والصحابة - رضي الله عنهم - أعقل الناس ، وما تركوا دينهم الذي كانت عليه الآباء إلا بما وضح من كلامه تعالى . ولو لم يكن عند النبي ﷺ إلا ما يشبه الأحاديث القدسية ما آمن من الناس أحد ؛ ولكن الذي ظلت له الأعناق خاضعة هو القرآن العزيز ، الذي هو كلام الربّ - سبحانه وتعالى - .

[س] فقلت له : ومن أين لهم أنه كلام الربّ سبحانه وتعالى ؟ وإنما كانوا على عبادة الأوثان ، ولم تسبق لهم معرفة بالله عز وجل حتى يعلموا أنه كلامُه ، وغاية ما أدركوه أنه كلام خارج عن طوق البشر ، فلعله من عند الملائكة مثلاً ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : « **كل من استمع القرآن وأجرى معانيه على قلبه علم علماً ضرورياً أنّه كلام الربّ سبحانه ؛ فإنّ العظمة التي فيه ، والسطوة التي عليه ، ليست إلا عظمة الربوبية ، وسطوة الألوهية** » ، والعاقل الكيس إذا استمع لكلام السلطان الحادث ، ثم استمع لكلام رعيته ، وجد لكلام السلطان نَفَساً به يُعرف ؛ حتى إنّا لو فرضناه أعمى وجاء إلى جماعة يتكلمون ، والسلطان مغمور فيهم ، وهم يتناوبون الكلام ، لميز كلام السلطان من غيره ؛ بحيث لا تدخله في ذلك ريبة . هذا في الحادث مع الحادث ؛ ضرب مثال

فكيف بالكلام القديم ؟...! وقد عرف الصحابة - رضي الله عنهم - من القرآن ربَّهم عز وجل ، وعرفوا صفاته ، وما يستحقه من ربوبيته ؛ وقام لهم سماع القرآن في إفادة العلم القطعيّ به - عز وجل - ، مَقام المعاينة والمشاهدة ؛ وحتى صار الحق سبحانه عندهم بمنزلة الجليس ؛ ولا يخفى على أحد جليسُه ..!!

قال - رضي الله عنه - : وكلام الربّ - سبحانه - يُعرف بأمور :

ميزات كلام الله تعالى

[١ -] منها : خروجه عن طوق البشر ، بل وسائر الحوادث لأن كلامه على وفق علمه المحيط ، وعلى وفق قضائه ، وحكمه ؛ فله تعالى العلم المحيط والقضاء النافذ . والحادثُ ليس له علم محيط ، ولا قضاء نافذ ؛ فهو - أي الحادث - يتكلم على وفق علمه الحادث ، وحُكْمه العاجز ، اللذَين هما بيد غيره ؛ فهو يتكلم مع علمه بأنه ليس له من الأمر شيء .

[٢ -] ومنها : أن لكلامه تعالى نَفَساً لا يوجد في كلام غيره ، فإنّ الكلام **يتبع أحوالَ الذات** ، فكلام القديم يخرج ومعه سطوة الألوهية ، وعزة الربوبية ؛ ولذا مزج فيه الوعد بالوعيد ، والتبشير بالتخويف ؛ ولو لم يكن فيه من العزة إلا أنه يتكلم والمُلكُ مُلكه ، والبلادُ بلاده ، والعباد عبادُه ، والأرض أرضه ، والسماء سماؤه ، والمخلوقات مخلوقاته ، لا منازع له في ذلك ؛ لكان ذلك كافياً .

وكلام غيره عز وجل لا بد فيه من سِمة الخوف ، فإنّ المتكلم - ولو فرضناه من أعلى المقربين - فباطنه ممتلئ بالخوف منه تعالى ، وهو تعالى لا يخاف أحداً ، فهو عزيز وكلامه عزيز .

[٣ -] ومنها : أن الكلام القديم إذا أزيلت حروفه الحادثة ، وبقيت المعاني القديمة ، وجدتَها تتكلم مع سائر الخلق ، لا فرق بين الماضي والحال والاستقبال ؛ وذلك أنه - أي المعنى - قديم ليس فيه ترتيب ولا تبعيض . ومن فتح الله بصيرته نظر إلى المعنى القديم فوجده لا نهاية له ، ثم ينظر إلى الحروف فيراها شبه صورة سُتر فيها المعنى القديم ، فإذا أزال الصورة رأى ما لا نهاية له ، وهو : باطن القرآن ؛ وإذا نظر إلى الصورة وجدها محصورة بين الدفّتين وهو : ظاهر

ظاهر القرآن وباطنه

القرآن ؛ وإذا أنصت لقراءة القرآن ، رأى المعاني القديمة راكدة في ظل الألفاظ لا يخفى عليه ذلك ، كما لا تخفى عليه المحسوسات بحاسة البصر .

[٤ -] ومنها : التميز الواقع منه ﷺ بين كلامه وكلام ربه - عز وجل - ، فإنه أمرهم بكَتْب كلام الربّ - سبحانه - ، ونهاهم أن يكتبوا عنه غيرَه ؛ وأمرهم بمحو ما كتبوا من ذلك ؛ وما ثبت أنهم كتبوا عنه الأحاديث القدسية ، فتكون من جملة كلامه ، لا من جملة كلام الربّ سبحانه ؛ وليس فيها أيضاً شيء من الخصال الثلاث - أعني خروجها عن طوق البشر ، وما ذكر بعده - .

فهذا بعض ما استفدناه من إشاراته - رضي الله عنه - في الفرق بين هذه الثلاثة ؛ وجوابه الأخير - أعني قوله : (كلّ من له عقل ، وأنصت للقرآن ثم أنصت لغيره أدرك الفرق لا محالة) إلى آخر ما حققه - ، أشار إلى نحوه القاضي إمام الدنيا أبو بكر الباقلاني[٨٧] - رحمه الله تعالى - في « كتاب الانتصار » ، وأطال النَّفَس في ذلك جداً ؛ وبهذا الوجه رد على كثير من دعاوى الروافض في إضافتهم إلى القرآن ما ليس منه ، فانظره . ولولا خشية الطول لأثبتنا كلامه حتى تراه عياناً .

ولما افتتح شيخنا الجواب ، بقيت متعجباً منه - رضي الله عنه - ؛ حيث أتى في بديهته بما قاله الإمام السابق ؛ ثم إنّه - رضي الله عنه - ختم الجواب **بفَرْق خامس** مبناه الكشف المحض ، لم نكتبه ، لأن العقول من ورائه .

وليكن هذا آخر ما أردنا أن نثبته في هذه المقدمة . ولنشرع في المقصود الذي هو جَمْع ما سمعناه من علوم الشيخ - رضي الله عنه - وينحصر ذلك في أبواب [اثني عشر باباً] .

---

(٨٧) أبو بكر الباقلاني (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ) : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر : قاض ، من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد وتوفي بها . جيد الاستنباط ، سريع الجواب . له « مناظرات مع علماء النصرانية في أرض الروم في القسطنطينية » ، له « إعجاز القرآن » و « الإنصاف » و « الملل والنحل » و « الاستبصار » و « كشف أسرار الباطنية » وغيرها ا هـ . الأعلام ملخصاً .

الباب الأول

(ملخص)

في الأحاديث التي سأله المؤلف عنها رضي الله عنه

الباب الأوّل

في الأحاديث التي سألناه عنها

[س ١] فمنها حديث الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص(١) ، قال :

« خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي يَدَيْهِ كِتَابَانِ فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى : هذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَداً . ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ مِثْلَهُ فِي أَهْلِ النَّارِ » .

وقال في آخر الحديث :

« فَقَالَ بِيَدِهِ فَنَبَذَهُمَا ثُمَّ قَالَ : فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ » .

قال ابن حجر : وإسناده حسن . فاستشكله بعض الناس ، وظنّ أنّ فيه تعلق القدرة بالمستحيل ، حيث جمع أسماءَ أهلِ الجنة في كتابٍ تحملُه يُمناه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وكذا أسماء أهل النار . ونصّ السؤال ، ـ وقد سأله عن عدّة مسائل ـ :

ومنها ـ يا سيّدي ـ قول علماء الكلام : القدرة تتعلق بالممكنات دون المستحيل ، مع أنّ في حديث وَرَدَ عَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ :

---

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص (٧ ق هـ ـ ٦٥ هـ) : صحابي من قريش من النساك ، كان يكتب في الجاهلية ويحسن السريانية ، أسلم قبل أبيه . استأذن الرسول عليه الصلاة والسلام في أن يكتب كل ما يسمع منه فأذن له . كان كثير العبادة حتى قال له النبي ﷺ : « إن لجسدك عليك حقاً ولزوجك عليك حقاً ... » . شهد الحروب والغزوات ويضرب بسيفين ، حمل راية أبيه يوم اليرموك ، شهد صفين مع معاوية وولاه الكوفة مدة ، امتنع من بيعة يزيد وانزوى بعسقلان منقطعاً للعبادة ، عمي آخر حياته .
اشتهر عنه روايات إسرائيلية يحدث بها من زاملتين أخذهما عند فتوح الشام ا هـ . الأعلام بزيادة من غيره .

« أَنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ بِكِتَابَيْنِ فِي يَدَيْهِ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : إِنَّ فِي الْكِتَابِ الْوَاحِدِ أَسْمَاءَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَسْمَاءَ قَبَائِلِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ ؛ وَفِي الْكِتَابِ الآخَرِ أَسْمَاءَ أَهْلِ النَّارِ ، وَآبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ » .

مع صغر جرم الكتابين ، وكثرة الأسماء ؛ ففي ذلك : إيراد الصغير على الكبير ، من غير تصغير الكبير ، ولا تكبير الصغير ؛ وإلا فأيُّ ديوان يحصر أسماء هؤلاء . فهذا أقوى دليل على المُحال العقلي ؛ من إدخال الواسع على الضيّق ، ـ لو شاء ذلك ـ مع بقاء هذا على صغره ؛ وهذا على كبره ؛ مع كون المُخْبِر بذلك ـ كما في صدر السؤال ـ المعصومُ ، الذي لا ينطق عن الهوى . محال عقلي

[ج] فأجاب ـ رضي الله عنه ـ : بأنّ ما قاله علماء الكلام وأهل السنّة والجماعة ـ رضي الله عنهم ـ هو العقيدة ؛ ولا يمكن أن يكون في أطوار الولاية ، ولا في معجزات الرسالة ، ما تُحيله العقول ؛ نعم ؛ يكون فيها ما تقصر عنه العقول ؛ فإذا أُرشدت إلى المعنى المراد قَبِلَته ، وأذعنَت له . والكتابة المذكورة في هذين الكتابين كتابة نظر ، لا كتابة قلم ؛ وذلك أن صاحب البصيرة لا سيما سيدُ الأولين والآخرين ، سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، إذا توجه قصدُه إلى شيء ـ بأن ينظره ـ فإنّ بصيرته تخرق الحجب التي بينه وبين المنظور إليه ؛ حتى يبلغ نورُهما إليه ، ويحيط به ؛ فإذا حصلت صورة المنظور إليه في البصيرة ، وفرضناها بصيرة كاملة فإنّ حكمها يتعدى إلى البصر ، وتصير القُدرة الحاصلة لها حاصلة للبصر أيضاً ؛ فيرى البصرُ الصورةَ مرتسمةً له فيما يقابله ، فإن كان المقابل له حائطاً رآها في حائط ، وإن كان المقابل له يده رآها في يده ، وإن كان المقابل له قرطاساً رآها في قرطاس . وعلى هذا يتخرّج حديث : كتابة النظر

« مُثِّلَتْ لِيَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فِي عُرْضِ هذَا الْحَائِطِ »[٢] .

لأنه ﷺ توجه ببصيرته إليها ، وهو في صلاة الكسوف فخرق ذلك إلى بصره ، وكان المقابل له عُرْض الحائط ، فرأى صورتها فيه ﷺ . وعليه أيضاً

---

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد بلفظ : صُوِّرت ... حتى رأيتها دون الحائط ..

يتخرّج حديث الكتابَين ؛ فإنه ﷺ توجه ببصيرته إلى الجنة فحصلت صورتها في بصره ، وكان المقابل له الكتاب الذي في يمينه ؛ فجعل ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينظر إلى صورة الجنّة وسكانها في ذلك الجرم الذي في يمينه ؛ فقال :

« هذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَقَبَائِلِهِمْ وَآبَائِهِمْ »[٣] .

ثم توجه ببصيرته إلى النار ، فحصلت صورتها في البصر وكان المقابل له الجرم الذي في شماله ، فجعل ينظر إلى صورتها وجميع ما فيها فقال[٣] :

« هذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَآبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ » .

فإن كان في حديث : « مُثّلَت لي الجنة والنار » إشكال ، ففي هذا إشكال ، وإن كان لا إشكال فيه فهذا أيضاً لا إشكال فيه ..! ومبنى الإشكال على حمل الكتابة على كتابة القلم ، ولو كانت هناك كتابة بالقلم لتناقضت مع آخر الحديث فإن فيه : « ثم نبذهما » أي الكتابين ـ أي طرحهما ، ورمى بهما ـ ، وكيف يرمي ﷺ بكتاب جاء من رب العالمين وفيه أسماء أصفيائه ورسله وخيرته من خلقه ؟..! والنبيّ ﷺ أشد الخلق تعظيماً لله ولرسله وملائكته ؛ وإنما سَمّى الصورة الحاصلة في الجرم كتابةً ، لمشابهتها للكتابة في الدلالة على ما في الخارج ؛ على أن في[٤] الخارج قد تطلق أيضاً الكتابة عليه ، لأن الكتابة مأخوذة من الجمع ؛ **فكل مجموع يقال فيه مكتوب** ، ومنه سميت كتائب الحرب كتائبَ لتكتبها واجتماعها ؛ والواحدة كتيبة ـ أيْ مكتوبة ، ومجموعة ، ومضمومة إلى غيرها من الكتائب ـ .

تعريف

وإنما أضيفت الكتابة إلى رب العالمين ، لأنّ النور الذي هو سبب في حصول الصورة ، التي عبر عنها بالكتاب ، ليس هو من طوق العبد ، ولا من كسبه : وإنّما هو مدد ربانيّ ونور من عند الله سبحانه . فخرج من هذا : أن المراد بالكتابة الصورةُ الحاصلة في النظر ، لا غير ؛ وحصولها في النظر غيرُ مشكل ، كحصول سائر المرئيّات في النظر ؛ فإن إنسان العين مع صغره تُرسم فيه الصور العظيمة ، كصورة

ضرب مثال بإنسان العين

---

(٣) الحديث المتقدم ص ١٢٥

(٤) في برلاق : على أن ما في الخارج . والصواب من ظ ١ .

السماء ؛ وهو أصغر من المدسة . فالحديث من نوع الممكنات ، وهكذا سائرُ المعجزات والخوارق ، والله أعلم .

[س ٢] وسألته رضي الله عنه عن معنى قوله ﷺ :

حديث متواتر فيه أربعون قولاً

« إنَّ هذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » [أخرجه أصحاب السنن . قال في النشر ١ / ٢١ : نص القاسم بن سلام على تواتر هذا الحديث والاتقان ٧٨/١] غيرَ ما مرة .

فأجاب ـ رضي الله عنه ـ بأجوبة عديدة ، وبقيت النفسُ متشوفةً إلى الجواب الشافي . والذي أوجب الإشكال أن لفظ الحرف ظاهرٌ لغةً لا إشكال فيه ، مثل الإشكال الذي في فواتح السور ، ومع ظهوره ـ لغةً ـ فقد اختلف العلماء فيه اختلافاً شديداً ولا يزيد الواقف عليه إلا حَيرة وإشكالاً ؛ فإنه ﷺ لم يُرد إلا معنى واحداً .

أصل

وحكاية الخلاف فيه إلى أربعين قَولاً تُوجب إبهامه وغموضه ، لأن **كثرة الأقاويل في شيء تعود عليه بالجهالة** ؛ مع تجويز أن يكون مراده ﷺ خارجاً عن تلك الأقوال بأسرها . هذا وقد ورد الحديث المذكور عن غير واحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، منهم : عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم ، وأُبيّ بن كعب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ؛ وعمر بن أبي سلمة ، وأبي جهيم ، وسمرة بن جندب(٥) ، وعمرو بن العاص ، وأم أيوب الأنصارية(٦) ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . حتى قال أبو يعلى الموصلّي ـ في مسنده الكبير ـ : إن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قام خطيباً على المنبر فقال : أَنْشُدُ اللهَ امْرَأً سمعَ النبيَّ ﷺ يقول :

« إنَّ هذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَكُلٌّ لِشأنٍ » [تقدم أعلاه] .

---

(٥) سمرة بن جندب (ـ ٦٠ هـ) : صحابي من الشجعان القادة . نشّ في المدينة ونزل البصرة . استخلف على الكوفة مدة من قبل زياد ثم معاوية . له رواية في الحديث ، مات بالكوفة وقيل بالبصرة ا هـ . من الأعلام .

(٦) أم أيوب الأنصارية زوج [الصحابي] أبي أيوب [رضي الله عنهما] ، وهي بنت قيس بن سعد ، كذا في تقريب التهذيب .وفي أعلام النساء : بنت قيس بن سعيد من النساء اللواتي تقدمن بالفضل والصلاح والعبادة ، لها صحبة ورواية . اهـ ١٠٦/١

إلا قامَ . فقام الصحابة من كل جانب ، حتى ما أُحصي عددهم ، وكل واحد يقول : أنا سمعته يقولُ ذلك ؛ فقال عثمان : وأنا سمعته يقول ذلك . ومن ثَمّ قال أبو عبيد[٧] وغيره من حفاظ الحديث : إنه من الأحاديث المتواترة . وقد اعتنى العلماء - رضي الله عنهم - بالكلام عليه قديماً وحديثاً ، وأفردوه بالتأليف كأبي شامة[٨] .

أحسن كلام للعلماء في هذا الحديث

وأحسن كلام رأيته فيه ، كلام أربعة من الفحول :

الأول : لسان المتكلمين القاضي أبو بكر الباقلاّني - في كتاب الانتصار - ، فقد أبدى فيه وأعاد .

والثاني : الحافظ الكبير الإمام ابن الجزري - في كتابه النشر - ، فقد نوّع فيه الكلام إلى عشرة فصول ، وتتبّع أسماء الصحابة الذين رووه عن النبيّ ﷺ .

والثالث : الحافظ أمير المؤمنين في الحديث الإمام ابن حجر - في شرح البخاري في كتاب فضائل القرآن منه - .

والرابع : الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي - في كتاب الإتقان في علوم القرآن - فقد نوّع الأقوال فيه إلى أربعين قولاً .

ومع وقوفي على كلام هؤلاء الأربعة الفحول ومعرفتي بظاهره وباطنه ،

---

(٧) (أبو عبيد) القاسم بن سلاّم الهروي الخراساني مولى الأنصار (١٥١ - ٢٢٤ هـ) : صاحب التصانيف المتعددة . وهو أول إمام جمع القراءات في كتاب وجعلهم خمسة وعشرين قارئاً مع القرّاء السبعة . وروى القراءة عن هشام بن عمار (راوي ابن عامر) والكسائي واليزيدي وشجاع بن أبي النصر (راوي الحسن) . وله اختيار في القراءة وافق فيه العربية والأثر . قال الداني : إمام أهل دهره في جميع العلوم ، صاحب سنة ، ثقة ، مأمون ا هـ . من تعليق على حجة القراءات .

(٨) أبو شامة (٥٩٩ - ٦٦٥ هـ) : هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ، أبو القاسم . مؤرخ . محدث ، باحث ، أصله من القدس . مولده ووفاته بدمشق [قبره مشهور في الدحداح وقد حدثنا الثقات أنه كشف عن قبره مرة ليدفن عليه غيره فوجدوا جثته كما هي ، فكفّن وأغلق عليه القبر] . والمشهور أنه شيخ الإمام النووي .

له كتب كثيرة . عدّ منها صاحب الأعلام « ١٢ » منها : شرح الشاطبية المسمى « أبرز المعاني » ، و « الوصول في الأصول » ا هـ . ملخصاً الأعلام .

وبأوّله وآخره ؛ لم يحصّل عندي ظنّ بمراده ﷺ ، بل بقيت على الشكّ في تعيين المراد .

[س] فقلت لشيخنا - رضي الله عنه - : لا أسألك إلا عن مراد النبيّ ﷺ .

[ج] فقال رضي الله عنه : غداً نجيبك - إن شاء الله - ، فلما كان من الغد قال لي رضي الله عنه - وقد صدق فيما قال - :

سألتُ النبي ﷺ عن مراده بهذا الحديث ، فأجابني عن مراده ﷺ . وقد تكلمت مع الشيخ - رضي الله عنه - في ذلك ثلاثة أيام ، وهو يُبيّن لي معنى المراد . فعلمت أن لهذا الحديث شأناً كبيراً ؛ وسمعت فيه من الأسرار ما لا يكيّف ولا يطاق ..!!

ملخص الموضوع

وملخص ما يمكن أن يكتب من ذلك : أن في النبي ﷺ قوةً طُبعت عليها ذاتُه الشريفة ، تنوعت أنوارُها إلى سبعة أوجه ؛ وهذه الأنوار السبعة لها وجهتان : **إحداهما :** منه ﷺ إلى الحقّ سبحانه ؛ **والأخرى :** منه ﷺ إلى الخلق ؛ وهي في الوجهة الأولى فَيّاضة دائماً ، لا يسكن منها شيء ولا يفتر . فإذا أراد الله تعالى أن يَنزل القرآن على نبيه ﷺ أَنْزَل عليه الآية ومعها شيء من نور الوجهة الأولى مثلاً لا جميعه ؛ إذ هو لا يَفتُر ولا يَسْكُن في وُجْهَة الحقّ - سبحانه - ؛ فما ظهر في وجهة الخلق إلا شيء منه ؛ ثم يَنزل تعالى آيةً أخرى ، ومعها شيء من نور الوجه الثاني ؛ ثم آية ثالثة ومعها شيء من نور الثالث ؛ وهكذا .

ذاته ﷺ والأنوار السبعة التي طبعت عليها

مطلب الأنوار السبعة للأحرف

[س] فقلت : وما هذه الأنوار السبعة التي أُشير إليها بالأحرف السبعة ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : هي حرف النبوّة ، وحرف الرسالة ، وحرف الآدمية ، وحرف الروح ، وحرف العلم ، وحرف القبض ، وحرف البسط :

أ - فحرف النبوّة : علامته أن تكون الآية آمرة بالصبر ، ودالة على الحقّ ، ومزهّدة في الدنيا وشهواتها ، لأنّ النبوّة طبعها الميلُ إلى الحقّ والقولِ به ، والدلالةِ عليه والنصيحةِ فيه .

٢ - وحرف الرسالة : علامته أن تكون الآية متعرضة للدار الآخرة ، ودرجاتها ، ومقاماتِ أهلها ، وذكر ثوابهم ، وما شاكل ذلك .

٣ - وحرف الآدمية : يرجع حاصله إلى النور الذي وضعه الله في ذات بني آدم ، وأقدَرَهم به على الكلام الآدميّ ، حتى تميز به كلامهم عن كلام الملائكة والجن وسائر من يتكلم ؛ وإنّما دخل مع هذه السبعة مع وجوده في كل آدمي ، لأنه فيه ﷺ بلغ الغاية في الطهارة والصفاء ، لكمال ذاته ﷺ في الطهارة والصفاء الكمالَ الذي لا كمالَ فوقه ، ولا يمكن أن يكون إلا في ذاته ﷺ .

وبالجملة ؛ فلما كان هذا النور الذي يقع به كلام الآدمي في ذاته ﷺ ، مع نور النبوّة ونور الرسالة ونور الروح ونور العلم ونور القبض ونور البسط ، كان على غاية الكمال لاستمداد ذاته النورَ من هذه الستّة ؛ فصارت الآيات تنزل عليه ؛ ولا تخلو آية من كتاب الله تعالى إلا وهو فيها ، إذ لغات القرآن آدمية .

٤ - وحرف الروح : علامته أن تكون الآية متعلقة بالحقّ - سبحانه - وبعليِّ صفاته ؛ ولا ذكرَ لمخلوق فيها ، لأن الروح في مشاهدة الحقّ دائماً فإذا نزلت الآية على هذا الوصف كان المصاحبَ لها نورُ الروح .

٥ - وحرف العلم : علامته أن تكون الآية متعرضة لأحوال الخلق الماضين كالإخبار عن عاد وثمود[٩] ، وقوم نوح ، وهود ، وصالح ، ونحو ذلك ؛ أو منبّهة على ذَمّ بعضِ الآراء ، نحو قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٦] .

وبالجملة : فحرف العلم عليه تخرّج القِصَص والمواعظ والحِكَم ، ونحو ذلك .

قال رضي الله عنه : ونور هذا الحرف ينفي الجهل عن صاحبه ، ويصير به

---

(٩) قوم ثمود : نسبة إلى ثمود بن عابر بن إرم من بني سام بن نوح ، رأس قبيلة من العرب العاربة في الجاهلية الأولى . أقام في بابل ، ورحل عنها بعشيرته إلى الحجر (بين المدينة والشام) ثم انتشروا بين الشام والحجاز وبقيت آثارهم في الحجر المعروفة بمدائن صالح . قيل : بادوا قبل زمن موسى عليه السلام وبقايا أدركت أيام المسيح اهـ . من الأعلام .

عارفاً مُعرِّفاً ، حتى لو فُرض شَخص خلق في شاهق جبل ولم يخالط أحداً ، وتُرك هناك حتى كبر ؛ ثمّ جيء به لمدينة ، وقد أبدّه الله بنور هذا الحرف ؛ فإنه لا يقدر أن يتكلم معه من تعاطى العلمَ طولَ عمره ، في باب من الأبواب .

٦ - **وحرف القبض** : علامته أن تكون الآية تتكلم مع أهل الكفر والظلام ؛ فتراه في الآية يدعو عليهم مرة ، ويتوعّدهم أخرى ، نحو قوله تعالى :

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة : ١٠] .

جيش النور وجيش الظلام

وذلك أن جيش النور وجيش الظلام في قتال دائم ، فإذا التفت ﷺ نحو الظلام وقع له قبض ، فَيُخَرّج على[9] ذلك القبضِ ما سبق ذكرُه في الآيات .

٧ - **وحرف البسط** : علامته أن ترى الآية متعرضة لنعم الله تعالى على الخلق وتعدادها ، فإذا التفت ﷺ إلى نعمه تعالى على خلقه وقع له بسط ؛ فخرجت[10] الآية من « مقام البسط » .

في كل حرف ٣٦٦ وجهاً

قال - رضي الله عنه - : هذه أمَارة كلّ حرف من الأحرف - على التقريب - ، وإلا **ففي كل حرف** من هذه الأحرف **ثلثمائة وستة وستون وجهاً** ؛ لو شرحت هذه الأوجه في كل حرف وبيّنت في كل آية لظهر باطنه ﷺ للناس ظهورَ الشمس ؛ ولكنّه من السر الذي يجب كتمه ، ومن فتح الله عليه فتحاً كبيراً عَلِمه ؛ ومن لا فتح له فليترك على حاله .

[س] **فقلت** : الأحاديث الواردة في هذا الباب ، تدلّ على أن المراد بالأحرف السبعة ما يرجع إلى كيفية النطق بألفاظ القرآن ؛ كقول عمر - رضي الله عنه - [فيما رواه الشيخان] : سمعت هشام بن حكيم يقرأ القرآن على حروف لم يُقرئنيها رسولُ الله ﷺ ؛ فقال رسول الله ﷺ - مصوِّباً لكلّ من حروف عمر وحروف هشام - :

---

(٩) في الأصل : فيخرج عن ... قلت : هو خطأ يفهم من السياق ا هـ المحقق .

(١٠) في ظ ١ : فتخرج .

« إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ »[11] .

وهذه الأحرف - التي ذكرتم - أوصاف باطنيّة ، وأنوار ربانيّة في ذاته ﷺ ، لا يمكن أن يختلف عمر وهشام فيها ، حتى يجيبهما ﷺ بأن القرآن أنزل عليها .

[ج] فقال رضي الله عنه : اختلاف التلفّظات التي في أحاديث الباب ، فرع عن اختلاف الأنوار الباطنية ؛ فتسكين الحروف ورفعها ينشأ عن القبض ؛ والنصبُ ينشأ عن حروف الرسالة ؛ والخفض ينشأ عن حروف الآدمية . ولكل آية فتحٌ خاص ، وذوق معلوم . فلما سمعت منه هذا الكلام المنوّر بادرتُ فقرأت عليه الفاتحة وصدراً من سورة البقرة ؛ فسمعت منه في بيان ذلك التفريع ما بهرني ؛ ثم أعدت القراءة وقرأت بسبع روايات : ١ - قراءة نافع ، ٢ - وابن كثير ، ٣ - وأبي عمرو بن العلاء البصري ، ٤ - وابن عامر ، ٥ - وعاصم ، ٦ - وحمزة ، ٧ - والكسائي[12] ؛ فسمعت في ذلك العجب العجاب ،

سكون الحرف ورفعه وخفضه ونصبه

---

(١١) تقدم ص ١١٨ .

(١٢) أصحاب القراءات السبع المتواترة : وهم السبعة الآتي ذكرهم . وكلّ إمام له راويان وكلّ راوٍ له طريقان (مشهوران) :

١ - **نافع** (بن عبد الرحمن الليثي ولاء) قارئ المدينة (٧٠ - ١٦٩ هـ) . كان أسود اللون ، نيّر الوجه ، قرأ على أبي جعفر القارئ وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وابن القاسم بن محمد والزهري وغيرهم من التابعين .

راوياه : - **قالون** (أبو موسى عيسى بن مينا الزرقي الضرير ١٢٠ - ٢٢٠ هـ) قيل : إنه ربيب نافع ولقبه بقالون (بمعنى جيد في الرومية) لجودة قراءته . وله طريقان : **أبو نشيط** (- ٢٥٨ هـ) ، **والحلواني** (- ٢٥٠ هـ) .

ورش (عثمان بن سعيد القبطي المصري ١١٠ - ١٩٧ هـ) إمام القراء زمنه بالديار المصرية ، رحل إلى نافع فعرض عليه القرآن عدة ختمات سنة ١٥٥ هـ . وله اختيار خالف فيه نافعاً . كان ثقة ، جيد القراءة ، حسن الصوت . شبهه نافع بـ (الورشان) طائر معروف ، للونه ولقصر ثيابه ؛ ثم خفف فقيل : ورش . وله طريقان : **أبو يعقوب الأزرق** (- ٢٤٠ هـ) ، **وأبو بكر الأصبهاني** (- ٢٩٦ هـ) .

٢ - **ابن كثير المكي** : عبد الله ، أبو معبد العطار الداري ، فارسي الأصل (٤٥ - ١٢١ هـ) . روى عن عدد من الصحابة لقيهم : عبد الله بن الزبير وأبي أيوب الأنصاري وأنس بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم . أخذ القراءة عرضاً على درباس مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر وعبد الله بن السائب وغيرهم . روى القراءة عنه : حماد بن زيد وحماد بن سلمة والخليل بن أحمد وعيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء وسفيان بن عيينة وغيرهم . =

ورأيت القراءاتِ السبع تختلف باختلاف الأنوار الباطنية ، فظهر لي - والحمد لله وله

= راوياه : - البَزِّي (أحمد بن محمد بن عبد الله ، أبو الحسن مقرئ مكة ومؤذن مسجدها ١٧٠ - ٢٥٠ هـ) وروى عنه القراءة قنبل . وأما طريقاه : فابن حباب ، وأبو ربيعة ربعي (- ٢٩٤ هـ) .

- قُنبُل (محمد بن عبد الرحمن المخزومي بالولاء ، أبو عمر المكي ١٩٥ - ٢٩١ هـ) شيخ القراء بالحجاز وروى عنه القراءة جماعة منهم : أبو ربيعة محمد بن إسحاق . وأشهرهم طريقاه : ابن مجاهد (- ٣٢٤ هـ) ، ومحمد بن أحمد بن شنبوذ (- ٣٢٨ هـ) وسيأتي .

٣ - أبو عمرو بن العلاء : زبان بن العلاء التيمي المازني البصري النحوي (٦٨ - ١٥٤ هـ) إمام العربية والإقراء ، ثقة ، زاهد ، سمع من أنس ، وقرأ على الحسن البصري وأبي العالية وابن جبير وعاصم ، وابن أبي إسحاق وابن كثير ، وعكرمة وابن محيصن وأبي جعفر ويحيى بن يعمر .

راوياه : - الدوري (أبو عمر ، حفص بن عمر البغدادي النحوي الضرير - ٢٤٦ هـ) وسيأتي أيضاً . وقرأ بالسبعة وبالشواذ . وأخذ عنه القراءة جمع كثير وكتب عنه أحمد بن حنبل . وطريقاه : أبو الزعراء (- ٢٨٤ هـ) وكان ثقة ضابطاً محققاً . ابن فرح ، أبو جعفر أحمد ، البغدادي المفسر الضرير ثقة وعالم كبير (٢١٣ - ٣٠٣ هـ) وسيأتي أيضاً .

- السوسي (صالح بن زياد ، أبو شعيب السوسي الرقي - ٢٦١ هـ) أخذ قراءة أبي عمرو عن اليزيدي ، وقرأ على حفص قراءة عاصم ، وأخذ عنه جماعة . طريقاه : ابن جمهور ، وموسى بن جرير الرقي (- ٣١٦ هـ) .

٤ - ابن عامر الدمشقي : عبد الله ، أبو عمران اليحصبي (٨ - ١١٨ هـ) توفي ودفن في دمشق وقبره مشهور في مقبرة الدحداح . تابعي أخذ القراءة عرضاً عن الصحابي الجليل أبي الدرداء ، وعلى المغيرة بن أبي شهاب عن عثمان بن عفان رضي الله عنهم . وعلى قراءته أهل الشام والجزيرة حتى الخمسمائة . تولى قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني ، وإمامة الجامع الأموي ، وائتم به عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

راوياه : - هشام بن عمار (السلمي الدمشقي ١٥٣ - ٢٤٥ هـ) خطيب وإمام دمشق ومحدثها ومفتيها . وطريقاه : أحمد بن يزيد الحلواني (- ٢٥٠ هـ) ، والداجوني ، محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن سليمان الرملي الضرير (٢٦٧ - ٣٢٤ هـ) .

- ابن ذكوان (أبو عمرو عبد الله بن أحمد الفهري الدمشقي ١٧٣ - ٢٤٢ هـ) شيخ الإقراء بالشام وإمام جامعها . قرأ على أيوب بن تميم وعلى الكسائي ، له كتاب (أقسام القرآن وجوابها) و (ما يجب على قارئ القرآن من حركة لسانه) . طريقاه : الأخفش ، أبو عبد الله هارون بن موسى الأخفش الدمشقي (٢٠٠ - ٢٩٢ هـ) بدمشق ، الصوري ، أبو العباس محمد بن موسى (-٣٠٧ هـ) بدمشق .

٥ - عاصم بن أبي النَّجود الكوفي الأسدي ، أبو بكر بن بَهْدلة [اسم أمّه] الحناط (- ١٢٧ هـ) جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد وحسن الصوت . أخذ القراءة عرضاً عن زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي عمرو الشيباني .

راوياه : - حفص بن سليمان (٩٠ - ١٨٠ هـ) وكان ربيبه ، أعلم أصحابه . وبروايته يقرأ أهل المشرق اليوم ، شهد له ابن معين . طريقاه : - عبيد بن الصباح بن صبيح النهشلي الكوفي ثم البغدادي (- ٢٣٥ هـ) . =

المنّة ـ ما كنت أطلبه منذ نيّف وعشرين سنة في معنى الحديث ، وقد طلبه قبلي

= طبقته في أصحاب الحديث : قال ابن حجر في تقريب التهذيب : حديثه في الصحيحين مقرون ، من السادسة ... صدوق ، له أوهام ، حجة في القراءات ـ .

والعمود .

ـ شعبة (أبو بكر بن عياش الأسدي النهشلي الكوفي الحناط ٩٥ ـ ١٩٣ هـ) أخذ عن عاصم وعطاء بن السائب وأسلم المنقري . وأخذ عنه جماعة منهم الكسائي وخلاد الصيرفي . كان من أئمة السنة .

طريقاه : **يحيى بن آدم** (ـ ٢٠٣ هـ) ، **يحيى العليمي** (١٠٥ ـ ٢٤٣ هـ) .

٦ ـ **حمزة** بن حبيب الزيات : أبو عمارة الكوفي التيمي بالولاء (٨٠ ـ ١٥٦ هـ) . إمام الناس بالكوفة بعد عاصم والأعمش ، من أتباع التابعين ، عارف بالفرائض والعربية ، حافظ للحديث ، ورع زاهد . أخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش وحمران بن أعين وأبي إسحاق السبيعي وجعفر بن محمد الصادق [وقال في لقط الدرر : قرأ على جعفر الصادق إسناده المسمى بسلسلة الذهب] ، واختار مذهب حمران قراءة ابن مسعود ولا يخالف مصحف عثمان . روى عنه كثيرون منهم : إبراهيم بن أدهم والحسين الجعفي وسليم بن عيسى والكسائي ويحيى بن زياد الفراء ويحيى بن المبارك اليزيدي وغيرهم .

راوياه : ـ **خلف بن هشام** (أبو محمد الأسدي البزار البغدادي ١٥٠ ـ ٢٢٩ هـ) . إمام وثقة كبير ، أحد القراء العشر وراوي حمزة (عن سليم بن عيسى وعبد الرحمن بن أبي حماد) كما أخذ عن أبي زيد الأنصاري عن المفضل الضبي ، وروى الحروف عن إسحاق المسيبي ويحيى بن آدم وروى رواية ابن قتيبة وسمع من الكسائي . وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً وراقة أحمد بن إبراهيم وأحمد بن يزيد الحلواني . كان يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه في مائة وعشرين حرفاً في اختياره . مات ببغداد وهو مختف من الجهمية . طريقاه : **أحمد بن عثمان** بن بويان البغدادي (ـ ٣٤٤ هـ) ، **وابن صالح** (ـ ٢٤٠ هـ) .

ـ **خلاد** (أبو عيسى بن خالد الأحول الشيباني بالولاء ، الصيرفي الكوفي ـ ٢٢٠ هـ) ثقة عارف محقق . أخذ عن سليم ورواها عن حسين بن علي الجعفي عن أبي بكر ، وعن أبي بكر عن عاصم . وروى القراءة عنه عرضاً جمع منهم : أحمد بن يزيد الحلواني (ـ ٢٥٠ هـ) والقاسم الوزان ومحمد بن شاذان الجوهري البغدادي (ـ ٢٨٦ هـ) . طريقاه : **المطوعي** (أبو العباس سعيد بن جعفر . وسيأتي أيضاً) ، **وابن مقسم** (محمد بن الحسن ١٦٥ ـ ٣٥٤ هـ) . وله طرق أخرى من ابن الهيثم والوزان والطلحي .

٧ ـ **الكسائي** : أبو الحسن علي بن حمزة النحوي الكوفي ، فارسي الأصل ، أسدي الولاء (١١٩ ـ ١٨٩ هـ) . إمام القراء بالكوفة بعد حمزة . أعلم الناس بالنحو وأوحدهم في الغريب قراءة . أخذ عن حمزة عرضاً . وعن محمد بن أبي ليلى وعيسى بن عمر ، وروى الحروف عن أبي بكر بن عياش وعن عيسى ويعقوب ابني جعفر عن نافع ، وعن المفضل الضبي . ورحل إلى البصرة فأخذ اللغة عن الخليل . أخذ عنه القراءة جمع منهم : إبراهيم بن زادان وأبو عبيد القاسم بن سلام وقتيبة بن مهران وخلف بن هشام البزار ويحيى بن زياد الفراء . وروى عنه الحروف يعقوب الحضرمي .

راوياه : ـ **أبو الحارث** (الليث بن خالد البغدادي ـ ٢٤٠ هـ) عرض القراءة على الكسائي وروى الحروف =

الحافظ ابن الجوزي نيفاً وثلاثين سنة ، فظهر له وجه في معنى الحديث ، ثم ذكر أنه

= عن حمزة بن القاسم الأحول . طريقاه : محمد بن يحيى الكسائي الصغير ، والضرير ، أبو عثمان (ـ ٣١٠ هـ) .

ـ أبو الحارث الدوري (حفص بن عمر ، أبو عمر الأزدي البغدادي النحوي الضرير ـ ٢٤٦ هـ) . نزيل (سامرا) ثقة ثبت كبير الضبط أول من جمع القراءات . رحل في طلبها وقرأ بجميع الحروف السبعة وبالشواذ ، قرأ على إسماعيل بن جعفر عن نافع وعن أبي جعفر وعلى الكسائي ، ولأبي بكر عن عاصم وغيرهم . وروى القراءة عنه وقرأ عليه جماعة منهم : الإمام الطبري المفسر للؤرخ . ورئي أحمد بن حنبل يكتب عنه . طريقاه : سلمة بن عاصم النحوي وجعفر بن محمد ـ ٣٠٧ هـ .

مهمة : قال في الإتقان : ـ أصح القراءات سنداً : نافع وعاصم .

ـ وأفصحها : أبو عمرو والكسائي .

بقية العشرة

٨ ـ **أبو جعفر يزيد بن القعقاع** : المخزومي المدني (ـ ١٣٠ هـ) تابعي مشهور . عرض القراءة على مولاه عبد الله بن عياش ، وابن عباس وأبي هريرة وروى عنهم ، وصلى بابن عمر . روى القراءة عنه : نافع وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان وجماعة .

راوياه : ـ **عيسى بن وردان** : أبو الحارث المدني الحذاء (ـ ١٦٠ هـ) .

ـ **وابن جماز** : سليمان بن مسلم ، أبو الربيع الزهري بالولاء (ـ ١٧٠ هـ) .

٩ ـ **يعقوب الحضرميّ** : هو ابن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق ، أبو محمد (١١٧ ـ ٢٠٥ هـ) . إمام البصرة ومقرئها بعد أبي عمرو . أعلم الناس بمذاهب النحويين في القراءات . أخذ القراءة : عرضاً عن سلام الطويل ومهدي بن ميمون . روى عن سلام حروف أبي عمرو ، وسمع الحروف من الكسائي وابن زريق الكوفي عن عاصم ، وسمع من حمزة ، وقرأ على شهاب بن شرنفة قراءة أبي الأسود الدؤلي عن علي كرم الله وجهه . له سند عال بقراءته على أبي الأشهب عن أبي رجاء عن أبي موسى . روى عنه : أبو حاتم السجستاني وأبو عمر الدوري ورويس محمد بن المتوكل (ـ ٢٣٨ هـ) الذي روى عنه محمد بن هارون والإمام الزبيري .

راوياه : ـ **رُوَيس** : البصري المتقدم .

ـ **روح بن عبد المؤمن** : أبو الحسن البصري النحوي الهذلي بالولاء (ـ ٢٣٤ هـ) الذي روى عنه أحمد بن يزيد الحلواني (المتقدم) .

١٠ ـ **خلف بن هشام البزار** : راوية حمزة أيضاً (تقدمت ترجمته ص ١٣٥) .

راوياه : ـ **إسحاق الوراق** : أبو يعقوب المروزي ثم البغدادي (ـ ٢٨٦ هـ) ، وراق خلف وراوي اختياره عنه وقرأ على الوليد بن مسلم وقرأ عليه جماعة منهم ابن شنبوذ (أحد طريقي قنبل راوي ابن كثير ، تقدم ص ١٣٤ وسيأتي أيضاً ص ١٣٧) .

ـ **إدريس الحداد** : أبو الحسن بن عبد الكريم البغدادي (١٨٩ ـ ٢٩٢ هـ) . قرأ على خلف اختياره وروايته ، وعلى محمد بن حبيب الشموني . وروى القراءة عنه سماعاً : ابن مجاهد ، وعرضاً : محمد بن أحمد بن شنبوذ ، وابن مقسم وأبو بكر النقاش وغيرهم . =

قال في الاتقان : القراءات المشهورة (آحاد) هي الثلاثة تمام العشرة ويلحق بها قراءة الصحابة .

بقية الأربعة عشر [وهي شاذة لا تصح قراءتها في الصلاة لمخالفتها مصحف عثمان في الرسم]

١١ ـ ابن محيصن : محمد بن عبد الرحمن السهمي بالولاء المكي (ـ ١٢٣ هـ) مقرئ مكة مع ابن كثير ، أعلم قراءها بالعربية وأقواهم عليها . عرض على : مجاهد بن جبير ودرباس مولى ابن عباس وسعيد بن جبير . وعرض عليه : شبل بن عباد وأبو عمرو بن العلاء . وسمع منه حروفاً : إسماعيل بن مسلم المكي وعيسى بن عمر البصري .

راوياه : ـ البزي : أحد راويي ابن كثير أيضاً (تقدمت ترجمته) .

ـ ابن شنبوذ : محمد بن أحمد بن أيوب ، أبو الحسن البغدادي (ـ ٣٢٨ هـ) وأحد طريقي قنبل عن ابن كثير أيضاً وتقدم . شيخ الإقراء بالعراق ، رحالة في طلب العلم ، أستاذ كبير ، ثقة صالح قوي الحفظ . أخذ القراء : عرضاً عن إبراهيم وراق خلف ، وعن إبراهيم الحربي ، وقنبل ، وجماعة في أمصار عدة . قرأ عليه : أبو بكر بن مقسم والمعافى بن زكريا . وكان يجوز القراءة بالشاذ ـ ما خالف رسم المصحف ـ ، وذكر القاضي عياض في الشفاء ـ آخر كتابه بفصل خاص فيمن استخف بالقرآن العظيم ـ قال : وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ ... سنة ٣٢٣ هـ .. وزاد علي القاري في شرحه كثيراً (إلى أن قال) : وكان مجاب الدعوة ... إماماً ديناً لا ينكر موضعه من العلم ، وكان فيه سلامة الصدر ومن مشاهير القراء وأعيانهم ...

١٢ ـ اليزيدي : يحيى بن المبارك ، أبو محمد العدوي بالولاء ، البصري (١٢٨ ـ ٢٠٢ هـ) نحوي مقرئ ثقة عالمة كبير في النحو والعربية والقراءة . أخذ القراءة : عرضاً عن أبي عمرو بن العلاء وخلفه بالقيام بها ، وأخذ عن حمزة . روى عنه القراءة : أولاده محمد وعبد الله وإبراهيم وإسماعيل ، وأبو عمر الدوري ، وسليمان بن أيوب بن الحكم ، وسليمان بن خلاد ، وجماعة . وروى عنه الحروف : أبو عبيد القاسم بن سلام . اختياره : خالف فيه أبا عمرو في حروف يسيرة .

راوياه : ـ سليمان : أبو أيوب بن الحكم الخياط البغدادي صاحب البصري (ـ ٢٣٥ هـ) . وقرأ عليه أحمد بن حرب المعدل وغيره .

ـ أحمد بن فرح : أبو جعفر الضرير البغدادي المفسر (ـ ٣٠٣ هـ) ثقة كبير ، قرأ على الدوري تلميذ اليزيدي ، وعلى عبد الرحمن بن واقد وعلى البزي ، وعمر بن شبة . قرأ عليه : ابن مقسم وابن مجاهد وابن شنبوذ . وتقدم أيضاً أنه أحد طريقي الدوري عن أبي عمرو بن العلاء .

١٣ ـ الحسن البصري : أبو سعيد بن يسار (٢١ ـ ١١٠ هـ) إمام زمانه علماً وعملاً وزهداً ، سيد التابعين [وذكر الشعراني في طبقاته : أنه من ميسان ثم كان (أي والده) مولى للأنصار . وترجمه بأنه كان كثير الخوف من الله تعالى . وأنه جاءه رجل قال له : أشكو إليك قساوة قلبي فقال : ادنُ من مجالس الذكر . ومن أقواله : أكرم إخوانك يدم لك ودهم . والدنيا مطيتك إن ركبتها حملتك ، وإن ركبتك قتلتك] . قرأ على : حطان بن عبد الله الرقاشي عن أبي موسى الأشعري ، وعن أبي العالية عن أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعمر بن الخطاب . روى عنه : أبو عمرو بن العلاء وسلام الطويل ويونس بن عبيد وعيسى بن عمر النحوي .

وقف عليه لغيره . وقد بسط ذلك الوجه صاحب « الانتصار » المتقدم[١٣] ، ولكنه قاصر على التلفظات واختلافها ، من غير تعرّض لهذه الأنوار الباطنية التي أوجبت اختلاف التلفظات .

= راوياه : ـ **شجاع بن أبي نصر البلخي** : أبو نعيم البغدادي الزاهد (١٢٠ ـ ١٩٠ هـ) . ثقة كبير عرض على أبي عمرو بن العلاء وسمع من عيسى بن عمر . روى القراءة عنه : أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو عمر الدوري وغيرهما . سئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فقال : « بخ بخ ، وأين مثله اليوم ؟ » .

ـ **الدوري** : أحد راويي أبي عمرو بن العلاء أيضاً (تقدمت ترجمته) .

١٤ ـ **الأعمش** : سليمان بن مهران ، أبو محمد الكوفي مولى بني أسد (٦٠ ـ ١٤٨ هـ) إمام جليل ، مقرئ الأئمة ، صاحب نوادر [وذكره الشعراني في الطبقات ونقل عنه قوله : أخاف أن أموت على غير وضوء فإن الموت يأتي بغير ميعاد . وأنه مكث سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى (في الصلاة) . **وكان يقول** : إذا فسد الناس أمّرَ عليهم شرارُهم اهـ] . أخذ القراءة : عرضاً عن إبراهيم النخعي وزر بن حبيش وعاصم بن أبي النجود ومجاهد بن جبير وأبي العالية الرياحي وغيرهم . روى القراءة عنه : عرضاً وسماعاً حمزة الزيات ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وجماعة . روى عنه الحروف : محمد بن عبد الله المعروف بزاهر ، ومحمد بن ميمون .

راوياه : ـ الحسن بن سعيد **المطوعي** : أبو العباس العباداني البصري العمري (حوالي ٢٧١ ـ ٣٧١ هـ) وتقدم أيضاً أنه أحد طرق خلاد عن حمزة الزيات الكوفي . إمام عارف ثقة في القراءة . رحل فيها فقرأ على : إدريس بن عبد الكريم ومحمد الأصبهاني ويوسف الواسطي والحسن بن حبيب الدمشقي وابن مجاهد ويموت بن المزرع وابن شنبوذ وجماعة . قرأ عليه جماعة . انتهى إليه علو الإسناد في القراءات . له كتاب (معرفة اللامات وتفسيرها) .

ـ **أبو الفرج الشنبوذي** : محمد بن أحمد بن إبراهيم الشطوي البغدادي (٣٠٠ ـ ٣٨٨ هـ) أستاذ من أئمة القراءة ، نبيل حافظ حاذق ، له شيوخ كثيرة ، تبحر في التفسير . أخذ القراءة : عرضاً عن ابن مجاهد (راوي قنبل ، تقدم) وأبي بكر النقاش وأبي الحسن بن شنبوذ (المتقدم) ولازمه فنسب إليه . قرأ عليه جماعة واشتهر اسمه .

مهمة :

عدّ في الإتقان من القراءات الشاذة : قراءة التابعين الأعمش ويحي بن وثاب وابن جبير وسفيان الثوري .

قلت : ولتمام الفائدة فإنني أنصح بالرجوع إلى ما كتبه الأستاذ العالم اللغوي المعاصر **سعيد الأفغاني** في مدخله مقدمة على كتاب حجة القراءات لأبي زرعة بن زنجلة (الطبعة الثانية لمؤسسة الرسالة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م) حيث اقتبستُ الكثير منها ، مع الرجوع إلى كتاب النشر للإمام ابن الجزري وخاصة الجزء الأول في أسماء الرواة العشرة ورواتهم وطرقهم . ومع الرجوع أيضاً إلى ما كتبه شيخنا العلامة المفتي **محمد أبو اليسر عابدين** ـ رحمه الله تعالى ـ وقرأته عليه في قصيدته الشعرية في أسماء القراء السبعة ورواتهم الأربعة عشر وطرقهم الثمانية والعشرين . وما تبعها من مُشَجّرات وتعليقات عليها موجودة في ديوان شعره (غير مطبوع) . ا هـ المحقق .

(١٣) ص ١٢٠ .

وبالجملة : فذلك الوجه وغيره مما قيل في الحديث إنما تعلقوا فيها بظل الشجرة ؛ وهذا الوجه الذي سمعَهُ شيخنا ـ رضي الله عنه ـ من صاحب الوحي ﷺ ، فيه ذكر الشجرة ، بعروقها وأصولها وفروعها ، وجميع ما ينشأ عنها .

قال ـ رضي الله عنه ـ : ولو أردت أن أملي فيه مقدار سبع كراريس[١٤] لفعلت ، ولكن منع منه المانع السابق .

[س] فقلت ـ وكنت سمعت منه في بيان التفريع ـ : إنّ في الآية شيئاً من أجزاء النبوة مثلاً ، وشيئاً من أجزاء الرسالة ، وهكذا ، حتى يأتي على الحروف السبعة . لا بد أنْ تشرح لنا المراد بأجزاء هذه الحروف السبعة ، ثم تُبيّنَ لنا وجه تفريع الحروف عليها لتتم الفائدة ..!!؟

مطلب عظيم
الأحرف السبعة وأجزاؤها السبعة

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : لكل حرف من هذه الحروف السبعة سبعة أجزاء ؛ فللآدمية سبعة ؛ وللنبوّة سبعة ؛ وللرسالة سبعة ؛ وللروح سبعة ؛ وللقبض سبعة ؛ وللبسط سبعة ؛ وللعلم سبعة ، فمجموع ذلك تسعة وأربعون .

[١] **أما الآدمية :**

[١ ـ ١] فالأول من أجزائها : **كمال حسن خلق الصورة الظاهرة** ، على أبدع وجه وأحسنه في وجهها ويديها ورجليها وأصابعها وسائر أجزائها ، وجميع ما يبدو منها مثل البياض في حسنه وصفائه ؛ ونحو ذلك .

[١ ـ ٢] الثاني : **كمال منافع الذات الظاهرة** ، مثل الحواس الخمس ، فيكون السمع على غاية الكمال ، والبصر على غاية الكمال ، والشمّ على غاية الكمال ، والذوق على غاية الكمال ، واللمس على غاية الكمال ، ومثل الصوت والنطق بالحروف ؛ فيكون على غاية الكمال ونهاية البلاغة والفصاحة .

[١ ـ ٣] الثالث : **كمال حسن خلق الصورة الباطنية** ، حتى يكون القلب على أبدع أشكاله وأحسن أحواله ، وتكون الكبد على الهيئة الكاملة ، ويكون

---

(١٤) كراريس : مفردها كرّاسة . وهي : ١٦ صحيفة . كما في المصباح المنير وغيره .

الدماغ على أحسن ما يكون ، وتكون مجاري العروق على الوجه المعتدل ، وهكذا حتى تأتي على جميع الأعضاء الباطنية ، وتكون كلّها على الكمال .

[١ ـ ٤] الرابع : **كمال الحس الباطني** ، حتى يكون التكيّف باللذة والحس بالوجدان[١٥] في غاية الكمال .

[١ ـ ٥] الخامس : **الذكورية** ، فإنّها من كمال الآدمية لأنّ فيها سرّ الفعل ، وفي الأنوثية سرّ الانفعال ، وذلك أنّ الله ـ عز وجل ـ خلق آدم له ـ سبحانه ـ وخلق الأشياء كلّها لآدم ؛ ومن جملة الأشياء النساء . ولمّا خلق الأشياء له أعطاه سرّ الفعل ، وجعله خليفة ، وجعل ذلك في الذكور من أولاده إلى غابر الدهر .

[١ ـ ٦] السادس : **نزع حظّ الشيطان من الذات** ، فإنّ بذلك تكمل الآدمية ؛ ولذا شقّت الملائكة صدره ﷺ ، ونزعوا من قلبه ما نزعوا ، وغسّلوه بما غسلوه ، وملؤوه إيماناً وحكمة . شق صدره ﷺ

[١ ـ ٧] السابع : **كمال العقل** ، بحيث يكون على غاية الصفاء ونهاية المعرفة .

فهذه السبعة هي التي نعبر عنها بأجزاء الآدمية تقريباً ؛ ولم توجد أجزاؤها السبعة بالكمال الذي لا كمال فوقه إلا في ذاته ﷺ .

[٢] وأما القبض :

[٢ ـ ١] فالأول من أجزائه : **حاسة موضوعة في الذات** سارية في جميع جواهرها يقع للذات بسببها التِذاذ بالخير في جميع جواهرها ، كما يلتذّ الإنسان بحلاوة العسل ، ويقع لها بسببها تألّم بالشرّ في جميع جواهرها ، كما يتألم الإنسان بمرارة الحنظل ونحوه .

[٢ ـ ٢] الثاني : **الإنصاف** ، فهو من أجزاء القبض ، ولا يكمل القبض إلا به ، لأن الكلام في القبض النوراني ، فإنْ لم يكن معه إنصاف كان ظلمانياً ، وأدرك به صاحبَه الغضبُ من الله ـ عز وجل ـ .

---

(١٥) كذا في ظ ١ . وفي جميع النسخ المطبوعة (بولاق وأزهرية وغيرها) : التكليف باللذة والحس بالوحدانية ـ وهو خطأ غير مفهوم ـ.

[٢ ـ ٣] الثالث : **النَفْرة عن[١٦] الضد** ، فيَنْفِر عنه نَفْرَةَ سائر الأضداد عن أضدادها ، ولا يجتمع معه ، كما لا يجتمع البياض مع السواد ، والقيام مع القعود .

[٢ ـ ٤] الرابع : **عَدَم الحياء من قول الحقّ** ، فيذكره ولو كان مُرّاً ، ولا تأخذه في الله لومةُ لائم .

[٢ ـ ٥] الخامس : **امتثال الأوامر** ، لأن الكلام في القبض النوراني وإذا كان مع القبض مخالفة الشرع كان ظلمانياً ، وأوجب لصاحبه المقت من الله ـ عز وجل ـ .

[٢ ـ ٦] السادس : **الميلُ إلى الجنس** ميلاً تاماً ، حتى يتكيف به . مثاله : إذا سَمِعَ النبيُّ ﷺ من يقول : اللهُ حقّ ، وهو خالقنا ورازقنا ، وهو واحد لا شريك له في مُلكه ، ونحو هذا الكلام ، فإنه يميل ﷺ إلى هذا القول ، ويحبه محبة تنحل بها أعضاؤه حتى يتكيف بسرّ هذا الكلام ، وتَشِفُّ[١٧] ذاتُه الشريفة النورَ الذي خرج معه ؛ فكما كانت النَفْرَة الكاملة عن الضدّ كان له الميل الكامل إلى الجنس .

[٢ ـ ٧] السابع : **القوّةُ الكاملة في الانكماش** ، بحيث إذا انكمش على شيء من الأمور فإنّه لا يُسقط منه ولو قُلامةَ ظفر . مثاله في المحسوسات : من انكمش على عشرة مثلاً ، فإن سقط منه واحد فلا قوة له كاملة في الانكماش ؛ وإن لم يَسقط منه شيء فله القوّة الكاملة فيه . وكذا من انكمش على شيء ، فإن لم يدُم على ذلك فليس له القوّة الكاملة في انكماشه عنه ؛ وإن دام عليه فله فيه القوّة الكاملة . وقد سبق[١٨] أن من أجزاء القبض الميلَ إلى الجنس والتكيّف به ؛ ولا بد مع ذلك التكيّف من قوة الانكماش . وكذا من أجزائه النَفْرة عن الضدّ ، فلا بد في ذلك أيضاً من قوّة الانكماش ليدوم على نَفرته .

---

(١٦) في بولاق وغيرها : من ـ وهو خطأ ـ.

(١٧) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والمتوكل : وتسف . وفي الأزهرية : وتصف .

(١٨) في (٢ ـ ٦) قبلها مباشرة .

[٣] وأما البسط :

[٣ - ١] فالأول من أجزائه : **الفرح الكامل** ، وهو نور في الباطن ينفي عن صاحبه الحقد والحسد والكِبر والبُخل ، والعداوة مع الناس ؛ لأن هذه الأوصاف ونحوها منافية للفرح ؛ وإذا وجد نور الإيمان مع هذا الفرح في الذات ، نزل عليه نزولَ مجانسة وموافقة ، وتَمكّن من الذات على ما ينبغي ؛ وكان بمثابة المطر النازل على الأرض الطيبة ، فتتولد من ذلك أخلاق زكية . تعريف

[٣ - ٢] الثاني : **سكون الخير في الذات دون الشرّ** ، وهو نور يوجب لصاحبه أن يكون الخير سجيّةً له وطبيعة ، فترى صاحبَهُ يحبّ الخير ، ويحبّ أهله ، ولا يجول فكره إلا في الأمور الموصلة إليه ؛ ومن فعل معه خيراً فإنّه لا ينساه أبداً ؛ وأما من فعل معه سوءاً ووصله بإذاية فإنه بمضي[19] وقته ينساه ، ولا يبقى في فكره ؛ حتى إنك إذا اختبرته بعد ذلك وجدت قلبه فارغاً من ذلك ، وهو مطمئن ، مستبشر ، بمثابة من لم يقع له شيء يؤذيه . فهذا من كمال البسط .

[٣ - ٣] الثالث : **فتح الحواسّ الظاهرة** ، وهو عبارة عن لذة تحصل في الحواسّ الظاهرة وذلك بفتح العروق التي فيها ، فتتكيف تلك العروق بما أدركته الحواسّ ؛ وبهذه اللذة يكمل البسط . ففي **البصر** لذّة ، بها يحصل الميل إلى الصور الحسنة ؛ وعن ذلك ينشأ العشق ، والانقطاع الباطني للمنظور . وفي **السمع** لذّة ، بها يحصل الخضوع عند سماع الأصوات الحسنة والنغمات المستقيمة ؛ وقد ينشأ عن ذلك اضطراب واهتزاز في الذات . وهكذا سائر الحواس ، ففي كل حاسة لذّةٌ زائدة على مُطلق الإدراك . فتح في الحواس

والفرق بين فتح الحواسّ الظاهرة - الذي هو من أجزاء البسط - وبين كمال الحواسّ الظاهرة - الذي هو من أجزاء الآدمية - : أن فتح الحواسّ يزيد على كمالها بفتح العروق السابقة ؛ فإن فتح العروق زائد على الإدراك الذي في كمال الحواسّ . وبذلك الفتح الحاصل في العروق والتكيف الجاذب لِصاحبه يقع الانقطاع إلى فرق

---

(١٩) في ظ ١ : فإنّه يمضي بمضيّ وقته ...

المُدرَك ، فترى صاحبه ينقطع مع كل نظرة إلى ما يراه ، وقد تحصل له غيبة خفيفة مع ذلك الانقطاع ؛ بخلاف مطلق الإدراك فإنه لا يحصل معهُ هذا الانقطاع ؛ وكم من شخص يرى أموراً حسنة ولا يتأثر بها ؛ وكم من آخر يسمع أصواتاً حسنة ولا تقع منه على بال . وبهذا الفتح والتكيّف يحصل كمال البسط .

[٣ ـ ٤] الرابع : **فتح الحواسّ الباطنة** ، وكل ما سبق في فتح الحواسّ الظاهرة من فتح العروق وتكيّفها بما أدركته الحواسّ ، وانقطاع الشخص مع ذلك إلى المُدرَك يجري في فتح الحواس الباطنة . والفرق السابق يجري هنا ـ أيضاً ـ بين هذا الفتح ، وبين كمال الحواسّ الباطنة .

[٣ ـ ٥] الخامس : **مقام الرفعة** ، وذلك أن الشخص إذا تحلّى بأجزاء الآدمية ، ثم تحلّى بأجزاء القبض ، ثم بأجزاء البسط الأربعة ، عَلِم قَدر ما أوتيه ؛ وأن تلك الخصال لا تُعطى إلاّ لشيء كبير فيعلم أنّه رفيع القدر ، كبير الدرجة عند ربّه ـ عز وجل ـ ؛ والكبير لا يُنزل نفسَه إلاّ في معالي الأمور ، ومكارم الأخلاق ؛ قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] . وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] .

وإذا عَلِم أنه كبيرُ القدر ، رفيع الدرجة ، كَمُلَ بسطه ؛ فلذلك كان مقام الرفعة من أجزاء البسط .

[٣ ـ ٦] السادس : **حُسن التجاوز** ، فيعفو عمن ظلمه ؛ ويتجاوز عمن أساء إليه . وإنما كان حُسن التجاوز من أجزاء البسط لأن كلامنا في البسط الذي هو نورانيّ ، لا في البسط الذي هو ظلمانيّ ؛ وقد سبق من أجزاء البسط مقام الرفعة ؛ وأنه عبارة عن رفعة القَدْر ونباهة الشأن . فإن كان مع هذه الرفعة حسن التجاوز كان البسط نورانيّاً ، وإن كان معها الإساءة والعَسَف[٢٠] كان ظلمانياً ، وأدرك به صاحبه الغضب من الله عز وجل . فبان أن من حقيقة البسط النورانيّ ، ومن أجزائه التي لا بدّ منها : حسنُ التجاوز .

---

(٢٠) (عَسَفَ) في الأمر : فعله من غير روية . المصباح .

[٣ ـ ٧] السابع : **خفض جناح الذل** ، ووجه دخوله في أجزاء البسط ما سبق في حسن التجاوز ، لأن صاحب البسط مقامُه رفيع ، فلا بدّ معه من التواضع والتذلل لأبناء الجنس ، المرافقين له في الحال ، لأنه إن ترفّع عليهم دخل عليه الكبر في بسطه ، وأدرك به الغضب من الله ـ عز وجل ـ .

(واعلم) أن الآدمية وأجزاءها ، وأن القبض وأجزاءه ، وأن البسط وأجزاءه ، كما توجد في النبيّ ﷺ ، توجد في غيره ، ولو كان غيرَ مؤمن ، إلا أن النبيّ ﷺ يختص بالآدمية التي ليس فوقها في الخارج مزيدٌ عليها . ويكون المراد بنزع حظ الشيطان ـ الذي هو من أجزائها ـ ما سبق نزعه في شقّ الصدر الشريف[٢١] . شق صدره ﷺ

أمّا غيره ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإنها توجد فيه على درجة من الكمال ، لا على أعلى الدرجات ؛ ويكون المراد حينئذ بنزع حظ الشيطان ـ الذي هو من جملة أجزائها ـ نَزْعَ القباحة والوقاحة من الذات ، بحيث لا يكون صاحبها شرّيراً ، ولا معلوماً بسوء الخُلُق ؛ لا نزعَ العَلَقة ـ التي سبقت في شقّ الصدر[٢١] ـ فإنّ ذلك مختصّ بدرجة النبوّة .

وأما القبض : فإنه يختص فيه النبيّ ﷺ بما يكون في أعلى الدرجات من القبض النورانيّ .

وأمّا غيره ـ عليه الصّلاة والسلام ـ : فإن كان مُتّبعاً لطريقته وماشياً على سيرته فإنّ قبضه يكون نورانياً ، ويكون فيه على درجة من درجات الكمال ، لا على الغاية في الكمال ، لأنّ الغاية من خصائص النبوّة . وإن كان مخالفاً لشريعته كان قبضه ظلمانياً ، فتكون الحاسة السابقة في الجزء الأول على العكس مما سبق[٢١] ، فيلتذّ بسببها بالشرّ ويتألم بالخير ، وينتفي عنه الجزء الثاني ـ الذي هو الإنصاف ـ ، لأنه إذا كان يلتذّ بالشر ويتألم بالخير استحال منه الإنصاف ؛ وإنما يمكن الإنصاف ممن يلتذ بالخير ويتألم بالشرّ ، ويكون الجزء الثالث ـ الذي هو النَفرة عن الضدّ ـ فيه على العكس فينفر من الخير . وكذا بقية الأجزاء ، فإنّها تنعكس في القبض

---

(٢١) تقدم في (١ ـ ٦) من أجزاء الآدمية .

(٢١) تقدمت في (٢ـ١) أي الجزء الأول من القبض .

الظلماني ؛ فإن انعكست الأجزاءُ كلُّها على الوصف السابق ، فذلك القبض الظلمانيّ ، الذي هو في مردة الشياطين الكفرة ـ نسأل الله السلامة ـ ؛ ولذلك لم يزيدوا بمشاهدة المعجزات منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلا طغياناً وكفراً . وإن انعكس بعض الأجزاء دون بعض فهو قبض عامّة المؤمنين .

وأمّا البسط : فإنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ يختصّ منه[٢٢] بما يكون في أعلى الدرجات من البسط النورانيّ . وغيره ـ عليه الصلاة والسلام ـ يجري على التفصيل السابق في القبض .

والبسط النوراني : هو الذي يكون من أجزائه حسن التجاوز ، وخفض جناح الذلّ . والظلماني ينتفيان فيه ـ كما سبق ـ والله أعلم .

[٤] وأما النبوّة :

[٤ ـ ١] فالأول من أجزائها : قول الحقّ ، وهو ينشأ عن نور في الذات يوجب لها هذا القول ، ويكون ذلك من سجيّتها وطبيعتها ، ولا يرجع عنه ولو كان فيه مخالفةُ الأحباب ومفارقة الأوطان ، بل ولو كان فيه ضربُ الأعناق . وقد طلب المشركون منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يرجع عن قوله ، وراودوه على ذلك بكلّ حيلة ، فأبى وامتنع ؛ ثم نصبوا له العداوة ، ورموه عن قوس واحد ؛ فما زاده ذلك إلا تثبّتاً ورسوخاً ؛ لأنّ الذات الشريفة مطبوعةٌ على قول الحقّ لا يتصور عندها غيره .

الثبات على الحق منه ﷺ

ثم حكى ـ رضي الله عنه ـ حكايتين :

حكاية أولى في ثبات الطيور على ما علمته

الأولى : أن في بعض بلاد العجم طيوراً معلّمة ، تكون على باب الدار ؛ فإذا دخل السارق نطقتْ الطيور وقالت : سرقوا ـ بقاف معقودة ـ ؛ ولا يرجع ـ ذلك الطير ـ عن قوله ، ولو هُدّد وأشير عليه بالتخويف ؛ وكذا لا يرجع إذا أعطي شيئاً يؤكل . وبالجملة : لا يرجع ولو قُتل .

---

(٢٢) في ظ ١ : به .

يشير - رضي الله عنه - بهذه الحكاية : إلى تفسير معنى قول الحقّ ، وإلى أن أوّل[٢٣] الخير بالتعلّم ، لأن الطير مع بُعده عَلِم حتى صار هذا القول سجيّة له ، فكيف ببني آدم ..!؟ فكيف بالمؤمنين ..!

حكاية ثانية

الثانية : أن بعض المريدين قال لشيخه : ياسيّدي ..! دلّني على شيء يريحني مع الله - عز وجل - فقال له الشيخ : إن أردت ذلك فكن شبيها له في شيء من أوصافه - عزّ وجل - ، فأنّك إن اتصفت بشيء منها فإنّه يسكنك يوم القيامة مع أوليائه في دار نعيمه ، ولا يسكنك مع أعدائه في دار جحيمه ؛ فقال المريد : وكيف لي بذلك ياسيّدي وأوصافه تعالى لاتنحصر ...!!؟ ، فقال الشيخ : كن شبيهه في بعضها ؛ فقال : وماهو ياسيّدي ؟ فقال : كن من الذين يقولون الحقّ ؛ فإنّ من أوصافه تعالى : قولَ الحقّ ؛ فإن كنت من الذين - يقولون الحقّ - فإنّ الله سيرحمك . فعاهَدَ الشيخَ على أنه يقول الحقّ ، وافترقا .

وكان بجوار المريد بنتٌ ، فدخل الشيطان بينهما ، حتى فجرَ بها ، وافتضّها ؛ فلم تقدر البنت على الصبر ، - مع أنها هي التي طلبت منه الفعل - لأنها تعلم أن الافتضاض لايخفى بعد ذلك ؛ فأعلمت أباها فرفعه إلى الحاكم ، وقال : إنّ هذا فَعَلَ ببنتي كذا وكذا ؛ فقال الحاكم للمريد : أتسمع مايقول ؟. فقال : صدقَ ، قد فعلتُ ذلك - وكان مستحضراً للعهد الذي فارقَ الشيخَ عليه فلم يقدر على الجحود والنكران - ، فلما سمع منه الحاكم ماسمع ؛ قال : هذا أحمق ، اذهبوا به إلى المارستان ؛ فإن العاقل لايقر على نفسه بما يعود عليه بالضرر ؛ فدخل المارستان ؛ ثم جاء من رَغّب الحاكم ، وشُفع فيه ؛ فسرّحوه .

يشير - رضي الله عنه - بهذه الحكاية ، إلى : أن عاقبة قول الحق لاتكون إلا محمودةَ . والله أعلم .

تعريف الصبر

[٤ - ٢] - الثاني : الصبر . وهو نورٌ في الذت ، ينفي عنها الإحساس بالألم والمصائب التي تلحقها في ذات الله - عزّ وجل - ؛ وذلك هو الصبر الحقيقيّ الذي

---

(٢٣) زيادة - أول - في ظ ١ .

يكون بلا كلفة ، لاتساع عقل صاحبه بسعة فكره ، لكون الذات مفتوحا عليها ، فعقلها سارح في كمالاته تعالى ـ التي لانهاية لها ـ ؛ فإذا وقع للذات شيء من الألم شغلت عنه بالأمور التي الفكر فيها مشغول .

حكاية

وقد وقع لبعض الصالحين ـ وكان من الأكابر ، بل كان هو غوثَ زمانه ـ ، أنه دخل عليه أربعة رجال ليقتلوه ظلماً ؛ وكان للولي المذكور جماعةٌ من الولدان ؛ فأخرجه أولئك الأربعة من داره ، وهو بَيْن أهله وأولاده وجعلوا يجرّونه ، وأولادُه يَضُجّون ويبكون ، ولم يزالوا به حتى ذبحوه ؛ وفكرُه في ذلك مقبل على ما هو بشأنه وصدده ؛ ولم يلتفت قطّ إلى ما وقع به ، ولا إلى بكاء أولاده ، وصياح نسائه . فهذا من الصبر الغريب الذي لا يكاد يسمع به(٢٣) . وإذا كان هذا لأولياء أمته ﷺ ، فكيف بصبره هو ـ عليه الصلاة والسلام ـ ..!!

وأما إذا كانت الذات محجوبةً ، فإن العقل نورُه يجتمع في الذات ويبقى محصوراً فيها ؛ فإذا نزل بالذات أمرٌ يضرّها ، أحسّت به إحساساً عظيماً ، حتى إنك لو أخذتَ مِحواراً وكويتَ به هذا الرجل لكان عنده بمنزلة مائة محوار ؛ ولو كويت به المفتوح عليه ، فإما أن لا يحس به أصلاً ـ كما وقع للولي المذكور ـ ؛ وإما أن لا يحسّ به إحساساً عظيماً .

تعريف الرحمة

[٤ ـ ٣] الثالث : **الرحمة** ، وهي نور ساكن في الذات يقتضي الرأفة والحنانة على سائر الخلق ، وهو ناشئ عن الرحمة الواصلة من الله ـ عزّ وجل ـ للعبد ؛ وعلى قدر رحمة الله للعبد تكون رحمته هو لسائر الناس ؛ ولا شك أنه ليس في مخلوقات الله ـ عزّ وجلّ ـ من هو مرحوم مثلهُ ﷺ ، فلذلك كانت رحمته ﷺ للخلق لا يوازيها شيء ، ولا يلحقه في ذلك أحد ، ولقد بلغ من عظيم رحمته ﷺ أن عمّت رحمتُه ـ عليه الصلاة والسلام ـ العالَم العلويّ والعالَم السفليّ ، وأهلَ الدنيا وأهلَ الآخرة ؛ ولقد أشار عز وجل في آية : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

---

(٢٣) قلت : وكذا كان صبر سيدنا عثمان رضي الله عنه حيث صبر على القتل مع إمكانه ردّ أهل الفتنة وقتالهم إذ عرض عليه ذلك سيدنا علي كرم الله وجهه ولكنه لم يرض أن يراق دم امرئ مسلم واحد من أجله ا هـ . كما في حياة الصحابة والعوامم من القواصم وغيرها .

[التوبة : ١٢٨] ، إلى أربعة أمور : **أحدها** : النور الذي تسقى به جميع المخلوقات ، التي وقع لها الرضا من الله - عز وجل -

الثاني : ذلك النور قريب منه - عزّ وجلّ - ونعني بالقرب قربَ المكانة والمنزلة ، لا قربَ المكان .

الثالث : أنّ ذلك النور - القريب منه عزّ وجلّ - ، بأسره وجميعه في ذات النبيّ ﷺ .

الرابع : أن ذاته ﷺ مُطيقة لذلك النور ، قادرةٌ على حمله ، بحيث لا يلحقها في ذلك كلفةٌ ولا مشقة . وهذا هو الكمال الذي فاق به نبيّنا ﷺ جميعَ الخلائق . والوجه الذي منه وقعت إشارة الآية إلى هذه المعاني الأربع : من الأسرار التي يجب كتمها . وبقيت معانٍ أخر أشارت إليها الآية . والله أعلم .

[٤ - ٤] الرابع : **معرفة الله - عز وجل -** على الوجه الذي ينبغي أن تكون المعرفة عليه .

تعريف الخوف

[٤ - ٥] الخامس : **الخوف التامّ منه - عزّ وجلّ -** ؛ وهو : عبارة عن امتزاج الخوف الباطنيّ الأصلي - الذي هو في سائر الأجرام - مع الخوف الظاهريّ الذي سببه العقل والمعرفة الظاهرة به - عزّ وجلّ - ؛ فالخوف الباطنيّ قائم بجميع الذات ، ومستولٍ على جميع جواهرها الفردةِ ؛ لأن ما من جوهر إلا وهو مخلوق لله - عز وجل - ، والمخلوق يخاف ربّه خوفَ الحادث من القديم . وهو موجود في كلّ مخلوق ناطقٍ وصامت ، كما قال تعالى :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ، فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصّلت : ١١] .

فسبب هذا القول : هو **الخوف الأصليّ الباطنيّ** ؛ وعن هذا الخوف ينشأ التسبيح المذكور في قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وحكم هذا الخَوف : الدوام والاستمرار في سائر اللحظات . وأما الخوف الظاهريّ فإنّ سببه الالتفات إلى الله - عزّ وجلّ - ؛ فما دام ذلك الالتفات حصل الخوف ؛ وإن اشتغل الفكر بشيء آخر ذهب الالتفات ، وزال الخوف ؛ فَمَن رحمه الله تعالى أزال عنه الحجاب الذي بينه وبين هذا الخوف الباطنيّ ، الحقيقيّ الأصليّ ، الذي يدوم ؛ فيرجع له هذا الخوف ظاهراً ، دائماً صافياً ، طاهراً من الظلام . ثم يصير خوفه - والحالة هذه - يستمد من معرفته بربه - عز وجل - ، وبذلك يصير خوفه لا نهاية له ، لأن معرفته بربّه لا تنتهي ؛ فالخوف المستَمدُّ منها لا ينتهي . وبالجملة : **فالظاهر يستمدّ من الباطن الصفاءَ والدوامَ ؛ والباطن يستمدّ من الظاهر الزيادةَ والفيضان** . وهذا هو « الخوف التام » . وإنما كان الباطن يستمدّ من الظاهر الزيادة لأن الخوف في الباطن نسبته إلى سائر الأجرام - على حدّ سواء - . وإنما الذي تختلف فيه الأجرام الخوف الظاهر ، لأن سببه المعرفة وهم مختلفون فيها . والله أعلم .

[٤ - ٦] السادس : **بُغض الباطل** ، وهو ينشأ عن نور ساكن في الذات ، دائم فيها ؛ من شأنه الالتفات إلى جنس الظلام واستحضاره ، حتّى يكون نصبَ عينيه ؛ ثم يقابله بالدفع مقابلة الضدّ لضدّه . فاستحضار الضدّ مما يعين على كمال بغضه ؛ فإذا دام استحضاره دام بغضه . **فبغض الباطل دائماً في كل لحظة من اللحظات جزء من أجزاء النبوة** . والله أعلم .

[٤ - ٧] السابع : **العفو** ، وهو ناشئ عن نور ساكن في الذات دائم فيها ، من طبع هذا النور أنّ من ضَرّه نفعه هو ؛ فهو يقابِلُ بالنفع من تلقاه بالضرّ ؛ فمن قَطَعه وصله ؛ ومن ظَلَمه تجاوز عنه ؛ ومن أساء إليه أحسن هو إليه ، فهذا العفو - الذي هو على هذه الصفة - جزء من أجزاء النبوّة ، ولا بدّ من دوامه لأن سببه النور السابق ، وهو دائم في الذات ، فحالة العفو دائمة . وهكذا كان نبيّنا محمّد ﷺ .

(واعلم) أن خصال النبوّة لم يَحُزْها على الوجه الأكمل - الذي ليس فوقه شيء - إلا نبيّنا ﷺ ؛ وسبب ذلك : أن خصال الآدميّة والقبض والبسط لم تكمل في ذات من الذوات مثل ما كملت في ذاته ﷺ ، فلما كانت على الوجه الأعلى في ذاته

الظاهرة ، ونزلت عليها خصال النبوّة ، زادت أنوارها ، وتشعشعت اسرارها .

فالخصلة **الأولى** من خصال النبوّة : تنزّل على إحدى وعشرين خصلة ـ التي في الآدميّة والقبض والبسط ـ حتى تصير تلك الخصلة كأنّها دُرجت[٢٤] فيها أنوار تلك الخصال المذكورة .

والثانية : تنزّل على اثنين وعشرين خصلة ، وتُدرج فيها أنوار تلك الخصال بأسرها .

والثالثة : تنزل على ثلاث وعشرين خصلة ، وتُدْرَج فيها أنوارها ، وبالجملة : فيكون نور[☆] الحق بمثابة المركّب من اثنين وعشرين نوراً ، نورُه ونورُ ما قبله من الخصال . ونور الصبر مركّب من ثلاثة وعشرين نوراً ، نوره ونور ما قبله ، ونور الرحمة مركب من أربعة وعشرين نوراً . ولهذا كانت رحمته ﷺ على الصفة السابقة حتى عمّت المخلوقاتِ كلَّها .

وأما معرفته بربّه ﷺ فلا يُطاق شرحُها ، وبالجملة : فإذا وضعتَ خلالَ النبوّة بين عينيك ، ثم تأملت ما قيل في شرحها وبلغتَ إلى كنهها ، ثم نزّلت أنوارها على الأنوار التي قبلها ، وأدرجت الأنوار التي قبلها فيها ؛ علمتَ جلالَ النبيّ ﷺ وعظمَتَه عند ربّه ـ عز وجل ـ ، وأنه كما قيل [في بردة المديح للبوصيري] :

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه أجمعين .

[٥] وأما الروح :

[٥ ـ ١] فالأول من أجزائها : **ذوق الأنوار** ، وهو عبارة عن نور في الروح سارٍ فيها ، تَذوقُ به أنوارَ أفعاله تعالى في الكائنات ، والأنوارَ الموجودة في العالم العلويّ على ما قُدّر وسبق لها في القسمة .

وهو يخالف ذوق الذات في أمور :

---

(٢٤) في ظ ١ : كأنها درجات .

(☆) أي نور قول الحق . وهو القسم الأول من حرف النبوة .

أحدها : أنّه نورانيّ لا يتعلق إلا بالنور ، بخلاف ذوقنا فإنّه يتعلق بالأجرام ، فنحن نذوق[٢٥] حلاوة العسل بسبب اتصال جرم العسل بلساننا ؛ والروح تذوق حلاوة العسل لا من جرم العسل ، بل من نور الفعل الذي قامت به حقيقةُ تلك الحلاوة ؛ وهكذا ، ذوقها لسائر المذوقات .

ثانيها : أنّه لا يشترط فيه الاتصال ، فإنّ الروح تَذُوق ما اتصل بها وما لم يتّصل ؛ بخلاف ذوقنا ، فإنّه لا بدّ فيه من الاتصال على ما جرت به العادة ؛ وعادة الروح الجارية أنّه لا يشترط في ذوقها الاتصال .

ثالثها : أنه لا يخصّ محلاً من الروح دون غيره ، بل هو سارٍ في جميع جواهرها الظاهرة والباطنة ، بخلاف ذوقنا ، فإنه يخصّ في العادة جرم اللسان .

رابعها : أنه يكون بسائر الحواسّ ، ـ يعني أن ذوقها ينشأ عن سائر الحواسّ ـ ، فإذا رأت الروح شيئاً مَذوقاً كالعسل حصل لها ذوق حلاوته من نور الفعل الذي في تلك الحلاوة ؛ وكذا رؤيتها لسائر المذوقات ، وسائر الأنوار العلويّة . وكذا يحصل لها هذا الذوق عند سماع الألفاظ ، فإذا سمعتْ لفظَ العسل ذاقَتْ النورَ الذي كان به العسل ، فتذوقّ حلاوته بسبب ذلك ؛ وكذا إذا سمعتْ لفظَ الجنّة ، ولفظ الرضوان ، ولفظ الرحمة مثلاً ، حصل لها ذلك الذوق ؛ وأما إذا سمعت القرآن العزيز ، فأوّلُ ما تذوقه عند سماعه : نورُ قولِ الحقّ الذي فيه ، ثم تشتغل بعد ذلك بأذواق أُخر لا تُكيّف . وبالجملة : فهي تذوق بجميع ذاتها وسائر جواهرها ، ذوقاً يحصل لها عن سائر حواسها . والله تعالى أعلم .

ثم إن الأرواح بعد اتفاقها في الذوق ـ على الصفة السابقة ـ ، تختلف فيه بالقوة والضعف . وأقوى الأرواح فيه من خرق ذوقُها العرشَ والفرشَ وغيرَهما من العوالم ؛ وليس ذلك إلا لروحه ﷺ ، لأنها سلطان الأرواح ، وقد سكنت في ذاته الطاهرة ﷺ سُكنى الرضا والمحبّة والقبول ؛ وارتفع الحجاب الذي بينهما ، فصار ذوق الروح الشريفة ـ على كماله وخرقُه للعوالم ـ ثابتاً لذاته الطاهرة الترابية ؛ وهذا هو الكمال الذي لا كمال فوقه . روحه عليه الصلاة والسلام

---

(٢٥) كذا في ظ ١ ـ وهو صواب ـ وفي بولاق : فنحسّ بذوق . ـ وهو بعيد ـ .

[٥ ـ ٢] الثاني : **الطهارة** ، وهي عبارة عن صفاء الروح الصفاءَ الذي خُلقت عليه . وهو ينقسم إلى : حسّيّ ومعنويّ .

أمّا الحسّيّ : فمن أجل أنّها نورٌ ؛ كلُّه على غاية الصفاء ، ونهاية الطهارة .

أصل

وأمّا المعنويّ : فهو عبارة عن امتزاج المعرفتين ، ـ أعني المعرفة الباطنة والمعرفة الظاهرة ـ وذلك أن « **المخلوقات بأسرها عارفة بخالقها سبحانه** » ، لا فرق في ذلك بين صامت وناطق ، ولا بين حيّ وجامد ؛ وما من مخلوق إلا وجميع جواهره فيها هذه المعرفة الباطنية ـ كما سبق بيانه في الخوف التام[٢٦] ـ ؛ ثم مَن رحمه الله عز وجل صيّر له ما كان باطناً ظاهراً فيشعر بمعرفة جميع جواهِره بربّه ـ عزّ وجلّ ـ ، ويصير في ظاهره عارفاً بربّه بجميع أجزاء ذاته ؛ وهذا من أعلى درجات المعرفة . وقد فعل سبحانه هذا بالأرواح ؛ فهي عالمة[٢٧] بربّها في ظاهرها بجميع ذواتها مع بُعد اتفاقها في هذا الصفاء ، فهي مختلفة فيه على قَدْر تفاوت ذواتها في الصغر والكِبَر ؛ فإنّ من الأرواح من حجمُه صغير ، ومنها من حجمه كبير ؛ ولا شك أن من حجمه كبير فجواهره أكثر ، فتكون معارفه بربّه ـ عزّ وجلّ ـ أكثر . وأكبر الأرواح قدراً وأعظمها حجماً روحُه ﷺ ؛ فإنّها تملأ السموات والأرضين ؛ ومع ذلك فقد انطوت عليها الذات الشريفة ، واحتوت على جميع أسرارها . فسبحان من أقدر الذاتَ الطاهرة على ذلك ..!

اختلاف حجم الأرواح

روحه عليه الصلاة والسلام

ثم إذا سكنت الروح في الذات سكنى المحبّة والرضا والقبول ، وزال الحجاب الذي بينهما ، أمدتها بصفائها الحسّيّ والمعنويّ ، فيحصل في الذات صفاء حسّيّ ، فينشأ عنه صفاء الدم الذي في الذات ، وذلك بأربعة أمور :

صفاء الدم بأربعة

١ ـ خفتِه ، وزوالِ الثقل عنه ؛ فإنه على قدر ثقل الدم يكون خُبثه ، وتكثر معه الشهوات .

٢ ـ وصفاء رائحته ؛ وعلامةُ ذلك : أن تكون رائحَته كرائحة العجين . وأما

---

(٢٦) تقدم في (٤ ـ ٥) من أجزاء النبوّة .

(٢٧) في ظ ١ : عارفة .

الدم الخبيث فإنّ رائحته كرائحة الحَمَأ المسنون[٢٨] .

٣ ـ وصفاء لونه ؛ وعلامته : أن يضرب إلى الصفرة . وأمّا الدم الخبيث : فإنّ لونه يضرب إلى السواد ؛ وعلى قدر قربه من السواد يكون خبثُه .

٤ ـ وصفاء طعمه ؛ وعلامتُه : أن يكون حلواً . وأمّا الدم الخبيث : فإنّ طعمه يشبه طعم الشيء المحروق ، فإذا صفا جوهر الدم نزعت منه حظوظ الشيطان ، وانقطعت منه الشهواتُ وظلامُ المعاصي ؛ ثم تصير عروق الذات تتغذّى بهذا الدم الصافي ، فتصفو بصفائه ، وتنقطع منها الشهوات وعلائق الشيطان ؛ فإذا حصل في الذات هذا الصفاء الحسّيّ أمدتها الروح بالصفاء المعنويّ ، فتصير عارفة بربها في ظاهرها بجميع جواهرها ؛ وقد حصل الصفاء الحسّيّ والمعنويّ للذات الطاهرة لأنّها احتوت على الروح الشريفة وأخذت جميعَ أسرارها ـ على صاحبها أفضلُ الصلاة وأزكى التسليم ـ .

[٥ ـ ٣] الثالث : **التمييز** ، وهو نورٌ في الروح تُميّز به الأشياءَ على ما هي عليه في نفس الأمر ، تمييزاً كاملاً ، ومع ذلك فلا تحتاج فيه إلى تَعَلّم ، بل بمجرد رؤية الشيء ، أو سماع لفظة تميّزه ؛ وتميّز أحوالَه ؛ ومبدأه ومنتهاه ؛ وإلى أين يصير ؛ ولماذا خُلق ؟ ثم الأرواح مختلفة في هذا التمييز على قدر الاطّلاع ، فمن الأرواح من هو قوي في الاطّلاع ، ومنها من هو ضعيف . **وأقوى الأرواح** في ذلك **روحه** ﷺ ، فإنّها لم يحجب عنها شيء من العالم فهي مطّلعة على عرشه وعُلْوِه وسُفله ، ودنياه وآخرتِه ، ونارِه وجنتِه ؛ لأن جميع ذلك خُلقَ لأجله ﷺ . فتمييزه ـ عليه الصلاة والسلام ـ خارق لهذه العوالم بأسرها ، فعنده **تمييز في** : أجرام السموات : مِن أين خُلقت ، ومتى خلقت ، ولِمَ خُلقت ، وإلى أين تصير في جرم كل سماء ؟ وعنده **تمييز في** : ملائكة كلّ سماء : وأين خُلقوا ، ومتى خلقوا ، ولِمَ خلقوا ، وإلى أين يصيرون ؟ ويميز اختلاف مراتبهم ومنتهى درجاتهم . وعنده ـ عليه الصلاة والسلام ـ **تمييز في** : الحجب السبعين ؛ وفي ملائكة كلّ حجاب على الصفة السابقة . وعنده عليه الصلاة والسلام **تمييز في** : الأجرام النيّرة التي في العالم

روحه ﷺ

الحجب السبعون

(٢٨) الحمأ المسنون : الطين المنتن .

العلويّ مثل : النجوم والشمس والقمر واللوح والقلم والبرزخ والأرواح التي فيه ـ على الوصف السابق ـ . وكذا عنده ـ عليه الصلاة والسلام ـ تمييز في : الأرضين السبع ، وفي مخلوقات كلّ أرض ، وما في البر والبحر من ذلك ؛ فيميز جميع ذلك ـ على الصفة السابقة ـ . وكذا عنده ـ عليه الصلاة والسلام ـ تمييز في : الجنان ودرجاتها ، وعدد سكّانها ومقاماتهم فيها ؛ وكذا ما بقي من العوالم .

الأرضون السبع

وليس في هذا مزاحمة للعلم القديم الأزليّ الذي لا نهاية لمعلوماته ، وذلك لأن ما في العلم القديم لم ينحصر في هذا العالم ؛ فإن أسرارَ الربوبية وأوصاف الألوهية التي لا نهاية لها ليست من هذا العالم في شيء .

ثم الروح إذا أحبّتْ الذاتَ أمدّتها بهذا التمييز ، فلذلك كانت ذاته الطاهرة ﷺ تميّز ذلك التمييز السابق وتخرق به العوالم كلّها . فسبحان من شرفها وكرّمها وأقدَرَها على ذلك ..!!

[٤ ـ ٥] الرابع : **البصيرة** ، وهي عبارة عن سريان الفهم في سائر أجزاء الروح ، كما يسري في جميعها أيضاً سائرُ الحواس ، مثل : البصر والسمع والشمّ والذوق واللمس ؛ فالعلم قائم بجميعها ، والبصر قائم بجميعها ، والشم قائم بجميعها ، والذوق قائم بجميعها ، واللمس قائم بجميعها ، حتى إنه ما من جوهر من جواهرها إلا وقد قام به عِلم وسمعٌ وبصر ، وشمّ وذوق ولمس ؛ فبصرها من سائر الجهات وكذا بقية الحواس . فإذا أحبّت الروحُ الذاتَ ، وزال الحجاب ـ الذي بينهما ـ أمدّتها بهذه البصيرة ؛ فتبصر الذاتُ من أمام وخلف ، وفوق وتحت ، ويمين وشمال بجواهرها كلها ، وتسمع كذلك ، وتشمّ كذلك . وبالجملة : فما كان للروح يصير للذات . وقد زال الحجاب بين الذات الطاهرة وبين الروح الشريفة يومَ شَقّت الملائكة صدرَه الشريف ﷺ وهو صغير ، ففي ذلك الوقت وقع الالتحام والاصطحاب بين روحه وذاته ﷺ ، وصارت ذاته تطّلع على جميع ما تطّلع عليه روحه ﷺ ، فلهذا ﷺ كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه ؛ وقد قال ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم :

شق صدره ﷺ وهو صغير

« أَقِيمُوا رُكُوعَكُمْ وَسُجُودَكُمْ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي »[٢٧] .

فهذا هو سرّ الحديث . والله تعالى أعلم .

[٥ ـ ٥] الخامس : عدم الغفلة ، وهو عبارة عن انتفاء أوصاف الجهل ، وأضدادِ العلم ، عن القدر الذي بلغ إليه علمُها ، ووصل إليه نظرُها ؛ فلا يلحقها سهو ولا غفلة ولا نسيان عن معلوم ـ أيّ معلوم[٢٨] ـ من القدر الذي وصلت إليه ، وليس حصول المعلومات لديها على التدريج ، بل يحصل ذلك في نظرها[٢٩] دُفعةً واحدة ، فليس في علمها أنّها إذا توجّهت إلى شيء غفلت عن غيره ، بل إذا توجّهت إليه حصل غيره معه ، بل لا تحتاج إلى توجّه ، لأنّ العلوم فطرية فيها ، ففي أول فطرتها حصلت لها علومُها دُفعةً واحدة ؛ ثم دام لها ذلك كما دامت ذاتها . فهذا هو المراد بعدم الغفلة ، وهو ثابت لكلّ روح ؛ وإنما تختلف في قَدْر العلوم . فمنها : مَنْ علومُه كثيرة . ومنها : مَن علومُه قليلة . وأعظم الأرواح علماً ، وأقواها نظراً روحه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، لأنها يَعْسوب[٣٠] الأرواح ، فهي مطّلعة على جميع ما في العوالم ـ كما سبق ـ دُفعة واحدة من غير ترتيب ولا تدريج . ثم لما وقع الاصطحاب بينها وبين ذاته الطاهرة ﷺ أمدّتها بعدم الغفلة ، حتى صارت الذاتُ مطلعةً على جميع ما في العالم ، مع عدم لحوق الغفلة لها في ذلك ؛ لكن الاطلاع ليس مثلَ الاطلاع ، فإن اطلاع الروح دُفعةً واحدة من غير ترتيب ، واطلاع الذات ، على سبيل التدريج والترتيب ، بمعنى أنها ما من شيء تتوجه إليه في العالم إلا وتعلمُه ؛ لكنّ علمه لا يحصل إلا بالتوجه ، فإذا توجهت إلى شيء آخر علمته ؛ وهكذا ، حتى تأتيَ على ما في العالم ؛ فلها التسلط بالعلم على ما في العالم ، ولكن بتوجهٍ بعد توجه ؛ ولا تطيق الذات ما تطيقه الروح ، من حصول ذلك في دَفعةٍ واحدة . وكذا يختلفان في عدم الغفلة ، فإنه في (الروح) : على نحو ما سبق تفسيره . وأما

غلوم الفطرة

روحه ﷺ

(٢٧) فيما رواه البخاري في الأذان ، ومسلم في الصلاة .

(٢٨) في ظ ١ : معلوم إلى معلوم .

(٢٩) في بولاق : بنظرها .

(٣٠) اليَعسُوب : مَلِك النحل . مختار الصحاح .

في (الذات) : فهو بالنسبة إلى توجهها بمعنى : أنها إذا توجهت إلى شيء لا يفوتها ولا يلحقها في توجهها إليه سهو ولا غفلة ولا نسيان ؛ وأما إذا لم تتوجه إليه فإنها قد تغفل عنه ، ويقع لها فيه السهو والنسيان ؛ ولهذا قال ﷺ كما في صحيح البخاري : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي » .

قال ذلك ﷺ حين وقع له السهو ، ولم ينبهوه .

(قلت) : فلله درّه من إمام ؛ فإنه قد أعطى للحقيقة حقها ، وأعطى للشريعة حقها ..! وأما حديث : « إِنِّي لاَ أَنْسَى وَلكِنْ أُنَسَّى لأَسُنَّ » .

فقد قال فيه الحفّاظ ؛ مثل : الإمام ابن عبد البرّ في التمهيد ؛ والحافظ ابن حجر في الفتح ؛ والحافظ جلال الدين السيوطيّ في حاشية الموطأ : إنه من الأحاديث التي لم يتصل إسنادها إلى النبي ﷺ في شيء من كتب الحديث . قال ابن حجر : ويكفي في ردّه قوله [ﷺ] في هذا الحديث : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ .. » ، فإنه ﷺ لم يكتفِ بنسبة البشرية إليه حتى شبّه نسيانه بنسيان أصحابه رضي الله عنهم ، ـ انظر بقية كلامه في الفتح ـ والله أعلم .

قوة السريان

[٥ ـ ٦] السادس : **قوة السريان** ، وهي عبارة عن إقدار الله تعالى لها على خرق الأجرام والنفوذ فيها ؛ فتخرق الجبال والجلاميد والصخور والجدران ، وتغوص في ذلك ، وتذهب فيه حيث شاءت . وإذا سكنت الروح في الذات ، وأحبتها ، واصطحبت معها ، أمدتها بهذه القوة ، فتصير الذات تفعل ما تفعله الروح . ومن ذلك حكاية النبي[٣١] ـ على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام ـ ، الذي أراده قومه ، ففرّ منهم ، ودخل في شجرة ، فإنّ روحه أمدّت ذاته ـ لمحبتها فيها ـ بالقوّة المذكورة ، فخرقت الذاتُ جرم الشجرة ، ودخلت فيها .

حكاية سيدنا زكريا عليه السلام مع قومه

كرامات خرق المكان ومشي الخطوة

ومن ذلك أيضاً : ما يقع للأولياء ـ رضي الله عنهم ـ من وجودهم في الموضع ، ودخولهم إيّاه من غير فتح باب .

---

(٣١) في الأزهرية : النبي يحيى ـ وهو خطأ ـ بل المعروف هو سيدنا زكريا عليه السلام . وهو غير مسمى في ظ ١ ولا في بولاق .

ومن ذلك أيضاً : ما يقع لهم ـ رضي الله عنهم ـ في مشي الخطوة ، حتى يضع الواحد منهم رِجْلاً بالمغرب وأخرى بالمشرق ؛ فإنّ الذات لا تطيق خرق الهواء ـ الذي بين المشرق والمغرب ـ في لحظة ، فإن الريح تقطع أوصالها ، وتفتت أعضاءها ، وتنشّف[٣٢] الدم والرطوبات التي فيها ؛ ولكن الروح أمدّتها بالقوّة المذكورة ، حتى وقع ما وقع .

الإسراء والمعراج

ومن ذلك : قضيّة الإسراء والمعراج . فإنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بلغ إلى ما بلغ ، ثم رجع في مدّة قريبة . وكلٌّ ذلك من عمل الروح حيث أمدّت الذاتَ بقوّة السريان التي فيها . والله أعلم .

[٥ ـ ٧] السابع : **عدم الإحساس بمؤلمات الأجرام** ، مثل : الجوع والعطش والحرّ والبرد ، ونحو ذلك ؛ فإن الروح لا تحس بشيء من ذلك ، فلا جوع ولا عطش ، ولا حرّ ولا برد بالنسبة إليها ؛ وكذا إذا خَرَقت الأجرام الحادّة ، فإنّه لا ينالها شيءٌ من ضررها ، ولا ألم من آلامها ؛ وكذا إذا مرت بموضع قذارة[٣٣] فإنها لا تتضرر بذلك ، ولا يقع لها تألم منه ؛ بخلاف المَلَك في هذا الأخير ، فإنه يميل إلى الرائحة الطيّبة ، وينفر من الرائحة الخبيثة . ولولا وجود هذا الأمر في الروح ما أطاقت القرارَ في الذات التي هي فيها . والله تعالى أعلم .

روحه ﷺ

فهذه الأمور السبعة لا بد منها في حقّ كلّ روح ، فلذا قلنا فيها : إنّها أجزاء الروح تقريباً ؛ والأرواح متفاوتة فيها ـ كما سبق بيانه ـ ، وسبق (ص ١٥٣) أنّ أعلى الأرواح في ذلك روحه ﷺ ؛ وسبق أنّ ما كان لها من هذه الأوصاف ثابتٌ لذاته ﷺ . ثم تضاف هذه الأنوار السبعة إلى الثمانية والعشرين ـ أعني الأنوارَ السابقة في الآدميّة ، والقبض والبسط والنبوّة ـ .

فالأول ـ وهو ذوق[٣٤] الأنوار التي في الذات الشريفة ـ : تندرج فيه الأنوار التي قبله ؛ ويكون بمثابة المركّب من جملتها ، مضافاً ذلك إلى نوره .

---

(٣٢) في ظ ١ : وتَسفّ .

(٣٣) في ظ ١ : بمواضع قذرة .

(٣٤) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : فوق الأنوار ـ وهو خطأ ـ .

ثم الثاني - وهو الطهارة - : يتركّب من نوره ومن نور الذوق الذي قبله ، ومن الأنوار التي قبلها ؛ وهكذا على المنهج السابق . والله أعلم .

[٦] وأما العلم : - ونعني به : العلمَ الكامل البالغَ الغاية في الطهارة والصفاء - ، فهو الذي يجتمع فيه الخلال السبع الآتي ذكرها :

العلم نور العقل

وإعلم أن العلم نور العقل ، والعقل نور الروح ، والروح نور الذات . وقد سبق أن الذات الطاهرة التي أزيل الحجاب بينها وبين الروح ، تتّصف بما ثبت للروح من الأنوار السابقة . فكذلك أيضاً إذا كانت الروح كاملة في الطهارة والصفاء فإنها تتّصف بجميع ما ثبت لنور العقل الذي هو العلم . فهذه الأنوار السبعة التي في العلم ، تتّصف بها الروح ، وزيادة على ما سبق :

[٦ - ١] فأول أجزائه : **الحمل للمعلومات** ، وهو نور في العلم ، يوجب له حصولَ المعلومات فيه حصولاً يفوق حصولَ المبصَرات في البصر ، والمسموعاتِ في السمع ، والمحسوساتِ في باقي الحواسّ ؛ فحصول الأشياء فيه بمثابة الذات ؛ وحصولها في البصر مثلاً ، بمثابة الظلّ والخيال ؛ يعني أن الحصول الثاني كالخيال بالإضافة إلى الحصول الأول ، فالحصول في العلم هو الحقيقي ، والحصول في البصر هو الخيالي ؛ - عكس ما يعرفه الناس - ، وإنما انعكس الأمر عند الناس ، لقلّة نور العلم ، الذي هو فيهم ؛ حتى إنه كالشعرة أو أقلّ ؛ فلما قلّ العلم فيهم جداً صاروا معوِّلين على الحواسّ .

العلم وحصوله

وأما من أعطاه الله - عزّ وجلّ - العلم الكامل ، فإنّ البصر وسائر الحواسّ عنده كالخيال بالإضافة إلى ما عنده من العلم .

ثم ضرب مثلاً ليتبين الحال :

ضرب مثل

فقال - رضي الله عنه - : لو فرضنا رجلاً بنى داراً ، ووقع له في بنيانها أنّه باشر بنفسه العمل البعيد والقريب ، فنقل التراب وطبخه ، وجعل منه الآجرّ ؛ ونقل الحجر وطبخه وجعل منه الجير ؛ ونقل الخشب ونشرها ؛ وبنى البنيان ، وشيّد الأركان ، ولم يُعِنه أحد في شيء من أمورها ، بل تولى جميعَ أعمالها من أولها

إلى آخرها ، حتى إنّه ما من شيء منها إلاّ وفعله عن قصد ونيّة ، وفكرة ورَويّة ؛ حتى صار كلّ شيء منها بمثابة ما فطرت عليه ذاته ؛ فهو حاضر في فكره لا يغيب عنه . فإذا غاب عن الدار مدّة ثم رجع إليها فنظَرَها ونظرها معه رجل آخر ، فرؤية البصر موجودة منهما معاً ، ولكن الصانع يفوق الرجل الآخر من حيث إن الدار وأجزاءها ، وأجزاء أجزائها ، وتفاصيل أعمالها ، وتفاصيل تلك التفاصيل ، ممّا عملَتْهُ يدُ الصانع ؛ فهو يعلم من ظاهر الدار وباطنها وداخلها وخارجها ما لا يعلمه الآخر . فكذلك « **العلم الكامل يحيط بالظاهر وبالباطن** » ، وبالأجزاء وبأجزاء الأجزاء وبالتفاصيل وتفاصيل التفاصيل ؛ والبصر إنما يتعلق بظاهر سطح الدار ولا يعمّه ، فضلاً عن أن يخرق إلى الباطن . وهذا المثال تقريبي لا تحقيقي ؛ فإن العلم الكامل لا يدريه إلا من رحمه الله تعالى ، ولا يُبلغ إلى كنهه بالأمثلة والتقريبات .

العلم الكامل يحيط بالظاهر والباطن

[س] فقلت : فكيف تحْصُل الأشياء في العلم ؟

ضرب مثل

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : إذا فرضنا نور العلم بمثابة أوقيّة من الماء الصافي الأبيض ، الذي بقي على أصل خلقته في رقته وصفاء جوهره ، ثم فرضنا أوقية أخرى مركبة من قطرات كثيرة متباينة ؛ فقطرة مالحة ، وقطرة حلوة ؛ وقطرة مُرة ، وقطرة حامضة ؛ وقطرة باردة ، وقطرة حارّة ؛ وهكذا ؛ حتى تأتي على الآخر ؛ ثم جعلنا الأوقيّة المركبة على الأوقيّة الصافية ؛ فإنّهما يلتحمان ويختلطان ويصير الماءان ماءً واحداً . فالأوقيّة الأولى بمثابة العلم ؛ والأوقية الثانية بمثابة المعلومات لاختلافها وتباينها .

[س] فقلت : فهل القطرات المتباينة التي في أوقية المعلومات متمايزة كل قطرة في حيز ، أو غير متمايزة ، بل مختلطة وملتحمة ؟

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : هي مختلطة ، ثم أخذ كفاً من ماء وقال : هذه أوقية العلم ؛ ثم أخذ قطرة من ماء آخر ، ووضعها على الماء الذي في كفه ، فقال : أليس أنّها امتزجت مع جميع جواهر الماء ؟ فقلت : نعم ، فقال : هذا حصل في العلم ؛ ثم أخذ قطرة أخرى وزادها على الماء ؛ فقال : أليس أنها امتزجت معه ؟

فقلت : نعم ؛ فقال : هذا معلوم ثان ، حصل في العلم ؛ ثم أخذ قطرة ثالثة ، فزادها على الماء ، فقال : أليس أنها امتزجت معه ؟ فقلت : نعم ؛ فقال : هكذا حصول المعلومات في العلم فإنّ نوره في أول القطرة يكون خالياً من العلوم ، ثم يحصل فيه شيئاً فشيئاً على سبيل التدريج ؛ والمعلومات تحصل ونور العلم يزيد ؛ فلا نهاية لنوره أبداً ؛ كما لا نهاية للمعلومات ، فإنّه بمثابة الغِمد لها فإن قلّ ما في الغِمد صَغُر جرم الغِمد ؛ وإن كثر ما في الغِمد كبُرَ جرم الغِمد .

ومن عجيب أمر هذا الغِمد أن يكون في أول القطرة صغيرٌ جداً قدرَ ما يسع معلوماً واحداً ؛ فإن زاد معلوم ثانٍ اتسع له الغِمد ؛ وهكذا إلى ما لا نهاية له . والله أعلم .

[٦ ـ ٢] الثاني : **عدم التضييع** ، وهو نور في العلم يقتضي أن لا يَسقط من معلوماته شيء إلا لمن يستحقه . فهذا النور يحفظه من وصوله إلى غير أهله ، فلا يصل إليه ابتداء ؛ وعلى تقدير إذا وصل إليه ، فإنه يسترجعه ويستفهمه ، ويردّه إلى أصله ، ويحميه من البقاء عند من لا يستحقه ؛ وهكذا كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فإنّه يتكلم بأنوار العلوم ، ويسمعها منه البَرّ والفاجر ، والمؤمن والمنافق . فأما الفاجر والمنافق : فإنها لا تقرّ عنده ، ولا تبقى على باله ، لأن النور المذكور يستردّها إلى أصلها الطاهر ومحلها الزاهر ـ وهو ذاتُه ﷺ ـ .

وأما أهل المحبة والإيمان ـ رضي الله عنهم ـ ، فإنهم أهلٌ للحكمة ، ومحلٌ لقبول الخيرات كما قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح : ٢٦] . فإذا سمعوا تلك الأنوار فإنّها تستقر فيهم لطهارتهم .

وبالجملة : فالعلم ينقسم إلى : طاهر ـ وهو : ما في نوره بياض ـ ؛ وإلى : غير طاهر ـ وهو : ما في نوره زرقة ـ . فإذا فرضنا أربعة رجال ، أحدُهم : علمه طاهر كامل ، وثانيهم : علمه طاهر قليل ، وثالثهم : علمه غير طاهر وهو كامل ، ورابعهم : علمه غير طاهر وهو قليل ، ثم فرضناهم اجتمعوا وجعلوا يتذاكرون ما عندهم من العلوم ، فالطاهر الناقص يستفيد من الطاهر الكامل ، ولا يستفيد من الثالث شيئاً لعدم المجانسة . والناقص غير الطاهر يستفيد من الثالث ، ولا يستفيد

من الأول شيئاً لعدم المجانسة . ففي العلم مطلقاً عدم التضييع ، فإن كان طاهراً فإنه لا يدخل على غير الطاهر ، ولا يستقر عنده ؛ وإن كان غيرَ طاهر فإنّه لا يدخل على الطاهر ، ولا يستقر عنده ؛ وإنما يدخل الطاهر على الطاهر ، والخبيث على الخبيث .

[٦ ـ ٣] الثالث : **معرفة اللغات وأصوات الحيوانات والجمادات** ، وذلك أنّ العلم الكامل إذا حصلت فيه الأشياء فإنّها تحصل فيه بحقائقها وذاتياتها ولوازمها وعوارضها ، واللغات والأصوات تنشأ عن أمور عرضيات ، ومن المحال أن يَعْلم العرضيات ولا يعلم ما ينشأ عنها ، ثم المعلومات التي حصلت حقائقها في العلم تنقسم إلى جماد وإلى حيوان :

فالجماد : له صوت ؛ مثل خرير الماء ، وصرير الباب ، ووَقع الحجر على الحجر ، وغير ذلك ؛ وصاحب العلم يعرف المراد من هذه الأصوات .

وأما **الحيوان** : فإنه ينقسم إلى ناطق وغيره ، والناطق ـ وهو الإنسان ـ له لغةٌ معروفة ؛ وأما غير الناطق : فإنه ينقسم إلى طيور وحيوانات وغيرها ، وجميع ذلك مناطق معروفة ، وصاحب العلم الكامل يعرف ذلك بأسره .

قلت : وقد سمعت من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في هذا الباب حكايات كثيرة ، سيأتي بعضها أثناء الكتاب ـ إن شاء الله تعالى ـ .

قال ـ رضي الله عنه ـ : وأما الصامت الذي لا صوت له ، كالجدار والدار ، والفيافي والقفار ، والجبال والأشجار ، فنطقها لا يعرفه إلا الله ـ عز وجل ـ فهو باطني ، بينها وبين خالقها ـ سبحانه ـ وقد يُظهره الله تعالى أحياناً معجزةً لنبيّ ، أو كرامة لوليّ .

[٦ ـ ٤] الرابع : **معرفة العواقب** ، وذلك أنّه قد سبق في التمييز ـ الذي هو من جملة أجزاء الروح ـ أنّه نور في الروح ، تميّز به الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر ، تمييزاً كاملاً ؛ فلا تزال تميّز به الأشياء ، وتُدرّجها من درجة إلى درجة ، حتى تنتهي إلى العواقب ؛ فإذا انتهت إلى العواقب ، وقف التمييز ، وجاء هذا الجزء

ـ الـذي هو معرفـة العواقب ـ فينظر في العـواقب ، ويفصّلها على مـا هي عليـه في نفس الأمر .

ثم العاقبة منحصرة بَعدُ في أمرين : ـ إمّا الفنـاء في الـدار الآخرة ـ كما في حقّ الجمادات ونحوهـا ، ممـا لا بقـاء لـه في الآخرة ـ ؛ وإمـا البقـاء ـ كما في حق المكلفين ونحوهم ـ .

فأمّا الذي عاقبتـه الفنـاء فـإنّ هـذا الجزء ينظر في فنـائـه ، كيف يكون ومتى يكون ؟ وكيف يندرج ذلك الشيء في الفنـاء ؟ وكيف تنقص أجزاؤه وتنعـدم شيئاً فشيئـاً ، إلى أن يصير عـدمـاً محضـاً ؟ وفي أيّ موضع يكون فنـاؤه ؟ وأسبـابُ فنائه ، والأمور المقتضية لفنائه وانتفائه[٣٥] ؛ حتى يصير فنـاؤه أمراً ظـاهراً معقولاً ، لا بُعد فيه ، ولا خرق فيه للعادة ؛ وفي ذلك علوم كثيرة ..!

وأمّا الذي عاقبته البقاء ، فإنّ التمييز يدرّجه إلى أن يجعله في الجنّـة أو في النار ، ثمّ يجيء هذا الجزء ، فينظر في ثوابه ، ويُفَصّله تفصيلاً موافقاً لما يكون له في الجنّة ؛ وكذا حال عقـابـه . ولهـذا شرح طويل . ولعلنـا ـ بحول الله وقوتـه ـ نـذكر شيئاً منه في أثناء الكتاب ، مما سمعناه من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ والله أعلم .

علـوم الإنس ٣٦٦ والجن ٣٦٣

[٦ ـ ٥] الخامس : **معرفـة العلـوم المتعلقـة بـأحـوال الثقلين** الإنس والجنّ ، وهي علوم كثيرة . قال ـ رضي الله عنـه ـ : فيخصُّ الإنسَ : ثلثمائـة وستّـة وستّون علماً ، وكذا الجنّ ، إلاّ أنّه ينقص عن الإنس بثلاثة علوم ، فله ثلثمائة وثلاثـة وستّون علماً ، كلّها تتعلّق بأحواله .

قال رضي الله عنه : فمن جملة ذلك : معرفة الأسبـاب التي يكون بهـا معـاشهم في الظاهر وفي البـاطن ، ومعاشهم في الظـاهر : هو مـا تقوم بـه ذواتهم ، وتـدوم بـه حياتهم ؛ فيدخل في ذلك معرفة أسبـاب التكسّب ، من حراثـة وفلاحـة ، وتجـارة ، وكلّ ما يعمل باليـد من سـائر الصنـاعـات ، فلا بـد من معرفـة ذلـك كلّـه ومعرفـة ما يوصل منه إلى الربح ومـا لا يوصل ؛ ويـدخل في ذلـك أيضـاً علم الأدب الـذي

(٣٥) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : المقتضية لانتفائه .

يُعبّر عنه الناس « بعلم السياسة » فإنّه أيضاً لا بدّ من معرفة الأسباب التي تكون بها[٣٦] المعاشرة ، وتدوم معها المخالطة ، وفيها علوم كثيرة ..! علم الأدب أو علم السياسة

وأمّا معاشهم في الباطن فهو ما يجمع العبدَ على ربّه تعالى ، ويحوشه إليه ، ويدله عليه ، ويدخل في ذلك معرفة الشرائع وأنوارها ، وأسرارها الموصلة إليه تعالى ؛ فيعرف حكم الله في الواقعة ؛ وما الحكمة في مشروعيّته ؛ وما النفع الواصل إلى العبد منه في الدنيا والآخرة ؟ ولو كتبنا ما سمعنا من شيخنا ـ رضي الله عنه ـ في هذا الباب ، ورسمنا الجزئيات ، وأعيان النوازل التي سألنا عنها ، لأتينا في ذلك بما يُستغرَب ويُستظرَف ؛ ويعلم الواقف عليه ـ بمجرد سماعه وفهمه ـ أنّه الحقّ الذي لا ريب فيه ؛ فإنّي خضت معه ـ رضي الله عنه ـ في الخلاف الواقع بين شيوخ المذهب ـ رحمهم الله ـ ثمّ في الخلاف الواقع بين أرباب المذاهب ، ثمّ في الخلاف الواقع بين شرائع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ سنينَ عديدة ، فسمعت منه من الأسرار في ذلك ما لا يدخل تحت حصر . متّعنا الله بذلك في الدنيا وفي الآخرة بمنّه وكرمه آمين . . خلاف المذهب خلاف المذاهب خلاف الشرائع

قال ـ رضي الله عنه ـ : ومن جملة تلك العلوم : **معرفة الآفات العارضة لأسباب المعاش الظاهريّ والباطنيّ** ، وكيفية التحرّز منها ، حتّى يكون صاحب هذا العلم على بيّنة من أمره في سائر أسبابه ، فيعلم ما ينفعه النفع الخاص به في الدارين ، وما يضره الضرر الخاص به كذلك ؛ ويدخل في هذا معرفة « **علم الطبّ الكامل** » على ما هو عليه في نفس الأمر ؛ وهو : علم الطبّ

إما ظاهريّ ، وهو : ما يرجع على صلاح المعاش الظاهريّ .

وإما باطني ، وهو : ما يرجع إلى صلاح المعاش الباطنيّ . والله تعالى أعلم .

[٦ ـ ٦] السادس : **معرفة العلوم المتعلقة بأحوال الكونين** ، ـ أعني العالَم العلوي والعالَم السفلي ـ . وذلك أن العالم السفلي متحصر في سبعة أمور : العناصر الأربعة : وهي الماء ، والتراب ، والريح ، والنار . والمركبات العناصر الأربعة والمركبات الثلاث

---

(٣٦) في بولاق : معها .

الثلاث : النبات والمعادن والحيوانات[٣٧] . فلا بدّ في العلم الكامل من معرفة حقائق هذه الأشياء ، المعرفةَ الكاملة ، ومعرفةِ خواصّها التي امتازت بها ، ومعرفةِ ما ينفع منها وما يضرّ ، ومعرفة قُوَاها ، واختلاف أفرادها في تلك القُوى ؛ حتى إن النار قد يكون جِرمها واسِعاً ، وقُواها ضعيفة ؛ وقد تكون نارٌ أخرى بعكسها . وفي ذلك كلامٌ طويل ، والله أعلم .

[٦ ـ ٧] السابع : **انحصار الجهات في جهة واحدة** ـ وهي جهةُ أمام ـ وهي من أجزاء العالم الكامل . وذلك أنّ العلم بعد كونه نوراً يُدرك من جميع الجهات لينظر فيه ، فإنْ رَزَق الله صاحبَه قوى زائدة حتى صار ما يراه من غير جهة أمام بمثابة ما يراه من جهة أمام ، من غير زيادة ولا نقص ؛ ويكون في نظره إذ ذاك لا يحسّ إلا بجهة أمام ، وتَمحي سائر الجهات في رؤيته ، ولا تبقى إلا جهة أمام ؛ فإن العلم يوصف بالكمال . وليس هذا إلا في علم المفتوح عليه ؛ وعليه يتخرّج حديث : « فإنّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفي كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي »[٣٨] .

فهم مع كونهم وراءه ، يراهم في قبلته ، كما يرى ﷺ ما في قبلته . وإن كان صاحب العلم يحسّ بافتراق الجهات ، فالعلم غير كامل . والله تعالى أعلم .

[٧] وأما الرسالة :

[٧ ـ ١] فالأول من أجزائها : **سكون الروح في الذات** ، سكونَ الرضا والمحبة والقبول ، وذلك لأن في الذوات الطاهرة أنواراً مستمدة من إيمانهم بالله ـ عزّ وجلّ ـ ؛ وعلى قَدر تلك الأنوار ـ قلة وكثرة ـ يَضْعف سكون الروح في الذات ويقوى ، لأنّ النور إلى النور أميل . والأرواح من الأنوار ؛ غيرَ أن نور الإيمان بالله ـ تعالى ـ أسطعُ وأنصع من نورها ؛ فإذا رأت ذلك النور في ذاتٍ من الذوات فإنها تميل إليه وتستحليه وتستعذبه ؛ وليس سكونها في الذات التي قَدْرُ نورِ إيمانها قَدْرَ ذراع مثلاً مثلَ سكونها في الذات التي نورُ إيمانها قدرَ ذراعين ، وهكذا .

---

(٣٧) في ظ ١ : والمعدن والحيوان .

(٣٨) تقدم ص ١٥٥ رواه البخاري ومسلم .

زيادة نور الإيمان

ثم إن نور الإيمان يزيد بزيادة نور الأجور ؛ وذلك لأن للأعمال أجوراً ، وللأجور أنواراً ؛ وأنوار تلك الأجور تنعكس إلى الذوات ؛ فيحصل للذوات بها نفع في الدنيا باطني[٣٩] ، بأن تعظم بها أنوار إيمانهم ، ونفعٌ في الآخرة ظاهريّ ، بأن تصير تلك الأجور نعماً في الجنة ، يتنعم بها العاملون .

ضرب مثال

قال - رضي الله عنه - : ولو فرضنا رجلين استويا في نور الإيمان وعمل أحدهما حسنات في نهاره دون الآخر ؛ ثمّ ناما معاً بالليل ، فإنّ نور إيمان الذي عمل يبيت ساطعاً منيراً لامعاً في زيادة ، بخلاف الذي لم يعمل .

عظيم نور إيمانه ﷺ

قال[☆] - رضي الله عنه - : وليس في سائر الأعمال أعظم أجراً من الرسالة ، فلهذا كان المرسَلون - عليهم الصلاة والسلام - لا يُلحقون في الإيمان أبداً . ثم إنهم - عليهم السلام - يختلفون بحسب اختلاف أتباعهم قلّة وكثرة ؛ وليس في سائر المرسلين من يبلغ نبيَّنا ﷺ في كثرة الأتباع ، فكان أجره - عليه الصلاة والسلام - فوق أجور المرسلين ؛ فعَظُم نور إيمانه ﷺ حتّى بَلغ إلى نهاية لا تُلحق ، ولا تُكيّف . فلزم أن سكون الروح في ذوات المرسلين ليس كسكونها في ذوات غيرهم . فهذا السكون الخاص هو الذي جعلناه جزءاً من أجزاء الرسالة ؛ وقد علمتَ أنّ سكونها في ذاته - عليه الصلاة والسلام - فوق سكونها في ذوات سائر المرسلين . فكان هذا الجزء على غاية الكمال في ذاته - عليه الصلاة والسلام - .

وممّا يختلف به أيضاً سكون الروح : كون نور الإيمان الذي في ذات صاحبها أقلّ من جرم الروح ، أو مساوياً ، أو أكثر ؛ فسكونها في الذات - الذي هو أكثر منها - أقوى من سكونها في غيره .

ذوات الكفار

قال - رضي الله عنه - : وأمّا الذوات التي ليس فيها نور إيمانٍ - أصلاً - ، وهي ذوات الكفّار ، فإنّ سكون الروح فيها إنّما هو بحسب اتباع القَدَر والقهر الإلهي ، وإلا فهي مبغِضَةٌ لها غايةَ البُغض .

---

(٣٩) كذا في ظ ١ .وفي بولاق : بالحسنى .

(☆) بدء النقص في ظ ١

[٧ ـ ٢] الثاني : **العلم الكامل** غيباً وشهادة ، ونعني **بالغيب** : ما يتعلق بمعرفة الحقّ ـ سبحانه ـ وعَلِيٍّ صفاته ؛ ونعني **بالشهادة** : ما يتعلّق بالخلق ؛ فيدخل فيه معرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين ، والعلوم المتعلقة بأحوال الكونَين ، والعلوم المتعلقة بأحوال العاقبة ؛ وقد سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك . والمعدود ههنا جزء هو الكمال في معرفة تلك الأمور فالكمال في ذلك والغاية القصوى فيه جزء من أجزاء الرسالة ، فلا بدّ لكل رسول من أن يكون فيه ذلك وهو في نبيّنا ﷺ بلغ إلى غاية الغاية . والله أعلم .

[٧ ـ ٣] الثالث : **الصدق مع كلّ أحد في الأقوال والأفعال** ، بأن تكون الأفعال والأقوال على وفق الرضا والمحبة من الله ـ عز وجل ـ ، لأن الخلق أمروا بالاقتداء بالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، فيجب أن يكونوا على الحالة التي وصفنا فهم لا يقولون إلا الحقّ ، ولا ينطقون إلا بالصدق ، ولا يمازحون إلا بالجد ، وإذا أخبروا بشيء فإنّه كائن لا محالة وواقع من غير ريب ، وإن دلّ ظاهر من الظواهر على خلاف شيء من ذلك فهو مؤول بالتأويل الصحيح والحق الصريح ، ـ وستقف على شيء من ذلك إن شاء الله تعالى في أثناء الكتاب ـ . وبالجملة : فهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في كلامهم بمثابة أهل الجنّة في شهواتهم فكما أن أهل الجنّة إذا اشتهوا شيئاً كان لا محالة ، فكذلك الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إذا قالوا شيئاً كان لا محالة . والله أعلم .

كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وهذا المعنى في الصدق زائد على المعنى الذي سبق في قول الحقّ الذي هو من أجزاء النبوة ، فإن الصدق الذي هنا بمثابة من يحاكي بصاحبه ممّا سبق في القَدَر ؛ فكأنّه مسلوب الاختيار . بخلاف قول الحقّ فإنّه لم يبلغ إلى هذه الغاية ، ففي الصدق نور زائد على قول الحقّ . والله أعلم .

نور القلب

[٧ ـ ٤] الرابع : **السكينة والوقار** ، وهو نور في القلب ، يوجب لصاحبه : ١ ـ الطمأنينة بالله ، ٢ ـ واعتماد العبد عليه ، ٣ ـ وصرف الحول والقوة إليه ، ٤ ـ وعدم مبالاته بغيره ـ عزّ وجلّ ـ ؛ حتى إن صاحبه إذا أمره الله ـ عزّ وجلّ ـ بتبليغ أمرٍ ، وأراد أهل الأرض مضادّته فيه ، وعداوته عليه ، فإنه لا يبالي

بهم ، ولا يكترث بشأنهم ، بل يراهم بمنزلة العدم . ويستوي حاله معهم لو صادقوه وأحبوه على ذلك ، ونصروه عليه ، فإنّه لا يرى لهم حولاً ولا قوة في المخالفة ، ولا في الموافقة ، أما مَن ليست له سكينة : فإنّه إذا سمع بمن يقصده ، ويريد ضرره ، فإنّه يرى لنفسه حولاً وقوّة ، ويرى لعدوه - كذلك - حولاً وقوّة ، فيتحيل في الوجه الذي يدافع به عدوّه ، وتدخله الوساوس حينئذ ؛ فتارة يُقَدّر كيف يهرُب ؛ وتارة كيف النجاة إذا وقع اللقاء . ولا يزال كذلك حتى يلقاه عدوه وقلبه معلول ، وعزمه محلول ، فلا يجيء منه شيء . فلذلك كانت السكينة جزءاً من أجزاء الرسالة ، لأن صاحب الرسالة أُمر بمداوة أهل الأرض حتى يرجعوا عن كفرهم وباطلهم ؛ فهو لا يبالي بإقبالهم ولا بإدبارهم ، ولا بمحبتهم ولا بإعراضهم ؛ وكذلك كانت حالة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، فإن أهل الأرض نصبوا لهم العداوة ، ورموهم عن قوس واحدة ، وما أثر ذلك فيهم .

قال رضي الله عنه : وهذه السكينة هي المذكورة في غير ما آية من القرآن العزيز ، نحو قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٢٦] .

فإنزالها في الرسول ﷺ ، المراد به إظهارها بمشاهدة آثارها من الثبات ، ومصابرة العدوّ الكثير ؛ وإنزالها في المؤمنين بإحداثها فيهم من بركته ﷺ .

سكينة بني إسرائيل

ثم انجرّ الكلام بنا إلى السكينة ، التي كانت في تابوت بني إسرائيل المذكورة في قوله تعالى :

﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] .

وإلى السكينة المذكورة في حديث[٤٠] أُسيد بن حضير - رضي الله عنه[٤١] - .

---

(٤٠) متفق عليه . ولفظ البخاري (كتاب فضائل القرآن) : بينما هو [أسيد بن حضير] يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده ، إذ جالت الفرس ، فسكتَ فسكنتْ ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها ، فأشفق أن تصيبه ، فلما اجترّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدّث النبيّ ﷺ فقال له : اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير ، =

وإلى السكينة المذكورة في غير ذلك من الأحاديث . وكنتُ علمتُ ما قال فيها أئمة التفسير - رضي الله عنهم - ، فشرح - رضي الله عنه - المقامَ شرحَ من يرى الأمر عياناً .

حتى انجرّ الكلام إلى كيفية مجيء جبريل - عليه السلام - النبيَّ في صورة دحية بن خليفة الكلبي ، ولولا خشيةُ الملال لأثبت ذلك كلَّه . والله أعلم .

[٧ - ٥] الخامس : **المشاهدة الكاملة** ، ولا سبيل إلى شرحها لأنّه من وراء العقول ، كما أنّه لا سبيل إلى شرح معرفة الله - عزّ وجلّ - التي هي من أجزاء النبوّة .

[٧ - ٦] السادس : **أن يموت وهو حيّ** ، وذلك عبارة عن كون رسول الله ﷺ يشاهد حال حياته كما يشاهده الموتى بعد موتهم ، وإنما كان هذا من أجزاء الرسالة ، لأن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بُعثوا بالترغيب والترهيب ؛ وهما لا يكونان إلا ممّن يعاين أحوال الآخرة ، فيرغّب في دار الترغيب ، ويخوّف من دار العقاب ، ويشرح للناس عذابَ القبر ، وكيف عروج الأرواح إلى البرزخ ؟ ونحو ذلك مما تطيقه عقولهم .

فقلت : فإنّ الوحي إلى الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بذلك يكفي عن هذه المشاهدة ؟

= قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً فرفعتَ رأسي فانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلّة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها ، قال : وتدري ما ذاك ؟ قلت : لا ، قال : تلك الملائكة دَنَتْ لصوتك ، ولو قرأتَ لأصبحتْ ينظرُ الناسُ إليها لا تتوارى عنهم .

وفي صحيح مسلم عن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة « الكهف » وعنده فرس مربوط بشَطَنَيْن (أي حبلين) فتغشّته سحابة ، فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها ، فلما أصبح ، أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال : « تلك السكينة تنزلت للقرآن » ا هـ . وذكره القرطبي في تفسيره عند الآية ٢٤٨ البقرة .

(٤١) أسيد بن حضير الأوسي : صحابي شريف في الجاهلية والإسلام . يُعَدّ من عقلاء العرب وسمي الكامل . شهد العقبة الثانية وكان أحد النقباء الـ (١٢) . شهد أحداً والخندق وغيرها من المشاهد . جاء فيه الحديث : « نعم الرجل أسيد بن حضير » . روى له البخاري ومسلم (١٨) حديثاً . توفي في المدينة (٢٠ هـ) ا هـ . ملخصاً الأعلام .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : الوحي خطاب ، والخطاب كلام ، والكلام لا يكون إلا للعارف بالمعنى ؛ فهذه المشاهدة تكشف له أحوالَ المفاد ، ويعرفها معرفة العيان .

وأمّا الوحي : فيقع به الإذن منه ـ عزّ وجلّ ـ في تبليغ ما أريد تبليغه ، مما تطيقه العقول ، وتقدِر الذوات على سماعه .

وأمّا **ما لا تطيقه العقول** ؛ ويُذيبُ الأكبادَ سماعُه : فالرسول فيه على المشاهدة السابقة ، ولا وحي فيه . ولو كان الكلام مع غير العارف بالمعاني لاستحال الفهم منه ، والإفهام لغيره . والله أعلم .

[٧ ـ ٧] السابع : **أن يحيا حياة أهل الجنة** ، وذلك عبارة عن كون ذات الرسول عليه الصلاة والسلام تُسقى بما تسقى به ذواتُ أهل الجنّة بعد دخولهم إلى الجنّة ، فذوات الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بمثابة أهل الجنّة في الجنّة ، وذلك أن الدارَ داران :

أقسام دار الفناء ودار البقاء

ـ دار الفناء : وفيها قسمان : ما هو نورانيّ ؛ وما هو ظلمانيّ .

ـ ودار البقاء : وفيها قسمان : ما هو نورانيّ : وهو الجنّة ؛ وما هو ظلمانيّ : وهو النار .

وإذا زال الحجاب أَمَدَّ كلُّ قسم من دار البقاء ما يوافقه من دار الفناء ؛ فيمدّ النورانيُّ النورانيَّ ؛ والظلمانيُّ الظلمانيَّ . ثم زوال الحجاب عمله مختلف ، ففي حقّ الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ سابق ، حاصل لهم في هذه الدار ـ كما سبق في الجزء السادس ـ ، وهم ـ عليهم السلام ـ فوق كلّ نورانيّ في هذه الدار ؛ فوقع لذواتهم الشريفة الاستمداد من نورانيّ دار البقاء ـ الذي هو الجنّة ـ . وأما غالب الخلق فإنّ **زوال الحجب** إنّما يكون لهم يوم القيامة ؛ وفي ذلك اليوم يقع لهم الاستمداد ؛ فمن كان من أهل الإيمان استمدّ من أنوار الجنّة ؛ ومن كان من أهل الطغيان استمدّ من نار جهنم ـ أعاذنا الله منها ، بمنّه وكرمه ؛ آمين ـ .

وبالجملة : فالاستمداد موقوف على زوال الحجاب ؛ وقد زال في الدنيا عنهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، فكانوا أحياءً كحياة أهل الجنة !

قال ـ رضي الله عنه ـ : فهذا بيان الأجزاء السبعة ، التي هي عددٌ لكلّ حرف من الأحرف السبعة التي هي : الآدمية والقبض والبسط ، والنبوة ، والروح ، والعلم ، والرسالة .

قلت : ولنعدّ هذه الأجزاء ، فإنه نافع في بيان التفريع الذي وقع السؤال عنه .

١ ـ فللآدمية : (١) كمال حسن الصورة الظاهرة ، (٢) وكمال الحواسّ الظاهرة ونحوها ، (٣) وكمال حسن الخُلُق الباطن ، (٤) وكمال الحواسّ الباطنة ، (٥) والذكورية ، (٦) ونزع حظ الشيطان ، (٧) وكمال العقل .

٢ ـ وللقبض : (١) سريان حاسة في الذات تلتذ بالخير وتتألم بالباطل ، (٢) والإنصاف ، (٣) والنفرة عن الضد ، (٤) وامتثال الأمر ، (٥) والميل إلى الجنس بحيث يتكيف به ، (٦) والقوة الكاملة في الانكماش ، (٧) وعدم الحياء من قول الحقّ .

٣ ـ وللبسط : (١) الفرح الكامل ، (٢) وسكون الخير في الذات ، (٣) وفتح الحواسّ الظاهرة ، (٤) وفتح الحواسّ الباطنة ، (٥) ومقام الرفعة ، (٦) وحسن التجاوز ، (٧) وخفض جناح الذل .

٤ ـ وللنبوة : (١) قول الحق ، (٢) والصبر ، (٣) والرحمة ، (٤) والمعرفة بالله ـ عزّ وجلّ ـ ، (٥) والخوف التامّ منه ، (٦) وبغض الباطل ، (٧) والعفو .

٥ ـ وللروح : (١) الذوق للأنوار ، (٢) والطهارة ، (٣) والتميز ، (٤) والبصيرة ، (٥) وعدم الغفلة ، (٦) وقوة السريان ، (٧) وكونها لا تحسّ بمؤلمات الأجرام .

٦ ـ وللعلم : (١) الحمل للعلوم ، (٢) وعدم التضييع ، (٣) ومعرفة اللغات ، (٤) ومعرفة العواقب ، (٥) ومعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الكونين ، (٦) ومعرفة العلوم المتعلّقة بأحوال الثقلين ، (٧) وانحصار الجهات في أمام .

٧ـ وللرسالة : (١) سكون الروح في الذات ؛ سكون المحبة والرضا والقبول ، (٢) والعلم الكامل غيباً وشهادة ، (٣) والصدق مع كل أحد ، (٤) والسكينة مع

الوقار ، (٥) والمشاهدة الكاملة ، (٦) وكونه يموت وهو حيّ ، (٧) وكونه يحيا حياة أهل الجنة .

قال ـ رضي الله عنه ـ : وأما بيان تفريع الاختلافات التلفظية التي بين القرّاء من الصحابة وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ على الأنوار السبعة الباطنية ، فهو أنك قد علمت أنّ أجزاء الأحرف الباطنية تسعة وأربعون ، كما أنه لا يخفى عليك أن الكلام العربي يتألف من تسعة وعشرين حرفاً ؛ فلكل حرف جزء من الأجزاء السابقة :

مطلب الأحرف الهجائية القرآنية وأنوار كل منها

١ ـ فللهمزة : الامتثال ، وهو من أجزاء القبض .
٢ ـ وللباء : السكينة ، وهي من أجزاء الرسالة .
٣ ـ وللتاء ـ المثناة ـ : كمالُ الحواس الظاهرة ، وهو من أجزاء الآدمية .
٤ ـ وللثاء ـ المثلثة ـ : الإنصاف ؛ وهو من أجزاء القبض .
٥ ـ وللجيم : الصبر ؛ وهو من أجزاء النبوّة .
٦ ـ وللحاء : الرحمة الكاملة ؛ وهي من أجزاء النبوّة .
٧ ـ وللخاء ـ المعجمة ـ : ذوق الأنوار ؛ وهو من أجزاء الروح .
٨ ـ وللدال ـ المهملة ـ : الطهارة ؛ وهي من أجزاء الروح .
٩ ـ وللذال ـ المعجمة ـ : معرفة اللغات ؛ وهي من أجزاء العلم .
١٠ ـ وللراء : حسن التجاوز ؛ وهو من أجزاء البسط .
١١ ـ وللزاي : الصدق مع كلّ أحد ؛ وهو من أجزاء الرسالة .
١٢ ـ وللطاء ـ المهملة ـ : التمييز ، وهو من أجزاء الروح .
١٣ ـ وللظاء ـ المشالة ـ : نزع حظّ الشيطان ؛ وهو من أجزاء الآدمية .
١٤ ـ وللكاف : معرفة الله تعالى ؛ وهي من أجزاء النبوة .
١٥ ـ وللام : العلم الكامل ؛ وهو من أجزاء الرسالة .
١٦ ـ وللميم : الذكوريّة ؛ وهي من أجزاء الآدمية .
١٧ ـ وللنون : الفرح الكامل ؛ وهو من أجزاء البسط .
١٨ ـ وللصاد ـ المهملة ـ : العقل الكامل ؛ وهو من أجزاء الآدمية .
١٩ ـ وللضاد ـ المعجمة ـ : قول الحقّ ؛ وهو من أجزاء النبوة .
٢٠ ـ وللعين ـ المهملة ـ : العفو ؛ وهو من أجزاء النبوة .

٢١ ـ وللغين ـ المنقوطة ـ : كمال الصورة الظاهرة ؛ وهو من أجزاء الآدمية .

٢٢ ـ وللفاء : الحمل للعلوم ؛ وهو من أجزاء العلم .

٢٣ ـ وللقاف : البصيرة ؛ وهي من أجزاء الروح .

٢٤ ـ وللسين ـ المهملة ـ : خفض جناح الذل ؛ وهو من أجزاء البسط .

٢٥ ـ وللشين ـ المنقوطة ـ : القوة الكاملة في الانكماش ؛ وهي من أجزاء القبض .

٢٦ ـ وللهاء : النفرة عن الضدّ ؛ وهي من أجزاء القبض .

٢٧ ـ وللواو : يموت وهو حيّ ؛ وهو من أجزاء الرسالة .

٢٨ ـ وللام ألف : عدم الغفلة ؛ وهو من أجزاء الروح .

٢٩ ـ ولياء : التي هي آخر الحروف الخوف التامّ من الله ـ عزّ وجلّ ـ ، وهو من أجزاء النبوّة . فهذه تسعة وعشرون حرفاً .

١ ـ **فللآدمية** منه خمسة : وهي التاء المثناة ، والظاء المشالة ، والميم والصاد والغين المعجمة . فالتاء لها كمال الحواسّ الظاهرة . والظاء لها نزع حظّ الشيطان . والميم الذكورية . والصاد كمال العقل . والغين كمال الصورة الظاهرة .

وبقي من أجزاء الآدمية جزآن .

٢ ـ **وللقبض** من هذه الحروف أربعة : وهي الهمزة ، والثاء ـ المثلثة ـ ، والشين ـ المنقوطة ـ ، والهاء . فللهمزة الامتثال ، وللثاء الإنصاف ، وللشين قوة الانكماش ، وللهاء النفرة عن الضد .

وبقي من أجزاء القبض ثلاثة .

٣ ـ **وللبسط** من هذه الحروف ثلاثة : وهي الراء والنون ، والسين المهملة . فللراء حسن التجاوز ، وللنون الفرح الكامل ، وللسين خفض جناح الذل .

وبقي من أجزاء البسط أربعة .

٤ ـ وللنبوّة من هذه الحروف ستة : وهي الجيم والحاء المهملة ، والكاف والضاد المنقوطة ، والعين المهملة ، والياء التي هي آخر الحروف . فللجيم الصبر ،

وللحاء الرحمة الكاملة ، وللكاف معرفة الله عز وجل ، وللضاد قول الحقّ ، وللعين العفو ، ولـلياء الخوف التامّ من الله ـ عزّ وجلّ ـ .

وبقي من أجزاء النبوة جزء واحد .

٥ ـ **وللروح** من هذه الحروف خمسة : وهي الدال المهملة ، والخاء المنقوطة ، والطاء المهملة ، والقاف ولام الألف . فللدال ـ المهملة ـ الطهارة ؛ وللخاء الذوق للأنوار ؛ وللطاء التمييز ؛ وللقاف البصيرة ؛ وللام ألف عدمُ الغفلة .

وبقي من أجزاء الروح جزآن .

٦ ـ **وللعلم** من هذه الحروف حرفان : وهما الذال ـ المعجمة ـ ، والفاء . فللذال ـ المعجمة ـ معرفة اللغات ؛ وللفاء الحمل للعلوم .

وبقي من أجزاء العلم خمسة .

٧ ـ **وللرسالة** من هذه الحروف أربعة : وهي الباء الموحّدة ، والزاي ، واللام ، والواو . فللباء السكينة ؛ وللزاي الصدق مع كلّ أحد ؛ وللام العلم الكامل ؛ وللواو يموت وهو حي .

وبقي من أجزاء الرسالة ثلاثة . فهذه تسعة وعشرون حرفاً ، موزعة على تسعة وعشرين جزءاً ؛ والباقي من عدد الأجزاء عشرون ، فإنّك إذا أسقطتَ تسعة وعشرين ـ عددَ الحروف ـ ، من تسعة وأربعين ـ عددَ الأجزاء ـ ، بقي عشرون جزءاً ؛ فالتسعة والعشرون المسقطة هي التي سبق . منها : خمسة للآدمية ، وأربعة للقبض ، وثلاثة للبسط ، وستّة للنبوّة ، وخمسة للروح ، واثنان للعلم ، وأربعة للرسالة .

فمجموع ذلك تسعة وعشرون . والعشرون الباقية هي التي سبق أنها : من الآدمية اثنان ؛ ومن القبض ثلاثة ؛ ومن البسط أربعة ؛ ومن النبوّة واحد ؛ ومن الروح اثنان ؛ ومن العلم خمسة ؛ ومن الرسالة ثلاثة .

فمجموع ذلك عشرون . ولنعدّدْ هذه العشرين ؛ ثم بعد ذلك نشرعُ في تقسيمها ؛ فنقول هي :

١ - كمال الصورة الباطنة ، ٢ - وكمال الحواسّ الباطنة ، ٣ - والحاسّة السارية في الذات ؛ وهي التي عبّرنا عنها في فيما سبق : بسريان حاسّة في الذات ؛ بها تلتذّ بالخير ، وتتألم بالشرّ ؛ - وربّما عبّرنا عنها بالقوة السارية - ، ٤ - والميلُ إلى الجنس ، ٥ - وعدمُ الحياء من قول الحقّ ، ٦ - وسكونُ الخير في الذات ، ٧ - وفتحُ الحواسّ الظاهرة ، ٨ - وفتحُ الحواسّ الباطنة ، ٩ - ومقامُ الرفعة ، ١٠ - وبغض الباطل ، ١١ - وقوةُ السريان ، ١٢ - ولا تحسُّ بمؤلمات الأجرام ، ١٣ - وعدمُ التضييع ، ١٤ - وانحصارُ الجهات في أمام ، ١٥ - ومعرفةُ العواقب ، ١٦ - ومعرفةُ العلوم المتعلّقة بأحوال الثقلين ، ١٧ - ومعرفةُ العلوم المتعلّقة بأحوال الكونين ، ١٨ - وسكونُ الروح في الذات سكونَ الرضا والمحبّةِ والقبول ، ١٩ - ويحيا حياة أهل الجنّة ، ٢٠ - والمشاهدةُ الكاملة . فالجميع عشرون .

فالأوّل منها للآدميّة ؛ والثلاثة بعدها للقبض ؛ والأربعة بعدها للبسط ؛ وواحد بعدها للنبوّة ؛ والاثنان بعده للروح ؛ وخمسة بعدها للعلم ؛ والثلاثة الأخيرة للرسالة .

إذا سمعت هذا فاعلم : أنّ الثمانية عشر من هذه العشرين تتوزع على حروف المد واللين التي هي : الألف والواو والياء ؛ فللألف ستّة ، وللواو ستّة ، ولـلياء ستّة . وإنّما كان هذا العدد لكل واحد لأنه ﷺ مَدَّ إلى ستة مراتب ؛ فمدَّ مرة قدرَ ألف[٤٢] ، ومرّة قدر الألفين ، ومرّة قدر ثلاث ألِفات ، ومرّة قدر أربع ألِفات ، ومرّة قدر خمس ألفات ، ومرة قدر ستّ ألفات ، وهذا التقدير تقريبي لا تحقيقي .

أحرف المـد واللين

قلت : وكذا الحافظ شيخ المقرئين ابن الجزري - رحمه الله عزّ وجلّ - في النشر [١ / ٣٢٠] : فإنّه لمّا تكلم على مراتب المدّ [المنفصل] قال - ما ملخصه - :

مراتب المـد المنفصل ست

المرتبة الأولى : القصر وهي قدر ألف . ونَسبَ القراءةَ لابن كثير وأبي جعفر - في المنفصل - .

المرتبة الثانية : فوق القصر قليلاً ، وقدرها : ألفان ، وقيل : ألف ونصف ؛

(٤٢) أي حركة واحدة ليصح التقدير .

ويعبّر عنها بزيادة بعد زيادة ، وبالتمكين من غير إشباع وبالزيادة المتوسطة . ونسب القراءة بها إلى الدوريّ ، وقالون ـ عند بعضهم ـ .

المرتبة الثالثة : فوقها قليلاً ـ وهي التوسط ـ ، وقدّر : بثلاث ألفات ، وقيل : بألفين ونصف ، وقيل : بألفين ؛ وقائله يرى أنّ المرتبة الثانية ألف ونصف . ونَسبَ القراءة بها إلى الكسائيّ .

المرتبة الرابعة : فوقها قليلاً ، وقدرت : بأربع ألفات ؛ وقيل : بثلاث ونصف ؛ وقيل : بثلاث . ونَسبَ القراءة بها إلى عاصم وابن عامر .

المرتبة الخامسة : فوقها قليلاً ، وقدّرت : بخمس ألفات ، وقيل : بأربع ونصف ، وقيل : بأربع . ونسبَ القراءة بها لحمزة وورش .

المرتبة السادسة : فوقها قليلاً ، ويعبر عنها بالتمطيط . وقدرت : بستّ ألفات ، وذكرها أبو القاسم[٤٣] ، ونقلها عن جماعة من القرّاء ، ونسب القراءة بها لورش ؛ وخصّ الخامسة بحمزة . ونازعه في ذلك ابن الجزري ؛ ثم ذكر ابن الجزري مرتبتين أخريين : إحداهما قبل القصر ، ويقال لها : البتر ، وهي عبارة عن حذف حروف المدّ وقطعها من الكلام ؛ ثم نَقَل عن أبي عمرو الداني[٤٤] تغليط من قال بها ، ثمّ أوّلها بتأويل حسن ، وحكم بأنّه لا بدّ من مرتبة القصر ، وأنّه لا يجوز حذف حروف المدّ . والمرتبة الأخرى : ذكرها بين الخامسة والسادسة ، وذَكَر الأصوب فيها أنْ لا تعدّ . فرجع حاصل كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أنّ المراتب : ستّ ؛ كما قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ .

---

(٤٣) أبو القاسم الشاطبي الأندلسي (٥٣٨ ـ ٥٩٠ هـ) : هو القاسم بن فيرّه الضرير الرعيني . إمام القراء في مصر . له الشاطبية في القراءات السبع وهي قصيدة لامية مسماة بحرز الأماني ووجه التهاني . ا هـ . النشر ١ / ٦١ . قلت : ذكر ابن القاصح في مقدمة شرحه على الشاطبية أنه يكنى بأبي محمد . وكذا ذكره في الأعلام وضبط « فيره » بكسر الفاء وتشديد الراء وضمها . وزاد في الأعلام : كان عالماً بالحديث والتفسير واللغة .

(٤٤) أبو عمرو الداني (ـ ٤٤٤ هـ) : هو عثمان بن سعيد إمام حافظ كبير ، صاحب كتاب التيسير والمقنع ومفردة يعقوب . توفي في دانية من الأندلس ا هـ . النشر ١ / ٥٨ .

ـ ثم بسط ابن الجزري ـ رحمه الله تعالى ـ بعد هذا القول : بأنّ هذا التقدير بألفات ، تقدير ليس معه تحقيق .

قلت : ولو خَرجتُ إلى بسط ذلك ، وذكر دليله ، لخرجنا عن الغرض ؛ والمسألة لها استمداد من الأصول حيث قال ابن الحاجب[45] منهم ـ رحمه الله تعالى ـ : إن المدّ ونحوه ليس بمتواتر ، ومَن عَرَفَ التواترَ وشروطَه[46] ، وهل هي موجودة في مراتب المدّ ؟ علمَ غَورَ المسألة .

ولنرجع إلى مقصودنا فنقول :

١ً ـ **أما الستّة التي للألف :** فهي كمال الصورة الباطنة ، وسكون الروح في الذات سكونَ الرضا ، والحاسّة السارية في الذات ، وكمال الحواسّ الباطنة ، وبُغض الباطل ، وسكون الخير في الذات .

ثمّ إنّ الألف الممدود على قسمين : ١ ـ فتارة يكون في كلمة هي عبارة عن النفس وما يدخل فيها نحو : (إنّا آمنّا) فإنّ الألف المدّية في ضمير ، وهو كنايةٌ عن نفس المتكلم . ٢ ـ وتارة يكون في كلمة معناها خارج عن ذات المتكلم ، نحو : (من السماء ماء) .

فإن كان في الكلمة ـ التي هي ـ كنايةٌ عن نفس المتكلم ، فللمرتبة الأولى ـ وهي القصر : التي هي قدرَ ألِف ـ : كمال الحسّ الباطنيّ .

---

(٤٥) ابن الحاجب (٥٧١ ـ ٦٤٧ هـ) : تلميذ الشاطبي ، إمام في النحو . له الكافية والشافية ا هـ . الأعلام .

(٤٦) قال السيوطي في تدريب الراوي ـ في شرحه للتقريب ـ عند ذكر النووي النوع الثلاثين المشهور : قد قسّم أهل الأصول المتواتر إلى لفظيّ : وهو ما تواتر لفظه . ومعنوي : وهو أن ينقل جماعة ـ يستحيل تواطؤهم على الكذب ـ وقائع مختلفة تشترك في أمر . ومَثّل للأول : الأحاديث المتواترة وعدّد كثيراً ، منها حديث : « المرء مع من أحبّ ... » . وللثاني : « رفع اليدين في الدعاء » ا هـ . وذكر ابن عابدين في نسمات الأسحار على شرح المنار ، شروط المتواتر بقوله : والحاصل أن شروطه ثلاثة :
١ ـ تعدد النَّقَلَة بحيث يمنع التواطؤ على الكذب .
٢ ـ الاستناد إلى الحس .
٣ ـ استواء الطرفين والوسط في ذلك ـ أي في الكثرة .

وللمرتبة الثانية : ـ وهي قدرَ ألفين ـ سكون الروح مزيداً على كمال الحسّ الباطنيّ الذي للأول .

وللمرتبة الثالثة : الحاسّة السارية ، مزيدة على ما للثانية وللأولى .

وللمرتبة الرابعة : كمال الحواسّ الباطنة ، مزيداً على ما للمراتب الثلاث .

وللمرتبة الخامسة : بغض الباطل ، مزيداً على ما للمراتب الأربع .

وللمرتبة السادسة : سكون الخير في الذات ، مزيداً على ما للمراتب الخمس .

ففي المرتبة الأولى : جزء ، وفي الثانية : جزءان ، وفي الثالثة : ثلاثة ، وفي الرابعة : أربعة ، وفي الخامسة : خمسة ، وفي السادسة : ستّة .

وإن كان الألِف في كلمة خارجة عن الذات ، فللمرتبة الأولى : كمال الصورة الباطنة . وللثانية : هو ، مع بغض الباطل . وللثالثة : هو ، مع سكون الخير في الذات ، وللرابعة : ذلك ، مع القوّة السارية ، وللخامسة : ذلك ، مع كمال الحسّ الباطنيّ ، وللسادسة : ذلك ، مع سكون الروح في الذات ، سكون الرضا .

وسرّ البداءة في الأولى بكمال الحسّ الباطنيّ ، وفي الثاني بكمال الصورة الباطنيّة : أنّ الألف لمّا كان في كلمة النفس ، كان كمال الحسّ الباطنيّ مشيراً إلى الباطن .

والآدميّةُ : هي فراش الكمال ، وعليها تخرّج ، فإذا كان الكلام نفسانيّاً كان فراشه آدميّة نفسانيّة ؛ وإذا كان الكلام ليس في الأمور النفسانية مثل : (السماء ، والماء) ، كانت الآدميّة غيرَ نفسانيّة .

ولا شكّ أنّ « كمال الصورة الباطنة » إنّما مرجعه إلى تحسين خِلقة الباطن ، التي ينشأ عنها حسن الصوت بنحو الألفاظ التي من جملتها : (السماء ، والماء) ؛ بخلاف « كمال الحسّ الباطني » ، فإنّه راجع إلى تحسين قُوى النفس . والله أعلم .

٢ ـ وأما الستّة التي للواو : فهي عدم الحياء ، والميلُ إلى الجنس ، وفتح الحواسّ الظاهرة وفتح الحواسّ الباطنة ، ولا تحسّ بمؤلمات الأجرام ، وقوة السريان .

أ ـ فإن كانت (الواو) الممدودة في أمر خارج عن الذات نحو : ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ [الإسراء : ٧] ، كان للمرتبة الأولى ـ التي هي مقدار واو ـ : عدمُ الحياء[٤٧] . وللثانية ـ التي هي مقدار واوين ـ : ذلك ، مع الميل إلى الجنس . وللثالثة : عدم الحياء والميل مع فتح الحواس الظاهرة . وللرابعة : عدم الحياء والميل وفتح الحواسّ الظاهرة مع فتح الحواسّ الباطنة . وللخامسة : عدم الحياء والميل ، وفتح الحواس الظاهرة ، وفتح الحواس الباطنة ، مع عدم الإحساس بمؤلمات الأجرام . وللسادسة : عدم الحياء ، والميل ، وفتح الحواس الظاهرة ، وفتح الحواسّ الباطنة ، وعدم الإحساس بمؤلمات الأجرام ، مع قوة السريان . فكلّ مرتبة تشمل على ما قبلها ، مع زيادة ما أضيف إليها .

ب ـ وإن كانت (الواو) في كلمة عن كناية نحو : ﴿ قالوا آمنّا ﴾ [الأعراف : ١٢١] .

فللمرتبة الأولى : فتح الحواسّ الباطنة . وللثانية : زيادة على ذلك ، فتح الحواسّ الظاهرة ، وللثالثة : زيادة على ذلك ، الميل إلى الجنس . وللرابعة : زيادة على ذلك ، عدم الحياء . وللخامسة : زيادة على ما سبق ، عدم الإحساس بتألمات الأجرام . وللسادسة : زيادة على ما سبق ، قوّة السريان . فكلّ مرتبة تشتمل على ما قبلها مع زيادة ما أضيف إليها ؛ وسرّه ظاهر ، لأنّ الواوين فيهما الواو الواحدة ، والواوات الثلاث فيها الواوان ، وهكذا في الألفات والياءات .

٢ ـ **وأمّا الستّة التي للياء** : فعدم التضييع ، وانحصار الجهات في أمام ، ومعرفة العاقبة ومعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين ، ومعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الكونين ، والحياة كحياة أهل الجنة .

أ ـ فإن كانت (الياء) في داخلي ، نحو : ﴿ إنّي أُلقيَ إليّ ﴾ [النمل : ٢٩] ؛ فللمرتبة الأولى : معرفة العلوم المتعلقة بأحوال الكونين . وللثانية : ذلك ، مع عدم التضييع . وللثالثة : ذلك ، مع معرفة العاقبة . وللرابعة : ذلك ، مع انحصار

(٤٧) في جميع النسخ المطبوعة زيادة : والميل مع فتح الحواس الظاهرة . قلت : هي زيادة خطأ حسب الواضح مما يأتي عند قوله : فكل مرتبة تشتمل على ما قبلها مع زيادة ما أضيف إليها .

الجهات . وللخامسة : ذلك ، مع معرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين . وللسادسة : ذلك ، مع الحياة كحياة أهل الجنة .

ب ـ وإن كانت (الياء) في خارج نحو : ﴿ وفي أنفسكم ﴾ [الذاريات : ٢١] ، فللأولى : انحصار الجهات . وللثانية : ذلك ، مع معرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين . وللثالثة : ذلك ، مع الحياة كحياة أهل الجنّة . وللرابعة : ذلك ، مع معرفة العاقبة . وللخامسة : ذلك ، مع عدم التضييع . وللسادسة : ذلك ، مع معرفة العلوم المتعلّقة بأحوال الكونين .

فهذا بيانُ الثمانية عشر جزءاً ؛ وبيانُ المراتب التي تتفرّع عليها .

وأما **الجزءان الباقيان** ـ وهما كال العشرين ـ : **فهما للمشاهدة وكال الرفعة ؛ وعلى أنوارها ، وعجيب أسرارها ؛ جاء رسم القرآن العزيز ؛** فالحروف التي ترسم ولا تقرأ : **كالواو في** (الصلوة) و (الزكوة) و (الربوا) و (مشكوة) ، وفي نحو : (سأوريكم) و (أولئك) و (أولاء) . **وكالياء في** نحو : (هديهم) و (موسى) و (عيسى) و (ملائه) و (بأييدٍ) ، كلّها لسرّ من أسرارها ؛ لكنْ إنْ كان **مدلول الكلمة أمراً محسوساً مشاهَداً في الخارج** : كـ (موسى) و (عيسى) و (ملائه) و (منوة) و (مشكوة) ، **فالذي فيه سرّ المشاهدة** .

وإن كان **مدلولها أمراً معنوياً غير محسوس** نحو : (هديهم ـ وسأُوريكم ـ وبأييدٍ)[48] **فالذي فيه سرّ مقام الرفعة** .

---

(٤٨) هدٰيهم : البقرة ٢٧٢ ﴿ ليس عليك هُدٰيهم ﴾ .
الأنعام ٩٠ ﴿ فبهدٰيهم اقتده ﴾ .
النحل ٣٧ ﴿ إن تحرص على هُدٰيهم ﴾ .
﴿ إلى فرعون وملإيه ﴾ : الأعراف ١٠٣ ، يونس ٧٥ ، هود ٩٧ ، المؤمنون ٤٦ ، القصص ٣٢ ، الزخرف ٤٦ .
بأييد : الذاريات ٤٧ .
سأوريكم : الأعراف ١٤٥ ﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ . الأنبياء ٣٧ ﴿ سأريكم آياتي فلا تستعجلون ﴾ .
الصلوة : في جميع القرآن وحيث تكون مُعَرّفة . وقد ذُكرت (٦٧) مرة .
الزكوة : في جميع القرآن . وقد ذكرت (٣٢) مرة .

مطلب رسم القرآن

[س] فقلت : فهل رسم القرآن على الصفة المذكورة صادر من النبيّ ﷺ أو من ساداتنا الصحابة - رضي الله عنهم - ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : هو صادر منه ﷺ ، وهو الذي أمر الكُتّاب من الصحابة - رضي الله عنهم - أن يكتبوه على الهيئة المذكورة فما زادوا ولا نقّصوا - رضي الله عنهم - على ما سمعوا من النبيّ ﷺ .

[س] فقلت : فإنّ جماعة من العلماء - رحمهم الله - ترخصوا في أمر الرسم ، وقالوا : إنّما هو اصطلاح من الصحابة - رضي الله عنهم - جَرَوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية ، حتى قال الفراء - في كتابتهم (الربوا) بالواو - : ... وإنّما صَدَر ذلك منهم ، لأنّ قريشاً تعلّموا الكتابة من أهل الحيرة وهم ينطقون بالواو في (الربوا) فكتبوا على وفق منطقهم ، وأمّا قريش فإنّهم ينطقون بالألف ، فكتابتهم له بالواو جريٌ على منطق غيرهم ، وتقليدٌ لهم . وحتى قال القاضي أبو بكر الباقلاّني - في كتاب الانتصار - : إنّ الخطوط إنّما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز ، فكلّ رسم دالٍّ على الكلمة ، مفيدٍ لوجه قراءتها ، تجبُ صحته وتصويبُ الكاتب به على أيّ صورة كان .

ولننقلْ كلامه بلفظه - وإن كان فيه طول - :

تأويل الباقلاني لقول عثمان رضي الله عنه

قال رحمه الله تعالى - حيث تَكلّم على قول عثمان [رضي الله عنه] : « إنّ في المصحف لحناً ، ستقيمه العرب بألسنتها » - ما نصّه : ومما يسوغ في تأويل قول عثمان : « أرى فيه لحناً ستقيه العرب بألسنتها » ، هو : أنّ المقصود منه ما وجد فيه ، من حذفِ الكاتب واختصاره في مواضع ، وزيادة أحرف في مواضع أخرى ؛

= الربوا : في جميع القرآن . وقد ذكر (٧) مرات .

مشكوة : النور ٣٥ .

منوة : النجم ٢٠ .

أولاء : آل عمران ١١٩ ، طه ٨٤ .

أولات : الطلاق ٤ و ٦ .

أولئك : في جميع القرآن . وعددها (٢٠٤) مرات .

وإن كان الكاتب لو كان كتبه على مخرج اللفظ وصورته لكان أحقّ وأولى وأقطع للشبهة عمّن ليس الكلام باللسان طبعاً له . وقوله : « ستقيمه العرب بألسنتها » ، معناه : أنها لا تلتفت إلى المرسوم المكتوب ، وإنّما تتكلم به على مخرج اللفظ وصورته . فمن هذه الأحرف : كتابتهم (الصلوة) و (الزكوة) و (الحيوة) بالواو على غير مَخْرَج اللفظ ؛ وكذلك : (إسمعيل) و (إسحق) و (إبرهيم) و (الرحمن) و (ملك) ، ممّا حذفوا فيه الألف على غير مخرج اللفظ ؛ وكذلك زادوا الألف في نحو : (قالوا) و (خرجوا) و (كفروا) وأمثال ذلك ؛ والألف غير ثابتة في اللفظ ؛ فرأى عثمان ـ رضي الله عنه ـ : أن كَتْب هذه الكلمات على مخرج اللفظ أولى وأحقّ ، وأن من تلاها على ما كُتبت به كان لاحناً مخطئاً ، غير أنه علم وغيرُه من الصحابة ، أنّ العرب لا تتلوها على مطابقة الرسم ، فلذلك قال : « ستقيمه العرب .. » .

رواية قول عثمان رضي الله عنه وسيأتي ردّها لاضطرابها

ومما يدل على صحة هذا التأويل : ما رواه أبو عبيد ، عن حجّاج[٤٩] ، عن هرون بن موسى[٤٩] ، عن الزبير بن حريث ، عن عكرمة[٤٩] ؛ قال : لمّا كُتبتْ المصاحف ، عُرضت على عثمان ـ رضي الله عنه ـ ، فوجد فيها لحناً ، فقال :

---

(٤٩) حجاج بن أرطاة (ـ ١٤٥ هـ) : هو ابن ثور النخعي ، قاض من أهل الكوفة ، ومن رواة الحديث وحفاظه ، استفتي وهو ابن ست عشرة سنة . ولي قضاء البصرة . توفي بخراسان أو بالري ا هـ . ملخصاً الأعلام .

(٤٩) هارون بن موسى : أبو عبد الله العتكي البصري مولى الأزد . علاّمة صدوق نبيل ، له قراءة معروفة . روى القراءة عن عاصم الجحدري وعاصم بن أبي النجود وابن محيصن وابن كثير وأبي عمر بن العلاء عن عاصم . وعرض على عبد الله بن أبي إسحاق . روى عنه جماعة .

قال السجستاني : كان أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألّفها وتتبع الشاذ منها فبحث عن إسناده وكان من القراء . توفي قبل ٢٠٠ هـ .

(٤٩) عكرمة مولى ابن عباس ، أبو عبد الله البربري المدني (ـ ١٠٥ هـ) : تابعي ، ترجمه في الحلية بأنه : صاحب التفسير المحكم ، تفوق على مجاهد وابن جبير في التفسير . وضع ابن عباس الكبل في رجليه لتعليمه . أجمع التابعون على أنه أعلمهم بالتفسير . قدم الحيرة على طاووس ، وقدم البصرة ، ورحل إلى الكوفة وجرجان ونيسابور . أسند عن كثير من الصحابة منهم : ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص ، والخدري وأبو هريرة وعائشة ...

وروى عنه جلة من التابعين منهم : طاووس وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد وأبو إسحاق والشعبي ، وأبو =

لا تغيّروه ، فإنّ العرب ستقيمه ؛ ولو[٥٠] كان الكاتب من ثَقيف والمُملي من هُذَيل[٥١] لم توجد فيه هذه الحروف . وقصد بذلك ـ والله أعلم ـ : أن ثَقيفاً كانت أبصرَ بالهجاء ، وأشدَّ تمسّكاً بالكتابة على مخارج الألفاظ ، وأعلَمَ بذلك من غيرها ؛ وأن هُذيلاً تستعمل الهمز كثيراً في كلامها ، وتظهره وتأتي به مبيّناً ، والهمز إذا ظهر وبان في لفظ المملي ، سمعه الكاتب وصَوَّره على مخرج اللفظ ، وكان القارئ بعد ذلك بالخيار ، إن شاء ليّن الهمزَ وأسقطَه على لغة قريش ، أو حقّقه على لغة هُذيل ؛ ولو لم يكن التأويلُ ما ذكرنا ، لم يكن معنىً لذكر ثَقيف وهُذيل ؛ فثبت : أنّ اللحن الذي أراده عثمان هو ما وقع من الكاتب من ترك مراعاة اللفظ وإنّما لم يغيره ، وأمَرهم أن لا يغيّروه ، لأنّه رأى ذلك قد اتسع وكَثُر ـ في المصاحف ـ كثرةً يطول تتبّعها ، ومحتاج معها إلى إبطال النُسَخ التي رُفعت إليه ، واستئناف غيرها ؛ وفي ذلك صعوبة ومشقة عظيمة ؛ ويصعب ذلك ـ أيضاً ـ على النفر الذين عَيّنهم لكتابة المصاحف ، لأنّهم لم يعتادوا الكتابة إلا بذلك الوجه ؛ أو خاف نفورهم لِمَا فيه من الطعن عليهم في كتابتهم والقدح فيما رسموه ؛ فأمضاه على ما فيه لِعلمه بأنّ العرب لا تنطق به على ما رُسم أبداً .

فإن قيل : على هذا الجواب فقد صرتم إلى : أنّه وقع في خطّ المصحف ورسمه

= الشعثاء ، وابن سيرين وابن جبير ، وعمرو بن دينار ، والنخعي والزهري وقتادة والأعمش . قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وغيره .

وجاء في طبقات الشعراني : أنه جزأ ليله أجزاء ، ثلثاً ينام ، وثلثاً يحدث ، وثلثاً يصلي . وقوله : من قرأ سورة يس في يوم لم يزل في سرور ـ ذلك اليوم ـ حتى يمسي .

(٥٠) كذا في الأزهرية . وفي بولاق وعثمان : ستقيمه لو كان .

(٥١) ثقيف : قبيلة سكنت الطائف . وهي نسبة إلى ثقيف بن منبّه بن بكر بن هوازن من عدنان وهو جدّ جاهلي . وهم عدة بطون ، بقي منهم إلى عصرنا هذا كثيرون . صنمهم في الجاهلية « اللات » . هدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة في (٨ هـ) . ودعا لهم عليه الصلاة والسلام بقوله : « اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين » ا هـ . من الأعلام والسيرة .

هُذَيل : قبيلة كبيرة سكنت بين مكة والمدينة وفي وادي نخلة قرب مكة وفي جبال السراة . كانوا أهل عدد وعدة ومنعة . نسبتهم إلى هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، من عدنان . اشتهر منهم كثيرون في الجاهلية والإسلام ، فيهم نيف وسبعون شاعراً ، وصنمهم في الجاهلية « مناة » حطمه علي رضي الله عنه (٨ هـ) ا هـ . من الأعلام .

خطأ ، وما ليس بصواب ، وما كان غيرُه أولى منه ، وأنّ القوم أجازوا ذلك وأمضوه وسوّغوه ؛ وذلك إجماعٌ منهم على خطأ ، وإقرارٌ لما ليس بصواب !! ؟

قلت : لا يلزم ما قلتم ، لأنّ الله تعالى إنّما فَرض على الأمة الوصيـة في القرآن وألفاظه ، فلا يزيدون حرفاً ولا ينقصونـه ولا يقدّمونـه ولا يؤخّرونـه ، ويتلونـه على نحو ما يتلى عليهم . وأمّـا الكتـابـة فلم يفرض الله على الأمّـة فيهـا شيئـاً ، إذ لم يَأخُذ على كُتّاب القرآن وخُطّاط المصاحف رسماً بعينه ـ دون غيره ـ أوجبـه عليهم ؛ وترك ما عداه ، إذ وجوب ذلك لا يُدرك إلا بـالسمع والتـدقيق ، وليس في نصوص الكتـاب ، ولا مفْهومـه ، أنّ رسم القرآن وخطّـه لا يجوز إلا على وجـه مخصـوص ، وحَدٍّ محـدود لا يجوز تجـاوزه ؛ ولا في نصّ السنّـة مـا يوجب ذلـك ويـدلّ عليـه ، ولا في إجماع الأمّة ما يوجب ذلك ، ولا دلّت عليه القياسات الشرعيـة ؛ بل السّنّـة دلّت على جـواز رسمه بـأيّ وجـه سهـل(☆) ؛ لأن رسـول الله ﷺ كان يـأمرهم[٥٢] برسمه ، ولم يبين لهم وجهاً معينـاً ، ولا نهى أحـداً عن كتـابتـه ؛ ولـذلـك اختلفت خطـوط المصـاحف . فمنهم : من كان يكتبُ الكلمـة على مطـابقـة مخرج اللفـظ ؛ ومنهم : من كان يَـزيـد ويُنقص لعلمـه بـأنّ ذلـك اصطـلاح ، وأنّ النـاس لا يخفى عليهم الحال ؛ ولأجل هذا بعينه جـاز أن يُكتب بـالحروف الكوفيـة والخط الأول ، وأن يُجعل اللام على صورة الكاف وأن تُعوَّجَ الألفـات ، وأن يُكتب أيضـاً على غير هذه الوجوه ؛ وساغ أن يَكْتب الكاتب المُصحف بالخطّ والهجاء القديمين ، وجـاز أن يكتبه بالهجاء والخطوط المُحدَثة ، وجـاز أن يَكتب بين ذلـك . وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغـايرة الصور ؛ وأن النـاس قـد أجـازوا ذلـك كلّه ؛ وأجازوا أن يَكتب كلّ واحد منهم بما هو عادته ، وما هو أسهل وأشهر وأولى ، من غير تأثيم ولا تناكر ، عُلِمَ أنه لم يُؤخذ في ذلك على الناس حَدّ محدود مخصوص ، كما أُخذ عليهم في القراءة والأذان .

والسبب في ذلك : أنّ الخطوط إنّما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات

(☆) سيأتي ردّه ص (١٨٧) .

(٥٢) في بولاق وعثمان : يأمر .

والعقود والرموز ، فكلٌّ رسم دالٌّ على الكلمة ، مفيدٍ لوجه قراءتها ، تجب صحته ، وتصويبُ الكاتب به على أيّ صورة كان .

وبالجملة : فكلّ من ادّعى أنّه يجب على الناس رسم مخصوص ، وجب عليه أن يقيم الحجّة على دعواه ؛ وأنّى له بذلك ..!؟ ا هـ . كلام القاضي أبي بكر الباقلاّني - ملخصاً - .

مطلب رسم القرآن توقيفي

[ج] **قال رضي الله عنه** : ما للصحابة - ولا لغيرهم - في رسم القرآن العزيز ولا شعرةٌ واحدة ، وإنّما هو بتوقيف من النبيّ ﷺ ؛ وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة ، بزيادة الأحرف ونقصانها ، لأسرار لا تهتدي إليها العقول ؛ وما كانت العرب في جاهليتها ، ولا أهلُ الإيمان من سائر الأمم في أديانهم ، يعرفون ذلك ، ولا يهتدون بعقولهم إلى شيء منه ، وهو سرّ من أسراره ، خصّ الله به كتابه العزيز ، دون سائر الكتب السماويّة ؛ **فلا يوجد شِبْه ذلك الرسم لا في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في غيرهما من الكتب السماوية . وكما أنّ نظم القرآن معجز فرسمُه - أيضاً - معجز** ؛ وكيف تهتدي العقول إلى سرّ زيادة « الألف » في مائة دون فئة ، وإلى سرّ زيادة « الياء » في (بأييدٍ) من قوله تعالى :

زيادة أحرف أو نقصها أو تغير رسمها بين الآيات الكريمة

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ ﴾ [الذاريات : ٤٧] ..!!؟

أم كيف تتوصل إلى سرّ زيادة الألف في (سعوا) من قوله تعالى في الحجّ :

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [الحج : ٥١] .

وعدم زيادتها في سبأ ، من قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ ﴾ [سبأ : ٥] ..!!؟

وإلى سرّ زيادتها في قوله تعالى :

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ [الأعراف : ٧٧] .

وحذفها من قوله تعالى :

﴿ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً ﴾ [الفرقان : ٢١] ..!!؟

وإلى سرّ زيادتها في قوله تعالى :

﴿ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

وإسقاطها من قوله تعالى :

﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ [النساء : ٩٩] ..!!؟

وإلى سرّ زيادتها في (آمنوا) و (كفروا) و (خرجوا) [مطلقاً] ، وإسقاطها من (باءو) و (جاءو) ، و (تبوءو) و (فإن فاءو)[٥٣] ..!! . أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف الألف في بعض الكلمات المتشابهة دون بعض ؛ كحذف [ألف] (قرآناً) في يوسف [٢] ، والزخرف [٣] ؛ وإثباته في سائر المواضع ؛ وكذا إثبات الألف بعد الواو في (سموات) فصّلت [١٢] ، وحذفها في غيرها ؛ وإثبات [ألف] (الميعاد) مطلقاً ، وحذفه في الأنفال [٤٢] ؛ وإثبات [ألف] (سراجاً) حيثما كان ، وحذفه في الفرقان [٤٦] ؛ وكذا في إطلاق بعض التاءات وربطها نحو : (رحمة) ، و (نعمة) ، و (قرّة) ، و (شجرة) ، فإنّها في بعض

---

(٥٣) باءو : في السور التالية : البقرة ٦١ ، ٩٠ ، آل عمران ١١٢ .
جاءو : آل عمران ١٨٤ ، الأعراف ١١٦ ، يوسف ١٦ ، ١٨ ، النور ١١ ، ١٣ ، الفرقان ٤ ، النمل ٨٤ ، الحشر ١٠ .
تبوءو : الحشر ٩ .
فإن فاءو : البقرة ٢٢٦ .

المواضع كُتبت بالتاء[٥٤] ، وفي مواضع أخر كتبت بالهاء[٥٥] . وكذا : (الصلاة) و (الحياة) في بعض المواضع كتبت بالواو فيهما نحو :

﴿ أَقِيمُوا الصَّلوة ﴾ ، و﴿ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ﴾ ، و﴿ عَلَى حَيَوةٍ ﴾[٥٦] .

وفي بعضها بالألف نحو :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ [الأنعام : ١٦٢] ، ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [النور : ٤١] ، ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ [الإسراء : ١١٠] ، ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ [الأحقاف : ٢٠] .

إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر ..!! وكلّ ذلك لأسرار إلهيّة وأغراض نبويّة ؛ وإنّما خفيت على الناس ، لأنّها منَ الأسرار الباطنيّة ، التي لا تدرك إلا بالفتح

---

(٥٤) رحمت : الزخرف ٣٢ موضعان ، الأعراف ٥٦ ، الروم ٥٠ ، هود ٧٣ ، مريم ٢ ، البقرة ٢١٨ .
نعمت : البقرة ٢٣١ و ٢١١ ، النحل ٨٢ و ٨٣ و ١١٤ ، إبراهيم ٢٨ و ٣٤ ، المائدة ١١ ، لقمان ٣١ ، فاطر ٣ ، آل عمران ١٠٣ ، الطور ٢٩ .
لعنت : آل عمران ١٨ ، النور ٧ .
امرأت : يوسف ٣٠ و ٥١ ، آل عمران ٣٥ ، القصص ٩ ، التحريم ١٠ و ١١ .
معصيت : المجادلة ٨ و ٩ .
شجرت : الدخان ٤٣ .
سنت : فاطر ٤٣ في موضعين ، الأنفال ٣٨ ، غافر ٨٥ .
قرّت : القصص ٩ .
جنّتُ : الواقعة ٨٩ .
فطرت : الروم ٣٠ .
بقيّت : هود ٨٦ .
ابنت : التحريم ٣٦ .
كلمت : الأعراف ٣٧ .

(٥٥) وذلك فيما عدا هذه المواضع المذكورة آنفاً [في تعليق ٥٤ السابق] اهـ . شرح المقدمة الجزرية ملخصاً .

(٥٦) أقيموا الصلوة : في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن : البقرة ٤٣ و ٨٣ و ١١٠ ، النساء ٧٧ و ١٠٣ ، الأنعام ٧٢ ، الأعراف ٢٩ ، يونس ٨٧ ، الحج ٧٨ ، النور ٥٦ ، الروم ٣١ ، المجادلة ١٣ ، المزمل ٢٠ .
الحيوة الدنيا : في ثلاثة وستين موضعاً في القرآن منها : البقرة ٨٥ و ٨٦ و ٢٠٤ و ٢١٢ .
على حيوة : البقرة ٩٦ .

سر الحروف المقطعة أوائل السور

الربانيّ ؛ فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطّعة ـ في أوائل السور ـ : فلها أسرار عظيمة ومعانٍ كثيرة ، حتى إنّ جميع ما في السورة ـ التي في أولها تلك الحروف ـ من المعاني والأسرار كلّها مندرجٌ تحت تلك الحروف . فجميع ما في سورة : ﴿ صٓ ﴾ مندرج تحت حرف (ص) ؛ وجميع ما في : ﴿ قٓ ﴾ و﴿ نٓ ﴾ و﴿ يسٓ ﴾ و﴿ طه ﴾ وغير ذلك ، مندرج في هذه الرموز . وأكثر النّاس لا يهتدون إلى أسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أشير إليها ؛ حتى ظنّ جماعة من الناس : أنّها أسماءُ للسور ؛ وظنّتْ جماعة أخرى : أنّها أشير بها إلى أعداد معلومة ؛ وظنّت جماعة أخرى : أنّها من الحروف المهملة التي ليس وراءها معانٍ ؛ وكلّهم حُجبوا [عن] الاطلاع على المعاني الباهرة العجيبة التي فيها ؛ فكذا أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف .

وأمّا قول من قال : إن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ هم الذين اصطلحوا على الرسم المذكور ؛ فلا يخفى ما في كلامه ؛ لأنّ القرآن العزيز كُتب في زمانه ﷺ ، وبين يديه ، على هيئة من الهيئات ؛ وحينئذ فلا يخلو ما اصطلَح عليه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ : إمّا أن يكون هو عينَ الهيئة أو غيرَها . ١ ـ فإن كان عينَها ، بطلَ الاصطلاح ، لأنّه اختراع وابتداع ، وسَبقيّة التوقيت تنافي ذلك ، وتوجب الاتّباع ؛ فمن نسب اتباعهم حينئذ للاصطلاح كان بمنزلة من قال : إنّ الصحابة اصطلحوا على أنّ الصلواتِ خمس ، وعلى أنّ عدد الركعات مثلاً أربع . ٢ ـ وإن كان غير ذلك ، فكيف يكون النبيّ ﷺ كتب على هيئة كهيئة الرسم القياسيّ ـ مثلاً ـ ، والصحابة خالفوا وكتبوا على هيئة أخرى ؟! فلا يصحّ ذلك ، لوجهين :

ردّ ما نسب للصحابة من مخالفتهم الرسم

أحدهما : ما فيه من نسبة الصحابة وأعلام الهدى ـ رضي الله عنهم ـ إلى المخالفة ؛ وذلك محال .

إجماع

ثانيهما : أنّ سائر الأمّة ـ من الصحابة وغيرهم ـ أجمعوا على : أنّه لا يجوز أن يُزاد في القرآن حرف ولا أن ينقص منه حرف . والكتابة أحد الوجودات الأربع ، وما بين الدّفّتين كلام الله ؛ فإذا كان النبيّ ﷺ كتب على هيئة ، فإذا أثبت [ألف] (الرحمن والعالمين) ولم يزد الألف في (مائة) ولا في (كفروا وخرجوا) ، ولا الياء

فرض

في (بأييد) ولا في (أَفَإِينْ مِتَّ)[57] ونحو ذلك ـ مما ذكرناه فيما سبق ، وما لم نذكره ـ ؛ والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عاكسوه في ذلك وخالفوه ، لزم أنّهم رضي الله عنهم ـ وحاشاهم من ذلك ـ تَصَرّفوا في القرآن بالزيادة والنقصان ، ووقعوا فيما أجمعوا ـ هم وغيرهم ـ على أنّه لا يحلّ لأحد فعله ؛ ولزم تطرّق الشكّ إلى جميع ما بين الدّفّتين ؛ لأنّا مَهْما جوّزنا أن تكون فيه حروف زائدة على ما في علم النبيّ ﷺ ، وعلى ما عنده ، وأنّها ليست بوحي ، ولا من عند الله ، ولم نعلمها بعينها شككنا في الجميع ؛ ولئن جوّزنا لصحابيّ أن يزيد في كتابته حرفاً ليس بوحي ، لزِمَنَا أن نجوّز لصحابيّ آخر نقصان حرف من الوحي ، ـ إذ لا فرق بينهما ـ ؛ وحينئذ تنحلّ عروة الإسلام بالكليّة .

وإنما يصحّ أن يُدّعى الاصطلاح من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لو كانت كتابة القرآن العزيز إنّما حدثت في عصرهم بعد وفاة النبيّ ﷺ .

فثبت أنّ **الرسم توقيفيّ ، لا اصطلاحيّ** ، وأنّ النبيّ ﷺ هو الآمر بكتابته على الهيئة المعروفة .

[**س**] فقلت : إنّه عليه الصلاة والسلام كان لا يعرف الكتابة ، وقد قال تعالى في وصفه :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] .

أمّيّة سيدنا محمد ﷺ والفتح الرباني

[**ج**] فقال ـ رضي الله عنه ـ : كان ﷺ لا يعرفها بالاصطلاح والتعلم من الناس ، وأمّا من جهة الفتح الربّانيّ : فيعلمها ، ويعلم أكثر منها ؛ وكيف لا ..! والأولياء الأميّون ـ من أمّته الشريفة ـ المفتوحُ عليهم يعرفون خطوطَ الأمم والأجيال ، من لَدُنْ آدم ـ عليه السلام ـ ؛ وأقلامَ سائر الألسن ؛ وذلك ببركة نوره ﷺ ؛ فكيف به عليه الصلاة والسلام ..!!؟

قال ـ رضي الله عنه ـ : ومَن فتح الله عليه ، ونظر في أشكال الرسم التي في

---

(٥٧) الأنبياء ٣٤ .

رسم كتابة القرآن في اللوح المحفوظ

ألواح القرآن ، ثمّ نظر في أشكال الكتابة التي في اللوح المحفوظ ، وجدَ بينهما تشابهاً كثيراً ، وعاينَ زيادة الألف في اللوح المحفوظ في (كفروا) و (آمنوا) ، وغير ذلك مما سبق ؛ وعَلِمَ أسراراً في ذلك كلّه ؛ وعَلِمَ أنّ تلك الأسرارَ من وراء العقول .

قلت : وقد سمعت من شيخنا رضي الله عنه ـ وهو من الأُمّيّين ـ أسرارَ جميع ما سبق في (كفروا) و (مائة) ونحوهما ؛ وقابلناه مع ما ذكره أئمّة الرسم وفحوله فوجدنا الجِدّ ـ والله ـ فيما قال الشيخ ـ نفعنا الله به ـ ؛ ولعلّ اللهَ يوفقنا ـ بمنّه وكرمه ـ حتى نمليَ فيه مجموعاً . وما قنعت عقولنا قطّ بما قاله أئمّة الرسم ، مع أنهم إنما تكلموا على توجيه النَّزْر القليل منه ؛ وما زلنا نستشكل أمر الرسم ونسبته إلى الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ؛ حتى طرح الشيخُ ـ رحمه الله ـ عنّا بكلامه هذا الإشكال ـ فجزاه الله عنّا أفضل الجزاء ـ .

[س] ثم إنّي (سألته) رضي الله عنه ـ على سبيل الامتحان ، وأنا أعلم أنه لا يعجز عن الجواب ، مع كونه لا يحفظ حزب (سبّح) ـ عن الزائد في (بأييد) : هل الياء الأولى أو الياء الثانية ؟

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : الياء الثانية . فشككّته ؛ فجزم بأنّها الثانية . وكذا قال أبو عبد الله الخرّاز[58] : وآخر الياءين من (بأييد) للفرق بينه وبين الأيد .

وعن الزائد في (مَلَائِه) هل هو الألف المعانقة أو الياء ؟

فقال ـ رضي الله عنه ـ : هي الألف . ـ وعن أمور أخر من هذا الباب ، وعن أسرارها ـ ، فأجاب بما هو الحقّ ، كأنّه من المهرة في حفظ القرآن العزيز .

[س] ثمّ قلت : هذا الذي ذكرتم ـ من كون الرسم توقيفيّاً ـ للخصم أن يقول : سلّمنا ؛ ولكن لِم لا يجوز أن يُكتب القرآن العزيز على الرسم

---

(58) أبو عبد الله الخراز (ـ ٧١٨ هـ) : هو محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي ، الشهير بالخراز . عالم بالقراءات ، من أهل فاس ، أصله من شريش . له « مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن » أرجوزة ، و « الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع » ا هـ . الأعلام .

مطلب

القياسيّ ، ويُكتب بإثبات الألف وبحذف الزوائد ، وأيّ شيء يَضُرّ في ذلك ؟

السرّ في عدم كتب القرآن بالرسم القياسي

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : للكلام القديم أسرار ؛ ولكتابته دَخْل في تلك الأسرار ؛ فمن كتبه بالكتابة التوقيفيّة فقد أداه بجميع أسراره ، ومَن كَتَبه بالكتابة القياسية فقد نقّص من أسراره ، ويكون الذي كتبه كلمات من تلقاء نفسه ، لا الكلمات المنزلة .

ضرب مثال

ثم ضرب ـ رضي الله عنه ـ مثلاً فقال : لو فرضنا رجلاً كَتَبَ (كان) ـ التي هي من الأفعال الناقصة ـ منقلبة بالواو هكذا : (كوان) ؛ وقصد بتلك الكتابة سرّاً أطلع عليه بعض الناس دون بعض ؛ فجاء من لم يطلع على السرّ فظنّ أن كتبها بالواو لا يترتب عليه سرّ من جهة المعنى ، فقال : أنا أكتبها بالألف لأنّ المعنى واحد ، والأصل في تأديته هو الألف ، وأنا أكتبها بالألف ؛ فيقول له من اطّلع على السرّ : لقد نقّصت من السرّ ، وكتبت (كان) أخرى ، لا التي قصدها الرجل ، فإنّه إنما كتبها بالواو وجعل الألف فوقها ليفيد الكون والتكوين ، فكأنّه كتب في (كوان) المنقلبة كان وكون ، أي : كان زيد ، وكوّنه الله ـ عزّ وجلّ ـ . وهكذا الحال فيمن كتب : الصلاة ، والزكاة ، والحياة ، بغير واو ، فإنّه قد نقّص من أسرارها .

[س] فقلت : فإن كان الرسم توقيفياً ، بوحي من النبيّ ﷺ ، وأنه كألفاظ القرآن ، فلِمَ لم ينقل تواتراً ، حتى ترفع فيه الريبة ، وتطمئن القلوب به ، كما في ألفاظ القرآن ؟ فإنّ ما من حرف[59] إلاّ وقد نقل تواتراً ، لم يقع فيه اختلاف ولا اضطراب ؛ وأمّا الرسم : فإنه إنّما نُقل بالآحاد ، ـ كما يُعلم من الكُتب الموضوعة فيه ـ ، ومن نَقْله بالآحاد وقع الاضطراب ، بين النَقَلَة في كثير منه ، وكيف تُضيّع الأمّة شيئاً من الوحي ؟

حفظ القرآن لفظاً ورسماً

[ج] فقال رضي الله عنه : ما ضَيّعت الأمّة شيئاً من الوحي ؛ والقرآنَ ـ بحمد الله ـ محفوظ ألفاظاً ورسماً ؛ فأهل العرفان والشهود والعيان حفظوا ألفاظه ، ورسمه ، ولم يضيّعوا منها شعرة واحدة ؛ وأدركوا ذلك **بالشهود والعيان** ـ **الذي**

(٥٩) كذا في الأزهرية . وفي بولاق وغيرها : حرف حرّف .

هو فوق التواتر ـ ؛ وغَيرُهم حفظوا ألفاظَه الواصلة إليهم بالتواتر ؛ واختلافهم في في بعض حروف الرسم لا يقدح ، ولا يصيّر الأمة مضيعةً ؛ كما لا يضرّ جَهلُ العامة بالقرآن وعدمُ حفظهم لألفاظه .

قلت : هذا الذي قاله الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في غاية الحسن ، ونهاية العرفان .

وبقي من كلامه ـ رضي الله عنه ـ أسرار وأنوار ، لم نكتبها ، مخافة التطويل .

وأما الحديث الذي نقله عن عثمان : « **وأنّ في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها** » فهو حديث مرسل ؛ ـ ومع كونه مرسلاً ـ ففي إسناده اضطراب ، يعود بالجهالة على بعض رجال إسناده ؛ والقاضي أبو بكر [الباقلاني] ـ رحمه الله ـ ممن تولّى بنفسه ردّ ذلك الحديث في الكتاب السابق[٦٠] ؛ كما ردّه جماعة من أهل العلم : كالحافظ أبي عمرو الدانيّ المقرئ ـ رحمه الله تعالى ـ في « المقنع » الموضوع في الرسم ؛ ونصّه في آخر المقنع :

فإن قال قائل : فما تقول في الخبر الذي رويتموه عن يحيى بن يعمر وعكرمة ـ مولى ابن عباس ـ عن عثمان ـ رحمه الله ـ : أنّ المصاحف لمّا نسخت ، عرضت عليه ؛ فوجد فيها حروفاً من اللحن ، فقال : « اتركوها فإنّ العرب ستقيمها ـ أو ستعرفها ـ بلسانها » ؛ إذ ظاهره يدل على خطأ في الرسم ؟

ردّ خبر سيدنا عثمان لاضطرابه

قلت : هذا الخبر لا تقوم بمثله عندنا حجة ؛ ولا يصحّ به دليل من جهتين :

إحداهما : أنّه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسلٌ ، لأنّ ابن يَعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان ـ رحمه الله تعالى ـ شيئاً ولا رَأياه .

[الثانية] : وأيضاً ، فإنّ ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان ، لما فيه من الطعن عليه ، مع محلّه من الدين ، ومكانه من الإسلام ، وشدّة اجتهاده في بذل

---

(٦٠) من كتاب الانتصار تقدم ص ١٨٠ .

النصيحة ، واهتمامه له ، فيما فيه إصلاح للأمّة ؛ فغير ممكن أن يتولى جمعَ المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأتقياء الأبرار ، نظراً لهم ، ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم ؛ ثم يتركَ لهم فيه ـ مع ذلك ـ لحناً وخطأ يتولى تغييرَه مَن يأتي بعده ممن لا يُشك أنّه لا يُدرك مداه ، ولا يبلغ غايته ؛ هذا ممّا لا يجوز لقائل أن يقوله ، ولا يحلّ لمعتقد أن يعتقده ا هـ . الغرض منه .

ثم أورد بسنده ـ بعد ذلك ـ طريق يحيى بن يعمر ، وطريق عكرمة . فانظرهما فيه ، وانظر كلام « الانتصار » فإنّه أبسط منه في الردّ .

وقال أبو القاسم الشاطبي ـ رحمه الله ـ في « العقيلة »[٦١] :

وَمَنْ رَوَى سَتُقِيمُ الْعَرَبُ أَلْسُنَهَا ... لَحْناً بِهِ قَوْلَ عُثْمَانٍ فَمَا شَهَرَا

قال الجعبري[٦٢] ـ رحمه الله ـ في شرحها ـ بعد أن ساق الحديث ـ ، ثم أجاب عنه المصنف بما أجاب به في « المقنع » : بأنّه غير صحيح ، لاضطراب سنده وانقطاعه ؛ قلت : ولاضطّراب ألفاظه ؛ لأن قوله : « أحسنتم وأجملتم ، أرى فيه شيئاً من لحن ـ إلى آخره ـ » مدحٌ ، فكيف يمدحهم على الإساءة ..! ؛ ولأن غرضَه رجوعُهم إليه ، فلو وقف صحته عليهم لزم الدور ؛ ولأن المصحَف إن أراد به « الجنس » لزم منه ما لزم ، أو « الفرد » فما رأيناها تختلف اختلاف لحن ؛ فدل على عدمها في كل فرد منها ؛ ولأن الفصاحة والكتابة نشأت في قريش ؛ فغيرُها فرع عليها ؛ فكيف يُجعل الفرع أصلاً ..!؟ هذا خُلفٌ . هذا كلام الجعبري ـ رحمه الله تعالى ـ وإن كان الحديث في نفسه مردوداً هان الأمر . ولله درّ الإمام أبي الحسن

---

(٦١) وهي قصيدة رائية اسمها عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد ، في علم الرسم ولها شرح لابن القاصح .

(٦٢) الجعبري (٦٤٠ ـ ٧٣٢ هـ) : أبو إسحاق إبراهيم بن عمر . عالم بالقراءات ، من فقهاء الشافعية ، له نظم ونثر . ولد بقلعة جعبر ـ على الفرات بين بالس والرقة ـ وتعلم ببغداد ودمشق واستقر بالخليل إلى أن مات ، ويقال له : شيخ الخليل ، ويعرف بـ « ابن السراج » . له نحو (١٠٠) كتاب منها شرح الشاطبية .

القابسي[٦٣] - رحمه الله - حيث اعترض على الأستاذ أبي بكر بن فَورَك[٦٤] - رحمه الله - ، حيث تصدى للجواب عن أحاديث مشكلة ، وهي باطلة .

قال القابسي : لا يُتكلّف الجواب عن « الحديث » حتى يكون « صحيحاً » ؛ و « الباطل » يكفي في ردّه كونُه باطلاً .

رد قول الباقلاني

وأمّا قول القاضي أبي بكر [الباقلاني] - رحمه الله - : « ليس في الكتاب ولا في السُنّة ولا في الإجماع ولا في القياس ، ما يدل على وجوب اتباع المرسوم »[٦٥] .

فجوابه يُعلم مما سبق لأنه بني على أنه اصطلاحيّ ؛ وحيث كان توقيفياً . فدليل الوجوب من الكتاب قوله تعالى :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

وإذا كان رسم آخر لا يوفيّ بالمعنى الذي قصده الشارع ، تعيّن رسمه بالرسم الذي أتى به الرسول [ﷺ] فيجب اتباعه ، ويكون الأمر في قوله [تعالى] : ﴿ فخذوه ﴾ للوجوب بالنسبة لمسألتنا ، حيث لم يوجد رسم يوفّي توفيته .

ومن السُنّة : **فعلُه** - عليه الصلاة والسلام - ، الذي هو تقريره ؛ **وقولُه** الذي هو أمره لهم ؛ فقد أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعلومة . فإن زعم زاعم أنه لم يأمرهم بذلك فلا يُنازع في تقريره - عليه الصلاة والسلام - وتقريرُه على أمر - لا يَسُدّ غيرُه مسدَّه - يوجب ذلك ويصيّره لازماً ؛ ولم تزل نصوصُ أئمة الاجتهاد

---

(٦٣) أبو الحسن بن القابسي (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) : هو علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني . عالم المالكية في إفريقية بعصره عالم بعلوم الحديث . من القيروان ، فقيه أصولي . له تصانيف منها : « الممهد » في الفقه ، و « المنقذ من شبه التأويل » ، و « ملخص الموطأ » ا هـ . من الأعلام .

(٦٤) ابن فورك (.. - ٤٠٦ هـ) [بضم الفاء وجواز الفتح] : هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر . واعظ ، عالم بالأصول والكلام ، فقيه شافعي ، سمع بالبصرة وبغداد ، وحدّث بنيسابور وبنى فيها مدرسة ، توفي على مقربة منها فنقل إليها . قيل : بلغت تصانيفه قريباً من المائة . منها : « مشكل الحديث » و « الحدود » ا هـ . من الأعلام .

(٦٥) تقدم قوله مفصّلاً ص ١٨٣ .

طائفةٌ بذلك ، مثل الإمام مالكٍ ، وأحمدَ بنِ حنبلَ وغيرِهما من أهل الاجتهاد :

قال الحافظ أبو عمرو الدانيّ في كتاب « المقنع » : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن الحسن ، أنّ عبد العزيز بن عليّ حدّثهم ، قال : حدثنا المقدام بن تليد ، قال : حدثنا عبد الله بن عبد الحكم قال : قال أشهب : سئل مالك ـ رحمه الله تعالى ـ ، فقيل له : أرأيتَ من استكتب مصحفاً اليوم ، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتابة الأولى . قال أبو عمرو : ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمّة . وقال في موضع آخر : حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن الحسن ، قال : حدّثنا عبد العزيز بن عليّ قال : حدّثنا المقدام بن تليد ، قال : حدثنا عبد الله بن عبد الحكم قال : سئل مالك عن الحروف التي تكون في القرآن مثل الواو والألف ، أترى أن تُغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك ؟ قال : لا . قال أبو عمرو : يعني الواوَ والألف الزائدتين في الرسم لمعنى مثل الواو في (أولئك) و (أُولي) و (أُولات) وشبهه ، ومثل الألف في (لن ندعوا)[٦٦] و (قتلوا[٦٧] ولا أوضعوا[٦٨]) و (لا أذبحنه[٦٩]) و (مائة[٧٠]) و (مائتين[٧١]) و (لا تايئسوا[٧٢] ، ويبدؤا[٧٣] ، وتفتؤا[٧٤] ، ويعبؤا[٧٥]) وشبهه ، وكذا الياء في (من نبأى[٧٦] المرسلين) ، و (ملائه[٧٧]) وشبهه ا هـ .

---

(٦٦) الكهف ١٤ .

(٦٧) آل عمران ١٦٨ و ١٦٩ و ١٩٥ ، والحج ٥٨ ، ومحمد ٤ .

(٦٨) التوبة ٤٧ .

(٦٩) النمل ٣١ .

(٧٠) البقرة ٢٥٩ وغيرها .

(٧١) الأنفال ٦٥ .

(٧٢) يوسف ٨٧ .

(٧٣) يونس ٤ و ٣٤ ، والنمل ٦٤ ، والروم ١١ و ٢٧ .

(٧٤) يوسف ٨٥ .

(٧٥) الفرقان ٧٧ .

(٧٦) الأنعام ٣٤ .

(٧٧) الأعراف ١٠٣ ، ويونس ٧٥ ، هود ٩٧ ، المؤمنون ٤٦ ، القصص ٣٢ ، الزخرف ٤٦ .

وقال الجعبري في « شرح العقيلة » : ما نقله أبو عمرو عن مالك هو مذهب الأئمة الأربعة ، وإنما خص مالك لأنه صاحب فتياه ، ومستندهم مستند الخلفاء الأربعة - رضوان الله عليهم - ا هـ .

والكلام في هذا طويل ؛ ولو تتبعناه لم يسعه لا كرّاسة ، ولا كراستان ، وذلك يخرجنا عن الغرض الذي هو جمع كلام الشيخ - رضي الله عنه - وحده .

(قال رضي الله عنه) : فهذا بيان رجوع التسعة والعشرين ، ومراتب المدّ ، مع كيفية الرسم إلى التسعة والأربعين جزءاً ، وبيان ما لكلّ حرف من تلك الأجزاء .

مطلب
الحركات الثلاث (علامات الإعراب)

وأمّا وجه رجوع الحركات الثلاث - التي هي : **الرّفع والنّصب والخفض** - ، ورجوع الجزم إليها ، فاعلم : أن الرفع والجزم : من القبض ، والنصبَ : من الرسالة ، والخفضَ : من الآدمية . **فحروف القبض** : إن كان مرفوعاً أو مجزوماً ففيه قبضان ؛ وإن كان الحرف لغير القبض فإنّه ينسب إليه ، ورفعه وجزمه ينسبان للقبض . مثلاً : الثاء والشين والهاء من حروف القبض ؛ ورفعها وجزمها من القبض أيضاً . والباء والتاء المثناة - مثلاً - من حروف غير القبض ؛ ورفعها وجزمها من القبض . وكذلك **حروف الرسالة** : إذا كانت منصوبة ففيها جزآن من الرسالة : جزء للحرف ، وجزء للنصب . وكذا **حروف الآدمية** : إذا كانت مخفوضة ففيها جزآن من الآدمية : جزء للحرف ، وجزء للخفض .

وأمّا حروف النبوّة ، وحروف البسط ، وحروف الروح ، وحروف العلم ، فحركاتها ليس لها منها شيء ؛ لأنّ رفعها للقبض ، ونصبها للرسالة ، وخفضها للآدمية ، وجزمها للقبض . فتبيّن أن القبض والرسالة والآدمية تدخل على الأربعة الباقية .

الرفع

(فالرفع) الذي للقبض ينقسم إلى سبعة أقسام - بحسب أجزاء القبض - : فالرفع الذي في (هدى) ، و (للمتقين) ، و (يؤمنون) ، و (الحمد لله) ، و (نعبد) ، و (نستعين) كلّه : من الحاسّة السارية في الذات ، التي تتألم الذات

بسببها بالشرّ ، وتلتذّ بالخير . والرفع الذي في (كفروا) و (الكافرون هم الظالمون) : من النفرة عن الضدّ ؛ والرفع الذي في (أنزل) ونحوه : من الامتثال ؛ والرفع الذي في (أولئك) - حيثما وقع - : من الميل إلى الجنس ؛ والرفع الذي في (خرجُوا) و (أخرجُوهم) و (تُنذرهم - الذي على التاء -) كلّه : من قوّة الانكماش ؛ والرفع الذي في : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ونحوه - ممّا هو حقّ ، ولا منازع فيه - : من الإنصاف ؛ والرفع الذي في (قال الله) ونحوه : من عدم الحياء من قول الحقّ .

الجزم وأمّا (**الجزم**) أيضاً ، فإنّه ينقسم إلى سبعة أقسام : فالجزم الذي في (الحمد) من الحاسة السارية ؛ والذي في (العالمين) من الإنصاف ؛ والذي في (الرحمن) من امتثال الأمر ؛ والذي في (نعبد) من الانكماش ؛ والذي في (اهدنا) من النفرة عن الضدّ ؛ والذي في (غَيْر) من عدم الحياء من قول الحقّ ؛ والجزم الذي في نحو (ربهم) من الميل إلى الجنس .

النصب وأما (**النصب**) فإنه ينقسم أيضاً إلى سبعة أقسام ، بحسب أجزاء الرسالة : فالنصب الذي في (الحمد) الذي فوق الهمزة من المشاهدة ؛ والنصب الذي فوق الحاء من السكينة ، والنصب الذي فوق النون من (العالمين) من الحياة كحياة أهل الجنّة ؛ والنصب الذي فوق الميم من : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ . وفوق الياء من (يوم الدين) من الصدق مع كلّ أحد ؛ والنصب الذي فوق الكاف من (إيّاك) والذي فوق العين واللام من (عَليهم) من العلم الكامل ؛ والنصب الذي فوق التاء من (نستَعين) وفوق طاء (الصراطَ) من سكون الروح في الذات سكونَ الرضا ؛ والنصب الذي فوق الكاف من (أولئكَ ، وعبدكَ ، وعبادكَ) من الجزء الذي تقول فيه : يموت وهو حيّ .

الخفض وأما (**الخفض**) فإنه ينقسم أيضاً إلى سبعة أقسام - بحسب أجزاء الآدمية - : فالخفض في (لله) وكلّ لام مجرورة في الأوّل[٧٨] ، أو في الوسط ، من كال الحسّ الباطني ؛ والخفض الذي في الهاء من (لله) من الذكورية ؛ والخفض الذي تحت

(٧٨) كذا في الأزهرية وفي بولاق وعثمان : الأولى - وهو خطأ ظاهر -

البـاء من (ربِّ) من العقل الكامل ؛ والخفض الـذي تحت الميم من (العـالمين) من كمال الحواس الظـاهرة ؛ والخفض الـذي تحت النـون من (الرحمن) من كمال الصورة البـاطنـة ؛ والخفض الـذي تحت الكاف من (ملـكِ) من كمال الصـورة الظـاهرة ؛ والخفض الذي تحت النون من (الدينِ) من نزع حظّ الشيطان .

إذا فهمتَ هذا ، وعلمتَ أنّ جميع الحروف والحركات ، ومراتب المدّ ، لا يخرج شيء منها عن أجزاء الأنوار السبعة البـاطنيـة ، علمتَ وجه الحديث وفهمتَ معنى قوله ﷺ : « إنَّ هذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[79] .

مطلب فـاتحة الكتـاب على القراءات السبع

وظهر لك ظهوراً بيناً لا شكّ فيه أنّ الاختلافات التلفظية التي بين أئمة القرّاء لا تخرج عن المعنى الشريف ، والسرّ اللطيف المقصود من الحـديث الكريم ؛ ولنبيّنْ ذلك في سورة أمّ القرآن ، حتى يظهر عياناً فنقول :

قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ للهِ ﴾ :

فيـه جزء من الآدميـة في الميم لأنّهـا للـذكوريـة ، وهي من أجـزاء الآدميّـة ، وجزء آخر في الخفض الذي تحت الهاء ، فإنّه للذكورية أيضاً ؛ وجزء آخر في الخفض الذي تحت اللام ، فإنّه لكمال الحسّ الباطنيّ ؛ ففيه ثلاثة أجزاء من **الآدمية** ؛ وفيـه جزء من **النبوة** ، في الحـاء ، فـإنّهـا للرحمـة ـ وهي من أجزاء النبوّة ـ ، وجزء من **الروح** في الدال ؛ فإنّه للطهارة ـ وهي من أجزاء الروح ـ ، وفيـه خمسـة أجزاء من **القبض** بين الحروف والحركات والجزم ؛ فـالهمـزة : لـلامتثـال ـ وهـو من أجـزاء القبض ـ ؛ والجـزم الـذي فـوق الـلام : من الحـاسـة السـاريـة ، ـ وهي من أجـزاء القبض ـ ؛ والجزم الذي فوق الميم : من الحاسـة السـاريـة أيضـاً ؛ والرفع الـذي فوق الـدال : من الحـاسـة السـاريـة أيضـاً ، **وكل رفع في الفـاتحة فهو من الحـاسّـة السـارية** ؛ والهاء : للنفرة عن الضـدّ ـ وهي من أجزاء القبض ـ ؛ وفيـه سـتـة أجزاء من الرسالة : ففتحة الهمزة : للمشاهدة ، واللاّم : للعلم الكامل ؛ وفتحـة الحـاء : من السكينـة ؛ واللام المكسورة : للعلم الكامل ؛ والـلاّم المشـدّدة : للعلم الكامـل أيضـاً ،

(٧٩) تقدم ص ١٢٨ .

وشدّتها مع الفتحة : للمشاهدة ، **وكلّ شدة مفتوحة في الفاتحة فإنّها للمشاهدة** ؛ فتبيّن أن فيها ثلاثةَ أجزاء من : **الآدمية** ، **وجزء من النبوة وجزء من الروح** ؛ وخمسة أجزاء من **القبض** ؛ وستّة من الرسالة . ففي **الهمزة** : قبض من جهة الحرف ، ورسالة من حركته ؛ وفي **اللام** عكسه : رسالة من الحرف ، وقبض من جزمه ؛ وفي **الحاء** : نبوّة من الحرف ، ورسالة من حركته ، وفي **الميم** : آدميّة من حرفه ، وقبض من جزمه ، وفي **الدال** : روح من حرفه ، وقبض من حركته ؛ وفي **اللام الأُولى** : رسالة من حرفه ، وآدميةٌ من حركته ؛ وفي **اللام الثانية** المشدّدة : رسالة من حرفه ، ورسالة من حركته ؛ وفي **الهاء** : قبض من حرفه ، وآدميّة من حركته .

وقوله تعالى : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ :

فيه أربعة أجزاء من **الآدمية** . فالكسرة التي تحت الباء : من العقل الكامل ، وهو من أجزاء الآدمية ؛ والألف الهوائي ـ الذي بعد العين ـ : من كال الحواسّ الظاهرة ؛ والميم : من الذكورية ، وكسرتها : من كال الحواسّ الظاهرة ، والجميع من الآدميّة . وفيه جزءان من **القبض** : فالهمزة الوصليّة : من الامتثال ، وسكونُ اللام ـ من أل ـ : من الإنصاف ، وهما من القبض . وفيه جزءان من البسط ، **فالراء** : من حسن التجاوز ، **والنون** : من الفرح الكامل ، وهما من البسط ؛ وفيه جزء النبوّة ، لأنّ العين : من العفو ـ وهو من النبوّة ـ ، وفيه ثمانية أجزاء **من الرسالة** : **ففتحة الراء** : من السكينة ، **والباء** : من السكينة أيضاً ، **وفتحة الهمزة** : من المشاهدة ، واللام من العلم الكامل ، وفتحة العين : من السكينة ، واللام : من العلم الكامل ، وفتحته : من المشاهدة ، وفتحة النون : من يحيا حياة أهل الجنّة . والجميع من أجزاء الرسالة ؛ وفيه جزء واحد من **العلم** ، وهو الياء المدودة بعد الميم ، فإنّها من انحصار الجهات في أمام وهو من أجزاء العلم . ففي **الراء** : بسط من الحرف ، ورسالة من الحركة . وفي **الباء** : رسالة من الحرف ، وآدميّة من الحركة . وفي **الهمزة** : قبض من الحرف ، ورسالة من الحركة . وفي **اللام المُسَكّنة** : رسالة من الحرف ، وقبض من السكون . وفي **العين** : نبوّة من

الحرف ، ورسالة من حركته . وفي الألف : آدميّة . وفي اللام : رسالة من الحرف ورسالة من حركته . وفي الميم : آدميّة من الحرف ، وآدميّة من حركته ؛ وفي الياء : عِلْم ، وفي النون : بَسط من الحرف ؛ ورسالة من حركته .

وقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ :

فيه خمسة أجزاء من الآدمية : فالميم : للذكورية ، وكسرة النون : لكمال الصورة الباطنة ، وكسرة الحاء : لكمال الحسّ الظاهر ، والميم : للذكورية ، وكسرتها : لكمال العقل ، والجميع من أجزاء الآدميّة .

وفيه خمسة أجزاء أيضاً من القبض : فالهمزة : للامتثال ، وسكونُ اللام : للحاسّة السارية ، وسكون الحاء : لامتثال قول الحقّ ، والهمزة : للامتثال أيضاً ، وسكون اللام : للحاسة السارية ؛ والجميع من أجزاء القبض .

وفيه ثلاثة أجزاء من البسط : فالراء : من حسن التجاوز ، والنون : للفرح الكامل ، والراء الثانية : لحسن التجاوز . وفيه جزءان من النبوّة ، لأن الحاء الأولى والثانية - كلاهما - للرحمة الكاملة ، وهي من أجزاء النبوّة . وفيه من أجزاء الرسالة سبعة : فتحة الهمزة : للمشاهدة ، واللام : للعلم الكامل ، وفتحة الراء المشدّدة : للمشاهدة ، وفتحة الميم : من الصدق مع كل أحد ، وفتحة الهمزة : للمشاهدة ، واللام : للعلم الكامل ، وفتحة الراء المشدّدة : للمشاهدة ، وإذا ألقيت اللامين لإدغامها فيا بعدهما كانت خمسة ، وسقط جزءان من الرسالة ومن القبض ، وفيه من أجزاء العلم جزء واحد ، وهو الياء الممدودة فإنّها لانحصار الجهات في أمام ؛ وأما الألف الهوائي الذي بعد الميم : فإنه لكمال الحواس الظاهرة ، فيزاد على الخمسة السابقة للآدمية ؛ وتنزيل هذا على الحرف وحركته يُعلم مما سبق ، فلا وجه لإعادته في كل مرة .

وقوله تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ :

فيه من أجزاء الآدمية سبعة : فالميم : للذكورية ، وكسرة اللام : لكمال الحس الباطني ، وكسرة الكاف : لكمال الصورة الظاهرة ، والميم : للذكورية ، وكسرتها :

لكمال الحواس الظاهرة ، وكسرة الدال : لكمال الصورة الباطنة ، وكسرة النون : لنزع حظ الشيطان . هذا على **قراءة القصر** . وأمّا على **قراءة المدّ** وزيادة الألف بعد الميم : فتكون أجزاء الآدمية ثمانية ، لأن الألف المديّ ـ الذي هو قدر ألف ـ ، لكمال الحواس الباطنة إذا كان في خارج عن ذات المتكلم .

وفيه من القبض جزء واحد وهو **سكون الواو** ، وهو للحاسة السارية ، **واللام المدغمة يلغي سكونها** .

وفيه أيضاً جزء واحد من البسط وهو **النون** ، فإنه للفرح الكامل ، وفيه من النبوّة جزآن ؛ **لأن الكاف** : لمعرفة الله تعالى ، **والياء** : للخوف التام من الله تعالى ، وهما من أجزاء النبوّة .

وفيه جزء من الروح وهو : **الدال** فإنّه للطهارة . وفيه ثلاثة أجزاء من الرسالة : فاللام : للعلم الكامل ، والهمزة من أل ولامها : ملغيان ؛ **وفتحة الميم** : من الصدق ، **وفتحة الياء** : ـ كذلك ـ من الصدق ، وفيه جزآن من العلم ، لأن **الواو** من الجزء الذي نعبر عنه بقولنا : يموت وهو حيّ ؛ **والياء الممدودة** لانحصار الجهات في أمام .

وقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ :

فيه من أجزاء الآدمية ستة : **كسرة الهمزة** : فإنّها لكمال العقل ، **والألف المدّية** : لكمال الحواسّ الظاهرة ، وكسرة الهمزة من (وإياك) و (الألف المدّيّة) : كما سبق ؛ والتاء : لكمال الحواسّ الظاهرة ، وكسرة العين : لكمال الحسّ الباطنيّ .

وفيه من أجزاء القبض ستة : **الهمزة** في أوله : للامتثال ، **وسكون العين** : للقوة الكاملة في الانكماش ، **وضم الباء** : للحاسة السارية ، **وضم الدال** : كذلك ، **وسكون السين** : للامتثال ، **وضم النون** : للحاسة السارية .

وفيه من أجزاء البسط أربعة : **النونان الثلاث** : للفرح الكامل ، **والسين** : لخفض جناح الذلّ .

وفيه من أجزاء النبوّة ستة : **الياء** : فإنّها للخوف التام ، **والكاف** : لمعرفة

الله تعالى ، **والعين** : للعفو ؛ وهكذا الياء والكاف والعين من (وإياك نستعين) ، فإنها على الحكم السابق.

وفيه من أجزاء الروح جزء واحد وهو **الدال** فإنّه للطهارة .

وفيه من أجزاء الرسالة عشرة : **فتحة الياء** : للصدق مع كلّ أحد ، **وفتحة الكاف** : للعلم الكامل ، **وفتحة النون** : ليحيا حياة أهل الجنة ، **والياء** : للسكينة ، **والواو** : ليموت وهو حيّ ، وفتحته للمشاهدة ، **وفتحة الياء وفتحة الكاف وفتحة النون** : على الحكم السابق ، **وفتحة الياء** : لسكون الروح في الذات سكونَ الرضا .

وفيه من أجزاء العلم جزء واحد **الياء المدّيّة** ، فإنّها ـ هنا ـ لمعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الكونين .

وقوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ :

فيه من أجزاء الآدمية تسعة : **كسرة الهمزة** : لكمال العقل ، **وكسرة الدال** : لكمال الصورة الباطنة ، **والصاد** : لكمال العقل ، **وكسرته** : لكمال الحسّ الباطنيّ ؛ **والألف المدية** : لكمال الحسّ الباطنيّ أيضاً ؛ **والميم** : للذكورية ؛ **والتاء** : لكمال الحواس الظاهرة ؛ **وكسرة القاف** : لكمال الحواس الظاهرة أيضاً ، **والميم** : للذكورية .

وفيه من أجزاء القبض ثمانية : **الهمزة** : للامتثال ، **والهاء** : للنفرة عن الضدّ ، **وسكونها** : كذلك للنفرة ، **والهمزة الوصلية في الصراط** : للامتثال وكذلك في المستقيم ؛ **وسكون اللام** : للحاسة السارية ، **وضم الميم** : للحاسة السارية أيضاً ، **وسكون السين** : للإنصاف .

وفيه من أجزاء البسط ثلاثة : **النون** : للفرح الكامل ، **والراء** : لحسن التجاوز ، **والسين** : لخفض جناح الذل ، هذا على قراءة الصاد ؛ وأمّا على قراءة السين ـ وهي قراءة قنبل ومن وافقه ـ فيكون فيه للبسط أربعة ، لأن سين السراط تزاد على الثلاثة فتكون أربعة ؛ وليس فيه شيء من أجزاء النبوّة .

وفيـه من أجـزاء الروح ثـلاثـة : **الـدال** : للطهـارة ، **والطـاء** : للتميز ، **والقاف** : للبصيرة الكاملة .

وفيه من أجزاء الرسالـة ثمانيـة : **فتحـة النون** : ليحيـا حياة أهل الجنـة ، **وفتحة الهمزة** ـ من الصراط ـ : للمشاهدة ، **وفتحة الراء** : للسكينة ، **وفتحة الطاء** : لسكون الروح في الذات سكون الرضا ، **وفتحـة الهمزة** ـ من المستقيم ـ : للمشاهـدة ، **واللام** : للعلم الكامل ؛ **وفتحـة التـاء** : للسكينـة ، **وفتحـة الميم** : للسكينة أيضاً .

وفيه من أجزاء العلم جزء واحد ، وهو **اليـاء المديـة** : فـإنها هنـا لانحصـار الجهات في أمام .

وقوله تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ :

فيه من أجزاء الآدميـة ثمانيـة : **الصـاد** : لكمـال العقل ، **وكسرتـه** : لكمـال الحسّ الباطنيّ ، **والألف المَدّية** : لكمال الحسّ الظاهريّ ، **وكسرة الـذال** : لكمـال الحسّ الباطني ، والميم : للـذكوريـة ، **والتـاء** : لكمـال الحواس الظـاهرة ، **وكسرة الهاء** : لكمال الحواسّ الظاهرة أيضاً ، والميم : للذكورة .

وفيه من أجزاء القبض سبعة : **الهمزة** من (أنعمت) : للامتثـال ، **وسكون النون** : للحاسّة السارية ، **وسكون الميم** : للإنصاف ، **وسكون الياء** : للإنصاف أيضاً ، **والهاء** : للنفرة عن الضدّ ، **وضمتها** ـ في قراءة حمزة ومن وافقه ـ للميل إلى الجنس ، **وسكون الميم** : للميل إلى الجنس أيضاً ، وكـذلـك **ضمتهـا** ـ في قراءة ابن كثير ومن وافقه ـ .

وفيـه من أجـزاء البسـط أربعـة : **السين** من سراط ـ في قراءة قنبـل ومن وافقـه ـ . وأمّـا على قراءة إشمام الصاد بـالـزاي وهي قراءة حمزة في الصراط وقراءة خلف[80] في (صراط وصراطي وصراطك) فيكون في هذا الحرف جزء من الآدمية ،

(٨٠) **خلف بن هشام** : كوفي ، قرأ على سليم صاحب حمزة وعلى الأعشى صاحب عياش وعلى أبي زيد الأنصاري صاحب الضبي ، والأخير وعياش قرأ على عاصم الكوفي . وهو إمام كبير ثقة زاهد عابد . وتقدم أنه من القراء =

لأنّ فيه **جزءاً من الصاد** وهي من حروف الآدمية وجزءاً من الرسالة لأن فيها جزءاً من الزاي وهي من حروف الرسالة . **والحاصل** : أنّ هذا الحرف المشمّ فيه شيء من الآدمية ، وشيء من الرسالة . الجزء الثاني من البسط : **الزاء** ، فإنّها لحسن التجاوز ؛ والثالث **النون الأولى** ؛ والرابع **النون الثانية** ، فإنّها للفرح الكامل .

وفيه من أجزاء النبوة ثلاثة : **العين الأولى والعين** الثانية : للعفو ، **والياء المسكنة** : للخوف التام من الله ـ عز وجل ـ .

وفيه من أجزاء الرسالة اثنا عشر جزءاً ، **فتحة الراء** : للسكينة ، **وفتحة الطاء** : لسكونُ الروح في الذات سكون الرضا ، وفتحة **همزة الوصل** : للمشاهدة ، **واللام** : للعلم الكامل ، **وفتحته** : للمشاهدة ، **وفتحة النون** : ليحيا حياة أهل الجنّة ، **وفتحة الهمزة** : للمشاهدة ، **وفتحة العين** : للسكينة ، **وفتحة التاء** : للعلم الكامل ، وكذا فتحة العين ؛ **وفتحة اللام** من (عليهم) وكذا حرف **اللام** فإنّه للعلم الكامل أيضاً .

وفيه من أجزاء العلم جزآن : الدال فإنّها لمعرفة اللغات والياء المدّيّة فإنّها لانحصار الجهات في أمام .

وفيه من أجزاء الروح جزء واحد وهو **الطاء** فإنّها للتميز . والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ :

الغين : فيه لكمال الصورة الظاهرة ـ وهي من الآدمية ـ ، **والفتحة** عليها : للسكينة ـ وهي من أجزاء الرسالة ـ ؛ **والياء الساكنة** : للخوف التام من الله ـ عز وجل ـ وهو من أجزاء النبوّة ، **وسكونها** : لعدم الحياء من قول الحقّ ـ وهو من أجزاء القبض ـ ؛ **والراء** : لحسن التجاوز ـ وهو من أجزاء البسط ـ ، **وكسرتها** : لكمال الصورة الباطنية ، وهو من أجزاء الآدمية ؛ **وهمزة الوصل** : للامتثال ـ وهو من أجزاء القبض ـ ، وفتحتها : للمشاهدة ـ وهي من أجزاء الرسالة ـ ؛

= العشر المشهورين ، توافق قراءته قراءة الكوفيين من السبعة إلا في حرف واحد وسكتة . ولد ١٥٠ هـ ، توفي ٢٢٩ هـ . النشر .

واللام المسكّنة : للعلم الكامل ، ـ وهو من أجزاء الرسالة ـ ، **وسكونها** : للحاسة السارية ـ وهي من أجزاء القبض ـ ، **والميم** : للذكورية ـ وهي من أجزاء الآدمية ـ ، **وفتحتها** : للسكينة ـ وهي من أجزاء الرسالة ـ ، **والغين** : لكمال الصورة الظاهرة ـ وهو من أجزاء الآدمية ـ ، **وسكونها** : للقوة الكاملة في الانكماش ، ـ وهي من أجزاء القبض ـ ؛ **والضاد** : لقول الحق ـ وهو من أجزاء النبوّة ـ ، **وضمتها** : للحاسة السارية ، ـ وهي من أجزاء القبض ـ ؛ **والواو المدية** : لعدم الحياء من قول الحقّ ، ـ وهو من أجزاء القبض أيضاً ـ ؛ **والباء** : للسكينة ـ وهي من أجزاء الرسالة ـ ، **وكسرتها** : للعقل الكامل ، ـ وهو من أجزاء الآدمية ـ ؛ والعين : للعفو ، ـ وهو من أجزاء النبوّة ـ ، **وفتحتها** : للعلم الكامل ـ وهو من أجزاء الرسالة ـ ؛ **واللام** : للعلم الكامل ، ـ وهو من أجزاء الرسالة ـ ، **وفتحتها** أيضاً : للعلم الكامل ، ـ وهو من أجزاء الرسالة ـ ؛ **والياء** : للخوف التام من الله ـ عز وجل ـ وهو من أجزاء النبوّة ـ ، **وسكونها** : للإنصاف ـ وهو من أجزاء القبض ـ ؛ **والهاء** : للنفرة ـ وهي من أجزاء القبض ـ ، **وكسرتُها** : لكمال الحس الظاهري ـ وهو من أجزاء الآدميّة ـ .

وأمّا على **قراءة من ضم الهاء** فإنّ **ضمتها** : للنفرة عن الضدّ ـ عكس الضمة في عليهم من « أنعمت عليهِمْ » فإنّها للميل إلى الجنس ، لأنّ المنعَمَ عليه يقع الميل إليه ، والمغضوبَ عليه تقع النفرة منه ـ ، **والميم** : للذكورية ـ وهي من الأجزاء الآدمية ـ ، وضمتها ـ في قراءة ابن كثير ومن وافقه ـ : للنفرة عن الضدّ ، ـ وهي من أجزاء القبض ـ ، وسكونها في قراءة غيره لتوكيد النفرة المستفادة من الضمّة التي قرأ بها ابن كثير فإنها هي الأصل ، والسكون طارئ عليها ؛ **والواو** : ليموت وهو حيّ ، ـ وهو من أجزاء الرسالة ـ ، **وفتحتها** : للمشاهدة وهو من أجزاء الرسالة أيضاً ؛ **واللام ألف** : للعلم الكامل وهو من أجزاء الرسالة ، **وفتحتها** : للعلم الكامل أيضاً ، ـ وهو من أجزاء الرسالة ـ ؛ **وألف الوصل** : للامتثال وهو من أجزاء القبض ، **وفتحته** : للمشاهدة وهي من أجزاء الرسالة ؛ **والضاد المشدّدة** : لقول الحقّ ـ وهو من أجزاء النبوة ـ ، وفتحتها : للمشاهدة وهي من أجزاء الرسالة . وأما **الألف الهوائية** : فإنّها هنا في خارج عن ذات المتكلم فتجيء

مراتب المدّ الستّة ، فإن مددناها قدر ألف : فهي لكمال الصورة الباطنة ، وإن مددناها قدر ألفين : فهي لكمال الصورة الباطنة مع سكون الروح في الذات سكون الرضا ؛ وإن مددناها قدر ثلاث ألفات : فهي لكمال الصور الباطنة وسكون الروح مع القوة السارية ؛ وإن مددناها قدر أربع ألفات : فهي لكمال الصورة الباطنة وسكون الروح والقوة السارية مع كمال الحس الباطنيّ ؛ وإن مددناها قدر خمس ألفات : فهي لكمال الصورة الباطنة وسكون الروح والقوة السارية ، وكمال الحسّ الباطنيّ مع بغض الباطل ؛ وإنْ مددناها قدر ستّ ألفات : فهي لكمال الصورة الباطنة ، وسكون الروح ، والقوّة السارية ، وكمال الحسّ الباطنيّ ، وبغض الباطل مع سكون الخير في الذات .

وقد علمتَ أن كمال الصورة الباطنة من الآدمية ، وسكون الروح من الرسالة ، والقوة السارية من القبض ، وكمال الحسّ الباطني من الآدمية ، وبغض الباطل من النبوّة ، وسكون الخير في الذات من البسط ، ففي المدّ الذي هو قدر ألفٍ : آدميةٌ فقط ، وقدر ألفين : آدميّة ورسالة ، وقدر ثلاثٍ : آدمية ورسالة وقبض ، وقدر أربع : آدميّة ورسالة وقبض وآدميّة ، وقدر خمس : آدمية ورسالة وقبض وآدميّة ونبوّة ، وقدر ست : آدميّة ورسالة وقبض وآدميّة ونبوّة وبسط . وأما اللام المشددة المكسورة : فهي للعلم الكامل - وهو من أجزاء الرسالة - ، وكسرتها : لكمال الحسّ الباطنيّ وهو من أجزاء الآدمية . وأما الياء المدّيّة ، فإنْ وقفنا على النون وسكنّاها وقلنا بالمراتب فهي ستة ، فإن مددناها قدر ياء : فهي لانحصار الجهات في أمام ؛ وإن مددناها قدر ياءين : فهي لانحصار الجهات في أمام مع معرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين ؛ وإن مددناها قدر ثلاث ياءات : فهي لانحصار الجهات في أمام ومعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين مع الحياة كحياة أهل الجنّة ؛ وإن مددناها قدر أربع ياءات : فهي للانحصار ومعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين ، والحياة كحياة أهل الجنّة مع معرفة العاقبة ؛ وإن مددناها قدر خمس ياءات : فهي للانحصار ، ومعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين ، والحياة كحياة أهل الجنّة ، ومعرفة العاقبة مع عدم التضييع ؛ وإن مددناها قدر ستّ ياءات : فهي للانحصار ، ومعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين ، والحياة كحياة

أهل الجنّة ، ومعرفة العاقبة ، وعدم التضييع ، مع معرفة العلوم المتعلقة بأحوال الكونين .

وقد علمتَ أن الانحصار ، ومعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين ، ومعرفة العاقبة ، ومعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الكونين ، وعدم التضييع ، كلها من أجزاء العلم ؛ وأن الحياة كحياة أهل الجنّة فقط من هذه الستة هي من أجزاء الرسالة ، ففي المدّ الذي هو قدر ياء : جزء من العلم ؛ وقدر ياءين : جزآن من العلم ؛ وقدر ثلاث : جزآن من العلم وجزء من الرسالة ؛ وقدر أربع ثلاثة أجزاء من العلم وجزء من الرسالة ؛ وقدر خمس : أربعة من العلم وجزء من الرسالة ؛ وقدرَ ستّ : خمسة من العلم وجزء من الرسالة . وأما **النون المفتوحة :** فإنّها للفرح الكامل ، وهو من أجزاء البسط ، **وفتحته :** للحياة كحياة أهل الجنّة ، وهو من أجزاء الرسالة . هذا آخر ما يتعلق بالفاتحة بحسب القراءات المتواترة .

وقد علمت أن أكثر الحروف السبعة دوراناً في الكلام ثلاثة : الآدمية والقبض والرسالة . وسرّه أنّها تجري في الحروف والحركات ، فكل رفع وسكون فللقبض ، وكل نصب فللرسالة ، وكل خفض فللآدمية ، **فكلّ كلام كثر النصب فيه فقد كثر فيه نور الرسالة ، وكلّ كلام كثر فيه الخفض فقد كثر فيه نور الآدمية ، وكل كلام كثر فيه الرفع أو الجزم فقد كثر فيه القبض .**

مطلب قراءة الفاتحة فوق السبعة

وأما ما يتعلق بالفاتحة بحسب القراءات الخارجة من السبعة ، فاعلم : أن فيها اختلافاً كثيراً خارج السبعة .

فمنه : (قراءة زيد[٨١] بن رؤبة بن العجاج والعتكي : الحمدَ لله) بنصب الدال ؛ وتوجيهها بحسب الظاهر : أنه منصوب على المفعولية المطلقة بعد حذف

---

(٨١) قال الإمام ابن الجزري (... ذكرها الإمام أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح له) : وهي الحمدَ لله ـ بنصب الدال ـ عن زيد بن علي بن الحسين بن علي ـ رضي الله عنهم ـ وعن رؤبة بن العجاج وعن هارون بن موسى العتكي ... النشر ملخصاً جـ ١ ص ٤٨ . وجاء في تفسير القرطبي : وروي عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج . وذكر مثله . **ورؤبة بن العجاج** (٦٥ ـ ١٤٥ هـ) : يكنى أبا الجحاف . شاعر راجز . سماه أبوه العجاج باسم جده . له ديوان شعر ليس فيه سوى الأراجيز . ا هـ من تاريخ الأدب العربي ٤٠١/٢ ، ٤٠٢ .

الفعل ، وأصله أحمد الله حمداً ، ثم غُيِّر إلى التركيب المخصوص . وتوجيه قراءة الرفع : أنه على الابتداء . وأما توجيهه بحسب الباطن : فهو تابع لسر حركة الضم والنصب ؛ فعلى قراءة الرفع يكون فيه ذكر حمدِ الله ، مع تكيّف الذات به تكيفاً سرى فيها بجملتها ، وجاء التكيف عن الضمة التي على الدال فإنها للحاسة السارية في الذات ؛ فكأنه عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكر حَمْدَ الله أحسّتْ ذاته بمعناها فتكيفتْ به فهو بمنزلة من قالَ وفعلَ . بخلاف قراءة النصب ، فإنّ النصب على الدال يدّل على العلم الكامل بالله ـ عز وجل ـ ، وأنه يستحقّ الحمد ـ لا محالة ـ ؛ وهل تكيّفت الذات به أم لا ؟ سكتت الآية عن ذلك ، ولهذا كانت « قراءة الرفع أصحّ وأشهر وأكثر » . الحمد لله

فإن قلت : السكون الذي على اللام والميم من الحاسة ، وذلك يفيد التكيّف المذكور فتستوي قراءة الرفع والنصب .

قلت : الحاسة تدل على التكيّف ـ كما قلتم ـ لكنّها إن كانت قبل تمام اللفظ كالسكون الذي على اللام والميم المذكورين ، فالتكيف[☆] يتعلق بخصوص اللفظ بمعنى : أن الذات تكيفت بهذا اللفظ واستَحْلَت حروفَه ؛ وإن كانت بعد تمام الكلمة كضمة الدال ، فالتكيّف يتعلق بالمعنى ؛ وهذا منتف في قراءة النصب ، وموجود في قراءة الرفع ؛ فكانت أولى وأكثر .

ومنه : (قراءة الحسن البصري[٨٢] : الحمدَ لله) بنصب الدال ونصب اللام ؛ ووجهه بحسب الظاهر : أنه على الإتباع أي أتبعت اللام للدال ؛ وبحسب الباطن : ينبني على اختلاف سرّ الفتحة والكسرة ، فالكسرة هنا لكمال الحسّ الباطنيّ ، وهو راجع إلى كمال الوجدان . فتفيد قراءة الكسر ـ أي كسر اللام ـ أن إضافة (الحمد لله) ، أحسّ بها الوُجدان وتكيّف بمعناها ، بخلاف قراءة النصب فإنّها للعلم الكامل : أي فهو يعلم بالإضافة المذكورة علماً كاملاً ، والإحساس بالشيء أقوى من العلم به ، فلذا كانت « قراءة كسر اللام أصحّ وأشهر وأكثر » .

(☆) في أكثر الطبعات : فالتكليف ـ قلت : هو خطأ ظاهر . والتصحيح هو كما في بولاق .

(٨٢) الحسن البصري : تقدم . وقال في النشر : له قراءة شاذة . وهنا لا تعتبر شاذة لموافقتها الرسم .

ومنه : (قراءة قتيبة[٨٣] عن الكسائي : لله ـ بالإمالة) ، وفي الإمالة جزء من الكسر « وكلّ كسر في لام في الوسط أو في الأولى فهو لكمال الحسّ الباطني » ، ففي الإمالة إشعار بالإحساس بالمعنى ، وفي ذلك من التعظيم وتبليغ المعنى ما لا يخفى .

وكذلك (قراء قتيبة أيضاً عن الكسائي ﴿ العالمين ﴾ بالإمالة ، و﴿ الرحمن ﴾ بالإمالة ، و﴿ مالك يوم الدين ﴾ بالإمالة) ، لكنّ هذا الإحساس لمّا كان قبل تمام الكلمة وظهور معناها كان مرجعه إلى اللفظ ، فلهذا لم تكن الإمالة أولى من الفتح ، لأنّ الإحساس من اللفظ المستفاد من الإمالة ؛ إنّما كان يصدر منه ﷺ أحياناً ، وذلك عند نشطه وقراءته لنفسه ، فيُخرج المعاني الباطنة ويظهرها في قراءته . وأما إذا أراد أن يبلّغ كلامه للأمة ويعلّمهم ، فغالب أحواله ﷺ أن لا يشغل الألفاظ بما اشتغل به باطنه الشريف ﷺ ، فلذا « كانت قراءة الفتح أكثر وأشهر » لأنها جاءت على العادة الغالبة .

رب العالمين الرحمن الرحيم

ومنه الرفع في : (ربُّ العالمين ، والرحمنُ والرحيمُ[٨٤]) قرأ بذلك أبو زيد الأنصاري[٨٥] ، وقرأ بالنصب أيضاً ؛ وتوجيه هذه القراءات بحسب الظاهر : أن الخفض على الإتباع ، والرفع والنصب على القطع بإضمار مبتدأ أو ناصب ؛ وبحسب الباطن : يتبع اختلاف أسرار الحركات الثلاث ، فالكسرة : للعقل الكامل وهو من الآدمية ؛ والآدمية كلّها تواضع وتأدب ؛ فالعقل الكامل هنا أشْعَرَ بتواضع المتكلّم لربه ، ومشاهدةِ كونه مفعولاً ومربوباً ، وهو سرّ من أسرار الكسرة . **والفتحة** في قراءة النصب للعلم الكامل ، وهو يستلزم معرفة الأشياء على ما هي عليه ، فهو يعلم

---

(٨٣) **قتيبة** (ـ بعد ٢٠٠ هـ) : هو قتيبة بن مهران ، أبو عبد الرحمن الأزاذاني . إمام مقرئ صالح ثقة . أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي وإسماعيل بن جعفر . وروى عنه القراءة عرضاً وسماعاً يونس بن حبيب وخلف بن هشام . كانت روايته أشهر الروايات عن الكسائي بأصبهان وما وراء النهر . ولجلالته وضبطه قرأ عليه شيخاه الكسائي وإسماعيل بن جعفر ا هـ . ملخصاً من تعليق على حجة القراءات .

(٨٤) كذا في الأزهرية . وفي بولاق وعثمان : والرحمن الرحيم .

(٨٥) **أبو زيد الأنصاري** : هو سعيد بن أوس (١١٩ ـ ٢١٥ هـ) من أئمة الأدب واللغة الثقات . من البصرة ، له تصانيف متعددة منها : لغات القرآن . قرأ على المفضل الضبي والمفضل على عاصم قارئ الكوفة . وقرأ على أبي زيد الأنصاري خلف بن هشام الذي تقدم ص ١٣٥ . ا هـ النشر .

الربَّ ربّاً والعالَمين مربوبين ؛ وهل تواضعت ذاتـه وتـأدبت بين يـدي الله تعـالى ؟ أمرٌ آخر .

والرفعة في قراءة الضم للحاسة السارية ، ولكنّها قبل تمام المعنى إذ لا يتم معنى المضاف حتى يذكرَ المضافُ إليه ، فالحاسّة ـ ههنا ـ أشعرت بأنّ الذات تكيّفت بلفظ الربّ وتحلت به ، « فقراءة الكسر أرجح من جهة المعنى » ، ولهـذا كانت أكثرَ وأشهرَ وأصحّ .

مـالـك يـوم الدين

الصفة المشبهة

ومنه : اختِلاف القُرّاء في : ﴿ ملك يوم الـدين ﴾ على قراءات شتى ؛ فقراءة الجمهور : بـالقصر ـ من غير ألف ـ ، وقراءة الكسـائي وعـاصم ومن وافقهما : بـالألف بعد الميم ؛ وتوجيهه بحسب الظاهر : أن قراءة القصر جـاريـةٌ على أنـه صفـة مشبهـة مثل : ﴿ ملك الناس ﴾ ؛ وقراءة المدّ : على أنه اسم فاعلٍ مثل : (مالك الملـك) . وبحسب الباطن : ينبني على سرّ الألف المدّيّـة المزيـدة في قراءة المـدّ ، فـإنّهـا لكمـال الصورة الباطنـة ، وخرجت بـسرّ الإشـارة إلى فعلٍ فعلّـه المخبر عنـه ؛ فـالألف مشيرة إلى : أنه تعالى اتصف بالملـك ، وأنـه فعلٌ من أفعـالـه ، ومشيرة إلى القوم الحـاضرين السـامعين للكـلام بتنبيههم إلى هـذا الأمر العظيم ؛ فصـوت الألف خرج من كمال الصورة الباطنة . وقصد بهذا الصوتُ إفادةَ أمرين : أحـدهمـا في المخبر عنـه ، وهو أن ما نسب إليه من أفعالـه ؛ وثـانيهما : للسـامعين ، بـأن يتنبهوا ويستيقظوا من سِنَـة الغفلة .

خـاصـة اسم الفاعل

قال ـ رضي الله عنه ـ : وهذا المعنى لا يوجد في قراءة القصر إلا أنه خلفـه سرّ آخر في قراءة القصر وهو : أنّ فيها إشـارةً إلى سرّ الإضـافـة أي إضـافـة (ملك) إلى (يوم الـدين) وهـذا المعنى في قراءة المـد ضعيف جداً . قلت : وهـذا عين القواعـد النحوية فإن « اسم الفاعل للحدوث والتجدد » وهذا هو سر الألف السابق وإضافتـه في نيـة الانفصـال ، وهـذا معنى قـولـه رضي الله عنـه : وهـذا المعنى في قراءة المـدّ(☆) ضعيف . فلله دره من إمام .

(☆) جاء في أكثر الطبعات : الرفع ؛ قلت : هو خطأ ظاهر .

(وقراءة اليماني[٨٦] : ﴿ مَليكَ يوم الدين ﴾ زيادة ياء بعد اللام)[٨٧] :

قال ـ رضي الله عنه ـ : وهذه الياء ـ هنا ـ لمعرفة العاقبة ، لأن الياء إذا كانت لا تختل البُنْيَةُ بزوالها فهي لمعرفة العاقبة ، وإلا فهي على التفصيل السابق ، ففي الياء المزيدة سرّ الإشارة إلى نفس المتكلّم ، فحيث كان عارفاً بالعاقبة نبه نفسه وأيقظها ؛ وإنما كانت ضعيفة لأن تنبيه النفس ـ الذي دلت عليه الياء ـ يؤذن بأن معنى الكلام قد يُغفل عنه ، وهو ـ ههنا ـ ليس بمغفول عنه ، إذ كلّ أحد يتنبه له ، فكانت قراءة حذفها أولى .

(وقراءة علي رضي الله عنه : ﴿ ملاّكَ يوم الدين ﴾ بصيغة المبالغة) :

قال ـ رضي الله عنه ـ : ومعنى هذه القراءة أخص مما قبلها ، فإنها تقتضي[٨٨] : أنّه تعالى يملك في يوم الدين رقاب أهل التكليف دون سائر المخلوقات . ووجه الاقتضاء : أن الكسر الذي تحت الكاف من كمال الصورة الظاهرة ، ـ وهي صورة بني آدم ـ ؛ فهي التي أخرجت رأسها تحت الكاف ؛ والصوت المستفاد من الألف المدّيّة تنبيه عليها ؛ « والاعتناء بإدغام اللام في اللام وتكريرها زيادة توكيد لها وتحقيقٍ لمعناها » ؛ وهذا يقتضي إخراجَ غيرها ؛ بخلاف القراءة المشهورة ؛ وبالجملة : فهذا الاعتناء يقتضي : سدّ الباب عن غير بني آدم ، فلا دخول له في هذه القراءة فلذا كانت ضعيفة . قلت : وهذا مقتضى المبالغة في المُلك المستفاد من صيغة فعّال فإن المَلِك هو المتصرف ، والتصرف في بني آدم بالثواب والعقاب أكثر من التصرف في غيرهم ، **إذ بنو آدم هم المقصودون ؛ وغيرُهم تبع لهم** ؛ فملاّك يقتضي القصد إلى هذا المعنى الأبلغ الأكثر ، ولذا كانت القراءة المتواترة أشهر ، لأنّها أعم لدخول بني آدم وغيرهم فيها .

---

(٨٦) اليماني : هو محمد بن السميفع اليماني . قال في النشر : وهي موافقة للرسم كتقدير الموافقة في جبريل وميكائيل بالياء والهمزة ا هـ . ١ / ٤٨ .

(٨٧) كذا في الأزهرية . وفي بولاق وعثمان : بزيادة ياء بعد الألف ـ وهو خطأ ـ .

(٨٨) **الاقتضاء :** هو جعل غير المذكور مذكوراً تصحيحاً للمذكور . ولا عموم له لأنه من صفات النظم . ا هـ الأشباه والنظائر .

(وقراءة أبي حَيْوَة[89] : ﴿ مالكَ يوم الدين ﴾ بنصب الكاف على النداء ، أو إضمار فعل) ، وأمّا بحسب الباطن : فإنّ فتحة الكاف من العلم الكامل ؛ والذي فَتَح الكاف لم يُدخل نفسه ، ولا نفسَ غيره في المملوكية ؛ بخلاف من كسر الكاف ، فإن الكسرة من الآدمية ، والآدمية فيها أدب من المتكلم وخضوع ؛ ثم أدب الآدمية ينشأ عن أجزائها السبعة ؛ وجزؤها هنا هو : كال الصورة الظاهرة المدلول عليها بالكسرة ، فالأدب الذي في الكسرة إذن نشأ عن إحسانه تعالى ، وإتقانه لصورة بني آدم ؛ وهذا معنى الاعتراف لله تعالى بالمالكية لذات المتكلم وغيره ؛ بخلاف قراء النصب ؛ ولذا كانت غيرَ مشهورة .

(وقراءة عمرَ بن عبد العزيز[90] : ﴿ مَلْكِ يوم الدين ﴾ بإسكان اللام) : ووجهه بحسب الظاهر : أنه سَكّن الكسرة التي كانت تحت اللام كما سكنوا كسرة كَتِف ، تخفيفاً . وبحسب الباطن : أن الكلام خرج على طريق الحكاية على لسان الحق سبحانه وتعالى والنيابة عنه ، مع اضطراب ذات المتكلِّم ، وعدم قدرتها على ذلك ؛ ودل على هذا الذي قلناه : سكون اللام ، إذ هو السبب في تبدّل القراءة . ووجه دلالته على ذلك : أن حرف الرسالة كاللام ـ الذي هو للعلم الكامل ـ إذا سُكّن ، فإنّ تسكينه يدل على أن حركة ما قبله من العِلم الكامل أيضاً ؛ وإن كانت مع غير السكون لغير العلم الكامل ، فلا بد أن تكون مع السكون للعلم الكامل كالحال هنا ؛ فإن الميم مع تحريك اللام ، كانت حركتها للصدق ، ومع السكون ، صارت

---

(89) أبو حَيْوَة (ـ ٢٠٣ هـ) قال في النشر : وقرأ أبو حَيْوَة « مَالِكَ » بالنصب على النداء من غير ألف . وذكر في حجة القراءات أن له قراءة شاذة . وفي الخلاصة : هو شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي المؤذن المقرئ ، وثقه ابن حبان .

(90) عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (٥٠ ـ ١٠١) هـ : جدّه مروان . هو الخليفة الصالح والملك العادل ، قيل فيه خامس الخلفاء الراشدين . ولد ونشأ بالمدينة ، وولي إمارتها للوليد . ولي الخلافة بعهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ . كان يجتمع بالخضر عليه السلام ، سكن الناس أيامه ، منع سبّ علي كرم الله وجهه . قيل : دسّ له السم ، وهو بدير سمعان ، من أرض حمص فتوفي به . مدة خلافته سنتان ونصف أو سنتان و (١٤) يوماً ، أخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة . عُدّ من المجددين في القرن الثاني للإسلام ، واكتفى الناس زمنه ا هـ . تهذيب التهذيب ، الصفوة ، الطبقات .

قالت فاطمة بنت عبد الملك : منذ ولي الخلافة ما اغتسل من جنابة . كان جلّ مرضه من كثرة الخوف من الله تعالى . وعدّه صاحب الإتقان من قراء التابعين في المدينة بعد سالم .

للعلم الكامل ؛ لأن السكون لتحقيق معنى الحرف المؤكّد لما قبله ؛ فيكون هذا السكون أخرجَ حركة ما قبله عن معناها ، وأخرجَ حرفه عن حركته التي هي للعلم الكامل إنْ فَتحَ اللام ، أو لكمال الحسّ الباطنيّ إنْ كَسر . وما تغير اللفظ ، ووقعت فيه هذه الرجفة ، حتى وقعت الزلزلةُ في الذاتِ المتكلّمةِ والاضطرابُ ؛ وذلك لتكلمها بما لا تطيقه من نسبة المُلك إليها إذ لا تطيقه إلا الذات القديمة ؛ ولذا رجعت إلى أدب العبودية ، الذي يشير إليه خفض الآدمية الذي تحت الكاف . فسكون اللام : من الحاسة السارية ، لكنّها لما أوجبت رجفة في اللفظ ، آذنت بوقوع مثلها في الذات ؛ ولم يقع ذلك حتى كانت الذات كصبي يحمل ما لا يطيقه ؛ ولذا كانت « قراءةُ الجمهور أشهر وأكثر » ، لأن الذات فيها لم تنحط إلى ما لا تطيقه . والله أعلم .

وبقيت قراءة أخرى وهي : ﴿ مَلَكَ يوم الدين ﴾ على أنه فعل ماض ويوم الدين مفعوله ، قرأ بها علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، و ﴿ مالكٌ يومَ الدين ﴾ برفع الكاف ، منونةً ، ونصب يوم ، قرأ بها عاصم الجَحْدَري[٩٠] . و ﴿ مالكُ يومِ الدين ﴾ برفع الكاف غيرِ منون وخفض يوم بالإضافة ، وأسرارها تعرف من أسرار الحركات .

وليس في شيء من هذه القراءات غير المشهورة ما يوفي بالمعنى الذي في القراءتين المتواترتين .

إياك نعبد

ومن اختلافهم في الفاتحة : اختلافهم في ﴿ إياك ﴾ فقراءة الجمهور بكسر الهمزة . (وقراءة سفيان الثوري[٩١] : بفتح الهمزة) ووجهه بحسب الظاهر : أنها لغتان ، وأما بحسب الباطن : فإنّ سر الكسرة سرٌّ يباين سرَّ الفتحة ؛ فسرّ الكسرة

---

(٩٠) عاصم الجَحْدَري (....) هـ : عدّه الإمام السيوطي في الإتقان من أئمة الطبقة المتقنة للقراءة ومن قراء البصرة بعد أبي عمرو بن العلاء .

(٩١) سفيان الثوري (٩٧ ـ ١٦١ هـ) : هو سيد التابعين أمير المؤمنين في الحديث ، عالم الأمة وعابدها وزاهدها ومن المجتهدين . توفي بالبصرة .

قال في النشر : له قراءة شاذة ، وقراءته هنا لا تعتبر شاذة لموافقتها الرسم . من أقواله : إذا عرفت نفسك لا يضرك ما قيل فيك . الأعلام ، الطبقات ١ / ٤٨ .

فيه أدب وانكسار بين يدي الله تعالى ، وتذلل له ، وخضوع في هذا الأمر المطلوب ، وهو نسبة عبادة المتكلّم له تعالى ؛ وإنما أفادت الكسرة هذا المعنى لأنها من العقل الكامل ، وكمال العقل يستدعي التواضع والتذلل ، لعلمه بمرتبة العبد كيف ينبغي أن تكون ، وبمرتبة الرب كيف ينبغي أن تكون . وأمّا سرّ الفتحة : فإنّها نشأت من المشاهدة الكاملة ، التي هي من أجزاء الرسالة ، فهي تُشعر بالوصول والجمع ؛ ففيها نوع إذلال ؛ وفي الكسرة نوع تذلّل ، وهو اللائق بعامة الخلق ؛ فلذا كانت القراءة بها أشهر وأكثر . (وقراءة الأسْواري[٩٢] : بكسر الهمزة وتخفيف الياء من التشديد ، هكذا : إيَاك) ولا فرق بينها وبين قراءة الجمهور ، إلا أن قراءة الجمهور فيها تأكيدُ الخوف من الله تعالى ، وتأكيد الصدق في ذلك الخوف ؛ وذلك يقتضي قوةَ التعلقِ بالله تعالى وشدة الإيحاش إليه ـ عزّ وجلّ ـ ؛ بخلاف القراءة بالتخفيف ، فإنه وإن كان فيها خوف وصدق لأن الياء للخوف من الله تعالى ، وفتحتها للصدق ؛ ـ كما سبق بيانه ـ ، زادت قراءةُ التشديد بالتوكيد في ذلك .

ومن اختلافهم : قراءةُ بعضِ أهلِ مكة ﴿ نعبدْ ﴾ بإسكان الدال . ووجهه : التخفيف كإسكان أبي عمرو ﴿ يأمركم ﴾ .

وأما بحسب الباطن : فإنّ سر الضمة ، وإن كان قريباً من سر الجزم هنا ، فإن الضمة للحاسّة السارية ، والجزمَ أيضاً لها ، فبينهما فرق وهو : أن الجزم يشتمل على سرّ الضمة ، ويزيد على ذلك السرّ مثلَه ، لأجل أن الضمةَ هي الأصل ، والسكون طارئ عليها ؛ فالسرّ الأصلي لا يزول مع وجود الطارئ ؛ فالجزم أوكد من الضمة ؛ لكنّه لما كان فرعاً طارئاً قد يكون وقد لا يكون ، كانت الضمةُ أشهرَ وأكثر . وأيضاً فإن السرّ الأصلي عامّ في جميع المؤمنين ؛ والسرّ الطارئ عليه خاصّ بالخواصّ . فقراءة الضم فيها قبض عامّ لأهل العموم ؛ وقراءة الجزم فيها قبض خاصّ لأهل الخصوص ؛ وقراءة بعضهم : ﴿ إياك يُعبَد ﴾ بالبناء للمفعول ، وبالياء ، على الالتفات من الخطاب إلى الغَيبة .

---

(٩٢) الأسْواري : وهو عمرو بن فائد . وكره ذلك بعض المتأخرين لموافقة لفظه لفظ « إيا » الشمس وهو ضياؤها ا هـ . النشر ١ / ٤٧ .

قلت : والأسواري : نسبة إلى الأسْوار من قرى أصبهان ، كما في معجم البلدان .

وأما بحسب الباطن : فإن الضمة التي على الياء للانكماش ؛ والسكون الذي على العين للانكماش ؛ والمنكَمَشُ عنه ههنا : هو ضدّ معنى الياء وضدّ معنى العين ؛ فالياء للخوف من الله تعالى ، وضدّه عدم الخوف ، الذي هو العصيان . والعين للعفو ، وضدّه الظلم والإساءة . فانكمش هذا المتكلم عن هذين المعنيين القبيحين ، بعد اتصافه بمعنى الحرفين ؛ وقوي انكماشه حتى بلغ به الحال ، إلى أن صار من العارفين الذي يَحْيَون حياة أهلِ الجنة ، وهم أهل الباطن ـ رضي الله عنهم ـ ، الذين يشاهدون عبادةَ كلِّ مخلوق لله تعالى وتسبيحَه له ، كما قال تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وإنّما قلنا : إنه صار من الذين يحيون حياة أهل الجنة ، لأنّ فتحة الباء التي بعد العين لذلك المعنى ، الذي هو الحياة كحياة أهل الجنة . فهذه القراءة لا تصدر إلا من العارف .

قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : وبها كان يقرأ سعيد بن جبير(٩٣) ـ رضي الله عنه ـ ، لأنه كان من أكابر العارفين ـ نفعنا الله به آمين ـ .

ولهذا لَم يَحتَجْ صاحب هذه القراءة إلى إدخال نفسه في العبادة ، لمشاهدته أنه لا يخرج أحد عن عبادته تعالى . بخلاف قراءة الجمهور بالنون والبناء للفاعل ؛ فإنّ المتكلم أدخل نفسه في العبادة ، فتحتمِلُ قراءتُه العارفَ وغيرَه ؛ فإنْ شهد أنّه لا يخرج أحد عن عبادة ربه تعالى ، فيكون إدخاله نفسَه تلذذاً ؛ وإن لم يشاهد ذلك كان القارئ غيرَ عارف . ومع ذلك فقراءة الجمهور أولى ، **لأنّ القارئ إذا اشتغل بالقراءة فإنّ الحروف تشتعل أنوارُ معانيها ، وتسقى ذاتُ المتكلم بتلك الأنوار** ؛ فإن قرأ بالنون فقد أدخل نفسه فيُسقى بنور معنى النون ؛ وإن قرأ بالياء

---

(٩٣) سعيد بن جبير (٤٦ ـ ٩٥) هـ : ابن هشام الأسدي الوالبي ، أبو محمد ، أو أبو عبد الله ، الكوفي ، تابعي ثقة ، فقيه ، عابد ، فاضل ، ورع ، كان يكتب لعبد الله بن عتبة بن مسعود حيث كان على قضاء الكوفة . خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان إلى أن قتل عبد الرحمن ، فذهب إلى مكة فأخذه واليها خالد القسري بعد مدة وأرسله إلى الحجاج فقتله بواسط في شعبان ، وقصته مشهورة معه . ا هـ تهذيب التهذيب . وعدّه في الإتقان : من قراء التابعين في الكوفة ، وممن لهم قراءات شاذة .

وكان غير عارف فإن ذلك النور الذي يدل عليه النون يفوته . وغرضنا قراءة الفاتحة بجميع أنوارها .

وأما العارف ، فلا يفوته ذلك ، لمشاهدته أنه لا يخرج أحدٌ عن عبادته تعالى .

وبالجملة : فقراءة النون تليق بجميع الأمة ، العارفين وغيرهم ؛ بخلاف قراءة الياء ، فإنّ القارئ بها عارفٌ لا محالة ، لأنّ في قراءته ما يشعر بأنه قام بواجب الحقّ - سبحانه - ، وهو : الخوف التام منه ، المستفاد من الياء ، وبواجب الخلق وهو : العفو عنهم ومسامحتهم ، وعدم الإساءة إليهم ، المستفاد ذلك من العين . ثم بعد أن تَحلّى بهذين الأمرين العظيمين انكمش عن ضدّهما ، المستفاد من ضمة الياء وسكون العين ؛ وهذه حالة عظيمة ، ولذا سقي بما سقي به أهل الجنة ، حتى حَيِيَ حياتَهم .

(ومنه) : قراءة بعضهم (﴿ نعبدو ﴾ - بزيادة واو بعد الدال - ، وهي رواية عن نافع) رواها الأصبهاني عن ورش . ووجهها : أن الضمةَ أُشبعت فتولدت الواو منها . وأمّا بحسب الباطن : فإنّ هذه القراءة زادت على قراءة الجمهور بالواو ، والواو فيها لعدم الحياء من قول الحقّ . ومعنى عدم الحياء : أن العبد صرح في لفظه بأن عبادته لربه - تعالى - ثم مدّ صوته بالواو - وهو بين يدي ربّه تعالى - ليحقق ذلك المعنى ، ويؤكدّه ويقرره تقريراً لا شبهة فيه ؛ وهذا المعنى وإن كان حسناً ، فالأحسن منه : أن لا يرى العبدُ لنفسه عملاً ، وكيف لا وربه هو خالقه ، وخالقُ حركاتِه وسكناتِه ؛ ولذا سَقَط الواو من قراءة الجمهور ، لأن الحياء هنا أولى من عدم الحياء لأن فيه رؤيةَ عمل ، وعدم أدب مع الحقّ سبحانه .

قال الشيخ - رضي الله عنه - : « والقراءة بالواو صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ » . وترجيح قراءة الجمهور عليها بالنسبة إلينا ، لا بالنسبة إليه ﷺ ؛ إذ القراءات بالنسبة إليه عليه الصلاة والسلام تتبع الأنوار التي يريدها الحقّ منه - سبحانه - .

قاعدة

قال رضي الله عنه : ولا تكتب الألف في رسم هذه القراءة بعد الواو ، لأن الواو إذا كانت لإثبات معنى الكلمة لا غير لم تزد بعدها ألفاً

وإياك نستعين

(ومنه) : (قراءة يحي بن وثاب[٩٤] : ﴿ نِستَعين ﴾ بكسر النون) ووجهه : أنه لغة فاشية ، وإن كانت اللغة الكثيرة فتح النون . وأما بحسب الباطن : فإنّ سر الفتحة يغاير سرّ الكسرة ؛ لأن في الكسرة إخراجاً لغير المتكلم ؛ بخلاف الفتحة ؛ ووجه ذلك : أن الكسرة من الحسّ الباطنيّ - الذي هو من الآدمية - ، وقد علمت أن الآدمية فيها أدب وخضوع ، فالكسرة : إشارة إلى نفس المتكلم التي خضعت وتأدبت ، وحيث حصر الإشارة في نفسه لزم إخراج غيره ؛ ولذا كانت قراءة الجمهور أولى ، لأنّها أعم وأكثر فائدة .

اهدنا ...

غير المغضوب عليهم

(ومنه) : (قراءة عمر رضي الله عنه : ﴿ غيرُ المغضوب ﴾ بالرفع) وقراءة بعضهم له بالنصب وهي رواية الخليل بن أحمد[٩٥] عن ابن كثير ، مع قراءة الجمهور له بالخفض ؛ وتوجيهها بحسب النحو ظاهرٌ . وأما بحسب الباطن : فإنّه يتبع سرّ هذه الحركات الثلاث . فالكسرة : من الآدمية ، وهي - هنا - لكمال الصورة الباطنية ، وفيها أدب عظيم ؛ وسببه : أنّ في الكسرة إشارة إلى تعيين (المغضوب عليهم) ؛ وإشارةً أخرى إلى كونهم من جنسنا ، بل ومن أقاربنا وبني أعمامنا في الأصل ؛ فكأنّ الذي قرأ بالكسر يقول : غيرِ هؤلاء الذين غضبت عليهم ، كاليهود مثلاً ؛ وهم من أقاربنا ، ومع ذلك فقد مَيزتَنا عليهم بالتفضيل والهداية ، فضلاً منك يا ربنا ومِنّة ، فلك الحمد على ذلك . ففيها أدب عظيم ، ولذا قرأ بها الجمهور .

وأما قراءة الضم فإنّ فيها أيضاً تعيينَ المغضوب عليهم ، وتخصيصهم بقوم مُعَيّنين ، مع النفرة منهم ، والبعد عنهم ، والبراءة منهم ، وذلك من سر الضمة ؛ فإنّها للقبض والنفرةِ عن الضدّ والبراءة ؛ فليس فيها التواضع الذي في قراءة الكسر .

(٩٤) يحي بن وثاب (- ١٠٣ هـ) : ذكره السيوطي في الإتقان على أنه من أئمة الطبقة المتقنة للقراءة من قراء الكوفة ومن التابعين ، وله قراءة شاذة . اهـ . وفي الخلاصة : هو الأسدي مولاهم ، الكوفي المقرئ عن ابن عباس وثقه النسائي .

(٩٥) الخليل بن أحمد الفراهيدي (٠٠ - ١٧٠ هـ) : هو أبو عبد الرحمن الأزدي البصري الإمام النحوي المشهور ، أستاذ سيبويه ، صاحب العروض ومؤلف كتاب « العين » أبي المعجمات . روى الحروف عن عاصم وابن كثير ، وتفرد عن ابن كثير برواية النصب في ﴿ غيرَ المغضوب عليهم ﴾ . ا هـ من تعليقات على حجة القراءات .

وأما قراءة النصب فليس فيها تعيين المغضوب عليهم فالكلام معها باق على عمومه . وعلى القراءتين الأوليين يكون من العامّ المراد به الخصوص .

(ومنه) : (قراءة أيوب السختياني[٩٦] رحمه الله : ﴿ ولا الضألين ﴾ بقلب الألف همزة ساكنة) ووجهه : أن ذلك لغة قليلة . وأما بحسب الباطن : فإنّ الهمزة : للامتثال ، وسكونها للامتثال أيضاً ؛ ففيها قبضان ، قبض من ذاتها والآخر من حركتها ؛ وهذا القبض قبضُ الامتثال ، والمراد بالامتثال امتثال القول بأن الضالين أعداؤنا وبُغَضاؤنا ، فهذه الهمزة بمنزلة أن يقال : (﴿ ولا الضالين ﴾ وهم أعداؤنا) ، فالهمْزة الساكنة سدّت مسدّ هذه الجملة ومع ذلك « فقراءة الجمهور أولى منها » لأن في الألف المدّيّة وأسرار مراتبها كما سبق ما لا تفي ببعضه هذه القراءة .

هذا بعض ما سمعناه من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في تفسير هذه القراءات ، وتوجيهاتها . وبقيت قراءات أخر ذكرها أئمة القراء وزاد الشيخ ـ رضي الله عنه ـ عليها قراءات أخر تركتُ ذكرها ، وذكر توجيهاتها ، مخافة الملل والسآمة ؛ فإنّي لو تتبعت هذه المسألة وكتبت ما في بطن الشيخ ـ رضي الله عنه ـ من علومها ما وسعه عدّة مجلدات .

تنبيهات تسعة

ثم فيما ذكره ـ رضي الله عنه ـ ، وكتبناه عدّة أمور ينبغي التنبه لها :

[التنبيه] (الأول) ما في كلامه المنوّر ـ رضي الله عنه ـ من شرح باطن النبيّ ﷺ ، والتنبيه على علوّ مكانة أسرار قلبه وقالبه الشريفين ﷺ ؛ وذلك مما تَعلم به مكانته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فإنّ أنوار التسعة والأربعين جزءاً[٩٧] ما وجدت في أحد مثل وجودها فيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فإنّها ارتقت فيه حقائقها ، وتنزلت فيه معارفها وأسرارها ؛ ومن أراد أن يزداد محبةً في نبيّنا ﷺ ، فليُنزل الجزء الأول من تلك الأجزاء ثم ينزل الثاني إلى جنبه ، ثم الثالث وهكذا ، حتى يأتي على تمام التسعة والأربعين ، ثم يستحضر المعاني التي لها ثم يجعلها شيئاً

---

(٩٦) أيوب السختياني (٦٦ ـ ١٣١) هـ : تابعي بصري ، سيد فقهاء عصره ، زاهد ، حافظ ، ثبت ثقة . ا هـ الأعلام ملخصاً .

(٩٧) وهي الأنوار السبعة للأحرف بأجزائها السبعة . تقدمت : من ١٢٩ حتى ١٧٣ .

واحداً مركباً نوره من أنوارها ، فيرى نوراً عظيماً لا يكيف ولا يطاق ، ثم يجعله في باطنه - عليه الصلاة والسلام - فإنّه يزداد بذلك محبة في جانبه الكريم لا محالة ، ويحصل له بذلك شرح صورته الظاهرة والباطنة - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - .

[التنبيه] (الثاني) ما فيه من شرح حال الروح وبيان خصالها الحميدة ، وأوصافها العجيبة الغريبة ، وهي : الذوق ، والتمييز ، والبصيرة ، وعدم الغفلة ، وقوة السريان ، وكونها لا تحس بؤلمات الأجرام ، فمن علم هذه الأوصاف ، وأحاط علماً بالمراد من معانيها ، وقف على علم كبير من معرفة الروح بلوازمها وخواصّها .

وقد اختلف الناس فيها اختلافاً كثيراً ؛ فمن قائل : لا نخوض فيها ؛ وسدّ الباب دون الكلام فيها ؛ ومن قائل : بالخوض فيها وسلوك سبل معرفتها . ثم هؤلاء لم يذكروا شيئاً من خواصها فبقيت العقول متحيرة ؛ وكلام الشيخ - رضي الله عنه - في غاية الوفاء بذكر خواصّها ولوازمها ؛ فمن أراد الخوض فيها فليسلك طريق الشيخ - رضي الله عنه - فيها .

وأما كيف هي الروح ، وكيف ذاتها ، وكيف تجانسها وتخالفها ، وكيف كانت قبل دخولها في الأشباح ، فقد سمعنا من الشيخ - رضي الله عنه - العجب العجاب ، وسيأتي بعضه - إن شاء الله تعالى - أثناء الكتاب .

[التنبيه] (الثالث) ما فيه من شرح معارف الأولياء - رضي الله عنهم - ؛ وبذلك تعلم الولاية والعرفان ؛ فإنه لا فرق بين الوليّ وغيره إلا أن يفتح ما بين الذات والروح . فمن فتح على ذاته في الأسرار التي عند روحه ، وأزيل الحجاب الذي بينهما ؛ فهو الولي العارف صاحب الفتح ؛ ومن بقيت ذاته محجوبة عن روحه فهو من جملة العامة ، ولو طار في السماء ، أو مشى على الماء . ولو شرحت ما سمعتُ من الشيخ - رضي الله عنه - في هذا الباب لطال الكلام وعسى أن يأتي شيء من ذلك في أثناء الكتاب . والله أعلم .

[التنبيه] (الرابع) ما فيه من شرح الحديث الشريف وتنزيله على أنوار باطنه وأسرار قلبه الكريم ﷺ ، فإنّه - عليه الصلاة والسلام - نبي كريم ورسولٌ

عظيم ، وله باطن كبير ، وقلب بالأنوار غزير ؛ وقد نزل القرآن على قلبه الذي هو بهذه الصفة العظيمة . فتفسير الشيخ - رضي الله عنه - موفٍّ بجميع هذه الأسرار ، ومحتوٍ على جملة هذه الأنوار .

وأما مَن شَرَح الحديث ، ونزّله على ظاهر العبارة ، ومجرد اللسان العربي ، فشرحه لا مساس له بمقام النبوّة والرسالة ؛ **لأنّ اختلاف التلفظات من غير اختلاف أسرار الباطن لا ينشأ إلا عن باطنٍ خرابٍ من الأسرار** . وأبعدُ من هذا تفسير من فسره بالحلال والحرام والوعد والوعيد والخبر والاستخبار والنداء ، فإنّ هذا لا يصح أنْ يقال فيه :

« إنَّ هذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » .

ولا يصح أيضاً أن يختص الصحابة في هذه المعاني . وكذا من فسرها بالأمر والنهي والوعد والوعيد ؛ إلى آخر ما ذكروه . وبالجملة : فالعاقل الكيّس لا يخفى عليه الحقّ إذا سمعه .

[التنبيه] (الخامس) إذا تأملت ما ذكره أئمة القرآن - رضي الله عنهم - في توجيه القراءات السابقة ، وتأملت ما ذكره الشيخ - رضي الله عنه - في ذلك ، علمتَ بُعدَ ما بين المقامين ؛ فإنّ ما ذكروه وإن كان صحيحاً في نفسه إلا أنه عام لا يخصّ نبينا ﷺ من حيث إنّه نبينا فإن ما ذكروه في وجه تسكين اللام من : ﴿ مَلْك يوم الدين ﴾ في قراءة السكون ، من كونه للتخفيف - كعضد وكتف - موجود في جميع كلام العرب ؛ ألا ترى إلى وجوده في كتف وعضد مع أنها ليسا من القرآن ؛ وأين هذا من السرّ السابق عن الشيخ - رضي الله عنه - في ذلك ..!!. وكذلك ما ذكروه في توجيه قراءة : ﴿ إياك يُعْبَد ﴾ بالبناء للمفعول على أنه التفات ، فإن الالتفات موجود في كلام العرب عامّة ، وأين هذا من السر الذي بَيّن فيه سرّ الياء وسرّ حركتها المخصوصة ، وسرّ العين وسرّ سكونها المخصوص ، وسرّ الباء وسرّ فتحته المخصوصة ، وسرّ الدال وسرّ حركته المخصوصة ..! الالتفات

[التنبيه] (السادس) إياك أن تظن أن هذه الحروف السبعة الباطنية بها تَفَسّر القرآن العزيز ، وأنّها هي معناه ، فإنّك إن ظننت هذا فلست بمصيب ، بل تنبيه هام جداً

القرآن له معنى ، وفي معناه يندرج علوم الأولين والآخرين ؛ وهذه الحروف السبعة الباطنية لذلك المعنى بمنزلة الكساء والثياب ؛ فالمعنى شيء وكسوته شيء ؛ فإذا تأملت فيما سبق في الفاتحة تتخيل شيئاً من هذا . ولو فُسر القرآن بمعناه الحقيقي لَعُلم ظاهر القرآن وباطنه ؛ وعُلم من باطنه ما كانت عليه الأرواح قبل دخولها في الأشباح ، وما ستكون عليه بعد المفارقة[٩٨] ؛ وعُلم منه كيف تُستخرج سائر العلوم من القرآن العزيز التي تدركها علوم الخلائق من أهل السموات والأرضين ؛ وكيف تؤخذ الشريعة بل وجميع الشرائع منه وجميع ما أشرنا إليه في أجزاء العلم السابقة من معرفة العواقب والعلوم المتعلقة بأحوال الكونين ، ومعرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين ، ومعرفة سائر اللغات وغير ذلك ممّا ذكرناه ، وممّا لم نذكره ؛ وكلّ ذلك قطرة من البحر الذي في باطنه ﷺ ؛ فلو فهم القرآن العزيز بهذا الطريق ثم رُكّب ذلك التفسير على أنوار هذه الحروف السبعة وأُلبست المعاني ثيابها ، ظهر عند ذلك ما تدهش منه العقول وتطيش عند سماعه ، وعند ذلك يُعلم أنه لو اجتمع أهلُ السموات والأرض على أن يأتوا بسطر واحد من القرآن ما قدروا عليه . فسبحان من خصّ نبيّنا ﷺ بالأسرار التي لا تُكيف ولا تطاق ..!!

[التنبيه] (السابع) لا مطمع لأحد في معرفة أسرار هذه الحروف التلفظية التي في القرآن ، ووجهِ تخصيص كل حرف منها بالسرّ الذي خص به ، كتخصيص الهمزة : بالامتثال ، والباء : بالسكينة ، والتاء : بكمال الحواسّ الظاهرة ، وغير ذلك مما سبق ، إلا أن يكون من أهل الفتح والعرفان ، ومن أرباب الشهود والعيان ؛ وكذلك تخصيص الحركات الإعرابية بالأسرار التي خُصت بها ؛ فإن ذلك لا يُعرف إلا بالفتح ، ولو كان لهذه الأسرار والتخصيصات ضابط يضبطها لتوصل الناس إلى ما سبق من الأسرار . ومن أراد أن يعرف ذلك فليشافه أربابه ويسأل عن كل حرف وعن كل حركة فإنّه يوفّق للحقّ ، ـ إن شاء الله ـ .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

---

(٩٨) كذا في الأزهرية . وفي بولاق وعثمان : بعد المفازة .

[التنبيـه] (الثـامن) مـا سبق في أمر الرسم ، وأنـه بتوقيف من النبيّ ﷺ ، وأنّ لـه أسراراً تخصّـه ، رافـع لجميـع الإشكالات الـواردة في رسم القرآن . وحيث ظن غـالب النـاس أنّـه اصطـلاح من الصحـابـة ـ رضي الله عنهم ـ افترقـوا فرقتين : ١ ـ فرقة : صوّبوا ذلك الاصطلاح ، وقالوا له أسرار منها ما فهمناه ومنها ما لم نفهمـه ، فما فهمنـاه يكون بمنزلة معقول المعنى ومـا لم نفهمـه يكون بمنزلـة التعبديّ ، والكل صواب . وفـاتهم أنّ هـذا إنمـا يكـون في أحكام الله تعـالى ، ولا يكـون في اصطـلاح النـاس أبـداً ، فما ذكروه إنمـا يصح على التوقيف لا على الاصطـلاح . ٢ ـ وفرقـة لم يصوبوا ذلك الاصطلاح ؛ وقالوا : إنّ العرب لم تكن عارفة بالكتابـة فلذا وقع منهم مـا وقع ، وعليـه يـدل كلام الفرّاء الـسـابق ، وقـد نقلـه عنـه أبو إسحـق الثعلبي[٩٩] المفسر عند قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

وممّن ذهب إلى هذا ولي الدين بن خلدون[٩٩] في مقدمة تاريخه الكبير .

[التنبيـه] (التـاسـع) في سـؤالين أوردتها على الشيـخ رضي الله عنـه : **(السؤال الأول)** ، قلت له رضي الله عنه : **إنّ الحروف قسّمناها على الأنوار البـاطنيـة ، فخرج منهـا لـلآدميـة حروف وهي : التـاء والظـاء والميم والصـاد والعين . وللقبض منهـا حروف ، وهي : الهمـزة والثـاء والشين والهـاء . وللبسـط منها حروف ، وهي : الراء والنون والسين . وللنبـوّة منهـا حروف ، وهي : الجيم والحـاء والكاف والضـاد والعين واليـاء .**

---

(٩٩) أبو إسحاق الثعلبي (.. ـ ٤٢٧) هـ (.. ـ ١٠٣٥) م : هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق . مفسر ، من أهل نيسابور لـه اشتغال بالتاريخ . من كتبـه : « عرائس المجالس » في قصص الأنبيـاء ، و « الكشف والبيان في تفسير القرآن » ا هـ . الأعلام .

(٩٩) ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨) هـ (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦) م : هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلـدون ، أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ينسب لوائل بن حجر ، فيلسوف مؤرخ ، عالم اجتماعي ، بحاثة . أصله من إشبيلية ، مولده ومنشأه بتونس . رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ، وتولى أعمالاً واعترضته دسائس ووشايات وعاد إلى تونس ، ثم رحل إلى مصر وتولى قضاء المالكية ، وعزل وأعيد . توفي فجأة في القاهرة . كان فصيحاً ، جميل الصورة ، عاقلاً ، صادق اللهجة . اشتهر بكتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر » في سبع مجلدات أولها المقدمة ترجمت إلى الفرنسية ا هـ . الأعلام ملخصاً .

وللروح منها حروف ، وهي : الخاء والدال والطاء والقاف ولام ألف ، وللعلم منها حرفان ، وهما : الذال والفاء . وللرسالة منها حروف ، وهي : الباء والزاي واللام والواو . وهذه الحروف موجودة في كلام الناس ، ولا تخص القرآن العزيز ، فيلزم أن يكون كلّ كلام فيه هذه الأحرف منزّلاً على سبعة أحرف ، مع أنّ هذا الحكم خاصّ بالقرآن العزيز ، لا يثبت لغيره من الكتب السماوية ، فضلاً عن غيرها ..!!؟ لما صح في الحديث : أن النبي ﷺ قال لابن مسعود :

« إِنَّ الْكُتُبَ كَانَتْ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَإِن الْقُرْآنَ أُنْزِلَ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ... إلى آخره »(١٠٠) ....؟!

حروف القرآن هي المختصة بالأنوار الباطنة فقط

[ج] فأجاب رضي الله عنه : أن هذا التقسيم للحروف خاصّ بحروف القرآن لا يثبت لغيرها من الحروف ؛ فليست كلّ همزة للقبض ؛ ولا كلّ باء للسكينة ؛ ولا كلّ تاء لكمال الحواس الظاهرة ؛ ولا كلّ جيم للصبر ؛ ولا كلّ حاء للرحمة ؛ ولا كلّ خاء لذوق الأنوار ؛ بل بشرط وجودها في القرآن العزيز . فأمّا إذا كانت في كلام آخر في غير القرآن فلها تقسيم آخر ، وهو : أن التسعة والعشرين حرفاً محصورة في الأجزاء الآدمية السبعة ؛ فكمال الصورة الباطنة منها لجميع الحروف فعليه تخرج ، ومن نوره تكون أصواتها ؛ والذكورية للرفع ؛ وكمال الصورة الظاهرة للنصب ؛ وكمال العقل للخفض ؛ وكمال الحس الباطني للجزم ، ونزع حظ الشيطان لمدّ الألف ، وكمال الحواس الظاهرة لمد الياء . وأما مدّ الواو فإنه يأخذ جزءاً من نزع حظ الشيطان ، وجزءاً من كمال الحواسّ الظاهرة . فهذا تقسيم الحروف الموجودة في الكتب السماوية غير القرآن العزيز ، وفي الأحاديث القدسية وغيرها ، وفي سائر كلام الناس ؛ فأنوار الستّة الأحرف الباطنية فيها وهو : القبض والبسط والنبوّة والروح والعلم والرسالة ، راكدة ساكنة لا اشتمال لها .

أنوار الأحرف العادية

---

(١٠٠) رواه الطبراني وتمامه : « حلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وضرب أمثال ، وأمر وزاجر . فأحلّ حلاله ، وحرّم حرامه ، واعمل بمحكمه ، وقف عند متشابهه ، واعتبر أمثاله ؛ فإن كلا من عند الله . وما يذكر إلا أولو الألباب » . كذا في النشر جـ ١ ص ٢٥ . وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى عن ابن مسعود فيما أخرجه الحاكم والبيهقي (إلى قوله) : ومتشابه وأمثال . اهـ . قلت : وسيأتي أيضاً ص ٢٢٨

[س] فقلت : فإنّ هذه الأنوار الستة ، موجودة في ذوات سائر الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، فإذا أنزل عليهم كتاب ، لزم أن يكون منزلاً على هذه الأنوار ، فيكون منزلاً على سبعة أحرف .

[ج] فقال رضي الله عنه : هي موجودة في ذواتهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كوجودها في ذاته ﷺ إذا تكلم بالأحاديث القدسية وغيرها ؛ ولا يلزم من وجودها اشتعال أنوارها وقيام أسرارها ؛ وإنّما تشتعل أنوارها في القرآن العزيز فقط لسرّ في النازل فيه ، ولسرّ في ذاته ﷺ ، والكتب السماوية فاتها السرّ الثاني ، فإنّ ذاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم توجد فيها ، والأحاديث النبوية : فاتها السرّ الأول ، وسائر كلام الناس فاته السرّان معاً .

وقد شرح الشيخ ـ رضي الله عنه ـ السرّ الأول والسرّ الثاني ، بما لا يُعلم إلا بالكشف الصحيح والعلم اللّدني الصريح .

قال رضي الله عنه : ومن هنا كان القرآن العزيز معجزاً ، لا تمكن معارضته في نظمه وتراكيبه ومعانيه . والكتب السماوية : تُعارض في النظم والتركيب ، وإن كانت لا تعارض في المعاني لأنها من الكلام القديم . والله أعلم .

تنبيه مهم جداً

(السؤال الثاني) في الجمع بين تفسير الشيخ ـ رضي الله عنه ـ وبين أحاديث الباب . ولنسردها حتى إذا فرغنا منها عدنا إلى الجمع .

فمنها : حديث عمر مع هشام بن حكيم وهو متفق عليه ؛ والقصة مشهورة في صحيح البخاري وغيره . قال ابن حجر : وقد وقع عند الطبري من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال :

« قَرَأَ رَجُلٌ فَغَيَّرَ عَلَيْهِ عُمَرُ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ الرَّجُلُ : أَلَمْ تُقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَوَقَعَ فِي صَدْرِ عُمَرَ شَيْءٌ ، عَرَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ ، قَالَ : فَضَرَبَهُ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ : أَبْعِدْ شَيْطَاناً ، قَالَهَا ثَلَاثاً ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا عُمَرُ الْقُرْآنُ كُلُّهُ صَوَابٌ مَا لَمْ تَجْعَلْ رَحْمَةً عَذَاباً ، وَمَا لَمْ تَجْعَلْ عَذَاباً رَحْمَةً » .

ومنها : حديث أُبيّ بن كعب :

« دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ أُصَلِّي ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَافْتَتَحَ النَّحْلَ فَقَرَأَ فَخَالَفَنِي فِي الْقِرَاءَةِ ، فَلَمَّا انْفَتَلَ قُلْتُ : مَنْ أَقْرَأَكَ ؟ قَالَ : رَسُولُ اللهِ ﷺ ؛ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَقَامَ يُصَلِّي ، فَافْتَتَحَ النَّحْلَ فَخَالَفَنِي وَخَالَفَ صَاحِبِي ، فَلَمَّا انْفَتَلَ قُلْتُ : مَنْ أَقْرَأَكَ ؟ قَالَ : رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَدَخَلَ قَلْبِي مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ أَشَدُّ مِمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ فَأَخَذْتُ بِأَيْدِيهِمَا فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِهِمَا ، فَقُلْتُ : اسْتَقْرِئْ هَذَيْنِ ، فَاسْتَقْرَأَ أَحَدَهُمَا فَقَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَدَخَلَ صَدْرِي مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، ثُمَّ اسْتَقْرَأَ الآخَرَ فَقَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَدَخَلَ صَدْرِي مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَدْرِي بِيَدِهِ ، وَقَالَ : أُعِيذُكَ بِاللهِ مِنَ الشَّكِّ يَا أُبَيُّ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَانِي فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي ، ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي ، ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، وَأَعْطَاكَ بِكُلِّ حَرْفٍ مَسْأَلَةً » .

الحديث رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده بهذا اللفظ . قاله ابن الجزري في النشر . وفي لفظ آخر لمسلم :

« عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ جِبْرِيلَ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ فَقَالَ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ؛ فَقَالَ : أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَعُونَتَهُ ؛ فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ عَلَى حَرْفَيْنِ ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ بِثَلَاثَةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ أَتَاهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا » .

أضاة بني غفار

قال ابن حجر : وأضاة بني غِفَار[1] ـ بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغير همزة وآخره تاء تأنيث ـ : هو مستنقع الماء كالغدير ، وجمعه أَضا كعصا ، وهو موضع

(١) أضاة بني غفار : قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : أضاءَة : بعد الألف همزة مفتوحة . وغفار : قبيلة من كنانة . وهو موضع قريب من مكة فوق سَرِف قرب التَناضب ا هـ . ملخصاً .

بالمدينة النبويّة ؛ نسب إلى بني غِفار ـ بكسر الغين المعجمة وتخفيف الفاء ـ لأنهم نزلوا عنده .

ولمسلم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أُبيّ بن كعب[٢] :

« قَالَ : كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ ؛ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاَةَ دَخَلْنَا جَمِيعاً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ . فَأَمَرَهُمَا فَقَرَآ فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ قِرَاءَتَهُمَا ، قَالَ : فَسَقَطَ فِي نَفْسِي وَلاَ إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقاً وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللهِ فَرَقاً فَقَالَ : يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ » إلى آخره .

وعند الطبري[٣] في هذا الحديث :

« فَدَخَلَنِي وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهِي ؛ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَخْسِئْ مِنْهُ الشَّيْطَانَ » .

وعند الطبري من وجه آخر ، أن ذلك وقع بينه وبين ابن مسعود ، فقال النبي ﷺ :

---

(٢) أُبيّ بن كعب (.. ـ ٢١ هـ) (.. ـ ٦٤٢ م) : ابن قيس بن عبيد ، من بني النجار من الخزرج ، صحابي ، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود ، يكتب ويقرأ ، ولما أسلم كان من كتاب الوحي . شهد المشاهد كلها معه ﷺ ، وكان يفتي على عهده . شهد مع عمر وقعة الجابية وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس . اشترك في جمع القرآن . روى له البخاري ومسلم (١٦٤) حديثاً . جاء في الحديث الشريف : « أقرأ أمتي أُبيّ » . كان نحيفاً قصيراً ، أبيض الرأس واللحية ، مات بالمدينة ا هـ . الأعلام .

ذكر في الإتقان أنه من قرّاء الصحابة السبعة . وأخذها عنه أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب رضي الله عنهم .

(٣) محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) (٨٣٩ ـ ٩٢٣ م) أبو جعفر : المؤرخ ، المفسر ، الإمام . ولد في « آمل » طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفي بها . عرض عليه القضاء فامتنع ، وهو أوثق من نقل التاريخ . كان مجتهداً في أحكام الدين يقلده بعض الناس ، وكان أسمر أعين ، نحيف الجسم ، فصيحاً . له تاريخ الطبري ـ أخبار الرسل والملوك ـ ، وجامع البيان في تفسير القرآن ، واختلاف الفقهاء ، و « المسترشد » في علوم الدين و « القراءات » ... ا هـ . الأعلام .

« كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ ، وَكِلاَكُمَا مُجْمِلٌ ؛ قَالَ أُبَيٌّ : فَقُلْتُ : مَا كِلاَنَـا أَحْسَنَ وَلاَ كِلاَنَا أَجْمَلَ ، قَالَ : فَضَرَبَ فِي صَدْرِي » إلخ .

ومنها حديث عمرو بن العاص ، أن رجلاً قرأ آية من القرآن قـال عمرو : إنما هي كذا وكذا فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال :

« إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَأَيَّ ذلِكَ قَرَأْتُمْ فَقَـدْ أَصَبْتُمْ فَلاَ تُمَـارُوا فِيهِ » .

أخرجه أحمد بسند حسن . ولأحمد أيضـاً وأبي عبيـد والطبري من حـديث أبي جهيم[٣] : أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، كلاهما يزعم أنّه تلقاهـا من رسول الله ﷺ ؛ فذكر نحو حديث عمرو بن العاص[٤] .

وللطبري والطبراني عن زيد بن أرقم[٥] قال :

« جَـاءَ رَجُـلٌ إِلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَقَـالَ : إِنَّ ابْنَ مَسْعُـودٍ[٦] أَقْرَأَنِي سُـورَةً أَقْرَأَنِيهَا زَيْدٌ وَأَقْرَأَنِيهَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فَاخْتَلَفَتْ قِرَاءَتُهُمْ ، فَقِرَاءَةُ أَيِّهِمْ آخُـذُ ؟ فَسَكَتَ

(٣) أبو جُهَيم بن الصِّمَّة بن عمر الأنصاري : صحـابي معروف ، وهو ابن أخت أبيّ بن كعب ، بقي إلى خـلافـة معاوية . تقريب التهذيب ٢ / ٤٠٧ .

(٤) عمرو بن العاص رضي الله عنه (.. ـ ٤٣ هـ) : أبو عبد الله ، فاتح مصر ، من عظماء العرب ودهـاتهم ، أسلم في هدنة الحديبية ، وبسبب إسلامه النجاشي ، أمير سرية ذات السلاسل ، استعمله عليه الصلاة والسلام على عمان ، من أمراء الجيوش في فتوحات الشام ، افتتح قنسرين وصـالح أهل حلب ومنبج وأنطـاكيـة ، ولاه عمر فلسطين ثم مصر ، كان مع معاوية زمن الفتنة وولاه على مصر . روى (٣٩) حديثاً اهـ . ملخصـاً تهذيب ـ الإصابة .

(٥) **زيد بن أرقم** (.. ـ ٦٨ هـ) (.. ـ ٦٨٧ م) : خزرجي أنصـاري صحـابي . غزا مع النبي ﷺ (١٧) غزوة . شهد صفين مع علي . مات بالكوفة . روى له البخاري (٧٠) حديثاً ا هـ . الأعلام .

(٦) ابن مسعـود (حوالي ٣٠ ق هـ ـ ٣٢ هـ) (.. ـ ٦٥٣ م) : هـو عبـد الله بن مسعـود بن غـافـل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، من الأكابر فضلاً وعقلاً وقرباً من الرسول عليه الصلاة والسلام . وهو من أهل مكة ، ومن السـابقين وأول من جهر بـالقرآن . وخـادم رسول الله ﷺ وصـاحب سره ورفيقـه في حلّه وترحاله وغزواته ، يدخل عليه كل وقت . ولي بيت المال في الكوفة . قدم المدينة في خلافة عثمان وتوفي فيهـا عن نحو (٦٠) سنة .

كان قصيراً جداً . يحب الإكثار من التطيب . له في الصحيحين ٨٤٨ حديثاً ا هـ . الأعلام . وجاء في الإتقان : =

رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلِيٌّ إلَى جَنْبِهِ فَقَالَ عَلِيٌّ : لِيَقْرَأْ كُلُّ إنْسَانٍ مِنْكُمْ كَمَا عَلِمَ فَإنَّهُ حَسَنٌ جَمِيلٌ » .

ولابن حبان والحاكم[٧] من حديث ابن مسعود :

« أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ آلِ عِمْرَانَ فَرُحْتُ إلَى المَسْجِدِ فَقُلْتُ لِرَجُلٍ : اقْرَأْهَا فَإذَا هُوَ يَقْرَأُ حُرُوفاً مَا أَقْرَأُهَا ، فَقَالَ : أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَانْطَلَقْنَا إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ، وَقَالَ : إنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ الاخْتِلَافُ ، ثُمَّ أَسَرَّ إلَى عَلِيٍّ شَيْئاً فَقَالَ عَلِيٌّ : فَإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلُّ إنْسَانٍ كَمَا عَلِمَ ، قَالَ : فَانْطَلَقْنَا وَكُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَقْرَأُ حُرُوفاً لَا يَقْرَؤُهَا صَاحِبُهُ » .

وللترمذي من وجه آخر :

« أَنَّهُ ﷺ قَالَ : يَا جِبْرِيلُ إنِّي بُعِثْتُ إلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ ، فَمِنْهُمُ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ ، وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَاباً قَطُّ ، فَقَالَ : مُرْهُمْ فَلْيَقْرَؤُوا الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » .

وللحديث طرق كثيرة ؛ ولو تتبعناها لطال الحال ، وظاهرها شاهد ، لكون المراد بالأحرف الاختلافات التلفظية بدليل قوله : « فَأَيَّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا » .

وقوله : « فانطلقنا وكلٌّ واحد منا يقرأ حروفاً لا يقرأ بها صاحبه » ، وقوله : « أتاه المرة الأولى بحرف ، ثم أتاه الثانية بحرفين ، ثم أتاه الثالثة بثلاثة أحرف ، ثم أتاه الرابعة بسبعة أحرف » فإنّ هذا لا يتأتى إلا في الاختلافات

= أنه أحد السبعة من قرّاء الصحابة ا هـ . وفي صفوة الصفوة : هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلها . شبّه في هديه بالنبي ﷺ ا هـ . وفي غيره : هو من الستة الذين انتهى إليهم فقه رسول الله ﷺ .

(٧) الحاكم النيسابوري (٣٢١ ـ ٤٠٥ هـ) : محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع . صاحب التصانيف ؛ رحل إلى العراق وهو ابن عشرين ، وحجّ ثم جال في خراسان وما وراء النهر ، سمع من ألفي شيخ أو نحو ذلك ؛ حدث عنه الدارقطني وأبو يعلى الخليلي والبيهقي وغيرهم . ألف المستدرك وتاريخ نيسابور وغيره . سبل السلام ١ / ١٩ .

التلفظية ، لأن الحروف الباطنية طبيعة ذات النبي ﷺ فلا يمكن أن يأتيه مرة بحرف ، ثم ثانية بحرفين ، وهكذا ؛ لأن الجميع كان في باطنه ﷺ قبل ذلك ؛ لا سيا وسؤاله عليه الصلاة والسلام ربّه ـ عز وجل ـ أن يُنَزِّل القرآن على سبعة أحرف ، إنّما كان في المدينة ـ كما سبق في حديث أبيّ بن كعب ـ .

(فأجاب رضي الله عنه) : بأن الاختلافات التلفظية كالظل ، والأنوار الباطنية كالشاخص ؛ فمن أثبت الظل فليس بنافٍ للشاخص ، ولا مبطل له ؛ بل هو في الحقيقة مثبت له ، إذ لا يوجد ظل بدون شاخص ؛ وحينئذ فالوحدة في الظل تقتضي الوحدة في الشاخص ؛ والتعدد في الظل يقتضي التعدد في الشاخص ؛ فإذا أتاه بحرف من الشاخص ، أي عيّنه للقراءة ، ـ وإن كان موجوداً قبل ذلك ـ ؛ وإذا أتاه بحرفين من الظل ، فقد أتاه بحرفين من الشاخص ، أي عيّنها للقراءة ؛ ـ وإن كانا موجودين قبل ذلك في الطبيعة الشريفة والسجية المنيفة ـ . وإذا أتاه بسبعة أحرف من الظل فقد أطلق له القراءة على جميع الأنوار الباطنية السبعة .

[**س**] فقلت : فأما السبعة الباطنية فقد فهمناها ـ والحمد لله ـ ببركتكم وفضلكم ؛ وأما السبعة اللفظية فما هي ؟ أهي اختلاف لغات ، كما ذهب إليه أقوام وافترقوا في تعيينها فرقاً ؟ أم هي اختلاف أحكام ؟ كما ذهب إليه آخرون محتجين بحديث ابن مسعود مرفوعاً ، قال :

« كَانَ الْكِتَابُ الأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ : زَجْرٌ وَأَمْرٌ ، وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ ، وَمُحْكَمٌ ، وَمُتَشَابِهٌ وَأَمْثَالٌ ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا » [أخرجه الحاكم والبيهقي ، قال ابن عبد البر : هو حديث ... مجمع على ضعفه اهـ . البرهان ٢١٦/١] .

وأجاب مخالفوهم : بأن الحديث غير صحيح ، لأنه منقطع بين أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الله بن مسعود ، فإنه لم يلقه وقد رواه عنه . أم هي اختلاف وجوه القراءات ؟ وقد افترقوا في تعيين هذه الأوجه على فِرَق . أما السبعة فليست مقصودة ، وإنما المقصود بها التوسعة والتسهيل ، لا خصوص العدد . فقوله : « أنزل

على سبعة أحرف » معناه : أنه أنزل على التيسير والتوسعة والتسهيل ؛ فليقرأ كل واحد بما تيسر له . وقد ذهب إلى هذا أقوام .

اختلاف الأحرف السبعة اللفظية

[ج] فقال - رضي الله عنه - : هي اختلاف أوجه القراءات ، ولكن أيُّ شيء تقول لهم حيث لم يُعلّمونا القراءة في صغرنا ؟ فإني أرى الأوجه التي انتهى إليها اختلاف قراءته ﷺ ولا أدري كيف أخبر عنها ، ثم لم يزل رضي الله عنه يشير إلى ما يعاين ، ويضرب الأمثلة لإخراجه وتعيينه لنا ، حتى فهمنا مراده ؛ والحمد لله .

وقد عرضناه عليه المرة بعد الأخرى فقال : ذلك هو مرادي وذلك الاختلاف منحصر في سبعة أوجه[☆] :

مطلب هام اختلاف القراءات منحصر في سبعة أوجه

(**الأول**) : اختلاف القراءة بالحركات والسكون وأوجه الإعراب ، مثل :

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [الجاثية : ١١] بخفض أليم ورفعها .

(**الثاني**) : اختلاف القراءة بزيادة الحروف ونقصانها ، مثل :

﴿ وَسَارِعُوا ﴾ [آل عمران : ١٣٣] (سَارِعُوا) . ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ [البقرة : ١١٦] ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ .

(**الثالث**) : اختلاف القراءة بزيادة الكلمات ونقصانها مثل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [لقمان : ٢٦] .

بإثبات كلمة (هو) في قراءة ونقصانها في أخرى .

(**الرابع**) : اختلاف القراءة بالتقديم والتأخير مثل : (وقُتلوا وقَاتَلوا) بالبناء للمفعول في الأول ، وللفاعل في الثاني وعكسه ؛ ومثل :

﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً ﴾ [التوبة : ١١١] .

فإنه قرئ على الوجهين أيضاً ؛ ومثل :

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [ق : ١٩] .

(☆) تنبيه : بالرجوع إلى مباحث في علوم القرآن لـ (د. صبحي الصالح) ص ١٠٩ وجدناه أنه اقتبس أكثر الوجوه السبعة للتغاير من هنا ، وزاد عليها فليراجع فإن فيه فائدة كبيرة . اهـ . المحقق .

وقُرئ : ﴿ وجـــاءت سكرة الحقّ بـــالمـوت ﴾ وهي : قراءة أبي بكر الصـديق[٨] ـ رضي الله عنـه ـ ، [وابن مسعود][٩] ، وطلحـة بن مُصَرِّف[١٠] ، وزين العابدين [وهي قراءة شاذة] .

الإشمام (الخـامس) : اختـلاف القراءات بمخـارج الحروف مثـل : ﴿ الصراط ﴾ بـالإشمام ؛ فـإن مخرج الإشمام غير مخرج الصـاد ؛ ومثـل اختـلاف مخرج القـاف في : ﴿ قيـل ﴾ بـالكسر والإشمام ، وكـذا : (حيـل وجيء وسيء وسيـق) ؛ وكـذا : ﴿ الصلاة ﴾ بلام مفخمـة ومرققـة ؛ وكـذا الراء المفخمـة في نحـو : ﴿ منـذر ﴾ والمرققة .

(السادس) : اختلاف القراءة بالفتح والإمالة والإدغام والإظهار .

الترتيل والحدر (السـابع) : اختلاف القراءة بالبطء والإسراع ؛ فـإنـه ﷺ كان يرتل تـارة ويسرع أخرى .

(قال رضي الله عنه) : وهذه الأوجه المختلفة مرتبطة بالأنوار الباطنية زيـادة على مـا سبق في تقسيم الحروف والحركات ، فـالترتيـل والبـطء في القراءة ينشـأ عن **الروح** ؛ والإسراع مع إقامة الحروف ينشأ عن **القبض** ؛ والإمالة تنشأ عن النبوة ؛

---

(٨) قلت : وجـاء في تفسير القرطبي : بـأن أبـا بكر [رضي الله عنـه] رويت عنـه روايتـان ، إحداهـا موافقـة للمصحف فعليهـا العمـل والأخرى مرفـوضـة تجري مجرى النسيـان إن كان قـالهـا أو الغلـط من بعض من نقـل الحديث .

(٩) كذا في تفسير القرطبي .

(١٠) في بولاق وغيرها : بالطاء ـ مطرف ـ وهو خطأ ، والصواب : بالصاد كما في كتب القراءات والتراجم .
طلحة بن مُصَرِّف (.. ـ ١١٢ هـ) : هو أبو محمد أو أبو عبـد الله طلحة بن مصرف بن كعب بن عمرو . هو القارئ الورع كان ذا صدق ووفـاء وخلق وصفـاء ، كوفي من همـدان ، قرأ على كثيرين آخرهم الأعمش . وكان متقنـاً لا يخطئ ولا يلحن . شُهر بـالقراءة والحـديث ؛ وسمع من أنس بن مـالـك وعبـد الله بن أبي أوفى وعبد الله بن الزبير ؛ وسمع من كبار التابعين أكثر من عشرين . وروى عنه سفيان الثوري وابن عيينـة ووكيع ومحمد بن طلحة ويونس بن بكير ، وسلم بن قتيبة وأبو أسامة وعلي بن ثابت وجرير وابن مهدي وابن المبـارك والحجاج وعثمان بن عمر وخالد بن الحارث وأبو عاصم وعبد الله بن داود الخريبي وأبو سعيد مولى بني هاشم وأبو قطن والفرات بن خالد وغيرهم . ا هـ ملخصاً من الحلية ١ / ١٤ ، وسبل السلام ١ / ٥٤ .

والفتح عن الرسالة ؛ والإشام كله للروح ؛ وعدمه للنبوة ؛ وزيادة الحروف للقبض ونقصانها للروح ، وزيادة الكلمات للرسالة ، ونقصانها للعلم ، والتقديم للآدمية ، والتأخير للعلم ، والحركات التي لا خلاف فيها مثل :

﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾ [الضحى : ٧] كلها للبسط .

قلت : فهذا كلامه المنوّر - رضي الله عنه - .

وقد عدّ ابن قتيبة[11] في « المشكل » أوجه القراءات ؛ وقد نقل كلامه ابن الجزري في « النشر » ، وابن حجر في الشرح ، وقد اعترض عليه قاسم بن ثابت في الدلائل . وكذا عدها أبو الفضل الرازي ، ثم ابن الجزري في « النشر » ، على خلاف متقارب بينهم ، وكذا القاضي أبو بكر في كتاب « الانتصار » .

وإذا تأملتَ ما عدّوه مع عدّ الشيخ - رضي الله عنه - ظهر لك الحق - إن شاء الله تعالى - ، لا سيا وعَدُّ الشيخ - رضي الله عنه - ناشئ عن الكشف الصحيح ، فإنه لا يعرف من القراءة شيئاً إلا ما شاهده في كشفه الصريح ولا سيا - وما عده - مربوط بالأنوار الباطنية كما سبق . وهذا آخر الكلام في هذه المسألة ؛ والله تعالى ينفعنا به في الدنيا والآخرة ، إنه سميع قريب ، وحسبنا الله ، وكفى به وكيلاً .

[س٣] وسألته - رضي الله عنه - عن قوله ﷺ :

شرح أحاديث الرؤيا الصالحة وأجزاء النبوة فيها

« الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ » . كذا رواه البخاري وغيره . ورواه مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة : « جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ » .

ورواه الطبري والإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص : « جُزْءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ » .

---

(١١) ابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد - من أئمة الأدب ، ومن المصنفين المكثرين . ولد ببغداد وبها توفي . سكن الكوفة وولي قضاء الدينور مدة فنسب إليها . ا هـ ملخصاً الأعلام . وذكر في « الأعلام » من كتبه (١٩) منها : « مشكل القرآن » الذي ذكره المؤلف هنا ، و « غريب القرآن » ، و « المشتبه من الحديث والقرآن » .

بتقـديم التـاء على السين . ووقـع في شرح القرطبي : « جُـزْءٌ مِنْ سَبْعَـةٍ وَأَرْبَعِينَ » .

بتقديم السين على الباء الموحدة . ورواه الطبري أيضاً عن عبادة : « جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ » .

ورواه ابن عبد البر عن أنس موقوفاً : « جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ » .

ووقع في شرح النووي[12] : « جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ » .

ووقـع في شرح ابن أبي جمرة - رحمـه الله تعـالى - : « جُـزْءٌ مِنْ خَمْسَـةٍ وَعِشْرِينَ » .

ووقع فيه أيضاً : « جُزْءٌ مِنْ سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ » .

فهـذه تسـع روايـات : خمس في الأربعين ، وأربـع في العشرين . وبقيت روايات أخر وهي : رواية سبعين ، ورواية اثنين وسبعين ، ورواية ستـة وسبعين ، وروايـة الخمسين ، وروايـة الأربعين ، وروايـة اثنين وأربعين . فهـذه خمس عشرة رواية ، أصحها : رواية ستة وأربعين ، ثم رواية خمسة وأربعين ؛ والبـاقي فيـه مقـال إلا رواية سبعين فإنه أخرجها مسلم في صحيحه عن ابن عمر - رضي الله عنه - .

فقلت له رضي الله عنه : ما المراد بأجزاء النبوة ؟ وما الحكمة في اختلاف هـذه الروايـات ؟ وهل يمكن الجمع بينهـا وتخريـج الحـديث على جميعها ؟ فـإنّ هـذا أمر حارت فيه عقول الفحول من أكابر المحدثين ، ولم ينفصلوا فيه على طائل .

مطلب هـام
تفسير أجـزاء النبوة المذكور في أحـاديث الرؤيا

[ج٣] (فقـال رضي الله عنـه) : **أجـزاء النبـوة** هـو مـا سبـق في أجـزاء آدميتها وفي أجزاء قبضها وفي أجزاء بسطها وفي أجزائها هي بنفسها [ص ١٤٥] .

(١٢) النـووي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) (١٢٣٣ - ١٢٧٧ م) : يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحـوراني ، النووي ، الشافعي ، أبو زكريا .
علاّمة بالفقه والحديث ، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران ، بسورية) وإليها نسبته . تعلم في دمشق ، وأقام بها زمناً طويلاً في دار الحديث وله مواقف جريئة مع السلطان . عدد كتبه يزيد على (٢٣) كتاباً أهمها : المجموع في الفقه . أ هـ ملخصاً الأعلام مع زيادة .

أما أجزاء آدميتها : فكمال الصورة الظاهرة ، وكمال الحواس الظاهرة ، وكمال الصورة الباطنة ، وكمال الحواس الباطنة والذكورية ، ونزع حظ الشيطان ، وكمال العقل ؛ فهذه سبعة .

وأما أجزاء قبضها : فالحاسة السارية في الذات ، والإنصافُ ، والنفرةُ عن الضدّ ، وعدمُ الحياء من قول الحقّ ، وامتثالُ الأمر ، والميلُ إلى الجنس ، والقوةُ الكاملة في الانكماش ؛ فهذه سبعة .

وأما أجزاء بسطها : فالفرح الكامل ، وسكونُ الخير في الذات ، وفتح الحواس الظاهرة ، وفتح الحواس الباطنة ، ومقامُ الرفعة ، وحسنُ التجاوز ، وخفضُ جناح الذل ؛ فهذه سبعة .

وأما أجزاؤها [أي النبوة] هي بنفسها : فقولُ الحق ، والصبرُ ، والرحمةُ الكاملة ، والمعرفةُ بالله - عز وجل - ، والخوف التامّ منه ، وبغضُ الباطل ، والعفو ؛ فهذه سبعة [تقدمت مفصلة ص ١٤٥ حتى ١٥٠] .

ومجموع ذلك ثمانية وعشرون .

وقد سبق شرح هذه الأجزاء كما ينبغي فراجعه فيما سبق [ص ١٤٥ ولغاية ١٥٠] ؛ ثم تُسقط « الذكورية » من هذا العدد لأن الرؤيا تعم الذكر والأنثى فيبقى سبعة وعشرون ؛ وعلى ذلك تُخَرَّج رواية سبعة وعشرين السابقة عن ابن أبي جمرة ؛ وإن أسقطنا « كمال الصورة الظاهرة » لكونه لا تعلق له بخصوص الرؤيا ، - وإن كان من أجزاء النبوّة - ، فالباقي ستة وعشرون ، عليها تُخَرَّج رواية ستة وعشرين السابقة عن ابن عبد البر ؛ وإن أسقطنا « كمال الصورة الباطنة » لتلك العلة أيضاً فالباقي خمسة وعشرون ، وعليها تُخَرَّج رواية خمسة وعشرين السابقة عن ابن أبي جمرة : وإن أسقطنا « كمال الحواس الظاهرة » لتلك العلة ، كان الباقي أربعةً وعشرين ، وعليها تُخَرَّج رواية أربعة وعشرين السابقة عن النووي .

قال رضي الله عنه : هذا إن وقعت التجزئة من النبوّة بدون رسالة ؛ وإلا فيزاد على العدد السابق أجزاء الروح ، وهي : الذوق للأنوار ، والطهارةُ ،

والتمييزُ ، والبصيرةُ ، وعدمُ الغفلة ؛ وقوةُ السريان ، وكونها لا تحس بمُؤلمات الأجرام ؛ فهذه سبعة ؛ ويزداد عليها أيضاً **أجزاء العلم** ، وهي : الحمل للمعلوم ، وعدمُ التضييع ، ومعرفةُ سائر اللغات ، وجميعِ ما تنطق به الطيور والبهائم ، ومعرفةُ العواقب ، ومعرفةُ العلوم المتعلقة بأحوال الكونين ، ومعرفةُ العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين ، وانحصار الجهات في أمام ؛ فهذه سبعة ؛ ويزاد على ذلك أيضاً **أجزاء الرسالة** ، وهي : سكونُ الروح في الذات سكونَ الرضا ، والمحبةِ ، والقبولِ ، والعلمُ الكامل غيباً وشهادة ، والصدقُ مع كل أحد ، والسكينةُ ، والوقار ، والمشاهدةُ الكاملة وكونُه يموت وهو حي ، وكونه يحيا حياة أهلِ الجنة ؛ فهذه سبعة . فمجموع ذلك أحد وعشرون إلى ثمانية وعشرين ، فيكون المجموع تسعةً وأربعين ؛ وعلى ذلك تُخرّج رواية الطبري وأحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص : « جزء من تسعة وأربعين » . وإن أسقطنا « الذكورية » و « كال الصورة الظاهرة » كان الباقي : سبعة وأربعين ؛ وعليها يتخرّج روايةُ القرطبي من أنها : « جزء من سبعة وأربعين » . وإن أسقطنا مع ذلك « كال الصورة الباطنة » كان الباقي : ستة وأربعين ، وهي الرواية السابقة عن البخاري الصحيحة المتفق عليها . وإن زدنا في الإسقاط كال الحواس الظاهرة كان الباقي : خمسة وأربعين .

قال رضي الله عنه : فهذا توجيه هذه الروايات الثانية ؛ والروايات السبعة الباقية ، لا أعرف لها وجهاً في الصحة .

فقلت : فهذا التوجيه الذي ذكرتموه ، والتخريج الذي أبديتموه ، ليس فيه عدّ الرؤيا في أجزاء النبوّة ؛ والحديثُ يقتضي أنها من جملة الأجزاء لأنه ﷺ قال :

« الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ » [رواه أصحاب السنن] .

فهذا يقتضي أنها واحدة من هذه الأجزاء ، وأنتم لم تعدوها من الأجزاء .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : الرؤيا الصالحة تستمد من جزء من الأجزاء الآدمية ـ الذي هو نزع حظ الشيطان ـ ، ومن جزء من أجزاء الروح ـ الذي هو

البصيرة - ، فالبصيرة إذا نُزّلت على نزع حظ الشيطان من الذات ، تولد من مجموعها المرائي الحسان .

فقلت : فهذا يقتضي أن يقول في الحديث : إنها جزآن - بالتثنية - من أجزاء النبوة ، لأن نزع حظ الشيطان والبصيرة جزآن ، لا جزء واحد ؛ فتكون الرؤيا على هذا جزءين ، لا جزء واحد .

فقال - رضي الله عنه - : **مدار الرؤيا في الحقيقة على نزع حظ الشيطان** ، وأما جزء الروح فيها فهو تابع ومساعف . فمن نَزَعَ الله منه « حظ الشيطان » كانت أفكاره كلها في الخير ، فإذا نام رأى الخير الذي كان فكره يخوض فيه ، فكانت رؤياه صالحة ، ومن لم يُنزع منه « حظ الشيطان » كانت أفكاره بخلاف ذلك ، فكانت مرائيه غيرَ صالحة .

مطلب وجوه الرؤيا الـ ٤٦ كما عدها العلماء

قلت : وهذا الذي قاله الشيخ - رضي الله عنه - محض الكَشْف ، وصفاء المعرفة . وأمّا العلماء - رضي الله عنهم - فما عدّ واحدٌ منهم هذه الأجزاء ؛ وأحالوا عدَّها على العارفين بحقائق النبوة وخِصالها الأشياء . وقد تكلف الإمام الحَليمي[١٣] - رضي الله عنه - لذلك أشياء أوردتُ ذِكرَها لتقفَ على حقيقة الحال :

قال الشيخ علاء الدين القونوي[١٤] - رحمه الله - : وقد قصد « الحَليمي » في هذا الموضع بيان كون الرؤيا الصالحة جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ؛ فذكر وجوهاً من الخصائص العلمية للأنبياء ، تكلّف في بعضها ، حتى أنهاها إلى العدد المذكور ؛ وتكون الرؤيا واحداً من تلك الوجوه : (فأعلاها) تكليم الله بغير

---

(١٣) الحَليمي (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ) (٩٥٠ - ١٠١٢ م) : هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني ، أبو عبد الله ، فقيه شافعي ، قاض ، رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر ، مولده بجرجان ، ووفاته في بخارى ، له « المنهاج » في شعب الإيمان . ا هـ الأعلام باختصار .

(١٤) علاء الدين القونوي (٦٦٨ - ٧٢٩ هـ) (١٢٧٠ - ١٣٢٩ م) : هو علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي ، أبو الحسن ، علاء الدين . فقيه شافعي ولد بقونية ، ونزل بدمشق ٦٩٣ هـ ، وانتقل إلى القاهرة فتصوف ، وتلقى علوم الأدب والفقه . ولي قضاء الشام وتوفي بدمشق . له « شرح الحاوي الصغير » في الفقه ، و « مختصر منهاج الحليمي » ، و « التصرف في التصوف » ، و « الطعن في مقالة اللعن » ا هـ . الأعلام باختصار .

واسطة ؛ (ثانيها) الإلهام بلا كلام ؛ (ثالثها) الوحي على لسان الملك ؛ (رابعها) نَفْث المَلَك في روعه أي قلبه ؛ (خامسها) كال عقله ؛ (سادسها) كال حفظه حتى يحفظ الصورة كلها إذا سمعها مرة ؛ (سابعها) عصمته من الخطأ في اجتهاده ؛ (ثامنها) ذكاء فهمه حتى يَسَع ضروباً من الاستنباط ؛ (تاسعها) كال بصره حتى يبصر من أقصى الأرض ما لا يبصر غيره ؛ (عاشرها) كال سمعه حتى يسمع من أقصى الأرض ما لا يسمعه غيره ؛ (حادي عشرها) كال شمه ، كما وقع ليعقوب في قميص يوسف [عليهما السلام] ؛ (ثاني عشرها) تقوية جسده حتى سار في ليلة واحدة مسيرة ثلاثين ؛ (ثالث عشرها) عروجه إلى السموات ؛ (رابع عشرها) مجيء الوحي له في مثل صلصلة الجرس ؛ (خامس عشرها) تكليم الشاة ، (سادس عشرها) إنطاق النبات ؛ (سابع عشرها) إنطاق الجذع ؛ (ثامن عشرها) إنطاق الحجر ؛ (تاسع عشرها) إلهامه عواء الذئب أن يَفْرض له رزقاً ؛ (العشرون) فهمه رغاء البعير ؛ (الحادي والعشرون) سماعه صوتاً ، ولا يرى متكلماً ؛ (الثاني والعشرون) تمكنه من مشاهدة الجنّ ؛ (الثالث والعشرون) تمثل الأشياء المغيّبة ، كتمثل بيت المقدس له صبيحة ليلة الإسراء [كما رواه أحمد عن ابن عباس] ؛ (الرابع والعشرون) حدوث أمر يعلم به العاقبة كما قال في الناقة لما بركت بالحديبية :

« حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ » [سيرة ابن هشام ـ صلح الحديبية] .

(الخامس والعشرون) استدلاله باسم على أمر ، كما قال لما جاء سُهيل بن عمرو : « سَهُلَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ »[١٥] .

(السادس والعشرون) أن ينظر شيئاً علوياً يستدل به على أمر يقع في الأرض كما قال : « إنّ هذهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ »[١٦] .

---

(١٥) صحيح البخاري في الشروط بلفظ : قد سهل لكم من ..

(١٦) رواه ابن سعد وابن إسحاق والبزار والطبراني وموسى بن عقبة وغيرهم . حديث قاله عليه الصلاة والسلام في معرض أسباب فتح مكة عندما قدم عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة على رسول الله ﷺ يخبرونه بما أصابهم من نقض قريش وبني بكر العهد الذي اتفق عليه في صلح الحديبية . كما في فقه السيرة .

(السابع والعشرون) رؤيته من ورائه . (الثامن والعشرون) اطلاعه على أمر قد وقع لمن مات قبل أن يموت ، كما قال في حنظلة الغسيل[١٧] :

« إنّي رَأَيْتُ الْمَلاَئِكَةَ تُغَسِّلُهُ » .

وكان جنباً قبل أن يموت . (التاسع والعشرون) أن يظهر ما يُستدل به على فتوحٍ مستقبلةٍ ؛ كما جرى يوم الخندق . (الثلاثون) اطلاعه على الجنة والنار في الدنيا . (الحادي والثلاثون) الفراسة . (الثاني والثلاثون) طواعية الشجرة له ، حتى انتقلت بعروقها وغصونها من مكان إلى مكان . (الثالث والثلاثون) قصد الظبية وشكواها ضرورة خشفها الصغير . (الرابع والثلاثون) معرفته بتأويل الرؤيا بحيث لا يخطئ فيها أبداً . (الخامس والثلاثون) معرفته بالحَزْر والخَرْص[١٨] حتى يجيء كما قال . (السادس والثلاثون) هداية الخلق إلى الأحكام . (السابع والثلاثون) هدايته إياهم إلى سياسة الدين والدنيا . (الثامن والثلاثون) الهداية إلى طرق الخيرات والرشاد . (التاسع والثلاثون) الهداية إلى مصالح البدن بأنواع الطب . (الأربعون) الهداية إلى أوجه القربات . (الحادي والأربعون) الهداية إلى الصناعات النافعة . (الثاني والأربعون) الاطلاع على الغيب مما لم ينقله أحد قبله . (الثالث والأربعون) الاطلاع على ما سيكون . (الرابع والأربعون) التوقيف على أسرار الناس ومخبآتهم . (الخامس والأربعون) تعليم طرق الاستدلال . (السادس والأربعون) الاطّلاع على طريق التلطف في المعاشرة .

قال : فقد بلغت خصائصُ النبوة العلية ستة وأربعين وجهاً ، ليس فيها وجه إلا وهو يصلح أن يكون مقارناً للرؤيا الصالحة ، التي أخبر أنها جزء من ستة

---

(١٧) حنظلة غسيل الملائكة : هو حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أمية الأنصاري الأوسي . كان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب يذكر البعث ودين الحنيفية . أسلم حنظلة وحسن إسلامه واستشهد يوم الأحد ، وكان قد استأذن الرسول ﷺ في قتل والده ، فلم يأذن له . قال فيه عليه الصلاة والسلام يوم استشهد : إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسّله الملائكة .. !! فسألوا أهله ما شأنه ؟ فقالت زوجته : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة ... فقال رسول الله ﷺ : لذلك غسّلته الملائكة ا هـ . سيرة ابن هشام .

(١٨) الحزر : التقدير . ويقال : حزيرة كل شيء خياره . والخَرْص : التقدير . يقال : خرَصَ النخلة : قَدَّرَ ما عليها . كما في كتب اللغة .

وأربعين جزءاً من النبوة ؛ والكثير منها وإن كان قد يقع لغير النبي ، لكنه للنبي لا يخطئ أصلاً ، ولغيره قد يقع فيه الخطأ . والله أعلم ا هـ . ملخصاً [أي من كلام الحليمي] .

اعتراض على القونوي

قلت : وفيه نظر لأنه قصد عدّ أجزاء النبوة مطلقاً . والوجوه التي ذكرها غالبها مقصور على نبينا فقط ﷺ ، وذلك كتكليم الشاة ، وتسليم الحجر ، وحنين الجذع ، والفهم عن الذئب والبعير والغزالة[19] ، وتمثل بيت المقدس له ؛ وقوله :

« حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ » . وقوله : « سَهُلَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ » [تقدم ص ٢٣٦] . وقوله : « إِنَّ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ » .

وعلمه بجنابة حنظلة ، وما وقع في حفر الخندق[20] وطواعية الشجرة له[19] ، وانتقالها من مكان إلى مكان وغير ذلك . فإن هذه لا يمكن أن تكون من أجزاء النبوّة ؛ لأنها جزئيات بأعيانها ، وقعت وانقطعت . ثم الستة الأولى من هذا العدد تندرج تحت « معرفة اللغات » كما لا يخفى ؛ كما أن قوله :

---

(١٩) ستأتي مفصلة ص ٢٩٤ في التعليق وانظرها أيضاً في الشفا عند ذكر معجزاته ﷺ .

(٢٠) أخرج أبو نعيم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ خرج يوم الخندق فتناول الفاس فضرب به ضربة فقال : هذه الضربة يفتح الله بها كنوز الروم ، ثم ضرب الثانية فقال : هذه الضربة يفتح الله بها كنوز فارس ، ثم ضرب الثالثة فقال : هذه الضربة يأتي الله بأهل اليمن أنصاراً وأعواناً .

وأخرج البيهقي عن سلمان قال : ضربت في ناحية من الخندق فعطف عليّ رسول الله ﷺ فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى قلت : يا رسول الله ما هذا الذي رأيت يلمع قال : أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن . وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب . وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق .

وأخرج أبو نعيم عن البراء بن عازب : قال عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول : فشكونا ذلك إلى النبي ﷺ ، فلما رآها أخذ المعول وقال : بسم الله : وضرب ضربة ، فكسر ثلثها فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأنظر إلى قصورها الحمر ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المداين الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة . الخصائص الكبرى ١ / ٢٢٨ .

« حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ » [تقدم ص ٢٣٦] .

إلى تمام الخمسة بعده يندرج في « معرفة العواقب » . فهذه إحدى عشرة خصلة رجعت إلى خصلتين ، ثم جميع هذه الست والأربعين خصلة - التي قال : إنها من وجوه العلم - ترجع بأسرها إلى خصلة واحدة من خصال « الرسالة » وأجزائها ، وهي : « العلم الكامل غيباً وشهادة » كما سبق في شرحه ، فقد رجعت خصاله إلى خصلة واحدة من خصال « الرسالة » وأجزائها .

وبالجملة : فما زاد الحليمي - رضي الله عنه - على أن عمد إلى بعض الخوارق الظاهرة على يديه ﷺ فعدها من أجزاء « النبوة المطلقة » الموجودة فيه وفي سائر الأنبياء - عليه وعليهم الصلاة والسلام - .

ثم هذه الخوارق يجوز في غالبها أن يكون كرامة لأولياء أمته ﷺ ، لأن « **ما كان معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي** » ؛ كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة - رضي الله عنهم - . فتبين أن الخوارق المذكورة تكون لغير الأنبياء فليست من أجزاء النبوة بحال . والله أعلم . قاعدة

وقال الغزالي رحمه الله : ولا يُظَن أن تقدير النبي ﷺ يجري على لسانه كيفما اتفق ، بل لا ينطق إلا بحقيقة الحقّ ، وذلك كقوله :

« الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ » [تقدم ص ٢٣١] .

فإنه تقدير تحقيق ، لكن ليس في قوة غيره أن يعرف تلك النسبة إلا بتخمين ، لأن النبوّة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره ، وهو يختص بأنواع من الخواص : من خصائص النبوة

منها : أن يعرف حقائق الأمور المتعلقة ، بالله وصفاته ، وملائكته ، والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره ؛ بل عنده من كثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق ما ليس عند غيره . وله : صفة يبصر بها الملائكة ، ويشاهد بها الملكوت كالصفة التي يفارق بها البصير الأعمى . وله : صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب ،

ويطالع بها ما في اللوح المحفوظ ، كالصفة التي يفارق بها الذكي البليد . **وله** : صفة بها يحاول الأفعال الخارقة للعادة ؛ كالصفة التي يحاول بها غيره الأفعال الاختيارية . فهذه صفات ثابتة للنبي ﷺ يمكن انقسام كل واحدة إلى أقسام ، بحيث إنا يمكننا أن نقسمها إلى « أربعين » ، أو إلى « خمسين » ، أو إلى أكثر ؛ وكذا يمكننا أن نقسمها إلى « ستة وأربعين » جزءاً ، بحيث تقع الرؤية الصحيحة جزءاً منها ؛ لكنه لا يرجع إلا إلى ظن وتخمين ، لا أنه الذي أراده ﷺ حقيقة ا هـ . ملخصاً .

ونقلناه هنا لتعلم جلالة شيخنا ـ رضي الله عنه ـ ، ومكانته من العلم والعرفان ؛ وأن فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقال المازري[٢١] : لا يلزم العالِمَ أن يعلم كلَّ شيء ، جملة وتفصيلاً ؛ فقد جعل الله تعالى للعالِم حداً يقف عنده ؛ فمنه ما لا يَعلم المرادَ منه جملة وتفصيلاً ؛ ومنه ما يَعلم المرادَ منه جملة لا تفصيلاً . وهذا من هذا الفصل ا هـ . يعني : « حديث الستة والأربعين جزءاً » . ومثله لابن بطال[٢٢] وابن العربي[٢٣] والخطابي[٢٤] وغيرهم .

وقال ابن بطال عن أبي سعيد السفاقسي[٢٥] : إن بعض أهل العلم ذكر : أن

---

(٢١) المازري (٤٥٣ ـ ٥٣٦ هـ) (١٠٦١ ـ ١١٤١ م) : هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، أبو عبد الله ، محدث ، فقيه مالكي ، نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية ، ووفاته بالمهدية في المغرب . له : « المعلم بفوائد مسلم في الحديث » ، و « التلقين في الفروع » ، و « الكشف والإنباء في الردّ على الإحياء للغزالي » ، و « الإيضاح في الأصول » وكتب في الأدب ا هـ . ملخصاً الأعلام .

(٢٢) ابن بطال (.. ـ ٤٤٩ هـ) (.. ـ ١٠٥٧ م) : علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، عالم بالحديث ، من أهل قرطبة ، له « شرح البخاري » ا هـ . الأعلام .

(٢٣) ابن العربي (٤٦٨ ـ ٥٤٣ هـ) (١٠٧٦ ـ ١١٤٨ م) : محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي ، أبو بكر ، قاض ، حافظ ، قارب رتبة الاجتهاد ، صنف في كثير من العلوم ، ولد بإشبيلية ، ومات قرب فاس . له العواصم من القواصم ، والإنصاف في مسائل الخلاف (٢٠) مجلداً . وغيرها . اهـ من الأعلام ، والوفيات .

(٢٤) الخطابي (٣١٩ ـ ٣٨٨ هـ) : حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، فقيه محدث من أهل بست من نسل زيد أخي عمر بن الخطاب ، له معالم السنن وغيرها ا هـ . الأعلام .

(٢٥) أبو سعيد السفاقسي : نسبة إلى سَفَاقُس المدينة المشهورة على البحر الأبيض المتوسط في تونس . كما في معجم البلدان .

الله تعالى أوحى إلى نبيه في المنام ستة أشهر، ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة بقية حياته؛ ونسبة وحي المنام منها جزء من ستة وأربعين جزءاً؛ لأنه عاش بعد النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح. **وَرُدَّ من وجوه:**

أحدها: أن ما بعد وحي المنام وحي اختلف في مدته؛ ولم يتفق على أنها ثلاث وعشرون سنة.

ثانيها: أن هذا وإن صح في رواية «ستة وأربعين»؛ فما يقول صاحب هذا التوجيه في باقي الروايات كرواية: «خمسة وأربعين» و«تسعة وأربعين»، ورواية: «السبعين» و«الخمسين» وغير ذلك مما سبق؟

ثالثها: أنا لا نسلم أنّ مدة وحي المنام كانت ستة أشهر. وما دليله؟!

رابعها: أن ما بعد وحي المنام لم ينحصر في اليقظة، بل منه الوحي في المنام أيضاً، والرؤية الصالحة فينبغي ضمها للستة أشهر؛ فتزيد الأشهر بذلك.

وأجيب عن الثالث: بأن **ابتداء الوحي** كان على رأس الأربعين من عمره ﷺ كما جزم به ابن إسحاق وغيره، وذلك في ربيع الأول. **ونزول جبريل** إليه وهو بغار حراء كان في رمضان وبينهما ستة أشهر. وردّ هذا الجواب، **أولاً**: بأنه لم يتفق على أن الشهر هو رمضان، فقد ذهب جماعة إلى أنه رجب؛ وذهبت جماعة أخرى إلى أنه ربيع الأول. **وثانيها**: فإنه على تقدير تسليمه ليس فيه تصريح بالرؤيا.

وأجيب عن الرابع: بأن مرادنا بالرؤية المتتابعة لا مطلق الرؤيا، حتى يلزمنا التلفيق.

وأجيب عن الثاني - وهو اختلاف الأعداد - التي في الروايات: أنه وقع بحسب الوقت الذي حدّث به النبي ﷺ بذلك كأن يكون لما أكمل ثلاث عشرة سنة بعد مجيء الوحي إليه حدّث بأن «الرؤيا جزء من ستة وعشرين» وذلك وقت الهجرة؛ ولما أكمل عشرين حدث «بأربعين»، ولما أكمل اثنين وعشرين حدث «بأربعة وأربعين»، ثم حدث «بستة وأربعين» في آخر حياته. وأما ما عدا هذه

الروايات فضعيف ؛ ورواية الخمسين تحتمل أن تكون لجبر الكسر ، ورواية السبعين للمبالغة ؛ وما عدا ذلك لم يثبت . وهذه مناسبة لَمْ أَرَ من تعرض لها . ـ قاله الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله .

ثم قال : ويبقى في أصل المناسبة إشكال ، وهو : أن المتبادر من الحديث إرادة تعظيم رؤيا المؤمن الصالح . والمناسبة المذكورة تقتضي قَصْر الخبر على صورةٍ ما اتّفق لنبينا ﷺ ، كأنه قيل : كانت المدة التي أوحيَ إلى نبينا فيها في المنام « جزء من ستة وأربعين جزءاً » من المدة التي أوحي إليه فيها في اليقظة ؛ ولا يلزم من ذلك أن تكون كلّ رؤيا لكل صالح تكون كذلك .

وقد أنكر الشيخ ابن أبي جمرة التأويل المذكور ، فقال : ليس فيه كبيرُ فائدة ، ولا ينبغي أن يحمل كلام المؤيَّد بالفصاحة والبلاغة على هذا المعنى ؛ ولعل قائله أراد أن يجعل بين النبوة والرؤيا الصالحة نوعَ مناسبة ، ويعكر عليه الاختلاف في عدد الأجزاء ا هـ .

وقد تكلف جماعة من العلماء مناسبات الاختلاف المذكور :

فقال الإمام أبو جعفر الطبري : رواية « السبعين » عامة في كل رؤيا صادقة من كلّ مسلم ، ورواية « الأربعين » خاصة بالمؤمن الصادق الصالح ، وأما ما بين ذلك فبالنسبة لأحوال المؤمنين .

وقال الإمام ابن بطال[٢٢] : أما الاختلاف في العدد قلةً وكثرةً ، فأصح ما ورد فيها : « من ستة وأربعين » و « من سبعين » ؛ وقد وجدنا الرؤيا تنقسم قسمين : **جليةً ظاهرة** ، كمن رأى في منامه أنه أعطي تمراً ، فأعطي تمراً مثله في اليقظة ؛ فهذا القسم لا غرابة في تأويله ، ولا رمز في تفسيره . **وخفيةً غير ظاهرة** ؛ وهذا القسم لا يعبّره إلا حاذق ، لبُعْد ضرب المثل فيه ؛ فيمكن أن هذا « من السبعين » ، والأول « من الستة والأربعين » ؛ لأنه إذا قلّتِ الأجزاء كانت الرؤيا أقربَ إلى الصدق ، وأسلم من وقوع الغلط في تأويلها ، بخلاف ما إذا كثرت الأجزاء .

قال : وقد عرضت هذا الجواب على جماعة فحسّنوه ، وزادني بعضهم فيه : أنّ

النبوة كانت على مثل هذين الوصفين ؛ تلقاها الشارع عن جبريل [عليهما الصلاة والسلام] ؛ فقد أخبر أنه كان يأتيه الوحي مرة فيتكلم معه من غير كلفة ؛ ومرة يلقي إليه جُمَلاً وجوامع يشتد عليه أمرها ، حتى يأخذه البُرَحاء[٢٦] ، وينحدر منه العَرَق .

ولخصه المازري فقال : قيل إن المنامات دلالات ؛ والدلالات : منها ما هو جليّ ؛ ومنها ما هو خفيّ ، والأقل في العدد هو الجليّ ، والأكثر فيه هو الخفيّ ؛ وما بين ذلك لما بين ذلك .

وقال الإمام أبو محمد بن أبي جمرة[٢٧] رحمه الله تعالى ـ ما حاصله ـ : إنّ النبوة جاءت بالأمور الواضحة ، وفي بعضها ما يكون فيه إجمال مع كونه مبيَّناً في موضع آخر . وكذلك المرائي ، منها ما هو صريح لا يحتاج إلى تأويل ، ومنها ما يحتاج . فالذي يفهمه العارف من الحقّ الذي يخرج منها جزءٌ من أجزاء النبوّة ؛ وذلك الجزء يكثر مرة ، ويقلّ أخرى بحسب فهمه ؛ فأعلاهم من يكون بينه وبين درجة النبوة أقلُّ ما ورد من العدد ؛ وأدناهم الأكثر من العدد ؛ وما عداهما ما بين ذلك ا هـ .

قلت : ـ وحاصله ـ أن الأدنى في العدد بالنسبة لأقوى الناس فهماً في الرؤيا ، والأعلى بالنسبة للأضعف ، والأوسط للأوسط . وفيه نظر ؛ لأن اختلاف العدد حينئذ راجع إلى فهم المعبِّر الذي لم تقع له الرؤيا ؛ ولو كان كما قال لكان لفظ الحديث هكذا : فهم الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً ؛ فتكون المزيّة في فهمها لا فيها ؛ وهو مخالف لغرض الحديث . والله أعلم .

الرؤيا التي من الله والتي من الشيطان

[س] وسألته ـ رضي الله عنه ـ : عن الرؤيا التي هي من الله ، والتي هي من الشيطان ؟

---

(٢٦) البُرَحاء : بالضم شدة الأذى . مختار الصحاح . قلت : والمراد هنا شدة الجهد .

(٢٧) ابن أبي جمرة (.. ـ ٦٩٥ هـ) (.. ـ ١٢٩٦ م) : هو عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي ، أبو محمد . عالم بالحديث ، فقيه مالكي ، أصله من الأندلس ووفاته بمصر . شهر بالإخلاص والاستعداد للموت ... كان يرى رسول الله ﷺ يقظة ا هـ . ملخصاً الأعلام ، الطبقات ١ / ٢٠٣ .

[ج] فقال رضي الله عنه : إن من الذوات ذواتاً أقيمت في الحق وعَلِقت بـه ، ومن الذوات ذواتٌ أقيمت في الباطل وعَلِقت به ؛ وأُمدّت كلٌّ واحدة بما يليق بها ، ويُديم عليها حالتَها . ثم ضرب مثالاً : بسائلين ، كلٌّ واحد منهما يسأل عشرة دنانير ؛ فأُعطيها وفرح غايةَ الفرح ؛ فأما **أحدهما** : ففرَحُه بربّ العطية ، وسرورُه به ، بحيث إن ذلك تشعْشع في باطنه ، وابتهج به سره ؛ وصار ذلك ديدنَه ، وهجيراه في ليله ونهاره . فهذا هو الذي أقيم في الحقّ وعلق به . **والثاني** : فرحه بالدنانير ليقضي بها حاجته ؛ فإذا وجدها ذهب خاطره مع الحوائج التي تُقضى بها ؛ فإذا قضاها وتم مراده منها رجع للطلب ؛ ويقول : يا رب أعطني عشرة أخرى ، وقلبه مبتلى بالحوائج ؛ وإليها ينظر . وقوله : « يا رب أعطني » ، ليس فيه إلا مجرد إمرار الاسم على لسانه ، مع فراغ القلب من معناه ؛ لكونه مغموراً بالانقطاع والحجاب . فهذا هو الذي أقيم في الباطل وعَلِق به . فمرائي الأول : من الله ، لتعلّقه به ؛ ومرائي الثاني : من الشيطان ، لتعلّقه به ؛ والكلّ من الله ـ عزّ وجلّ ـ ؛ وإنما أُضيفت الثانية للشيطان لأنه يرضَى بها ويحبها لبني آدم ، لأنها ناشئة عن الظلام الذي يحبه الشيطان محبة الفرع لأصله ؛ إذ أصله الظلام .

ضرب مثال

قلت : وهكذا ذكر أئمة الحديث ، ابنُ حجر وابن العربي وابن بطال وابن أبي جمرة وغيرهم ، أن المرائي كلُّها من الله ـ عز وجل ـ وإنما أضيفت للشيطان لرضاه بها .

مطلب الرؤيا الصادقة والكاذبة

[س] وسألته ـ رضي الله عنه ـ : عن الرؤيا الصادقة والكاذبة .

[ج] فقال رضي الله عنه :

الرؤيا الصادقة : هي التي يكون قلب صاحبها في المنام في معاينة الحقّ ومشاهدته ، كما قد يكون ذلك في اليقظة .

والرؤيا الكاذبة : بالعكس ، فهي التي يكون قلب صاحبها في المنام في مثل ما تقول العامة : ذهب بوهم وجاء بوهم . فيكون محجوباً عن معاينة الحقّ في المنام ، كما قد حجب عنه في اليقظة .

[س] فقلت : فإن رؤيا بعض أهل الظلام قد تكون صادقة ، لا يُحجب

قلبُ صاحبها . وقد سبق أن رؤيا أهل الظلام من الشيطان ؛ وما كان من الشيطان فلا بد من الحجاب معه ، وقد رأى المَلِك الرؤيا التي قصّ الله في كتابه العزيز ، حيث قال :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ الآية [يوسف : ٤٣] .

رؤيا عزيز مصر

[ج] فقال رضي الله عنه : إنما كان ذلك لأن فيها سرّاً وحقاً ليوسف ـ عليه السلام ـ وهي سبب شهرته وخروجه من السجن واستيلائه . على أن رؤيا الكافر قد تخرج إذا تعلق بها أمرٌ لغيره ؛ وهذه الرؤيا عَمّ حكمها جميعَ من عاصر المَلِك ؛ فهي رؤيا لغيره ، لا لخصوص نفسه .

[س] فقلت : فرؤيا صاحبي السجن ، خاصةٌ بهما ، وقد خَرَجت كلّ واحدة منهما ، فأين حكم الغير ههنا ؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : إنما كان ذلك ، لأن فيها حقاً ليوسف ـ عليه السلام ـ وهي سبب لشهرته ، وخروجه من السجن ، واستيلائه على المُلْك .

رؤيا صاحب السجن

وبالجملة : فأهل الظلام لا تَصْدُق رؤياهم إلا إذا كان فيها حقّ للغير ، أو كان فيها شهادة باستقامة الدين الحقّ الذي لم يكن الرائي عليه ؛ أو كانت سبباً في توبته ، أو نحو ذلك .

قلت : ومثله في فتح الباري . قال الحافظ ابن حجر في باب رؤيا أهل المجون والفساد والشرك :

قال أهل العلم بالتعبير : إذا رأى الخائن أو الفاسق الرؤيا الصالحة فإنها قد تكون بشرى له بهدايته إلى الإيمان مثلاً ، أو إلى التوبة ؛ أو إنذاراً عن بقائه على الكفر والفسق ؛ وقد تكون لغيره ممن ينسب إليه من أهل الفضل ؛ وقد يرى ما يدل على الرضا بما هو فيه ، وتكون من جملة الابتلاء والغرور والمكر ـ نعوذ بالله من ذلك ـ ا هـ .

قلت : إذا رأى ما يدل على الرضا بكفره فليست بصالحة ؛ لأن الصالحة هي الصادقة ، أو أخص منها ، كما قرره ـ هو ـ قبل ذلك ؛ فلعله انتقل ذهنه إلى ما يراه

الكافر مطلقاً ، لا بقيد كونه صالحاً .

الرؤيـا التي تضر والتي تنفع

[س] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن الرؤيا التي تضر ؛ والتي لا تضر إذا كانت محزنة ؟ بعد أن حكيتُ له حكايةَ المرأةِ التي رأت كأنّ سارية بيتها قد سقطت ، وأنها ولدت ولداً أعور ، وكان زوجها غائباً في تجارة وقت الرؤيا ؛ فقصت ذلك على النبيّ ﷺ ، فقال لها ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

رؤيا أوّلها حضرته عليه الصلاة والسلام

« يَرْجِعُ زَوْجُكِ سَالِماً ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ وَتَلِدِينَ وَلَداً صَالِحاً » .

ثم رجعت المرأة مرة أخرى ، فلم تجده ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ فقصتها على عائشة[٢٨] ؛ فقالت لها عائشة : إن صدقَتْ رؤياك ليموتَنّ زوجك الغائب ، وتلدين ولداً فاجراً ، فلما دخل ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأعلمته عائشة بالرؤيا والتعبير ، كره ذلك ، وقال :

« مَهْ يَا عَائِشَةُ : إِذَا عَبَّرْتِ لِلْمُسْلِمِ فَعَبِّرِيهَا عَلَى خَيْرٍ ، فَإِنَّ الرُّؤْيَا تَكُونُ عَلَى مَا تُعَبَّرُ عَلَيْهِ » .

قال الحافظ ابن حجر : أخرجه الدارمي[٢٩] بسند حسن عن سليمان بن يسار ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ .

---

(٢٨) عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (٧ ق هـ ـ ٥٨ هـ) : هي بنت أبي بكر الصديق ، التيمية ، من قريش ، تكنى أم عبد الله ، أفقه نساء المسلمين . تزوجها النبي ﷺ في (٢ هـ) فكانت أحب نسائه إليه . وأكثرهن رواية للحديث عنه . ما كان يَحْدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعراً . كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم . نقمت على عثمان ثم غضبت له . رُوي عنها (٢٢١٠) حديث . توفيت بالمدينة وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنهم ا هـ . تهذيب التهذيب ، الإصابة .

(٢٩) الدارمي (٢٠٠ ـ ٢٨٠ هـ) : هو عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني ، أبو سعيد . محدث هراة . له تصانيف في الرد على الجهمية منها : « النقض على بشر المريسي » وله « المسند » كبير . توفي في هراة ا هـ . الأعلام . وجاء في الأجوبة الفاضلة للكنوي ـ في السؤال الثاني ـ : (نقلاً عن السيوطي في التدريب عن ابن حجر) : مسند الدارمي ليس دون « السنن » في الرتبة بل لو ضم إلى الخمسة لكان أولى من « ابن ماجه » فإنه أمثل منه بكثير ... (عن العراقي) : ذكروا في ترجمة الدارمي أن له « الجامع » و « المسند » و « التفسير » وغير ذلك . ولعل الموجود الآن هو الجامع .

[ج] فقال رضي الله عنه : **الرؤيا المحزنة** : إنما هي تنبيه من الله للعبد ، واختبار له ، هل يبقى مع ربه أو ينقطع عنه ؟ فإذا كان العبد متعلقاً به تعالى ، ورأى الرؤية المحزنة ، لم يلتفت إليها ولم يبال بها ؛ لعلمه بأنه منسوب إلى من بيده الأمور وتصاريفها ؛ وأن ما اختاره تعالى سبقت به المشيئة ؛ فلا يهوله أمر الرؤيا ، ولا يلقي لها بالاً . وهذا هو الذي لا تضره بإذن الله ؛ وإذا كان العبد غيرَ متعلّق بربّه ، ورأى الرؤيا المحزنة ، جعلها بين عينيه ، وعَمّر بها باطنه ، وشغل بها سرّه ، وانقطع بها عن ربه ، ويُقدّرُ أنها نازلة به لا محالة ، ويذهله أمرها عما سبق به القدر ؛ « ومن خاف من شيء سُلط عليه » . فهذا هو الذي تضره الرؤيا .

قاعدة

[س] فقلت : فَلِمَ أُمِرَ الرائي بالتعوذ بالله من شرّها وشرّ الشيطان ، وبالنفث عن يساره ثلاثاً[٣٠] ؟

أصل

[ج] فقال رضي الله عنه : « إن قلوب المؤمنين تنام على الله وتفيق على الله » ، فإذا ناموا ، ناموا وربّهم في قلوبهم ، وإذا استيقظوا ، استيقظوا وهو تعالى في قلوبهم ؛ فإذا رأى واحد منهم رؤيا تحزنه فإنه إذا استيقظ يتزلزل قلبه عن حالته التي نام عليها ؛ فأمَره النبيّ ﷺ بالرجوع إلى الحالة الأولى ؛ وذلك بأن يرجع إلى الله تعالى ، ويجعله بينه وبين الرؤيا المحزنة . وهو معنى **الاستعاذة** بالله ، فيتعلق به تعالى وينقطع عن الرؤيا المحزنة . ولما كان الشيطان لا يحبّ رجوعَه إلى الله أُمرَ أن يستعيذ بالله منه ، بأن يجعل اللهَ تعالى بينه وبين اللعين ، فينقطع عنه ، ويتعلق بالحق سبحانه ؛ وأمر **بالنفث** ، استقذاراً للحالة التي رجع عنها لما فيها من الانقطاع عنه تعالى ؛ فنفَثَ عن يساره ثلاثاً استقذاراً لها .

النفث عن يساره لدفع رؤيا الشيطان

قال رضي الله عنه : وإنما أُمر بالنفث عن يساره ؛ لأن **جهة اليسار منها يأتي الشيطان** .

قال رضي الله عنه : والخير كله من جهة اليمين ؛ فالحافظ الكاتب ، القوي في

---

(٣٠) وهو قوله ﷺ : إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصُق عن يساره ثلاثاً وليتعذْ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً وليتحولْ عن جنبه الذي كان عليه . رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه . وفي رواية للترمذي : ولا يذكرْها لأحد فإنها لا تضره .

النور ، على جهة اليمين ؛ والضعيف في النور على جهة الشمال ؛ والجنّة من جهة اليمين ؛ وجهنّم من جهة الشمال ؛ وجبريل - عليه السلام - لم يأته قطّ ﷺ إلا من جهة اليمين ؛ وأرواح الشهداء لا ينظرها ﷺ إلا من جهة اليمين لأنه - عليه الصلاة والسلام - بعد موتهم في بدر وأحد وغيرهما كان يتوحشهم ، فينظر عن يمينه فيراهم فرساناً راكبين مجاهدين . والعرش من جهة اليمين ؛ والأرض من جهة الشمال ؛ والأرض التي فيها المؤمنون من بني آدم من جهة اليمين ؛ والتي فيها الجنّ من جهة الشمال ؛ والعروق التي في الجانب الأيمن تسبح الله كثيراً ، بخلاف التي في الشمال فإنها صَمّة مُصمتة . ونور الحقّ يأتي من جهة اليمين ؛ والباطل من جهة الشمال . وبالجملة : **فالخير كلّه : من جهة اليمين ، والشرّ كلّه : من جهة الشمال .**

جهة اليمين
جهة اليسار

[س] فقلت : ما المراد باليمين ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : أما بالنسبة للمفتوح عليه ، فإنه يرى كلّ خير من جهة يمينه ، ويرى كل شرّ من جهة شماله ؛ ثم يتحول الأمر إذا تحول ؛ حتى إنّا لو فرضناه متوجهاً نحو المشرق ، فإنه يرى من جهة يمينه - التي هي إلى ناحية الجنوب - كلّ خير ، فيشاهد الجنة والعرش وأرواح الشهداء ؛ ويرى من جهة شماله - التي هي إلى ناحية الشمال - جهنّم والشياطين ، وأرواحَ الأشقياء ، وغيرَ ذلك من وجوه الظلام . فلو تحول وانقلب إلى جهة المغرب ورجعت يمينه إلى ناحية الشمال وشماله إلى ناحية الجنوب ؛ فإنه يرى من جهة يمينه جميع الخيرات السابقة وغيرها ؛ ويرى من جهة شماله - التي هي إلى ناحية الجنوب - جميعَ أنواع الشرور السابقة وغيرها ؛ وهكذا إذا انقلب إلى جهة أخرى فإنّ الحال ينقلب .

مرآة العارف

قال رضي الله عنه : وسرّ ذلك أن **العارف له مرآتان** ينظر بها . **إحداهما :** نورانية لا يرى بها إلا النور وما شاكله ؛ **والأخرى :** ظلمانية ، لا يرى بها إلا الظلام وما شاكله .

فالنورانية في يمينه ، وهي : نور إيمانه بالله - عز وجل - . **والظلمانية** في يساره ، وهي : شهوات النفس الخبيثة وخبثها بالإضافة إلى نور الإيمان . فإذا نظر إلى جهة يمينه كان نظره بنور إيمانه ؛ فيرى ما يشاكله من كلّ ما هو حقّ ونور .

وإذا نظر إلى جهة شماله كان نظره بظلام شهوات النفس ؛ فيرى ما يشاكله من كلّ ما هو ظلام وباطل ، لأن نظره بنظر طبيعة ذاته ، لأنه فيه روح وذات ؛ فلمّا سكنت الروح في ذاته سكونَ المحبة والرضا والقبول مع الإيمان ، قام بها نور - وهو نورُ إيمانه - واختلط في ذاته ، وكان واحداً . والعقل هو الناظر ، فإذا نظر بمرآة نور الروح رأى الطيبات ؛ وإذا رأى بمرآة نور الذات رأى الظلام وما يماثله قاله عبد العزيز [الدباغ] . وعلى هذا فتُخَرّج حديث الأسودة التي على يمين آدم - عليه السلام - التي إذا نظر إليها ضحك ؛ والأسودة التي هي عن يساره - عليه السلام - التي إذا نظر إليها بكى[٣١] ، والأسودة الأولى أرواح السعداء ، والثانية أرواح الأشقياء .

حديث الإسراء

قال رضي الله عنه : وكان **النَفْث ثلاثاً** لأن الأُولى : من الذات ، والثانية : من الروح ، والثالثة : استعانة من العبد بالحقّ - سبحانه - فهذا سرّ التثليث . وإنما أمر العبد بالتحوّل عند يقظته عن الجنب الذي كان عليه لإبطال حكم النوم الأول ، فيصير بمنزلة من ابتدأ نوماً آخر ذاكراً فيه الله تعالى ؛ بخلاف ما إذا لم يتحول فإنه بمثابة من بقي على نومه الأول .

وأما الأمر بالصلاة فقال - رضي الله عنه - : إنه - عليه الصلاة والسلام - أمر به مرة ، قلت : وهو في صحيح مسلم ، ولم يذكره مرة أخرى .

قلت : وهو الذي في صحيح البخاري . فمن شاء فعله ، بأن يقوم للصلاة ، ومن شاء بقي على حالته . **وسرّ الأمر بالصلاة** ليمحوَ الظلام الذي دخل في ذاته من الرؤيا المحزنة فيخرجه بالصلاة ، ويطهر ذاتّه منه .

مطلب هـام

آداب الرؤيا المحزنة

قلت : وهذه **آداب الرؤيا المحزنة** وهي : [١] أن يتعوذ بالله من شرّها ، [٢] وأن يتعوذ من شرّ الشيطان ، [٣] وأن ينفث عن يساره ثلاثاً ، [٤] وأن يتحول عن جنبه الذي رأى وهو نائم عليه الرؤيا المحزنة ، [٥] وأن يقوم للصلاة . والأربعة الأُوَل لا بد منها ، والخامسة يتخير فيها النائم .

---

(٣١) حديث البخاري عن أنس - أول كتاب الصلاة - ليلة أسري برسول الله ﷺ .

قلت : لأن الأربعة الأُوَل وردت في سائر الروايات ؛ والخامسة وردت مرة دون أخرى .

وبقي أدبان ، ذكرهما العلماء :

[٦] الأول : قراءة آية الكرسي . قال ابن حجر : ذكره بعض العلماء ، ولم أقف على سند له . قال الشيخ - رضي الله عنه - : وهو كذلك فإنه - عليه الصلاة والسلام - لم يأمر بقراءتها .

[٧] والثاني : أن لا يذكرها لأحد . وهو في صحيح البخاري . قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : ورد في صفة التعوذ من شر الرؤيا أثرٌ صحيح ، أخرجه سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة[٣٢] وعبد الرزاق[٣٣] ، بأسانيد صحيحة ، عن إبراهيم النخعي قال :

استعاذة نبوية للحلم المكروه

« إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ إِذَا اسْتَيْقَظَ : أَعُوذُ بِمَا أَعَاذَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللهِ وَرُسُلِهِ مِنْ شَرِّ رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْهَا مَا أَكْرَهُ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ » .

وورد في الاستعاذة من التهويل في المنام ما أخرجه مالك[٣٤] ، قال :

---

(٣٢) ابن أبي شيبة (١٥٩ - ٢٣٥) هـ : أبو بكر ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي صاحب المسند والمصنَّف وغيره . وهو من شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود وابن ماجه ا هـ . سبيل السلام ١٥ / ١ والأعلام .

(٣٣) عبد الرزاق (- ٢١١ هـ) : هو الحافظ الكبير أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني صاحب التصانيف ، روى عن عبيد الله بن عمر ، وعن خلائق . وروى عنه أحمد وإسحاق وابن معين والذهلي . وثقه غير واحد وحديثه مخرج في الصحاح . كان يحفظ (١٧٠٠٠) حديث . الأعلام - سبل السلام ٨٧ / ١ .

(٣٤) الإمام مالك بن أنس (٩٣ - ١٩٩ هـ) : صاحب المذهب المشهور وإمام دار الهجرة . أخذ العلم عن (٩٠٠) شيخ منهم (٣٠٠) من التابعين .
- كان إذا دخل بيته شغله المصحف وتلاوة القرآن .
- هابته السلاطين .
- كان يكره حلق الشارب ويعيبه .
- اجتمع مع أبي حنيفة واستفاد كل من صاحبه لذلك كان مذهبه أقرب المذاهب إلى الحنفية . بل المقرر في حاشية ابن عابدين أنه يفتى بمذهبه في المسائل غير المنصوص عليها في مذهبنا . =

« بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ[٣٥] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يُرَوَّعُ فِي مَنَامِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُرَوَّعُ فِي الْمَنَامِ ، فَقَالَ ﷺ : قُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَعَذَابِهِ وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ » .

استعاذة نبوية للنوم

وأخرجه النسائي من رواية عمرو بن شعيب[☆] ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ يفزع في منامه ، فذكر نحوه ؛ وزاد في أوله :

« إِذَا اضْطَجَعْتَ فَقُلْ : بِسْمِ اللهِ أَعُوذُ بِاللهِ » . فذكره . وأصله عند أبي

= ـ من أقواله رضي الله عنه : مثل المنافقين في المسجد كمثل العصافير في القفص ، إذا فتح باب القفص طارت العصافير .

ـ من آدابه : كان لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو متوضئ. كان يمشي في أزقة المدينة حافياً ويقول : أنا أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها قبر رسول الله ﷺ بحافر دابة .

ـ له كتاب الموطأ . ألفه بإشارة أبي جعفر المنصور .

قرأ عليه الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وله رواية للموطأ عنه . كما قرأ عليه الإمام الشافعي . دفن بالبقيع في المدينة المنورة ا هـ . الطبقات ١ / ٥٢ والأعلام وغيرها .

(٣٥) خالد بن الوليد رضي الله عنه (ـ ٢١ هـ) : هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ، سيف الله ، الصحابي من أشراف قريش في الجاهلية ، يلي أعنة الخيل ، شهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية ، أسلم قبل فتح مكة هو وعمرو بن العاص سنة ٧ هـ . توجه زمن أبي بكر لقتال مسيلمة والمرتدين ، ثم سيّره إلى العراق ١٢ هـ ففتح الحيرة وجانب من العراق وحوله إلى الشام وجعله أميرها . ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام فقاتل بين يدي أبي عبيدة إلى أن تم الفتح ١٤ هـ فرحل إلى المدينة فدعاه عمر ليوليه فأبى . مات بحمص وقيل بالمدينة . كان مظفراً خطيباً فصيحاً يشبه عمر بن الخطاب في خلقه وصفته . قال فيه أبو بكر : عجزت النساء أن تلدن مثل خالد . روى له البخاري ومسلم (١٨) حديثاً ا هـ . ملخصاً الأعلام .

(☆) عمرو بن شعيب : (ـ ١١٨ هـ) أبو إبراهيم السهمي القرشي ينسب إلى عمرو بن العاص . يعاب عليه أنه كان يحدث بكل ما سمع اهـ . المجروحين لابن حيان ٧١/٢ . ميزان الاعتدال ٢٦٣/٣ . الضعفاء الصغير للبخاري ٨٤ . خلاصة تهذيب الكمال ٢٤٦ .

داود[٣٥] والترمذي[٣٦] ، وحسنه الحاكم وصححه . والله تعالى أعلم .

[س] وسألته - رضي الله عنه - عن الرؤيا التي عَبَّرها أبو بكر بحضرة النبي ﷺ فقال له - عليه الصلاة والسلام - :

« أَصَبْتَ بَعْضاً وَأَخْطَأْتَ بَعْضاً » .

وقد أخرج القصة البخاري في صحيحه حيث قال : حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة ، أن ابن عباس[٣٧] كان يحدث :

حديث رؤيا وتأويلها من قبل النبي ﷺ

« أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنِي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ ، وَإِذَا سَبَبٌ وَاصِلٌ مِنَ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ بِهِ ، ثُمَّ أَخَذَهُ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ بِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ ثُمَّ وُصِلَ ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

---

(٣٥) أبو داود (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) : هو سليمان بن الأشعث السجستاني سمع الحديث من الإمام أحمد والقعنبي وسليمان بن حرب وغيرهم . وعنه خلائق كالترمذي والنسائي . وقال : كتبت عن النبي ﷺ (٥٠٠٠٠٠) حديث انتخبت منها ما تضمنه كتاب السنن ، وأحاديثه (٤٨٠٠) حديث ، ليس فيها حديث أجمع الناس على تركه ، رواه ببغداد ، وعرضها على أحمد فاستجادها ، قال الخطابي : هي أحسن وضعاً وأكثر فقهاً من الصحيحين . صرح الغزالي : بأنها تكفي المجتهد في أحاديث الأحكام . توفي بالبصرة . سبل السلام ١ / ١١ .

(٣٦) الترمذي (... - ٢٦٧ هـ) : هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي نسبة إلى مدينة قديمة على طرف جيحون (نهر بلخ) . سمع عن البخاري وغيره من مشايخ البخاري . إمام ثبت حجة ، ألف كتاب السنن وكتاب العلل وكان ضريراً . وقال : عرضت كتابي هذا على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به . قيل : مات البخاري ولم يخلف في خراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد . توفي بترمذ ا هـ . سبل السلام ١٢/١ .

(٣٧) عبد الله بن عباس (... - ٦٨ هـ) : الهاشمي القرشي أبو العباس ، حَبْر الأمة ، صحابي جليل ، ولد بمكة ، ونشأ في بدء عصر النبوة فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة . شهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين . كان كثير العلم والفقه ، يجعل أيامه يوماً للفقه ويوماً للتأويل ، ويوماً للمغازي ويوماً للشعر ، ويوماً لوقائع العرب ، وكان عمر رضي الله عنه إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له : أنت لها ولأمثالها ثم يأخذ بقوله . شهر بالحفظ ، أنشده ابن أبي ربيعة قصيدته وهي (٨٠) بيتاً فحفظها في مرة واحدة . له في الصحيحين (١٦٦٠) حديثاً . كف بصره آخر عمره ، وسكن الطائف وبها توفي ا هـ . الأعلام ، الطبقات .

يَا رَسُولَ اللهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَاللهِ لَتَدَعَنِّي فَأَعْبُرَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : اُعْبُرْ ، قَالَ : أَمَّا الظُّلَّةُ فَالإِسْلَامُ ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطِفُ مِنَ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ : فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ تَنْطِفُ ، فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ : فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ ثُمَّ وُصِلَ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ ، فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي : أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَصَبْتَ بَعْضاً وَأَخْطَأْتَ بَعْضاً ، قَالَ : فَوَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ ؟ قَالَ : لاَ تُقْسِمْ » .

قوله : ظلّة : ـ بضم الظاء المعجمة ـ سحابة لها ظلّ ؛ وقوله : تنطف : بطاء مكسورة ويجوز ضمها ومعناه تقطر ؛ وقوله : « وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء » . في رواية ابن وهب : « وأرى سبباً واصلاً من الأرض إلى السماء » . والسبب : هو الحبل ؛ وقوله : « اُعبُر » ، في رواية ابن عيينة : « عبّرها » بتشديد الباء ؛ وقوله : « أما الظلّة فالإسلام ، وأما الذي ينطف من العسل والسمن » ، في رواية سليمان بن كثير « وأما العسل والسمن : فالقرآن في حلاوة العسل ، ولين اللبن » وقوله : « لاتُقْسِم » . في رواية ابن ماجه : « لا تقسم يا أبا بكر » .

تعريف السبب

وقد اختلف العلماء ـ رضي الله عنهم ـ في الوجه الذي وقع لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فيه الخطأ ، **فقال المهلّب**(☆) ومن تبعه : موضع الخطأ في قوله : « ثم وُصل له » ، لأن في الحديث ثم وصل ولم يذكر « له » ، وكان ينبغي لأبي بكر أن يقف حيث وقفت الرؤيا ، ولا يذكر الموصول له ؛ فإن المعني أن عثمان يقطع به الحبل ، ثم وصل لغيره ؛ أي وصلت الخلافة لغيره . **وقال عياض** : قيل : خطؤه في قوله : « وُصل له » ، وليس في الرواية إلا أنه « وُصل » وليس فيها « له » ، وكذلك لم يوصل لعثمان وإنما وصل لعليّ : أي وصلت الخلافة لعليّ . ورُدّ هذا : بأنّ

(☆) المهلب (ـ ٤٣٥ أو ٤٣٣) هـ = ١٠٤٤ م : هو ابن أحمد بن أسيد الأسدي التميمي أبو القاسم بن أبي صفرة فقيه محدث من أهل المرية سمع بقرطبة من الأصيلي ورحل إلى الشرق من آثاره شرح البخاري اهـ معجم المؤلفين ٣١/١٢ .

لفظة « له » ، وإن سقطت من رواية الليث عند الأصيلي وكريمة(☆☆) ، فهي ثابتة عند أبي ذر عن شيوخه الثلاثة ، وكذا في رواية النسفي ، وهي ثابتة في رواية ابن وهب وغيره عن يونس عند مسلم وغيره ؛ وفي رواية معمر عند الترمذي ؛ وفي رواية سليمان عن ابن عيينة عند النسائي وابن ماجه(٣٨) ؛ وفي رواية ابن حسين عند أحمد ؛ وفي رواية سليمان بن كثير عند الدارمي وأبي عوانة ، كلهم عن الزهري(٣٩) . وزاد سليمان بن كثير في روايته : « فوُصل له فاتصل » ، فاللفظة حينئذ ثابتة في الحديث . والمعنى حينئذ : أن عثمان كاد ينقطع عن اللحاق بصاحبه ، بسبب ما وقع له من تلك القضايا التي أنكروها عليه ، فعبّر عنها بانقطاع الحبل ، ثم وقعت له الشهادة ، فوُصل فاتصل بهم . وذهب قتيبة بن سعيد ، وأبو محمد بن أبي زيد ، وأبو محمد الأصيلي ، وأبو بكر الإسماعيلي ، وأحمد بن نصر الداودي ، وغيرهم إلى : أن الخطأ في مبادرته ـ رضي الله عنه ـ لتعبيره الرؤيا قبل أن يأمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ بذلك ؛ أي : أصبت في التعبير وأخطأت في المبادرة . ورُدّ هذا بأنه ـ رضي الله عنه ـ استأذن النبيّ ﷺ في التعبير فأذن له ، وحينئذ فلا مبادرة ، لأن التعبير إنما كان بعد الإذن ؛ وبأنه خلاف المتبادر من قوله : « أصبتَ بعضاً ،

(☆☆) الأصيلي (٢٢٤ ـ ٢٩٢ هـ) : عبد الله بن إبراهيم ، الأندلسي المالكي ، فقيه محدث تفقه بالأندلس وبالقيروان ودخل مصر وبغداد والبصرة وواسط وسمع بها وأكثر الجمع والرواية ورجع إلى الأندلس وتوفي بها . من آثاره : الآثار والدلائل على أمهات المسائل في اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة . اهـ . من معجم المؤلفين ٦ / ١٨ .

كريمة (ـ حوالي ٢٢٠ هـ) : هي بنت عبد الرحمن بن عمر التميمية . محدثة أدركها الخلاّل [من أصحاب الإمام أحمد] ونقل عنها أصحاب ابن منده . اهـ . أعلام النساء ٤ / ٢٤١ .

أبو ذر : هو كوشيه راوي صحيح البخاري .

(٣٨) ابن ماجه (٢٠٧ ـ ٢٧٥ هـ) : هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزويني . طاف البلاد طلباً للعلم فسمع أصحاب مالك والليث . روى عنه خلائق . ألّف السنن وليس لها رتبة ما ألف من قبله ، لأن فيها أحاديث ضعيفة بل منكرة غالبها مما انفرد به ، ولذا قدّم كثيرٌ الموطأ عليها .. سبل السلام ١ / ١٢ .

(٣٩) الزهري (٥٨ ـ ١٢٤ هـ) : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري ، أبو بكر ، تابعي ثقة ، من أهل المدينة ، من أكابر الحفاظ الفقهاء ، أول من دون الحديث ، كان يحفظ (٢٢٠٠) حديث نصفها مسند . نزل الشام واستقر بها . كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنّة الماضية منه . مات بشَغْب (آخر حد الحجاز أول حد فلسطين) . ا هـ الأعلام .

وأخطأتَ بعضاً » فإن المتبادر منه أنه أصاب بعضاً من التعبير ، وأخطأ بعضاً من التعبير .

وذهب الطحاوي[٤٠] والخطابي وابن العربي وابن الجوزي[٤١] وجماعة ، إلى أن الخطأ : في تعبيره « السمن والعسل » بالقرآن ، فعبرهما بشيء واحد ؛ وكان من حقه أن يعبّرهما بشيئين ؛ كما وقع في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، ـ وقد أخرجه أحمد ـ قال :

« رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ فِي إِحْدَى أُصْبُعَيَّ سَمْناً وَفِي الأُخْرَى عَسَلاً ، وَأَنَا أَلْعَقُهُمَا ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ ذَكَرْتُ ذلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : تَقْرَأُ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةَ وَالْفُرْقَانَ . فَكَانَ يَقْرَؤُهُمَا بَعْدَ ذلِكَ » .

ففسر في هذا الحديث السّمن والعسل بشيئين ، فكذا في هذا الحديث ينبغي تعبيرهما بالكتاب والسنّة ، أو بالعلم والعمل ، أو بالحفظ والفهم ، أو بغير ذلك . **وقيل** : الخطأ في تفسير « الظلّة » بالإسلام وكان ينبغي أن يفسرها بالنبي ﷺ ، ويفسر « السمن والعسل » بالكتاب والسنة . **وقيل** : الخطأ بمعنى الترك ، أي تركت بعضاً فلم تعبره حيث لم يتعين الرجال الثلاثة الذين بعد النبيّ ﷺ ؛ ولهذا لم يبرّ النبيّ ﷺ قَسَمَه ، لأن « إبرار القسم إنما يطلب إذا لم تترتب عليه مفسدة ولا أصل

(٤٠) الطحاوي (٠٠ ـ ٣٢١ هـ) : هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدري الطحاوي ، أبو جعفر ، فقيه ، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر . ولد ونشأ في طحا (من صعيد مصر) وتنفقه على مذهب الشافعي ، ثم تحول حنفياً ورحل إلى الشام ٢٦٨ هـ فاتصل بأحمد بن طولون فكان من خاصته ، توفي بالقاهرة . وهو ابن أخت المزني . من تصانيفه : شرح معاني الآثار ، العقيدة الطحاوية ومناقب أبي حنيفة وغيرها اهـ . الأعلام ملخصاً .

(٤١) ابن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) : هو الحافظ جمال الدين ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن جعفر الجوزي ينتهي نسبه إلى الصدّيق رضي الله عنه . ونسبته إلى محلة في البصرة (محلة الجوز) . ولد في بغداد وعاش يتيماً وتتلمذ على خاله أبي الفضل محمد بن ناصر البغدادي وأبي منصور الجواليقي والحريري وغيرهم ، بلغ عددهم (٨٧) شيخاً . حفظ القرآن وقرأ وسمع الحديث وتعلم اللغة والأدب ونظر في جميع فنون عصره ، وأصبح إمام عصره في الحديث ، ونبغ في الوعظ والخطابة وله مصنفات في علوم متعددة اهـ . من مقدمة صفوة الصفوة . قلت : له بعض شواذ ، وردّ عليه السيوطي في حطّه من قدر أبي حنيفة . اهـ . وجاء في قواعد التصوف « قاعدة ٢٠٧ » حذر الناصحون من تلبيس ابن الجوزي وفتوحات الحاتمي ... [رغم أنه قال في « القاعدة ٢٠٦ » مبيناً لهذا الكتاب « تلبيس ابليس » : وإلا فهو أنفع كتاب ، عرّف وجوة الضلال لتُحذر ، ونبّه على السنّة بأتم وجه أمكنه .]

مشقة ظاهرة ، فإن كان ذلك فلا إبرار » ؛ ولعل المفسدة في ذلك ما علمه من سبب انقطاع الحبل بعثمان ، المفضي ذلك إلى قتله ، واشتعال نار تلك الحروب والفتن ؛ فكره ذِكر ذلك خوف شيوعه بين الناس ؛ وأيضاً لو أبرّ قسمه للزم تعيينهم ، ولو عينهم لكان نصاً على خلافتهم ؛ وقد سبقت مشيئة الله تعالى أن الخلافة تكون على هذا الوجه ؛ فترك تعيينهم مخافة أن يقع في ذلك مفسدة . قال جميعه محي الدين النووي - رحمه الله - .

أدب وذهبت طائفة إلى الإمساك عن الخوض في هذه المسألة تعظيماً لجانب الصديق - رضي الله عنه - ؛ حتى قال أبو بكر بن العربي - رحمه الله - : سألت بعض الشيوخ العارفين بتعبير الرؤيا عن الوجه الذي أخطأ فيه أبو بكر فقال : من الذي يعرفه ؟ ولئن كان تقدم أبي بكر بين يدي النبي ﷺ للتعبير خطأ فالتقدم بين يدي أبي بكر لتعيين خطئه أعظم وأعظم . فالذي يقتضيه الحزم والدين الكف عن ذلك .

[ج] فقال رضي الله عنه : الظلّة : هي الإسلام ؛ والعسل والسمن - اللذان تنطف بهما - : أفعال العباد المقبولة مطلقاً ؛ ولا يختص ذلك بتلاوة القرآن ، بل ذلك يعم جميعَ أوجه الطاعات المقبولة ، من صلاة وصيام وحج وزكاةٍ وصدقة وعتق وحبس وقضاء حاجة لمؤمن ، وحضور جنازة وفداء الأسرى ، وغير ذلك ، مما تتحرك فيه الذوات من الأعمال الظاهرة . وهذه الأعمال الظاهرة هي الصاعدة إلى البرزخ ، فتشاهدها الأرواح التي في البرزخ ، ويقولون : هذه حسنة فلان بن فلان الذي سيقدم علينا يوم كذا وكذا ؛ فيشاهد عملَه الصالحَ أبوهُ وجدّه وجدّ جدّه مثلاً ؛ وسواء في هذه المشاهدة ، الأرواح التي نزلت إلى الأرض ثم رجعت إلى البرزخ ، والتي لم تنزل بعدُ إلى الأرض ؛ حتى إنه لو فتح على صبي صغير لأوقف الناسَ على أعمالهم الصالحة ويقول : أنت يا فلان ورد علينا عملك الفلاني ، ونحن في البرزخ يوم كذا وكذا ؛ وأنت يا فلان ورد علينا عملك المقبول قبل ذلك أو بعده . ولكن الله تعالى قضى بستر ذلك فأنسى ذلك الأرواحَ بعد دخولها في الأشباح .

ثم هذه الأعمال الظاهرة على قسمين :

الأعمال الظاهرة على قسمين

الأول

(منها) : ما هو متمحض لله ـ تعالى ـ ولا يصل الخلقَ منه نفعٌ في الظاهر ، وذلك : كالسجود لله ، والركوع له ، وعبادته بالصلاة والصوم ، والخوف منه والرغبة إليه ؛ وغير ذلك من الطاعات التي بين العبد وربه سبحانه .

(ومنها) : ما يلحق العباد منه نفعٌ ، كالعتق والصدقة ، والحبس وفداء الأسرى ، وقضاء الحوائج ، وسائر القربات التي فيها نفع للخلق .

وجزاء القسم الأول من الله لعبده : أن يمدّه بنورٍ من عنده يزيد به إيمانَه ، ويقوى به عرفانُه ، فتمحى من قلبه الوساوس ، وتضمحل منه الشكوك ، ويصفّى إيمانه في الدنيا ، وتَعظم مشاهدته في الآخرة ؛ فجزاء هذا القسم نور محض وقوة في الإيمان .

الثاني

وأما القسم الثاني : فجزاؤه بإصلاح الذات ؛ وذلك ، بتكثير الرزق ودفع المصائب النازلة ؛ فيحصل للذات نفعٌ عظيم ، لأنه إذا دُفعت عنها المصائب ، ومُنِعت منها ، ووصلت إليها الأرزاق الكثيرة ، فإنها تتمتع بذلك ، وتنمو به غاية النمو . هذا في الدنيا .

وأما في الآخرة : فإن تلك الصدقات ـ التي نَفَع بها العباد ـ ترجع عليه نعماً ، من جنس ما يحب ويشتهي ، مفروك أو كعك أو طيور تؤكل ، أو أزواج تنكح ، أو غير ذلك ، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

فخرج من هذا أن جزاء القسم الأول : نافع في الإيمان ؛ وجزاء القسم الثاني : نافع في إصلاح الذوات . وإلى القسم الأول الإشارةُ بالعسل المذكور في الرؤيا ، وإلى القسم الثاني الإشارةُ بالسمن المذكور فيها أيضاً ؛ ووجه ذلك : أن العسل يجلب القوة للذات ، ويهضم الأضرار التي تمانع القوة ولا يخصب الذات ولا ينبت فيها لحماً ؛ فأشبه القسمَ الأول الذي يجلب قوة الإيمان للذات دون الأرزاق ؛ وينفي عنها الشكوك والشُبَه ، ويُصفّي نور الإيمان ؛ والعسل كذلك يقوي الذات وينقيها من الضعف ويصفيها من الوهن والرخو . وأما السمنُ : فإنه مخصب للذات ، وينبت فيها اللحم ، ويسمنها وينميها ، ولا تكتسب به قوة مثل القوة التي تكسبها من العسل . فأشبه السمنُ القسمَ الثاني من الأعمال التي تدر الأرزاق وتدفع المصائب

الخارجة عن الذوات . فهذان القسمان من الأعمال هما المقصودان بالعسل والسمن في هذه الرؤيا ، فالعسل مقوٍّ والسمن منمٍّ ؛ والقسم الأول : مقوٍّ للإيمان ، والثاني : منمٍّ للأرزاق ؛ فتشاكل العسل مع القسم الأول ، وتشاكل السمن مع الثاني .

[س] فقلت : فأيُّ القسمين أحسنُ وأفضل ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : أيها أحسن لك ، أن تكون رقيقاً مثل القَشبة ، وفيك قوة الأربعين رجلاً ؛ أو سميناً لا تقدر على المشي وليس فيك قوة ؟

[س] فقلت : الأحسن لي أن أكون رقيقاً ، ولي قوة أربعين رجلاً .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : فذلك هو قياس الأعمال التي تزيد في نور الإيمان والتي تزيد في الأرزاق .

[س] ثم قلت : هذه الأعمال الظاهرة المنقسمة إلى القسمين صاعدة من الأرض إلى السماء ، والعسل والسَّمْن في الرؤيا نازلان لا صاعدان ؛ فكيف ساغ تفسيرهما بالأعمال المذكورة مع اختلافهما في النزول والصعود ..!؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : الصعود والنزول إضافيان ، فقد يكون الصعود عندنا نزولاً عند غيرنا . فلعل روح الرائي كانت في السماء من الوجه الذي يقابلنا ، لا من الوجه الذي يقابل السماء الثانية ؛ ولا شك أن أهل الوجه الذي يقابلنا رؤوسهم إلينا وأرجلهم على ذلك الوجه ؛ وحيث كانت رؤوسهم إلينا فإنهم يرون الصاعد من الأرض إلى السماء نازلاً عليهم . وأيضاً فإن المقصود من الرؤيا أن يعلَمَها الرائي ويتبينها ، فلو جعلت ظلة الإسلام في الأرض فوقَ رؤوسنا لحجب عن الرائي ما يصعد منها ، فلأجل ذلك جعل الصعود نزولاً ؛ ففي « النزول » أيضاً تأويل وتعبير ، لا أنه على حقيقته .

قال - رضي الله عنه - : والحبل الممدود من السماء إلى الأرض : هو الإيمان الكامل ؛ ولكن ليس كلُّ إيمان كامل مراداً ، بل بشرط كونه في الأمراء ، الذين يقيمون حدود الشريعة على الكمال في أنفسهم وفي رعيتهم ؛ لأن ذلك الحبل متصل بالظلّة ، وهو السبب في إمطارها للسمن والعسل ، حتى نزل على الناس ، وتكففوه

بين مستكثر ومستقل . ولا يكون الإيمان الكامل سبباً في قبول أعمالهم ، وكثرة طاعاتهم ، وظهور الخيرات عليهم ، وصعودها مقبولة ، إلا إذا كان صاحبه يأخذ على أيدي المؤمنين ، فينصر الضعيف ، ويرد القوي عنه ، ويقيم حدود الشريعة على الكمال ؛ فعند ذلك تكثر الخيرات في العباد وتقل منهم المعاصي ؛ فلا يزنون ، ولا يسرقون ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق .

وحينئذ فالأمة كلهم أخيار أبرار ؛ والأمير : بمنزلة من يشد للناس عمود الإسلام ويمطر عليهم خيراته وبركاته . وهذه الحالة كانت في زمانه ﷺ على الكمال .

قال - رضي الله عنه - : وأما **الأمراء الثلاثة** المذكورون في الرؤيا ، فاختلف الأولياء العارفون فيهم .

الطائفة الصديقية من الأولياء

فذهبت طائفة من الأولياء ويقال لهم : **الطائفة الصديقية** ، - أتباع أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ؛ وأشياخي من هذه الطائفة - إلى أن المراد بهم الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - ، والقطع بعثمان هو ما أُنكر عليه ، والوصل هو موته رضي الله عنه شهيداً .

الطائفة الحسنية من الأولياء

وذهبت طائفة أخرى من الأولياء ويقال لهم : **الطائفة الحسنية** ، أتباع الحسن بن علي - رضي الله عنهما - إلى أن هؤلاء الأمراء أشراف من ذرية النبيّ ﷺ ، ومن بيت النبوّة والرسالة ، تجتمع الكلمة الإسلامية على اثنين منهم ، وتجتمع على الثالث ؛ ثم تفترق ثم تجتمع ؛ وهو المراد بالقطع والوصل . قال : والمقصود بالرؤيا ما عليه هذه الطائفة ، فإن مقام النبيّ ﷺ عظيمٌ ، ولا يطأ في موضعه ويصعد في مرقاته إلا نبيّ أو ولد نبيّ ؛ ولما كان الحَبْل واحداً ، وصعد فيه الأمراء الثلاثة ، كصعوده ﷺ فيه ، آذنَ ذلك بأن بينه وبين الأمراء الثلاثة مجانسة ، وقد علم أن إيمانه الكامل [ﷺ] لا يجانسه فيه أحد ؛ فلم تبق المجانسة إلا في نَسَبه ، وهي ثابتة في الأمراء الأشراف المذكورين ؛ فإن موضعَ الواحد وداره لا يدخله إلا هو أو ولده ؛ وأيضاً فإن صاحب الرؤيا من الصحابة وهو عالم بأبي بكر وعمر وعثمان ، فلو كانوا مرادين في الرؤيا لعلمهم ، ولقال - بعد قوله فرأيتك يا رسول الله أخذتَ به وعلوت - : ورأيتُ أبا بكر أخذ به وعلا ، ثم رأيت عمر أخذ به وعلا ، ثم رأيت

عثمان ، فلما أضرب عن ذلك ، وقال : رأيت رجلاً ورجلاً ورجلاً ، دلّ على أنه رأى رجالاً لا يعرفهم فليسوا هم الخلفاء الثلاثة .

قلت : وباحثتُ الشيخَ في ذلك أبحاثاً كثيرة ، ونازعته مراراً عديدة .

طائفة الشيخ الدباغ الصديقية

فقال ـ رضي الله عنه ـ : الحقّ هو الذي أقوله لك ، وأنهم أشراف ، لا الخلفاء الثلاثة . ثم آنسني بالدليلين السابقين ، وقال لي : أنا من الطائفة الصديقية ؛ ولكنّ الحقّ أحقّ أن يُقال .

ثم قلت للشيخ ـ رضي الله عنه ـ : وكيف خفي أمر التعبير على أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ويَعلَمُه غيره ؟ وإنْ كنا نعلم أن فضل الله يؤتيه من يشاء ، إلا أنا نعتقد أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ سيد العارفين بعد النبي ﷺ ، وإمام الأولياء من الصحابة وغيرهم أجمعين ؛ وقد سمعناكم غيرَ ما مرة تقولون : ما في أمّة النبي ﷺ مَنْ يطيق أبا بكر في العرفان ؛ وليس في أوليائها وصالحيها من يعرف باطن النبي ﷺ كمعرفة أبي بكر ، فهو سيد العارفين ، وإمام المحبين .؟!

مقام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

فقال رضي الله عنه : أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يعلم أمر هذا التعبير ، ويعلم ما هو أكثر منه بعشرة آلاف درجة ، ولكن إنما غاب عنه في ذلك الوقت بسبب حضوره ﷺ ، « فإن أنوار الحاضرين العلمية تغيب عند حضوره ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ولا يبقى لها اشتعال ، لانعكاسها إلى نور المحبة » ، فتثير نارَ الشوق ؛ فيشتغل الفكر بذلك ، ويستغرق الباطن فيما هنالك . ولا شك أنه إذا غابت أنوار العلم ، واشتعلت أنوار المحبة والشوق ، يصير المتكلم في العلم بمنزلة الساهي عنه ، وبمنزلة الذي يقطع في الروح ، لأن القلب ليس له إلا وجهة واحدة ، فإذا توجه إلى شيء انقطع عن غيره . ومقصود العارفين وسيدهم هو : أبو بكر ؛ ومحل رجائهم هو : النبي ﷺ ، فإذا حضرت بين أيديهم لم يلتفتوا إلى علم ، ولا إلى غيره ، لأن العلم من أنوار ذاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ فإذا غابت الذات تعلقوا بأنوارها لتوصلهم أنوارُها إليها ؛ فإذا حضرت الذات سقطت الوسائل ووجب التوجه إليها ، وصرفت القلوب نحو قصدها .

قاعدة

أبو بكر سيد العارفين

مطلب
الأمور الثلاثة الرئيسية لتوجه العارف

فقلت : فبأي شيء يتوجه إليها ؟

فقال رضي الله عنه : بثلاثة أمور : المحبة والتعظيم والتعجب فيا أعطاه الله تبارك وتعالى ، وإذا قال النسوة في يوسف ـ عليه السلام ـ : ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف : ٣١] .

سبعة أمور بها توجه العارف لتحصيل الثلاثة

فماذا يقوله العارفون في سيد الوجود ﷺ ..!!؟ قال : ولا يكمل أمر هذه الثلاثة ، ويصح التوجه بها ، إلا إذا انحصرت من العارف **سبعة أمور** في ذاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ فلا يكون لتلك السبعة قصد إلا الذات الشريفة ، ومتى نقص واحد منها ظهر الخلل في التوجه : الأول : فكر النفس ، الثاني : الخيال ؛ وهو نظر النفس ، الثالث : العقل ، الرابع : المثال ؛ وهو نظر العقل ، الخامس : الذات ، السادس : الروح ، السابع : العلم .

فيشترط في كال توجه العارف انحصار تصور هذه الأمور السبعة في الذات الشريفة ؛ وإذا انحصرت أنوار هذه السبعة في الذات ، حصل التوجه بالمحبة والتعظيم والتعجب ، وانقطعت الآمال عما سوى ذلك . قال : ولو أن العارف إذا كان في هذه الحالة ، وسئل عن لون ولده ، هل هو أبيض ، أم لا ؟ فإنه يحصل له الدهش . وإن أجاب بشيء ، فإنه لا يشعر به ؛ وإذا كان الجواب صواباً فإنما هو لاعتياده التكلم بما أجاب به ، لا غير . فلذلك وقع لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ما وقع ..!!

ولو أن سائلاً ترك أبا بكر حتى كان في خلافته ، وسأله عن تعبير الرؤيا المذكورة ، فإنه يسمع منه العجائب والغرائب في ذلك . وما عرفنا نحن هذا التعبير إلا من طريق أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ؛ وكيف يمكن أن نعرف شيئاً ولا يعرفه شيخنا أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ هذا من المحال ..!؟ ولكن السرّ في ذلك هو ما ذكرناه . والله أعلم .

قلت : هذا ما سمعنا من شيخنا الأميّ ـ رضي الله عنه ـ ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . ولي سنينَ عديدة ، وأنا أطلب الشفاء في تعبير هذه الرؤيا ، فما وجدته في ديوان ، ولا عند إنسان إلا عند الشيخ ـ رضي الله عنه ـ . ولا يخفى أن الكلام السابق عند الشيوخ المتقدمين بعيد عن الغرض . والله أعلم .

مطلب حقيقة الرؤيا المنامية

[س] وسألته ـ رضي الله عنه ـ : عن حقيقة الرؤيا المنامية ، وكيف هي وبأيّ شيء تقع ؟ فإن الناس اختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً :

١ ـ فذهب **الأطباء** إلى : أنها عن الأخلاط الأربعة . فمن غلب عليه البلغم رأى أنه يسبح في الماء ونحوه ، لمناسبة الماء طبيعة البلغم ؛ ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود في الجو ونحو ذلك من الأمور المحزنة ؛ ومن غلب عليه الدم يرى الأمور الحلوة والأشياء المفرحة لأن الدم حلو مفرح ؛ ومن غلبت عليه السوداء يرى الأمور السوداوية والأشياء الحامضة . قال المازري : وهو مردود ؛ لأنه وإن جوّزه العقل إلا أنه لم يقم عليه دليل ، ولم تطّرد به عادة ؛ و « القطع في موضع التجويز غلط » .

قاعدة

٢ ـ وذهب **الفلاسفة** إلى : أن صور ما يجري في الأرض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذى النفوس منها انتقش فيها . قال المازري أيضاً : وهو مردود ؛ لأنه تحكّم بلا برهان عليه ؛ والتناقش من صفات الأجسام . وأكثر ما يجري في العالم العلوي الأعراض ؛ والأعراض لا تَناقش فيها .

٣ ـ وذهب **المعتزلة** إلى : أنها خيالات لا حقائق لها ؛ وقصدوا إبطالها كما أنكروا عذاب القبر .

قال ابن العربي في « القبس » : وجرت المعتزلة على أصولها في تحيلها على العامّة في إنكار أصول الشرع في الجنّ وأحاديثها والملائكة وكلامها ، وأن جبريل ـ عليه السلام ـ لو كلم النبيّ ﷺ بصوت لسمعه الحاضرون .

٤ ـ وذهب **صالح المعتزلي** إلى : أنها رؤيا بعين الرأس . قال ابن العربي : وهو شذوذ .

٥ ـ وذهب آخرون إلى : أنها رؤيا بعينين في القلب ، يبصر بها ، وأذنين يسمع بها .

مذهب أهل السنة في الرؤيا

٦ ـ وذهب أهل السنة إلى : أنها اعتقادات وإدراكات ، يخلقها الله ـ تعالى ـ في قلب النائم ، كما يخلقها في عين اليقظان وقلبه ، وإذا خلقها جعلها علامة على

أمور وأشياء يخلقها في ثاني حال ، وهذه الاعتقادات تارة يَحضُرها مَلَك عند خلقها ، فتكون الرؤيا مبشّرة ، وتارة يَحضُرها شيطان فتكون مُحزنة .

٧ ـ وذهب بعضهم إلى : أن المرائي لها مَلَك موكل بها ، يعرضها على النائم فيمثل له صوراً ؛ تارةً تكون موافقة لما يقع في الوجود ؛ وتارة تكون أمثلة لمعان معقولة . قال القرطبي : وهو مردود لأنه يحتاج إلى دليل .

٨ ـ وذهب بعضهم إلى : أن سبب المرائي عروج الروح إلى العرش فيرى النائمُ ما يقع له ، فإن لم يستيقظ حتى بلغت الروح العرش كانت الرؤيا صادقة ، وإن استيقظ قبل ذلك كانت كاذبة ؛ واستدل قائله بالحديث الذي أخرجه الحاكم والعُقَيلي[٤٢] ، من رواية محمد بن عجلان ، عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، قال : لقي عمر علياً فقال : يا أبا الحسن ..! الرجل يرى الرؤيا ؛ فمنها ما يَصدُق ، ومنها ما يَكذِب ؛ قال : نعم ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَا عَبْدٌ وَلاَ أَمَةٌ يَنَامُ فَيَمْتَلِئُ نَوْماً إلاّ عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى الْعَرْشِ ، فَالَّذِي لاَ يَسْتَيْقِظُ دُونَ الْعَرْشِ ، فَتِلْكَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ ؛ وَالَّذِي يَسْتَيْقِظُ دُونَ الْعَرْشِ ، فَتِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي تَكْذِبُ » .

قال الحافظ الذهبي في « تلخيصه » : هذا حديث منكر ، ولم يصححه المؤلف ـ يعني الحاكم ـ ، ولعل الأخذ فيه من الراوي عن ابن عجلان ، وهو : عبد الله الأزدي الخراساني . ذكره العُقَيلي في ترجمته ، وقال : إنه هو غير محفوظ ؛ ثم ذكر من طريق أخرى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن عليّ بعضَه ؛ وذكر فيه اختلافاً في وقفه ورفعه .

٩ ـ وذهب بعضهم إلى : أن الرؤيا كلامٌ يكلم الحقُّ ـ سبحانه وتعالى ـ به عبده . واستدل قائله بحديث ورد في ذلك ؛ وهو قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ كَلاَمٌ يُكَلِّمُ بِهِ الْعَبْدَ رَبُّهُ » . وقد أخرجه الحكيم الترمذي عن

---

(٤٢) العُقَيلي (.. ـ ٣٢٢ هـ) (.. ـ ٩٣٤ م) : محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي ، أبو جعفر . من حفاظ الحديث ، قال ابن ناصر الدين : له مصنفات خطيرة ، منها كتابه في « الضعفاء » . كان مقيماً بالحرمين ، وتوفي بمكة ا هـ . الأعلام .

عبادة بن الصامت . ذكره في نوادر الأصول في الأصل الثامن والسبعين ، وهو من روايته عن شيخه عمر بن أبي عمر وهو واهٍ ، وفي سنده مع ذلك من لا يُرضى . قال الحكيم الترمذي : قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى : ٥١] . أي : في المنام .

١٠ ـ وذهب آخرون إلى : أن الله تعالى وكّل بالرؤيا مَلَكاً اطلع على أحوال بني آدم من اللوح المحفوظ ، فينسخ منها ، ويضرب لكل واحد على قصته مثلاً ؛ فإذا نام مثّل له تلك الأشياء على طريق الحكمة ، لتكون له بُشرى أو نذارةً أو معاتبةً . والشيطان قد يسلط على الإنسان لشدة العداوة ؛ فهو يكيده بكل وجه ، ويريد إفساد أموره بكل طريق ؛ فيتلف عليه رؤياه ، إما بتخليط فيها أو بغفلته عنها .

تعريف

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : **الرؤيا على قسمين : خواطر ، وإدراكات** . بمثابة حال اليقظة ، فإن الشخص في اليقظة له خواطر ، وهي : ما يخطر على باله ؛ وله إدراكات ، وهي : ما يدركه بعقله من العلوم أو يشاهده بحواسه من المحسوسات . فكذلك النائم ؛ تارة تكون رؤياه في منامه بخواطر تخلق في قلبه ؛ وتارة تكون بإدراك شيء ورؤيته . فانقسم أمر الرؤيا إلى إدراكات وخواطر :

أقسام الرؤيا

إدراكات

القسم الأول : الإدراكات . ثم منها ما يضاف للروح ، ومنها ما يضاف للذات ، وذلك أن الناظر في الحقيقة هو الروح ، ونظرها ببصيرتها ـ وقد سبق [ص ١٥٤] الكلام على بصيرتها في أجزاء الروح حيث تكلمنا على حديث : « إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » ـ .

فإنْ نظرت ببصيرتها ، فذلك هو الذي يضاف إلى الروح وينسب إليها ؛ وإن نظرت بنظر الذات وقلبها ، ورأت ما تعتاده الذات من دار ومسجد وبستان ، ونحو ذلك ، فهذه الرؤيا هي التي تضاف إلى الذات وتنسب إليها .

سمع الروح

وذلك كما أن للروح سمعين : أحدهما : سمعها الذي ينسب إليها قبل حجبها في الذات ، وهو الذي يبلغ إلى مشارق الأرض ومغاربها .

وثانيها : سمعها الذي ينسب إليها بعد حجبها وهو سمعها من الأذن فقط .

بصر الروح

وبصرين : أحدهما : قبل الحجب ، وهو الذي يبلغ إلى مشارق الأرض ومغاربها ، ويخرق السبع الطباق .

وثانيها : بعد الحجب ، وهو الذي يكون من العين فقط .

مشي الروح

ومشيتين : إحداهما : قبل الحجب ؛ وهي التي تقطع بها مشارق الأرض ومغاربها في خطوة .

وثانيها : بعد الحجب ؛ وهي التي تكون بالرجل فقط .

نظر الروح

كذلك **لها نظران** : أحدهما : قبل الحجب ؛ وهو الذي يكون ببصيرتها ويكون بسائر جواهرها وتنظر به سائر معلوماتها في لحظة ، ولا قربٌ ولا بعدٌ عندها في ذلك ، حتى إن الذات التي هي فيها والعرش ، على حد سواء عندها .

وثانيها : بعد الحجب ؛ وهو الذي يكون في القلب فقط ؛ فإذا نام الشخص ، ورأى شيئاً في منامه ؛ فتارة يراه بنظر الروح ، وتارة يراه بنظر قلب الذات .

فرق

والفرق بين ما ينسب للروح وما ينسب للذات : الصفاء والطهارة ؛ فالمنسوب للروح فيه صفاء وطهارة ؛ والمنسوب للذات بخلاف ذلك .

ولذا **كان الأول** لا تعبير فيه ، أو فيه تعبير قريب .

وأما الثاني فإن الرمز فيه يبعد ويخفى ، ويدقّ فيه التعبير ، ويصعب ، حتى إنا لو فرضنا زيداً جرَحَه رَجُل ، ثم فرضناه رأى ذلك في منامه قبل أن يقع ؛ فإنه إن رآه بنظر الروح رأى رجلاً يجرحه ، فتخرج الرؤيا كما رُؤيت ؛ وإن رآه بنظر الذات ، رأى مثلاً : أنه مرّ بطريق ، فأصابه فيها عود فجرحه . وإنما كان **الأول** فيه صفاء وطهارة ، لأنّه بنور الروح ، ونورها حقّ فيحاكي الشيءَ على ما هو عليه . بخلاف **الثاني** : فإنّه بنور الذات ؛ ونورها فيه باطل ؛ والباطل لا يحاكي الشيء على ما هو عليه ، بل يَقْلبه ، ويغيّره ، فيرى الجَمَل في المنام ضفدعاً ؛ ويرى الطائر حجراً ، والرجل عوداً ؛ ونحو ذلك . وقلّ أن تخلوَ ذات من الذوات من الظلام ؛ اللهمّ إلا أن يكون صاحبها معصوماً .

نظر الروح ونظر الذات

مطلب درجات الظلام للذات عشرة

ثم الظلام على درجات بحسب قوته وضعفه . ودرجاته عشرة :

الدرجة الأولى : الظلام الداخل على الذات من سهو المكروه . كأن يأكل بشماله سهواً ، ونحوه من المكروهات . فهذا السهو إذا وقع من العبد فإنه يُدخل عليه ظلاماً خفيفاً في ذاته ، فإذا نام الشخص ـ وذلك الظلام في ذاته ـ فإنه يقلب له الرؤيا قلباً خفيفاً حين يراها . **مثاله** : من رأى في المنام الجنّة ، ولم يُرد دخولها ؛ فتعبيره : أنه أراد أن يفعل حسنة غيرَ واجبة ، ثم رجع عنها . ووجه هذا التعبير : أن « الحسنة سبب في دخول الجنّة » ، فوقعت الجنّة . فالرؤيا عبارة عن الحسنة ؛ وعدم إرادة الدخول إشارة إلى امتناعه من فعلها . **وحقيقة الرؤيا من غير قلب : أن يَرى أنه أراد أن يفعل حسنة ، ثم رجع عنها** . فانقلبت الرؤيا إلى ما ترى قلباً خفيفاً ، سببه الظلام السابق .

سهو المكروه

سهو الحرام

الدرجة الثانية : الظلام الداخل على الذات من سهو الحرام . كمن أكل في صيامه سهواً ، ونحوه من المحرمات التي تقع من العبد سهواً ؛ ولا يلحقه فيها إثم للسهو . فإن هذا الظلام يفوق ظلام السهو المكروه ؛ ويقلب الرؤيا أكثر منه . **مثاله** : من رأى في منامه الجنّة وأراد دخولها ، فمنع منها ؛ فتعبيره : أنه يريد فعل فرض الكفاية ، ثم يرجع عنه . ووجه التعبير : ما سبق . وقد قوي الظلام في هذه الرؤيا حتى رؤي في صورة من يمتنع من دخول الجنّة ، لأن هذا ظلام مانع من فرض الكفاية ، ناشئ عن فعل الحرام سهواً ؛ بخلاف الرؤيا السابقة . والله تعالى أعلم .

عمد المكروه

الدرجة الثالثة : الظلام الداخل على الذات من عمد المكَروه ، أي من فعل المكروه عمداً . كمن أكل بشماله عمداً ، ونحو ذلك . فهذا العمد إذا وقع من العبد فإنه يُدخِل على ذاته ظلاماً فوق ظلام سهو الحرام ؛ فيقلب له رؤياه أكثر منه . **مثاله** : من رأى شياطينَ دخلت داره ؛ فتعبيره : أن امرأته زانية ، وأن رجالاً يدخلون عليها . ووجه هذا التعبير : أن الشياطين في الرؤيا عبارة عن الزناة ؛ للمشاكلة[٤٣] والمشابهة ؛ والدخول : عبارة عن الوطء ، والدار : عبارة عن الزوجة .

---

(٤٣) المشاكلة : الموافقة والمشابهة . مختار الصحاح .

فهذا التعبير لا بعد فيه ، وليس فيه قلب كثير ، لكن الخبث والظلام كثر في الشيء المقصود بالرؤيا ، لما فيه من المعرّة وهتك الحريم ، وتمزيق العرض . فالظلام قوي في هذه المرتبة في المعبر عنه . وبهذا تعلم أن الظلام يقوى تارة في التعبير ، وتارة في المعبَّر عنه .

عمد الحرام

الدرجة الرابعة : الظلام الداخل على الذات من عمد الحرام ؛ أي من فعل الحرام عمداً . كمن زنى عمداً ، أو أفطر في صيامه عمداً ، أو نحو ذلك . فهذا العمد إذا وقع من العبد أدخَل على ذاته ظلاماً فوق ظلام الدرجة التي قبله . **مثاله** : من رأى أنه يمشي أمام شيخ مسلم ؛ فتعبيره : أنه ذو معاصٍ ؛ وإيمانه صحيح . ووجه هذا التعبير : أن الشيخ المسلم هو إيمان الرائي ، وذلك أن « الشيبَ وكِبَرَ السنّ في الإسلام يدلان على البصيرة فيه » ؛ فلمّا وقع التعبير بالشيخ المسلم عن إيمان الرائي ، علمنا أن إيمانه صحيح ؛ والتقدم أمامه والمشيُ قَبله : يدل على المعاصي ؛ وأن صاحب هذا الإيمان لا يتبعه بل يمشي أمامه ولا يبالي به . فقد قوي الظلام في هذه الرؤيا في التعبير ؛ فإنّ إطلاق الشيخ على الإيمان الصحيح فيه خفاء كثير ؛ والإشارة بالتقدم عليه إلى المعاصي ، مما يخفى أيضاً ؛ فلهذا قلنا : إن الظلام الذي فيه في هذه الدرجة يفوق ما قبله ؛ وفيه أيضاً في المعبر عنه ظلام ؛ إذ المعاصي أمرها جسيم ، وخطرها عظيم .

الجهل البسيط في العقيدة الخفيفة

الدرجة الخامسة : الظلام الداخل على الذات من الجهل البسيط في العقيدة الخفيفة ، وذلك أن **العقيدة على قسمين خفيفة وثقيلة** :

تعريف

فالخفيفة : هي التي لا يخلّد صاحبها في النار ، ولكن يعاقب عليها . **مثل** : اعتقاده أنه تعالى يُرى في الآخرة ؛ وأنه تعالى لا يجب عليه جزاء ؛ ـ أي الثواب والعقاب ـ بل الثواب من فضله ، والعقاب من عدله ؛ وأنه تعالى لا يحتاج في فعله إلى واسطة ؛ وأن سائر الوسائط وما ينشأ عنها من جملة أفعاله تعالى ؛ فالنار وحريقها ، والطعام وشبعه ، والسيف وقطعه ، جميع ذلك من فعله تعالى . وأن الجنّة موجودة الآن ؛ وأن النار موجودة الآن ؛ وأنه تعالى لا يَظلِم أحداً في الدنيا ولا في الآخرة . فهذه هي **العقيدة الخفيفة** ؛ **فمن اعتقدها فهو المؤمن**

لا تأثير بالطبع أو الإيداع

حقاً ، وإيمانه كامل ؛ ومَن جهلها بأن اعتقد : أنه تعالى لا يُرى ؛ وأن الجزاء يجب عليه ؛ وأنه يحتاج إلى واسطة في أفعاله ؛ وأن الجنة والنار غيرُ موجودتين الآن ؛ فصاحب هذا الاعتقاد معاقب يومَ القيامة عقاباً فوق عقاب ذنب المعاصي غيرِ الاعتقادية .

تعريف

وأما **العقيدة الثقيلة** : فهي التي إذا جهلها الشخص لحقه الخلود في نار جهنم . **مثل** : اعتقاد أنه تعالى موجود ، ووجوده بالقدم والبقاء والمخالفة ، وأنه تعالى فاعل بالاختيار ؛ وليس فعله عن طبيعة ولا تعليل ؛ وأنه تعالى هو الخالق لأفعالنا ليس لنا منها شيء ؛ وأنه تعالى لا يشاركه في ملكه كبير في الأرض مثل الملوك والوزراء ، ولا في السماء مثل الشمس والقمر والنجوم وسائر الملائكة ؛ وأنه تعالى سميع وأنه تعالى بصير ، وأنه تعالى عليم . فهذه هي **العقيدة الثقيلة ؛ فإذا اعتقدها العبد مع العقيدة الخفيفة كمل إيمانه** ؛ فإن جَهلها العبد ، أو جهل شيئاً منها ، حقّ عليه الخلود في نار جهنم ـ نسأل الله السلامة ـ .

فإذا فهمتَ هذا ، فلنرجع إلى **الجهل البسيط** في العقيدة الخفيفة ، فنقول : **إنه يُدخل على الذات ظلاماً يفوق ظلام ما قبله** ، ويقلب له رؤياه أكثر منه . **مثاله** : من رأى ميتاً في المنام وهو عالم بأنه ميت وسأله عن حاله وما لقيه من الله ـ عزّ وجلّ ـ ، فجعل الميت يشكو له حالَه وسوءَ فعاله ؛ فتعبيره : أنه يدل على حسن دين الرائي وصلاح آخرته ، وأن المعاصي التي كان فيها سيتوب منها . ووجه هذا التعبير : أن « الموعظة في النوم تؤثر لا محالة » ؛ فإن الله تبارك وتعالى أقامها للعبد مقام الزجر والتخويف ، وما كان من الله تعالى فإنه يُمضيه وينفذه ؛ وليس في طوق العبد أن يلتقي مع ميت يسأله عن حاله ، بل ذلك منه تعالى ، حيث جمع بين الرائي والميت ليسمع منه ما يسمعه ليرحمه تعالى ؛ ولو شاء ـ تبارك وتعالى ـ لتركه متردداً في عمايته . فقد قوي الظلام في تعبير هذه الرؤيا ، وخَفِي فيها الرمز ، ودقّ فيها التعبير أكثر مما قبله . والله تعالى أعلم .

الجهل المركب في العقيدة الخفيفة

الدرجة السادسة : الظلام الداخل على الذات من جهل العقيدة الخفيفة جهلاً مركباً . **مثل** : أن يعتقد أنه تعالى لا يُرى ؛ أو أنه تعالى يجب عليه

الجزاء ؛ ويعتقد أنه على صواب في هذه العقيدة . فهذا الظلام الداخل على الذات من هذا الجهل المركب يفوق الظلام الداخل عليها من المرتبة التي قبلها . **مثاله :** من رأى أنه يأكل من زقوم نار جهنم ، ويشرب من حميمها ؛ فتعبيره : أنه يخوض في الحرام جمعاً ومنعاً ، فهو يجمع الدنيا من غير حلّها ، ولا يصرفها في مستحقها . ووجه هذا التعبير : أن « الحرام يقود إلى دخول جهنم » ، والأكل من زقّومها ، والشرابِ من حميمها . والظلام فيه : من جهة التعبير ؛ من حيث أن الزقوم والحميم مكروهان طبعاً ، والمال محبوب طبعاً ؛ فقد تباينا بالكره والمحبة ، فصار ذلك بمثابة التعبير عن الضدّ بضِدّه . وأيضاً ، فمما يبعد به التعبير أن يكون المعبر عنه في الدنيا والمعبر به في الآخرة ، أو بالعكس ، لتباين الدارين ، ولبعد ما بينهما رمزاً إلى الفظاعة والبشاعة التي في جهنم والزقوم والحميم . فقد قوي الظلام ههنا من ثلاثة أوجه ، وليس ذلك بموجود في شيء مما قبله . والله تعالى أعلم .

الجهل البسيط في العقيدة الثقيلة

الدرجة السابعة : الظلام الداخل على الذات من الجهل البسيط في العقيدة الثقيلة . مثل : من يعتقد شيئاً منافياً لما سبق في العقيدة المذكورة ، وهو بحيث لو عَلِم لرجع . فهذا الظلام يفوق ما قبله . **مثاله :** من رأى أنه دخل جهنم ؛ فتعبيره : أنه مبتلى **بعقوق الوالدين** أو نحو ذلك ، من المعاصي الكبار . ووجه التعبير : ظاهر . وقوة الظلام فيه : من جهة التعبير ؛ لاختلاف الدارين ، فإنّ المرئي في الدار الآخرة ، والمعبّر عنه في دار الدنيا . ومن جهة بشاعة دخول جهنم ، ومن جهة المعبّر عنه الذي هو عقوق الوالدين ، فإنه فوق الخوض في جَمْع الحرام . فلهذا كان ظلام هذه المرتبة أقوى . والله تعالى أعلم .

الجهل المركب في العقيدة الثقيلة

الدرجة الثامنة : الظلام الداخل على الذات من الجهل المركب في العقيدة الثقيلة . مثل : أن يعتقد أن العبد يخلق أفعاله ؛ ويعتقد أنه على صواب في هذا الاعتقاد . فهذا الظلام يفوق الظلام الذي قبله ، ويقلب الرؤيا أكثر منه . **مثاله :** من رأى أنه أخذه مَلَك وألقاه في جهنم ؛ فتعبيره : أنه سيسوقه قَدَر من قدر الله تعالى إلى معصيته . ووجه هذا التعبير : أن « المَلَك » أشير به إلى القَدَر ؛ و « جهنَم » أشير بها إلى المعصية . والظلام فيه : من حيث إنه أشير إلى القَدَر بالمَلَك . فهو في غاية الخفاء ، ونهاية الرمز والدقة ؛ مع بشاعة ذات الرؤيا ؛

فإنَّ أَخْذ المَلَك العبدَ قهراً ، وإلقاءَه إياه في نار جهنّم ، في غاية الأمر المكروه . بخلاف الذي رأى أنه دخل جهنّم ، أو أنه أكل من زقّومها وشرب من حميمها ؛ إذ لا قاهر له وقاسر . فلهذا قلنا : إن الظلام في هذه المرتبة أقوى مما قبله . والله تعالى أعلم .

الجهل البسيط في جناب الحضرة النبوية

الدرجة التاسعة : الظلام الداخل على الذات من الجهل البسيط في الجناب العلي ، ـ أعني جنابَه ﷺ ـ ، **مثل** : أن يعتقد في النبي ﷺ صفة ليس هو عليها ، ولكنه بحيث لو عَلِم لرجع . فهذا الظلام الذي في هذه المرتبة يفوق الظلام الذي قبله ؛ فإنّ « النبي ﷺ هو باب الله ـ عز وجل ـ » ؛ ومن جهل الباب وضلّ عنه فإنه لا يمكنه دخول الدار أبداً ، فلولا هو ﷺ ما صح لنا إيمان بالله ، ولا شيءٌ من خير الدنيا وخير الآخرة . **مثاله** : من رأى أنه رجع شاباً والفَرض أنه كبير . فتعبيره : أنه يدرك دنيا عظيمة ، لا يعمل فيها بطاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ . ووجه هذا التعبير : أن حالة الكبر أشير بها إلى الفقر ؛ والشباب الذي رجع إليه : أشير به إلى الغنى . وقوّة الظلام فيه : من جهة التعبير ؛ فإن الإشارة بالشباب إلى إدراك الدنيا في غاية الخفاء . ومن جهة المعبر عنه ـ الذي هو إدراك الدنيا ـ فإنها رأس الخطايا ، وأصل كل معصية ، لا سيما إن كانت واسعة عظيمة ، كما في [هذه] الرؤيا . ومن جهة كونه لا يَعمل فيها بطاعة الله ـ عز وجل ـ . والله تعالى أعلم .

الجهل المركب في جناب الحضرة النبوية

الدرجة العاشرة : الظلام الداخل على الذات من الجهل المركب في الجناب العليّ ، ـ على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ ؛ **مثل** : أن يعتقد فيه صفة ليس هو عليها ؛ ويعتقد أنه على صواب في تلك العقيدة . فَهذا الظلام الداخل على الذات من الجهل المركب المذكور يفوق كل ظلام قبله . **مثاله** : من رأى أنه يمشي خلف شاب . فتعبيره : أنه يعمل بعمل قوم لوط . ووجه التعبير فيه : ظاهر . وقوة الظلام فيه : من المعبَّر عنه ، إذ عمل قوم لوط من أكبر الكبائر . ـ نسأل الله السلامة بمَنّه وكرمه ـ .

قال ـ رضي الله عنه ـ : وهذه درجات الظلام المنسوبة إلى نظر الذات .

مطلب درجات الطهارة للروح

وأما درجات الطهارة منه المنسوبة إلى الروح : فعشرة أيضاً ؛ وهي : إعدام العشرة الأولى ونقائض لها ؛ ولهذا كانت على عكس ما سبق في الخفة والثقل ؛ فإنّ أثقل درجات العَشَرَة السابقة « **الجهل المركب في الجناب العليّ** » ؛ وعدمُه : هو أخف عشرة الطهارة التي للروح ؛ ويليه في الخفة : « عدمَ الجهل البسيط في الجناب العليّ » . ثم « عدم الجهل المركب في العقيدة الثقيلة » ؛ ثم « عدم البسيط فيها » ؛ ثم « عدم الجهل المركب في العقيدة الخفيفة » ؛ ثم « عدم البسيط فيها » ؛ ثم « عدم عمد الحرام » ، ثم « عدم عمد المكروه » ، ثم « عدم السهو في الحرام » ، ثم « عدم السهو في المكروه » ، وهو أثقلها ؛ لأن عدم السهو في المكروه قد يكون معه الجهل مركباً وبسيطاً في العقيدتين وفي الجناب العليّ ؛ وسنشير إلى أمثلة هذه العلامات العشرة .

ثم اعلم : أن الروح إذا نظرت الرؤيا ببصيرتها ونظرِها الصافي ، فإنها لا تراها إلا على ما هي عليه ، من غير تبديل ولا تغيير ؛ ثم إنها إذا أرادت أن تؤدي ، نظرتْ في الذات ؛ فإنْ كانت طاهرة من الظلام ، معصومة من جميع أوجُهه ، أدّتْها إليها كما رأتها ، من غير تبديل ولا تغيير ؛ وإن كان في الذات ظلام ، فإنّ القلبَ والتعبير يقع على حسبه وقدره عند التأدية ، فيخرج من هذا : أنّ الروح عند تأديتها ما رَأت إلى الذات ، ينقسم تبليغها إلى الذات على هذين القسمين : فالذات الطاهرة : لا يحصل لها قلب عند التأدية ، لأن القلب للرؤيا إنما هو من الظلام ؛ والفَرَض أن الذات طاهرة منه . وأما الذات غير الطاهرة : فإنه يحصل لها قَلْبٌ ، على حسب ما فيها من الظلام ؛ لأن الصفاء وإن وقع كان الظلام لها من وجه آخر . وبالجملة : **فالصفاء إمّا كلّي** : وهو الذي لا يكون إلا في ذوات المعصومين - عليهم الصلاة والسلام - ؛ **وإمّا جزئي** : وهو الذي يكون من وجه دون وجه ، ولهذا كانت درجاته عشرة ولنرتبها على عكس الترتيب الذي في العشرة الأولى فنقول :

الصفاء كليّ وجزئي

مطلب درجات صفاء الروح عشرة.

الدرجة الأولى : عدم الجهل المركب في الجناب العليّ . فهذا الصفاء من هذا الجهل فوق كل صفاء من غيره ؛ ولهذا كانت الرؤيا معه بمثابة ما لا تعبير فيها

أصلاً . **مثاله** : من رأى الحقّ ـ سبحانه ـ راضياً عنه ، فرحاً به ، ضاحكاً له ؛ فتعبيره : أنه مرضي عنه ، وأن أفعاله طاهرة عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

الدرجة الثانية : عدم الجهل البسيط في الجناب العليّ . فهذا الصفاء هو دون ما قبله ، ولكن يليه في المرتبة ، ولهذا كانت الرؤيا معه فيها تعبير قليل . **مثاله** : من رأى أنه يخاصم الملائكة . وتعبيره : أنه سيخرج فيه دماميل ، أو حكة ، أو كسر ، في بعض أعضائه ، بغير سبب عاديّ . ووجه هذا التعبير : أن الذي رأى هو الروح ؛ والملائكة الذين رآهم : هم ملائكة الذات الموكلون بحفظها ؛ والمخاصم لهم : هو الروح ؛ وذلك أنّ الروح لما رأت ما سيقع للذات من دماميل ونحوها ، خاصمت الملائكة الحفظة على الذات ، وكأنها تقول : هذا من تفريطكم فيما استُحفظتم عليه . فهذه الرؤيا بمثابة الكلام الذي حذف منه شيء ، فإذا قُدّر استقام الكلام ، واتضح المرام ؛ وكذلك هنا لو ذكر سبب الخصومة لاتضح أمر الرؤيا ، ولم يكن فيها تعبير أصلاً .

الدرجة الثالثة : عدم الجهل المركب في العقيدة الثقيلة . فهذا الصفاء يلي ما قبله ، ولهذا كان في رؤياه تعبير . **مثاله** : من رأى أنه بين يدي الله ـ تعالى ـ واقفاً فزعاً مرعوباً . وتعبيره : أنه يقع في بلية ويسلّمه الله تعالى منها ؛ وله فيها أجر عظيم . ووجه هذا التعبير : أن الوقوف بين يَدَي الله ـ تعالى ـ لا يكون إلا في الآخرة ولا يكون إلا للمؤمنين ؛ فإن كان هذا المؤمن لم تَصفُ ذاته من الظلام ، فإنه لا يخلو من توبيخ في ذلك المنام ؛ ثم تكون عاقبته النجاة والخلود في الجنة . فإذا رأى النائم أنه واقف بين يديه تعالى على هذه الحالة ، فحقيقة رؤياه ما سبق . والرائي في هذه الرؤيا : هو الروح ؛ والتعبير إنما وقعَ عند التأدية للذات ، لا من ظلام في نظر الروح . فإن كان الرائي لهذه الرؤيا من الأولياء والعارفين أو الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عبّرت بغير ذلك ؛ ويطول بنا ذكر ذلك . والله تعالى أعلم .

الدرجة الرابعة : عدم الجهل البسيط في العقيدة الثقيلة . فهذا الصفاء يلي ما قبله . **مثاله** : من رأى عزرائيل ـ عليه السلام ـ وهو يضحك معه ،

ويفرح به ؛ فهو طول عمر الرائي . ووجه هذا التعبير : أنه ليس للشخص ما يفرح به مع هذا المَلَك الكريم إلا طول العمر . فالظلام الواقع عند التأدية في التعبير : من جهة خفاء الرمز ؛ فإن الإشارة بضحك هذا المَلَك الكريم ، إلى طول عمر الرائي ، مما يدقّ ويخفى . والله تعالى أعلم .

الدرجة الخامسة : **عدم الجهل المركب في العقيدة الخفيفة** . فهذا العدم والصفاء يلي ما قبله . **مثاله** : من رأى أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ؛ فتعبيره : أنه يدل على محبة الرائي للنبي ﷺ محبة عظيمة . والظلام فيها ـ الذي كان عند التأدية ـ : هو من التعبير بأبي بكر عن محبة الرائي له ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ فإنه لا ملازمة بينهما ؛ ولهذا كان ظلام التأدية فيها أقوى من الذي قبله . والله تعالى أعلم .

الدرجة السادسة : **عدم الجهل البسيط في العقيدة الخفيفة** . فهذا العدم يلي ما قبله . **مثاله** : من رأى ملائكة بموضع . فتعبيره : أنه سيبنى فيه مسجد يعبد الله ـ تعالى ـ فيه ، ويسبّح ويقدّس . ووجه هذا التعبير : ظاهر ؛ وظلام التأدية فيه : من بُعد عالم الأنوار ، الذين هم الملائكة المعبر بهم عن عالم الأغيار ، الذي هو المسجد المعبَّر عنه ؛ ولا كذلك ما قبله ؛ فإن الملازمة وإن عدمت بين المعبر به والمعبر عنه ، لكنها من عالم واحد . والله أعلم . التلازم

الدرجة السابعة : **عدم عمد الحرام** . فهو يلي ما قبله . **مثاله** : من رأى إسرافيل بمكان . فتعبيره : أنه يدل على فتنة عظيمة ، ستقع بذلك المكان ، أو فرح عظيم . ووجه هذا التعبير : أن هذا الملك الكريم ـ عليه السلام ـ هو الموكل بالفتنة والأفراح ؛ وإنما كان ظلام التأدية فيه أقوى مما قبله : من جهة أن إسرافيل لم يشتهر بذلك اشتهار عزرائيل بالأعمار ؛ مع بُعد عالم الأنوار عن عالم الأغيار ؛ ففيه ما فيما قبله وزيادة . والله أعلم .

الدرجة الثامنة : عدم عمد المكروه . فهو يلي ما قبله . **مثاله** : من رأى شياطين أحاطوا به . فتعبيره : أن الشياطين لصوص يخرجون عليه ؛ أو سراق يأخذون ماله ؛ أو ناس يغتابونه بغير حقّ . ووجه التعبير فيه : ظاهر . وظلام

التـأديـة فيـه : في المعبر عنـه ؛ فـإنـه من الأمر المكروه عنـد الرائي ؛ ولا كـذلـك ما قبله . والله أعلم .

الدرجة التاسعة : عدم سهو الحرام . فهو يلي ما قبله . مثاله : من رأى القيامة قامت بموضع . فتعبيره : أن حالة ذلك الموضع ستبدل ، فإن كانت على عدل انقلبت إلى ظلم وجور ؛ وإن كانت على عكس فالعكس . وظلام التأدية فيه : في التعبير من جهة بُعد القيامة الحقيقية من الحالة التي أشير إليها ؛ مع أن الانتقال من العدل إلى الظلم بعيد غاية من قيام القيامة ، إذ لا ظلم فيها ؛ فليس هو كما رأى إسرافيل ـ عليه السلام ـ كما سبق ؛ لأنه ـ عليه السلام ـ صاحب الحالتين في التعبير السابق ؛ بخلاف قيام القيامة في مسألتنا . والله أعلم .

الدرجة العاشرة : عدم سهو المكروه . فهو يلي ما قبله ؛ وهو أثقل الجميع ، وأكثر ظلاماً عند التأدية . **مثاله** : من رأى أنه حبيب للشياطين وصديق لهم وخليل . فتعبيره : أن جلساءه لا خير فيهم . ووجه التعبير : ظاهر . وانظر إلى الظلام الذي فيها ؛ فإنه كاد يكون مثل الظلام الذي في نظر الذات ، لأن « المرء على دين خليله » ؛ وإذا كان الجلساء لا خير فيهم ، فالجليس لا خير فيه . فكاد هذا الظلام الذي في الرؤيا يشير إلى خبث الذات ، وسوء صنيعها ، مثل الظلام الذي في الأقسام العشرة المنسوبة إلى الذات ؛ فإنّ كل قسم منها يشير إلى خبثٍ في الذات ؛ وإن اختلفت مراتبها ـ كما سبق ـ والله تعالى أعلم . حديث

[س] فقلت : فمقتضى هذا أن التعبير سببه : هو الظلام الذي في الذات ، وإن اختلف أمره ؛ لأنه في رؤيا الروح أوجب التعبير عند التأدية ، وفي رؤيا الذات أوجبه في نفس الرؤيا ، والنظر كما سبق بيانه ، وإذا لم يكن في الذات ظلام ، لكونها معصومة من سائر الأوجه ، كذوات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ انتفى التعبير لانتفاء سببه ـ الذي هو الظلام ـ ؛ مع أنّا وجدنا كثيراً من مرائي الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وقع فيها تعبير مثل رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ المذكورة في قوله تعالى : [يوسف : ٤] . رؤيا سيدنا يوسف

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ . فإن

الذين سجدوا له حقيقةً هم إخوته وأبواه ؛ بدليل قوله تعالى :

﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ : يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

ومن ذلك رؤيا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، في قوله تعالى :

﴿ قَالَ : يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [الصافات : ١٠٢] . فإن المذبوح حقيقة إنما هو الكبش لقوله تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠٧] .

رؤيا نبينا محمد ﷺ يوم أحد

ومن ذلك رؤيا نبينا ومولانا محمد ﷺ في أمر البقر التي تُنحر ؛ والسيف الذي في ذبابه[٤٤] كسر ، والدرْع الحصينة ، فأوَّلَ البقر : بنَفرٍ من أصحابه يموتون ؛ والكسر الذي في سيفه : برَجلٍ من أهل بيته يموت ؛ والدرع الحصينة : بالمدينة ؛ وأنه إن لم يخرج منها لم ينله مكروه[٤٥] . ومن ذلك رؤياه ـ عليه السلام ـ : الناسَ يعرضون عليه وعليهم قُمص ، منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما دون ذلك ؛ وأنه رأى عمر بن الخطاب ، وعليه قميص يجره ؛ قالوا : فما أوَّلتَها يا رسول الله ؟ قال : « الدين » . إلى غير ذلك من مرائيه ﷺ الكثيرة ، التي فيها تأويل وتعبير .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : نوم الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ليس كنوم غيرهم ؛ فإنّهم في مشاهدة الحقّ ـ ولو ناموا ـ ، ولهذا كانت أعينهم تنام ، ولا تنام قلوبهم . ولهذا كانت مرائيهم تنقسم : إلى معاينة ، وإلى وحي .

رؤياه عليه الصلاة والسلام المسجد الحرام

١ ـ فأما المعاينة : فهو أن يرى النبيُّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ شيئاً في المنام ؛ فتخرج الرؤيا كما شوهدت في المنام ، من غير زيادة ولا نقص ، ولا تبديل ولا تغيير . فمن ذلك : رؤياه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه . آمنين محلّقين رؤوسَهم ومقصرين ؛ فأنزل الله تعالى في ذلك :

---

(٤٤) ذبابة السيف : طرفه الذي يضرب به ا هـ . المصباح .

(٤٥) ذكر نحوه في خطب الرسول ﷺ يوم أحد عن كتاب إمتاع الأسماع جـ ١ ، ورواه قريباً منه الزهري في المغازي ـ وقعة أحد ـ وكذا في سيرة ابن هشام ، ورواه أحمد والنسائي بلفظ : رأيت كأني في درع حصينة ورأيت بقراً تنحر ، فأوّلت أن الدرع الحصينة : المدينة ، وأن البقر : نفر ...

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾ [لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون] [الفتح : ٢٧] .

ولا تنسب الرؤيا ههنا لخصوص الروح ، أو لخصوص الذات ، بل لهما معاً ؛ لاتفاقهما في الصفاء والطهارة .

ليلة المعراج

ومن ذلك أيضاً ، جميع ما رأى ﷺ ليلة المعراج فإنه وقع له - عليه الصلاة والسلام - مرة بروحه(٤٦) ، كما وقع له مرة أخرى بذاته الشريفة(٤٧) . ففي المرّة التي وقع له بالروح يكون رؤيا منام ؛ فذاته نائمة ، والروح رأت ما رأت ؛ ولم يقع في ذلك تأويل ولا تعبير .

حاصل

والحاصل : أن الرؤيا في هذا القسم تكون بمنزلة رؤية البصر ؛ وكما أنه لا تبديل في البصيرة فكذلك لا تبديل في هذه .

٢ - وأما القسم الثاني - وهو الوحي - : فهو كل رؤيا للأنبياء فيها تعبير . وتحقيق ذلك : أن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - لم ير في هذا القسم ما في الخارج ، ولا توجه إليه ، لا بروحه ولا بذاته ؛ وإنما كلّمه الحقّ - سبحانه - بما يريد منه ، من أمر أو نهي ، أو إخبار بشيء ؛ ولكنه تعالى أقام مَقام كلامه العزيز أموراً يخلقها لهم فيرونها ؛ وتكون واسطة في معرفة الوحي إليهم ؛ فهي بمنزلة من يُأمر بالإشارة ، ويُنهى بالإشارة ، ويُخبر عن شيء بالرمز والغمز . فتلك الأشياء التي تقع في مرائيهم أمورٌ وضعها الحقّ - سبحانه - ، للتخاطب فيما بينه تعالى وبين أنبيائه الكرام - عليهم الصلاة والسلام - ؛ وهم يفهمون المراد منها ، كما نفهم نحن المراد من الإشارة المخصوصة ، والغمز والرمز ؛ ولهذا يمتثلونها - عليهم الصلاة والسلام - ، وينزلونها منزلة الوحي في اليقظة .

الأنبياء في مشاهدة دائمة

قال - رضي الله عنه - : وسرّ تلك الأشياء الموجودة في المرائي السابقة هو أن البيان والتخاطب إنما يقع بالأمر الذي فيه المشاهدة ؛ « والأنبياء - عليهم الصلاة

---

(٤٦) انظر تفسير ابن كثير - سورة الإسراء - حيث ذكر الرواية ووجّه لها .

(٤٧) الحديث رواه البخاري والنسائي وأحمد والبيهقي والطبري وابن أبي حاتم وأبو يعلى ، بروايات متعددة يكمل بعضها بعضاً مع بعض اختلاف . ذكرها ابن كثير في تفسيره .

والسلام - في المشاهدة دائماً ولو في حالة النوم » ، وهم في مشاهدة الحقّ - سبحانه - في خليقته بمثابة الطير الذي لا يثبتُ على حالة ؛ فتراه مرة على هذا الغصن ، ومرّة على غصن آخر ؛ ومرّة على هـــذه الشجرة ، ومرّة على شجرة أخرى ؛ ومرّة في الأرض ، ومرّة في السماء . فكذلك هم - عليهم الصلاة والسلام - ، مرّة تحْصل لهم المشاهدة عند رؤيتهم السموات والأرض ؛ ومرّة عند رؤية الكواكب والشمس والقمر ؛ فإذا نظروا إلى ذلك استحضروا عظمة الخالق - سبحانه - ، وحصلت لهم مشاهدة كبيرة ، لا تُكيّف . فإذا أراد تعالى أن يُعلِمَهم في حالة هذه المشاهدة بأمرٍ أجنبي ، فإنّه يريه لهم فيما فيه المشاهدة . وهذا هو الواقع في **رؤيا يوسف** - عليه السلام - ، فإنّه حصلت له مشاهدة الحقّ - سبحانه - وهو نائم عند رؤية الكواكب والشمس والقمر ، لأن روحه عَرَجت إلى السموات ، فحصلت لها المشاهدة المذكورة ؛ فلما أراد الحقّ - سبحانه - أن يُعلمه بسجود أبويه وإخوته له ، أراه السجودَ في الكواكب والشمس والقمر ، التي فيها المشاهدة ؛ وذلك لاشتغال الباطن بما فيه المشاهدة بلا قصد من يوسف - عليه السلام - ؛ إلى غير ما فيه المشاهدة حتى تقع الإرادة فيه .

ضرب مثال

رؤيا يوسف عليه السلام

وكذلك حصلت **لإبراهيم** - عليه السلام - مشاهدة عند استحضاره نعمةَ الحق - سبحانه - على الوالد بولده ؛ وكيف حال تلك النعمة العظيمة ، فلما أراد الحق - سبحانه - أن يُعلِمه بذبح الكبش - الذي هو فداء - ، أراه الذبح فيما فيه المشاهدة - الذي هو الولد - والنعمة به . وهكذا يقال في سائر المرائي المتقدمة . والله أعلم .

رؤيا إبراهيم عليه السلام

هذا ما يتعلق بالقسم الذي هو الإدراكات [وهو القسم الأول ، وبدايته ص ٢٦٤] .

وأما القسم الثاني : وهو الخواطر فقد كنت سألته - رضي الله عنه - عن سبب الرؤيا ؛ وأجابني في ذلك ، ببيان هذا القسم . ونص ما كتبته في ذلك :

من أقسام الرؤيا : الخواطر

[س] وسألته - رضي الله عنه - ذاتَ يوم عما يراه النائم في منامه ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : سببُ اختلاف المنامات وتنوعها اختلافُ

خواطر الذات وتنوّعها ؛ وسبب اختلاف الخواطر وتنوعها غيبيّ ، لا يطّلع عليه أكثر الخلق .

فقلت : وما هو ؟

فقال - رضي الله عنه - : هو فعل الله - سبحانه - في قلب العبد ؛ وفعلُه تعالى في قلب العبد لا يسكن في اليقظة ولا في المنام ، حتى تخرج الروح من الجسد . وكلّ حركة للقلب - منذ وجد العبد إلى مماته - أثرٌ لفعله - تبارك وتعالى - ؛ يريد منها أمراً معيناً بخصوصه ، فيخطر ذلك الأمر على القلب . فإذا تحرك القلب ثانياً ، فلحركته الثانية خطر آخر ؛ وكذا الحركة الثالثة وهلمّ جرّا ؛ فإذا أراد الله بعبده خيراً ، أو علِمه منه ، كان خاطرُ الحركة الأولى خيراً ، وخاطر الثانية خيراً ، وهكذا ؛ فإذا أراد الله بعبده سوءاً كان خاطر الحركة الأولى لما أراد سبحانه من السوء . وهكذا خاطر سائر الحركات ، حتى يتوب الله عليه ، ويريد به خيراً ، فتنقلب الخواطر إلى الخير ، ويتحرك العبد فيه . **فكل أعمال العباد تابعة لخواطرهم ؛ وخواطرهم تابعة لحركات قلوبهم ؛ وحركات قلوبهم تابعة لأفعال الحق - سبحانه - في القلوب وإرادته فيها .** أصل

[**س**] فقلت : وهل هذا معنى كونِ قلبِ العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبه كيف يشاء[٤٨] ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : نعم . فحصل لي وجلٌ عظيم ، وخوف تامٌّ ، من حركات القلوب وتقلّباتها ، وعلمت أن مبنى السعادة بأسرها ، والشقاوة برمتها إنما هو على تلك الحركات . نسأل الله تعالى الذي بيده قلوبُنا ، وتحت قهره وسلطانه جميعُ أمورنا ، أن يحرّكها فيما يُحب ويرضى .

قال - رضي الله عنه - : ثم ثمرات هذه الحركات القلبية - من خير أو غيره - أجَلُها سبعةُ أيام ؛ ومعنى ذلك : أن مراد الله من الحركة يناله العبد ويدركه في ساعتها ، أو بعد ساعتها ؛ وقد يتأخر ذلك ؛ وغاية تأخيره سبعةَ أيام ، فقد يكون

---

(٤٨) فيما أخرجه أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه بلفظ : إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلّبها . وسيأتي أيضاً ص ٢٩٢ .

العبد في يوم يعمل عملاً وحركته تقدمت بيوم أو أكثر ، وما مَثَل ذلك إلا كالنبات ، يظهر بعضه في يوم ويتأخر بعضه ، ويتقدم بعضه ؛ والذريعة واحدة : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

قال ـ رضي الله عنه ـ : فإذا فهمت هذا وعلمت أن الخواطر مرجعها إلى إرادة الحق سبحانه في القلب ، فاعلم أن : **الشخص له حالتان : حالة اليقظة ، وحالة النوم .**

حالة الإنسان نوم ويقظة

فأمّا حالة اليقظة : فالحكم فيها للذات ؛ والروحُ فيها تابعة ؛ وحكمُ الذات : هو الجهلُ ، وعدمُ معرفة الأشياء على حقائقها . فإذا خطر على بال العبد في اليقظة حجّ فإنه يمرّ على خاطره من غير زيادة ؛ وإذا مرّ على خاطره سماءٌ أو جنّة أو نار ، أو نحو ذلك ، فلا يقع للعبد ـ حالةَ اليقظة ـ إلا الشعورُ .

وأما حالة المنام : فإن الذوات تركد حواسّها ، وتسكن جوارحها . وفعلُ الله تعالى في القلب دائم لا يسكن يَقَظَةً ولا مناماً ؛ فإذا تحرك القلب بخاطر واحد ـ مما سبق ـ فإن الروح تتشوف[٤٩] إليه ، لانقطاع حكم الذوات ؛ والروح خلقت عارفة ، فإذا تشوفت[٤٩] إليه أدركته على ما هو عليه ، إدراكاً يقوم مقام رؤية العين . فمن رأى في المنام نفسه فوق السموات ، أو في الحجّ ، أو في موضع خاص من الأرض فسره هو ما ذكرناه ، وهو أن خاطر ذلك الموضع جرى على القلب فتبعته الروح وأدركته على وجهه إدراكاً كإدراك العين والمشاهدة اهـ . الغرض مما كتبته .

والفرق بين هذا القسم ـ الذي هو الخواطر ـ والقسم الأول ـ الذي هو الإدراك ـ وإن كان في كل من القسمين إدراك : أن الإدراك إن كان مسبوقاً بالخاطر فالرؤيا أضغاث أحلام لا تعبّر ، وهي هذا القسم . وإن كان الإدراك غير مسبوق بالخاطر ، بل وقع التوجه والقصد إليه من الذات ، أو من الروح ، من غير تحرّك من الخواطر ؛ فالرؤيا صحيحة وهي تعبّر ؛ وأقسامها : قد سبقت ـ حيث أنهيناها إلى عشرين قسماً[٥٠] ـ . والله أعلم .

---

(٤٩) كذا في بولاق وعثمان . وفي الأزهرية : بالقاف « تتشوق » .

(٥٠) ص ٢٦٦ حتى ٢٧٤ .

رؤيا المؤمن مناماً لسيدنا محمد ﷺ

قال - رضي الله عنه - : وأما من رأى سيد الوجود في المنام ﷺ ، فإن رؤياه تنقسم إلى قسمين : أحدهما : ما لا تعبير فيه ؛ وذلك بأن يراه على الحالة التي كان ﷺ عليها في دار الدنيا التي كان الصحابة - رضي الله عنهم - يشاهدونه ﷺ عليها ؛ ثم إنْ كان الرائي من أهل الفتح والعرفان ، والشهودِ والعيان ، فإنّ الذي رأى هو ذاتُه الطاهرةَ الشريفة . وإن لم يكن من أهل الفتح ؛ فتارة ، تكون رؤياهُ كذلك - وهو النادر - ؛ وتارة ، - وهو الكثير - يرى صورة ذاته الشريفة ، لا عين ذاته ؛ وذلك ، لأنّ لِذَاته الشريفة الطاهرة صُوَراً بها يُرى ﷺ في أماكن كثيرة في المنام وفي اليقظة . وذلك ، لأن لذاته ﷺ نوراً منفصلاً عنها ، قد امتلأ به العالم كلّه ، فما من موضع منه إلا وفيه النور الشريف . ثم هذا النور تظهر فيه ذاته - عليه الصلاة والسلام - كما تظهر صورة الوجه في المرآة ، فأنزل النور بمثابة مرآة واحدة ملأت العالم كلّه ، والمرتسم فيها هو الذات الكريمة . فمن هنا كان يراه - عليه الصلاة والسلام - رجلٌ بالمشرق وآخر بالمغرب وآخر بالجنوب وآخر بالشمال ، وأقوام لا يحصون في أماكن مختلفة في آن واحد ، وكل يراه عنده ؛ وذلك لأن النور الكريم الذي تُرسم فيه الذات مع كلّ واحد منهم . والمفتوح عليه : هو الذي إذا رأى الصورة التي عنده تبعها ببصيرته ، ثم يخرق بنورها إلى محلّ الذات الكريمة . وقد يقع هذا لغير المفتوح عليه ، بأن يمنّ عليه - تعالى - برؤية الذاتَ الكريمة ؛ وذلك ، بأن يجيئه - عليه الصلاة والسلام - إلى موضعه ؛ كما إذا عَلِمَ منه - عليه الصلاة والسلام - كمالَ المحبة ، والصدقَ فيها . فأمْر المسألة موكول إلى النبيّ ﷺ ؛ فمن شاء أراه ذاتَه الكريمة ، ومن شاء أراه صورتها . وله ﷺ ظهور في صور أخر وهي صور عدد الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - ، وصور عدد الأولياء من أمته من لدن زمانه - عليه الصلاة والسلام - إلى يوم القيامة . والعدد المذكور ؛ الصحيح فيه : أنه غير معلوم ؛ وقيل : إنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ؛ فله - عليه الصلاة والسلام - من الصور التي يظهر فيها مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ؛ ومثل هذا العدد في أولياء أمته - عليه الصلاة والسلام - . فله - عليه الصلاة والسلام - الظهور في مائتي ألف وثمانية وأربعين ألفاً ؛ لأن الجميع مستمِدّ من نوره - عليه الصلاة والسلام - . ومن هنا يقع كثيراً

نور ذاته ﷺ

صوره عليه الصلاة والسلام في المنام قيل : ٢٤٨٠٠٠ صورة

للمريدين رؤيته - عليه الصلاة والسلام - في ذوات أشياخهم .

قلت : وقد رأيته ﷺ مرة ، في صورة شيخنا - رضي الله عنه - فاحتضنته - عليه الصلاة والسلام - ، وأردت أن أدخله في باطني ؛ فقال لي الشيخ - رضي الله عنه - : هذا لا يكون في مرّة واحدة ، وإنما يحصل بالتدريج ، شيئاً فشيئاً . يريد : أن دخوله - عليه الصلاة والسلام - في باطن الرائي إنّما يكون بالتدريج . وإنما نَسَبتُ هذا القول للشيخ - رضي الله عنه - ، لأنّه كلّمني من جهة أخرى ؛ والذات التي احتضنتها لم تزد على التبسم والفرح بي . هذا ما تعلق بخاطري ، والله أعلم .

درجات الظلام في رؤيا المؤمن للنبي عليه الصلاة والسلام ستة

القسم الثاني : من رؤياه - عليه الصلاة والسلام - ما فيه تعبير . والتعبير ههنا في درجات الظلام ، لا في تأويل الرؤيا ، فإنها على الحقيقة لا تأويل فيها ، فإنّ من رآه - عليه الصلاة والسلام - فقد رأى الحق[٥١] . ولنُشر إلى درجات الظلام الواقعة في ذلك ، فنقول :

١ - من رآه عليه الصلاة والسلام وهو يحرّضه على الدنيا : فظلام ذاته في الدرجة الأولى ، وهو سهو المكروه ؛ وإنما كان في هذه الرؤيا ظلام لأن الذي عليه ذاته - عليه الصلاة والسلام - هو الدلالة على الحقّ الباقي - سبحانه - لا على الدنيا الفانية .

٢ - ومن رآه - عليه الصلاة والسلام - وقد أعطاه مالاً : فظلامه في الدرجة الثانية وهي سهو الحرام ؛ وإنما كان الظلام هنا أقوى لأن عطاء الفاني ، والتمكين منه ، أقوى من الدلالة عليه .

---

(٥١) قال في المقاصد الحسنة : حديث : « من رآني في المنام فقد رأى الحق » متفق عليه عن أبي هريرة . وفي الباب عن أبي جحيفة عند ابن ماجه ، وعن حذيفة وغيرهما .
وفي لفظ لبعضهم : « فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي » ا هـ . وفي مفتاح كنوز السنة : عدّ بالرمز تحت من كتب الحديث رووه ا هـ . قلت : ويأتي الحديث أيضاً في الباب الخامس ، س ٩ استحضار صورته عليه الصلاة والسلام .

٣ ـ ومن رآه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في موضع قذر : فظلامه في الدرجة الثالثة وهي عمد المكروه .

٤ ـ ومن رآه ـ عليه الصلاة والسلام ـ شاباً صغيراً : فظلامه في الدرجة الرابعة ، وهي عمد الحرام .

٥ ـ ومن رآه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كبيراً ولكنْ لا لحية له : فظلامه في الدرجة الخامسة ، وهي : الجهل البسيط في العقيدة الحنيفة .

٦ ـ ومن رآه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أسوَد : فظلامه في الدرجة السادسة ، وهي : الجهل المركّب في العقيدة الحنيفة .

علم التعبير

واعلم ـ وفقك الله ـ أن تمام تحقيق الكلام على الرؤيا ؛ والعجائب التي فيها ، موقوف على معرفة علم التعبير ، وهو : **من العلوم الموهوبة المستورة** : أي التي يجب سترها وكتمانها . ولي سنين عديدة وأنا أسأل الشيخ ـ رضي الله عنه ـ عن تعبير ما نرى في المنام ، فيقول ـ رضي الله عنه ـ : سَلْني عن كلّ شيء وأذكرُ لك ما عندي فيه ، إلا عن هذا ، فلا تسألني عنه ، فإنّه من الأشياء المستورة . وكم طلبتُه ـ رضي الله عنه ـ في هذا الباب ، وأعدتُ عليه السؤالَ مرة بعد مرة ؛ فيعيد عليّ الجواب بحاله ؛ إلى أن مَنّ الله تعالى بأجوبة سمعتها منه ـ رضي الله عنه ـ فقيدتها ، وهي : التي سبقت في رؤيا أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ : أي التي عبّرها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فردّ عليه النبي ﷺ . وما تكلم معي في هذه المسألة إلا على كره ؛ وقال : إن تمام تحقيق ما تسألُ عنه موقوف على معرفة علم التعبير ؛ ولا يُدرَك بالتعلّم لأنه موقوف على :

شروط علم التعبير

أ ـ معرفة أحوال الرائي الخارجة عن ذاته : ١ ـ ككونه من أهل الحاضرة ، أو من أهل البادية ، ٢ ـ وككونه من أهل العلم ، أو من العوامّ ، ٣ ـ وما حرفته ؟ ككونه بقّالاً أو تاجراً أو صانعاً ، ٤ ـ وهل هو من الأغنياء ، أو من الفقراء ؟ إلى غير ذلك من الأحوال التي لا تكاد تنحصر .

ب ـ وعلى معرفة أحواله الباطنية من : ١ ـ كون الروح أمدّت الذات بجميع

أجزائها ، وهي : ثلثمائة وستة وستون جزءاً ؛ أو ببعضها ، ٢ ـ وهل هو الأكثر ، أو الأقل ؟ ٣ ـ وكيف وضع سرّ العقل في الذات ؟ ٤ ـ وفي أي شيء يجول فكر الرائي وخاطره ؟ حتى لو فرضنا مائة رجل جاؤوا إلى العالِم بهذا العلم ؛ وقال كلّ واحد منهم : إني رأيت في المنام أني شربت عسلاً ، فإنه يُعبّر لكلّ واحد تعبيراً لا يلاقي تعبير الآخر ؛ لأن التعبير موقوف على ما سبق من الأحوال الظاهرة والباطنة ؛ ولا يتفق فيها اثنان من تلك المائة فضلاً عن ثلاثة . فهذه غاية الفائدة والسلام .

[س ٤] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن معنى قوله ﷺ في الإحسان :
« أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ »[٥٢] .

ضرب مثال

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ مبيّناً له بضرب مثال : إن رجلاً ـ مثلاً ـ لو جاء إلى فضاء لا يَرى فيه أحداً ؛ وجعل يهتف باسم غني من الأغنياء ، وهو غائب عنه ، ويقول : يا سيّدي فلان ، أعطني كذا ؛ عاملني بكذا ؛ أنا محتاج إلى كذا . فإنه في صورة المتلاعب لا في صورة السائل ، وكل من رآه يهزأ به ويضحك منه ؛ فإذا كان يرى ـ في ظنّه ـ أن ذلك التلاعب هو غاية السؤال ، وأنه عاكف على باب ذلك الغني ؛ كان هذا أيضاً منه غاية الوبال ، وزيادةَ ضلال على ضلال . قال : ولو أنه لم يسأل ذلك الغني حتى وقف بين يديه وجعل يسأله بلسانه ؛ فإنه لا يسأله بلسانه حتى تخضع له ذاته ، وتذل له أركانه ، ويبلغ الأرض بين يديه ، ويتطارح عليه بما أمكنه ، ولا يُبقي شيئاً من الخضوع إلا أظهره في جوارحه ؛ وحينئذ ، يَنظر فيه ذلك الغني نظرَ رحمة ، ويعطيه سؤالَه ، فيظن الظانّ أنه أعطاه لأجل سؤاله اللساني ، وهو إنما أعطاه لأجل خضوعه الباطني الذي ظهر عليه في سائر أركانه ، ومن المحال أن يكون في تلك الساعة سكن غيرُ ذلك الغني في باطنه .

قال ـ رضي الله عنه ـ : فإلى هذا المعنى الذي في المثال ، وافتراق الحالين الذي فيه ؛ أشار ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله : « أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ » [الحديث المتقدم] .

---

(٥٢) رواه مسلم عن عمر وسيأتي .

أي : مَنْ عَبَد الله على صفة الحضور بين يديه ـ تعالى ـ فقد أحسن عبادته ؛ ومن لا ، فلا . **وعلامة العبادة على الحضور وعلى الغفلة : أن يَنظر إلى** باطن العابد وقت العبادة ؛ فإن كان معموراً بمشاهدة أمورٍ فانية ، وحوائجَ شاغلةٍ عنه تعالى ، فهو بمنزلة الرجل الأول ؛ وإن كان الباطن خالياً من غيره تعالى ، منقطعاً إليه ، ومقبلاً عليه ـ تعالى ـ بالكلية ، كان صاحبه بمنزلة الرجل الثاني .

علامة

[س] فقلت : فقد اختلف حديث « البخاري ومسلم » ، فإن « البخاري » قدّم الإيمان ، وثَنّى بالإسلام وثَلّث بالإحسان ؛ و « مسلمٌ » قدم الإسلامَ ، ثم الإيمانَ بعده ، وثَلّث بالإحسان .

حديث أركان الدين

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : المختار عندي صنيعَ « البخاري » وما في حديثه ، فإن الإسلام إنما هو ثياب الإيمان ، فالإيمان سابق ، والإسلام بعده .

[س] فقلت : فالإسلام سابق على الإيمان ، بدليل قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٤] .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : نحن نتكلم في الإسلام الحقيقي المذكور في حديث جبريل الذي هو ثياب الإيمان ؛ فإن اختلاف الشيخين « البخاري ومسلم » إنما وقع فيه ، أما إسلام من أسلم بلسانه ، وبظاهره فقط ، فهو خَواء على خَواء ، ولا شيء في يد صاحبه ؛ وإنما هو بمنزلة من رأى قوماً يرمون الرصاص بالمدافع ، ويضربون بها ؛ وينصبون المدافع نحو الإشارة والهدف ، ويُحدقون أعينهم ويقوسُونها ، وينظرون كيف يرمون ، وهل يصيبون الغرض ، أم لا ؟ فجاء هذا الرجل الناظر إليهم وتشابه بهم ، فجعل يمد يداً ويقبض أخرى ، ويجعل ذلك قائماً مقام المدفع ؛ ثم جعل يقوس عينيه ، وينظر هل يصيب ، أم لا ؟ فإذا خرجت مدافع أولئك القوم كَذَب مدفَعُه هو ، لأنه لا مدفع له .

ضرب مثال

قال ـ رضي الله عنه ـ : فهذا مثال من أسلم بلسانه فقط ؛ فهو يصلي وباطنه يقول : لا صلاة لك ؛ ويصوم ، وباطنه يشهد بأنه لا صيام له ؛ ويزكي ويحج

ويجاهد ، وباطنه يقطع بأنه إنما فعل ذلك صورةً ؛ فظاهره في وادٍ ، وباطنه في واد آخر . كما أن ذلك الرجل يعلم أنه لا مدفع له في يده وإنما هو متلاعب . كذلك المنافقون ، يعلمون أنهم ليس في أيديهم شيء من أمور الإسلام .

قلت : صدق ـ رضي الله عنه ـ في هذا المثال ، وقد حكى الله عز وجل عن المنافقين ما في هذا المثال حيث قال تعالى :

﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة : ١٤].

ولقد فضح الله حالَ المنافقين بهذا المثال من سوء طويّتهم ، وخُبث سريرتهم ، بما لا مزيدَ عليه . ولقد كنت قبل سماع هذا المثال أحسب أن لهم صلاة وصياماً وحجاً وزكاة وجهاداً بالقلب والباطن ، وإنما لم تقبل منهم لكفرهم . فلما سمعت هذا المثال ، انكشف لي أمرُهم ، وتبين لي وجهُ كونهم أخبثَ الكفرة . نسأل الله السلامة بمنّه وفضله .

[س ٥] وسألته رضي الله عنه : عن حديث المطلب بن حنطب عن أنس بن مالك[٥٣] ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : حديث شريف مُشكل

« نَظَرْتُ فِي ذُنُوبِ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ آيَةٍ أُوتِيهَا رَجُلٌ فَنَسِيهَا » .

وقلت له : إن الترمذي نقل عن البخاري : أنّ الحديث معلول لكون المطلب بن حنطب لم يسمع من أنس بن مالك ؛ فيكون الحديث « منقطعاً » بين المطلب وأنس . وروي مثله عن أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ . فهؤلاء الثلاثة الترمذي والبخاري وأحمد بن حنبل[٥٤] أعلّوه بما سبق ؛ نقل عنهم ذلك الإمام أبو

---

(٥٣) أنس بن مالك (١٠ ق هـ ـ ٩٣ هـ) : جده النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري . صاحب رسول الله ﷺ وخادمه إلى أن قبض فارتحل بعدها إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات بها . وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة . روى عنه البخاري ومسلم (٢٢٨٦) حديثاً . دعا له الرسول عليه الصلاة والسلام ا هـ . من الأعلام .

(٥٤) أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) : هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل . طلب علم الحديث صغيراً ، ورحل لأجله إلى الشام والحجاز واليمن وغيرها . أجمع على إمامته وتقواه وورعه وزهادته . يحفظ ألف ألف =

محمد عبد الحق الإشبيلي(٥٥) في « الأحكام الكبرى » ، والحافظ ابن حجر في « شرح البخاري » ، والشيخ عبد الرؤوف المناوي في « شرح الجامع الصغير » .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : الحديث صحيح ، ونوره ﷺ فيه ، ولكنْ ليس هو فيمن حفظ الآية ثم نسيها ، أي : نسي لفظها ؛ وإن كان عاملاً بها ؛ وإنما هو : في الذي بَلَغه القرآن فأعرض عنه ، ومنع ذاته من نوره ، واستبدله بضدّه من الظلام ، بأن أعرض عن الحقّ الذي هو فيه ؛ وتبع الضلال الذي هو ظلام مبعِدٌ عن الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة .

قال : كحال المنافقين في زمانه ﷺ . فالحديث وارد فيهم ، وعليهم نازل ، وإليهم يشير ؛ لأنهم من أمّة الإجابة ، التي هي الأمة الخاصة فيما يظهر للناس . وليس في ذنوب أمة الإجابة أعظم من نفاقهم وكفرهم الباطني ، نسأل الله السلامة .

[س] فقلت : فما نور القرآن الذي تشيرون إليه ؟

مطلب

نور القرآن ثلاثة

[ج] فقال - رضي الله عنه - : فيه ثلاثة أنوار ، **الأول :** نور الدلالة على الله ، **الثاني :** نور امتثال الأوامر ، **الثالث :** نور اجتناب النواهي . فمن مَنَع ذاته من دخول هذه الأنوار الثلاثة فيها ، - وهو يسمعها في القرآن - فهو المراد بالحديث .

قال - رضي الله عنه - : والآية تصدق بآية اللفظ التي يتعلق بها الحفظ ؛

= حديث . وكان لا يدع قيام الليل وله ختمة في كل يوم وليلة . له المسند الكبير أعظم المسانيد وأحسنها وضعاً وانتقاداً ، انتقاه من أكثر من (٧٥٠,٠٠٠) حديث .

امتحن في بدعة خلق القرآن وسجن ثم أفرج عنه . مات ببغداد ، وأسلم يوم جنازته (٢٠٠٠٠) من اليهود والنصارى . من أقواله : لا تكتبوا العلم عمن يأخذ عليه عرضاً من الدنيا . رأى ربه (٩٩) مرة فقال : لئن رأيته تمام المائة لأسألنه عما ينجي العبد من أهوال يوم القيامة . فلما رآه المائة سأله فقال : تلاوة كلامي يا أحمد ...! قال : يارب بفهم أو بغير فهم فقال : بفهم وبغير فهم ا هـ سبل السلام ١١/١ الطبقات ٥٤/١ وغيره ا هـ .

(٥٥) عبد الحق الإشبيليّ (٥١٠ - ٥٨١ هـ) : المعروف بابن الخراط . من علماء الأندلس ، فقيه ، حافظ عالم بالحديث ، مشارك في الأدب وقول الشعر . له « المعتل في الحديث » ٦ مجلدات ، و « الأحكام الشرعية الكبرى » ٦ مجلدات ، و « الأحكام الصغرى » و « الأحكام الوسطى » ، و « الجامع الكبير » ٢٠ مجلداً وغيرها . توفي في « بجاية » بالمغرب . ا هـ من الأعلام .

والتلاوة تصدق بآية المعنى ، التي يتعلق بها العمل والامتثال . وهذه الثانية هي ذات الأنوار الثلاثة ؛ وهي المراد من الحديث المذكور .

قال ـ رضي الله عنه ـ : والآية عند المؤمن من الله تعالى بمنزلة الصكّ الذي فيه الحقّ ، فإنّ صاحب الحقّ لا يُضيّع صكّه ، وإن ضيّعه وفرّط فيه ضاع حقّه . فكذلك الآية ، فيها حقّ للمؤمن ؛ فإنْ حَفِظ الآية وعمل بما فيها ، ثَبَت حقه عند الله ـ تعالى ـ ؛ واستوجب بها دخول الجنان ؛ وإن فرّط فيها وأعرض عنها استهزاء واستخفافاً كان هو صاحبَ الذنب العظيم ، المشار إليه في الحديث ، والله أعلم .

حديث شريف مشكل

[س ٦] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن حديث :

« تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُمِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ »(٥٦) .

فقلت : الجنّة اعترفتْ للنار بأنّها هي الغالبة ، حيث اختصت بالمتكبّرين ؛ وهي إنما يدخلها المستضعفون .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : المسكن في الدار الآخرة تابع لحال ساكنيه ؛ فإن كان ساكنوه أهلَ كبر وعجب وخُيلاء ، سرى إلى المسكن شيء من أوصاف ساكنيه ؛ وإن كان ساكنوه أهلَ تواضع وانكسار وفقر واضطرار ، سرى شيء من ذلك إلى المسكن أيضاً . ولا يخفى أنَّ أهل جهنم أربابُ تكبّر وتجبّر ، وأن أهل الجنة أربابُ تواضع وانكسار ؛ فظهر على جهنّم أوصاف ساكنيها ؛ وظهر على الجنّة أوصاف ساكنيها . فظاهر الكلام خرج في المحاجّة بين الجنّة والنار ؛ والمقصود إظهار باطن أهل هذه ، وباطن أهل هذه . فلذلك ذَكَرتِ النارُ في احتجاجها ما فيه أنانيةٌ واستكبار ، وذَكَرتِ الجنّة في احتجاجها ما فيه تواضع وانكسار . وإذا تأملتَ علمتَ أن الحجة قائمةٌ للجنّة على النار ، لأنه رجع حاصل الاحتجاج إلى : أن الجنّة كأنها

---

(٥٦) الحديث رواه مسلم والترمذي بلفظ : احتجت الجنة والنار فقالت الجنة : يدخلني الضعفاء والمساكين . وقالت النار : يدخلني الجبارون والمتكبرون . فقال الله للنار : أنت عذابي أنتقم بك ممن شئت . وقال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من شئت . ولكلٍّ واحدة منكما ملؤها . ا هـ من الفتح الكبير ١ / ٤٩ .

قالت : إني لا يدخلني إلا عباد الله المتواضعون الخاشعون العارفون بربهم ـ عز وجل ـ ؛ وإلى : أن النار كأنها قالت : لا يدخلني إلا المتكبرون المتجبرون ، الجاهلون بربهم ، المطرودون عن حضرته وساحة رحمته . وبالجملة : فكَأَنَّ الجنة قالت : إني لا يدخلني إلا أحباب الله ـ تعالى ـ ، وكأن النار قالت : إني لا يدخلني إلا بغضاء الله .

قلت : وهذا الجواب في غاية الحسن وبه ينتفي الإشكال السابق وينتفي به أيضاً إشكال آخر ؛ وهو أن يقال : لِمَ لَمْ تقل الجنة : إنّي يدخلني أنبياء الله ورسله وملائكته وعباده المؤمنون . فيكون هذا حجة لها على النار ؛ فما بالها حتى أظهرت المغلوبيّة وقالت : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطهم ، ولم تذكر أشرافَ الناس وأفضلهم ، وهم الأنبياء والرسل ..!؟ وذلك لأنا نقول : إن ذلك هو قصدها ، وكأنها نطقت به وقالته ؛ وإنما أخرجت الكلام في الصورة السابقة إظهاراً للتواضع والانكسار الذي في باطن أهلها ؛ فكلّ واحد من ساكنيها لا يرى في مخلوقات الله أفقر منه ؛ فيرى نفسه أضعف الناس ، وأفقرهم ، وأحوجهم إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ والله أعلم .

حديث حين انقطع الوحي عنه ﷺ

[س ٧] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عما في الحديث :

« من أنَّ سَيِّدَ الْوُجُودِ ﷺ لَمَّا تَأَخَّرَ عَنْهُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ في ابْتِدَاءِ الْوَحْيِ كَانَ يَصْعَدُ إِلَى شَاهِقِ جَبَلٍ وَيُرِيدُ أَنْ يَرمِيَ نَفْسَهُ شَوْقاً إِلَى لِقَائِهِ فَيَبْدُو لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُ : إِنَّكَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَيَسْكُنُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ » [رواه البخاري وأحمد ، نحوه] .

فقلت : إلقاء النفس من الشاهق يوجب قتلها ، وهو من الكبائر ، وإرادة فعل ذلك والعزم عليه معصية والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولا سيا سيدَ الوجود ﷺ معصومون من جميع المعاصي قبل البعثة وبعدها ..!!؟

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : أعرف رجلاً رمى بنفسه في بدايته من حلقة داره إلى أسفل تسعين مرة في يوم واحد ولم يضره ذلك شيء ؛ كما لا يضرّه النوم على الفراش . ذلك لأن الروح في البدايات لها الغلبة على الذات ؛ ونسبة الأكوان

للروح على حد السواء ؛ فهي تتربع في الهواء كما تتربع على الأرض ، وتنام في الهواء مضطجعة كما ينام الشخص على فراشه ؛ والحجر والحرير والصوف والماء في عدم الضرر عندها على حد السواء ؛ فلا ألم في ذلك الإلقاء لو وقع منه ﷺ ، فضلاً عن القتل ؛ وحينئذ فالعزم عليه لا شيء فيه .

قلت : **ومن هذا ما يُشاهد في أرباب الأحوال** ؛ فترى الواحد منهم إذا نزل به حال ضرب الحائطَ برأسه على ما فيه من الجهد ولا يقع في رأسه خَدْش فضلاً عن غيره . فلله هذه المعارف الصادرة عن شيخنا ـ رضي الله عنه ـ ...!!

قلت : والرجل الذي رمى بنفسه تسعين مرة هو شيخنا ـ رضي الله عنه ـ بنفسه ، سمعت ذلك منه حين أجابني عن هذا السؤال .

قال ـ رضي الله عنه ـ : وهم يعرفون أن ذلك الإلقاء ونحوه لا يضرّهم شيئاً ، ولا يدفع عنهم شيئاً مما نزل بهم ، إلا أنه طبعٌ في الذات فتفعله على مقتضى طبعها وعادتها ؛ قال : كالذي يضرب بالمركز ويستعين بالصوت الذي يحكي بقولنا ا هـ . فهو يعلم أنه لا ينفعه ولكن يفعله طبعاً . والله تعالى أعلم .

حديث شريف مشكل

[س ٨] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن معنى ما في الحديث من :

« أنَّ اللهَ تعالى يَأْتِي لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَوْقِفِ فِي صُورَةٍ لاَ يَعْرِفُونَهَا ، فَيَسْتَعِيذُونَ بِاللهِ مِنْهُ وَيَقُولُونَ : هذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَنَا عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمْ رَبُّهُمْ فِي صُورَةٍ يَعْرِفُونَهَا ، فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّداً » [رواه البخاري ومسلم بنحوه] .

ما المراد بالصورة الأولى والثانية ؟ فإن ابن العربي الحاتمي[٥٧] ـ رضي الله عنه ـ ذكر في رسالته لفخر الدين [الرازي] ـ رحمه الله ـ : إن هذا الأمر لا يعرفه إلا أولياء الله .

---

(٥٧) محي الدين بن العربي قدس سره (. . ـ ٦٣٨ هـ) : أجمع المحققون من أهل الله عز وجل على جلالته في سائر العلوم . لقبه الشيخ أبو مدين بـ (سلطان العارفين) . كان يكتب الإنشاء لبعض ملوك المغرب . ثم تزهّد ، وتعبّد ، وساح ، ودخل مصر ، والشام والحجاز والروم وفي كل بلد له مؤلفات .. =

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : المراد بالصورة الحالة ؛ فهما حالتان للباري سبحانه . ففي حالة ـ وهي الأولى ـ يجهله المؤمنون ؛ وفي حالة ـ وهي الثانية ـ يعرفه المؤمنون . وذلك أن الحبيب إذا أراد أن يخاطب حبيبه ، خرج منه إلى الحبيب مع الكلام أنوار من الحنانة والشفقة والاتصالات التي بينهما . وأما إذا خاطب الواحدُ عدوه ، فإنه لا يَخرج مع خطابه شيء من تلك الأنوار ؛ بل يخرج الكلام عارياً منقطعاً عنها ؛ وهذا أمر معلوم في العادة ، فإن الحبيب إذا خاطب حبيبه ، تراه يلين له الخطاب ، ويتعطف عليه ، وتكثر رأفته به وينبسط معه غاية الانبساط ؛ وإذا خاطب عدوه انقبض وانكمش ، وكلح وعبس وبَسر وتولّى . إذا فهمت هذا **فالحالة الأولى** للحقّ سبحانه : خاطب فيها مجموع الأمّة ، أحبابه المؤمنين وأعداءه المنافقين ؛ فخَرَج الخطاب بغير الأنوار التي يعرفها المؤمنون من ربهم ؛ وإنما كانوا يعرفونها منه ـ عز وجل ـ ، لأنها في ذواتهم وأرواحهم ؛ وقد أمدّهم بها في دار الدنيا ؛ فإذا سمعوا الخطاب على الهيئة الأولى استعاذوا بالله ، وقالوا : « لستَ أنت ربّنا » [أي] بل ربنا بيننا وبينه علامة وهي : الأنوار التي تكون مع خطابه ؛ فإذا قالوا ذلك قَصَدَ بخطابه ـ عزّ وجلّ ـ خصوصَ المؤمنين ، وقصره عليهم ، فأطلق الأنوار مع الخطاب . فإذا هبّت عليهم أنوار الخطاب ، وأحسّوا بها علموا أنه هو ربّهم ـ سبحانه ـ ، فخروا له سُجّداً . وهي **الحالة الثانية** التي يعرفونه عليها . وإنما لم يطلق تعالى الأنوار مع « الخطاب الأول » لأن الخطاب

= وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يحطُّ عليه كثيراً ثم ترجمه بالولاية والعرفان والقطبية . قبره في دمشق ، بنى عليه السلطان سليمان بن عثمان قبّة عظيمة وتكية يُزارُ حتى اليوم . من أشهر أصحابه : الإمام محمد القونوي (ـ ٦٧٢ هـ) الذي دفن بجواره ا هـ . ملخصاً من الطبقات ١ / ١٨٨ .

قلت : وانتصر لابن العربي الإمام النووي والشعراني في كتبهم والعلامة ابن عابدين في حاشيته الشهيرة ورسائله . واعتبره الأمير عبد القادر الجزائري شيخه بالروح وكَتَب المواقف يشرح كلامه . جاء في القاعدة « ٢٠٧ » من قواعد التصوف لزروق : حذَّر الناصحون من ... فتوحات الحاتمي ، بل كلَّ كتبه أو جُلّها ... [ثم قال] فلزم الحذر من شوارد الغلط ، لاتجنبُ الجملة ومعاداةُ العلم .

ولايتم ذلك إلا بثلاث : قريحة صادقة ، وفطرة سلية ، وأخذ مابان وجهه وتسليم ماعداه وإلا هلك الناظر فيه ، باعتراضٍ على أهله ، وأخذِ الشيء على غير وجهه ... ا هـ .

ـ من أقواله : « احذر هذا الطريق ... من حقق علمه وحاله نال عز الأبد ؛ ومن فارق التحقيق فيه هلك وما نفد » ملاحظة : غالباً مايطلق عليه « ابن عربي » تميزاً له عن « ابن العربي المالكي » .

موجّه إذ ذاك للمجموع الذي فيه الأعداء . وفي الحالة الثانية : حجبَ الأعداء ، وخصّ بخطابه الأحباب ؛ فخرج مع الكلام الأنوارُ التي يشاهدونها في ذواتهم ، ويَرَون أسرارَها في ظواهرهم وفي بواطنهم .

[س] فقلت : فالمؤمنون الذي جهلوه في « الحالة الأولى » ، ما المراد بهم ، هل جميعهم أو عامتهم ؟

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : هم العامّة فقط ؛ أما الخاصة العارفون بربهم فلا يجهلونه في حالة من الأحوال .

[س و ج] فقلت : وهل « الخطاب الأول » كان للجميع أو العامة ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : إنما كان للعامة فقط ؛ وفي يوم القيامة تُخرق العوائد ، فيكلّم الربُّ ـ سبحانه ـ رجلاً واضعاً رأسه في حجر رجل فيسمعه الرجل الواضع رأسه في الحجر ؛ ولا يسمعه الآخر . وبالجملة : فلا يسمع الكلام إلا من أريد به ؛ وغيرُه يحجب عنه ، ولو كان في غاية القرب من سامعه .

قلت : وكذا قال ابن العربي في الرسالة المتقدمة : إن العارفين بالله لا يجهلونه في الحالة الأولى ، وإنما يجهله المحجوبون . وهذا الكلام في غاية الحسن ، ونهاية اللطافة ، جمع فيه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ بين المعنى الشريف اللطيف الذي لا تنكره العقول ، وبين تنزيه الباري ـ جلّ جلاله ـ عن الصورةِ ، والإتيان والمجيء ؛ فإنه على تفسيره ـ رضي الله عنه ـ لا إتيان ، ولا مجيء ، ولا صورة ـ تعالى ربّنا عن المجيء والصورة ـ .

[تنبيه] وأما ما ذكره الشيخ الشعراني في كتابه « كشف الران عن وجوه أسئلة الجان » في شأن الصورة المذكورة في هذا الحديث فلا يخفى ما فيه ؛ فليحذره الواقف عليه !!.

وقد نقل الحافظ ابن حجر في الشرح [شرح البخاري] عن ابن فورك الأستاذ ـ رحمه الله ـ ما يقرب من تأويل شيخنا ـ رضي الله عنه ـ ؛ وإذا وقفتَ على كلام ابن فورك علمتَ مكانة شيخنا ، وجلالته في المعرفة ، ـ نفعنا الله به آمين ـ .

[س ٩] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن حديث :

« إِنَّ قَلْبَ الْعَبْدِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ »[٥٨] .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : الأصبع هنا معنوية ، وهي : التصرف التي يكون بها ، فالمراد : بين تصرفين من تصرفات الرحمن .

[س] فقلت : وما المراد بالتصرفين ؟

[ج] فقال : مقتضى الذات ومقتضى الروح ؛ فإن الذات مأخوذة من التراب ، فهي تميل إلى الشهوة ؛ والروح مخلوقة من النور ، فهي تميل إلى المعارف والحقائق ؛ فهما في تناقض وتصادم دائماً .

تصرف الروح وتصرف الذات

فقلت : وما الغالب منهما ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : الروح : هي المتصرفة في الحركات ، والذات : هي المتصرفة بالأسرار . فالروح غالبة من حيثُ الحركةُ ؛ والذاتُ من حيث سرُّها الخبيث . ولذا قلّ الشاكر من العباد حينئذ فهما كشقّيّ الرحى ؛ فالروح بمنزلة الشقّ الفوقاني ، لأنه هو المتحرك ؛ والذات بمنزلة الشقّ السفلاني ؛ لكن يفرض فيه غليان وحريق ، حتى تكون الرحى الفوقانية كالدائرة على الطنجير ، فهي تُؤثّر فيه ظاهراً ، وهو يُؤثّر فيها باطناً ، ـ أعاذنا الله من دَرْك الشقاء وسوء القضاء ـ .

[س] فقلت : فإن العلماء ـ رضي الله عنهم ـ فَسَّروا التصرفين بلمّة المَلَك ولمّة الشيطان .

الخواطر النفسية

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : **المَلَك والشيطان** عارضان تابعان . والذي فسّرنا به هو الأصل ؛ وذلك لأن كلّ ذاتٍ ـ طاهرةٍ أو غيرِ طاهرةٍ ـ لها خواطر ؛ وتلك الخواطر هي الموجبة لفلاحها أو لهلاكها ، و**المَلَك والشيطان** تابعان للخواطر ؛ فإن كانت مَرضيّة تبعها المَلَك وأتى بما يُرضي ؛ وإن كانت غيرَ مرضيّة تبعها الشيطان وأتى بما تقتضيه ، وذلك أن كلّ خاطر لِذَات فهو سرّها ؛ فإن كان

---

(٥٨) رواه مسلم بلفظ : إن القلوب قلوب بني آدم ... وابن ماجه وأحمد نحوه . وتقدم ص ٢٧٨ .

ضرب مثال

طاهراً فهي طاهرة وإلا فلا . مثاله في المحسوسات : إذا أخذتَ مُدّاً من قمح ، ومُدّاً من شعير ، ومُدّاً من حِمّص ، ومُدّاً من فول ؛ ثم طحنت كلّ واحد على حدته ، وجعلته طعاماً ، ثم بخرته في الكسكاس[٥٩] ؛ فإذا أخذتَ تتأمل في بخار كلّ طعام وجدتَه مبايناً للآخر ، ووجدتَه يشير إلى حقيقة صاحبه .

فكذلك الخواطر منزلتها من الذوات منزلة تلك الأبخرة من الأطعمة ؛ فشأن الخواطر عظيم ، وخَطْبها جسيم ؛ والمدار كله عليها ، والمَلَك والشيطان تابعان لها ؛ فكم خاطرٍ يجعل صاحبه في عليين ، وكم خاطرٍ يجعل صاحبه في أسفل سافلين ...! . والخواطر المَرضيّة : هي مقتضى الروح ، وظهرت في الذات لطهارتها ، والخواطر الخبيثة : هي مقتضى طبع الذات وشهوتها . والله أعلم .

حديث شريف مشكل

[س ١٠] وسألته - رضي الله عنه - عن حديث :

« الْحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي أَرْضِهِ »[٦٠] .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : هو على التشبيه ، فإنّ من أراد أن يدخل في حُرمة مَلِك وجنابه وحماه بادر فقبّل يمينه . وكذا من أراد أن يدخل في رحمة الله وكنفه فليقبّل الحجر الأسود ، فهو من الله تعالى بمنزلة اليمين من المَلِك .

قلت : وكذا ذكر الغزالي في تأويله حرفاً حرفاً ، فانظره في « كتاب التفرقة » . والله تعالى أعلم .

حديث شريف مشكل

[س ١١] وسألته - رضي الله عنه - عن حديث :

« يُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ ثُمَّ يُذْبَحُ » [رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة والدارمي وأحمد] .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : هو حديث صحيح ، خرج من شَفَتي النبيّ

---

(٥٩) وهو وعاءان ، الأول يغلى فيه ماء ، والثاني مغلق عليه يسخن بفضل البخار الحاصل في الأول فيطهى به . وهو مشهور عند المغاربة .

(٦٠) ورد بألفاظ متعددة قريبة منه ، رواه الديلمي في مسند الفردوس والخطيب وابن عساكر .

ﷺ والمراد به ملك في صورة كَبْش ويذبح ، زيادةً في نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار . وهذا من أعزّ ما يطلبه الملائكة ؛ **فإنهم يقولون في سجودهم : اللهم اجعلنا نعمة لعبادك المؤمنين وسبباً في رحمتهم** . ولا يعرف حقّ المؤمن إلا المَلَك ، وإنما أوَّلنا الحديث لأنّ الموت عبارة عن تفرق الأحباب ، فالذات ترجع إلى التراب ، والروح لعالمها ؛ فهو عدم الاتصال والاجتماع الذي بينهما .

دعاء الملائكة في سجودهم

قال لي ـ رضي الله عنه ـ : أمّا ذبح ملك في صورة كبش فشاهد بالبصيرة وعليه ـ والله أعلم ـ يحمل الحديث . وقال لي : إن الناس إذا دخلوا الجنة تحدثوا ولا سيا في اليوم الأول بما كان في دار الدنيا ولا سيا ألم الموت ، فلذا ينعّمهم ـ تبارك وتعالى ـ ويفرّحهم بذبحه في صورة كبش والمذبوح ملك .

أحاديث تسبيح الحصى وحنين الجذع وغيرها

[س ١٢] وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول في أحاديث[٦١] تسبيح الحصى ، وحنين الجذع ، وتسليم الحجر ، وسجود الشجر ، ونحوها من معجزاته ﷺ : إن ذلك هو كلامها وتسبيحها دائماً . وإنما سأل النبيُّ ﷺ ربّه أن يزيلَ الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا ذلك منها .

فقلت له : وهل فيها حياة وروح ؟ فقال : لا ؛ **ولكن المخلوقات كلّها ، ناطقها وصامتها ، إذا سُئِلت عن خالقها قالت بلسان فصيح : الله هو الذي**

---

(٦١) حنين الجذع : حديثه متواتر أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر رجلاً وذلك أن مسجد النبي ﷺ كان مسقوفاً على جذوع النخل ، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فصُنع له المنبر ثلاثَ درجات ليسمع الناسَ خطبته لمّا كثروا ؛ فلما قعد ﷺ خار الجذع حتى تصدع وانشق ؛ وفي رواية جأر كجؤار الثور ، حزناً على رسول الله ﷺ حتى ارتج المسجد لجؤاره ؛ فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر ، فالتزمه وهو يخور ، فلما التزمه سكت ؛ ثم قال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزناً على رسول الله ﷺ ، فأمر به ﷺ فدفن .

تسبيح الحصى : حديثه رواه البزار والطبراني عن أبي ذر .

وتسبيح الطعام : روى حديثه البخاري من حديث ابن مسعود .

تسليم الحجر : روى حديثه الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه .

وانجذاب الشجرة وتسليمها : روى الحديث القاضي عياض في الشفا عن بريرة رضي الله تعالى عنه .

وإخبار الشاة المشوية له ﷺ : كان ذلك في غزوة خيبر .

وتأمين أسكفة الباب وحوائط البيت ثلاثاً على دعائه ﷺ للعباس وبنيه . روى حديثه البيهقي وغيره عن =

خلقني . فافتراق المخلوقات إلى ناطق وصامت ، وحيوان وجماد ، بالنسبة إلى المخلوقات ، فيما يعرف بعضهم من بعض ؛ وأما بالنسبة إلى الخالق - سبحانه - فالكلّ به عارف ، وله عابد وخاشع وخاضع ؛ فإن **الجمادات لها وجهتان : وجهة إلى خالقها** ؛ وهي فيها عالمة به عابدة له قانتة . **ووجهة إلينا** ؛ وهي فيها لا تعلم ولا تسمع ولا تنطق ، وهذه هي التي سألَ النبيُّ ﷺ ربَّه أن يدفعها عن الحاضرين حتى تظهر لهم الوجهة الأخرى ، التي إلى الخالق - سبحانه - . وباعتبار وجهة الخالق قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

الجمادات لها وجهتان

[س] ومن هذا المعنى أجابني عن حكاية سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - مع الضفدع ، لما استكثر السيد داود - عليه السلام - تسبيحَه لربه - عزّ وجلّ - ، فشاهدَ الضفدعَ المذكور يسبّح طولَ عمره ، لا يفتر طرفةَ عين ، فاستصغر سيدنا داود - عليه السلام - حالته التي كان استكثرها .

[ج] فقال - رضي الله عنه - لي في الجواب : إن سيدنا داود - عليه السلام - شاهدَ من الضفدع حالته في الوجهة إلى الحق - سبحانه - ، وهي حالة الباطن ، فإنّ التسبيح فيها دائم لا فتور فيه .

حكاية سيدنا داود مع الضفدع

ومن هذا المعنى ، الحكايةُ التي ذكرها لنا شيخنا عن سيدي محمد اللهواج المتقدم ذكره[٦٢] في شيوخه - رضي الله عنه وعنهم وعنّا بهم - ، فسمعته - رضي الله عنه - يقول وقد مهّد للحكاية كلاماً على عادته - رضي الله عنه - : إن للأرض عِلْماً هي حاملته ، وعارفة به ، كما يحمل أحدنا كتاب الله - عز وجل - ويعرفه ؛ وكذا لكل مخلوق من الجمادات عِلم وهو حامل له ؛ فقلت : فتكون عاقلةً عالمة ؛ كيف وهي جماد..!؟

= أبي أسيد الساعدي ا هـ . ملخصاً من الشفا وغيره ، وانظرها مفصلة فيه عند ذكر معجزاته ﷺ . وقال الإمام السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى جـ ٢ ص ١٨٧ (باب اختصاصه ﷺ بأنه أول النبيين خلقاً ..) : أنه [صلى الله عليه وسلم] جُمع له كل ما أوتيه الأنبياء من معجزات وفضائل .. وعدّ العز بن عبد السلام من خصائصه : تسليم الحجر وحنينَ الجذع .. ونبع الماء من بين أصابعه .. وعدّ غيره انشقاق القمر . وذكر البيهقي أن معجزاته [صلى الله عليه وسلم] تبلغ ألفاً وقيل : ثلاثة آلاف ا هـ . ملخصاً .

(٦٢) ص ٥٨ .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : إنما كانت جماداً في أعيننا ، وأما بالنسبة إلى خالقها ـ سبحانه ـ فهي به عارفة ، قال : وما خلا مخلوق ـ أيّ مخلوق كان ـ عن قوله : الله ربي . فهي سارية في كلّ مخلوق . وكذا ما خلا مخلوق ـ أيّ مخلوق كان ـ عن الخضوع لخالقه ـ سبحانه ـ والخوف منه ، والخشية له ، والوجل من سطوته . والناس يظنون حيث وجدوا أنفسهم جاهلين بما عليه الأرضَ وغيرَها من الجمادات أنهم يمشون على جماد ؛ ويجيئون ويذهبون على مَوَات ؛ وذلك هو الذي أخلاهم وأهلكهم .

الجمادات عارفة بربها سبحانه

قال ـ رضي الله عنه ـ : **ولو علم الناس ما عليه الأرض ما أمكنَ أحدٌ أن يعصي اللهَ عليها أبداً .**

قال ـ رضي الله عنه ـ : وقد كنت قبل أن يُفتح عليّ مع سيدي محمد اللهواج ـ وكان مفتوحاً عليه ـ فخرج معي إلى العين السخونة بناحية « خولان » ، نقطع البَلَح الذي في النخل الكائنة هناك ، المُحبسة على ضريح سيدي « علي بن حرزهم » . قال : فمررنا على « دار ابن عمر » المعروفة خارج « باب الفتوح » أحد أبواب فاس ـ حرسَها الله ـ ؛ وهناك عين تجري . فأخذتُ السنارة وجعلت فيها خبزاً ، وأردت اصطياد الحوت لكثرته بتلك العين ؛ فأبى عَليّ سيّدي محمد ؛ فحلفت لأصطادنّه ، فذهب معي إلى العين فرميت السنارة فيها وبقرب عنصر الماء حجرة كبيرة ، فسمعتها تقول ـ بالصياح ـ : الله الله ، فما فرغَت العينُ حتى صاح كل حجر هناك ؛ ثم صاح كل حوت هناك إلاّ الذي أكل الطعام الذي في السنارة . ومعنى ذلك الصياح : الله الله ، أما تتقي الله يا من اشتغل بالاصطياد ؟ قال ـ رضي الله عنه ـ : فدخلني من الخوف والرعب في تلك الساعة ما يختارُ الواحدُ عليه ، أن لو رُبط في حبل ثم رُفع إلى أعلى مكان ، وجُعل في خازوق على كُلاّب ، حتى يخرج منه .

صورة من كشف مبين للشيخ رضي الله عنه في بدايته

فقلت : وبم حصل لكم هذا الأمر الشديد ؟

فقال : كما إذا كان شخص لم يَرَ ثوراً قط ، ولا سمع به ، ثم مسح له على عينيه ، فوجد نفسه بين يدي ما لا يحصى من الثيران . كيف يكون حاله ..!؟

ضرب مثال

فقلت : فكأنكم تقولون : إن الـذي حصل لكم من الخوف إنما حصـل من خرق العادة .

(فقال) : نعم . إنما حصل لنا ذلك من مشاهدة ذلك الخارق للعادة .

فقلت : وهل سمعتم قولها السابق الخارق للعادة بلغة العرب أم بلغة الجمادات ؟

فقال ـ رضي الله عنه ـ : بلغة الجمادات ؛ ولها لغات وألْسُن تليق بذواتها وجماداتها ؛ وسماعُنا لها يكون بالذات كلّها ، لا بالأُذُن التي في الرأس فقط .

الوليّ حال بدايته

ثم قال ـ رضي الله عنه ـ : وهذا المشهد إنما يكون للولي في حال بدايته ؛ وأما بعد ذلك فإنما يشاهد الفعل من الخالق ـ سبحانه ـ ؛ فيشاهد الخالقَ ـ سبحانه ـ ، يخلق فيها كلاماً وتسبيحاً وغير ذلك مما يكون فيها ؛ ويشاهدها ظروفاً خاوية ، وصوراً فارغة .

فقلت : وهذا لا يختص بها ، بل يكون له هذا الشهود حتى في بني آدم وغيرهم من العقلاء .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : نعم ، لا فرق في شهوده بين الجميع .

معرفة الجمادات بخالقها

قال ـ رضي الله عنه ـ : وما ذكرناه من حال الجمادات في معرفتها بخالقها سبحانه ، إنما يعرفه رجل خرج عن عالم السموات والأرض ، وتباعد عنه حتى صار ينظره كالكرة بين يديه ؛ ثم ينظر إليه بالنظر القوي الخارق ، الذي لا أعرف اليوم من ينظر به ، إلا أن يكون ثلاثة من الناس ؛ فإذا نظر بذلك النظر القوي ، رأى ما قلناه عياناً ؛ ورأى كلَّ مخلوق لله ـ تعالى ـ من هذه الجمادات إما ساجداً له ـ عزّ وجلّ ـ ، وإما قائماً مُنَكَّس الرأس ـ من خشيته ـ على هيئة الراكع . وأولُ ما يَرى ـ على هيئة الراكع ـ الأرضَ بنفسها . والله تعالى أعلم .

كشف مبين للشيخ رضي الله عنه

قال ـ رضي الله عنه ـ : وكنت ذات يوم خارج « باب الفتوح » بناحية « ضريح سيدي أحمد اليمني[☆] ـ رحمه الله تعالى ـ » جالساً تحت زيتونة ؛ فبينما أنا

(☆) أحمد اليمني (ـ ١٠٠٧ هـ) : المغربي المجذوب له كرامات دفن بـرويتة الصاحب . اهـ جامع كرامات الأولياء ٣٣٢/١ .

كذلك إذ بجميع الحجر صغيره وكبيره ، والأشجارِ ، والأغصانِ ، تسبّح اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ بلغاتها ؛ فكدت أهرب مما سمعت . قال : وجعلت أصغي إلى بعض الحجر فأسمع منه أصواتاً عديدة ، فقلت : حجر واحد وله أصوات عديدة ..! فتأملته ، فإذا هو معجون اجتمعت فيه عدة أحجار ؛ فلذلك تعددت الأصوات فيه .

قلت : وحصل له هذا أوائل فتحه ـ رضي الله عنه ـ .

وقريب من هذا ما سمعته منه ـ رضي الله عنه ـ يذكر في شأن العجماوات من الحيوانات . فسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن الثور إذا رأى ثوراً آخر تكلم معه فيما وقع له في سائر يومه ؛ فيقول له : رَعَيتُ عُشْبَةَ كذا وكذا ، وشربتُ ماءَ كذا وكذا ؛ وبقي في خاطري كذا وكذا . فيجيبه الآخر بمثل ذلك ؛ ويتحدثان بما شاء الله . وفي كلامهما تقطيع وتقدير ، بمنزلة الحروف والمخارج في كلامنا ؛ ولكن ذلك محجوب عنا . وكذا كلام سائرِ الحيواناتِ والأشجار والأحجار ؛ كما أنه حُجب عنها سماع كلامنا بمخارجه وحروفه المقطعة ، بل لا يسمعون منه إلا صياحاً وأصواتاً . وأما من فتح الله عليه فإنه يسمع كلامها ، ويفهم معناه ، ويعرف التقطيعات التي فيه ؛ وفهمه له بالروح ؛ **والروح تعرف المقاصد والأغراض قبل النطق بها .** وما دمتَ لم تر مفتوحاً عليه من العَجَم ومفتوحاً عليه من العَرَب ، وهما يتحدثان سائرَ يَومِها ؛ يتكلم هذا بعجميته ، ويجيبه الآخر بعربيته ؛ فإنك لم تر شيئاً ..!!

كلام الحيوانات

خصائص للروح

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : كم مرةٍ أذهب لأقضي حاجتي في بيت الوضوء فأرجع من غير قضائها ، لما أسمع من ذكر الماء لاسم الجلالة .

قلت : وقد سبق شيء من هذا في معرفة اللغات حيث تكلمنا على أجزاء العلم [ص ١٥٨] ، وفي الخوف التام [ص ١٤٨] الذي هو من أجزاء النبوة . والله تعالى أعلم .

[**س ١٣**] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن حديث البزّار[٦٢] عن أنس مرفوعاً :

---

(٦٢) البزّار (... ـ ٢٩٢ هـ) : هو الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعلّل ، والصغير . أخذ عن الطبراني وغيره ، وذكره الدارقطني وأثنى عليه . توفي بالرملة ا هـ . نيل السلام ١ / ٧٢ .

« قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : صِفْ لَنَا كَلَامَ رَبِّ الْعِزَّةِ وَكَيْفَ سَمِعْتَهُ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ صَوْتَ الرُّعُودِ وَالصَّوَاعِقِ الْقَاتِلَةِ لِحِينِهَا فِي أَحْلَى حَلَاوَةٍ سَمِعْتُ فَذَلِكَ هُوَ كَلَامُهُ . وَقَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ هَلْ كَلَّمْتَنِي بِجَمِيعِ كَلَامِكَ ؟ فَقَالَ : يَا مُوسَى إِنَّمَا كَلَّمْتُكَ بِقُوَّةِ عَشْرَةِ آلَافِ لِسَانٍ ؛ وَلَوْ كَلَّمْتُكَ بِجَمِيعِ كَلَامِي لَذُبْتَ مِنْ حِينِكَ » .

[ج] فقال لي ـ رضي الله عنه ونفعنا بعلومه ـ : المراد بصوت الرعود والصواعق القاتلة لحينها « لازِمُه » من الخوف الذي يحصل للشخص عند سماع ذلك الصوت ، فإنه خوف لا يُكَيَّف ولا يطاق ؛ وكذلك الذي يسمع كلام الحقّ ـ سبحانه وتعالى ـ يحصل له من الخوف والهيبة ما يعمّ سائر أجزاء ذاته ، حتى ترى كلّ جوهر من جواهر ذاته ، يخاف وحده خوفاً تاماً ، مثل ما يخافه الشخص بكماله ؛ وترى كلَّ عِرق من عروقه ، وكلَّ جزء من أجزائه ، يرتعد ويكاد يذوب ، لولا لطفُ الله ـ تبارك وتعالى ـ . والمراد بقوله : « في أحلى حلاوة » سعةُ الألطافات والرحمات والإنعامات الحاصلة لموسى [عليه السلام] في ذلك الوقت ؛ وما يَلْتَذ به كلّ عرق من عروق من يسمع ذلك الكلام الأزليّ ؛ وليس المراد بالصوت الصوتَ على حقيقته ، بل هذا يستحيل في حق الله ـ تعالى ـ . وأما قوله : « إني كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان » فمعناه : أن الله تعالى أزال الحجاب عن موسى حتى سمع من « مدلولات كلامه تعالى » ما لو عُبِّر عنه بعشرة آلاف لسان في لحظة واحدة لكان ذلك مقدار ما سمع من مدلولات كلامه تعالى ؛ نظير ما سيأتي في المفتوح عليه ، أنه لا تختلط عليه الأصوات ولا يشغله سمع عن سمع ، وحينئذ فلو فَرضتَ عشرةَ آلاف لسان توجهت إلى موسى ، فألقى إليها سمعه وفهمها في لحظة من غير ترتيب ولا سَبْقية ، لكان هذا ما أشار إليه في الحديث . قال ـ رضي الله عنه ـ : وهذا « سماع الروح » ، لا سماع الذات ؛ وذلك أن « عِلْم الروح » لا ترتيب فيه ؛ فإذا توجّهتْ ـ مثلاً ـ إلى علم من العلوم مثل : النحو أو الفقه ، فإن جميع مسائله تحضر عندها في لحظة ، وكذا قراءتها ؛ فإذا أرادتْ أن تقرأ القرآن العزيز ، فإنها تقرؤه بجميع حروفه ، مع إتقان مخارجها وصفاتها ، في لحظة واحدة .

لازم

مدلول

سماع الروح وسماع الذات

سمعت هذا الجواب منه ـ رضي الله عنه ـ في بدايته ، وذلك أني كنت جالساً في مسجد « عين علون » ، وبيدي « الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور » ؛ فتعثرتُ

منه على هذا الحديث . فقلت في نفسي : يا ليت الشيخَ حاضر ، حتى أسأله عن معناه ..!! . فلم ألبَث أن جاءني - رضي الله عنه - وجلس بإزائي ؛ ففتحتُ الكتاب ، وقلت : يا سيدي ، إني كنت أتمنى أن أسألك عن حديث فيه ، فقال رضي الله عنه : وأنا إنما جئتك لأجل الجواب ، فَسَل . فذكرتُ له الحديث ، فذكرَ الجوابَ السابق - رضي الله عنه ونفعنا بعلومه - .

[س ١٤] وسمعته - رضي الله عنه - يقول : في قوله ﷺ :

« مَا خَفِيَ عَلَيَّ جِبْرِيلُ إلاَّ فِي هذِهِ الْمَرَّةِ » .

كما عند مسلم ، حيث أخرج حديث جبريل في السؤال عن الإيمان والإحسان ، وقال : ردّوا السائل ؛ فطلبوه ، فقال : « ذلِكَ جِبْرِيلُ وَإِنَّمَا خَفِيَ عَلَيَّ هذِهِ الْمَرَّةِ » .

[ج] فقال رضي الله عنه : في هذا الخفاء من التبجيل لنبينا ﷺ والتكريم له ، والتعظيم لقدره الرفيع شيء لا يطاق ، ولا يعرفه إلا من رحمه الله - تعالى - ، وذلك أن ذاته ﷺ قد يحصل لها في بعض الأحيان استغراق في مشاهدة الحقّ - سبحانه - ، فتنقطع الذات بجميع عُلَقها وتولهها ، وجميع عروقها وأجزائها ، وغمور نورها في نور الحق - سبحانه - ؛ فتبقى منقطعة عن غيره ، لكنها محفوظة ؛ فلا تفعل إلا الحقّ ، ولا تنطق إلا به ، فإذا رأى الملائكةُ هذه الحالة حصلت للنبيّ ﷺ وهم يعلمون أنه لا يطيقها غيره من مخلوقات الله - عزّ وجلّ - وأنه - عليه الصلاة والسلام - لا يشعر بهم ؛ حينئذ ؛ بادروا واغتنموها وسألوه عن الإيمان ، وأخذوه عنه ، وشيّخوه فيه ، فيقول له المَلَك - وقد جاءه في صورة أعرابي - : جئتُ يا رسولَ الله لأومن بك ، ولأصدّقك ؛ فعَلِّمْني كيف أومن بالله وبرسوله ؛ فيعلّمه .

[س] فقلت : ولِمَ يتعلمون الإيمان منه ، ويأخذونه عنه ؛ وهم عباد الله المكرمون ، وملائكته المقربون ؟!!

[ج] فقال - رضي الله عنه - : جاه نبيّنا ﷺ عظيم ، وكلّ من أخذ الإيمان عنه ، ولم يبدّل ، فإنه لا يرى صراطاً ولا ناراً ، فاغتنم الملائكة فرصتها .

[س] (فقلت) : ولِمَ لا يسألونه في غير هذه الحالة ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : إذا رُدّ - عليه السلام - إلى حسّه ، وعَرَفهم ملائكة ، وعلموا بأنّه عرفهم ، فإنه لا يمكنهم - والحالة هذه - أن يجعلوا أنفسهم كالأعراب على الحقيقة حتى يخرج لهم الجواب من ذاته الكريمة ، مع نوره ومدده . بخلاف ما إذا كان منقطعاً إلى الحقّ - سبحانه - ، وصارت الذات لا تسمع من المتكلم إلا نطقَه وكلامَه ؛ فإنّ الجواب يخرج على الحالة المطلوبة .

[س] فقلت : وهل الملائكة يعرفون الحالة التي يُردّ فيها إلى حسّه ﷺ ، والحالة التي ينقطع فيها إلى الحقّ - سبحانه - ؟

[ج] فقال لي - رضي الله عنه - : لا يخفى ذلك عليهم ، ولا على من فتح الله بصيرته . والله تعالى أعلم .

[١٥] وسمعته رضي الله عنه يقول في حديث :

« مَا مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ وَقَدْ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ؛ وَمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ إلاَّ وَحْياً يُتْلَى » [رواه البخاري بنحوه عن أبي هريرة] .

إن معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانت من جنس ذواتهم وما يتعلق بها ؛ فمنها : ما يوهب لهم بعد الكبر . ومنها : ما يتربّى مع ذواتهم في حال صغرهم إلى أن تظهر عليهم حالَ الكبر ؛ ومعجزة نبينا ﷺ كانت من الحقّ - سبحانه - ، ومن نوره ومشاهدته ومكالمته ؛ وذلك لقوّته ﷺ ذاتاً وعقلاً ونفساً وروحاً وسراً ؛ حتى إنه لو أعطيت مشاهدته ﷺ لجميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لم يطيقوها . فلذلك قال : « ما كان الذي أوتيته إلا وحياً يتلى » يعني : أن معجزته ليست من جنس معجزاتهم ، ولو كانت معجزاتهم بلَغت من الفخامة وضخامة القدر ، بحيث إنه يُؤمن عليها وبسببها جميعُ البشر . ومعجزاته ﷺ فوق ذلك كلّه ، لأنها من الحقّ - سبحانه - لا منه . ثم ضربَ - رضي الله عنه - مثلاً : بملك كلّما تزايد له ولد أرسله إلى موضع يربى فيه ، ويُرسل مع كلّ واحد حاجةً نفيسة ، مثل ياقوتة ، ليعلم بها ويعرف أنه ولد الملك ؛ إلى أن تزايد له ولد فتركه ضرب مثال

عنده ؛ وجعل هو يربيه بنفسه ، ويتولى جميع أموره ؛ فلا يكيَّفُ ما يحصل لهذا الولد من كمال المعرفة وكمال سريان سرّ أبيه فيه ؛ ولا يقاس ما حصل في إخوته من سرّ المَلِك بما حصل فيه أبداً ..!!

قال - رضي الله عنه - : وقد كان بعض الصحابة يتمنى أن يظهر على النبيّ ﷺ بعضُ معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، فيلتفت إلى ذلك النبيّ ﷺ ويرى ما خصه به المولى الكريم ، فيدركه حياء عظيم .

ضرب مثال

ثم ضرب - رضي الله عنه - مثلاً بالذي مَكّنه المَلِك من جميع مُلكه ؛ وأطلق يده فيه ، يتصرف كيف شاء ، وجعل بعضُ أصحابه يتمنى له قرية يتصرف فيها .

وسمعته - رضي الله عنه - مرة أخرى يقول : **إنما مَثَل الأسرار والأنوار التي في القرآن** والمقاماتِ التي انطوى عليها ، والأحوالِ التي اشتمل عليها ، كمثل من فَصّل كِسوة ، وجعل فيها قلنسوة وقميصاً وعِمامة وجميع ما يلبس ، وطرحها عنده ، فإذا نظرتَ إلى الكُسوة ؛ ثم نظرت إلى جميع المخلوقات ، علمتَ أنه لا يطيق لباسها وتحملّها إلا ذاتَ النبيّ ﷺ ، وذلك لقوّة خص الله بها الذات الشريفة .

معرفة النبي ﷺ ومقارنتها بمعرفة الأنبياء

وسمعته مرة أخرى يقول في بيان كون مشاهدة النبيّ ﷺ لا تطاق : « **إن المشاهدة على قدر المعرفة** » ، وإن المعرفة حصلت للنبيّ ﷺ حين كان الحبيب مع حبيبه ولا ثالث معهما . فهو ﷺ أول المخلوقات ؛ فهناك سُقيت روحه الكريمة من الأنوار القدسية ، والمعارف الربانية ، ما صارت به أصلاً لكلّ ملتمِس ، ومادةً لكلّ مقتبِس ؛ فلما دخلت روحُه الكريمة في ذاته الطاهرة سكنتْ فيها سُكنى الرضا والمحبة والقَبول ، فجعلت تمدّها بأسرارها ، وتمنحها من معارفها ؛ والذات تترقى في المعارج والمعارف ، شيئاً فشيئاً ، من لدن صغره ﷺ إلى أن بلغ أربعين سنة ، فزال السّتر حينئذ الذي بين الذات والروح ، وانمحى الحجاب الذي بينهما بالكلية ، وحصلت له ﷺ المشاهدة التي لا تطاق ، حتى صار يشاهد - كمشاهدة العيان - : أن الحقّ سبحانه هو المحركُ لجميع المخلوقات ، والناقلُ لهم من حيز إلى حيز ؛ والمخلوقات بمنزلة الظروف وأواني الفخّار ، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ؛ فأرسله الله تعالى - وهو على هذه المشاهدة والمخلوقات - في عينيه - ذواتٌ خالية ، وصورٌ

فارغة ـ ، ليكون رحمة لهم ، فلا يرى الفعلَ منهم حتى يدعوَ عليهم فيهلكوا ، كما فعل الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قبله مع أممهم ؛ ولهذا استعجلوا دعواتِهم وأخّرت دعوةَ نبينا ﷺ شفاعةً إلى يوم القيامة ؛ فصارت دعوتُه رحمةً على رحمة ؛ وظهر مصداق قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . ومصداق قوله ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ لِلْخَلْقِ » [رواه ابن سعد والحكيم الترمذي عن معاوية ، والحاكم في المستدرك مرسلاً] .

وهذا أولُ بداية له ﷺ في المشاهدة ، وفي كل لحظة يترقى ويعرج في مقاماته التي لا تكيف .

(فقلت) : وهل بقي فوق ذلك شيء ؟

فقال ـ رضي الله عنه ـ : لو عاش نبينا ﷺ إلى زماننا هذا ما وقف في الترقي ؛ فإن كمالات مولانا تعالى لا نهاية لها .

[س] فقلت : فالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا تفوتهم المشاهدة السابقة إذ لو لم يكن معهم إلا مجردُ الإيمان بالغيب بأن الله ـ تعالى ـ هو الخالق لنا ولأفعالنا ، لكانوا بمنزلة عوامّ المؤمنين .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : حصلت لهم المشاهدة بلا شك ، لكن الستر لم يُزل بالكلّيّة ؛ وفي مشاهدة نبينا ﷺ زال بالكلّيّة .

ثم تكلم ـ رضي الله عنه ـ بحقائق كشفية ، ورقائق عرفانية ؛ العقول من ورائها محجوبة ؛ إلى أن (قال ـ رضي الله عنه ـ) : ففي القرآن العزيز من الأنوار القدسية ، والمعارف الربانية ، والأسرار الأزلية شيء لا يطاق ، بحيث إن سيدنا موسى [عليه السلام] صاحب التوراة ، وسيدنا عيسى [عليه السلام] صاحب الإنجيل ، وسيدنا داود [عليه السلام] صاحب الزبور ، لو عاشوا حتى أدركوا القرآن وسمعوه لم يسعهم إلا اتباعُ القرآن والاقتداءُ بالنبيّ ﷺ في أقواله ، والاهتداء به في أفعاله ، ولكانوا أولَ من استجاب له ، وآمن به ، وقاتل بالسيف أمامه .

قلت : وقد ورد بمعنى هذا الكلام الحديث عن النبيّ ﷺ الذي يقول فيه :

« لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّيْنِ لاَتَّبَعَانِي »[٦٣] . أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - وانظر ابن حجر في آخر كتاب التوحيد[٦٤] فقد أطال في تخريج طرق هذا الحديث ؛ ولولا أنه أجنبي عن غرض الكتاب لأثبتناه هنا . والله أعلم بغيبه وأحكم .

[س ١٦] وسألته - رضي الله عنه - عن قوله ﷺ :

« وَاللهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ وَلاَ عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ » [رواه البخاري بنحوه في غزوة تبوك] . يخاطب الأشعريين ، ثم حملهم - عليه الصلاة والسلام - بعد ذلك . والنبيّ ﷺ لا يقول إلا الحقّ ، ولا يتكلم إلا بالصدق .

مشاهداته ﷺ

[ج] فقال - رضي الله عنه - : النبيّ ﷺ لا يتكلم إلا بالصدق ولا يقول إلا بالحقّ ، **وكلامه ﷺ يَخرج على حسب باطنه ومشاهدته** ، وهو ﷺ يكون **تارة ، في مشاهدة الذات العلية** ؛ وفي هذه المشاهدة لذةٌ عظيمة ، لا تكيف ولا تطاق ، ولا يماثلها شيء في الدنيا ؛ وهي لذة أهل الجنّة في دار الجنّة . **وتارة ، يكون في مشاهدة الذات وقوتها وسلطان قهرها** ؛ وفي هذه المشاهدة خوف وانزعاج بسبب مشاهدة القوة وسلطان القهر . وفي هاتين المشاهدتين يكون غائباً عن الخلق ، ولا يشاهد منهم أحداً . وقد سبق شيء من هذا في حديث :

« مَا خَفِيَ عَلَيَّ جِبْرِيلُ » [تقدم ص ٣٠٠] . فراجعه . **وتارة يكون في مشاهدة قوة الذات مع الممكنات** ؛ فيشاهد القوة سارية في الممكنات ، وفي هذه المشاهدة تغيب الذات العلية عن الباطن وتبقى أفعالها ؛ وفي هذه المشاهدة الثالثة يحصل امتثال الشرائع وتعليم الخلق وإيصالهم إلى الحق ؛ فجميع ما ينطق به النبي ﷺ لا يعدو هذه المشاهدات ؛ فتارة يكون على الأولى ، وتارة على الثانية ، وتارة على الثالثة ؛ والحديث المذكور خَرَج على الثانية ، فإنه عليه الصلاة والسلام

---

(٦٣) أخرجه أبو نعيم عن عمر بلفظ : لو أن موسى كان حياً اليوم ما وسعه إلا أن يتبعني .

(٦٤) أي في شرحه على البخاري .

كان غائباً في مشاهدة الذات وقوتها ، وهو غائب عن نفسه فضلاً عن غيره ، فلما قالوا له : « يا رسول الله احملنا » ، وصادفوه في هذه المشاهدة ، قال لهم :

« وَاللهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ وَلاَ عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ » [الحديث تقدم ص ٣٠٤] .

وهو كلام حقّ ؛ فلما رجع إلى مشاهدة الكائنات وصادف ذلك مجيءُ الإبل له ، جرى على حكم هذه المشاهدة وما تقتضيه ، من اتباع الأوامر والقيام بحق الخلق ، فقال : « أين الأشعريون » فدُعُوا ، فأعطاهم ، فقالوا : يا رسول الله إنك حلفت أن لا تعطينا ، وقد أعطيتنا ؛ فأجابهم ﷺ بما يقتضي أنَ حَلِفه أوّلاً كان على ما تقتضيه تلك المشاهدة ، التي كان عليها حينئذ ؛ فقال :

« مَا أَنَا حَمَلْتُكُمْ وَلكِنَّ اللهَ حَمَلَكُمْ » .

أيْ : إنّي حلفت على : أنّي لا أحملكم ، ولا عندي ما أحملكم عليه ؛ وهذا هو الكائن ، فإن الحامل لكم هو الله تعالى ، لا أنا . فهو إخبار عن كونه ما قال إلا الحقّ ، ولا تكلم إلا بالصدق .

[س ١٧] فقلت : فلِمَ كَفَّر عن يمينه عليه الصلاة والسلام حينئذ ، حيث قال : « إنّي لا أحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا إلاَّ كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ »(٦٥) ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : لَمْ يكفّر النبي ﷺ عن يمينه في هذه القصّة ، والذي ذكره بعدُ في الحديث إنما هو ابتداءُ كلام ، وتأسيسُ حكم ، وإعطاء قاعدة شرعية ؛ ولم يصدر منه ﷺ تكفير في هذه القصة رأساً .

قلت : وإلى هذا ذهب الأكابر من الفحول كالحسن البصري وغيره . فلله ما أصحَّ عرفان هذا الشيخ العظيم ..!!

ثم قال رضي الله عنه : ومثال المشاهدة الأولى التي قلنا إن لذتها مثل لذة أهل الجنّة ، مثل : ما يلقي المَلِك المعروف بالسطوة والقهر ، وله سلاح وآلة قتل ، وغير ضرب مثال

(٦٥) روى نحوه أحمد ومسلم والترمذي بلفظ : من حلفَ على يمينٍ فرأى غيرها خيراً منها فليكفّر عن يمينه وليفعل . وزاد الطبراني : ثم ليفعل الذي هو خير .

ذلك من الأمور المفزعة ، ثم إن المَلِك أزال السلاح ، ووضع آلة القتل ، ونزل عن فرسه ، ودعا رجلاً من مملكته ، وجعل ينبسط معه ، ويتماطى معه أسباب الفرح والسرور ، وبلغ معه في ذلك الغاية ، إلى أن نام معه في ثوب واحد . فليت شعري ! كيف يكون السرور الداخل على هذا الرجل ..؟! وهل يقدر أحدٌ قَدرَه ، أو يُمكن واصفٌ أن يبلغ كنهه . وهذا مَثَلٌ تطيقه العبارة ، بإشارتها إلى تلك المشاهدة ؛ مع الجزم ببعدها من هذا المثال ، البعد الذي لا قرب معه بوجه ولا بحال .

قال رضي الله عنه : وصاحب هذه المشاهدة في سكون ودعة ، وطيب نَفْس وانشراح صدر ؛ مع كون لذتها سارية في عروقه ولحمه ودمه ، وعظمه وشَعره وبَشره ، وجميع جواهر ذاته ؛ حتى إنا لو فرضنا أنا أخذنا شعرة واحدة منه ، ونظرنا إلى اللذة التي فيها وجدناها تساوي اللذة التي في عقله وقلبه ، لا تنقص لذتها عن لذتها ؛ حتى إنا لو جعلنا أحسن لذة في الدنيا - وهي لذة الوقاع - جزءاً من ستمائة ألف ألف ألف جزء ، وجعلنا مجموع هذه الأجزاء جزءاً من سبعين ألف جزء ، وجعلنا مجموع ذلك عُشْر هذه اللذة ؛ ما قارب ذلك شيئاً من هذه اللذة .

قال رضي الله عنه : ومثال المشاهدة الثانية ، مثال من خرج على المَلِك ، ولكنْ لقيه بسلاحه وسطوته وقهره ؛ فاللذة السابقة ، وإن حصل منها شيء في هذه المشاهدة ، فمعها خوفٌ ووَجَل لا يطاق ؛ فإن من يشاهد المَلك على فرسه وحربتُه في يده ، وهو يهزها ، ويتوعد ، فلا تسألْ عن الوجل الحاصل له .

قال : **والمشاهدة الأولى** : معها شبه منام ، **والثانية** : معها يقظة لأجل الانزعاج الحاصل بشاهدة القهر وسطوة الذات ، قال رضي الله عنه : **وإلى المشاهدة الثالثة** : الإشارة بقوله ﷺ : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ » الحديث .

قلت : وقد أُخرجه مسلم في صحيحه ، وتكلم فيه شيوخ الحديث : عياض والنووي والعراقي - رحمهم الله - بقريب من كلام شيخنا رضي الله عنه ، ولكنّ كلام الشيخ رضي الله عنه كلامُ من يشاهد ويعاين .

قال رضي الله عنه : وليس في طوق الخلائق أجمعين أن يقدروا على الدوام على المشاهدة الأولى والثانية ، ولا بدّ لهم من النزول إلى الثالثة[٦٦] ليستريحوا ؛ فكان ﷺ إذا نزل إليها يستغفر الله ، ويَعُدّ ذلك ذنباً . في أسرار أخر ؛ أبداها الشيخ رضي الله عنه لا سبيل إلى إفشائها .

ولما سمعت منه هذه المشاهدات الثلاث ، وقال : إن كلامه عليه الصلاة والسلام لا يعدوها ؛ وأنه لا يشكل كلامه عليه الصلاة والسلام إلا على من لم يعرفها ؛ وأنه عليه الصلاة والسلام لا يقول إلا الحقّ ، ولا يتكلم إلا بالصدق في سائر أموره ، وفي جميع أحواله .

تأبير النخل زمنه ﷺ

[س ١٨] (سألته) عما أشكل على فهمي من الحديث ، فسألته رضي الله عنه عن : حديث تأبير النخل - الذي في صحيح مسلم - حيث مرّ عليهم وهم يؤبّرون النخل ، فقال عليه الصلاة والسلام :

مَا هـذَا ؟ فَقَالُوا : بِهَـذَا تَصْلُحَ يَا رَسُولَ اللهِ . فَقَالَ ﷺ : لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَتْ . فَلَمْ يُؤَبِّرُوها ، فَجَاءَتْ شِيصاً غَيْرَ صَالِحَةٍ ؛ فَلَمَّا رَآهَا عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ : مَا بَالُ التَّمْرِ هكَذَا ؟ قَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ : قُلْتَ لَنَا كَذَا وَكَذَا ؛ فَقَالَ ﷺ : أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِدُنْيَاكُمْ »[٦٧] .

[ج] فقال رضي الله عنه : قوله ﷺ « لو لم تفعلوا لصلحت » كلامٌ حقّ ، وقولٌ صدق ؛ وقد خرج منه هذا الكلام على ما عنده من الجزم واليقين بأنه تعالى هو الفاعل بالإطلاق ؛ وذلك الجزم مبنيّ على مشاهدة سريان فعله تعالى في سائر الممكنات مباشرة بلا واسطة ولا سبب ، بحيث إنه لا تسكن ذرة ، ولا تتحرك شعرة ، ولا يخفق قلب ، ولا يضرب عرق ، ولا تطرف عين ، ولا يومئ حاجب ، إلا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة ، وهذا أمر يشاهده النبي ﷺ ، كما يشاهد غيرُه سائرَ المحسوسات ، ولا يغيب ذلك عن نظره لا في اليقظة ولا في

---

(٦٦) تتدمت ص ٣٠٤

(٦٧) وسيأتي ص ( ) جـ ٢ .

المنام ، لأنه ﷺ لا ينام قلبه الذي فيه هذه المشاهدة ؛ ولا شك أن صاحب هذه المشاهدة تطيح الأسباب من نظره ، ويترقى عن الإيمان بالغيب إلى الشهود والعيان ، فعنده في قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] .

مشاهدة دائمة لا تغيب ، ويقين يناسب هذه المشاهدة ، وهو أن يجزم بمعنى الآية جزماً لا يخطر معه بالبال نسبةَ الفعل إلى غيره تعالى ولو كان هذا الخاطر قدْر رأس النملة ؛ ولا شك أن الجزم الذي يكون على هذه الصفة تُخرق به العوائد ، وتَنفعل به الأشياء ، وهو سرّ الله تعالى الذي لا يبقى معه سَبَب ولا واسطة ؛ فصاحب هذا المقام إذا أشار إلى سقوط الأسباب ونسبة الفعل إلى ربّ الأرباب كان قوله حقاً ، وكلامه صدقاً ؛ وأما صاحب الإيمان بالغيب فليس عنده في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . مشاهدة ، بل إنّما يشاهد نسبة الأفعال إلى من ظهرت على يده ؛ ولا يجذبه إلى معنى الآية ونسبةِ الفعل إليه تعالى إلا الإيمانَ الذي وهبه الله تعالى له ؛ **فعنده جاذبان . أحدهما** : من ربه ؛ وهو الإيمان الذي يجذبه إلى الحق . **وثانيهما** : من طبعه ؛ وهو مشاهدة الفعل من الغير الذي يجذبه إلى الباطل ، فهو بين هذين الأمرين دائماً ؛ لكن تارة يقوى الجاذب الإيماني ، فتجده يستحضر معنى الآية السابقة ساعة وساعتين ؛ وتارة يقوى الجاذب الطبعي ، فتجده يغفل عن معناه اليومَ واليومين . وفي أوقات الغفلة ينتفي اليقين الخارق للعادة ؛ فلهذا لم يقع ما أشار إليه النبي ﷺ ؛ **لأن الصحابة رضي الله عنهم فاتهم اليقين الخارق الذي اشتمل عليه باطنه** ﷺ ، وبحسبه خرج كلامه الحقّ ، وقوله الصدق . ولما علم ﷺ العلة في عدم وقوع ما ذُكر ؛ وعلم أن زوال تلك العلة ليس في طوقهم رضي الله عنهم أبقاهم على حالتهم ، وقال : « أنتم أعلم بدنياكم » .

قلت : فانظر ـ وفقك الله ـ هل سمعتَ مثل هذا الجواب ، أو رأيته مسطوراً في كتاب ..!! مع إشكال الحديث على الفحول من علماء الأصول ، وغيرهم ، مثل :

جمال الدين بن الحاجب ، وسيف الدين الآمدي[٦٨] ، وصفي الدين الهندي[٦٩] ، وأبي حامد الغزالي رحمهم الله تعالى .

[س ١٩] وسألته رضي الله عنه عن حديث :

« إذا أُذِّنَ بالصَّلاةِ أدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ » . [رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد والموطأ] .

[ج] فقال رضي الله عنه : إنما أدبر لأن الأذان إذا خرج من الذات الطاهرة ملأ نورُه جميعَ الفراغ الذي يبلغه صوت الأذان ؛ والنور بارد ، والشيطان خلق من مارج من نار ؛ والبرودة والنار ضدّان .

مطلب في أحوال الجان

ويقرب من هذا ما سمعته رضي الله عنه يقول : إنّ الجنّ في جهنم لا تُعذّب بالنار ، لأنها طبعه - يعني بالنار : النار الحارة - ، وإذا كانت طبعه فإنها لا تضره ، وإنما يُعذب بالبرد والزمهرير ، يعني النار الباردة ؛ وأن الجن في الدنيا يخاف من البرد خوفاً شديداً ؛ أفتراهم إذا كانوا في زمن الصيف في الهواء يتخوفون من هبوب الرياح الباردة ؛ فإذا هبت فرّوا فرار حُمر الوحش[٧٠] .

الماء يحرق الجان

وأما الماء فلا يدخله الجن والشياطين أبداً ، فإن قُدّر على واحد أن يدخله طفئ وذاب ، كما يحترق أحدنا إذا دخل النارَ ويذوبُ .

قال : وإذا خفي عليك الجنّ كيف هو ؟ فانظرْ إلى نار مظلمة جداً ، كثير

---

(٦٨) سيف الدين الآمدي (٥٥١ - ٦٣١ هـ) : هو علي بن محمد بن سالم التغلبي . أصولي باحث ، أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها ، وتعلم في بغداد والشام ، وانتقل إلى القاهرة ، فدرّس فيها واشتهر ، وحسده بعض الفقهاء وتعصبوا عليه .. فخرج مستخفياً إلى « حماة » ومنها إلى « دمشق » فتوفي بها :
له نحو عشرين مصنفاً منها : « الإحكام في أصول الأحكام » و « منتهى السول » و « أبكار الأفكار » في علم الكلام و « لباب الألباب » و « دقائق الحقائق » اهـ . الأعلام .

(٦٩) صفي الدين الهندي (٦٤٤ - ٧١٥ هـ) : محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي ، أبو عبد الله . فقيه أصولي ولد بالهند ، وخرج من دهلي في (٦٦٧ هـ) . زار اليمن وحج ودخل مصر والروم . استوطن دمشق (٦٨٥ هـ) وتوفي بها اهـ . الأعلام .

(٧٠) وسيأتي أيضاً ص جـ ٢ .

دخانها - مثل ما يكون في الفخارين - وصوّرُ فيها صورتهم التي خلقوا عليها ؛ فإذا ألبستَ ذلك الدخان المظلم الصورةَ المذكورة كان ذلك بمثابة الجنّ . والله تعالى أعلم .

[س ٢٠] وسألته رضي الله عنه عن حديث :

« إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي » [رواه البخاري ومسلم وأحمد والموطأ] .

[ج] فقال رضي الله عنه : العنديّة المراد بها المعيّة . والإطعام والسقيُ : المراد بها تقوية الله تعالى لنبيه ﷺ .

فقلت : وهل الذات الترابية يكفي فيها ذوق الأنوار فلا تحتاج معه إلى غذاء ؟

فقال رضي الله عنه : لا يكفي ذلك فيها ؛ ولو قدرنا أن رجلاً عمد إلى نبيّ من الأنبياء فمنعه الطعامَ والشرابَ لمات ذلك النبي . فلا بد لهذه الذات الترابية من الأغذية الناشئة عن التراب ، ولهذا ترى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يأكلون ويشربون ويجوعون ويشبعون . والله تعالى أعلم .

ولادته عليه الصلاة والسلام

[س ٢١] وسألته - رضي الله عنه - : هل ولد ﷺ ليلاً ؟ كما ذهب إليه طائفة واستدلوا بحديث عثمان بن أبي العاص[٧١] ، عن أمّه فاطمة بنت عبد الله الثقفية أنها قالت :

« شَهِدْتُ وِلَادَةَ النَّبِي ﷺ : فَرَأَيْتُ الْبَيْتَ - حِينَ وُضِعَ - قَدْ امْتَلأَ نُوراً ؛ وَرَأَيْتُ النُّجُومَ تَدْنُو ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَتَقَعُ عَلَيَّ » .

---

(٧١) عثمان بن أبي العاص (.. - ٥١ هـ) : جدّه بشر بن عبد بن دهمان ، من ثقيف . صحابي من أهل الطائف ، أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي ﷺ على الطائف ، فبقي في عمله إلى أيام عمر . ثم ولاه عمر « عمان » و« البحرين » سنة ١٥ هـ ، واستخلف أخاه الحكم على الطائف . عزله عثمان فسكن البصرة إلى أن توفي .

له فتوح وغزوات بالهند وفارس ، وفي البصرة موضع ينسب إليه يقال له : « شط عثمان » . وهو الذي منع ثقيفاً عن الردة وخطبهم فقال : كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً ا هـ . الأعلام .

رواه البيهقي وابن السّكن[72] . والنجوم لا تكون إلا ليلاً ؟ أو ولد ﷺ نهاراً ؟ وصحّحوه ؛ واستدلوا له بحديث مسلم وغيره ؛ لكن بعد الفجر كما في حديث ، وإن كان ضعيفاً ، لأن « **الضعيف يُعمل به في الفضائل** والمناقب » . وأجابوا عن الحديث السابق : بأن النجوم تظهر بعد الفجر ؛ فلا يدل الحديث السابق على ولادته قبل الفجر ليلاً .

قاعدة

[ج] قال ـ رضي الله عنه ، وأمدني بأسرار ذاته الكريمة ـ : الذي في الواقع ونفس الأمر أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ **ولد في آخر الليل قبل الفجر بمدة ، وتأخر خلاص أمّه إلى طلوع الفجر** . والمدّة التي بين انفصاله ﷺ من بطن أمه ، وانفصال الخلاص منها ، هي **ساعة الاستجابة** في الليل ، التي وردت بها الأحاديث ، وفخّمتْ أمرَها وأشعرت بتعظيمها ، وامتداد حكمها إلى يوم القيامة ؛ (قال رضي الله عنه) : وفي تلك الساعة يجتمع **أهل الديوان** من أولياء الله تعالى من سائر أقطار الأرض ؛ وفيهم **الغوث ، والأقطاب السبعة** ، وأهل الدائرة والعدد ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ؛ ويكون اجتماعهم[73] بغار حراء خارج مكة ؛ وهم الحاملون لعمود نور الإسلام ، ومنهم تَستمدّ جميعُ الأمة ، فمن وافق دعاؤُه دعاءَهم ، ووقوفُه وقوفَهم ، في تلك الساعة أجابَ اللهُ دعوتَه ، وقضى وَطَره .

ساعة ولادته ﷺ ساعة الاستجابة

اجتماع أهل الديوان من الأولياء

وكان ـ رضي الله عنه ـ ، يدلنا على قيام هذه الساعة كثيراً ، ويقول لنا : إن الفجر يطلع « بمكة » قبل طلوعه بمدينة « فاس » ، فراقبوا في قيامكم فجرَ « مكة » ، واعملوا عليه . فسألته عن المقدار الذي يسبق به على فجر مدينة « فاس » . فقال ـ رضي الله عنه ـ : يطلع الفجر بمكة قبيل قيام « ابن حمو » المؤذن بالقَرَويين . فقلت : فالساعة إذاً وقت قيام « الوردي » و « السلاوي » الذي بعده ؛ فقال ـ رضي الله عنه ـ : نعم . قلت : وكذا كنت قبل أن أجتمع معه ـ رضي الله عنه ـ أقرأ آخر سورة « الكهف » :

قائدة للاستيقاظ ساعة ولادته ﷺ

---

(٧٢) ابن السكن (٢٩٤ ـ ٣٥٣ هـ) : هو سعيد بن عثمان ، البغدادي أبو علي . من حفاظ الحديث . نزل بمصر وتوفي بها . له رحلات وتصانيف منها : « الصحيح المنتقى » في الحديث ا هـ . من الأعلام .

(٧٣) وسيأتي ص جـ ٢ .

﴿ إنّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [الكهف : ١٠٧] إلى آخر السورة . لأفيق في ساعة الاستجابة . وبقيت على ذلك نحواً من ستة عشر عاماً فكنت ـ غالب ما كنت ـ أفيق في وقت « الوردي » ؛ وكنت أفيق في بعض الأحيان في وقت « السلاوي » بعده .

وكذا سمعت من جماعة ممن اعتنى بأمر هذه الساعة المباركة ممن يسكن في غير مدينة فاس ، قالوا : فما كنا نفيق إلا في آخر الليل قبل الفجر بعدة . يعنون فجر بلادهم ، والله أعلم .

[س ٢٢] وسألته ـ رضي الله عنه ـ **عن شهر ولادته** ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؟

فإنّ العلماء اختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً ؛ فقال بعضهم : إنه صفر ؛ وقال بعضهم : إنه ربيع الآخر ؛ وقال بعضهم : إنه رجب ؛ وقال بعضهم : إنه رمضان ؛ وقال بعضهم : إنه يوم عاشوراء ؛ وقال بعضهم : إن الشهر غير معين ؛ أي غير معلوم لنا ؛ لا أنه في نفس الأمر غير معين .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : الشهر هو ربيع الأول .

شهر ولادته ﷺ ويومها

[س] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن **يوم الولادة** من شهر ربيع الأول ، فإن العلماء ـ رضي الله عنهم ـ اختلفوا فيه ، فقيل : في ثانيه ، وقيل : في سابعه ؛ واختاره الأكثرون . وقيل : في ثامنه ، وقيل : في تاسعه ، وقيل : في ثاني عشره .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : إنه ولد ـ عليه الصلاة والسلام ـ **في سابع ربيع الأول** . وهذا هو الواقع في نفس الأمر . يعني أنه ولد ليلة السابع منه ؛ كما سبق أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولد ليلاً .

عام ولادته ﷺ

[س ٢٣] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن عام الولادة ؛ فإن العلماء ـ رضي الله عنهم ـ اختلفوا في ذلك أيضاً ، فقيل : عام الفيل بعده بخمسين يوماً ؛ وقيل : بعده بخمسة وخمسين شهراً ، وقيل : بعده بأربعين شهراً ؛ وقيل : بعده بعشر سنين ؛ وقيل : بعده بخمسة عشر عاماً .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : بل ولد عام الفيل قبل مجيء الفيل ، وببركة وجوده ﷺ بمكة طرد الله الفيل عن أهلها . ولم أسأله عن قدر ما سبقت ولادته مجيء الفيل ؛ ولو سألته - رضي الله عنه - لعيّنه ؛ فإنّك لو سمعته حين يأخذ في الأجوبة لسمعت آيات الله الكبرى . والله تعالى أعلم .

مدة حمله ﷺ

[س] وسألته - رضي الله عنه - عن مقدار مدة حمله - عليه الصلاة والسلام - :

[ج] فقال - رضي الله عنه : مقدار حمله عشرة أشهر .

إبطه الشريف

[س ٢٤] وسألته - رضي الله عنه - عن الإبط الشريف ، هل فيه شعر ، أم لا ؟ فإنّ العلماء اختلفوا فيه أيضاً . ويطول بنا ذكر كلامهم .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : الإبط الشريف لا شعر فيه ينتف ، بل فيه شيء قليل جداً ، وهي العفرة - أي بياض يخالطه سواد قليل - . وسبب قلة الشعر في الإبط الشريف : أن الشعر خرج إلى أعلى الصدر الشريف والمنكبين ، فكان ﷺ أشعرَ الموضعين الكريمين ؛ فلذا قلّ شعر الإبطين الشريفين . والله تعالى أعلم .

قلت : وما فهمتُ ما في بعض الروايات أنه - عليه الصلاة والسلام - كان على منكبيه شعر ، حتى سمعتُ من شيخنا - رحمنا الله به - هذا الكلام المنوّر .

[س ٢٥] وسألته - رضي الله عنه - : هل كان النبيّ ﷺ أقْرَن ؛ كما في بعض الروايات أو غير أقرن ، كما في رواية أخرى ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : لم يكن - عليه الصلاة والسلام - أقرن .

مشية عليه الصلاة والسلام

[س] وسألته - رضي الله عنه - عن مشية النبيّ ﷺ هل كان يتكفأ يميناً وشمالاً كما في بعض الروايات ؟ أو كان ينحدر إلى أمام ، كما في رواية [الترمذي وأحمد] : « كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ » ؟

[ج] فقال لي - رضي الله عنه - : كان يتكفأ يميناً وشمالاً .

وكنت في موضع ليس معنا ثالث ، فقال لي - رضي الله عنه - : تعالَ حتى

أريَك كيف كان النبيّ ﷺ يمشي في دار الدنيا حال حياته ؛ فخطا ـ رضي الله عنه ـ أمامي نحواً من ستين خطوة ، فرأيته ـ رضي الله عنه ـ يتكفأ يميناً وشمالاً ، ورأيت مِشيةً كاد عقلي يطير من حسنها وجمالها ، ما رأت عيني قطّ أجملَ منها ، وأبهرَ للعقول . فرضي الله عنه ، ما أصحَّ عِلمَه بالنبيّ ﷺ ...! والله تعالى أعلم .

لحيته الشريفة

[س ٢٦] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن **اللحية الشريفة** ـ لاختلاف الروايات في ذلك ـ .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : كان ﷺ كثّ اللحية مع طولها ، طولاً متوسطاً في الذَّقَن ؛ وكان خفيفها عند التقاء العارضين والذَّقَن . والله تعالى أعلم .

[س ٢٧] وسألته ـ رضي الله عنه ـ ، عن **الشعر الشريف** لاختلاف

شيبه وشعر رأسه الشريف

الروايات فيه ، وعن **الشيب الشريف والخضاب الشريف** ؟ وهل تنوّر عليه الصلاة والسلام ؟

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : كان شعر رأسه الشريف ﷺ يختلف ، فأحياناً يطول وأحياناً يقصر ، ولم يكن على حالة واحدة ، ولكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يقصّ ما يلي الجبهة ، ولا يدعه يطول . ولم يَحْلق ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلا في نُسك . وكان الشيب في العَنْفَقَة نحو الخمس شعرات ، وفي الصدغين

خضاب رأسه الشريف

شيء قليل ، وفي الذَّقَن أكثر من ذلك . **وخضب** ﷺ بالحناء ، ـ ولكنه قليل ـ حين دخل مكة ؛ ومرات قلائل في المدينة . **وتنوّر** ﷺ في وسطه كانت تنوّره خديجة[٧٤] وعائشة ـ رضي الله عنهما ـ والله تعالى أعلم .

شق صدره الشريف

[س ٢٨] وسألته رضي الله عنه ، عن **شقّ الصدر الشريف** كم كان ؟ فإنّ الأحاديث اختلفت في ذلك .

(٧٤) خديجة بنت خويلد أمّ المؤمنين رضي الله عنها (٦٨ ـ ٣ ق هـ) : قرشية ، زوجته عليه الصلاة والسلام الأولى . كانت أسنّ منه بـ (١٥) سنة . ولدت بمكة في بيت شرف ويسار ، مات أبوها يوم الفجار وتزوجت بأبي هالة بن زرارة فمات عنها .

كانت ذات مال وتجارة ، خرج رسول الله ﷺ في تجارة لها وسنّه (٢٥) سنة إلى سوق بصرى وعاد رابحاً فتزوجها عليه الصلاة والسلام بعد ذلك فولدت له « القاسم » و « عبد الله » و « زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة » بين كل ولدين سنة . كانت أول الناس إسلاماً ، وتوفيت بمكة .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : ثلاث مرات :

١ - عند حليمة واستُخْرِج منه حظ الشيطان وهو ما تقتضيه الذات الترابية من مخالفة الأمر واتباع الهوى . ٢ - وعند عشر سنين ، ونُزِع منه أصل الخواطر الرديئة . ٣ - وعند النبوّة .

ولم أسأله عن أيّ شيء نزع حينئذ ؟ [أي في الأخيرة] ، وظاهر أكثر الأحاديث أنه وقع ليلة الإسراء ، قال رضي الله عنه : وليس كذلك . ليلة الإسراء

قال : والشقّ وقع من غير آلة ، ومن غير دم ؛ والتئام بلا خياطة ، ولا آلة ؛ ولم يحصل له - عليه الصلاة والسلام - ألم في ذلك ، لأنه من فعلِ الربّ - سبحانه - . والله أعلم .

قلت : أما الشق عند « حليمة » فمتفق عليه ، وأما عند عشر سنين ، فقد ورد في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد[٧٥] في زوائد المسند .

وأما عند النبوّة - أيْ ابتداء البعثة - فقد أخرجه أبو داود الطيالسي في « مسنده » ، وأبو نُعَيم ، والبيهقي في « دلائل النبوة » .

وأما عند الإسراء فقد أنكره بعضهم ؛ وقال : إنه لم يَرد إلا من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني ، وروايته منكرة . قال ابن حجر : والصحيح أنه ثبت في الصحيحين من غير رواية شريك ، ثبت من حديث أبي ذرّ[٧٦] - وانظر

---

(٧٥) عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢١٣ - ٢٩٠ هـ) : هو أبو عبد الرحمن ، حافظ . من أهل بغداد ، له « الزوائد » على كتاب الزهد لأبيه ، و« زوائد المسند » زاد فيه على مسند أبيه نحو (١٠٠٠٠) حديث ا هـ . من الأعلام . قلت : وقد تكلم علماء الحديث على كثير منها .

(٧٦) أبو ذر الغفاري (- - ٣٢ هـ) : هو جندب بن جنادة ، صحابي جليل ونسبته إلى غفار بن مليل جدّ جاهلي من كنانة . يقال : أسلم أبو ذر بعد أربعة . يضرب به المثل في الصدق ، أول من حيى رسول الله ﷺ بتحية الإسلام . هاجر بعد وفاته عليه الصلاة والسلام إلى بادية الشام ، وسكن دمشق بعد خلافة عثمان ثم رحل بأمر عثمان إلى الربذة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات . روى له في الصحيحين (٢٨١) حديثاً ا هـ . من الأعلام .

ابن حجر في آخر كتاب التوحيد - وقد علمتَ أن الشيخ - رضي الله عنه - أُميّ فكلامه بمحض الكشف والعيان . فيكون الصواب عدم وقوع الشق عند الإسراء . والله تعالى أعلم .

[س ٢٩] وسألته - رضي الله عنه - عما قيل : إن سبابته ﷺ أطول من وسطاه ، فقال رضي الله عنه : **سبابة رجله الشريف** أطول من وسطاها ، **وسبّابة يديه** مساوية لوسطاها . والله تعالى أعلم .

سبابته الشريفة

[س ٣٠] وسألته - رضي الله عنه - عن ضم جبريل للنبي ﷺ ثلاث مرات ، حين جاءه :

ضمة جبريل في الغار له عليهم الصلاة والسلام

بـ ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، « فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ما أَنَا بِقَارِئٍ ، فَضَمَّهُ جِبرِيلُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ » [رواه البخاري] .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : **الضمة الأولى** ليتوسل به إلى الله تبارك وتعالى ، في حصول الرضا له الأبدي ، الذي لا سَخَط بعده . **والضمة الثانية** ليدخل - أي جبريل - في جاه النبيّ ﷺ ويلوذ بجاهه الشريف . **والضمة الثالثة** ليكون - أي جبريل - من أمته الشريفة . فقال رضي الله عنه : وقول جبريل عليه السلام له ﴿ اقرأ ﴾ معناه : بلّغْ الكلام القديم بالحادث ؛ فإن جميع القرآن أنزل على النبيّ ﷺ في ذلك الموضع(٧٧) ، وهو المراد بقوله تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

قال : وإنما كان جبريل يطلب منه أن يبلّغ المعاني القديمة ، والمكالمة الأزلية الخاصة له - عليه الصلاة والسلام - إذ ذاك ؛ فقال له - عليه الصلاة والسلام - : « ما أنا بقارئ » . أي : إني لا أطيق أن أبلّغ الكلام القديم والقول الأزلي باللسان

(٧٧) قلت : لعله اراد انزل على قلب النبي ﷺ بالمعنى ، إذ المقرر عند العلماء عند تفسير هذه الآية : أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر منه ، ثم نزل منجماً (أي متفرقاً) حسب الوقائع في (٢٣) سنة .

الحادث ؛ فعلّمه جبريل كيف يبلغه باللسان الحادث . فلذلك كان النبي ﷺ يحبه كثيراً .

ثم تكلم الشيخ - رضي الله عنه - في هذا المعنى بما بهر عقولنا ، وأطال في كلامه نحو اليوم ؛ وفي ذلك من الأسرار ما لا يحلّ كتبه . والله تعالى أعلم .

انتهاء قرنه عليه الصلاة والسلام

[س ٣١] وسألته - رضي الله عنه - عن حديث : « أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هذِهِ [فإن على رأس مائة سنة لا يبقى من هو على ظهر الأرض أحد] »[٧٨] .

الحديث . الذي يشير فيه النبيّ ﷺ إلى انخرام ذلك القرن على رأس مائة سنة .

فقال - رضي الله عنه - : هذا الحديث تكلم به النبي ﷺ قبل وفاته بقريب وهو كلام من روحه الشريفة تُعزّي ذاته الكريمة وتسليها ، حيث علم ﷺ بقرب أجله ، فتكلمت الروح بهذا السر المكنون لتحصل التسلية للذات .

قلت : صدق - رضي الله عنه - ، في قوله : « إن هذا الحديث تكلم به النبي ﷺ قبل وفاته بقريب » ، فإن مسلماً روى في صحيحه عن جابر - رضي الله عنه - أن ذلك كان قبل وفاته ﷺ بشهر .

فلله درّ هذا الإمام الأميّ ما أَعْرَفَه بشمائل المصطفى ﷺ ...!!

[س ٣٢] ثم قلت له رضي الله عنه - وهو المقصود بالسؤال - : هل يصح الاستدلال بهذا الحديث على تكذيب من ادعى الصحبة بعد انخرام ذلك القرن ، كما كذّبوا من ادعاها بعد المائتين ؛ وكذا كذبوا من ادعاها بعد الستمائة ؛ ومن ادعاها في المائة الثانية . وانظر قصة عِكْرَاش[٧٩] ، ومعمر المغربي ، ورتين الهندي . وقد أطال في « الإصابة في الصحابة »[☆] في تراجمهم الحافظ ابن حجر ؛ وكذا تعرض لذلك

---

(٧٨) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي .

(٧٩) عِكْراش : هو ابن ذؤيب السعدي ، أبو الصهباء ، صحابي ، قليل الحديث ، عاش (١٠٠) سنة . روى له الترمذي وابن ماجه اهـ . تقريب التهذيب .

(☆) ملاحظة : الصواب « الإصابة في تمييز الصحابة » .

تلميذه شمس الدين السخاوي[٨٠] في « شرح الألفية في اصطلاح الحديث » ؛ وكذا الحافظ السيوطي في « الحاوي في الفتاوي »[☆] .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لا يحاط بهم ، وقد تفرقوا قبل وفاته ﷺ وبعد وفاته ، وذهبت طائفة منهم تجول في أقطار الأرض . والحديث المذكور « عامّ » أريد به خصوص من هو معروفٌ بين الناس بالصحبة ، مشهورٌ بها[٨١] ؛ هذا هو الذي دل عليه الكشف والعيان .

رجال رجراجة ليسوا صحابة

[س ٣٣] ثم تكلمت معه في رجال رجراجة ، وما يزعم الناس فيهم أنهم صحابة وفدوا على النبيّ ﷺ في حال حياته وأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كلمهم بلغة البربر . وقد تعرض لحكايتهم الشهاب في « شرح الشفاء » ؛ ولكن أوردها من غير سند متصل ، واستغربها غير واحد من الأئمة .

[ج] قال ـ رضي الله عنه ـ : ما هم بصحابة ؛ ونور الصحابة لا يخفى على أرباب البصائر ؛ وليس في المغرب من الصحابة أحد . والله تعالى أعلم .

وهذا بعض ما سمعناه منه ـ رضي الله عنه ـ في تفسير ما أشكل علينا من الأحاديث . فلنقتصر على هذا القدر فإن فيه كفاية للمريد . والله أعلم .

---

(٨٠) السّخَاوي (٨٣١ ـ ٩٠٢) هـ : هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد ، شمس الدين السخاوي . مؤرخ حجة عالم بالحديث والتفسير والأدب . أصله من « سخا » (قرية بمصر) . ولد بالقاهرة وتوفي بالمدينة . له سياحة طويلة . صنف حوالي (٢٠٠) كتاب أشهرها : « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » في (١٢) جزءاً ، و « شرح ألفية العراقي » في مصطلح الحديث ، و « المقاصد الحسنة » . أخذ عن ابن حجر العسقلاني وغيره اهـ . ملخصاً الأعلام .

(☆) ملاحظة : الصواب « الحاوي للفتاوى » وكذا فيا مر .

(٨١) فائدة : قال ابن عابدين في حاشيته :

ـ عامر أبو الطفيل بن واثلة الليثي : آخر الصحابة موتاً على الإطلاق . قيل : توفي بمكة ، وقيل : بالكوفة (١٠٠) هـ ، وقيل : (١١٠ هـ) ، وقيل : (١٢٧ هـ) .

ـ عبد الله بن أبي أوفى : آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة ٨٦ أو ٨٧ أو ٨٨ هـ .

(ملخص)

في بعض الآيات القرآنية التي سأله المؤلف عنها ؟؟، وفي تفسير اللغة السريانية وتفسير فواتح السور وغير ذلك من المسائل المتعددة وتشتمل على (٤٦) موضوعاً :

الباب الثاني

في بعض الآيات القرآنية التي سألناه عنها وما يتعلق بذلك من تفسير اللغة السريانية

ثم تفسير فواتح السور نحو : صٓ ، وقٓ ، ويسٓ ، وطٰـه ، وكهيعصٓ ، والٓم ، والٓر وغير ذلك من أسرار الله تعالى التي ستقف عليها في هذا الباب .

[س ١] فسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى في قصة آدم وحوّاء عليهما السلام : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيما آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونْ ﴾ [الأعراف : ١٩٠] . فقلت : آدم نبيّ الله وحبيبه ، كيف يَجعل له شركاء ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : هذا معاتبة الآباء بما فعلته الأبناء والأولاد ؛ كمن له بستان في فواكه وثمار ، فجاء إليه أولاد زَيد ، فأخذوا من ثماره وأفسدوا فيه ؛ فجاء ربّ البستان إلى زيد وجعل يخاصمه ويعاتبه ، ويقول له : أفسدتَ عليّ بستاني وأكلتَ ثماري ، وفعلتَ ، وفعلتَ . فعلى شبه هذا الأسلوب جاءت القصّة الشريفة ، سمعتُ منه ـ رضي الله عنه ـ هذا الجواب في بدايته . ضرب مثال

قلت : وهذا قول حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ؛ نقله الحافظ السيوطي في « الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور » . واختار هذا القول السيد الجرجاني في « شرح المواقف » . فرضي الله عن هذا السيد الجليل ما أعرفَهُ بالله وبأنبيائه .

واستدلوا على هذا التفسير بأنّ سياق آخر الآية إنما يصح في الكفار . وبقراءة من قرأ (جعلا له شركاء) بالجمع [هكذا : جعلوا] ، فإنها أيضاً إنما تصح في الكفار . والله تعالى أعلم .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إنما فهم الملائكة أن بني آدم يكونون محجوبين عن ربهم تعالى ، قائمين على أنفسهم مستبدين برأيهم ؛ حتى قالوا :

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ الآية .

[فهموه] من قوله تعالى : ﴿ خليفة ﴾ ، فإن الخليفة شأنه الاستقلال ، والاستبداد ، والانقطاع عن غيره ؛ فَيَنْسبُ لنفسه التدبير والعلم بالعواقب ، والنظر في المصالح ، ويقطع نفسه عن ربه تعالى ؛ وفي ذلك هلاكه وحتفه ، فمن لفظ « الخليفة » أخذوا أن الآدمي محجوب عن الله تعالى . والله تعالى أعلم .

[س ٤] وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر : ٥٥] .

فقلت : إن الآية تقتضي أن بعض ما أُنزل ليس بأحسن ؛ مع أنّ القرآن كلّه أحسن . وذكرتُ له أجوبة العلماء رضي الله عنهم .

منها : أن من ظلم يجوز له الانتقام لقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

والأحسن له الصبر لقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] .

فكأنه يقول : اتبعوا العفو دون العقوبة ، فالعقوبة حَسَنة ، والعفو أحسن .

ومنها : أن المراد بالأحسن الناسخ ، والحسن المنسوخ .

ومنها : أن الله تعالى حكى لنا عن عباده أنّ منهم من أطاع ، ومنهم من عصى ، فنتبع من أطاعه فهو الأحسن .

ومنها : أنّ المراد اتبعوا المأمور به دون المنهي عنه .

ومنها : أن المراد اتبعوا العزائم دون الرخص ؛ فالأحسن هو العزائم ، والحَسَن هو الرخص .

ثم قلت : إن هذه الأوجه لا مناسبة فيها للآية :

أما الأول : فإنّ سياق آخر الآية يقتضي أنّ من لم يتبع الأحسن يخاف أن تنزل به قارعة من عذاب الله وأنه من الساخرين والكافرين ، ومن لم يعف لا يكون هذا حكمه .

قاعدة

وأمّا الثاني : فإن أريد أن المنسوخ حسن باعتبار اتباعه فليس كذلك إذ « ما نسخ العمل به لا يجوز اتباعه » ، وإن أريد من حيث التلاوة فهو والناسخ من الأحسن .

وأمّا الثالث : فإنّ من عصى لا يحل اتباعه ، فضلاً عن أن يحسن ؛ ومثْله يُقال في المنهي عنه ؛ وأمّا الرخص فإنّها وإن كانت حسنة لكن مرتكبها لا يستحقّ الأوصاف التي في آخر الآية ، بمثابة من لم يعف في الوجه الأول ، فإنّه أيضاً لا تتنزل عليه الأوصاف التي في آخر الآية .

وبالجملة : فالأحسن في الأول والخامس لا يناسبان آخر الآية ؛ ولا حُسْن في الأوجه الباقية . فَأشكلَ الأحسن في الآية .

[ج] فقال رضي الله عنه : ليس ما ذكر في الأوجه السابقة سرّ الآية ، ولا نورها ؛ وإنما سرّها ونورها : واتبعوا يا معشر عبادي أحسن ما أنزل إليكم من ربكم كتاباً ورسولاً . فالقرآن هو أحسن كتاب أنزل إلينا من عند الله ، والنبيّ ﷺ هو أحسن رسول جاءنا من عند الله ؛ فالحسن : هو الكتبُ الإلهية غير المبدّلة ، والرسلُ الذين أرسلهم الله تعالى قبل نبينا ﷺ .

[س] فقلت لشيخنا رضي الله عنه : الكتب الإلهية منها التوراة والإنجيل ، وزيادة (إليكم) تنافي حمل الأحسن على ما ذكرتم ، لاقتضائها أن الحسن أنزل إلينا كالأحسن ؛ مع أن التوراة أنزلت إلى اليهود ، والإنجيل أنزل إليهم وإلى النصارى ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : بعثة نبيّنا محّمد ﷺ عامة للعرب ولليهود وللنصارى وغيرهم ؛ والأحسن ـ الذي هو القرآن ـ أنزل إلى جميعهم ؛ والحسن الذي هو الكتب الإلهية ، أنزل لكل قوم منها ما يخصهم ، فللعرب شريعة إسماعيل ، ولليهود التوراة ، وللنصارى الإنجيل ، فالحسن أنزل لهم في الجملة على هذا الفرض ؛ وهو ظاهر .

قلت : وقد صدَّر جماعة من المفسرين بهذا القول ؛ وأن المراد بالأحسن هو القرآن ؛ وتمام تقريره ما أوضحه الشيخ رضي الله عنه ولا شك في مناسبته لسياق آخر الآية ؛ فإنّ من لم يتبع القرآن والرسول وكَفَر بها ، مستحق للأوصاف التي في آخر الآية . والله تعالى أعلم .

حكمة تقديم السمع على البصر

[س ٥] وسألته رضي الله عنه ، عن حكمة تقديم السمع على البصر في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨] .

وفي قوله : ﴿ أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ﴾ [المؤمنون : ٧٨] . وفي قوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة ، التي قدم السمع فيها على البصر ؛ مع أن البصر أعظم فائدة ، وأعمّ نفعاً ، فإنّ فائدة النهار والليل يختص بها البصير ؛ وأما السميع الذي لا بصر له ، فإنه يستوي عنده الليل والنهار ، والنور والظلمة والشمس ، والقمر ؛ ولا يهتدي لشيء من أنوار هذه النيرات . وكذلك العجائب التي في مصنوعات الله تعالى ، فإنّ غالبها إنّما هو في صور المخلوقات ، وحسن تركيبها ؛ والصور إنما تدرك بالبصر ، فحسن التركيب الذي في خلقة بني آدم وسائر الحيوانات ، وأنواع النباتات والأزهار ، إنما يُدرك بالبصر ؛ وكذلك خلق السموات ، وكونها مرفوعة بغير عمد ، وتزيينها بالنجوم ، إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تعدّ ولا تحصى ، إنّما يدرك بالبصر . فالذي ظهر لنا أن البصر أقوى ، فكان حقّه أن يقدّم على السمع ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : كلّ ما ذكرتم في البصر صحيح . وفي السمع فائدة واحدة ، تقوم مقام ذلك كلّه ، وتزهو على جميع ما ذكرتم ، وهي أن الرسول عليه الصلاة والسلام ومرسلَه ـ عزّ وجل ـ وسائرَ الأمور الغيبيّة التي يجب الإيمان بها ، إنما تُدرك بالسمع ؛ ويلزم من ذلك أن جميع الشرائع متوقفة على السمع . وبيان ما ذكرناه : أنا لو فرضنا بني آدم لا سمع عندهم ، أصلاً ، فإذا جاءهم رسول الله من عند الله ، فقال لهم : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الصف : ٦] .

[س ٢] وسألته ـ رضي الله عنه ـ ، عن قوله تعالى حكاية عن الملائكة :

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

فقلت : إن فيه ضرباً من الغيبة ؛ والملائكة ـ عليهم السلام ـ معصومون ...!!؟

[ج] فقال رضي الله عنه : إنه ليس بغيبة ؛ وحاشاهم من ذلك فإنّهم عباد الله المكرمون . وإنما هذا الكلام خرج منهم مخرج من قال : أتجعل فيها من هو محجوب ، وعندك من ليس بمحجوب ، يصلح ليكون فيها وهو نحن ؛ فإنا نشاهدك ، ونعرف قدرك فلا نعصي أمرك ، والمحجوب لا يعرف قدرك فيعصي أمرك ؛ فكأنهم قالوا : أتجعل فيها من لا يعرفك ونحن نعرفك . وهذا منهم إخبار عما انتهى إليه علمهم ، وبحسب ما عندهم ؛ فلذا قال تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] . أي : ما ظننتموه من أن المحجوب لا يمكن أن يعرف قدري ؛ وأنه لا يعرف قدري إلا من يشاهدني هو منتهى علمكم ؛ وعلمي فوق ذلك ، فإني أُقوّي المحجوب ، وأزيل الستر بيني وبينه ، حتى تحصل له مني المعرفة ، ويظفر مني بعلم ما لا تطيقونه . ولذا قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ الآيات [البقرة : ٣١] .

[س ٣] فقلت : فهل المخاطب في هذه الآية جميع الملائكة ، أو ملائكة الأرض فقط ؟

[ج] فقال رضي الله عنه ونفعنا به : هم ملائكة الأرض فقط ، قلت : وهذا قول طائفة من المفسرين ، منهم حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وانظر التفاسير الثعلبي وغيره .

ثم تكلم رضي الله عنه ، في أمر الملائكة عليهم الصلاة والسلام وفي أمر إبليس وما يتعلق بالقصة ؛ وذكر كلاماً ، العقول من ورائه محجوبة ، فلذا لم نكتبه . والله تعالى أعلم .

فهذا الصوت لا يُرى ، ولا سمع لهم حتى يسمعوا مقالتـه ، فيبقى الرسول عاطلاً . فإذا قال لهم : وآية صدقي معجزة كذا وكذا ، لم يسمعوه ، فيبقى عاطلاً . فإذا قال لهم : وقد أمركم الله - عزّ وجلّ - أن توحدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، لم يسمعوه ؛ وبقي أيضاً عاطلاً . فإذا قال لهم : وأمرَكم أن تؤمنوا بي ، وبجميع رسله ، وملائكته ، وكتبه واليوم الآخر ، لم يسمعوه وبقي أيضاً عاطلاً . فإذا قال لهم : وأوجب عليكم من الأمور كذا وكذا ؛ وحرم عليكم منها كذا وكذا ، وأباح لكم منها كذا وكذا ؛ لم يسمعوه وبقي عاطلاً .

فظهر أنه لو لم يكن سَمْعٌ ما عُرِف رسولٌ ، ولا مرسل ؛ ولا وقع إيمانٌ بغيب ، ولا بشهادة ؛ ولا صحّ اتباعُ شريعة ؛ ويلزم أن لا يكون ثواب ولا عقاب ، فترتفع الجنة ونعيمها ، والنار وجحيمها ، لأنه لا ثواب ولا عقاب حتى يُبعث الرسول ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ١٥] . والبعثة لا تصحّ مع انتفاء السمع . وبالجملة : فبنو آدم لو لم يكن لهم سمع لسقط التكليف ، وكانوا في درجة البهائم . فبالسمع استوجبوا الدرجة العليا ، ولحق من لحق منهم بالملأ الأعلى .

فظهر أن السمع أقوى فائدةً ، وأعم نفعاً ، لأن أسرار الربوبية موقوفة عليه ؛ فلذا قُدِّم في الآيات السابقة التي سبقت مساق الامتنان ، لأن المنة به أقوى من المنة بالبصر . والله تعالى أعلم .

قلت : فانظر وفقك الله إلى حسن هذا الجواب ..! فإني لمّا سمعته جعلت أتعجب من نفسي كيف خفي عليّ هذا الجواب ، مع ظهوره الغاية ؟ ولا هادي إلا الله سبحانه .

[س ٦] وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [النساء : ١١٠] .

ما المراد بـ ﴿ يظلم نفسه ﴾ ؟ فإنّ « ظلم النفس » يصدُق بما قبله الذي هو « عمل السوء » في الآية الثانية ، و « فعل الفاحشة » في الأولى ، فالظلم أعم مما قبله ، « والعامّ لا يعطف بأو » ، وذكرتُ له ما قال المفسرون في ذلك ، وأن بعضهم حمل « عملَ السوء والفاحشة » على الكبيرة ؛ « وظلمَ النفس » على الصغيرة . وظهر لي : أن يُحمل « عملَ السوء والفاحشة » على المعصية مطلقاً ؛ و « ظلم النفس » على الإصرار على المعصية ، لأنه لا عمل فيه في الظاهر ؛ يعني : أن من أصرّ على الزنا مثلاً ، فإنه لا يَصدُق عليه أنه فاعل للزنا ، ومُمكّنٌ للنفس من شهواتها ، ولكنه عازم على ذلك ؛ وبهذا العزم والإصرار صار ظالماً لنفسه حيث عرّضها للعقاب ، ولم تظفر بشهواتها . قاعدة أصولية

فتكلمنا في الآية كلاماً كثيراً ؛ وذكر رضي الله عنه أجوبةً ثلاثةً ، وخُضنا في الكلام فيها ثم سكت لحظة من الزمان قليلة :

[ج] فقال رضي الله عنه : يقول لكم سيدي محمد بن عبد الكريم البصري : إن سبب نزول هذه الآية : هو ما كانت عليه الجاهلية والعرب في ذلك الوقت ، من المجادلة عن الظالم ، والذبّ عنه ، وتبرئته مما رُمي به ، وهم يعلمون أنه فَعَل ذلك ؛ كأنْ يسرق واحد من قوم ، ويعلمون به ، ثم يجادلون عنه ، وينفون عنه السرقة مثلاً ؛ فالسارق : هو الذي فعل الفاحشة والسوء ، والمجادل : هو الذي ظَلَم نفسه بشهادة الزور ، وقول الباطل . وقال لي رضي الله عنه : إن سيدي محمد بن عبد الكريم يعرف كيف يتكلم ؛ فأعجبني هذا التفسير غاية ، لمناسبته سياق الآية : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ [النساء : ١١٠] . حيث يقول تعالى فيها :

﴿ وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ١٠٧] .

﴿ هَا أَنْتُمْ هؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ [النساء : ١٠٩] .

وكنّا حين الخوض معه في الآية الكريمة خارج باب الحديد ـ أحد أبواب فاس حرسها الله تعالى ـ ؛ وسيدي محمد بن عبد الكريم ـ المذكور ـ كان بالبصرة ، فسمع كلامنا ، وعرف مرادنا ؛ فأجابنا من مكانه ـ فرضي الله عن أوليائه الكرام ـ . كرامة

وسيأتي بيان سرّ سماعه كلامنا مع البُعد الكثير . والله تعالى أعلم .

[س ٧] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح : ٢٦] .

ما معنى كانوا أحقّ بها وأهلها ؟ مع أنه لا أحقية ولا أهلية قبل الإسلام ؟

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : الأحقية والأهلية بحسب الوعد الأول ، والقضاء السابق قبل خلق المخلوقات . والله تعالى أعلم .

[س ٨] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الأُولَى ﴾ [النجم : ٥٠] .

عاد الأولى والآخرة

هل كانت عادٌ أخرى ثانية ؟ وذكرتُ اضطراب كلام المفسرين ، فإنهم يقولون : إن هوداً ـ عليه السلام ـ هو الذي بُعث إلى عاد ، وأنه كان قبل إبراهيم ـ عليه السلام ـ بكثير . ثم ذكروا في قصة هلاك قومه : وفادة نفر منهم إلى حرم الله مكة يستسقون ؛ ومكة إنما بناها إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ . فأشكل أمر القصة على كثير من الناس ؛ حتى ذهبت طائفة إلى : أنه لم يكن إلا عاد واحدة ، وإنما وصفت بالأولى رعاية لثمود ، فالثانية هي ثمود ؛ وذهبت طائفة أخرى إلى : تعدد عاد فالأولى هي التي أرسل إليها هود [عليه السلام] وعذبت بالريح ، وعادٌ الثانية أرسل إليها نبي آخر وعذبوا بغير الريح ، وهم الذين وفَدَ بعضهم إلى مكة ، ولم يعينوا[1] النبيّ ولا العذاب ؛ ويشكل عليهم ما في سورة الأحقاف ، فإن القصة فيها أصحاب الوفد ، وعذابهم بالريح ، وصاحبهم هود [عليه السلام] لقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾ [الأحقاف : ٢١] .

وقال في آية أخرى : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

وإنما قلنا « إن القصة في سورة الأحقاف لأصحاب الوفد » ، لما أخرجه أحمد

---

(١) كذا في جميع النسخ المطبوعة . ولعل الصواب : ولم يعاينوا .

بإسناد حسن عن الحارث بن حسان البكري[٢] ، قال :

خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي[٣] إلى رسول الله ﷺ ؛ الحديث ؛ وفيه فقلت : أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوفد عاد ؛ فقال : وما وفد عاد ؟ ـ وهو أعلم بالحديث ، ولكنه يستطعمه ـ فقلت : إن عاداً قَحَطوا ، فبعثوا قيلَ بنَ عنز إلى معاوية بن بكر بمكة يستسقي لهم ، فمكث شهراً في ضيافته ؛ فلما كان بعد شهر خرج ، فاستسقى لهم ؛ فمرت به سحابتان ، فاختار السوداء منها ؛ فنودي : خذها رماداً ، لا تُبقي من عاد واحداً . وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه بعضَه . وانظر ابن حجر في « سورة الأحقاف » .

وفي رواية أخرى : خرج قيلُ بن عنز ، ومَرْثَد بن سعد في سبعين من أعيانهم ؛ وكان إذ ذاك بمكة « العمالقة » ، وسيدهم : معاوية بن بكر . فذكر القصة إلى أن قال ـ في آخرها ـ : فقال مَرْثَد بن سعد : يا قوم ! إنكم لا تُسقون بدعائكم حتى تطيعوا رسولكم ، فقال قيلُ لمعاوية [بن بكر] : احبسه عنا ، لا يخرجْ معنا ، فإنه قد آمن بهودٍ وصدّقه ..!

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : **عاد الثانية** أرسل إليها هودٌ ليجدد شرع من قبله من الأنبياء المرسلين إليهم ؛ وهو الذي قص علينا قصتَه في القرآن ، وهو الذي وفد قومه إلى مكة ؛ وعذبوا بالريح العقيم ، وهو من ذرية إسماعيل عليه السلام ، ونَسَبه : هود بن عابر بن شياع بن الحارث بن كلاب بن قيدار[٤] بن

عاد الثانية

نسب سيدنا هود

---

(٢) الحارث بن حسان البكري (.. ـ ٣٦ هـ) (.. ـ ٦٥٦ م) : الذهلي البكري ، صحابي ، شريف مطاع ، من السادة الشجعان ، كان مع الأحنف لما فتح خراسان . شهد يوم الجمل وقتل فيه مع ابن وخمسة من أهله . ا هـ . الأعلام .

(٣) العلاء بن الحضرمي (.. ـ ٢١ هـ) : هو العلاء بن عبد الله الحضرمي ، صحابي ، من رجال الفتوح ، أصله من حضرموت . سكن أبوه مكة ، فولد بها ونشأ ، وولاه عليه الصلاة والسلام البحرين ٨ هـ ، وجعل له جباية الصدقة وأعطاه كتاباً فيه فرائض الصدقة . وهو أول من فتح جزيرة بأرض فارس في الإسلام ، ويقال : هو أول مسلم ركب البحر للغزو ا هـ . الأعلام .

(٤) كذا في أكثر النسخ . وفي بولاق : بالذال ـ قيذار ـ

إسماعيل . وليست عاد الثانية كلها من ذرية إسماعيل ، بل هود وعشيرته فقط ، وقيل فيه : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

تغليباً ؛ لأنه كان هو وعشيرته يساكنونهم ويرحلون معهم ؛ ومن هؤلاء شداد بن عاد ، الذي له الخيمة العظيمة ذات العماد .

إرم ذات العماد

قال : والعلماء يظنون أن ﴿ إرم ذات العماد ﴾ مدينة مبنية بالذهب على صفة الجنة ـ في كلام طويل لهم[٥] ـ وليس كذلك ؛ بل إرم : اسم قبيلة عاد ؛ **وذات العماد** : نعتٌ للقبيلة ، أي : صاحبة العماد لهذه الخيمة التي لكبيرهم . أو المراد : عماد جميع خيامهم ؛ فإني رأيت مسكنهم ـ وَوَصَفه بقريب مما وصف به العلماء الأحقاف ـ ؛ قال : وهو مسيرة تسعة أيام ؛ وكبيرهم يسكن في وسط الأرض ، وكان من قَصَده يمشي حافياً ، عاري الرأس ، مسيرة أربعة أيام ونصف ، من كل ناحية ، بين الخيام ، لقوة العمارة فيها ، وكثرة الخلائق ، مع ضيقها عنهم . وأرسل الله تعالى إليهم مياهاً وعيوناً ، تسيح على وجه الأرض ، من ناحية جبال بعيدة عن بلادهم يزرعون عليها . قال : **وخيمة كبيرهم ، مساحتها في الأرض** : قدرَ رمية بسهم ، وأوتادها وأعمدتها مطبقة بالذهب الخالص ؛ وحبالها من الحرير . وقد رأيتُ قطعاً من ذهبها ، باقية إلى الآن ، مدفونة في أرضهم ؛ وجميع خيامهم مطبقة بالذهب ، ولم يكن في ذلك الزمان إلا الأبيض منه فيه يبطنون . وإلى هؤلاء القوم أرسل الله هوداً [عليه السلام] الذي سبق نسبه[٥] .

خيمة عاد

قلت : وما ذكره في شأن المدينة المسماة بإرم ذات العماد ؛ وردّ ما قيل فيها ، إليه ذهب جهابذة العلماء كالحافظ ابن حجر في شرح البخاري ، فإنه بعد أن أشار إلى قصة المدينة المذكورة قال : وهي مروية من طريق عبد الله بن لهيعة . ونُقل عن مجاهد ما يؤيد التفسير الثاني في ذات العماد ؛ قال مجاهد : معناه أنهم كانوا أهل عمود ؛ أي خيام . وذكر في ذلك أقوالاً أخر فانظرها في سورة الفجر . **وما قاله ـ رضي الله عنه ـ في نسب هود محض كشف وعيان** ؛ فإنه أميّ عاميّ ،

(٥) أخرج ابن عساكر عن الزهري أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يريه رجلاً من قوم عاد ، فأراه رجلاً رجلاه في المدينة ورأسه بذي الحليفة ا هـ . الخصائص الكبرى ٢ / ٩١ .

لا يعرف تاريخاً ولا غيره ؛ فلا ينبغي لأحد أن يعارضه بما قال أهل التاريخ في نسب هود لأنه مبني على خبر الواحد ؛ ومع ذلك فقد اضطرب خبر الواحد في نسب هود ؛ فقيل في نسبه[٦] : هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . وقيل : هود بن شارخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ ؛ فهو على هذا ابن عمّ أبي عاد . قالوا : وإنما جُعل من عاد ـ وإن لم يكن منهم ـ لأنهم أفهم لقوله ، وأعرف لحاله ، وأرغب في اقتفائه .

عاد الأولى

قال رضي الله عنه : وأما **عاد الأولى** ، فإنهم كانوا قبل قوم نوح ـ عليه السلام ـ ؛ وأرسل الله إليهم نبياً يسمى « هُوْيْد » بهاء مضمومة قريبة من همزة بين بين ، وواو ساكنة سكوناً ميتاً ، بعدها ياء ساكنة سكوناً حياً ؛ قال رضي الله عنه : وهو رسول مستقل بشرعه بخلاف هود : **الذي أرسل إلى عاد الثانية فإنه مجدد لشرع من قبله من المرسلين .**

قاعدة

قال رضي الله عنه : « وكل رسول مستقل فلا بد أن يكون له كتاب » . قال : ولسيدنا هويد المذكور كتاب وأنا أحفظه كما أحفظ جميع كتب المرسلين ؛ فقلت له : وتَعدّها ؟ قال : أحفظها ولا أعدها ، اسمعوا مني ؛ ثم جعل يعدها كتاباً كتاباً ؛ قال : **ولا يكون الولي ولياً حتى يؤمن بجميع هذه الكتب تفصيلاً ولا يكفيه الإجمال** ؛ فقلت : هذا لسائر الأولياء المفتوح عليهم ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : بل لواحد فقط ، وهو الغوث . فاستفدتُ منه في ذلك الوقت أنه ـ رضي الله عنه ـ هو « الغوث » ؛ وعلومه ـ رضي الله عنه ـ دالة على ذلك ؛ فإني لو قيّدت جميعَ ما سمعت منه لملأتُ أسفاراً ؛ وكم مرةٍ يقول : جميع كلامي معكم على قَدْر ما تطيقه العقول .

خصائص الولي الغوث

قال : وأهلك الله عاداً الأولى ـ أصحاب هُوْيْد ـ بالحجارة والنار ؛ وذلك أن

---

(٦) . جاء في هامش طبعة بولاق : (قوله : فقيل في نسبه إلخ) في التحبير للسيوطي : هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام . وقيل : بن شالخ بن أرخشذ بن سام ا هـ . قلت : ورواية السيوطي هي التي اعتمدها علي فكري في شجرة نسب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

الله تعالى أرسل عليهم حجارة من السماء فاشتغلوا بها ، وجعلوا يهربون منها ؛ فأخرج الله لهم ناراً فأحرقتهم .

عدد الرسل قبل نوح عليه السلام

وسمعته - رضي الله عنه - يقول : كان قبل نوح [عليه السلام] سبعمائة رسول من الأنبياء ، وفي قصصهم من العجائب الكثيرة ؛ وإنما لم يقصّ الله علينا في كتابه العزيز منها شيئاً ، لعدم اشتهار أهلها في أزمنة الوحي .

[س] فقلت : فما معنى قوله في حديث الشفاعة[٧] في صفة نوح : « وأنه أول الرسل » ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : المراد أنه أول الرسل إلى قوم كافرين ، ومن قبله من المرسلين أرسلوا إلى قوم عقيدتهم صحيحة .

فقلت : فلم عوقب قوم هُؤُلد بالحجارة والنار إذا كانوا مؤمنين ؟

فقال - رضي الله عنه - : كانت عادته تعالى مع القوم الذين قبل نوح ، أن يهلكهم على ترك أكثر القواعد ، وإن كانوا على العقائد .

[س ٩] وسألته - رضي الله عنه - عن قوله تعالى :

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ . فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾ [الأنبياء : ٧٨] .

قصة أولى

فقلت : استدل بهذه القصة من قال : إن المصيب واحد ، وإن المخطئ معذور ، بل مأجور إذا بذل اجتهاده ووسعه . فإنّ داود - عليه السلام - حكم بإعطاء الغنم لأرباب الحرث يأخذونها قبالة حرثهم الذي أفسدوه . وسليمان - عليه

---

(٧) حديث الشفاعة : رواه أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ... إلخ الحديث بطوله . وأخرجه الشيخان عن أنس عن النبي ﷺ قال : يجمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك اليوم ... إلخ الحديث بطوله .

وكذا أخرجه أحمد وأبو يعلى عن ابن عباس ، وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم في السنة عن سلمان بنحوه ، وكلها فيها صفة نوح عليه السلام . قلت : وقد أوردها جميعاً بتمامها . السيوطي في الخصائص الكبرى ٢ / ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ . وقد ذكر علماء الحديث أن : **الشفاعة متواترة** .

السلام ـ حكم بإعطاء الغنم لربّ الحرث يستغلها ، وأعطى الحرث لربّ الغنم يقوم عليه ، حتى يصلحه كما كان قبل رعي الغنم ؛ فإذا صلح دَفَع الحرثَ لأهله ودفعوا له غنمه . فَصوَّب الله سليمان [عليه السلام] حيث قال : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

قصة أخرى واستدلّ أيضاً **بقصة أخرى** وقعت بينهما ، وهي قصة المرأتين اللتين خطف الذئب ولدَ الكبرى منهما ؛ فأخذتْ ولدَ الصغرى وادعت أنه ولدها ، وترافعتا إلى داود ـ عليه السلام ـ ، فقضى به للكبرى ، لأنّها ذات الحَوز ، وقضى سليمان [عليه السلام] بأن يُقسم الولد بينهما نصفين ؛ فلما سمعَتْ الصغرى بقَسْم الولد نصفين سلمت للكبرى ، وقالت : هو ولدها ، وجعلت الكبرى تطلب قَسْمه ، فقضى به للصغرى ، وقال للكبرى : لو كان ولدَكِ ما طلبتِ قسمه .

قصة ثالثة **وبقصة ثالثة** وقعت بينهما ، وهي : أن امرأة ادعي عليها أن مكّنت كلباً من نفسها ؛ فأمر داود برجمها حيث شهد الشهود بذلك ؛ ثم إن سليمان وقع له مع الصبيان وهو يلعب نظير القصة ، فحكم بتفريق الشهود ففرقوا ، فاختلفَ قولُهم ؛ فرجع داود إلى تفريق الشهود .

قصة رابعة **وبقصة رابعة** وقعت بينهما ، وهي : أن امرأة وجد في فرجها ماء ، فادعي أنه منيّ رجل ؛ وأنّها زانية . فأمر داود ـ عليه السلام ـ برجمها ، فأمر سليمان ـ عليه السلام ـ أن يؤخذ ذلك الماء ويطبخ ، فإن عقد فهو ماءُ بَيض ، وإلا فهو منيّ ؛ فأخذوه فطبخوه فوجدوه ماء بيضة ، وعلموا أن المرأة مكذوب عليها . انظر ابن حجر في كتاب الأحكام .

[ج] فقال رضي الله عنه : كأنّكم تقولون : أخطأ داود وأصاب سليمان ـ عليهما السلام ـ ..!! ، وهل يعتقد الفقهاء مثل هذا في الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وهم صفوة الله من خليقته ، وهم عنده أفضل من الملائكة ومن كلّ عزيز ، فإذا جاز عليهم الخطأ ، وصار يصدر منهم ، فأي ثقة تقع لنا بهم حيث صاروا مثلنا ، فمعاذ الله أن يكون داود أخطأ ...؟!

أما توجيه القصة الأولى : فلأن داود ـ عليه السلام ـ حكم بصميم الحقّ

الذي هو غرمة قيمة الحرث ؛ وإنما أمر بدفع الغنم لأنهم لم تكن عندهم عين في ذلك الزمان وإن كانت فهي قليلة ؛ فكانوا يتعاملون بالغنم والمواشي لكثرتها عندهم ، فلذلك أمر بدفع الغنم ، ولم يأمر بدفع العين .

وأما سليمان ـ عليه السلام ـ ، فإنّه حكم بالصلح ، ورأى أن يدفع منفعةَ الغنم وغلّتها من سمنٍ ولبن وصوف في قيمة الحرث ، حتى يرجع الحرث ـ وهو العنب ـ إلى الحالة الصالحة . وهذا إنّما يكون مع التراضي ، ولا يقال لمن حكم بصميم الحق : إنه أخطأ ، وإنّ الذي حكم بالصلح هو الذي أصاب ..!

وأما توجيه الحكم في القصص الباقية ، فإنّ داود ـ عليه السلام ـ حكم بما يقتضيه ظاهر الحال ـ في القصص الثلاث ـ وهو الواجب في الحكم ، إذ لا يجوز للحاكم أن يحكم بغيره ؛ وسليمان عليه السلام تحيّل على الباطن حتى رده ظاهراً ، فحكم به حينئذ . ولا يقال في الحكم الأول : إنه خطأ ، وأن الثاني هو الصواب ، بل كلّ منهما صواب ؛ وإن كان الأول يجب نقضه عند ظهور الباطن ؛ فنقضه لا يدل على أنّه كان حين التنفيذ خطأً ، فهو بمثابة عدولٍ شهدوا شهادة زور بأمر ، فأمضاه القاضي بناء على شهادتهم ؛ فذلك هو الواجب عليه ، وليس ذلك بخطأ منه ، فإن تاب الشهود ، ورجعوا ، واعترفوا بالزور ، وجب على القاضي أن يحكم بما يقتضيه رجوعهم ؛ ولا يلزم أن يكون حكمه الأول خطأً . ضرب مثل

قال ـ رضي الله عنه ـ : وأعرف رجلاً من فاس ـ يعني نفسه ـ ، ذهب إلى أخ له في الله من أهل البصرة ، ـ يعني سيدي محمد بن عبد الكريم السابق ـ ؛ وكان قاضياً[٨] ، فجلس معه فجاء رجلان يختصمان ، فقال أحدهما : إنّ خصمي أخذ منّي ياقوتة تساوي مالاً عظيماً عريضاً وهي عنده ، فقال خصمه : إنّي أعطيه التفتيش في لباسي وجميع ما عليّ ، وأزيده الحلف بالله : ما هي عندي ؛ فأراد القاضي أن يحكم بذلك . فقال له جليسه : لا تحكم بينهما ، ثم التفت الجليس إلى الخصمين ، فقال : إنّ هذا ـ يعني القاضي ـ أخونا في الله ، وقد صنع لنا طعاماً ، فنريد منكما أن تحضراه ، فإذا أكلنا الطعام نظر القاضي ـ بعد ذلك ـ في أمركما ، قال : فذهبنا مع

(٨) قلت وتقدم ص ٣٣١ . أيضاً أنه قاضٍ في ديوان الأولياء رضي الله عنهم .

القاضي ، فلما حضر الطعام جعل الجليس والقاضي يرمقان المدعى عليه حينئذ ؛ قال : فتنخم ومسح نخامته في سبتية كانت معه ؛ قال : فأخذها من يده ، فإذا الياقوتة خرجت مع النخامة ، فأعطيناها للمدعي . قال ـ رضي الله عنه ـ : فهذه حيلة في ردّ الباطن ظاهراً ، ولو حكم أوّلاً بالتفتيش واليمين لكان حكمه صواباً ، وإن كان يَعلم بطريق الكشف أنها عند المدعى عليه ، فإن الله لم يكلفه بذلك وجليسه استعمل الحيلة حتى رد الباطن ظاهراً ؛ فقلت : فهل القاضي كان يعلم بالكشف أنها عند المدعى عليه ؟

فقال ـ رضي الله عنه ـ : نعم كان يعلم ذلك هو والجليس ، قال : فهذا نظير ما وقع بين هذين النبيّين الكريمين في القصص الثلاث ، ففي القصة الأولى حكم به داود للكبرى لأجل الحوز والحوز يقضى به ، وحكم في الثانية بالرجم لأجل الشهادة ، وفي الثالثة حكم به أيضاً لأجل وجود العَلاَمة ، وسليمانُ [عليه السلام] تحيل في القصص الثلاث حتى رد الباطن ظاهراً ، والله تعالى أعلم .

قلت : فرضي الله عن هذا الشيخ وما أعلمه ! وقد قال ابن حجر : قال ابن المنير[9] : والأصح أنّ داود ـ عليه السلام ـ في واقعة الحرث أصاب في الحكم وسليمان ـ عليه السلام ـ أرشد إلى الصُلح . ولا يخلو قوله تعالى :

﴿ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

أن يكون عاماً ، أو في واقعة الحرث فقط ؛ وعلى التقديرين فيكون أثنى على داود [عليه السلام] فيها بالحكم والعلم ؛ فلا يكون من قبيل « عذر المجتهد إذا أخطأ » ، لأن الخطأ ليس حُكْماً ، ولا علماً ا هـ .

وهو ينحو إلى ما قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ فيها ، ـ أي في واقعة الحرث ـ ، وأما ما ذكره في القصص الثلاث بعدها فهو الحق الذي لا شك فيه ولا

---

(٩) ابن المُنير (٦٥١ ـ ٧٢٣ هـ) : هو عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير ، أبو محمد ، فخر الدين الإسكندري المالكي ؛ مفسر له شعر ونظم ، توفي بالإسكندرية . له « تفسير » في ٦ مجلدات ، و « أرجوزة » في القراءات السبع » ، و « ديوان مديح نبوي » ا هـ . الأعلام .

يمكن الحيد عنه . وقد أشار إلى مثله في قصة أخرى : الإمام الشافعي[10] وأبو عبد الله البلخي[11] وغيرهما من الأكابر . والله تعالى أعلم .

في اللغة السريانية

[س ١٠] وسألته رضي الله عنه عن معنى الساق ، في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ [القلم : ٤٢] .

[ج] فقال رضي الله عنه : الساق - بلغة السريانية - : هو الجد ضدّ الهزل ، فقلت : وهو في لغة العرب أيضاً كذلك يقولون : انكشف الحرب عن ساق أي عن جد . فقال لي : فهو إذاً من توافق اللغتين .

قلت : وما رأيت من يعرف السريانية وجميع اللغات التي لبني آدم وللجنّ وللملائكة وللحيوانات مثله .

سيدنا عيسى بالسريانية

[س وج] فسألته رضي الله عنه : عن اسم سيدنا **عيسى** عليه السلام « **مشيخا** » هل هو بالخاء المعجمة أو المهملة ؟ فقال : هو بالمعجمة ، وهو لفظ سريانيّ ، ومعناه بلغتهم : « الكبير » .

الإنجيل بالسريانية

[س و ج] وسألته رضي الله عنه : عن **معنى** « **الإنجيل** » فقال : هو لفظ سريانيّ ، ومعناه بلغتهم « **نور العين** » .

---

(١٠) الإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) : محمد بن إدريس القرشي صاحب المذهب المشهور . ولد بغزة . حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين . أقام بمصر (٤) سنين ، تفقه في مكة وأستاذه مسلم بن خالد الزنجي . وبالمدينة وأستاذه الإمام مالك بن أنس ، قرأ عليه الموطأ وعمره (١٣) سنة حفظاً ، وقال له مالك : (اتق الله فإنه سيكون لك شأن) . وفي العراق قرأ كتب الإمام محمد بن الحسن الشيباني وانتفع بها وامتدحها . نشر علم الحديث ونصر السنة واستخرج الأحكام منها وامتحن . كان من أكرم الناس وأحلمهم وأذكاهم . أصيب بالبواسير فكان يكتب الحديث والطشت تحته يقطر دماً . قال الهيتمي بما معناه في الفتاوى الحديثية : لم يمت حتى أوتي القطبانية الكبرى .

من أقواله : من ولي القضاء ولم يفتقر فهو لص . من خَدَم خُدم . من أحب أن يقضى له بالحسنى فليحسن بالناس الظن . توفي بمصر ليلة الجمعة ، وقبره مشهور . اهـ . الأعلام ، الطبقات ، وغيرها .

(١١) أبو عبد الله البلخي (... - ٣١٩ هـ) : هو محمد بن الفضل بن العباس . صوفي شهير ، من أجلة مشايخ خراسان ، مات بسمرقند . من كلامه : ست خصال يعرف بها الجاهل : الغضب في غير شيء ، والكلام في غير نفع والعطية في غير موضعها وإفشاء السر ، والثقة بكل أحد ، وأن لا يعرف صديقه من عدوه اهـ . الأعلام .

[س و ج] وسألته رضي الله عنه : عن « التوراة » فقال : هو لفظ عبراني ومعناه بلغتهم « الشريعة » « والكلام الحق » . — التوراة بالسريانية

[س و ج] وسألته رضي الله عنه : عن اسم نبينا ومولانا محمد ﷺ « مشفح » هل هو بالفاء أو بالقاف ؟ فإن العلماء اختلفوا فيه . — سيدنا محمد ﷺ

فقال : هو بالفاء من الشفح ، بمعنى : الحمد . وهو لفظ سرياني . — مشفح

[س و ج] وسألته رضي الله عنه - عن أسمه - ﷺ « المَنْحَمَنّا » فإن العلماء اختلفوا في ضبطه ، فإن منهم من يقول : إنه بضم الميم الأولى وكسر الثانية ، ومنهم من يقول : إنه بفتح الميم الأولى وكسر الثانية . — والمَنْحَمَنّا

فقال رضي الله عنه : هو بفتح الميين معاً الأولى والثانية ، وهما كلمتان لا كلمة واحدة ، « فالمَنْ » : بفتح الميم وإسكان النون كلمة ، و« حَمَنّا » : بفتح الحاء والميم وشد النون كلمة أخرى . ومعنى الكلمة الأولى : النعمة التي لها نفع ظاهر ونفع باطن ؛ فالنفع الظاهر هو ما كان للذوات في عالم الأشباح ، والنفع الباطن هو ما كان للأرواح في عالم الأرواح ؛ فهو نعمة سقي منها جميع المخلوقات وجميع العوالم ، ولا شك أنه ﷺ كذلك . ومعنى الكلمة الثانية - وهي كالصفة للأولى - : أن النعمة السابقة بلغت إلى الغاية وارتفعت إلى النهاية ؛ فكأنه يقول في النبي ﷺ : إنه النعمة التي بلغت الغاية ، ولم يدركه سابق ولا لاحق . وهو لفظ سرياني .

وقد قدم علينا بعض أصحابنا من أخيار أهل « تلمسان » ، فأخبرني أنه سمع بعض من حج بيت الله الحرام يقول : إنه زار قبر سيدي إبراهيم الدسوقي - نفعنا الله به - فوقف عليه الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي - نفعنا الله به - وعلمه دعاء وهو هذا : بسم الإله الخالق الأكبر ، وهو حرز مانع مما أخاف منه وأحذر ، لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ، يلجمه بلجام قدرته ، أحمى حميثا أطمى طميثا ، وكان الله قوياً عزيزاً ، حمٓ عسقٓ حمايتنا ، كهيعصٓ كفايتنا ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . — دعاء الدسوقي قدس سره

فقال له سيدي إبراهيم : ادع بهذا الدعاء ولا تخف من شيء . فقال لي صاحبنا التلمساني وهو الحاج الأبر التاجر الأطهر سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم من أولاد ابن إبراهيم القاطنين بتلمسان : إن أخي الحاج محمد بن إبراهيم لما لم يعرف معنى هاتين الكلمتين وهما « أحمى حميثا وأطمى طميثا » امتنع من هذا الدعاء ، وقال : لا أدري ما معناهما ، ولعل أن يكون فيهما ما أكره ؛ فسألني عن معنى الكلمتين ، فسألت شيخنا رضي الله عنه عن معناهما ؟

فقال رضي الله عنه : ـ بديهة ـ لا يتكلم أحد اليوم على وجه الأرض بهاتين الكلمتين ؛ فمن أين لك بها ؟ فحكيت الحكاية ؛ فقال رضي الله عنه : نعم سيدي إبراهيم الدسوقي من أكابر الصالحين ، ومن أهل الفتح الكبير ، وهو وأمثاله الذين يتكلمون بهاتين الكلمتين .

ثم قال رضي الله عنه : هما كلمتان بلغة السريانية .

أما (أحمى) ، فمعناه : يا مالك ، وفي سره يا مالك الملك العظيم الأعظم الحي القيوم . و (حميثا) إشارة إلى مملكته ؛ فهو بمنزلة من يقول : يا مالك الأسرار ؛ يا مالك الأنوار ؛ يا مالك الليل والنهار ، يا مالك السحاب المدرار ؛ يا مالك الشموس والأقمار ، يا مالك العطاء والمنع ، يا مالك الخفض والرفع ، يا مالك كل حي ، يا مالك كل شيء . وفي هذا الاسم سرّ عجيب لا يطيق القلم ولا العبارة تبليغه أبداً .

وأما (قوله أطمى) : فهو بمنزلة من يصفه تعالى بالعظمة والكبرياء والقهر والغلبة والعز والانفراد في ذلك كله ؛ وكأنه يقول : يا عالم كل شيء ؛ يا قادراً على كل شيء ؛ يا مريد كل شيء ؛ ويا مدبر كل شيء ؛ ويا قاهر كل شيء ؛ ويا من لا يتطرق إليه عجز ، ولا يتوهم في تطرقه نقص . و (طميثا) : إشارة إلى الأشياء التي يتصرف فيها ، وإلى الممكنات التي يفعل فيها ما يشاء ويحكم ما يريد سبحانه لا إله إلا هو . وفي هذا الاسم سرّ عجيب لا يطيق القلم تبليغه أبداً . والله أعلم .

لغة الأرواح

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن اللغة السريانية هي لغة الأرواح ، وبها يتخاطب الأولياء من أهل الديوان فيما بينهم ، لاختصارها ؛ وحملها المعاني

الكثيرة ، التي لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها في لغة أخرى . فقلت : وهل تبلغها في ذلك لغة العرب ؟ فقال رضي الله عنه : لا يبلغها في ذلك إلا ما في القرآن العزيز ، فإن لغة العرب إذا جمعت المعاني التي في السريانية وكانت بلفظ العرب أعذب وأحسن من السريانية . والله أعلم .

اللغة السريانية كل حرف يدل على معنى

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن اللغات كلها مطنبة بالنسبة للسريانية لأن **الكلام** في كل لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية **وفي السريانية يتركب من الحروف الهجائية** ، فكل حرف هجائي في السريانية يدل على معنى مفيد ؛ فإذا جمع إلى حرف آخر حصلت منها فائدة الكلام ؛ ومن عرف لأي معنى وضع كل حرف هان عليه فهم السريانية ، وصار يتكلم بها كيف يحب وارتقى بذلك إلى معرفة أسرار الحروف ؛ وفي ذلك علم عظيم حجبه الله عن العقول ، رحمة بالناس ، لئلا يطلعوا على الحكمة مع الظلام الذي في ذواتهم فيهلكوا ، نسأل الله السلامة . والله أعلم .

وسمعته رضي الله عنه يقول : **إن اللغة السريانية سارية في جميع اللغات** سريان الماء في العود ، لأن حروف الهجاء في كل كلمة من كل لغة ، قد فسرت في السريانية ، ووضعت فيها لمعانيها الخاصة التي سبقت إليها الإشارة . مثاله أحمد : يدل في لغة العرب إذا كان علماً على الذات المسماة به . وفي لغة السريانية : تدل الهمزة المفتوحة التي في أوله على معنى ؛ والحاء المسكنة على معنى والميم المفتوحة على معنى ؛ والدال إن كانت مضمومة على معنى وإن كانت مفتوحة على معنى آخر . وهكذا محمد ، يدل في لغة العرب على الذات المسماة به ؛ وفي السريانية : تدل الميم على معنى ، والحاء المفتوحة على معنى ، والميم المشددة على معنى ؛ والدال في آخره على معنى . وهكذا زيد وعمرو ورجل وامرأة ، وغير ذلك ، مما لا ينحصر في اللغة العربية ، فكل حروفها الهجائية لها معان خاصة في اللغة السريانية ؛ وكذا حكم كل لغة ، فـ (البارقليط) وضع في لغة العبرانية علماً على سيدنا محمد ﷺ ، وفي السريانية : الهمزة التي في أوله تدل على معنى ؛ واللام المسكنة تدل على معنى ؛ والباء على معنى ؛ وهكذا إلى آخر حروفه . فالسريانية : هي أصل اللغات بأسرها . واللغات طارئة عليها ؛ وسبب طروها عليها : الجهل الذي عمّ بني آدم ، وذلك لأن

مبنى وضع السريانية وأصل التخاطب بها المعرفة الصافية التي لا جهل معها ، حتى تكون المعاني عند المتكلمين بها معروفة قبل التكلم ؛ فتكفي إشارة ما في إخطارها في ذهن السامع ، فاتفقوا على أن أشاروا إلى المعاني بالحروف الهجائية ، تقريباً وقصدا إلى الاختصار ؛ لأن غرضهم الخوض في المعاني ، لا فيما يدل عليها ، حتى إنه لو أمكنهم إحضارها بلا تلك الحروف ما وضعوها أصلاً ، ولهذا لا يقدر على التكلم بها إلا أهل الكشف الكبير ومن في معناهم من الأرواح التي خلقت عرّافة درّاكة ، والملائكة الذين جبلوا على المعرفة ، فإذا رأيتهم يتكلمون بها رأيتهم يشيرون بحرف أو بحرفين ، أو بكلمة أو بكلمتين ، إلى ما يشير إليه غيرهم بكراسة أو كراستين .

سبب تغير اللغات عن السريانية

إذا عرفتَ هذا علمتَ أنه لمّا عمّ بني آدمَ الجهلُ ، كان ذلك سبباً في نقل الحروف عن معانيها التي وضعت لها أولاً ، وجعلها مهملة ؛ فاحتيج في أداء المعاني إلى ضم بعضها إلى بعض حتى يحصل منها مجموع يسمى كلمة ، فيدل على معنى من المعاني الدائرة عند أهل ذلك الوضع ؛ فضاع بسبب جهل معاني الحروف ومعرفة أسرارها علم عظيم ؛ ومع ذلك فإن أخذتَ تلك الكلمة التي في تلك اللغة ؛ وأردت أن تفسر حروفها بما كانت عليه قبل الوضع والنقل ، وجدتَ في الغالب حرفاً منها يدل على المعنى الذي نقلت إليه لاتفاقه مع المنقول عنه ، ووجدت باقي حروف تلك الكلمة يدل على معان أخر يعرفها السريانيون ،ويجهلها غيرهم ، فـ (الحائط) مثلاً : وضع في لغة العرب للسور المحيط بدار أو نحوها ، والحاء التي في أوله تدل على ذلك في لغة السريانية ، و (الماء) مثلاً : وضع في لغة العرب للعنصر المعروف ، والهمزة التي في آخره تدل على ذلك ، و (السماء) وضعت للجرم المعلوم ؛ والسين التي في أوله تشير إلى ذلك . وهكذا من تأمل غالب الأسماء وجدها على هذا النمط ، ووجد غالب حروف الكلمة ضائعةً بلا فائدة . والله تعالى أعلم .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن سيدنا آدم - على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام - لما نزل إلى الأرض كان يتكلم بالسريانية مع زوجته وأولاده لقربهم بالعهد ، فكانت معرفتهم بالمعاني صافية ؛ فبقيت السريانية في أولاده على أصلها ، من غير تبديل ولا تغيير ، إلى أن ذهب سيدنا إدريس - على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام - فدخلها التبديل والتغيير ، وجعل الناس ينقلونها عن أصلها ويستنبطون

منها لغاتهم ، فأول لغة استنبطت منها « لغة الهند » **فهي أقرب شيء إلى السريانية** . قال : وإنما كان سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام يتكلم بالسريانية بعد نزوله من الجنّة لأنها كلام أهل الجنّة ؛ فكان يتكلم بها في الجنة فنزل بها إلى الأرض . لغة الهند

[س] فقلت : فقد ذكر المفسرون في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾ [الرحمن : ٢] .

أنّ المرادِ بالإنسان : آدم ؛ والمراد بالبيان : النطق بسبعمائة لغة أفضلها لغة القرآن .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : إن ذلك التعليم الذي وقع لآدم صحيح ؛ وهو كذلك يعرف تلك اللغات ؛ ومَنْ دونه من الأولياء يعرفها ، ولكن لا ينطق إلا باللغة التي نشأ عليها ؛ وآدم إنما نشأ على لغة أهل الجنّة ـ وهي السريانية ـ . والله تعالى أعلم .

قلت : وهذا الكلام في غاية الحسن ، ولا يرد عليه حديث ابن عباس مرفوعاً :

« أَحِبُّوا الْعَرَبَ لِثَلَاثٍ : لأَنِّي عَرَبِيٌّ ، وَالْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ ، وَكَلَامَ أَهْلِ الْجَنَّـةِ[١٢] عَرَبِيٌّ » [تقدم ص ١١٢] .

[س ، ج] فإنّ العُقَيلي قال : لا أصل له ؛ وعده ابن الجوزي في الموضوعات . وسألت عنه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ فقال : ليس بحديث ، ولم يقله النبيّ ﷺ .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : من تأمل كلام الصبيان الصغار وجد السريانية كثيراً في كلامهم ؛ وسبب ذلك : أن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر . فكان آدم ـ عليه السلام ـ يحدث أولاده في الصغر ؛ ويسكّتهم بها ؛ ويسمّي كلام الصغار بالسريانية

(١٢) في ظ ١ : زيادة : في الجنة ... قلت : هي غير واردة في مراجع هذا الحديث .

لهم أنواعَ المآكل والمشارب[١٣] بها . فنشؤوا عليها ، وعلَّموها أولادَهم ، وهلمّ جرّا ؛ فلما وقع التبديل فيها ، وتُنوسيت لم يبق منها عند الكبار شيء في كلامهم ؛ وبقي عند الصغار منها ما بقي . وسرّ آخر : وهو أنّ الصبيّ ما دام في حال الرضاع فإنّ روحه متعلقة بالملأ الأعلى ، وفي ذلك الوقت يرى الصبيّ الرضيع منامات لو رآها الكبير لذاب ، لغلبةِ حكم الروح في ذلك الوقت ، وغلبةِ حكم الذات على الكبير ؛ وقد سبق : أنّ لغات الأرواح هي السريانية ، وكما أنّ ذات الصبيّ ترى المنامات السابقة والحكم للروح فكذلك قد تنطق بألفاظ سريانية والحكم للروح .

قال ـ رضي الله عنه ـ : فمن أسمائه تعالى لفظة : **أغ**[١٤] التي ينطق بها الصبي الرضيع ، وهو اسم يدل على الرفعة والعلو ، واللطف والحنانة ، فهو بمنزلة من يقول : يا عليّ يا رفيع يا حنان يا لطيف ، وترى الصبي إذا فطموه يسمون له مثل الفول والحمص بلفظة : **بوبو** ، وهو موضوع في السريانية للحلو المأكول ، ولذا يُسمى له الثدي الذي يرضع منه بهذا الاسم أيضاً . وإذا أراد الصبي أن يتغوط أعلم أمه وقال : ع ع[١٥] ، وهو موضوع في السريانية لإخراج خَبث الذات ؛ والصبي يسمى له صبي آخر أصغر منه بلفظة : **مُوْمُوْ** وهو موضوع في السريانية للشيء القليل الحجم العزيز ، ولذلك سمي إنسانُ العين باللفظة السابقة ؛ وتضاف إلى العين فيقال : مُوْمُوْ العين ، أي الشيء القليل فيها العزيز . وتَتبُّع بقية ألفاظ السريانية التي في كلام الصبيان يطول . والله تعالى أعلم .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : لا أعرف أحداً في هذا الحين ـ وهو عام تسعة وعشرين ومائة وألف ، في يوم التروية منه ـ من أهلِ المغرب يتكلم بالسريانية ، فقلت له : وسيدي منصور ـ وقد مات قبل ذلك ـ كان يتكلم بها أم لا ؟

فقال ـ رضي الله عنه ـ : نعم ؛ كان يتكلم بها ؛ وسيدي عبد الله البرناوي كان يحسنها أكثر منه .

---

(١٣) في ظ ١ : المأكل والمشرب .

(١٤) أغ من أسمائه تعالى . وسيأتي ص ٣٧٢ أنه بالفم .

(١٥) سيأتي ص ٣٧٢ أنه بالكسر .

فقلت : فما سبب تَعَلُّمِها[١٦] ؟

فقال - رضي الله عنه - : كثرة مخالطة أهل الديوان - رضي الله عنهم - ، فإنهم لا يتكلمون إلا بها ، لكثرة معانيها - كما تقدم - ؛ ولا يتكلمون بالعربية إلا إذا حضر النبي ﷺ أدباً معه ، وتوقيراً ؛ لأنّها كانت لغته ﷺ حال حياته في دار الدنيا .
فقلت : فسيّدي عمر الهواري ، وسيدي محمد اللهواج أكانا يعرفانها ، أم لا ؟ فقال : لا . والله تعالى أعلم .

سؤال القبر بالسرياني

[س] وسألته - رضي الله عنه - : عن **سؤال القبر** ، هل يكون بالسريانية أم بغيرها ؟ وقد قال الحافظ السيوطي في منظومته :

وَمِنْ غَرِيبِ مَا تَرَى الْعَيْنَانِ أَنَّ سُؤَالَ الْقَبْرِ بِالسِّرْيَانِي

قال شارحها : قال الناظم : - يعني في شرح الصدور بأحوال الموتى والقبور - ، وقع في فتاوى شيخ الإسلام علم الدين البلقيني : أن الميت يجيب السؤال بالسرياني . قال الناظم : ولم أقف له على سند .

وقد سئل الحافظ ابن حجر عن ذلك ؛ فقال : ظاهر الحديث أنه باللسان العربي ، ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل واحد بلسانه ؛ وهو متجه . ا هـ .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : نعم ؛ **سؤال القبر بالسريانية** ، **لأنها لغة الملائكة والأرواح** ، ومن جملة الملائكة ملائكة السؤال ، **وإنما يجيب الميت عن سؤالها روحه** وهي تتكلم بالسريانية كسائر الأرواح ، **لأنّ الروح إذا زال عنها حجاب الذات عادت إلى حالتها الأولى** .

قال - رضي الله عنه - : **والوليّ المفتوح عليه فتحاً كبيراً يتكلم بها** ، من غير تعلّم أصلاً ، لأنّ الحكم لروحه فما ظنّك بالميت ؟ **فلا صعوبة عليه في التكلم بها ...!!**

[س] فقلت : يا سيدي ، نريد من الله ، ثم منكم ، **أن تمنوا علينا بذكر** كيفية السؤال ، وكيفية الجواب ، باللغة السريانية .

---

(١٦) كذا في ظ ١ وفي بولاق وغيرها تعليمها . قلت هو تصحيف .

صيغة السؤال في القبر

[ج] فقال رضي الله عنه : أمّا السؤال فإنّ الملكين يقولان له بلفظ السريانية : (مَّرَازْهُوْ) وضبطه بفتح الميم وبها تشديد ضعيف ، وبفتح الراء المهملة وبعدها ألف ، وبعد الألف زاي مسكنة ، وبعد الزاي هاء مضمومة ، بعدها واو ساكنة سكوناً ميتاً ، ومن شاء أن يجعلها هاء واقفة ويجعل بعدها صلة هكذا (هٔ) فله ذلك . ومعنى هذه الحروفِ المسؤولِ بها يُعرفُ بأصل وضع الحروف في اللغة السريانية ؛ فأما الميم المفتوحة وهي الحرف الأول : فإنّها وضعت لتدل على المكونات كلها ، والمخلوقاتِ بأسرها ؛ وأما الحرف الثاني وهو (را)[17] : فإنه وضع للخيرات التي في تلك المكونات ؛ وأما الزاي فإنّها وضعت للشر الذي فيها ، وأما الهاء - التي بعدها صلة - : فإنّها وضعت لتدل على الذات المقدّسة الخالقة للعوالم كلها - سبحانه لا إله إلا هو - . فظهر بهذا أنه أشير بالحرف الأول إلى سائر الكائنات وبالحرف الثاني إلى جميع الخيرات التي فيها ؛ فيدخل في الخيرات سيدُ الوجود ﷺ وجميعُ الأنبياء والملائكة - عليهم الصلاة والسلام - ، والكتبُ السماوية والجنة واللوح والقلم وجميعُ الأنوار التي في السموات والأرضين وما في العرش وما تحته وما فوقه إلى غير ذلك من الخيرات . وأشير بالحرف الثالث وهو الزاي : إلى جميع الشرور فيدخل في ذلك جهنمُ - أعاذنا الله منها - ، وكلُّ ذات خبيثةٍ شريرَةٍ كالشيطان ، وكلُّ ما فيه شر . وأشير بالحرف الرابع - وهو الهاء الموصولة - : إليه تبارك وتعالى .

قال - رضي الله عنه - : وعادة اللغة السريانية الاكتفاء بإرادة بعض المعاني من غير وضع ألفاظ تدل عليها ، وذلك كالقسم والاستفهام والتمني وغير ذلك ، قال : فالاستفهام هنا مراد ، بقرينة السؤال من غير حرف دال عليه ، فكأنه قيل : المكونات كلّها والأنبياءَ والملائكةَ والكتبُ والجنّةُ وجميعُ الخيرات ، كذلك[18] والشياطين وسائرُ الشرور ، هل هو تعالى خالقها أم غيره[19] ؟

صيغة جواب المؤمن في القبر

قال - رضي الله عنه - : وأما الجواب فإنّ الميت إذا كان مؤمناً فإنّه يجيبها

(١٧) هكذا في ظ ١ . وفي بولاق والأزهرية وهو (الراء) . قلت : هو خطأ يظهر من السياق .

(١٨) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والأزهرية : الخيرات والشياطين (بدون وكذلك)

(١٩) في ظ ١ : أو غيره .

بقوله : (مَّرَادْأَزِيْرَهو) ، وضبطه بفتح الميم وفيها تشديد ضعيف وبعدها راء مفتوحة ، بعدها ألف ساكنة ، بعد الألف دال ساكنة ، وبعد الدال همزة مفتوحة ، وبعد الهمزة زاي مكسورة ، بعدها ياء ساكنة سكوناً ميتاً ، وبعد الياء راء ساكنة ، وبعد الراء هاء موصولة بواو ساكنة سكوناً ميتاً .

ومعنى هذه الحروف : أن الحرف الأول أشير به ـ كما سبق ـ إلى المكونات كلّها ، والمخلوقات بأسرها ؛ وأشير بالحرف الثاني إلى نور سيدنا محمّد ﷺ وإلى جميع الأنوار التي تفرعتْ منه ، كأنوار الملائكة والأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأنوار اللوح والقلم ، والبرزخ ، وكلّ ما فيه نور . وإنما فسرنا هذا الحرف في الجواب بهذا التفسير وفسرناه في السؤال بالتفسير السابق ، لأن المجيب من أمّة النبيّ ﷺ فهو يريد أن ينخرط في سلكه ، ويدخل تحت لوائه ، فلذلك يريد في جوابه بهذا الحرف المعنى الذي ذكرناه ؛ ولا يخالف تفسيره في السؤال بجميع الخيرات ، لأن كلّ خير إنما تفرع من نور نبيّنا ﷺ .

قال رضي الله عنه : وأشير بالحرف الثالث ـ وهو الدال المسكّنة ـ : إلى حقيقة جميع ما دخل تحت الحرف الذي قبله ؛ فكأنّه يقول : ونبيّنا محمّد ﷺ حقّ ، وسائر الأنبياء حقّ وسائر الملائكة حقّ ، لا شك في جميع ذلك ، وجميع ما دخل تحت الحرف السابق . وأشير بالحرف الرابع ـ وهو الهمزة المفتوحة ـ : إلى مدلول ما بعدها ، فالهمزة المفتوحة في لغة السريانية من أدوات الإشارة ، كلفظة هذا وهذه في العربية ، والزاي التي بعدها وضعت لتدل على الشر ـ كما سبق ـ فيدخل تحتها الظلام الأصلي ، وكلّ ظلام تفرع عنه ، فهي أريد بها ضدّ ما أريد بالحرف الثاني ، فيدخل فيها جهنّم وكلّ ما فيه ظلامٌ وشرّ . وأشار بالراء المسكنة : إلى حقيقة كل ما يدخل تحت الحرف الذي قبله وهي الزاي المكسورة المشبعة بالياء الساكنة ، وأشير بالهاء الموصولة إلى الذات العلية من حيث إنها خالقة ومالكة ومتصرّفة وقاهرة ومختارة ، فحاصل معنى الجواب أنه قيل : جميع المكونات ونبيّنا الذي هو حقّ وسائر الأنبياء الذين هم حقّ ، وكافة الملائكة الذين هم حقّ ، وجميع

الأنوار التي هي حقّ ، وعذاب جهنم الذي[٢٠] هو حقّ ، وكلّ الشر الذي هو حقّ ، هو ـ سبحانه ـ خالقها ومالكها ، ومتصرف فيها[٢١] ، والمختار فيها وحده ، لا معاند له ولا شريك ، ولا رادّ لحكمه فيها .

إجابة الملك في القبر للميت بعد إقرار الميت بالإيمان

قال رضي الله عنه : فإذا أجاب الميت بهذا الجواب الحقّ قال له الملكان عليهما الصلاة والسلام : (نَاصِرْ) ؛ وضبطه بفتح النون في أوله ، بعدها ألف ، وبعد الألف صاد مكسورة ، وبعد الصاد راء ساكنة . ومعناه يُعلم مما وضعت له حروفه في السريانية ؛ فالحرف الأول وهو (نا) بالنون المفتوحة بعدها ألف : للنور الساكن في الذات المشتعل فيها ؛ والحرف الثاني وهو الصاد المكسورة : وضعت لتدل على التراب ؛ والراء الساكنة : تدل على حقيقة المعنى السابق . فمعنى هذا الكلام حينئذ : نورُ إيمانك الساكنُ في ذاتك الترابية ـ أي التي أصلها من التراب ـ صحيح حقّ مطابق لا شكّ فيه . فهو قريب من قوله في الحديث :

« نَمْ صَالِحاً ، قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِناً » [رواه البخاري ومسلم ومالك وأحمد] . والله تعالى أعلم .

تفسير كلمات في القرآن

[س ١١] وسألته ـ رضي الله عنه ـ : عن كلمات من القرآن اختلف العلماء فيها ، هل هي سريانية أم لا ؟ فمنها :

﴿ أسفاراً ﴾ : قال الواسطي[٢٢] في الإرشاد : هي الكتب بالسريانية ؛ وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : هي الكتب بالقبطية[٢٣] ـ قاله في الإتقان في علوم القرآن ـ .

---

(٢٠) كذا في بولاق والأزهرية . وفي ظ ١ : وضده جهنم التي هي حق .

(٢١) في ظ ١ : ومصرفها .

(٢٢) الواسطي (٣٤٩ ـ ٤٣١ هـ) : هو أبو العلاء محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب بن مروان . قاض عالم بالحديث والقراءات . نشأ وتعلم بواسط . رحل إلى بغداد والكوفة الدينور ، ثم استوطن بغداد وتولى قضاء الحريم من شرقها مع الكوفة وسقي الفرات . جمع كثيراً من الحديث وخرج أبواباً وتراجم وشيوخاً . انتهت إليه رئاسة الإقراء بالعراق . توفي ببغداد . اهـ من الأعلام وغيره .

(٢٣) وجاء في هامش طبعة بولاق : في نسخة بالنبطية بالنون .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : هي سريانية ، وهي الكتب كما قال الواسطي ـ رحمه الله ـ ، ومعنى الكلمة : تلك محاسن الأشياء التي ليست في طوق البشر . لأن الهمزة المفتوحة : إشارة لما يليها ـ كما سبق ـ ؛ والسين المسكنة : وضعت لمحاسن الأشياء ؛ والفاء المفتوحة : اسم لما ليس في طوق البشر ، والراء المفتوحة : إشارة أخرى إلى تلك المحاسن . فكأنه يقول : إنّ الكتب فيها هذه المحاسن التي لا تطاق . والله تعالى أعلم .

ومنها ﴿ الربانيون ﴾ : قال الجواليقي(٢٤) : قال أبو عبيدة(٢٥) : العرب لا تعرف الربانيون ، وأحسب اللفظة عبرانية أو سريانية ، وجزم أبو القاسم بأنها سريانية . قاله في الإتقان .

فقال رضي الله عنه : اللفظة سريانية ، ومعناها : الذين فتح الله عليهم في العلم من غير تعلم . وهي مركبة من ثلاث كلمات : رَبّا ، ونِي ، ويون . فشرح الكلمة الأولى : أن الراء المفتوحة إشارة للخير الكثير الذي دلت عليه الباء المشدّدة ، فكأنه يقول : هذا خير كثير . وشرح الكلمة الثانية : أن النون المكسورة إشارة للقرب . وشرح الكلمة الثالثة : أن الياء المضمومة إشارة إلى الشيء الذي لا يثبت على حالة كالبرق والنور . والنون المفتوحة ، إشارة إلى الخير الساكن في الذات المشتعل فيها . فكأنه يقول : ذلك الخير القريب مني الذي هو في ذوات أهل الفتح نورٌ من الأنوار وسرّ من الأسرار ، وهو ساكن في ذواتهم مشتعل فيها . والله تعالى أعلم .

---

(٢٤) الجواليقي (٤٦٦ ـ ٥٤٠ هـ) : هو موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن ، أبو منصور بن الجواليقي . عالم بالأدب واللغة . مولده ووفاته ببغداد . نسبته إلى عمل الجواليق (   ) وبيعها . قيل فيه : إنه من مفاخر بغداد . كثير الصمت ، شديد التحري فيما يقول ، متقن محقق . له : المعرّب في ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ، وشرح أدب الكاتب ، والعروض ، وغيرها ا هـ . ملخصاً الأعلام .

(٢٥) أبو عُبَيْدَة (١١٠ ـ ٢٠٩ هـ) : هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء ، البصري النحوي . من أئمة العلم بالأدب واللغة . ولد وتوفي بالبصرة . استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد (١٨٨ هـ) وقرأ عليه أشياء من كتبه . قيل : لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه ، ومن حفاظ الحديث لكنه كان إباضياً ، شعوبياً ، يبغض العرب . لم يحضر جنازته أحد لشدة نقده معاصريه . له نحو (٢٠٠) مؤلف ا هـ . ملخصاً الأعلام .

ومنها ﴿ هيت لك ﴾ : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس : هيت لك ، قال : معناه هلمّ لك بالقبطيّة ، وقال الحسن : هو بالسريانية ؛ كذلك أخرجه ابن جرير . وقال عكرمة : هو بالحورانية ، كذلك أخرجه أبو الشيخ[٢٦] ؛ وقال أبو زيد الأنصاري : هو بالعبرانية ، وأصله هيتله ، أي تعاله . قاله في الإتقان .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : ليس بسرياني . والله تعالى أعلم .

ومنها ﴿ شهر ﴾ : ذكر الجواليقي : أن بعض أهل اللغة ذكر أنه سريانيّ .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : ليس بسريانيّ ؛ والشهر في لغة السريانيين : اسم للماء . قلت : ومن عرف تفسير حروفه لم يشكّ في ذلك . والله تعالى أعلم .

ومنها ﴿ عَدْنٌ ﴾ : ذكر ابن جرير أن ابن عباس سأل كعباً عن جنات[٢٧] عدن ؛ فقال : جنات[٢٧] كروم وأعناب بالسريانية . وذكر ابن جرير في تفسيره أنها بالرومية . قاله في الإتقان .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : هي سريانية ؛ وذكر في تفسير اللفظة كلاماً عالياً .

ومنها ﴿ رَهواً ﴾ : قال الواسطي في قوله تعالى : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً ﴾ [الدخان : ٢٤] .

أي ساكناً بالسريانية . وقال أبو القاسم : أي سهلاً بالقبطية ، فقال رضي الله عنه : هي سريانية ، واللفظ يدل على القوة التي لا تطاق ، فإذا قلنا : فلان رهو . أي : قوي لا يطاق ، وإذا قلنا : هذا من القوم الرهو . أي : من القوم الذين لا قِبَل لأحد بهم ، قلت : والمعنى حينئذ ظاهر ؛ ومن عرف تفسير حروف الكلمة لم يشك فيما ذكره الشيخ ـ رضي الله عنه ـ . والله تعالى أعلم .

[س ، ج] وسألته ـ رضي الله عنه ـ : عن ألفاظ من هذا النمط . فأجابني عنها ، وتركت كتبها هنا خشية الملل والسآمة . ولما سمعت منه تفسير كلّ حرف من

---

(٢٦) أبو الشيخ (٢٧٤ ـ ٣٦٩ هـ) : هو ابن حيّان . له « كتاب الثواب » تصانيفه فيها الكثير من الضعيف اهـ . من تعليقات على الأجوبة الفاضلة .

(٢٧) في ظ ١ : جنة .

الكلمة السريانية المتقدمة ، علمت أنّه إنما أجابني عن الألفاظ السابقة من نحو : (مشفح ، ومشيخا ، والإنجيل ، والمنحمنا ، وأحمى حميثا) وغير ذلك مما سبق ، على سبيل التقريب . فطلبت منه - رضي الله عنه - تفسير كلّ كلمة على حسب ما وضعت لها حروفها ، فشرح ذلك كلَّه - ولله الحمد - كلمةً كلمة ، وحرفاً حرفاً فتركت ذكر ذلك خشية الطول . والله تعالى أعلم .

وسمعته - رضي الله عنه - يقول : لا يعرف اللغة السريانية إلا الغوث والأقطاب السبعة الذين تحته ؛ وقد علّمها لي سيدي أحمد بن عبد الله ، في نحو من شهر ؛ وذلك سنة خمس وعشرين يعني : ومائة وألف [١١٢٥ هـ] .

قلت : وهذا الكلام سمعته منه في رابع النحر سنة تسع وعشرين ومائة وألف [١١٢٩ هـ] ، ومراده بسيدي أحمد بن عبد الله : الذي كان غوثاً قبله - كما سبق ذكره - ، وسيأتي [٢ /] أنه من العشرة الذي وَرِثَهم الشيخ - رضي الله عنه - ؛ وزاد في آخر ذي القعدة سنة تسع وراثة رجل آخر من كبار الأولياء ، كما سمعت ذلك منه ، واسم الرجل الوليّ : سيدي إبراهيم لَمْلَز ، - بسكون الميم بين لامين مفتوحتين وفي آخره زاي . كذا ضبطه الشيخ - رضي الله عنه - ، وذلك الوقتَ الذي كان يعلمه سيدي أحمد بن عبد الله السريانية كان أول فتحه ، فعلمه السريانية لعلمه بأنه يصير قطباً ، فإنه تَقَطّب بعد ذلك بقليل ، ومما يدل على أنّه لا يعرفها إلا خواص الأولياء الذين أشار إليهم شيخنا - رضي الله عنه - ما سيأتي في تفسير فواتح السور من النصوص المتظافرة بذلك عن فحول الأولياء - رضي الله عنهم - .

تعلم الشيخ الدباغ للسريانية

وقد علمني - رضي الله عنه - أصلَ وضع الحروف في اللغة السريانية في يوم التروية سنة تسع وعشرين [١١٢٩ هـ] ؛ ففهمتُ ذلك - ولله الحمد - في يوم واحد ، فقال رضي الله عنه : أنا ما تعلمتها إلا في شهر وأنت تعلمتَها في يوم واحد ، فقبّلت يده الكريمة - رضي الله عنه - ، وقلت : هذا من بركتكم ، وحسن تفهيمكم للأشياء . والله تعالى أعلم .

تعلم المؤلف للسريانية

مطلب
ظاهر وباطن كلمات القرآن

وكنت أتكلم معه ذات يوم في آخر رمضان سنة تسع وعشرين في تفسير :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١] .

[س ١٢] فسألته عما اشتهر من أن لكل كلمة في القرآن ظاهراً وباطناً :

[ج] فقال رضي الله عنه : ذلك حقّ فلقوله تعالى :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ . ظاهر وباطن . فظاهرها يتكلم على آخرها ، وباطنها يتكلم على أولها ؛ فقلت : ما مرادكم بالآخر ؟ فقال رضي الله عنه : ما يقع في الحشر يوم القيامة ؛ ومرادنا بالأول ما وقع في عالم الأرواح . ثم تكلم على شيء مما في عالم الأرواح ، فسمعنا منه العجب العجاب ، وأتى بما يبهر العقول وهو من أسرار الله التي لا تكتب .

ثم سألته عن الآية التي ظاهرها في عالم الأرواح نحو : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

فأين باطنها ؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ : ما سبق في العلم الأزلي والتقدير الأولي .

وعن الآية التي هي نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] فما معنى باطنها ؟

فقال ـ رضي الله عنه ـ : الظلام الذي كان في عالم الأرواح ، ومنه نشأت جهنّم ، ـ أعاذنا الله منها ـ ، فللمنافقين فيه مقام يضاهي مقامهم في جهنّم ؛ أي : لأرواحهم مقام في ذلك الظلام يضاهي مقام أشباحهم في جهنم . ـ نسأل الله السلامة ـ . فقلت : وهل لمعرفة هذا الباطن من سبب ؟

فقال رضي الله عنه : لا يُدرك إلا بالكشف ، لكن من عرف السريانيةَ وأسرارَ الحروف ، أعانه ذلك على فهم باطن القرآن عوناً كثيراً ، وعَلِم ما في عالم الأرواح ، وما في هذه الدار ، وما في الدار الآخرة ، وما في السموات ، وما في الأرضين ، وما في العرش ، وغير ذلك ؛ وعلم أن معاني القرآن العزيز التي يشير إليها لا نهاية لها ؛ فعلم معنى قوله تعالى :

كتابـه القرآن في اللـــوح المحفوظ

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] والله تعالى أعلم .

[س ١٣] وسألتـه ـ رضي الله عنـه ـ عن القرآن العزيز : هل هو مكتوب في اللوح المحفوظ باللغة العربية ؟

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : نعم ، وبعضه بالسريانية ؛ فقلت : وما هذا البعض ؟ فقـال ـ رضي الله عنـه ـ : فواتح السور ؛ فقلت : هـذه ضـالتي التي كنتُ أنشد منذ سنين ؛ وذلك أني اجتمعت معه رضي الله عنه ـ ولله الحمد ولـه الشكر ـ أولَ ما اجتمعتُ معه في رجب سنـة خمس وعشرين [١١٢٥ هـ] ، فسـايرتـه في الكلام ، وسألته عن أمور تتعلق بـالـولايـة ، فسمعتُ منـه مـا بهرني فلمـا رآني استحسنت أجوبته ، قال ـ رضي الله عنه ـ : سَلْ عن كل ما بدا لك .

فواتح السُّوَر

[س ١٤] (فسألته) ـ رضي الله عنـه ـ : عن فواتح السور ؛ فقلت لـه : ما معنى : ﴿ صٓ . وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ؟ [ص : ١ ، ٢] .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : لو علم النـاس معنى (صٓ) والسرّ الـذي يشير إليه ، ما اجترأ أحدٌ على مخالفة أمر ربـه أبـداً . ولم يفسره لي [وسيـأتي تفسيره بعد صحيفتين] .

ثم (سألته) عن معنى ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ : فقال لي ـ رضي الله عنه ـ : فيهـا سرّ عجيب ، وكل ما ذكر في سورة مريم من قصـة سيـدنـا زكريـا وسيـدنـا يحي ومريم وولـدهـا عيسى وإبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب ومـوسى وهرون وإدريس وآدم ونوح [على نبينا وعليهم الصلاة والسلام] ، وكل قصة ذكرت في السـورة بعد ذلـك كلّه داخل في معنى (كهيعصٓ) ، وبقي من معناها أكثر مما ذُكر في السـورة .

قال رضي الله عنه : وهـذه الرموز مكتوبـة في اللوح المحفوظ ، وكلّ رمز منهـا يكتب معـه تفسيره[٢٨] ، فـالرمـوز أشكالها عظيمـة وتفسيرهـا يكتب فـوقهـا مرة ، وتحتها أخرى ومرة في وسطها .

---

(٢٨) وسيأتي أيضاً ص ٣٦٦ .

قال رضي الله عنه : وما شبهت ذلك إلا بما يفعله العدول إذا ذكروا متخافي الملاك[٢٩] ، فإنهم إذا ذكروا ذلك واستوعبوه حصلوه في حروف فوقه برسم الزمام . ففواتح السور مثل ذلك الرسم ، وما في السورة مثل التفسير له ، وهي عادة اللوح المحفوظ يترجم برموز ثم يشتغل بتفسيرها ، فإذا فرغ منها ترجم برموز غيرها ثم يفسرها ، وهلم جرا ، والتفسير يكتب في جوف الحرف إذا كان نحو (صۤ) فلهذا يُرى في اللوح المحفوظ عظيماً[٣٠] نحواً من مسيرة يوم وأقلّ وأكثر .

قال - رضي الله عنه - : ولا يعلم ما في فواتح السور إلا أحد رجلين : رجل ينظر في اللوح المحفوظ ، ورجل يخالط ديوان الأولياء أهل التصرف - رضي الله عنهم - ، وغير هذين الرجلين لا طمعية له في معرفة فواتح السور أبداً .

[س] وسألته رضي الله عنه : عن ﴿ الٓمٓ ﴾ التي في أول البقرة ، وعن ﴿ الٓمٓ ﴾ التي في أول سورة آل عمران ، هل أشير بها إلى شيء واحد أو معناهما مختلف ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : بل معناهما مختلف ؛ وكل واحدة منهما قد شُرحت بما في سورتها . سمعت هذا الكلام منه في أول ما لقيته ، فعلمتُ أنه - رضي الله عنه - من أكابر الأولياء ؛ لأني رأيت أكابر الصوفية - رضي الله عنهم - إذا تعرضوا لفواتح السور ورمزوا إلى شيء مما ذكره الشيخ - رضي الله عنه - ، صرحوا بأنه : **لا يعرف معنى فواتح السور إلا الأولياء الذين هم أوتاد الأرض** . فكانت هذه عندي شهادة عظيمة بولاية هذا السيد الجليل . رزقنا الله محبته ووصلنا إلى العلوم التي تبدو لنا منه ، ولم يتعاط شيئاً منها لا في كبره ولا في صغره ، بل ولا قرأ القرآن ولا يحفظ منه إلا سوراً قليلة من حزب (سبّح) ...! وإذا سمعته يتكلم في تفسير آية سمعت العجب العجاب ؛ وهذه نصوص من أكابر الصوفية - رضي الله عنهم - الشاهدة بولايته ، وبجميع ما أشار إليه الشيخ - رضي الله عنه - .

---

(٢٩) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والأزهرية : متخلف المالك - والأولى أقرب فهماً -

(٣٠) في ظ ١ : عظيماً فيه نحوٌ من ..

قال الترمذي الحكيم[٣١] ـ رضي الله عنه ـ في « نوادر الأصول » : إن فواتح السور فيها إشارة إلى حشو ما في السورة ؛ ولا يَعلم ذلك إلا حكماءُ الله في أرضه ، وأوتاد أرضه ، وصلوا إليه به ؛ نالوا هذه الحكمة وهم نجباء الحكماء ؛ هم : قوم وصلت قلوبُهم إلى فردانيته ؛ تناولوا هذا العلم من الفردية وهو علم حروف المعجم ، وبهذه الحروف يعبّر للعلوم كلّها ، وبالحروف ظهرت أسماؤه حتى عبروها بالألسنة ا هـ . نَقَله الولي العارف بالله سيدي أبو زيد عبد الرحمن الفاسي ـ رحمه الله ـ في حاشيته على الحزب الكبير ، للولي القطب الكبير أبي الحسن الشاذلي ـ نفعنا الله به ـ .

خصائص الأنبياء والأولياء

وقال في تلك الحاشية أيضاً : قال بعضهم : **معرفة الحروف والأسماء** من خصائص علوم الأنبياء ، من حيث كونهم أولياء ؛ ولذا تقع المشاركة فيها بين الأولياء والأنبياء ؛ **وهي من علوم الكشف** ، فلا فائدة في التصرف فيها ببضاعة العقل ، بل لا يعرفه من جهله ، ولا يجهله من عرفه ، وكلٌّ على حسب ما فتح له ، ولذلك يتفاوت فيها أهلها ، ويقع الاختلاف بينهم فيما يشيرون إليه فيها .

﴿ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾ [الرعد : ٤] ا هـ .

وقال في تلك الحاشية أيضاً : قال الورتجي[٣٢] في تفسيره : الحروفُ المقطعات رموز معاني سور القرآن ؛ ولا يعرف معاني تلك الرموز إلا الربانيون ا هـ .

قال سيّدي عبد الرحمن ـ صاحب الحاشية ـ : ويَرِد عليه أنه ورد رمز متحد في صور متعددة مختلفة المعاني نحو : (الٓمٓ حمٓ) ونحو ذلك . ويجاب : بأن الرمز كالمشترك بين معان ا هـ .

قلت : فانظر إلى هذه الشهادة العظيمة من هؤلاء الأكابر ، وقد ذكر في تلك

---

(٢١) الحكيم الترمذي (. . ـ نحو ٣٢٠ هـ) : هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، أبو عبد الله . باحث ، صوفي ، عالم بالحديث وأصول الدين . من أهل « ترمذ » هجروه في آخر عمره لكتابه « ختم الولاية وعلل الشريعة » . وجاء إلى « بلخ » فأكرمه أهلها وعمره نحو (٩٠) سنة ا هـ . ملخصاً الأعلام . له كتب عد منها في « الأعلام » (١٢) كتاباً منها : « أدب النفس » و « الفروق » و « نوادر الأصول » ا هـ .

(٣٢) في الأزهرية : الوزتجي .

الحاشية تقولاً أخر عن سيدي عبد النور ، وسيدي محمد بن سلطان[٣٣] ، وسيدي داود الباخلي ، في شرح الحزب المعروف بحزب البحر لسيّدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي فانظرها في تلك الحاشية[٣٤] لتعلم مكانة هذا الإمام الكبير ـ حققنا الله بمحبته ـ .

فبقيت على ما سمعت منه في أوائل السور من غير استفادة لخصوص معانيها إلى أن كان يوم التروية سنة ١١٢٩ هـ ، فسمعت منه ما سبق ، وهو : أن بعض القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ بالسريانية ، وأن ذلك البعض هو فواتح السور .

[س] (فطلبت منه) أن يجيبني إلى تفسير كل فاتحة على حدتها ، ويذكرّ لي شرح تلك الرموز بأسرها ، فأجابني ـ ولله الحمد ـ على ذلك . فلنشر إلى بعضه فإنّ جميعه لا يسعه إلا تأليف مستقل ، فنقول :

[ج] أما ﴿ صٓ ﴾ : فقال ـ رضي الله عنه ـ في تفسيره : إن المراد به في هذه السورة الفراغ الذي يجتمع فيه الناس وجميع الخلائق في يوم المحشر ، وذكره في الآية على سبيل الوعد والوعيد ، فكأنه يقول : إن[٣٥] الذي أخوفكم وأبشركم به هو (صٓ) وذلك أن ذلك الفراغ يتلون على **ما تقتضيه أفعال كلّ ذات** من الذوات . فتراه على كافر عذاباً من العذاب ، وعلى مؤمن إلى جنبه رحمةً من الرحمات ، وعلى كافر آخر واقف إلى جنب هذا المؤمن عذاباً ، ولكن لا من جنس العذاب الذي للكافر الأول ، بل من جنس آخر ؛ وعلى مؤمن آخر واقف إلى جنب هذا المؤمن رحمةً ، ولكن لا من جنس الرحمة التي للمؤمن الأول ، بل من جنس آخر اقتضته أفعاله ؛ وهكذا حتى تأتي على جميع من في المحشر ، ولا تجد فيه حيزاً يشبه حيزاً أبداً ، مع أنه فراغ واحد في رأى العين . **وعلى ما تقتضيه طبيعة الدنيا** ، والمفتوح عليه يرى هذا عياناً فيرى زيداً في فراغه على ما كتب له ويرى عمراً في فراغه على

(٣٣) ابن سلطان (٨٧٠ ـ ٩٥٠ هـ) : هو محمد بن محمد بن عمر بن سلطان الدمشقي الصالحي الحنفي ، أبو عبد الله ، مؤرخ ، مفتي الشام ، قاضي مصر زمن الغوري نيابة عن شيخه ابن الشحنة ؛ كفّ بصره ، توفي بدمشق . له عدة تصانيف ا هـ . الأعلام ملخصاً .

(٣٤) فانظرها في تلك الحاشية : زيادة في ظ ١ .

(٣٥) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والأزهرية وعثمان : يقول : هو (ص) أي الذي .. ـ ويظهر أن الأول أضبط ـ

ما كتب له ، وكأنهم الآن واقفون فيه بين يدي الله ـ عزّ وجلّ ـ . فلهذا قلنا : لو علم الناس ما أريد بـ (صّ) وما أشير إليه به ؛ ما اجترأ واحد على مخالفة أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ فإنّه لو فتح للناس على مكانتهم في ذلك الفراغ لاغتبط المطيع ، ولمات المخالف أسفاً ، ولا يخفى أنه يكون في ذلك الفراغ الكفار والمؤمنون والأنبياء والملائكة والجنّ والشياطين . وقد أشار إلى الكفار في صدر السورة بذكر طوائف منهم ؛ وإلى الأنبياء بذكر طوائف منهم ؛ وإلى المؤمنين بذكرهم خلالَ ذكر الأنبياء ؛ وإلى الملائكة بذكر الملأ الأعلى آخر السورة ؛ وإلى الجنّ والشياطين بالإشارة إليهم في آخر السورة ؛ وذكر أحوالهم في الدنيا ، وإن لم تكن لهم في المحشر لأنّها هي السبب في اختلاف أحوالهم في ذلك الفراغ الذي يُحشرون فيه .

وبقيتْ أسرارٌ أخر تتعلق بما في السورة ، لا يحلّ إفشاؤها . والله تعالى أعلم .

وأما ﴿ كهيعصٓ ﴾ : فلا يفهم المراد منها إلا بعد تفسير كل حرف على حدته ، فالكاف المفتوحة : وضعت للعبد ، والفاء الساكنة : تحقيق لمعنى الفاء المفتوحة ، ففيها ما في المفتوحة وزيادة التحقيق والتقرير ؛ ومعنى المفتوحة : الشيء الذي لا يطاق ، فكأن الساكنة تقول : وكونه لا يطاق حقّ لا شك فيه . والهاء المفتوحة : وضعت لتدل على الرحمة الطاهرة الصافية التي لا يخالطها كدر ولا غير ، ويا : للنداء . والعين المفتوحة : وضعت لتدل على الرحيل والانتقال من حال إلى حال . والياء المسكّنة : هنا تدل على الاشتباك والاختلاط . والنون المسكّنة : تحقيق لمعنى المفتوحة ؛ ومعنى المفتوحة : الخير الساكن في الذات ، الشاغل فيها . والصاد المفتوحة : وضعت لتدل على الفراغ . والدال المسكنة : تحقيق لمعنى الصاد ، لأنها من حروف الإشارة ، وحروف الإشارة : تحقيق للمعاني التي قبلها ، بخلاف حروف غير الإشارة فإنّها إذا سكّنت حققت معاني مفتوحاتها . هذا تفسير الحروف على ما اقتضاه وضعها .

وأمّا المعنى المراد منها هنا : فهو إعلامٌ من الله ـ تعالى ـ لجميع المخلوقات بمكانة النبي ﷺ وعظيم منزلته عند الله تعالى ؛ وأنه تعالى مَنّ على كافة المخلوقات بأن جعل استمداد أنوارها من هذا النبيّ الكريم ﷺ ، وبيان ذلك من التفسير السابق :

أن الكاف : دلّت على أنّه ﷺ عبدٌ ، والفاء الساكنة : دلت على أنه لا يطاق ، وأنّ كونه لا يطاق حقّ لا شكّ فيه ، ومعنى كونه لا يطاق : أنه أعجزَ الخلائق فلم يدركه سابق ولا لاحق ، فكان بذلك سيدَ الوجود ﷺ . والهاء المفتوحة : دلّت على أنه رحمة طاهرة[٣٦] صافية مطهِّرة لغيرها ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وقال ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ لِلْخَلْقِ »[٣٧] .

و « يا » نداء للعبد السابق ؛ والمنادي لأجله : هو ما دلت عليه العين من الرحلة المؤكدة بمعنى الياء الساكنة ، لأنها من حروف الإشارة ؛ وحروف الإشارة : للتأكيد كما سبق ، وتفيد مع ذلك لزوم الرحلة واشتباكها ، والمرحول به : هو معنى النون الساكنة ، وهو نور الوجود الذي تقوم به الموجودات . والمرحول إليه : هو المعنى الذي أشير إليه بالصاد . فمعنى الكلام حينئذ : يا هذا العبد العزيز علي ، اذهب ذهاباً ، حتماً لازماً ، إلى جميع من هو في حيز وفراغ بالأنوار التي تقوم بها وجوداتهم ، ليستمدوا منك ؛ فإن مادة الجميع إنّما هي منك .

فقد ترتبت معاني الحروف ترتيباً حسناً واتسق نظم الكلام أيّ اتساق ، وذلك لأن معاني الحروف في السريانية كمعاني الكلمات في غيرها ، فكما أن الكلام إذا تركب من الكلمات في لغة من اللغات لا يستقيم إلا إذا ترتبت معاني كلماته ، كذلك الكلام في السريانية إذا تركب من الحروف فإنه لا يستقيم إلا إذا ترتبت معاني حروفه ، وكان بعضها آخذاً بحجزةِ بعض . وكما أن الكلام إذا تركب من الكلمات في غير السريانية قد يحتاج من ترتيب معاني كلماته إلى تقديم وتأخير وفصلٍ بين معنيين متلاصقين بما هو أجنبي منهما ، وإضمارِ شيء يتوقف عليه تصحيح المعنى ، كذلك الكلام في السريانية إذا تركب من الحروف فقد يحتاج في ترتيب معاني الحروف إلى تقديم وتأخير ، وحذف وإضمار ، إلى غير ذلك .

---

(٣٦) في ظ ١ : ظاهرة .

(٣٧) ورواه مسلم بلفظ : أنا محمد ... ونبي الرحمة .

قال رضي الله عنه : وهذا الذي فسرنا به معاني هذه الرموز معلوم عند أربابه بالكشف والعيان ؛ فإنهم يشاهدون سيدَ الوجود ﷺ ، ويشاهدون ما أعطاه الله - عزّ وجلّ - ، وما أكرمه به ربّه بما لا يطيقه غيره ، ويشاهدون غيره من المخلوقات الأنبياء والملائكة وغيرَهم ، ويشاهدون ما أعطاهم الله من الكرامات ، ويشاهدون المادّة سارية من سيّد الوجود ﷺ إلى كلّ مخلوق في خيوط من نور قابضة في نوره ﷺ ممتدة إلى ذوات الأنبياء والملائكة - عليهم الصلاة والسلام - وذواتِ غيرهم من المخلوقات ؛ فيشاهدون عجائب ذلك الاستمداد وغرائبه .

خيط نوره ﷺ

قال - رضي الله عنه - : ولقد أخذ بعض الصالحين طرف خبزة ليأكله ، فنظر فيه وفي النعمة التي رَزَقها بنو آدم ؛ قال : فرأى في ذلك الخبز خيطاً من نور ، فتبعه بنظره فرآه متصلاً بخيط نوره الذي اتصل بنوره ﷺ ، فرأى الخيط المتصل بالنور الكريم واحداً ، ثم بعد أن امتد قليلاً جعل يتفرع إلى خيوط ، كلٌّ خيط متصلٌ بنعمة من نعم تلك الذوات . قلت : وهو صاحب الحكاية - رضي الله عنه - ، وجعلنا من حزبه ، ومن شيعته ؛ ولا قطع بيننا وبينه .

حكاية واقعة

قال - رضي الله عنه - : ولقد وقع لبعض أهل الخذلان - نسأل الله السلامة - أنه قال : ليس لي من سيدنا محمّد ﷺ إلا الهدايةُ إلى الإيمان ، وأمّا نور إيماني فهو من الله - عزّ وجلّ - لا من النبيّ ﷺ ؛ فقال له الصالحون[٣٨] : أرأيت إن قطعنا ما بين نور إيمانك وبين نوره ﷺ وأبقينا لك الهداية التي ذكرت ، أترضى بذلك ؟ قال : نعم رضيت . قال - رضي الله عنه - : فما تم كلامه حتى سجد للصليب وكفر بالله وبرسوله ﷺ ؛ ومات على كفره - نسأل الله السلامة بمنّه وفضله - .

وبالجملة : فأولياء الله تعالى العارفون به - عزّ وجلّ - وبقدر رسول الله ﷺ ، يشاهدون جميعَ ما سبق عياناً ، كما يشاهدون جميع المحسوسات ، بل أقوى ؛ لأن نظر البصيرة أقوى من نظر البصر - كما سيأتي - ، وحينئذ فيشاهدون سيدنا زكريا - عليه السلام - وأحوالَه ومقاماته من الله - عزّ وجلّ - ممتدةً من سيد الوجود ﷺ إلى سيدنا زكريا - عليه الصلاة والسلام - ؛ وكذلك كل ما ذكر في السورة من

(٣٨) في ظ ١ : بعض الصالحين .

سيدنا يحي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأحواله ومقاماته ، ومريم وأحوالها ومقاماتها ، وعيسى [عليه السلام] وأحواله ومقاماته ، وإبراهيم وإسمعيل وموسى وهرون وإدريس وآدم ونوح [عليهم الصلاة والسلام] ؛ وكل نبيّ أنعم الله عليه .

وهذا بعض ما دخل تحت تلك الرموز ، وبقي مما دخل فيها عدد لا يحصى ؛ فلهذا قلنا : إنّ ما في السورة بعضّ البعض مما في الرموز ؛ فإنّ جميع الموجودات ـ الناطقة والصامتة ، العاقلة وغير العاقلة ، وما فيه روح وما لا روح فيه ـ كلّها داخلة في تلك الرموز .

[س] ولما سمعت منه ـ رضي الله عنه ـ : هذا التفسير الحسن ، سألته ـ رضي الله عنه ـ عما نقله أبو زيد في الحاشية السابقة عن سيدي محمد بن سلطان ؛ ونصه : ونقل سيدي عبد النور عن سيدي أبي عبد الله بن سلطان ، ـ وكان من أصحاب الشاذلي رضي الله عنهم ـ أنه قال : رأيت في النوم كأني اختلفت مع بعض الفقهاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ كهيعصٓ ﴾ و ﴿ حمعسقٓ ﴾ فأجرى الله تعالى على لساني ، ـ أو قال ـ فقلت : هي أسرار بين الله تعالى وبين رسوله ﷺ ، فكأنه قال : « كاف » ، أنت كهف الوجود الذي يأوي إليه كل موجود ، أنت كل الوجود ، « ها » هبنا لك المُلك ، وهيّأنا لك المَلكوت ، « يا ، عين » يا عينَ العيون ، « صاد » صِفاتي ، أنت : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

« حا » حَمَيْناك ، « ميم » ملَّكناك ، « عين » عَلَّمناك ، « سين » سارَرْناك ، « قاف » قَرَّبناك . قال : فنازعوني في ذلك ولم يقبلوه مني ، فقلت : نسير إلى رسول الله ﷺ ليفصل بيننا ؛ فسرنا فلقينا رسول الله ﷺ ، فقال لنا : الذي قال محمد بن سلطان هو الحق اهـ .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : هذا المعنى الذي قاله سيدي محمد بن سلطان صحيح بالنسبة إلى مقامه ﷺ ؛ وتفسير هذه الحروف على حسب وضعها وما اقتضاه أصلها هو ما قلناه .

قلت : ولا يخفى عليك علو تفسير الشيخ ـ رضي الله عنه ـ فإنّ هبة المُلك وتهيئة الملكوت كلٌّ منهما يقتضي المباينة له ﷺ ، وعدم التفرع عنه ؛ وأين هذا من

إدراج المُلك والملكوت وجميع المخلوقات تحت الصاد ؟ ثم الحكم على الجميع بأن مادته من سيد الوجود ﷺ على ما اقتضاه حرف النون والعين ؛ وهذا معنى كونه « كهف الوجود الذي يأوي إليه كلّ موجود » ؛ فكل ما أشار إليه سيّدي محمد بن سلطان - رضي الله عنه - يندرج تحت النون والعين والصاد .

ثم سمعت منه - رضي الله عنه - تفسيرَ الفواتح كلّها ، فاتحةً فاتحة ، ورمزاً رمزا ؛ ولا سبيل إلى كتب جميع ذلك لطوله ؛ إلا أني أذكر ههنا جوابين للشيخ - رضي الله عنه - . أحدهما : عن سؤال وَجّهه إليه بعض الفقهاء ، ممن ينتسب إلى محبّة الفقراء ، مع عدة أسئلة :

ونص السؤال : ومنها - سيّدي - (أي من الأسئلة) : ما السرّ الإلهي المودع في حرف مقطع وهو (قٓ) ، حتى قال فيه بعض العارفين : فيه اجتمع سرّ دائرة الحضرة القديمة والحضرة الحادثة . بَيّن لنا سيّدي ذلك ؟ (وكان قصده بهذه الأسئلة اختبارَ الشيخ - رضي الله عنه - وهل ما ينسب إليه من العلوم الوهبية صحيح ، أم لا ؟ فنظر هذا الفقيه في كتب الحاتمي وغيره وجَمَع من الأسئلة ما يحسب[٣٩] أنه لا يجيب عنه أحد ؛ فوجهه للشيخ - رضي الله عنه -) .

الحضرة القديمة = حضرة الأنوار الحادثة

الحضرة الحادثة = حضرة الأرواح والأشباح

فأجاب - رضي الله عنه - عنها كلّها ، مع كونه أميّاً عاميّاً . وأجاب - رضي الله عنه - عن هذا السؤال : بأن **الحضرة القديمة** : هي حضرة الأنوار الحادثة التي كانت مخلوقة قَبل خلق الأرواح والأشباح ، وقَبل خلق السموات والأرضين ؛ وليس المراد بالقدم القدم على حقيقته - الذي هو حيث كان الله ولا شيء معه - . والمراد **بالحضرة الحادثة** : هي ما بعد ذلك من الأرواح والأشباح ، ولا شكّ أن حضرة الأرواح مع الأشباح ، منها ما وعده الله بالجنّة ، ومنها ما وعده الله بالنار ؛ ثم ما وعده الله بالجنّة فرع عن بعض أنوار حضرة الأنوار ؛ كما أنّ ما وعده الله بالنار فرع عن بعضها . فصارت الحضرة الثانية فرعاً عن الحضرة الأولى وانقسم الأمر فيها إلى : مرضيّ عنه ، وغير مرضيّ عنه . فإذا فهمتَ هذا ، فهذا الحرف المقطّع ، فيه من حيث التلفظ ثلاثة حروف : مسمّى قاف ، ومسمّى ألف ، ومسمّى فاء . فمسمّى

(٣٩) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : ما لا يحسب . وهو خطأ .

قاف مضموماً إلى مسمّى ألف ، موضوع في السريانية لتصرف الله تعالى في الحضرتين بالخير وبالشرّ ، وبالفضل والعدل ، ومسمّى فاء إذا كان مُسَكّناً موضوع في السريانية لإزالة القبيح مما قبله ؛ والقبيح منها هو الموعود بالشرّ ، وإذا زال منها الموعود بالشرّ بقي الموعود بالخير فيها ، وهم خاصّته تبارك وتعالى .

فهذا الحرف المقطّع إشارة إلى خاصته تعالى في الحضرتين ، وإلى الخيرات التي تَفَضّل - جلّ وعلا - عليهم بها ؛ وهذا هو سرّ الحضرتين ، فهو اسم من أسمائه تعالى أضيف إلى أعزّ المخلوقات عليه - تبارك وتعالى - ، فهو بمنزلة قولنا في العربية : « سلطان » ؛ فهذا اللفظ يشير إلى المَلِكِ ورَعِيته ، سواء كانت الرعية أهلَ سعادَة ، كالمسلمين ، أو أهلَ شقاوة كالذميّين ؛ فإذا أريد مَدح مَلِك قيل فيه : « سلطان الإسلام » . فالإسلام أخرج أهل الذمّة من حيث الأدب والتعظيم والوقار ، لا أنهم خارجون حقيقة ؛ فهو بمنزلة من يقول : « يا ربَّ محمّد والأنبياء والملائكة وأهل السعادة ، وهكذا حتى تأتي على جميع عددهم ، وعدد مقاماتهم ، وأحوالهم مع الله تعالى ، وحتى تأتي على أهل الجنة ، وجميع منازلهم ودرجاتهم فيها ؛ فإذا أتيت عليه ولم تذر منه شعرة واحدة ، فهو معنى (قٓ) » . ففيه حينئذ أسرار الرسالة ، وأسرار النبوة ، وأسرار الملائكة ، وأسرار الولاية ، وأسرار السعادة ، وأسرار الجنة ، وأسرار جميع الأنوار ، وسائر الخيرات التي في سائر المخلوقات .

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] .

وعادتهم في السريانية أن لا يكتبوا في الخطّ « الفاء » التي للإزالة ، ليتشاكل الخطّ مع المعنى . فلهذا لم تكتب في الخطّ في (قٓ) . والله أعلم .

الحضرة القديمة = ما سبق في العلم الأزلي

فقال - رضي الله تعالى عنه - : وإن شئت أن تجعل الحضرة القديمة هو ما سبق في العلم الأزليّ ؛ وتكون الحضرة قديمة على حقيقتها ؛ وتجعلَ الحضرة الحادثة هي المعلومات التي أوجدها - عزّ وجلّ - وأبرزَها في هذا العالم ؛ فَلَكَ ذلك ؛ وبَقِيَتْ المعنى على حالتها[٤٠] . والله تعالى أعلم .

---

(٤٠) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : على حاله .

قلت : فانظر ـ وفقك الله ـ ما أحسن هذا الجواب ...! وقد اجتمعت مع السائل فقلت له : ما عندكم في جواب الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ؟ فقال : الذي ذكره الشيخ زروق[٤١] أن الحضرة القديمة : هي دائرة القاف والحادثة هي التعريقة التي تحت الدائرة ، والسرّ الذي فيها : هو الإشارة إلى استمداد الحادثة من القديمة ، من حيث إن التعريقة متصلة بالحلقة التي سميناها دائرة ، فاتصالها أشير به إلى استمداد الحادثة من القديمة ، فقد أشير بسورة (قٓ) إلى الحضرتين بحلقته إلى القديمة ، وبتعريقته إلى الحادثة ؛ وباتصال التعريقة بالحلقة إلى استمداد الحادثة من القديمة .

فقلت : وأيْنَ هذا مما ذكره الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ..؟! فإنّ السؤال وقع عن معنى قاف الذي هو لفظ من الألفاظ ؛ وهذا الذي ذكرتموه إنما يتعلق بالخط لا باللفظ ، فإنّ لفظ « قاف » ليس فيه حلقة ولا تعريقة ، ثمّ إنّ ما ذكرتموه ليس فيه تعرّض لمعنى الحضرة القديمة والحضرة الحادثة ، ثمّ أيّ مناسبة بين الحلقة والحضرة القديمة ..؟! وأيّ مناسبة بين التعريقة والحضرة الحادثة ..؟! فإن كان ذلك لمجرد الاتصال فهو موجود في حلقة الميم وتعريقتها ، وفي الصاد والضاد والعين والغين وغير ذلك من الحروف التي فيها حلقة وتعريقة . فانقطع السائل ولم يدر ما يقول . وليس هذا مِنّي اعتراض على الشيخ زروق ـ رضي الله عنه ـ ، فإنّي ـ أعوذ بالله من الاعتراض عليه وعلى غيره من الأولياء نفعنا الله بعلومهم ـ ؛ وإنّما باحثت السائل وجاريته في الكلام على أنّي لم أقف على كلام الشيخ زروق[٤١] ـ رضي الله عنه ـ ، ولا علمتُ كيف هو ؛ ولعلّ السائل نقله لي بالمعنى ولم يتحققه ، فلذلك وقع عليه الاعتراض . والله تعالى أعلم .

وأما الجواب الثاني : فهو عن الإشكال الذي أشار إليه سيدي عبد الرحمن الفاسي ـ نفعنا الله به ـ صاحب الحاشية السابقة .

---

(٤١) زَرُّوق (٨٤٦ ـ ٨٩٩ هـ) : هو أحمد بن أحمد البَرُنُسي الفاسي ، أبو العباس . فقيه محدث صوفي من أهل فاس بالمغرب . تفقه ببلده وبمصر والمدينة . غلب عليه التصوف فتجرّد وساح . توفي في تكرين (قرية في طرابلس الغرب) . له تصانيف كثيرة في الفقه والإرشاد النبوي والتصوف . عدّ منها في الأعلام ثمانية . ا هـ من الأعلام . قلت : ومن أشهر تصانيفه وأهمها : قواعد التصوف .

مطلب
وجه اتحاد الرمز وتعدد السور

[س] وحاصله : ما وجه اتحاد الرمز وتعدد السور ، إذا كانت الفواتح رموزاً إلى حشو ما في سُورِها ؛ فإنّ هذا يقتضي تباينَ الرموز كما تباينت السور ..؟!

ألوان أنوار آيات القرآن ثلاثة

[ج] فأجاب ـ رضي الله عنه ـ : بأن سبب اختلاف السور واتحاد الرموز هو : أن **أنوار الآيات القرآنية** ثلاثة أقسام : **أبيض** : وهو الذي يقوله العباد ويسألونه من ربّهم ـ عز وجل ـ . **وأخضر** : وهو ما يقوله الحقّ ـ سبحانه ـ . **وأصفر** : وهو ما يتعلق بأحوال المغضوب عليهم . ففي الفاتحة الأخضر ، وهو : ﴿ الحمد لله ﴾ ، لأنه من قول الحقّ ـ سبحانه تعالى ـ ؛ وفيها الأبيض وهو : من ﴿ رب العالمين ﴾ إلى ﴿ غير المغضوب ﴾ ؛ وفيها الأصفر ، وهو : من ﴿ المغضوب عليهم ﴾ إلى آخرها . وهذه الأنوار الثلاثة في كلّ سورة ، إلا أن بعضها قد يقلّ وبعضها قد يكثر كما ترى في الفاتحة .

اللوح المحفوظ له ثلاثة أوجه

وسبب اختلاف هذه الأنوار الثلاثة اختلاف **الأوجه الثلاثة التي للوح المحفوظ** ، فإن **له وجهاً إلى الدنيا** ـ أي متعلقاً بالدنيا وأحوال أهلها ـ وقد كُتب فيه كل ما يتعلق بها وبأهلها ؛ وله **وجه آخر إلى الجنة** ، وقد كُتب فيه أحوالها وأحوال أهلها وصفاتهم ؛ وله **وجه آخر إلى جهنم** ، وقد كُتب فيه أحوالها وأحوال أهلها وصفاتهم ـ أعاذنا الله من جهنّم وعذابها ـ . فالوجه الذي إلى الدنيا : نوره أبيض ، والذي إلى الجنة : نوره أخضر ، والذي إلى جهنم : نوره أصفر ؛ وهو أسود في الحقيقة ، وإنما صار أصفرَ في **نظر المؤمن لأن نور بصيرته إذا وقع على شيء أسود صيره أصفر في نظره** ، حتى إنّ **المؤمن** إذا كان في الحشر ، وكان له من النور الخارق ما كُتب له ، وكان على البعد منه كافر أحاط به سواد عظيم وظلام كثير ، فإنه ـ أي المؤمن ـ يراه أصفر فيعلم أنّ ذلك الشبح المرئي شبحُ كافر .

قال ـ رضي الله عنه ـ : وأما **الكافر** فإنه لا يرى شيئاً ، ويحجبه الظلام الذي غشيه من كلّ جهة ؛ فهو لا يرى إلاّ سواداً على سواد .

[س] فقلت : فإذاً لا يقع في قلبه إلا من كان في الحشر يماثله ، فلا يَرى للمؤمن عليه مزيّة ؛ فلا يتمنى أن لو كان في الدنيا مسلماً .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : يخلق الله تعالى له العلم الضروري بالجنّة وأحوالِ أهلها .

إذا فهمتَ هذا ، فالآية إن أُخذت من الوجه الذي يلي الجنّة كان نورها أخضر ؛ وإن أُخذت من الوجه الذي إلى النار كان نورها أصفر ؛ وإن أُخذت من الوجه الذي إلى الدنيا كان نورها أبيض . ثم في كل وجه من هذه الأوجه تفاصيل وتقاسيم لا يحيط بها إلا الله تعالى . وهذه الفواتح التي في أول السور مكتوبة في اللوح المحفوظ كما هي مكتوبة في المصحف ؛ ولكنْ كُتِب مع كل حرف منها شرحه بالسريانية[٤٢] ، فإذا رأيتَ ما كُتب في شَرح كلّ فاتحة علمتَ تباينها .

وبيان ذلك : أن ﴿ الٓمٓ ﴾ رموزٌ أشير بها إلى نور سيّد الوجود ﷺ الذي ... د منه جميع المخلوقات ؛ فإن نُظر إلى هذا النور المشار إليه بهذا الرمز من حيث ... المخلوقات منهم من آمن به ، ومنهم من كفر به ، وما هي أحوال من آمن به ، وما هي أحوال من كفر به ، وما يتعلق بذلك ، وينساق إليه الكلام ؟ فهو الذي ذكره في سورة البقرة ، وبهذا المعنى نزلت . وإن نُظر إليه باعتبار الخيرات الحاصلة للناس منه ، وكيفية حصولها ، وذكر بعض من حصلت له ؛ فهو الذي ذكر في سورة آلِ عمران وبهذا المعنى نزلت . وإن نظر فيه باعتبار ما نزل من النقم على غير أهله ، وما أصيبوا به في هذه الدار ، ونحو ذلك ؛ فهو الذي ذكر في سورة العنكبوت ؛ وكذا يقال في كلّ سورة ترجمت بهذا الرمز .

يَعلم هذا الذي قلناه مَن عاينه في اللوح المحفوظ .

ثم أوردت سؤالاً يتعلق بالمقام فأجابني عنه بما لا تطيقه العقول ، فلذا لم نكتبه . والله تعالى أعلم .

قلت : وهذه إشارة من فوق فوق إلى ما ذكره الشيخ - رضي الله عنه - ، وأمّا تحقيق المعنى الذي أشار إليه ، والبلوغ إلى تمامه ، فإنه لا يُدرك إلا بالفتح ، أو بمشافهة الشيخ - رضي الله عنه - ؛ فعند أخذه - رضي الله عنه - في تبيين المعاني

---

(٤٢) تقدم ص ٣٦٠ .

وسؤال السائل له عن كل ما يعرض له في خاطره ، يصل الشخص إلى المعنى بتمامه ، وإن لم يكن من أهل الفتح . والله تعالى أعلم .

أصل وضع اللغة السريانية ومعاني حروفها

[١٥] وقد ظهر لي أن أكتب هنا أصل وضع الحروف في اللغة السريانية لأنه يُحتاج إليه[٤٣] ، وقد سبقَتْ منا الحوالة عليه كثيراً ؛ فلنذكره تتميماً للفائدة فنقول :

[ا ، ء] أما الهمزة : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى جميع الأشياء ؛ قلّتْ أو كثرتْ ؛ وتكون الإشارة في بعض الأحيان من المتكلم إلى ذاته ونفسه ، وهذه الإشارة سالمة من القبض ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى الشيء القريب القليل ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى الشيء القريب المناسب .

[ب] وأما الباء : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى الشيء الذي هو في غاية العزّ أو في غاية الذلّ ؛ وإن كانت « مكبورة » فهي إشارة إلى ما دخل أو هو داخل على الذات ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة معها قبض .

[ت] وأما التاء - المثناة من فوق - : فإن كانت « مفتوحة » فهي اسم للخير الكثير العظيم ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي اسم لما صنع وأبرز ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي اسم للقليل البارز وقد يؤتى بها لجمع الضدّين .

[ث] وأما الثاء - المثلثة - : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى النور أو الظلام ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى زوال الشيء من الشيء ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى جعل الشيء على الشيء .

[ج] وأما الجيم : فإن كانت « مفتوحة » فهي نُبوّة أو ولاية ، إذا كان قبلها أو بعدها ما يدل على ذلك ؛ وإلا فهي للخير الذي لا يزول أبداً ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي للخير الذي يؤكل أو ينتفع الناس منه ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي الخير القليل الذي في الذات من نور الإيمان .

---

(٤٣) في ظ ١ : أن أكتب معنى أصل الحروف ...

وقال لي - رضي الله عنه - مرة أخرى : وإن كانت « مكسورة » فهي للخير القليل الضعيف ، أو النور .

[ح] وأما الحاء : فإن كانت « مفتوحة » فهي تدل على الإحاطة والشمول للجميع ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي العدد الكثير الخارج عن بني آدم كالنجوم ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي العدد الداخل في الذات أو للذات عليه ولاية ، كَملكية العبيد والدنانير والدراهم وغير ذلك .

[خ] وأما الخاء : فإن كانت « مفتوحة » فهي طول إلى النهاية مع رقة ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي اسم لكمال في الحيوانات ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي اسم لكمال في الجمادات .

[د] وأما الدال : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى خارج عن الذات ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى ما في الذات أو إلى ما هو داخل عليها أو إلى ما هو قريب منها ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى ما هو قليل أو قبيح ، ومعه غضب فيهما .

[ذ] وأما الذال : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى ما في تعظيم ذلك الشيء الذي ملكته الذات ، وإن كانت « مضمومة » فهي اسم للشيء الخشن في ذاته ، أو العظيم أو القبيح ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي اسم للشيء القبيح الذي لا يعقبه في نفسه غضب .

[ر] وأما الراء : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى جميع الخيرات الظاهرة والباطنة ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى الواحد في نفسه وهو ظاهر ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى الشيء الذي فيه الروح ، وليس من بني آدم ، أو إشارة إلى الروح نفسها .

[ز] وأما الزاي : فإن كانت « مفتوحة » فهي اسم للشيء الذي إذا دخل على الشيء ضرّه . وقال مرة : اسم للشيء وما يتحرز منه ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى القبيح الذي فيه ضرر كالكبائر ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى القبيح الذي لا ضرر فيه كالصغائر والشبهات والنجاسة .

[ط] وأما الطاء : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى الشيء الذي جنسه طاهر وصاف إلى النهاية وهو في ذاته أيضاً طاهر صاف إلى النهاية ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى الخبيث إلى النهاية عكس الأول ، وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى الشيء الذي من طبعه السكون ، أو أمر بالسكون .

[ظ] وأما الظاء : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى الشيء الذي هو عظيم في نفسه ولا يكون معه ضدّه كالجود في الشرفاء والغشّ في اليهود ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى الشيء الذي يتبع تحرك نفسه ، وهي تسعى في هلاكه ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى الشيء الذي يتضرر منه العبد ومن طبعه أنّه يضر .

[ك] وأما الكاف : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى حقيقة العبودية الكاملة ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي العبد الأسود أو القبيح ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى إضافة العبودية إليك .

وقال مرة أخرى : فهي إشارة منك وإليك بالعبودية .

[ل] وأما اللام : فإن كانت « مفتوحة » فهي حصول المتكلم على شيء عظيم ، وتكون إشارة إلى شيء عظيم ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى الشيء الذي لا نهاية له ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة من المتكلم إلى وجود ذاته أو إلى ذاته . هذا إذا كانت « مرقّقة » ؛ فإن كانت « مفخمة » فهي إشارة مع قلق ، وقال مرة : مع قبح . .

[م] وأما الميم : فإن كانت « مفتوحة » فهي جميع المكونات ، وإن كانت « مكسورة » فهي نور الذات ظاهرا كا في العين ، وباطناكا في القلب ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي العزيز القليل كاء العين ومنه قيل : مُوْمُوْ .

[ن] وأما النون : فإن كانت « مفتوحة » فهي الخير الساكن في الذات الشاغل فيها ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى الخير الكامل أو النور الساطع ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى شيء يدركه المتكلم أو هو له .

وأما الصاد : فإن كانت « مفتوحة » فهي جميع غبار الأرض في الموقف بين يدي الله عز وجل ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي الأرضون السبع ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي جميع نباتاتها ؛ هذا إذا كانت الصاد « مرققة » فإن كانت « مفخمة فالمفتوحة » هي : الأرض التي غضب الله عليها ، أو التي لا نبات فيها ؛ « والمكسورة » : الذات التي لا نبات فيها ، أو الذات التي لا خير فيها ؛ و« المضمومة » ما يلحقنا منه ضرر من المعنيين السابقين . [ص]

وقال مرة أخرى : « الصاد بالفتح » إشارة إلى الأرض كلّها وما عليها مقدار فرسخ[44] ، « وبالضم » جميع الأرضين وما هو تراب ؛ « وبالكسر » النبات على وجه الأرض ؛ وإذا كانت « مفخمة » تكون الإشارة إلى ما على هؤلاء بغضب من الله عزّ وجلّ ا هـ . وهذا الثاني كتبته من خطه - رضي الله عنه - بعد وفاته ؛ والأول سمعته منه مشافهة ؛ والعبارة في الثاني له - رضي الله عنه - .

وأما الضاد « المعجمة » : فهي إذا كانت « مفتوحة » عبارة عن الصحة وعدم البلاء ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى الشيء الذي لا نور فيه أو لا ظلام فيه ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي عبارة عن الخضوع . [ض]

وأما العين « المهملة » : فإذا كانت « مفتوحة » فهي اسم لقدوم أو رحيل ؛ وإذا كانت « مضمومة » فهي اسم للساكن في الذات التي تقوم به ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي اسم لخبث الذات . [ع]

هذا هو الذي سمعته منه - رضي الله عنه - والذي في خطه - رضي الله عنه - : العين « بالفتح » إشارة إلى ما هو قابل ؛ و« بالضم » إشارة إلى الشيء الذي ينفع ويضرّ على حسب الإرادة ؛ و« بالكسر » خبث العبودية ا هـ . وهو قريب من

(44) الفرسخ عند الفقهاء : هو ثلاثة أميال ، والميل : مقدار سير نصف ساعة ويعدل (٤٠٠٠) خطوة ، قال في المُغْرب : الفرسخ التام خمس وعشرون غلوة والغلوة مقدار رمية ؛ (وفي الأجناس ... :) الغلوة : قدر ثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة ؛ والميل : ثلاثة آلاف ذراع إلى أربعة آلاف . (ا هـ المُغْرب ٢ / ١١١) والخطوة : ذراع ونصف بذراع العامة أو ذراع واحدٌ هاشمي . وتقدّر بعض المعاصرين اللغويين : الفرسخ = ٨ كم (انظر حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح باب التيم ، والمعجم الوسيط والمنجد) .

الأول ، لأن الذي هو قابل فيه مذموم[٤٥] ، والساكن في الذات التي تقوم به مثل ؛ الروح والحفظة ؛ ينفع ويضرّ ـ بإذن الله تعالى ـ ، وخبث العبودية هو خبث الذات وظلامها .

[غ] وأما الغين « المعجمة » : فإن كانت « مفتوحة » فهي اسم للنظر الذي يبلغ به حقيقةَ الشيء ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي اسم من أسمائه ـ تعالى ـ ويدل على الحنانة فيه ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي سؤال عما يجهله لتجيبه بما يعلمه ، هذا ما سمعته منه ـ رضي الله عنه ـ .

وفي خطه ـ رضي الله عنه ـ ؛ الغين « بالفتح » : إشارة إلى الشيء الذي من طبعه يدفع كلّ من قاربه ؛ و« بالضم » إشارة إلى الحنانة والتعظيم وكال العزّ ؛ و« بالكسر » : إشارة إلى الشيء الذي تكلم بكلمة ولا يعرفها ؛ وهو إشارة إلى ما هو مجهول ا هـ . وهما متقاربان .

[ف] وأما الفاء : فإن كانت « مفتوحة » فهي لنفي الخبث بعد ما كان جنسه معلوماً بالخبث ، فهي إشارة إلى أنه طاهر وجنسه خبيث ، والخبث مثل المعاصي وما أشبهها ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى الذات وما احتوت عليه ؛ وفي بعض الأحيان قد يكون معها التقليل ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي لتزويل الخبث .

[ق] وأما القاف : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى حيازة الخيرات أو إلى جميع الأنوار ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى النشأة الأصلية ، أو العلم القديم وما أشبه ذلك ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى الذلّ .

[س] وأما السين : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى الشيء المليح الذي من طبعه الرقة ، وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى الشيء القبيح الخشن ، أو إشارة إلى سواد حِسّاً ومعنى ؛ و« وبالكسر » ؛ إشارة إلى الشيء الطابع وتكون الإشارة منه ، وهذا ما في خطّه ـ رضي الله عنه ـ .

---

(٤٥) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : فيه قدوم . قلت : والظاهر أن الأول هو الصواب لأن الثاني غير مفهوم .

والذي سمعته منه ـ رضي الله عنه ـ « السين المرققة بالفتح » : اسم لمحاسن الأشياء ، و« بالضم » اسم للسواد حسّا ومعنى ؛ و« بالكسر » لباب الذات وسرّها ، مِنْ عقلٍ كاملٍ ، وعفوٍ وحلمٍ . وهما متقاربان .

[ش] وأما الشين : فإن كانت « مفتوحة » فهي إشارة إلى الرحمة التي لا يعقبها عذاب ، وتكون إشارة إلى من خرجت منه النقمة ودخلت عليه الرحمة وتَطَهّر ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي إشارة إلى عالٍ في نفسه مع التعظيم ، وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى الشيء الذي من طبعه الستر ؛ وقد تكون الإشارة إلى ما هو مستور في القلب ، وما أشبه ذلك ، هذا ما في خطّه ـ رضي الله عنه ـ .
والذي سمعته منه ـ رحمه الله تعالى ونفعنا به ـ ، « الشين بالفتح » رحمة لا يعقبها عذاب ؛ و« بالضم » ما تحير فيه الأذهان ، أو يضر بالأجفان كالقَذَى ونحوه ؛ و« بالكسر » ما وطئ عليه بعضو أو رجل ولم يَظهر ، أو ما بطن في القلب ولم يظهر .

[هـ] وأما الهاء : فإن كانت « مفتوحة » فهي الرحمة الطاهرة التي لا نهاية لها ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي اسم من أسمائه تعالى ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي إشارة إلى الخير الذي يخرج من ذوات المخلوقات ، هذا ما في خطه ـ رضي الله عنه ـ .

والذي سمعته منه ـ رضي الله عنه ـ : « الهاء بالفتح » الرحمة المطهّرة التي لا نهاية لها ؛ و« بالضم » من أسمائه تعالى ، وفيه مشاهدة جميع المكونات ؛ بخلاف النون المضمومة فهي بمنزلة من يقول : ربي ، و« الهاء المضمومة » بمنزلة من يقول : (رب العالمين) ؛ و« بالكسر » : جميع النور الخارج من ذوات المؤمنين .

[و] وأما الواو : فإن كانت « مفتوحة » فهي الأشياء المشتبكة في الإنسان ، مثل العروق والأصابع وما أشبه ذلك ؛ وإن كانت « مضمومة » فهي الأشياء المباينة لبني آدم مثل الأفلاك والجبال وما أشبه ذلك ؛ وإن كانت « مكسورة » فهي الأشياء المشتبكة المستقذَرَة أو المبغوضة ، كالأمعاء ونحوها .

[ي] وأما الياء : فإن كانت « مفتوحة » فهي للنداء ، وقد يؤكد بها ، هذا ما سمعته منه - رضي الله عنه - ، والذي في خطّه - رضي الله عنه - « الياء بالفتح » للنداء وتكون في بعض الأحيان للخبر الذي فيه نداء ، نحو : ﴿ لم يلد ﴾ فإنه خبر وفيه نداء ؛ وإن كانت مضمومة فهي إشارة إلى الشيء الذي لا يثبت كالبرق ونحوه ، وإن كانت مكسورة فهي إشارة إلى الشيء الذي يستحيا به ، أو يستحيا منه كالعورة .

أسرار الحروف سبعة لكل منها وسبعة أخر للعربية

قال - رضي الله عنه - : هذه أسرار الحروف ولكل حرف منها سبعة أسرار تنشأ من مناسبة المعاني السابقة وله سبعة أسرار أخر يناسب بها الكلام العربي ، وإذا كان الكلام عجمياً ناسبه بأسرار أخر . والله يوفقنا ويعلمنا بجاه سيدنا محمد ﷺ . وكتبه عبد العزيز بن مسعود الشريف الشهير بالدباغ ا هـ . من خطّه - رضي الله عنه - .

فانظر - رحمك الله - هل سمعت مثل هذا ، أو رأيته مسطوراً في ديوان ..؟! والله تعالى أعلم .

وفي الشهر الذي لقيته - رضي الله عنه - واجتمعت به - أو بعده بقليل - كلمني بثلاث كلمات من السريانية ، وقال لي : اعقل عليها ، وإياك أن تنساها ، وهي : « سِنَرْ سِذْعُ مَازَرْ » - بكسر السين وفتح النون بعدها راء مسكنة ، ثم سين مكسورة ، بعدها ذال معجمة مسكنة ، ثم عين مضمومة ، ثم ميم مفتوحة بعدها ألف بعده زاي مفتوحة ، ثم راء مسكنة - .

فقلت له - رضي الله عنه - : ما هذه اللغة ؟ فقال : سريانية ، لا أعرف أحداً[٤٦] يتكلم بها على وجه الأرض ، يعني إلا القليل .

فقلت : وما معنى هذه الكلمات ؟ فلم يفسّر لي معانيها ، وحيث علمتَ أصل وضع الحروف في السريانية تبين لك أنّه يقول لي : انظرْ إلى هذا النور الساكن في ذاتي ، الشاعل فيها ، الذي هو في ظاهري وفي باطني ، انظر إلى هذا الخير العظيم

(٤٦) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : لا يعرف أحد .

الذي مَلَكْته ذاتي وبه قِوامها ، فإنّ به طهارةَ جميع الأكوان من الشرور ؛ وكلّ ما في السموات والأرض وسائر العوالم من الخيرات الظاهرة والباطنة فهي مستمدة من هذا النور الذي هو في ذاتي . فهو ـ رضي الله عنه ـ يخاطبني بأنه هو المتصرف [بإذن الله تعالى] في العوالم كلها . والله تعالى أعلم .

مبحث
علم الله قديم

[س ١٦] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

﴿ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ [محمد : ٣١] .

ونحو ذلك ، مما يدل على تجدد علمه تعالى مع أنّ علمه تعالى قديم ، والقديم لا يتجدد ..!

[ج] فقال رضي الله عنه : إن القرآن يَنزل على عادة الناس في كلامهم ؛ ولو كان لِمَلك من الملوك قريبٌ ليس فوقه قريب ، وفَوّضَ إليه ذلك الملك أمر الرعية ، وغاب الملك عن أعين الناس ، وشرط على الرعية طاعة ذلك القريب ، وخصّه بالدخول عليه ، بحيث لا يدخل عليه من الرعية غيرُ ذلك القريب ، فهذا يخرج من عنده بما يلزم الرعية في طاعة الملك وخدمته ؛ فإذا جعل يُنفذ أوامرَ الملك ، يقول لهم : يأمركم الملك بكذا ، ويطلب منكم كذا ، ويريد منكم أن تفعلوا كذا وكذا ؛ حتى تصير هذه عادةَ ذلك القريب في خطاباته كلها ، حتى في الأمور التي تخصه ، ولا تكون من الملك ، فيقول لهم : اخرجوا مع الملك إلى كذا ؛ وباشروا معه الأمر الفلاني ، وإنما يعني نفسه ؛ وذلك للاتحاد الذي حصل بينه وبين الملك وهذا معروف في عادة الناس لا ينكر ؛ فكذلك ههنا العلم الذي نسب إلى الله ـ عز وجل ـ ليس متجدداً إنّما المقصود به نسبته إلى الرسول ﷺ ، ثم ذكر ـ رضي الله عنه ـ كلاماً عالياً يشير به إلى معنى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] .

قلت : وهذا الجواب غير الجواب الذي يذكره المفسرون في الآية ، وأنها على حذف مضاف : أي : وليعلم رسول الله . والله تعالى أعلم .

مسألة الغرانيق وردّها

[ص ١٧] وسألته - رضي الله عنه - : عن مسألة الغرانيق وقلت له : هل الصواب مع عياض ومن تبعه في نفيها ، أو مع الحافظ ابن حجر[٤٧] ، فإنه أثبتها ؟ ونص كلام الحافظ : وأخرج ابن أبي حاتم[٤٨] والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر[٤٩] عن سعيد بن جبير ؛ قال :

« قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾[٤٩] . فَأَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ : تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى وَإِنَّ شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجَى ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : مَا ذَكَرَ آلِهَتَنَا بِخَيْرٍ قَبْلَ الْيَوْمِ فَسَجَدَ وَسَجَدُوا » .

ثم ذكر تخريج البزار للقصة ، وكلامه عليها ، وما يتبع ذلك ؛ إلى أن قال : وتجرأ أبو بكر بن العربي على عادته ، فقال : ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها . وهو إطلاق مردود عليه ، وكذا قول عياض : هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سالم متصل مع ضعف نقلته ، واضطراب

(٤٧) ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) : هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ، مولده ووفاته بالقاهرة ، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث . رحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ . علت شهرته وأصبح حافظ الإسلام في عصره . كان فصيح اللسان ، راوية للشعر عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين ، صبيح الوجه ، ولي قضاء مصر . تصانيفه كثيرة عدّ منها في الأعلام (٢٦) أشهرها : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، والإصابة ، وتهذيب التهذيب ا هـ . ملخصاً الأعلام .

وقال في ترجمته في مقدمة تقريب التهذيب : أخذ عن التنوخي البعلبكي والزين العراقي والبلقيني وابن الملقن والفيروزبادي والغماري والعز بن جماعة وأبي العباس وابن الذهبي والسمعاني وغيرهم . كما وأخذ عنه : زكريا الأنصاري والسخاوي والقلقشندي وبرهان البقاعي وغيرهم .

(٤٨) ابن أبي حاتم (٢٤٠ - ٣٢٧) هـ : هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ، ابن إدريس بن المنذر التيمي الحنظلي الرازي ، أبو محمد : من كبار حفاظ الحديث ، منزله بالري وإليها نسبته . له تصانيف منها : التفسير ، الجرح والتعديل ، الرد على الجهمية ، علل الحديث ، المسند ، الكنى ، الفوائد الكبرى ، والمراسيل ا هـ . الأعلام .

(٤٩) أبو بشر (.. - ١٢٥ هـ) : هو جعفر بن إياس بن أبي وَحْشِيَّة . ثقة ، من أثبت الناس في سعيد بن جبير ؛ وضعفه شعبة في حبيب بن سالم وفي مجاهد ا هـ . تقريب التهذيب .

(٤٩) النجم : ١٩ ، ٢٠

رواياته ، وانقطاع إسناده ؛ وكذا قوله : ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسّرين ، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صحابيّ ؛ وأكثر الطرق في ذلك عنهم ضعيفة ؛ قال : وقد بين البزار أنّه لا يُعرف من طريق يجوز رفعه إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشكّ في وصله . وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه ، لقوة ضعفه . ثم رَدَّه من طريق النظر ، فقال : لو وقع ذلك لارتد كثير من أسلم ؛ ولم يُنقل ذلك اهـ . قال ابن حجر : وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد ، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلّ ذلك على أن للقصة أصلاً ، وقد ذكرنا أنّ ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح ، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض ؛ وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر . فذكَر في ذلك ست تأويلات فانظرها فيه ، ولما ثبتت هذه القصة فَسَّرَ بها قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إلاّ إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ الآية [الحج : ٥٢] .

فنقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه يفسر تمنى : بقرأ ، وأمنيته : بقراءته ؛ قال يشير إلى مسألة الغرانيق التي سبق ذكرها . ونقل عن النحاس : أنّ هذا أحسن تأويل قيل في الآية وأجلّه وأعلاه ؛ فقلت للشيخ رضي الله عنه : فما هو الصحيح عندكم في هذا وما الذي نأخذه عنكم في هذا الموضع الضيق ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : الصواب في القصة مع ابن العربي وعياض ومن وافقهما ، لا مع ابن حجر ؛ وقطّ ، ما وقع للنبيّ ﷺ شيء من مسألة الغرانيق ؛ وإنّي لأعجب أحياناً من كلام بعض العلماء كهذا الكلام الصادر من ابن حجر ومن وافقه ؛ فإنّه لو وقع شيء من ذلك للنبي ﷺ لارتفعت الثقة بالشريعة ، وبطل حكم العصمة ، وصار الرسول كغيره من آحاد الناس ، حيث كان للشيطان سلاطة عليه وعلى كلامه ، حتى يزيد فيه مالا يريده الرسول ﷺ ولا يحبه ولا يرضاه . فأي ثقة تبقى في الرسالة مع هذا الأمر العظيم ؟ ولا يغني في الجواب أن الله ينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم آياته ، لاحتمال أن يكون هذا الكلام من الشيطان أيضاً ،

لأنه كما جاز أن يتسلط على الوحي في مسألة الغرانيق بالزيادة ، كذلك يجوز أن يتسلط على الوحي بزيادة هذه الآية برمتها فيه ، وحينئذ فيتطرق الشك إلى جميع آيات القرآن . والواجب على المؤمن الإعراض عن مثل هذه الأحاديث الموجبة لمثل هذا الريب في الدين ، وأن يضربوا بوجهها عُرض الحائط ، وأن يعتقدوا في الرسول ﷺ ما يجب له من كمال العصمة ، وارتفاع درجته عليه الصلاة والسلام إلى غاية ليس فوقها غاية .

ثم على ما ذكروه في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ ﴾ الآية . يقتضي أن يكون للشيطان تسلط على وحي كلّ رسولٍ رسول ، وكلّ نبيّ نبيّ ، زيادةً على تسليطه على القرآن العزيز ، لقوله تعالى :

﴿ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ .

فاقتضت الآية على تفسيرهم أن هذه عادة الشيطان مع أنبياء الله وصفوته من خلقه ، ولا ريب في بطلان ذلك .

قلت : ورضي الله عن الشيخ ، ما أدق نظره مع كونه أُمّياً ، وقد قال ناصر الدين البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ : قيل تمنّى : قرأ ، وأمنيته : قراءته ؛ وألقى الشيطان فيها : أي تكلم بالغرانيق رافعاً صوته ، بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبيّ ﷺ ، وقد رُد بأنه يخلّ بالوثوق ولا يندفع بقوله :

﴿ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ ﴾ [الحج : ٥٢] .

لأنها أيضاً تحتمله اهـ الغرض منه . وقد بسطه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في جوابه .

قلت : وأيضاً فإن الضمير في تمنّى يعود إلى ما قبله من الرسول العام والنبيّ ؛ ولا يمكن أن يلقي الشيطان في أمنيةِ كل منهم[٥٠] مسألة الغرانيق ، وقد علمتَ عصمة الأنبياء

(٥٠) في ظ ١ : كل واحد منها .

ـ رحمك الله ـ أن العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين ، فالحديث الذي يفيد خرمها ونقضها لا يُقبل على أيّ وجه جاء ؛ وقد عد الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الخبر الذي يجب أن يقطع بكَذِبه .

وأما قول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : والحديث حجة عند من يحتج بالمرسل ؛ وكذا عند من لا يحتج به ؛ لاعتضاده بوروده من ثلاث طرق صحاح .

فائدة

لا يعمل بخبر الواحد في هدم العقائد

فجوابه : أن ذلك فيما يكفي فيه الظن من الأمور العملية الراجعة إلى الحلال والحرام ؛ وأما الأمور العلمية والاعتقادية فلا يفيد خبر الواحد في ثبوتها ، فكيف يفيد في نفيها وهدمها ...؟! فبان من هذا أن ما ذكره عياض غير مخالف للقواعد ؛ بل ما ذكره الحافظ ـ رحمه الله ورضي عنه ـ هو المخالف لها ، لأنه أراد أن يعمل بخبر الواحد في هدم العقائد ، وذلك مخالف للقواعد .

وكذا قوله في تفسير تمنى بقرأ ، وأمنيته بقراءته ؛ وأنه مروي عن ابن عباس ، وأن ذلك أحسن ما قيل في الآية وأجلّه وأعلاه .

وجوابه : أنّ الرواية في ذلك عن ابن عباس ثبتت في نسخة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، ورواها علي بن أبي صالح ـ كاتب الليث[51] ـ عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ وقد علم ما للناس في ابن أبي صالح ـ كاتب الليث ـ ، وأنّ المحققين على تضعيفه . والله تعالى أعلم .

ثم قلت للشيخ ـ رحمه الله ونفعنا به ـ : ما الصحيح عندكم في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [الحج : ٥٢] . وما هو نور الآية الذي تشير إليه ؟

فقال ـ رضي الله عنه ـ : نورها الذي تشير إليه هو : أنّ الله تعالى ما أرسل من رسول ولا بعث نبياً من الأنبياء إلى أمّة من الأمم إلا وذلك الرسول يتمنى الإيمان

---

(٥١) الليث بن سعد (٩٤ ـ ١٧٥ هـ) : جدّه عبد الرحمن الفَهْمي بالولاء . إمام أهل مصر في عصره ، حديثاً وفقهاً . أصله من خراسان ، مولده في قلقشنده ، ووفاته بالقاهرة . كان كريماً جواداً .. قال فيه الشافعي : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ا هـ . ملخصاً الأعلام .
وقال في تقريب التهذيب : فقيه ثبت ، إمام مشهور ، من السابعة (أي من كبار أتباع التابعين) .

لأمته ، ويحبّه لهم ، ويرغّب فيه ، ويحرص عليه غايةَ الحرص ، ويعالجهم عليه أشدّ المعالجة ؛ ومن جملتهم في ذلك نبينا ﷺ الذي قال له الرب سبحانه وتعالى :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى . ثم الأمّة تختلف كما قال تعالى :

﴿ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

فأمّا من كفر فقد ألقى إليه الشيطان الوساوس القادحةَ له في الرسالة ، الموجبة لكفره ؛ وكذا المؤمن أيضاً لا يخلو من وساويس ، لأنّها لازمة للإيمان بالغيب في الغالب ، وإن كانت تختلف في الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات .

إذا تقرر هذا فمعنى (تمنّى) : أنه يتمنى الإيمان لأمته ، ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح ؛ فهذه أمنية كل رسول ونبيّ ، وإلقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمّة الدعوى من الوساويس الموجبة لكفر بعضهم ؛ ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويُحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ، ويبقي ذلك ـ عزّ وجلّ ـ في قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به . فخرج من هذا أن الوساويس تُلقى أولاً في قلوب الفريقين معاً ، غير أنّها لا تدوم على المؤمنين ، وتدوم على الكافرين . **قلت :** وهذا التفسير عندي من أبدع ما يُسمع ، وذلك لا يتبين إلا بجلب بعض التفاسير التي قيلت في الآية ، ثم ينظر فيما بينها وبين تفسير الشيخ ـ رضي الله عنه ـ :

فالتفسير الأول : ما سبق في رواية ابن أبي صالح ـ كاتب الليث(☆) بن

(☆) ابن أبي صالح كاتب الليث بن سعد (١٣٧ ـ ٢٢٢ هـ) : عبد الله بن صالح بن محمد ، كان صدوقاً في نفسه من أوعية العلم ؛ مُلَيَّنٌ . والأحاديث التي نقموها عليه معدودة في سعة ماروى . لازم الليث فأكثر عنه . روى عنه البخاري حديثاً واحداً . اهـ سير أعلام النبلاء ١٠/٤٠٥ .

تنبيه : تقدم في ص ٣٧٩ أنه علي بن أبي صالح كاتب الليث كذا في جميع النسخ المطبوعة ويظهر أنه تصحيف والصواب عبد الله بن صالح .

سعد ـ ؛ وقد سبق ما فيه من مخالفة العقيدة ، ومن مخالفته للعموم الذي في صَدْر الآية ؛ فإنّه فسرها بخصوص مسألة الغرانيق ؛ واللفظ عامّ في كل رسول ونبيّ .

التفسير الثاني : قال أبو محمد مكّي[٥٢] : قال الطبري : (تمنّى) أي : حدَّث نفسه ، فألقى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة ؛ فيقول : لو سألتَ الله أن يُغنِمَكَ كذا ليتسع المسلمون ؛ والله يعلم الصلاح في غير ذلك ، فَيُبطل الله ما يلقي الشيطان . وقد نقل الفراء والكسائي : (تمنى) بمعنى حدَّث نفسه ا هـ .

قلت : ولا يخفى ما فيه ؛ وكيف يصح أن يتحيل الشيطان على النبي ﷺ وهو صاحب البصيرة الصافية التي يستنير منها الكون كله ...! ؛ ثم ما ذكره لا يناسب العموم الذي في أول الآية ، ولا التعليل الذي في آخرها كما لا يخفى . والله تعالى أعلم .

التفسير الثالث : قال البيضاوي : (إلا إذا تمنى) : إذا زور في نفسه ما يهواه (ألقى الشيطان في أمنيته) في تشهّيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام : « وَإِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً »[٥٣] .

إلى آخر ما ذكره ؛ مما لا يناسب سياق الآية ، ولا تنزيه مقام الرسالة .

وبالجملة : فالتفسير الصحيح للآية هو الذي يوفّي بثلاثة أمور : العموم الذي في أولها ، والتعليل الذي في آخرها ؛ ويعطي للرسالة حقها . وليس ذلك بحسب ما وقفتُ عليه إلا في تفسير الشيخ ـ رضي الله عنه ـ . والله تعالى أعلم .

---

(٥٢) أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ ـ ٤٣٧ هـ) : إمام كبير القدر جامع لأنواع العلوم ، له من التآليف والتصانيف نحو الثمانين تأليفاً (وقد ذكرها الكلبي في مقدمة كتابه التسهيل) وأكثرها في علوم القرآن والقراءات والتفسير وغير ذلك . ولد بالقيروان (في تونس) وتعلم فيها وقرأ على كبار علمائها ، ثم رحل في طلب العلم إلى مصر ثم الحجاز ثم قرطبة بالأندلس وتوفي فيها . كان ديناً تقياً صواماً متواضعاً عالماً قواماً مجاب الدعوة ، سلفياً في عقيدته ، مالكي المذهب ، أديباً نحوياً فقيهاً ، إمام القرآن وخاتمة أئمة القرآن بالأندلس . [ا هـ ملخصاً من مقدمة كتاب الرعاية لتجويد القراءة ، للمترجم تحقيق أحمد حسن فرحات] .

(٥٣) تقدم ١٩٢ أخرجه مسلم .

هاروت وماروت

[س ١٨] وسألته - رضي الله عنه - أيضاً : عن اختلاف عياض[٥٤] وابن حجر - رحمها الله - في قصة هاروت وماروت ، فإن الأول نفى الأحاديث الواردة في ذلك وأبطلها ؛ والثاني أثبت القصة ، وقال : إنها وردت من طرق شتى يكاد يَجزم الواقف عليها بصحة القصة ويقطع بوقوعها . واتبعه الحافظ السيوطي فإنّه أكثر من طرقها في كتابه « الحبائك في أخبار الملائك » ، وقال فيه : إنّه استوفى طرقها في تفسيره الكبير .

[ج] فقال رضي الله عنه ونفعنا به : الحق في ذلك مع عياض - رحمه الله - . وذَكَرَ أسراراً لا تكتب ولا تفشى . والسلام .

[١٩س] وسألته - رضي الله عنه - عن قوله تعالى :

﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ الآية [النور : ٤٣]

هل في السماء جبال من برد ، كما قاله بعض المفسرين ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : ليس فيها ذلك . والمراد بالسماء - في الآية - : ما علاك ؛ فكأنه يقول : وينزّل من جهة العُلْو ، وجبالُ البَرَد تكون في جهة العُلْو ، بحمل الرياح لها من الأرض إلى الجهة المذكورة .

وسبب سؤالي له - رضيَ الله عنه - عن هذه الآية : أنه ورد عليَّ سؤال عن أصل الثلج ممّ يكون ؟ وتضمّن السؤال فصولاً كثيرة ، لم أدر ما أقول فيها ؛ فعرضته على الشيخ - رضي الله عنه - فأجابني عن فصوله فكتبتها في جوابي . ولنذكر السؤال والجواب لتكمل الفائدة بذلك :

ونص السؤال : الحمد لله ، سادتنا الأعلام - أدام الله بكم النفع للأنام - ،

---

(٥٤) القاضي عياض (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) : عياض بن موسى اليحصبي السبتي ، أبو الفضل . عالم المغرب وإمام أهل الحديث وقته . من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم . ولي قضاء « سبتة » وبها مولده ، ثم قضاء « غرناطة » . توفي « بمراكش » .
له تصانيف منها : « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » و « الغنية » و « شرح صحيح مسلم » وغيرها ا هـ . ملخصاً الأعلام .

جوابكم في الثلج ما أصله ، وهل ينزل كذلك من محله منعقداً ، أم هو ماء عقدته الرياح ، وما محلّه الذي ينزل منه ، أمِن السماء أم مِنَ الْمعصرات ؛ أم هو من بحر في السماء مكفوف ـ كما قيل به في المطر ـ أو غير ذلك ؟ ولأيّ شيء خصّ بالبلاد الشديدة البرد دون غيرها ؟ ولأيّ شيء خصّ بالجبال فقط دون سهل الأرض ؟ وعلى أنه إن نزل في سهلها فإنه لا يمكث إلا قليلاً بخلاف مكثه في الجبال ؛ ونراه في بعض الأحيان ينزل مجتمعاً مع المطر دفعة ؛ وفي بعضها ينزل وحده وهو الأغلب ؛ وأيضاً ، فإنّه قد لا يكون الحاجز بين الحارّة والباردة إلا اليسير ، مثل الستة عشر ميلا فأقلّ ، فتختص كلّ واحدة منها بما اختصت به ؛ هل ذلك معلل أم لا ، ولأيّ شيء خصت الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل منها ؟ وأيضاً ، الصاعقة لا تنزل إلا في البلاد الباردة والجبال ومواضع الشجر ؛ بخلاف الأرض السهلة المستوية الحارة مثل الصحراء ، فقد ذكر أهلها أنهم لا يعرفونها ولا تنزل عندهم ؛ فلأيّ شيء خُصت بناحية دون أخرى ، وما السرّ في ذلك ؛ جواباً شافياً ؟

ونص الجواب : الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه ، الجواب ـ والله الموفق للصواب بمنّه ـ أن الثلجَ ماءٌ عقدته الرياح ، وأصله غالباً من ماء البحر المحيط ؛ **وماء البحر المحيط** مخصوص بثلاث خصال لا توجد في غيره : ١ ـ البرودة إلى النهاية لمجاورته للرياح ولبعده من حر الشمس ، ولذلك ينعقد بأدنى سبب . ٢ ـ والصفاء إلى النهاية لأنه ماء باق على أصل خلقته لم يمتزج بشيء من جواهر الأرض ، فإنه بحر محمول على القدرة الأزلية وليس هو على الأرض ولا على شيء . ٣ ـ والبعد إلى النهاية ، فإن المسافة التي بيننا وبينه في غاية البعد[٥٥] .

خصائص ماء البحر المحيط بالدنيا

(٥٥) قلت : قد كثر في كلام العارفين في أدعيتهم وأورادهم وأحزابهم ذكر البحر المحيط هذا وقد يسمونه البحر المكفوف أو المزاد المكفوف أو بحر الآخرة . ويشكل على كثير وجود هذا البحر وأن الاكتشافات الكونية لم تثبت شيئاً من ذلك . فالذي يرفع الإشكال هو أن نعلم أن هذا البحر ليس في عالمنا ، عالم الحس والشهادة بل هو في عالم الملكوت شأن الملائكة وجميع المغيبات التي هي موجودة غير مدركة بالحواس الظاهرة مع أنها تمدها كالروح أو تقوم على حفظها كالملائكة الموكلين بابن آدم . كذلك البحار والأمطار تستمد من ذلك البحر المحيط المكفوف المغيّب عنا ، بل هو أصل الماء على وجه الأرض حيث حاز العلماء في العصر الحديث في معرفة أصل منشئه ا هـ .

=

إذا فهمت هذا ، فاعلم : أنه ـ تبارك وتعالى ـ إذا أمر الرياح بحمل شيء من هذا الماء ، فإنّه ينعقد بعد حمله لأجل البرودة التي فيه ؛ ولا تزال الرياح تحمله شيئا فشيئا وتسحقه قليلاً قليلا ؛ فإذا طالت المسافة التي بيننا وبينه حصل له انحلال إلى النهاية حتى يصير مثلَ الهباء ، وتجتمع أجزاؤه لأجل النداوة التي فيه ولـذا ينزل على هيئة لطيف الصوف أحياناً ، وعلى هيئة أخرى أدق منها أحياناً ؛ فهذا أصل الثلج ؛ وذلك بخلاف البَرَد ، فإن المسافة التي بين انعقاده ونزوله غير طويلة لأنه من مياه البحور التي في وسط الأرض ومن الغدران التي تجتمع في الأرض عند نزول الأمطار غالباً ، ولذلك قد يوجد أحياناً في وسط الحبة شيء من البرد من أجزاء(☆) الأرض مثل الكريس ونحوه ، ـ وقد شاهد الثقاتُ ذلك ـ وإنّما كان مستديراً على

أصل الثلج

أصل البَرَد

= وجاء في تفسير « بيان المعاني على حسب ترتيب النزول » في سورة هود عند قوله تعالى : ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ... ﴾ :

قال بعض العلماء : المطر قسمان : قسم من أبخرة الأرض والمياه ، وقسم من علم الله وذلك استناداً لما يقوله بعض العارفين بوجود بحر بين السماء والأرض يسمى المكفوف ينزل منه نوع من المطر . ويؤيد هذا ظاهر الآية (٢٠) من سورة الزمر : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ﴾ . وآية (١٨) من سورة المؤمنون : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض ﴾ . ويدل على هذا أيضاً ما جاء في قصة المعراج أول سورة الإسراء [حيث ذكرها كاملة فانظرها] .

[قلت : وقد ذكر في الخصائص الكبرى ١ / ٢٦٧ حديثاً في ذلك حيث قال : أخرج ابن عساكر عن الزهري قال قدم خزيمة بن حكيم السلمي ... فذكر الحديث وفيه : فقال : يا رسول الله أخبرني عن ظلمة الليل وضوء النهار وحرّ الماء في الشتاء وبرده في الصيف ومخرج السحاب ... فقال له رسول الله ﷺ : ... وأما السحاب فينشق من طرف الخافقين بين السماء والأرض ، فيظلّ عليه غبار يلتف من المزاد المكفوف حول الملائكة صفوف : تخرقه الجنوب والصبا ، وتلحمه الشمال والدبور ا هـ] .

ثم قال : وعدم اطلاع الطبيعيين والفلكيين على هذا البحر لا يكون حجة على عدم وجوده ، لأن دعوى النفي لا تثبت بالنفي بل بالإثبات ؛ والله تعالى قادر على أكثر من ذلك فلا يُستبعد شيء على الله تعالى وهو الخلاق العظيم . ولا يخفى أن أكثر أقوال الطبيعيين والفلكيين مبنية على الظنّ والحدْس ، لأنها أمور غير محسوسة ، والخطأ في الظنّ أكثر من صوابه وخاصة في غير المرئي ، ولا يعلم مكنونات الله إلا هو . فعلى العاقل أن يؤمن بمثل هذه الأشياء لأن الإيمان بها لا يضرّه ، ولا يجحدها فإن الجحد لها قد يضرّه ا هـ .

وجاء في « الحصون الحميدة » للجسر : نقل عن سيدنا أحمد الرفاعي ... أن المطر قسمان : مطر ينزل من السماء وهو الذي بسببه خروج النبات ، ومطر يتكون من بخارات الأرض وبحارها ويتصاعد إلى الجو ثم ينحدر من السحاب ، وهذا لا يكون به الإنبات ، وإن كان له حِكم ومنافع الله أعلم بها ا هـ .

(☆)

هيئة الطعام المفتول الغليظ وأغلظ ، لأجل مصاككة الريح له ؛ فراجت أجزاؤه في الهواء تحت أيدي الرياح مثل رَوَجان أجزاء الطعام تحت أيدي المرأة في الصَحْفة ، فحصل فيه فتل مثلَ ما يحصل في الطعام ؛ ولَمّا نزل في الحين شاهدنا ذلك فيه ؛ ولو أنه تأخر نزوله ودامت المصاككة والروجان لاندهقت أجزاؤه وصار ثلجاً . فهذا بيان أصل الثلج ؛ وبيان الموضع الذي ينزل منه .

وأما قولكم : (لأي شيء خصّ بالبلاد الشديدة البرد) إلى قولكم (بخلاف مكثه في الجبال)؟

فجوابه : أن العلة في ذلك هي أن الثلج لا يزال على انعقاده حتى يطرأ عليه مانع ؛ فإذا طرأ المانع رجع مطراً ؛ وذلك المانع هو الأجزاء البخارية الصاعدة من الأرض وفيها نوع حرارة ، فإذا لقيتْ الثّلج كَسَرت من برودته فزال انعقاده ؛ ولا يخفى أنّ هذه الأجزاء البخارية تَكثر جداً في البلاد الحارة والسهول ، ولذا لا يُرى فيها ثلج ؛ وعلى تقدير إن رؤي فإنه لا يطول مكثه ، بخلاف البلاد الباردة والجبال المرتفعة فإنه لا مانع فيها من بقاء الثلج على انعقاده .

وقولكم : ونراه أحياناً ينزل مع المطر وأحياناً وحده .

فاعلم : أن سبب نزوله مع المطر أحد أمرين : إما ذوبان بعض أجزائه بالأجزاء البخارية السابقة ، فينزل الذي لم يذب ثلجا والذي ذاب مطراً ؛ ولذلك يكون المطر النازل معه في الغالب ضعيفاً رقيقاً مسحوقاً مثل الثلج ، وأمّا إن نزل قبل تمام انعقاده فإنّ الرياح تحمل ماء فينعقد ، وتطحنه ، ثم تحمل ماء آخر ؛ فإذا أمرهما الله بالنزول ، نزل الأول ثلجاً والثاني مطراً .

وقولكم : وأيضاً فإنه قد لا يكون الحاجز إلى قولكم هل ذلك معلل ، أم لا ؟

فجوابه : أن مدار الفرق على وجود المانع من الانعقاد وعدمه ، وقد فقد المانع في البلاد الباردة ، ووجد في الحارة ؛ فلذلك اختصت كلّ واحدة بما اختصت به .

وقولكم : لأيّ شيء خصت الجبال وعلوّ الأرض بالبرودة دون السهل منها ؟

فجوابه : أنّه إنما اختصت بذلك لقربها من الجوّ الذي هو في غاية البرودة ، وأمّا السهول فإنها بعيدة منه . وبهذا حصل الفرق .

وقولكم : (وأيضاً الصاعقة فإنّها لا تنزل) إلى قولكم (وما السرّ في ذلك) ؟

فجوابه : أنّ القول بأنّ الصاعقة لا تنزل في الأرض السهلة المستوية الحارة غير صحيح ؛ فإنّا شاهدناها تنزل في بلادنا سجلماسه - وهي أرض سهلة مستوية حارة صحراء - ولا أحصي كم شاهدناها تنزل فيها ..!! سجلماسة

حكاية وقد ذكر السيد في شرح المواقف أن صبيا كان في صحراء ، فأصاب رجليه صاعقة ، فسقط ساقاه ، ولم يخرج منه دم .

وقد ذكر المفسرون نزولها في الصحراء عند قوله تعالى :

﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الرعد : ١٣]

واعلم : أن هذا الذي ذكرناه في الجواب أخبر به من عاين الأمر على ما هو عليه من أرباب البصيرة - نفعنا الله بهم - نعني الشيخ - رضي الله عنه - فينبغي أن ينسب هذا الجواب لساداتنا الصوفية - رضي الله عنهم - .

وأما كلام أهل السنة والجماعة ، فقد عدمناه في هذا الباب ، فإني راجعت مظانّ المسألة في كتب التفسير والحديث والكلام ، فما عثرت على شيء فيها ؛ وهذا الحافظ جلال الدين السيوطي - رحمه الله - مع جلالة قدره وعلو درجته في الحديث والآثار ؛ لم يتعرض لذلك ، لا في الكتاب الذي سماه « بالهبة السنية في الهيئة السنّية » وقد وضعه في « علم الهيئة » لأمثال هذه المسألة ، ولا في « حاشيته على البيضاوي » ؛ وعادته فيها أن يردّ كلام الحكماء الذي يُتبعه البيضاوي بكلام السلف الصالح ، ولا في « الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور » ، ولا في غير ذلك من كتبه التي وقفنا عليها ، وقد أكثر في هذه الكتب الثلاثة من الكلام على الرعد والصواعق والمطر والسحاب والبرق ، وكان من حقه أن يتكلم على الثلج والبَرَد وعلى سببها ؛ لأن البيضاوي نقل طريقة الحكماء في سببها وهي مبنية على نفي الفاعل بالاختيار

كما أشار إلى ذلك صاحب المواقف وهذه طريقة الحكماء . قال في المواقف وشرحها :

اعلم : أنّ حر الشمس وغيرها يُصّعِد إلى الجوّ أجزاء : إما هوائية ومائية مختلطين وهو البخار وصعوده ثقيل ؛ وإما نارية وأرضية وهي الدخان ، وصعوده خفيف ؛ وليس ينحصر الدخان كما تعورف في الجسم الأسود الذي يرتفع مما يَحترق بالنار ، وقلما يصعد البخار والدخان ساذجين ، بل يتصاعدان في الأغلب ممتزجين ، ومنهما يتكون جميع الآثار العلوية . أما البخار فإن قلّ واشتدّ الحر في الهواء حلَّلَ الأجزاء المائية وقلبها إلى الأجزاء الهوائية وهي الهواء الصرف ، وإلا : ـ أي وإن لم يكن الأمر كذلك ـ ، فإن كان البخار كثيراً ولم يكن في الهواء من الحرارة ما يحلله ، فإنْ وصل ذلك البخار بصعوده إلى الطبيعة الزمهريرية ـ التي هي الهواء البارد كما عرفتَ ـ عقده ببرده فتكاثف وصار سحابا ، وتقاطرت الأجزاء المائية ، إما بلا جمود وهو المطر ـ إذا لم يكن البرد شديداً ـ ، وإما مع جمود ـ إذا كان البرد شديداً ـ فإن كان الجمود قبل الاجتماع والتقاطر وصيرورته جثاثاً كباراً فهو الثلج ، وإن كان الجمود بعده فهو البرد ، وإنما يستدير ويصير كالكرة بالحركة السريعة الخارقة للهواء بمصادفته فتمتحي الزوايا عن جانب القطرات المنحدرة .

ثم تكلم على سبب الظل والصقيع والضباب والرعد والبرق والصاعقة والريح وغيرها من الأمور العلويّة ، ثم قال ـ بعد كلام طويل ملخص بعبارة جامعة وافية : ما ذكرناه ـ في الفصل الثاني أو في المرصد الأول ـ كله آراء الفلاسفة حيث نفوا القادر المختار ـ كما سبقت الإشارة إليه أثناء الكلام مرة بعد أخرى ـ إلى آخر كلامه اهـ . المراد منه . وحينئذ فعلى ناصر الدين البيضاوي ـ رحمه الله ـ دَرَكٌ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ [النور : ٤٣]

بطريقة الفلاسفة ؛ والعجب من سكوت الحافظ السيوطي ـ رحمه الله ـ في الحاشية على ذلك وكذا شيخُ الإسلام زكريا الأنصاري ـ رحمه الله ـ في حاشيته عليه .

واعلم : أن الجواب الأول الذي سمعناه من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ لو أردنا بسطه وبيان أوجهه وتفصيل ما ينجر إليه الكلام ما وسعنا له كرّاس ، وفي هذا القدر كفاية . والله تعالى أعلم .

قاله وكتبه عبيد ربه أحمد بن مبارك بن محمد بن علي بن مبارك السجلماسيّ اللمطي ، لطف الله به ، آمين .

الزلزلة وسببها

[س ٢٠] وسألته - رضي الله عنه - : عن الزلزلة وسببها ؟ وذلك أني كنت معه - رضي الله عنه - بسوق الرصيف نتماشى ، فحدثت زلزلة صغيرة شعر بها بعض الناس دون بعض ، وكنت أنا ممن لم يشعر بها ، فلما بلغنا المخفية لقِيَنا ناس فسألونا أشعرتم بالزلزلة ؟ فقلت أنا : ما شعرنا بشيء وما كانت زلزلة .

فقال لي الشيخ - رضي الله عنه - : قد كانت ، وذلك حيث كنا بسوق الرصيف واقفين عند فلان في حانوته ، ثم شاع أمرها في الناس .

فسألته - رضي الله عنه - عن سببها - وقد كنتُ عرفتُ ما قاله السلف الصالح فيها وما قاله الفلاسفة أيضاً فيها ، وأحببت أن أسمع جوابه رضي الله عنه - .

[ج] فقال لي - رضي الله عنه - : سبب زلزلة الأرض تجلّي الحقّ سبحانه لها ؛ وشَرْح هذا الكلام سرّ ؛ وقد سمعته من الشيخ - رضي الله عنه - .

قال رضي الله عنه : ثم هذا التجلّي كان كثيراً في أوّل خلق الأرض ، وقبل خلق الجبال فيها ، فكانت تضطرب وتميل ، ثم حجبها - جلّ وعلا - وخَلَقَ الجبال فيها فسكنت ؛ **وفي آخر الزمان** يكثر هذا التجلي أيضاً ، فلا تَزال الأرض تَكْثُر فيها الزلازل والرجفات ، حتى يَبيد مَن عليها .

قلت : وذكر الحافظ السيوطي رحمه الله في كتابه الذي سماه : « بكشف الصلصلة عن وصف الزلزلة » ، عن ابن عباس قريباً من كلام الشيخ - رضي الله عنه - ونصه :

وقال الطبَراني في كتاب السنّة : - باب ما جاء في تجلّي الله تعالى للأرض عند الزلزلة - ، حدثَنا جفص بن عمر الرقي ، حدثنا عمرو بن عثمان الكلبي ، حدثنا موسى بن أعين عن الأوزاعي ، عن يحي بن أبي كثير عن عكرمة عن ابن عباس قال :

« إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُخَوِّفَ عِبَادَهُ أَبْدَى عَنْ بَعْضِهِ لِلأَرْضِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَزَلْزَلَتْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُدَمْدِمَ عَلَى قَوْمٍ تَجَلَّى لَهَا » .

وقال الديلمي[٥٦] في مسند الفردوس : أخبرنا عبدوس[٥٧] ، أخبرنا ابن زنجويه ، أخبرنا القطيعي[٥٨] ، حدثنا محمد بن إسحاق[٥٩] البلخي القاضي ، حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا عبد الرحمن بن براء من أهل هراة ، حدثنا أبو عبد الله الهروي ، حدثنا محمد بن أزهر ، حدثنا أيوب بن موسى عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُخَوِّفَ خَلْقَهُ أَظْهَرَ لِلأَرْضِ مِنْهُ شَيْئاً فَارْتَعَدَتْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُهْلِكَ خَلْقَهُ تَبَدَّى لَهَا » اهـ .

فرضي الله عن الشيخ ما أعرفه بالأمور ..!!

ثم قال الحافظ السيوطي : وبهذه الآثار عُرف فساد قول الحكماء : أن الزلازل إنما تكون عن كثرة الأبخرة الناشئة عن تأثير الشمس واجتماعها ، ـ يعني الأبخرة ـ تحت الأرض بحيث لا تقمعها برودة حتى تصير ماء ، ولا تتحلل بأدنى حرارة لكثرتها ؛ ويكون وجه الأرض صُلباً بحيث لا تنفذ البخارات منها ، فإذا صعدت ولم تجد منفذاً اهتزت الأرض منها واضطربت كما يضطرب بدن المحموم ، لما يثور في

---

(٥٦) الديلمي (٤٢٥ ـ ٥٠٩ هـ) : هو المحدث المؤرخ الرحال أبو شجاع شِيْرَوَيْه بن شهردار الهمذاني الديلمي . اسم كتابه : « فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرّج على كتاب الشهاب » أي على « شهاب الأخبار » للقضاعي . أورد فيه (١٠٠٠٠) حديث من الأحاديث القصار مرتبة على نحو (٢٠) حرفاً من حروف المعجم . فيه أحاديث صحيحة وأحاديث حسنة وأحاديث موضوعة . وهو من أهل العلم والدين ولم يكن ممن يكذب ، لكنه نقل ما في كتب الناس ... اهـ . ملخصاً من التعليقات على الأجوبة الفاضلة .

(٥٧) عبدوس (.. ـ ٢٤٦ هـ) : عبد الصمد بن سليمان بن أبي مطر ، العَتَكي ، أبو بكر البلخي الأعرج . لقبه عبدوس . ثقة حافظ من الطبقة (١١) أسند له الترمذي اهـ . كما في تقريب التهذيب .

(٥٨) القَطيعي (ـ ٣٦٨ هـ) : هو أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك ، أبو بكر القطيعي ، عالم بالحديث . كان مسند العراق عصره ، من أهل بغداد ونسبته إلى قطيعة الدقيق فيها ، له زيادات على مسند الإمام أحمد لكن فيها أحاديث كثيرة موضوعة وتقع في (٥) أجزاء سماها القطيعيات اهـ . الأعلام ، الأجوبة الفاضلة .

(٥٩) محمد بن إسحاق (.. ـ ١٥١ هـ) : ابن يسار المطلبي بالولاء ، المدني ، من أقدم مؤرخي العرب ، كان قدرياً ومن حفاظ الحديث ، سكن بغداد ومات فيها .

بطنه من بخارات الحرارة ، وربما انشقّ ظاهر الأرض فتخرج تلك المواد المحتبسة . ووجه فساده : أنه قول لا دليل عليه بل ورد الدليل بخلافه ا هـ كلام الحافظ - رحمه الله تعالى - .

الخسف وأسبابه

[س] نعم ، سألت الشيخ - رضي الله عنه - : عن سبب الخسف الذي يظهر في الأرض أحياناً ، ويكثر في آخر الزمان .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : إنّ الأرض محمولة على الماء ، والماء محمول على الريح ، والريح تخرج من حيز عظيم بين السماء وطرف الماء - أعني ماء البحر المحيط[٦٠] - ، وذلك أنّا لو قدّرنا رجلاً يمشي ولا ينقطع مشيه فإنّه يبلغ لمنقطع الأرض[٦١] ، ثم يرى البحر المحيط ، فإذا فرضناه يمشي عليه ، ولا ينقطع مشيه ، فإنه لا يزال يمشي فوق الماء إلى أن ينقطع ، وعند ذلك لا يبقى بينه وبين السماء إلا الجوّ الذي تخرج منه الريح ، فيرى رياحاً لا تُكيف ولا تطاق ، وهي - بإذن الله - الحاملة للماء والأرض ، والماسكة للسماء ؛ ثم هي خدّامة دائماً لا تسكن لحظة ؛ ومرتفعة نحو السماء . فإذا أراد الله - تعالى - أن ينزل المطر على قوم أمر شيئاً من تلك الرياح ، فانعكس إلى جهة الأرض ، وعبّر على متن البحر المحيط ، أو غيره ، فيحمل ما أراد الله تعالى من الماء إلى الموضع الذي يريده - عزّ وجلّ - . وكم مرة أنظر إلى طرف الماء الموالي للجو الذي فيه الرياح فأرى فيه جبالاً من الثلج لا يعلم قدر عِظَمها إلا الله - عزّ وجلّ - ؛ فإذا رجعتُ من الغد وجدتُ تلك الجبال نقلت إلى طرف الماء الموالي لجبل قاف ، وإذْ الرياح المنعكسة هي التي حملتها . والله تعالى أعلم .

وإذا أراد الله أن يخسف بقوم دخلت الرياح في منافسَ وتقويرات في الأرض ، بينها وبين الماء ؛ فإذا دخلت الريح فيها ، وقع في الأرض انحلال ينشأ

---

(٦٠) انظر أواخر التعليق السابق رقم (٥٥) .

(٦١) يشكل هذا مع ما أثبته العلم من كروية الأرض ، وكذا ما حققه كثير من العلماء وخاصة الشيخ محي الدين الحاتمي قدس سره في فتوحاته . اللهم وضح لنا ما أشكل ، ولعل الشيخ رضي الله عنه يقصد معنى أبعد من ذلك . ا هـ المحقق .

عنه الخسف . وفي آخر الزمان تكثر المنافس في الأرض ، ويكثر انعكاس الرياح إلى جهة الأرض ، فتكثر الخسوفات حتى يختلّ نظام الأرض . وكلّ ذلك بفعل الله تعالى وإرادته . والله تعالى أعلم .

ثم لا تزال الرياح تعمد نحو الأرض ، وتقصد خرابها ، حتى تصير الأرض في أيدي الرياح بمثابة الغربال في يدي الذي يصيّر به زرعاً من تراب أو حجر ، والمُصيّر في الأرض هو **عَجْبُ الذَنَب** الذي تُركّب منه الذات ، وهو لبني آدم بمثابة الزّريعة ، فيجمعه الله من أعماق الأرض ، وقعر البحار ، ووسط الكهوف ، وتحت الجبال ، وحيثما كان ، وفي ذلك اليوم تُسَيّر الجبال ، ثم تُنسف نسفاً من قوة الريح ، ثم تنشق السماء وينزل الماء على عَجْب الذَنَب ، فلا يزال ينمو شيئاً فشيئاً كنمو الفلنيص والبِطيخ ونحوهما ، ويظهر على وجه الأرض .

عجب الذنب

قال - رضي الله عنه - : وهنا كان يقول لنا سيدي عبد الله البرناوي - رحمه الله - : اذكروا يوم تبيضّ الأرض فتسير إلى نموّ عجب الذنب ، فإذا تمّ نموّه انفتح عن بني آدم كما تنفتح البيضة عن الطير ، - قال : **السرة يومئذ من جهة الظهر** ، لا من جهة البطن - ؛ ثم يأمر الله تعالى الأرواح بالدخول في أشباحها ، فإذا دخلت الأرواح فيها استقلت قائمة فانقطعت السرّة ، فإذا تم دخول الأرواح في الأشباح أمر الله تعالى النور والسرّ الذي كان يحجب جهنم عن الخروج إلى أهل الدنيا - وهو نور نبيّنا ومولانا محّمد ﷺ - أن يسير نحو الجنّة ؛ وعند ذلك **تخرج جهنم إلى أهل الأرض** ، وتأتيهم من كلّ جهة ؛ ولا يَعلم مقدارَ الخوف الذي يدخل العباد في ذلك اليوم إلا الله تبارك وتعالى .

رجوع الأرواح لأجسادها

خروج جهنم إلى أهل الأرض

قال - رضي الله عنه - : وفي ذلك اليوم - وقت دخول الأرواح في الأشباح - يُسمع للأرواح دوي وخفقان وأصوات تملأ القلوب رعباً ، وتنقطع الأكباد منها دَهَشاً .

ثم تكلم - رضي الله عنه - على ما يقع في ذلك اليوم ، وسيأتي بعضُه - إن شاء الله تعالى - . والله تعالى أعلم .

[س ٢١] وسألته - رضي الله عنه - عن قوله تعالى :

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ ﴾ الآية [الرحمن : ٣٥] .

خطاب للإنس والجنّ . هل ذلك الإرسال في المحشر ، أو بعد استقرارهم في جهنّم ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : إنما يكون ذلك في المحشر ، وهي النار التي تخرج على أهل المحشر ، وتحفّ بهم من كل ناحية . والله تعالى أعلم .

[**س ٢٢**] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] .

ما المراد بالسجلّ ؟ فإن من المفسرين من فسره بالصحيفة ، أي كطيّ الصحيفة للكتاب ـ أي لأجل الكتابة التي فيها ـ : أي طويت الصحيفة لأجل الكتابة التي فيها .

[ج] فقال رضي الله عنه : المراد بالسجلّ الآلة التي يضع الناسخُ عليها الكتابَ الذي ينسخ منه التي تسمى عند العامة بحمار[٦٢] الكُتب ، وأظنّه ـ رضي الله عنه ـ قال : اللفظة سُريانية . والمعنى : يوم نطوي السماء كطيّ الآلة المذكورة ، فإنّ صاحبها إذا فرغ من النسخ عليها يطويها ، وقوله تعالى : ﴿ للكتاب ﴾[٦٣] في موضع الحال من السجلّ ـ أي حال كون السجلّ للكتاب ؛ احترازاً من السجل الذي لغير الكتاب ـ . وفاتني أن أسأله ـ رضي الله عنه ـ عن وجه الشبه وكيفيّة طيّ السماء ، ولِمَ شبّه طيّها بطيّ الآلة المخصوصة ؟ وهل بينهما مناسبة خاصة لا توجد في غيرهما ، وهل هناك سجل آخر لغير الكتاب حتى يحترز عنه ، وما هو ؟ ولو سألته ـ رضي الله عنه ورحمه ـ عن هذه الأسئلة لخرجَتْ في أجوبتها علوم غيبية ، فإنّه ـ رضي الله عنه ـ لا يجيبنا إلا عن عيان . وحيث عدمت كلامه في تميم المسألة فنكمّلها بكلام العلماء ـ رضي الله عنهم ـ :

---

(٦٢) في ظ ١ : بحمّال .

(٦٣) وهي على قراءة سبعية .

أقوال العلماء في الآية الكريمة

قال الإمام أبو عبد الله البخاري في صحيحه : السجلّ : الصحيفة . قال الحافظ في الفتح : وصله الفريابي[٦٤] من طريقه - يعني من طريق مجاهد[٦٥] - وجزم به الفرّاء[٦٦] ؛ وروى الطبري معناه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ كطيّ السجلّ ﴾ يقول : كطيّ الصحيفة على الكتاب . قال الطبريّ : ومعناه كطيّ السجل على ما فيه من الكتابة ؛ وقيل : (على) بمعنى مِن ، أي : من أجل الكتاب ؛ لأنّ الصحيفة تطوي لما فيها من الكتابة .

وجاء عن ابن عباس : « أن السجلّ اسم كاتب كان للنبيّ ﷺ » أخرجه أبو داود والنسائي والطبري من طريق عمر بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس بهذا ، وله شاهد من حديث ابن عمر عند ابن مردويه[٦٧] . وفي حديث ابن عباس عند ابن مردويه : « السجل : الرجل - بلسان الحبشة - » . وعند ابن المنذر[٦٨] من طريق مسلم[٦٩] قال : « السجلّ : المَلَك » . وعند الطبري من وجه آخر عن

---

(٦٤) الفريابي (١٢٠ - ٢١٢ هـ) : هو محمد بن يوسف بن واقد الضبي بالولاء ، التركي الأصل ؛ أبو عبد الله الفريابي . عالم بالحديث ، حافظ ، أخذ عن سفيان الثوري ، وقُرئ عليه بمكة . روى عنه البخاري ٢٦ حديثاً . له « مسند » في الحديث ا هـ . الأعلام .

(٦٥) مجاهد بن جبر (٠٠ - ١٠٣ هـ) : أبو الحجاج ، من أعلام التابعين والمفسرين ، قرأ على ابن السائب وابن عباس بضعاً وعشرين ختمة . وأخذ عنه القراءة : ابن كثير وابن محيصن وابن العلاء والأعمش . له اختيار في القراءة . مات ونيّف على الثمانين ا هـ . حجة القراءات .

وفي « الإتقان » : هو من قراء التابعين بمكة ، وعدّه بعد طاوس .

(٦٦) الفراء (١٤٤ - ٢٠٧ هـ) : هو يحيى بن زياد ، أبو زكريا الأسلمي الكوفي . روى الحروف عن أبي بكر بن عياش والكسائي . روى عنه جماعة . تفرد عن الكسائي بقراءة الكلمات الآتية بالسين : يبسط (البقرة ٢٤٥) بسطة (الأعراف ٦٩) والمسيطرون (الطور ٣٧) وبمسيطر (الغاشية ٢٢) . ومن تصانيفه معاني القرآن (مطبوع) .

(٦٧) ابن مَرْدَوَيْه (٠٠٠ - ٤١٠ هـ) : هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ، أبو بكر ، حافظ ، مؤرخ مفسر ، له كتاب « التاريخ » و « تفسير القرآن » و « مسند » و « مستخرج » في الحديث ا هـ . الأعلام .

(٦٨) ابن المنذر (٢٤٢ - ٣١٩ هـ) : هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، أبو بكر ، فقيه ، مجتهد ، حافظ ، شيخ الحرم المكي . له كتب لم يصنف مثلها ، منها : « المبسوط » فقه ، « اختلاف العلماء » و « تفسير القرآن » . توفي بمكة ا هـ . الأعلام .

(٦٩) مسلم (٢٠٤ - ٢٦١ هـ) : هو الإمام مسلم بن الحجاج القشيري . طلب علم الحديث صغيراً ، وسمع من مشايخ البخاري وغيرهم ، روى عن أئمة من كبار عصره . له مؤلفات كثيرة أشهرها : « صحيح مسلم » الذي فاق =

ابن عباس مثله . وعند عبيد بن حميد من طريق عطية مثله وبإسناد ضعيف عن علي ، مثله .

وذكر السهيلي[٧٠] عن النقاش[٧١] : أنه مَلَكٌ - في السماء الثانية - تَرفع إليه الحفظةُ الأعمالَ كلَّ خميس واثنين ؛ وعند الطبري من حديث ابن عمر بعضُ معناه . وقد أنكر الثعالبي[٧٢] والسهيلي أنّ السجلّ اسم للكاتب ؛ لأنه لا يُعرف في كُتّاب النبيّ - ﷺ - ، ولا في أصحابه من اسمه السجلّ ، قال السهيلي : ولا وجد إلا في هذا الخبر . وهو حصر مردود ، فقد ذكره في الصحابة ابن منده[٧٣] وأبو نعيم[٧٤] ، وأورده من طريق ابن نمير عن عبيد الله بن عمر[٧٥] عن نافع[٧٦] عن ابن عمر قال :

= بحسن ترتيبه وسياقه وبديع طريقته ، وللعلماء في المفاضلة بينه وبين صحيح البخاري خلاف . دفن بنيسابور ا هـ . الأعلام .

(٧٠) السُّهَيْلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ) : هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي . حافظ ، عالم باللغة والسِيَر . ضرير ، ولد في مالقة ، ونسبته إلى سهيل (من قرى مالقة) . من كتبه : « الروض الأنف » و « شرح السيرة النبوية » و « التعريف والإعلام » و « الإيضاح والتبيين .. » و « نتائج الفكر » ا هـ . ملخصاً الأعلام .

(٧١) النقاش (.. - ٤١٤ هـ) : هو محمد بن علي بن عمرو بن مهدي النقاش الأصبهاني الحليلي ، أبو سعيد ، حافظ ، ثقة ، سمع ببغداد والبصرة والكوفة وبالحرمين ونهاوند وبغيرها . جمع وصنف وأملى . له « طبقات الصوفية » و « القضاة والشهود » ا هـ . ملخصاً الأعلام .

(٧٢) الثعالبي (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) : هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، أبو زيد . مفسر ، من أعيان الجزائر ، زار تونس والمشرق . له « الجواهر الحسان في تفسير القرآن » ٤ أجزاء ، و « الإرشاد في مصالح العباد » وغيرها . عدّ منها في « الأعلام » سبعة ا هـ . ملخصاً الأعلام .

(٧٣) ابن منده (٣١٠ - ٣٩٥ هـ) : هو محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، أبو عبد الله العبدي الإصبهاني ، من كبار حفاظ الحديث ، رحل في طلبه ، وأكثر من التصنيف فيه . قيل : كتب عن (١٧٠٠) شيخ ا هـ . ملخصاً الأعلام .

(٧٤) أبو نُعيم الإصبَهاني (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ) (٩٤٨ - ١٠٣٨ م) : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران صاحب الحلية وطبقات الأصفياء ، حافظ ، مؤرخ ، من الثقات ، ولد ومات بأصفهان ، أُخذ عليه عدم ترجمته لأبي حنيفة وأصحابه ا هـ . ملخصاً الأعلام والطبقات .

(٧٥) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب (.. - ١٤٧ هـ) : العدوي ، المدني ، أبو عثمان . أحد الفقهاء السبعة والعلماء بالمدينة ومن ساداتها ومن أشراف قريش . توفي بالمدينة.ا هـ . الأعلام .

(٧٦) نافع مولى بن عمر (.. - ١١٧ هـ) : أبو عبد الله من أئمة التابعين بالمدينة ، علاّمة في الفقه بالدين ، كثير الرواية للحديث ، ثقة ، ديلمي الأصل ، أصابه عبد الله بن عمر صغيراً في بعض مغازيه ، نشأ في المدينة ، وأرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن ا هـ . الأعلام .

كان للنبيّ - ﷺ - كاتب يقال له : السجلّ ؛ وأخرجه ابن مردويه من هذا الوجه ا هـ . كلام الحافظ - رحمه الله تعالى - والله تعالى أعلم .

[س ٢٣] وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

حقيقة سؤال سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ربه الرؤية

فقلت : موسى - عليه السلام - من أكبر العارفين بالله - تعالى - ؛ ولا يكون العارف عارفا حتى يخوض بحار المشاهدة ، فكيف سأل الرؤية ، وهو من أهل المشاهدة الدائمة ، وهل تزيد الرؤية على المشاهدة ؟ .. !

[ج] فقال رضي الله عنه - ونفعنا بذاته الكريمة - : مشاهدة الذات العليّة لا تخلص لأهلها من مشاهدة أفعالها ولا تصفو منها ، إلاّ لو كانت أفعال الذات العلية تنقطع ، ولو انقطعت - طرفةَ عين - لانهدم الوجود واختلّ نظام العالم ؛ فما من موجود إلا وفيه فعل الله تعالى ، وهو مادته والسبب في بقائه ؛ وهو الحجاب بينه وبين الذات العلية ؛ ولولا أنه تعالى حجب أفعاله تعالى فيها ، لاحترقت الذوات وذاب كل حادث في العالم ، فلمّا لم تصفُ المشاهدة لأهلها ، وصارت الأفعال المتقدمة بمنزلة القذى في البصر ، سأل موسى - عليه الصلاة والسلام - ربَّه عز وجل أن يقطع عنه الفعل ، حتى لا يحجبه عن مشاهدة الذات العليّة على الصفا ، فقال له ربّه - عز وجل - : [بما معناه] إذا قطعتُ الفعلَ عن الحادث اختلّت ذاتُه ؛ وهذا الجبل أقوى منك ذاتا ، وأصلب منك جرما ، فانظر إليه (فإن استقرَّ مكانه) بعد قطع فِعلي عنه (فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل) وقَطَعَ عنه الفعلَ الحاجبَ له عن سطوة الذات العلية ، تدكدكَ الجبل وتطايرت أجزاؤه حتى صَعِق موسى - عليه السلام - .

ثم ذكر رضي الله عنه أسراراً إلهية ، لا حرمنا الله منها بمنّه وكرمه . والله تعالى أعلم .

[س ٢٤] وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى :

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد : ٣٩]

فإن علماء التفسير رضي الله عنهم اختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً . وذكرتُ له بعض ما قالوه .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : لا أفسر لكم الآية إلا بما سمعت من النبيّ - ﷺ - يذكره لنا في تفسيرها بالأمس .

فقال - رضي الله عنه - : إن ما يَقَع في خواطر العباد مما يتعلق بالأمور الكائنة على قسمين : قسم لا يقع ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ يمحو الله ما يشاء ﴾ . وقسم يقع وإليه الإشارة بقوله : ﴿ ويُثبت ﴾ . يعني : أنّ الخواطر المتعلقة بالأمور الاستقبالية كنزول مطر ، وقدوم قادم ، ووقوع حادث ، منها : ما يخيب وهو المَمْحو ؛ ومنها : ما يُجيب - بالجيم - وهو المُثبت . (وعنده) تعالى (أمّ الكتاب) وهو : العلم القديم الذي لا يخيب أصلاً . هكذا فسّره النبي - ﷺ - فاعتمده ، واطرح ما سمعتَ من غيره ؛ وذلك أنّي كنت سمعتُ منهُ في الآية تفسيراً آخر طالما أفصح فيه عن حقائق عرفانيّة . والله تعالى أعلم .

خواطر العباد

[س ٢٥] (وسألته) - رضي الله عنه - : عن قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٣] .

هل تدل الآية على نبوّة السيّدة مريم ؟ وهل ما قيل من نبوّة غيرها من النساء كأمّ موسى وآسية امرأة فرعون وسارة وهاجر وحواء ، صحيح أم لا ؟ فإنّ من العلماء من ذهب إلى الأول ؛ ومنهم من ذهب إلى الثاني ، وحكى بعضهم الإجماع عليه في السيدة مريم ، فيكون غيرها أحرى ؛ ومنهم من توقف كالشيخ الأشعري[٧٧]

(٧٧) أبو الحسن الأشعري (٢٦٠ - ٣٢٤ هـ) : هو الإمام علي بن إسماعيل بن إسحاق ، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري ، مؤسسّ مذهب الأشاعرة في عقيدة أهل السنة . من المتكلمين والمجتهدين ، ولد في البصرة ، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر في دحض حججهم ، توفي ببغداد . بلغت مصنفاته (٣٠٠) كتاب ا هـ . من الأعلام .

- رئيس أهل السنّة والجماعة - . واستدل الاولون بأن المَلَك لا ينزل إلا على النبيّ - عليه الصلاة والسلام - ؛ وقد صرّحت الآية بنزوله على مريم ، وجعلوا هذا فارقاً بين النبيّ والوليّ ؛ فقالوا : النبيّ ينزل عليه المَلَك ؛ والوليّ يلهم ، ولا ينزل عليه المَلَك .

الصواب نفي النبوة عن النساء

[ج] فقال رضي الله عنه : الصواب مع أرباب القول الثاني ، وهو : نفي النبوة عن نوع النساء ؛ ولم تكن لله نبوّة في ذلك النوع أبداً ؛ وإنما كانت مريم صِدّيقة . والنبوّة والولاية وإن اشتركتا في أن كلا منهما نور وسرّ من أسرار الله - عز وجل - ، فنور النبوّة مباين لنور الولاية ، وما به المباينة لا يدرك على الحقيقة إلا بالكشف ؛ غير أنّ **نور النبوة** أصليّ ذاتيّ حقيقيّ مخلوق مع الذات في أصل نشأتها ، ولذا كان النبيّ معصوما في كلّ أحواله ؛ **ونور الولاية** بخلاف ذلك ؛ فإنّ المفتوح عليه إذا نظر إلى ذاتِ مَن سيصير وليّاً يرى ذاتا كسائر الذوات ، وإذا نظر إلى ذات من سيصير نبياً رأى نورَ النبوّة في ذاته سابقاً ، ورأى تلك الذوات مطبوعة على أجزاء النبوة[78] السابقة التي سبقت في حديث : « إنَّ هذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[79] .

نور النبوة ونور الولاية

فيكون صاحبها مطبوعاً على قول الحقّ ولو كان مرّاً ؛ وعلى الصبر الذي لا يحس معه بألم ، ولا تكون معه كُلْفة ؛ وعلى الرحمة الكاملة ؛ وعلى معرفة الله - عزّ وجلّ - على الوجه الذي ينبغي أن تكون المعرفة عليه ؛ وعلى الخوف التامّ منه - عزّ وجلّ - خوفاً يمتزج فيه الخوف الباطنيّ بالخوف الظاهريّ حتى يدوم له الخوف في سائر أحواله ؛ وعلى بغض الباطل بغضاً دائماً ؛ وعلى العفو الكامل ، حتى يَصِلَ من قَطعه ، وينفَع من ضرّه . فهذه هي خصال النبوّة ، وأجزاؤها السبعة ، التي تطبع عليها ذات النبيّ قبل الفتح وبعده . وأمّا ذات الوليّ ، فإنها قبل الفتح - من جملة الذوات - ليس فيها شيء زائد ، فإذا فتح عليها جاءتها الأنوار ، فأنوارها عارضة ، ولذا كان الوليّ غيرَ معصوم قبل الفتح وبعده .

عدم عصمة الولي

فرق

وأما ما ذكروه في الفرق بين النبيّ والوليّ من نزول الملك وعدمه فليس

---

(78) ص (١٤٥) .

(79) تقدم ص ١٢٨ وأنه متواتر .

بصحيح ، لأن المفتوح عليه سواء كان ولياً أو نبياً ، لا بد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبونه ، وكلّ من قال : إن الولي لا يشاهد المَلَك ولا يكلّمه ، فذاك دليل على أنّه غير مفتوح عليه .

قلت : وكذا قال الحاتمي ـ رحمه الله ـ في الفتوحات المكية ـ في الباب الرابع والستين وثلثمائه ـ : غلطَ جماعةٍ من أصحابنا منهم الإمام أبو حامد الغزالي في قولهم ـ في الفرق بين النبيّ والوليّ ـ : أن النبيّ ينزل عليه المَلَك والوليّ يلهم ، ولا ينزل عليه الملك .

الفرق بين النبي والولي

قال : والصواب أنّ الفرق فيما ينزل به الملك ، فالوليّ إذ نزل عليه الملك فقد يأمره بالاتباع ، وقد يخبره بصحة حديث ضعفه العلماء ، وقد ينزل عليه بالبشرى من الله وأنه من أهل السعادة والأمان ، كما قال تعالى :

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [يونس : ٦٤] .

قال : وسبب غلط هؤلاء ظنّهم أنّهم عمّوا طرق الله بسلوكهم بحيث لمّا لم ينزل عليهم مَلَك ظنوا أنه لم ينزل على غيرهم ، ولا ينزل أصلاً على وليّ ؛ ولو سمعوا من ثقة نزوله على ولي لرجعوا عن قولهم ، لأنّهم يصدقون بكرامات الأولياء ، وقد رجع لقولي جماعة كانوا يعتقدون خلافه اهـ . ملخصاً .

وإذا فهمت كلام الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في الفرق السابق علمتَ أن ما استصوبه الحاتمي رحمه الله في الفرق غير ظاهر ، لأنّ حاصله أنّ الوليّ لا ينزل عليه الملك بالأمر والنهي بخلاف النبيّ ؛ وليس كذلك ؛ فإن الولي ينزل عليه المَلَك بالأمر والنهي ، ولا يلزم منه ، أن يكون ذا شريعة ، كما في قصة مريم ، فإن الملك نزل عليها بالأمر وليست نبيّة ـ كما سبق ـ .

مطلب
مقامات المفتوح عليه خمسة

ولو أفشينا ما سمعنا من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في هذا الباب لكان آية للطالبين وعمدة للراغبين ، ولكنّه سرّ لا يفشى؛ إلا أني أحببت أن أذكر هنا أمرين من علوم الشيخ ـ رضي الله عنه ـ أحدهما بعض ما يشاهده المفتوح عليه :

فقال ـ رضي الله عنه ـ : أما في المقام الأول : فإنه يكاشَف بأمور : منها

١ ـ أفعال العباد في خلواتهم . ومنها ٢ ـ مشاهدة الأرضين السبع والسموات السبع . ومنها ٣ ـ مشاهدة النار التي في الأرض الخامسة ، وغير ذلك ممّا في الأرض والسماء ، قال : وهذه النار هي نار البرزخ ، لأن البرزخ ممتد من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ، والأرواح فيه بعد خروجها من الأشباح على درجاتها ، وأرواح أهل الشقاوة ـ والعياذ بالله ـ في هذه النار ، وهي على هيئة منازلَ ضيقة كالآبار والكهوف والأعشاش ؛ وأهلها في نزول وصعود دائماً ، لا يكلمك الواحد منهم كلمة واحدة حتى تهوي به هاويته ، قال : وليست هذه النار هي جهنّم ، لأن جهنم خارجة عن كرة السموات السبع والأرضين السبع ، وكذلك الجنة . ومن الأشياء التي يشاهدونها ٤ ـ اشتباك الأرضين بعضها ببعض ، وكيف تخرج من أرض إلى أرض أخرى ، وما تمتاز به أرض عن أرض أخرى ، والمخلوقات التي في كلّ أرض ، ومنها ٥ ـ مشاهدة اشتباك الأفلاك بعضها ببعض ، وما نسبتها من السموات ، وكيف وَضْع النجوم التي فيها . ومنها ٦ ـ مشاهدة الشياطين ، وكيف توالدها ، ومنها ٧ ـ مشاهدة الجن ، وأين يسكنون ، ومنها ٨ ـ مشاهدة سير الشمس والقمر والنجوم والأصوات الهائلة التي هي مثل الصواعق القاتلة لحينها . فإن هذا يكون سمعه دائماً ، ويَجب عليه أن لا يستعظم شيئاً من هذه الأمور ؛ وأن يستصغر كلّ ما يَرَى ، وإلا وقف به الحال ، وصار أمره إلى الانتكاس ، لأنّ الذات في زمن الفتح شفافة تشف كل ما تستحسنه ؛ وهذه الأشياء المشاهدة كلّها ظلام ؛ فإذا ركن إلى شيء منها وقف في الظلام ، وانقطع عن الله ـ عز وجل ـ ، ولذا كان غير المفتوح عليه في ساحة الأمن ؛ وكان المفتوح عليه في غاية الخطر ، إلا من عصمه الله . وإذا كانت الذات قبل الفتح مفتونة مشغولة عن الله عز وجل بنحو اللوز والزبيب والحمّص فضلاً عن الدراهم والدنانير والنساء والأولاد ، فكيف لا يفتن بعد الفتح بمشاهدة العالم العلويّ والسفليّ ومساعدة الشياطين له على ما يريد ؟..! ولا عصمة إلا بالله . جهنم

قال رضي الله عنه : ومن وقف مع شيء من هذه الأمور السابقة كانت الشياطين معه يداً بيد وصار من جملة السحرة والكهنة ـ نسأل الله السلامة ـ ، ومن رحمه الله تعالى جذبه إليه ، وخلق فيه شوقاً وطلباً قلبياً يخرق به هذه الحجب .

وأما ما يشاهده في المقام الثاني : فإنه يكاشف بالأنوار الباقية ، ـ كما كوشف

في المقام الأول بالأمور الظلمانية الفانية ـ ، فيشاهد في هذا المقام الملائكةَ والحفظة والديوان والأولياءَ الذين يعمِّرونه ، ويشاهد مقام عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكلٍّ من يضاف إليه وكان على شاكلته ، ثم مقام موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكلٍّ من معه ، ثم مقام إدريس ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكل من معه ، ثم مقام يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكل من معه[٨٠] ، ثم مقام ثلاثة من الرسل متقدمين ، منهم من كان قبل إدريس ، ومنهم من تأخر عنه ، ـ أسماؤهم غير معروفة بين الناس ـ ، ولو شرحنا مقاماتِ الأنبياء المذكورين ، وكيف يُرى المَلَك على أصل خلقته لسمع السامع شيئاً لم يكن له على بال .

ويجب أيضاً ـ على المكاشَف بهذه الأمور ـ : أن لا يقف مع شيء منها لما سبق أن ذاته حينئذ شفافة ، فإذا وقف مع شيء منها شفّت ذاتُه أسرارَه ، حتى إنه إذا وقف مع مقام سيدنا عيسى ـ مثلاً ـ واستحسنه ، سقي بسره ، ورجع في الحين على دينه وخرج عن ملة الإسلام ، ـ نسأل الله السلامة ـ .

الخطر على المفتوح عليه

ولا يزال المفتوح عليه على خطر عظيم وهلاك قريب[٨١] حتى يشاهد مقام سيدنا ومولانا محمد ﷺ ؛ فإذا شاهده حصل له الهناء وتم له السرور ، لأن في ذاته ﷺ قوةً جاذبة إلى الله عز وجل اختصت بها ذاته الشريفة ﷺ من بين سائر المخلوقات ، ولذا كان أعزَّ المخلوقات وأفضلَ العالمين . فإذا وصل المفتوح عليه إلى مقام نبيّنا ﷺ ، تزايد جذبه إلى الله ـ عز وجل ـ وأَمِن من الانقطاع . وفي ذلك أسرار أُخر يعرفها أرباب الفتح ، ـ جعلنا الله منهم ، ولا حرمنا بركتهم ـ .

وأما **المقام الثالث** : فإنه يشاهد فيه أسرار القدر في تلك الأنوار المتقدمة .

وأما **المقام الرابع** : فإنه يشاهد فيه النور الذي ينبسط عليه الفعل ، وينحل فيه كانحلال السمّ في الماء ؛ فالفعل كالسمّ ، والنور كالماء ؛ وفي هذا المقام يقع الغلط لكثير حيث يظنون أن ذلك النور هو الحق ، ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ .

---

(٨٠) في ظ ١ : ثم مقام إبراهيم عليه السلام وكل من معه ثم مقام آدم عليه السلام وكل من معه ثم ...

(٨١) في ظ ١ : هلاك جسيم .

وفي المقام الخامس : يشاهد انعزال الفعل عن ذلك النور ، فيرى النورَ نوراً والفعل فعلاً ؛ ويظهر له الغلط فيا ظنّه أولاً .

وأضربنا عن ذكر أسماء المقامات وشرح معانيها واستيفاء أقسامها ، لأن الغرض الإشارة إلى تحذير المفتوح عليه ، وقد حصلت ـ والحمد لله ـ مع ما في شرح ذلك من الأسرار التي لا تذكر لأهلها إلا مشافهة .

والأمر الثاني أنك قد علمت الفرق بين النبيّ والوليّ .

وأمّا الفرق بين النبيّ والمَلَك : فهو أنّ الملك ذاته نورانية ركب الله تعالى فيها العقل والحواسّ .

ذات المَلَك

سمعت الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يقول : في ذات كلّ مَلَك خمسة رؤوس ، لكل رأس يمين وشمال وفوقٌ وتحت ؛ فله فوق تسعة أفواه ، مجموع ذلك : ثلاثة وستون في كل رأس ، فإذا ضربت عدد الرؤوس الخمسة في عِدّة الأفواه السابقة كان الخارج : ثلثمائة فم وخمسة عشر فماً ؛ والفم يكون فيه ثلاثة ألسن ؛ وقد يكون فيه خمسة ألسن ، وقد يكون فيه سبعة ألسن . فإذا كان فيه ثلاثة فالخارج من ضربها في عدد الأفواه : تسعمائة وخمسة وأربعون لساناً ، وإن كان فيه خمسة كان الخارج : ألفَ لسان وخمسَمائة لسان وخمسةً وسبعين لساناً ، وإن كانت سبعة كان الخارج : ألفي لسان ومائتي لسان وخمسةَ ألسن . وإذا تكلم المَلَك بكلمة خرج صوته بها من هذه الألسن كلّها . فسبحان المَلِك الخلاق العظيم ..! فالمفتوح عليه إذا لم يؤيده الله تعالى بمزيد قوة من لَدُنه ينصدع قلبه عند سماع صوت المَلَك ؛ فما ظنّك بمشاهدة ذاته في أصل خلقتها ...؟!!

إذا سمعت هذا ؛ فذاتَ المَلَك نور صافٍ ، ركّب فيها عقل وحواسّ ، فهو[٨٢] بمثابة الروح فإنها خلقت من نوره ؛ وفي ذلك النور عقل ، به تقع معرفته ـ عزّ وجلّ ـ مع جميع ما سبق في أجزائها السبعة ، وقد سبق أن علومها فطرية مقارِنة لأصل نشأتها ، فكذلك المَلَك فهو مفتوح عليه في أوّل أمره .

---

(٨٢) في ظ ١ : فهي .

ذات النبي

وأما النبيّ : فذاته مخلوقة من تراب ، وقد حجبت الروح مع أسرارها في تلك الذات الترابية ؛ والتراب بطبعه يقتضي الحجب ، إلا أن ذات النبيّ لما أمدّها الله تعالى في أصل نشأتها بنور النبوّة زال منها الظلام ، ورقّ الحجاب ، فصار صاحبها بمثابة ضجيع الحقّ دائماً ، قريبٍ من الله قريبٍ من الحقّ ؛ لا يتحرك إلا في الحقّ ، ولا يسكن إلا فيه ؛ إذا سكت سكت على الحقّ ، وإذا تكلم تكلم بالحقّ ؛ أمرُه كلّه حقّ ؛ حتى إنه لو فرض أنه خُلِق بين قوم نشؤوا على الضلال لكان منابذاً لهم ، ومناقضاً لهم في جميع حركاتهم وسكناتهم ، لمجرد الحقّ الذي في حَشْو ذاته ؛ وإن لم يسمع شرعاً ولا أمراً ولا نهياً . فهذه حالة كلّ نبيّ في أصل نشأته ، وبداية أمره ، وقبل أن يفتح عليه ؛ فأمّا إذا وقع الفتح وزال الحجاب بين الروح والذات بالكلية ، وصار في حضرة الشهود دائماً ، فلا تسألْ عن زاخر بحوره التي لا ساحل لها ...! ، فعند ذلك لا يطيقه المَلَك ، ولا غيره من المخلوقات ...! . والله تعالى أعلم .

[س ٢٦] (وسألته) ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

حل شبهة في القرآن الكريم

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

كيف يَظنّ عدمَ القدرةِ عليه ، وخروجَه عن إحاطة ربّه ؟ فإنّ هذا يَبعد صدوره من أدنى ضَعَفة الموحّدين ، فكيف بالأنبياء والمرسلين ...؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : معنى مغاضباً : أي غاضباً عليهم ، حيث تركوا ما فيه رشدهم وصلاحهم من الإيمان به والاستسلام لأمره ، حتى نزل بهم أمرُ الله تعالى وعذابُه ، بحسب ما يظهر للناظر ؛ فإنّ العذاب كان فوق مساكنهم ، فلما رأى ذلك يونس ـ عليه السلام ـ غضب و﴿ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ [الصافات : ١٤٠] . وأما قوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ :

فمعناه : أنّه ظنّ أن لن نهلكه بما أهلكناهم ؛ وذلك أنه لما رأى أمارة العذاب فرّ عنهم ، ظانّاً النجاة ، وأنه لا يصيبه ما أصابهم . بمنزلة رجل رأى ناراً مقبلة لا تخص هذا دون هذا ؛ أو رأى سيلاً جارياً لا ينجو منه من وقف له ؛ ففرّ منه ظانّاً أن فراره ينجيه من تلك النار أو من ذلك السيل . فهذه كانت حالته ـ عليه السلام ـ ،

فإنه لَمَّا رأى العذاب نازلاً بقومه ، وظنّ أنّه إن بقي معهم أصابه ما أصابهم فرّ منهم ، ظانّاً أنّه لا يصيبه ما أصابهم لأجل فراره ، فأراه الله ـ تعالى ـ نوعاً آخر من القدرة ، لم يكن في ظنه ـ عليه السلام ـ (فـ) لما رأى ذلك : ﴿ نَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

استجاب له ربه ونجاه ـ عزّ وجلّ ـ . وكانت القصة بعد ذلك آية للذاكرين ، وأسوة للأوّابين ، وتسلية للمصابين ، وفتح بابِ فرج للسائلين ، ألا تراه يقول :

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٨] .

ففراره ـ عليه السلام ـ لظنه النجاة من العذاب النازل بقومه ، لا إعجازاً للقدرة ، وخروجاً عن إحاطة سيده به .

قلت : وهذا أحسن ما قيل في الآية ، فإن للمفسرين فيها أوجهاً كثيرة ، مَنْ تأملها علم أن هذا أحسنها . والله تعالى أعلم .

[س ٢٧] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

أيوب عليه السلام حقيقة ضره ومدة مرضه

وَ ﴿ أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

ما المراد بالضرّ الذي مسّه ؟ وهل ما يقوله أهل التفسير في مرض أيوب ـ عليه السلام ـ صحيح أم لا ؟ وكذا ما يذكرونه في طول مدة ضُرّه ؟ وذكرتُ له كلامَ الحافظ ابن حجر في الفتح في أحاديث الأنبياء منه ، ـ فلينظره من أراد الوقوف عليه في ترجمة أيوب عليه السلام ـ .

[ج] فقال رضي الله عنه : الضرّ الذي مسّه هو الالتفات إلى غيره تعالى ، وهو أعظم ضرّ عند العارفين به ـ عز وجل ـ من الأنبياء والمرسلين ، فهذا هو الضر الذي سأل أيوبُ ـ عليه السلام ـ من ربّه أن يرفعه عنه ؛ لا ضرّ مرض بدنه ..! فإنّ هذا يقربه من الله ـ عز وجل ـ ؛ والذي يبعده من ربّه ـ سبحانه ـ هو ضرّ الالتفات إلى غيره ، والانقطاع عنه ، ولو في لحظة من اللحظات .

وأمّا المرض الذي يذكره المفسرون والمؤرخون فلم يكن . ومدة مرضه :

كانت **شهرين وزيادة أيام** ، عينها لي الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ونسيتها . والله تعالى أعلم .

[س ٢٨] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه : ٢٠] .

ما المراد بالمعيشة الضنك ؟ فإنّه إن أريد بذلك ضيق المعيشة أشكل الأمر بأنّ كثيراً من الكفرة فيهم أغنياء ، ولا شكّ أن معيشتهم واسعة لا ضيّقة ؛ والآية تقتضي أن كلّ معرض عن ذكره تعالى معيشته ضيقة ..؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : يسبق إلى العقول في الدنيا ما تصير إليه الذوات في الآخرة ، وقد قضى تبارك وتعالى على الكفرة بالخلود في جهنم ، فالكافر لا تمر عليه ساعة إلا ويتكدر عليه حاله ، لما يسبق إلى قلبه من الوسوسة ، فإنّ الوسواس يحرك عليه الهم ويكدّر عليه أمرَه ؛ وأقله أن يقول له : لعلّك لست على دين صحيح ؟ . فهذا هو الأمر الذي يقذفه الله في قلوب الكفرة ، وبه تضيق معيشتهم ، ولو كانوا أغنياء أو ملوكاً . فالمراد بضيقها : ضيقها في القلوب لا في اليد ، فإنّ من كانت بيده دنيا واسعة ، وعلم أنّ مصيره إلى سخط الله ضاقت معيشته .

قلت : وهذا الذي قاله الشيخ في غاية الحسن . وقد قال البيضاوي ـ مشيراً إلى تفسير ضيق المعيشة ـ : وذلك لأن مجامع همّه ومطامح نظره إلى أعراض الدنيا ، متهالكاً إلى ازديادها ، خائفاً على انتقاصها ؛ بخلاف المؤمن الطالب للآخرة ا هـ الغرض منه .

حكاية فقيه أسره الكفرة ومناظرته مع أهل الكتاب

قلت : وقد **أخبرني بعض الفقهاء** ؛ ـ وكان الكفرة أسروه سبع سنين ـ أنّه لم يَزل منذ كانت تحت أسرهم يناظرهم ويناظرونه . قال : وطال اختباري لهم ، وكثرة مراجعتي لهم حتى بان لي : أنّ غالبهم على شكّ ، فهم ـ لمرضِ قلوبهم ـ بمثابة الأجرب الذي يبتغيَ بن يحك له ، فإذا أحسّوا بطالب من طَلَبة الإسلام أسرعوا إليه وسألوه وتباحثوا معه ، ثم لا يزيدون على أن يقعوا في حبالته بأدنى كلام يصدر منه لهم ؛ قال : وهذا حكم الأوساط منهم . وأما كبراؤهم وأساقفتهم وذووا

رأيهم فحصل لي - من طول اختباري لهم ، وكثرة مناظرتي معهم - أنّهم جازمون بأنّهم على الضلال والباطل : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ [يوسف : ٢١] .

قال : ولم أزل في مناظرتهم ، حتى ذكروا لي أن حَبْراً من أحبارهم بموضع كذا ، إليه انتهى علم الكتب السابقة ؛ فانتهيت إليه فوجدته بحراً لا ساحل له ، يستحضر نصوص التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العزيز ، وكثيراً من أحاديث نبينا ﷺ ، وبعضَ أشعار امرئ القيس الكندي ؛ فقلت له : إنّي جئت لأسألك عن مسألة هي أكبر همومي ، أغمتني وأسهرتني وأدامت حزني ، فقال : وما هي ؟ فقلت : إني منذ كنت في بلاد الإسلام لم أزل أسمع : أنّ دين الإسلام حقّ وأنّ دين النصارى ضلال ، وحين وقعتُ في بلادكم انعكس الأمر عليّ ، فأسمعهم يقولون إنّ دينهم حقّ ودين الإسلام على غير حقّ ؛ وأظهرت له أنه حصل لي شكّ بسبب ذلك ؛ وأني سألتُ عن أعلم أهل النصرانيّة فاتفقتْ كلمتهم عليك ، ولم يختلف اثنان في أنك سيدهم وأعلمهم ، وقد فرض الله على الجاهل أن يسأل العالم ؛ فأردت منكم أن تجيبوني بما هو الحق عندكم في هذه المسألة ، لأتخذ جوابكم يوم القيامة حجةً فيما بيني وبين ربي - عز وجل - ؛ فأنا جاهل وأنت عالم وقد فرض الله على الجاهل أن يسأل ، وعلى العالم أن يقول الحقّ ، وينصح لله ...! فوقع السؤال منه غاية الموقع ، ووضع جبهته على كفّه وسكت طويلاً ، وجموع النصارى جالسون معه ، فرفع رأسه وأسرّ إليّ في أُذني : **لا دين إلا دين الإسلام ، فهو الحقّ الذي لا يقبل الله غيره** ، قم عني قبل أن يعلم النصارى بهذا الذي قلتُ لك .

ثم ذكر مناظرات وقعت له مع أحبارهم من هذا المعنى ؛ في ذكرها خروج عن غرضنا ؛ وإنما أردنا تأييد ما أشار إليه الشيخ - رضي الله عنه - .

ومن ناظر اليهود والنصارى علم ما قاله الشيخ - رضي الله عنه - .

مناظرة المؤلف مع أحبار اليهود

وقد تكلمت أنا مع بعض أحبار اليهود ، فلم أزل أحاججه حتى بان لي في آخر أمره أنّه جازم بأنّه على باطل ، وأنه ما منعه من الإسلام إلا العناد وخشية الفضيحة من قومه . وهي مناظرة طويلة حضرها جماعة من الفقهاء والقراء أصحابنا ؛ وحضر مع اليهودي بعض اليهود أيضاً .

تعريف

وكذا تكلمت مع بعض أحبار النصارى فما وجدت عندهم شيئاً . والحكايات في هذا كثيرة ، ومن أراد ذلك فطليه بـ [تحفة الأديب في الرد على أهل الصليب] تأليف عبد الله الميورقي ـ بفتح الميم وتخفيف الياء وإسكان الراء ـ وكان من أحبارهم ثم أسلم ، وكذا تأليف عبد الحقّ الإسلامي ، وكان من أحبار اليهود ثم أسلم ، وكذا تأليف أبي العباس القرطبي في الرد على النصارى ، وفيه العجب العجاب ، وفيه نحو من عشرين كرّاسة . ومن طالع هذه الكتب لو خالط أهل الكتابين علم يقيناً أنّ قلوبهم مرضى بالشك والجزم بأنهم على الضلال ، ـ فرضي الله عن سيدنا الشيخ ونفعنا به ـ والله تعالى أعلم .

[س ٢٩] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [يوسف : ٢٤] . ما الذي همّ به ؟

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : هَمّ بضربها . فسألته عما يذكره بعض المفسرين في ذلك ، فأنكره غاية الإنكار ؛ وقال : أين العصمة ...؟! **والوليّ إذا وقع له الفتح نزع الله منه اثنين وسبعين عِرْقاً من عروق الظلام ؛** فبعضها ينشأ عنه الكذب وبعضها ينشأ عنه الكبر ، وبعضها ينشأ عنه الرياء ، وبعضها ينشأ عن حب الدنيا ، وبعضها ينشأ عنه الشهوة ومحبة الزنا ، وغير ذلك من القبائح . هذا في الوليّ ، فكيف بالنبيّ الذي فُطر على العصمة ، ونشأت ذاته عليها ..؟!

قال ـ رضي الله عنه ـ : وقد يبلغ الوليّ إلى حالة يستوى في نظره محلّ الشهوة وغيره ، حتى يكون فرج الأنثى وهذا الحجر ـ يشير إلى حجرٍ بين يديه ـ بمثابة واحدة . وكيف لا ..! والمفتوح عليه لا يغيب عليه ما في أرحام الأنثى فضلاً عن غيره ..! وهو إنما ينظره بنور الله ، الذي لا يحضره شيطان ، ولا يكون معه ظلام أبداً . فإذا كان هذا في حقّ الوليّ فكيف بالنبيّ المعصوم ..؟! جعلنا الله ممن يعرف للنبوّة حقّها . والله تعالى أعلم .

[س ٢٩] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ [النساء : ١٦٤] .

هل هذا خاص بموسى ـ عليه السلام ـ ؟ وهل ما يذكره السادات الصوفية ـ رضي الله عنهم ـ من المكالمة حقّ ، مثل قول الشيخ العارف بالله أبي الحسن الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ في الحزب الكبير : وَهَبْ لنا مشاهدة تَصْحبها مكالمة .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : ما ذكره الشيخ أبو الحسن وغيره من الصوفية في المكالمة ، حقّ لا شك فيه ، ولا يعارض ذلك الآية الشريفة ، إذ لا حصر فيها .

قال ـ رضي الله عنه ـ : وكلام الحقّ ـ سبحانه ـ يسمعه المفتوح عليه إذا رحمه الله ـ عز وجل ـ سماعاً خارقاً للعادة فيسمعه من غير حرف ولا صوت ولا إدراك لكيفية ، ولا يختصّ بجهة دون جهة ، بل يسمعه من سائر الجهات ، بل ومن سائر جواهر ذاته ؛ وكما لا يخصّ السماع له جهة دون أخرى ، كذلك لا يخص جارحة دون أخرى ، يعني : أنه يسمعه بجميع جواهره وسائر أجزاء ذاته ، فلا جزء ولا جوهر ولا سن ولا ضرس ولا شعرة منه إلا وهو يسمع به ، حتى تكون ذاته بأسرها كأُذنٍ سامعة .

ثم ذكر اختلاف أهلِ الفتح في قدر السماع وبيّنه بما لا يُذكر ـ نفعنا الله به ـ . والله تعالى أعلم .

[س ٣٠] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ [﴿ إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾] [النساء : ١٠١] .

فما وجه التقييد بحالة الخوف مع أن قصر الصلاة جائز حتى في حالة الأمن ؟..!

[ج] فقال رضي الله عنه : التقييد المذكور ليس للإخراج حتى يكون المفهوم مخالفاً بل للتنصيص(٨٣) على رفع الحرج عن هذه الحالة بخصوصها ، وللتنبيه على

(٨٣) مفهوم المخالفة : (أو دليل الخطاب) هو ما يفهم من الكلام بطريق الالتزام . وقيل : هو أن يثبت الحكم في المسكوت على خلاف ما ثبت في المنطوق .
ويقابله مفهوم الموافقة ، أو دلالة النص (وتسمى فحوى الخطاب أو لحن الخطاب أو من باب أولى) .
ومفهوم الموافقة حجة بالاتفاق ؛ بينما مفهوم المخالفة هو حجة عند الشافعية بجميع أقسامه بشروطها (وأقسامه : =

الاعتناء بإدخالها في هذا الحكم ؛ وذلك لأن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يستكثرون من العبادة إذا خرجوا للجهاد مخافة أن يكون ذلك آخرَ عهدهم من الدنيا ، فكانوا يَسْرِمِدون العبادة حتى إن منهم من يجاهد في النهار ، ويبيت في الليل قائماً لله تعالى راكعاً وساجداً ؛ فكانوا يرون من التقصير والحرج الشديد المنافي للتأهب للآخرة التقلل من العبادة إذا سافروا لغزو(٨٤) عدوهم ويرون أنّ الصواب هو الإكثار منها حينئذ ، ورسخ هذا في عقولهم ؛ فأراد الله تعالى أن يزيل ذلك من قلوبهم فأنزل الحكم مقيداً بالحالة التي يتوهمون منافاتها له . والله تعالى أعلم .

[س ٣١] ولما انجر الكلام إلى المفهوم سألته عن **مفهوم قوله ﷺ :**

« فِي الْغَنَمِ السَّائِمَةِ زَكَاةٌ » [رواه النسائي بنحوه] .

[**ج**] فقال رضي الله عنه : هي المريضة التي لا تقدر على رعي . فإذا بلغت الغنم إلى هذه الحالة سقطت الزكاة فيها ، لأن الزكاة تتبع نعمة المِلك ، والغنم إذا بلغت إلى حدّ سقط فيه أكلها ورعيها لم تبق فيها نعمة ملك توجب زكاة ، لأن الغالب حينئذ موتها وهلاكها فهذا هو مقصود النبي ﷺ .

فقلت : إن الشافعي يقول : إنّ المفهوم هي المعلوفة .

فقال رضي الله عنه : المعلوفة داخلة في منطوق الحديث لأنها سائمة بالطبع وإنما منعت من الرعي ، ولو خليت وطبعَها لم تَتْرك السوم ، ومالِكُها هو الذي تكفّل لها العلف ، ونعمةُ المِلك محقّقَة فيها .

بحث في مفهوم النص عند الفقهاء

[**س**] ثم سألته عن اختلاف المجتهدين في المفهوم ، فقال بعضهم باعتباره

= مفهوم الشرط والصفة والغاية والعدد واللقب) دون مفهوم اللقب . بينما هو مردود عند الحنفية مطلقاً في كلام الشارع فقط ـ أي مقبول في كلام غيره ـ ا هـ . ملخصاً من حاشية نسمات الأسحار (لابن عابدين) على شرح أصول المنار ، مع زيادة وتصرف .

التنصيص : أي ذكر نص . والنص : ما لا يحتمل إلا معنى واحداً . والنص هو الوجه الثاني من أوجه البيان الأربعة لمعاني المركّبات باعتبار وضوحها (ظاهر ، نص ، مفسّر ، محكم) . كا أن التنصيص على الشيء باسمه العلم يدل على الخصوص عند الشافعية دون الحنفية ا هـ . من التعريفات وأصول المنار .

(٨٤) في ظ ١ : ولقوا عدوهم .

مطلقاً ، وقال بعضهم بإلغائه مطلقاً ؛ وفصّل بعضهم على ما هو معروف في الأصول .

[ج] فقال رضي الله عنه : المفهوم لا تمكن معرفته على الحقيقة إلا لرجل عرف البواعث والأغراض الحاملة للنبي ﷺ على التقييد ، ولا يمكن ذلك إلا بمعرفة باطنه الشريف ﷺ . ولو أن رجلاً منا أودع في أحكامه تقييدات ثم غاب عنا فإنه لا يمكننا الجزم بمراده بتقييداته إلا بمعرفة ما عنده فيها ، وليس ذلك إلا بسؤاله إذا كان حياً حتى يفصح عن مراده ؛ فإذا لم يُسأل عن مراده حتى مات تعذّر معرفة مراده ؛ وعلى هٰذا : فمن أطلق القول باعتبار المفهوم مطلقاً ، أو بعدم اعتباره مطلقاً ، فقد سلك بالتقييدات مسلكاً واحداً ؛ وذلك لا يصح ، لأن الأغراض الحاملة على التقييد مختلفة : فمنها ـ ما يقتضي المخالفة في الحكم ، ومنها ـ ما يقتضي الموافقة . وكذا مَن فصّل على الوجه الذي يقوله الأصوليون ، فمن ألغى العدد مطلقاً ، واعتبر الشرط مطلقاً ، فقد سلك بتقييد العدد مسلكاً واحداً وبتقييد الشرط مسلكاً واحداً ، وذلك مناف للأغراض الحاملة على التقييد بها .

وبالجملة : فالتقييدات الشرعية لا يعرفها على الحقيقة إلا أكابر أهل الفتح كشيخنا ـ رضي الله عنه ـ ، فإنّي أكثرت الخوض معه في هذا الباب بعد تحصيلي وإحاطتي بما قاله الفحول ـ أهل الأصول ـ في المفاهيم ، مثل إمام الحرمين في البرهان ، والإمام أبي حامد في المستصفى ، والإمام أبي الوليد الباجي[٨٥] في الفصول ، والأبياري[٨٦] والإمام علي بن إسماعيل في شرح البرهان ، والإمام أبي

---

(٨٥) أبو الوليد الباجي (٤٠٣ ـ ٤٧٤ هـ) : سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي . فقيه مالكي كبير ، من رجال الحديث ، مولده في باجه بالأندلس . رحل إلى الحجاز (٤٢٦ هـ) فمكث ثلاثة أعوام ، وأقام ببغداد ثلاثة أعوام ، وبالموصل عاماً ، وفي دمشق وحلب مدة ، وعاد إلى الأندلس فولي القضاء في بعض نواحيها . توفي بالمرية . له عدة مؤلفات عد منها في الأعلام (١١) مؤلفاً منها : اختلاف الموطآت ، وشرح المدونة ، والمنتقى في شرح موطأ مالك ، وشرح فصول الأحكام ا هـ . ملخصاً من الأعلام .

(٨٦) أبو الحسن الأبياري (٥٥٧ ـ ..) هـ : هو علي بن إسماعيل بن علي بن حسن بن عطية التلكاني ثم الأبياري ، فقيه المالكية بالإسكندرية . ونسبته إلى أبيار : اسم قرية بجزيرة بني نصر بين مصر والإسكندرية ا هـ . معجم البلدان .

علي بن إسماعيل : = أبو الحسن الأشعري تقدم ص ٣٩٦ .

عبد الله بن الحاج العبدري في شرح المستصفى ، إلى ما ذكره تاج الدين السبكي في جمع الجوامع وشروحه وحواشيه ، وغير ذلك ، فحصّلت هذا كلّه .

ثم تكلمت مع الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في ذلك أياماً فسمعت منه ـ والله ـ ما يفوق أهلَ الاجتهاد ، وكيف لا ؟ وهو من أهل مشاهدة النبيّ ﷺ دائماً . رَزَقنا الله رضاه ومحبته وحشرنا في زمرته وحزبه ـ آمين .

[س ٣٢] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى في حقّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ :

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي ﴾ إلى آخر الآية [الأنعام : ٧٦] .

هل كان هذا من إبراهيم ـ عليه السلام ـ استدلالاً لنفسه ونظراً في مصنوعات الله ـ عز وجل ـ ليرتقي به إلى الحقّ ؟ أو هو استدلال لقومه على سبيل التبكيت والتسكيت لهم ؟ فأورَد دعواهم على سبيل التسليم ، ثم كرّ عليها بالإبطال . فإنّ المفسرين ـ رضوان الله عليهم ـ اختلفوا في ذلك .

استدلال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

[ج] فقال رضي الله عنه : كان ذلك منه على سبيل الاستدلال لنفسه ، ولكن ليس كاستدلال سائر الناس ، فإن استدلال الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ليس كاستدلال سائر الناس ، فإنهم عليهم الصلاة والسلام في غاية المعرفة بالله تعالى وعلى كمال العبودية له ـ عزّ وجلّ ـ ونهاية الخوف والخضوع له ـ تعالى ـ ، لِمَا طبعت عليه ذواتهم من معرفة الحقّ والميل إليه ، وإنما معنى استدلالِ إبراهيم ـ عليه السلام ـ في هذه الآية : هو أنه يَطلب أن يرى بعين رأسه ما كان يراه في باطنه وبصيرته ؛ فهو يعرف الله تعالى المعرفة التامّة بالبصيرة ، ويريد أن تخرق بصيرته إلى بصره ، فجعل يطلب ببصره في هذه الموجودات ما يناسب معروفه في بصيرته ، فنظر إلى النيرات المذكورات في الآية فوجدها لا تناسب المنزه المقدس ـ سبحانه ـ فتبرأ منها جميعاً إلى ما يعرفه ببصيرته ، وهو الذي فطر السموات والأرض جميعاً ـ سبحانه ـ . ومثال ذلك ـ على سبيل التقريب ـ : كمثل وليّ مفتوح عليه ، نظر ليلة تسع وعشرين إلى الهلال فرآه ببصيرته قد استهلّ ، ثم نظر إليه ببصره فلم يره ،

ضرب مثل

فجعل يطلبه ببصره مع من يطلبه . فمن نظر إليه - ولا يعرف ما في باطنه - قد يظن به أنه على شك في استهلال الشهر كسائر من يطلبه من الحاضرين ؛ ومن علم ما في بصيرته أيقن بأنه جازم باستهلاله ، وأنه مُشاهد ببصيرته ، وإنما طلبه مَعَنا[87] لتحصيل مشاهدة البصر لا غير بخلاف غيره من الحاضرين ؛ فإنّه على شك في استهلاله ظاهراً وباطناً .

فرق

فهذا هو الفرق بين استدلال الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، واستدلال المحجوبين ، فيجب تنزيه استدلال الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - عن الجهل بالله والشكّ فيه ، وكلّ ما ينافي العلم الضروري به عز وجل للعصمة التي خُصّوا بها ؛ وهي تنافي الشك والجهل به تعالى ، لأنّهما نوعان من الكفر وهم - عليهم الصلاة والسلام - معصومون من الصغائر ، فكيف بالكبائر ؟ فكيف بما هو من نوع الكفر ..؟!!

كرامة

قلت : هذا كلام في غاية العرفان ، وقد وقع لي معه - رضي الله عنه - مما لا أحصيه أنه في ليلة تسع وعشرين يخبرنا باستهلال الشهر وهو تحت سقف في داره أو في المسجد أو في غير ذلك ، ثم لا نزال جلوساً في مكاننا حتى يقدم علينا الخبرُ باستهلاله . وقد اتفق لنا معه غيرَ ما مرة أن يخبرنا عند الاصفرار مثلاً باستهلاله فنطلب منه أن يخرج معنا إلى مراقبته فنخرج جميعاً فلا يراه واحد منا لا هو ولا نحن لدقته وعدم حدة أبصارنا ، فلا نزال ننظر ولا نراه ، حتى يقدم من هو أحَدّ منا بصراً ، فيراه ، ثم تستفيض رؤيته من كلّ ناحية . وكثيراً ما يقول لي - رضي الله عنه - : هذا اليوم من رمضان والناس مفطرون ، لأنه آخر يوم من شعبان عندهم ؛ وهذا اليوم يوم عيد ، والناس صائمون ، لأنه آخر يوم من رمضان عندهم ؛ أو هذا اليوم يوم عرفة وهو الثامن - فيما يظنّه الناس - ، ثم بعد ذلك يرد الخبر من أماكن بعيدة على مسافة أربعة أيام ونحو ذلك بعين ما قاله الشيخ - رضي الله عنه - . والله تعالى أعلم .

[س ٣٣] وسألته - رضي الله تعالى عنه - عن قوله تعالى :

---

(٨٧) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والأزهرية وعثمان : وإن طلبه معنا - وهو خطأ -

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصَّف : ٩] .

ما المراد بإظهاره على الأديان كلها ، هل المراد به أنه ناسخ لها ، أو المراد به سطوع حجته وظهور دلالة صحته ، أو غير ذلك ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : هذا الدين الطاهر أظهره الله على الأديان كلها ، من كلّ وجه ؛ من جهةٍ : أنه ناسخٌ لها ، ومن جهةٍ : سطوعُ حجته ، ومن جهةٍ : كثرته على وجه الأرض ، حتى إن الأديان بالنسبة إليه كلا شيء ؛ وذلك أن من فتح الله على[88] بصيرته ونظر إلى وجه الأرض - عامرها وغامرها - رأى في كل موضع أقواماً يعبدون الله - تعالى - ويقدسونه ، وهم على الدين المحمديّ ، والأرض عامرة بهؤلاء السادات - رضي الله عنهم - ، فهم في هذا البَرّ ، وفي ذلك البَرّ - يعني بَرّ أهل الكفر - وفي الكهوف والجبال والسهول ، وفي عامر الأرض وغامرها .

خصائص الدين الحنيفي

ومما اختص به هذا الدين الشريف - جعلنا الله من أهله - : أنّ فيه نوراً يمنع الأمة المشرَّفة الآخذة به ، من الارتداد والرجوع إلى الكفر ؛ وذلك لمحبة الله تعالى في هذا النبيّ الكريم ﷺ ، فجمع له في دينه خصالاً حميدة[89] كثيرة ، مجموعها عاصم لأمته الشريفة من الارتداد ؛ بخلاف غيره من الأديان ، فإنّه لم يستوف الخصال المانعة من الرِدَّة .

قال - رضي الله عنه - : ومن نظر إلى اللوح المحفوظ ، ونظر فيه إلى المرسلين ، وإلى شرائعهم التي هي مكتوبة فيه ، علم دوام شريعةِ نبينا محمّد ﷺ وعدم ارتداد أمته . وذلك أنّ الله - عز وجل - خلق النور ، وخلق الظلام ، ثم خلق العِباد والأمم ؛ ثم جعل للنور أبواباً يدخل منها على ذواتهم ، وجعل للظلام أبواباً يدخل منها على ذواتهم . ثم شرع الشرائع ، وأرسل المرسلين بها ، ليفتح بها - أي بالشرائع - أبواب النور - وهي الأوامر التي فيها - ، ويسدّ بها أبواب الظلام عن ذواتهم - وهي النواهي التي فيها - ؛ فالأوامر تفتح أبواب النور ، والنواهي تسدّ

---

(٨٨) على : في ظ ١ .

(٨٩) حميدة : في ظ ١ .

أبواب الظلام ، ولم يستوف في شريعة الأوامر الفاتحة للنور والنواهي السادّة للظلام إلا في شريعة نبيّنا محمّد ﷺ ، فلهذا كانت فوق الشرائع كلها ، وكانت أمته الشريفة فوق سائر الأمم . وإلى ذلك المعنى أشار النبي ﷺ بقوله :

« لاَ تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ »(٩٠) .

قال - رضي الله عنه - : والمفتوح عليه إذا نظر إلى الأمم السابقة ، ونظر إلى الأماكن التي كانوا يسكنونها في أزمنتهم رأى الظلام فوق مساكنهم على هيئة ضباب أسود مثل الدخان ؛ ثم لا يزال الظلام يقرب منهم وهم يتركون دينهم شيئاً فشيئاً إلى أن ينزل عليهم ، وتسقى ذواتهم به فتصبح الأمة وقد خرجت عن دينها ، - نسأل الله العصمة - ، ثم لا تهتدي إليه أبداً . فهذا وجه من وجوه إظهار هذا الدين على سائر الأديان .

قلت : وسيأتي - إن شاء الله تعالى - التعرض لشيء من أبواب الظلام وما في ذلك من العبرة للمعتبرين . والله تعالى أعلم .

[س ٣٤] وسألته - رضي الله عنه - عن قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الآية [التوبة : ٧٥] .

فإنّ المفسرين ذكروا أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب ، فإنّه جاء إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو له بكثرة الدنيا ، فقال له النبيّ ﷺ : قصة ثعلبة وردّها

« يَا ثَعْلَبَةُ قَلِيلٌ تَشْكُرُ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لاَ تُطِيقُ شُكْرَهُ » .

فلم يزل يراجع النبيّ ﷺ حتى قال : والله يا رسول الله إنّي لأشكر الله على الكثير ؛ وعاهد الله لئن آتاه مالاً كثيراً ليتصدقن ، فدعا له النبيّ ﷺ فكثرت ماشيته ونمت كما ينمو الدود ، وكان يصلي مع النبيّ ﷺ الجماعة والجمعة ، فلما كثرت ماشيته خرج بها وفاتته الجماعة ، وبقي يحضر الجمعة ؛ ثم كثرت ماشيته حتى

---

(٩٠) رواه ابن ماجه بلفظ : إن أمتي لا تجتمع على ضلالة ..

ما أمكنه أن يحضر الجمعة من شغله بها ؛ فسأل عنه النبيُّ ﷺ ، فقال : أين ثعلبة ؟ فقالوا : يا رسول الله كثرت ماشيته ، وشغلته عن حضور الجمعة والجماعة ، فقال النبيُّ ﷺ : ويح ثعلبة ؛ فبعث عليه الصلاة والسلام مُصدِّقين(☆) لأخذ الزكاة فاستقبلهما الناس بزكواتهم ، فمرا بثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه الكتاب الذي فيه الصدقة والفرائض ؛ فقال ثعلبة : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ؛ فارجعا حتى أرى رأيي ، فنزلت الآية ؛ فجاء ثعلبة بالصدقة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« إِنَّ اللهَ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ » .

فجعل يحثو التراب على رأسه ، فقال عليه الصلاة والسلام : هذا عملك ، أمرتك فلم تطعني . فلما قُبض النبيّ ﷺ جاء بصدقته إلى أبي بكر فلم يقبلها ، ثم جاء بصدقته إلى عمر فلم يقبلها ، وهلك في زمن عثمان .

قال الحافظ السيوطي في حاشية البيضاوي : أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردوية والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي أمامة .

فقلت للشيخ ـ رضي الله عنه ـ : هل كان هذا الرجل في الصحابة ؛ وهل هذه الحكاية صحيحة ؟

[ج] قال ـ رضي الله عنه ـ : نظرت فلم أر أحداً من صحابة النبيّ ﷺ وقع له مثل هذا الذنب ؛ ولا رأيت لهذه الحكاية وجوداً . قلت : وكذا أشار الحافظ ابن حجر في كتاب الإصابة في الصحابة ، إلى إنكاره الحكاية وعدم مجيئها من طريق يعتدّ بها . فانظره في ترجمة ثعلبة المذكور في الكتاب المذكور ، فإنّي نقلته بالمعنى ، وقد طال عهدي به . والله تعالى أعلم .

[س ٣٥] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾(٩١) الأعراف : ١٧٢] [تقدمت صحيفة ٣٥٤] .

---

(٩١) ذريتهم : بدون ألف حسب رسم القرآن . وفي ظ ١ وبولاق وغيرها : ذرياتهم ، بالألف . قرأ بها نافع وأبو عمرو وابن عامر وهم من السبعة .

تعريف الاستعارة التمثيلية

هل كانت في عالم الأرواح ، أو حين خلق الله آدم وأخرج ذريته من ظهره وركّب فيهم العقل والنطق حتى أجابوا بما أجابوا ؛ أو الآية إنما هي من باب الاستعارة التمثيلية(☆☆) ؟ وذلك بأن شبه تمكين بني آدم من العلم بربوبيته تعالى ووحدانيته ، وتمكنهم من ذلك ، حيث نصب لهم الدلائل على الربوبية ، وركب فيهم العقول التي يفهمون بها بالإشهاد والاعتراف ؛ فالتمكين بمثابة الإشهاد ، والتمكّن بمثابة الاعتراف على طريق الاستعارة التمثيلية .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : القصة كانت في عالم الأرواح ؛ ولما أراد الله تعالى أن يشهدهم على أنفسهم أمر إسرافيل ، فنفخ في الصور ، فحصل للأرواح هَول عظيم مثلَ ما يحصل للناس يوم القيامة عند نفخة البعث أو أشد من ذلك ؛ ثم أزال تعالى الحجاب عنهم حتى أسمعهم كلامه القديم ؛ وعند ذلك افترقت الأرواح بحسب قوة أنوارها وضعفها ، فمن الأرواح من أجاب محبةً - وهي أرواح المؤمنين - ، ومنها من أجاب كرهاً ، وهي أرواح الكافرين . ثم الذين أجابوا محبة اختلفت مراتبهم أيضاً ؛ فمنهم من قوي عند سماع الكلام القديم ؛ ومنهم من ضعف ؛ ومنهم من لم يزل يتمايل طرباً من لذة سماع الكلام القديم ؛ ومنهم من جعله الله رحمة ، فجعل يمدّ غيره حتى تحصل له القوة ؛ فظهرت مراتب الأشياخ والمريدين ؛ فمن ذلك اليوم تعارفت أرواحهم .

ثم إن الأرواح بأسرها غلبتها سطوة الكلام القديم ، فجعلت تتطاير من أمكنتها في البرزخ ، وتنزل إلى الأرض لتستريح ؛ فانقسمت الأماكن بحسب النزول فيها إلى ثلاثة أقسام :

١ - قسم لم ينزل فيه إلا أرواح المؤمنين طائفة بعد طائفة .
٢ - وقسم لم ينزل فيه إلا أرواح الكافرين طائفة بعد طائفة أيضاً .
٣ - وقسم نزل فيه الفريقان معاً .

(☆☆) الاستعارة التمثيلية : في علم البيان أحد أقسام علم البلاغة في اللغة العربية : هي تركيب استعمل في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي . ولابد أن يكون كل من المشبه والمشبه به صورةً منتزعة من متعدد . اهـ . البلاغة الواضحة .

فأما القسم الذي لم ينزل فيه إلا أرواح المؤمنين ، فهو الموضع الذي يسكنه أهل الإيمان بالله ومعرفته ، ولا يسكن فيه كافر أبداً ؛ عكس القسم الثاني .

وأما الثالث : فإنه يسكنه الفريقان معاً ، وآخرهم نزولاً فيه هو المختوم له به ، فإن كان من أرواح السعداء ختم له بأهل الإيمان ، وإن كان العكس فالعكس ، وقد ينزل في الموضع فريق من أرواح السعداء ثم فريق من أرواح الأشقياء ، ثم فريق من أرواح السعداء ، ثم فريق من أرواح الأشقياء ، وهكذا ، حتى يقع الختم ؛ فالمفتوح عليه إذا نظر إلى موضع يعمره اليوم أهل الشرك يعلم هل يعمره المؤمنون بعدهم ، أم لا . وذلك بأن ينظر إلى نزول الأرواح إلى الأرض يوم « ألست بربكم » ، ثم ينظر إلى ما نزل بعد هذه الطائفة الموجودة ، فإن لم يكن إلا أرواح الكفرة علم أنه لا يسكنها أهل الإسلام أبداً ، وإن نزل بعد هذه الطائفة شيء من أرواح السعداء ، علم أنها ستكون دار إسلام .

قال ـ رضي الله عنه ـ : ويعرف ذلك أيضاً بوجهين آخرين : **أحدهما :** أن ينظر إلى أرض الشرك ، فإن وجدَ أهل الفتح والولاية يزيدون فيها علم أنها ستصير دار إسلام ؛ وإن نظر إليها فلم ير لهم فيها وجوداً أصلاً علم أنها دارٌ مغضوبٌ عليها .

علم الباطن وعلم الظاهر

فقلت للشيخ رضي الله عنه : فإذا فُتح على واحد وهو في أرض الشرك فكيف يفعل ؟

فقال ـ رضي الله عنه ـ : يمده أهل الغيب ويذهبون إليه بذواتهم ويعلّمونه علمَ الظاهر ؛ **فإن علم الباطن إذا لم يكن معه علم الظاهر قلّ أن يفتح على صاحبه .**

ضرب مثال عن علم الباطن والظاهر

وقال لي مرة أخرى : **إن علم الباطن** بمثابة من كتب تسعة وتسعين سطراً بالذهب ، **وعلم الظاهر** بمثابة من كتب السطر المكمل المائة بالمداد ، ومع ذلك فإذا لم يكن ذلك السطر الأسود مع سطور الذهب المذكورة لم تفد شيئاً ، وقلّ أن يسلم صاحبها .

وقال لي مرة أخرى : إن **علم الظاهر** بمثابة الفنار[٩٢] الذي يضيء ليلاً فإنه

---

(٩٢) الفَنَار : مصباح قوي الضوء يُنصب على سارية عالية ، أو شبه برج مرتفع لإرشاد السفن في البحار (وهو المنار محرّفاً) . المعجم الوسيط .

يفيد في ظلمة الليل فائدة جليلة . وعلم الباطن بمثابة طلوع الشمس وسطوع أنوارها وقت الظهيرة ؛ فربما يقول صاحبه : لا فائدة لهذا الفنار الذي في يدي ، قد أغناني الله عنه بضوء النهار فيطفئه ، وعند ذلك يذهب عنه ضوء النهار ويعود إلى ظلام الليل ؛ فبقاء ضوء نهاره مشروط بعدم انطفاء الفنار الذي بيده .

قال - رضي الله عنه - : وكم من واحد زلّ في هذا الباب ، ولا يرجع له ضوء نهاره إلا إذا أخذ الفنار وشعله مرة ثانية ، وقد يوفقه الله لذلك ، وقد لا يوفقه ، - نسأل الله العصمة بمنّه وكرمه - .

والوجه الثاني : أن ينظر إلى أرض المشركين ، فإن وجد المساجد عامرة ، والجماعة تقام فيها غيباً ، علم أن الأرض ستصير إلى أهل الإسلام ؛ وإن لم ير فيها ذلك علم أن الأرض مطموسة مكسوفة . وذكر - رضي الله عنه - حكايات في هذا الباب . ولعلنا نذكرها فيما يأتي إن شاء الله . والله تعالى أعلم .

[س ٣٦] وسألته - رضي الله عنه - عمّا وقع **لإخوة يوسف** ؟ وسبب ذلك أن رُفع إليّ سؤال ؛ ونصّ الغرض منه : هل الأنبياء معصومون قبل النبوة كما هم معصومون بعدها ، وهل إجماعاً أو على خلاف ، وهل الصغائر في ذلك مثل الكبائر ، أم لا ؟ فإذا فَهم هذا عنّا شيخُنا فلا بد أن يسطّر لنا ما عنده ، وما الذي يجب ربط القلب عليه في إخوة سيدنا يوسف - على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام ؟ هل هم أنبياء أم لا ؟ وعلى أنهم أنبياء ، فما الجواب عما صدر منهم - كما في علمكم - . فكتبتُ هذا السؤال في كناشي ، وأردت أن أجيب عنه .

عصمة الأنبياء وإخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام

أما عن عصمة الأنبياء ، فبما ذكره أهل العلم الكلاميّ ، مثل صاحب المواقف وغيره .

وأما عما وَقع لإخوة يوسف ، فبتأليف وقع في يدي للحافظ السيوطي ، وسماه « دفع التعسف عن إخوة يوسف » ، فأردت أن ألخّصه في الجواب .

ثم إن الشيخ - رضي الله عنه - وقف على السؤال في الكناش ، فكتب بخط يده الكريمة ما نصه :

[ج] الجواب - والله الموفق للصواب - أن الأنبياء - عليهم أفضل

الصلاة والسلام ـ معصومون قبل النبوة وبعدها ، والذي صدر من إخوة يوسف ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ مأمورون به في بواطنهم ، والأمر من عند الله ومعاتبتهم على ذلك على حسب الظاهر فقط ، لأن الغيب سرّ مع الله . والسلام .

وكتبه عبيد ربه أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي ، كان الله له . آمين ا هـ . ونَسَب الجواب إليّ ـ ونفعنا الله به ـ ، لأن السؤال وُجه إليّ .

قال ـ رضي الله عنه ـ : وغالب معاتبة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من هذا المعنى . وذلك كأن يأمرهم الله تعالى في الباطن بأمر وقد أمرهم في الظاهر بخلافه . وهذه هي ذنوبهم فيما يظهر لهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

فقلت : فإذا كان الفعل بأمر من الله تعالى باطنيّ ؛ فأيّ ذنب يقع ؟ وما معنى العتاب عليه ، والفاعل إنما فعله بإذن ؟..!

فقال ـ رضي الله عنه ـ : نعم ، ولكنّه إذا رأى الأمر الظاهري ، ووجد نفسه مخالفاً له ظهر له في عينه أن ذلك ذنب ، لأن مجرد مخالفة الظاهر عنده ذنب .

فقلت : هذا ظاهر في رؤيته إياه ذنباً ، وليس بظاهر في العتاب ، فإن الذي أَمَره ظاهراً هو الذي أمره باطناً ، والأمر الباطنيّ كالناسخ أو التخصيص[٩٣] للأمر الظاهري ؛ وحينئذ فلا عتاب .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : نزول الوحي يتبع خواطر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، فإذا خطر ببال النبيّ شيء ، أو تحدث به في نفسه نزل الوحي به ، وهو إذا ظهر له أنه أذنب تحدث به في نفسه ، وجعل يعاتبها ؛ فينزل الوحي بالعتاب تبعاً للخاطر .

قال ـ رضي الله عنه ـ : ومن أراد أن يعرف خواطر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وما كانت تتحدث به أنفسهم ، فلينظر إلى الكتب المنزلة عليهم ، فإنها

---

(٩٣) التخصيص : هو قصر العام على بعض أفراده بدليل مستقل مقارن (فخرج الاستثناء والشرط والغاية والصفة فإنها ليست مستقلة ، وخرج النسخ فإنه غير مقارن) . أصول المنار والتعريفات بتصرف .

جارية على ما في خواطرهم ؛ فإذا نَصَحت الكتب فهم تحدثوا بالنصيحة ، وأحبوها للخلق ؛ وإذا بَشَّرتْ الكتب فهُم قد انبسطوا ، وأحبوا للناس ما فيه ربحهم ؛ وإذا أنذَرَتْ وأغلظت في الوعيد ، فهم قد انقبضوا ، وحصل لهم انكماش . وبهذا تظهر لك ثمرة عصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وتعلم أنّ خواطرهم كلّها حقٌّ ؛ وأنّ وساوسهم كلّها من الله تعالى .

[س ٣٧] وقد (سألته) - رضي الله عنه - عن قوله تعالى :

﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

كيف عاتب الله تعالى نبيّه وهو سيد العارفين ، وإمام الأنبياء والمرسلين ؟..!

طلاق زينب رضي الله عنها

[ج] فأجابني - رضي الله عنه - بهذا المعنى ؛ فقال : إنه - عليه الصلاة والسلام - لَمّا شاوره زيد[٩٤] في طلاق زينب[٩٥] ، وأَمَره بإمساكها ، وتقوى الله في معاشرتها ؛ وكان يعلم عليه الصلاة والسلام أنها ستصير إليه ، وأخفى ذلك ، ولم يظهره ؛ رجع على نفسه بالعتاب ، وقال في خاطره : تخشى الناس ، والله أحقّ أن تخشاه ، وجعل يعاتب نفسه بهذا في الباطن ؛ فأظهر الله سبحانه ما في باطنه - عليه الصلاة والسلام - وأنزل الوحيَ به .

الكتب السماوية

قال - رضي الله عنه - : ومن فتح الله عليه ، وتأمل الكتب السماوية ، وجد فيها نورَ الكلام القديم ، ونورَ طبع الحالة التي يكون عليها النبيّ عند نزول الوحي

---

(٩٤) زيد بن حارثة (. . - ٨ هـ) : جده شرحبيل الكمبي ، صحابي ، اختطف في الجاهلية صغيراً ، واشترته خديجة رضي الله عنها فوهبته إلى النبي ﷺ حين تزوجها . وتبناه عليه الصلاة والسلام ثم أعتقه وزوجه ابنة عمته زينب ، فكان يحبّه ويقدمه ، وأمّره على كلّ سرية أرسل فيها ، وآخرها غزوة مؤتة فاستشهد فيها . وهو أول من أسلم من الموالي ا هـ . من الأعلام بتصرف .

(٩٥) زينب بنت جَحْش أم المؤمنين رضي الله عنها (٣٣ ق هـ - ٢٠ هـ) : جدّها : رِباب بن يَعْمَر الأسدي . وأمها : أمية بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله ﷺ . تزوجها عليه الصلاة والسلام بأمر من الله تعالى (٥ هـ) بعد أن طلقها زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام بسبب سوء العشرة بينهما . وكان في زواجها منه ﷺ حسم لما يتعلق بموضوع التبني إضافة إلى حفظ شرفها وسابقيتها في الإسلام . وسماها عليه الصلاة والسلام زينب بعد زواجه منها وكان اسمها برة ، وهي من أجمل النساء وبسببها نزلت آية الحجاب . روت (١١) حديثاً ا هـ . من الأعلام وغيره .

عليه ؛ وهو تارة يكون على حالة قبض ، فتنزل الآية وفيها نور الكلام القديم ونور القبض ، الذي كانت عليه الذات حينئذ ؛ وتارة يكون على حالة بسط ، فتنزل الآية وفيها نور الكلام القديم ونور البسط . والأول قديم والثاني حادث ؛ وتارة يكون على حالة تواضع ، فتنزل الآية وفيها نور الكلام القديم ، ونور التواضع ؛ هكذا كلّ آية ، لا تخلو عن شيء من طبع ذاته ﷺ ، وهكذا آية : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ فيها نور الكلام القديم ، ونور طبع ذاته ﷺ في حالة نزولها ؛ وهو نور العتاب . فالكلام القديم من الله لا منه ؛ والعتاب منه لا من الله عز وجل .

أهل الفتح

قال رضي الله عنه : **وأهل الفتح** - رضي الله عنهم - إذا تعاطوا تفسير القرآن فيما بينهم لم يكن لهم همّ إلا أسباب النزول ؛ وليس المراد بها أسباب النزول التي في علم الظاهر ، بل الأحوال والأنوار التي تكون عليها ذات النبيّ ﷺ وقت النزول . فيَسمع منهم في ذلك ما لا يكيّف ؛ لأنهم يخوضون في البحور التي في باطنه - عليه الصلاة والسلام - أعني بحرَ الآدمية والقبض والبسط والنبوّة والروح والرسالة والعلم الكامل . وقد سبق ذلك في : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف »(٩٦) . والله تعالى أعلم .

[**س** ٣٨] وقد (سألته) أيضاً عن قوله تعالى :

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣] .

[**ج**] فأجابني - رضي الله عنه - بما يقرب من هذا المعنى ، فقال : إنّ النبيّ ﷺ أمَره الله تعالى أن يعفو وأن يصفح الصفح الجميل ، وأن يعاشر بالتي هي أحسن ، ويدفع بها حتى قال :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

---

(٩٦) تقدم ص ١٢٨ .

فكانت هذه عادته مع الخلق ، فلما جاءه أهل النفاق واستأذنوه في التخلف ، ـ وذكروا أعذارهم ـ أذن لهم في التخلف ـ وهو يعلم نفاقهم ـ للرحمة التي فيه ، ولِمَا أمره به من المعاشرة بالتي هي أحسن ، وحضه عليها في غير ما آية ؛ فسلك معهم مسلك الظاهر ؛ ثم تحدث في باطنه بنزول آية تفضحهم . وإنّما منعه هو من أن يباشر فضيحتهم للرحمة التي فيه ، ووصية الله له ؛ فتحدّثَ في باطنه بفضيحتهم على وجه يبين كونَها من الله لا منه ، للحياء الذي فيه ﷺ ، مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣م] .

فأحبّ أن تَنزل الآية في صورة العتاب له ، لتكون أبعد عن التهمة ، وأدخل في محض النصيحة ، وأزجر لهم عن الاشتغال بالنفاق ـ مع النبيّ ﷺ ـ مرة أخرى ، فإنّ الله تعالى هو وكيله على من ينافقه ، وخصيمه وحجيجه ، فتضمنت صورةُ هذا العتاب مصالح شتى ؛ وفي الباطن : لا عتاب ؛ وإنّما ناب الحبيب عن حبيبه في المخاصمة لا غير .

أهل الفتح

قال : ولا ينبغي لأحد أن يظنّ بالنبيّ ﷺ أنه كان لا يعلم الصادق من الكاذب من المعتذرين ، وكيف يخفى ذلك عليه **والمفتوح عليه** في هذا الزمان ، يعلم الصادق والكاذب منهم في ذلك الزمان ؛ وأهل الفتح أجمعون إنّما نالوا ما نالوا بمحبته ﷺ ، فسقوا بمقدار شعرة من نوره ﷺ ، وقد سبق [ص ١٢٨] في : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » كيف كان عِلمُ النبي ﷺ .

قلت : وهذا التقرير في الآية أحسن ما قيل فيها عند من تأمل كلام المفسرين .

وقد قال البيضاوي ـ عفا الله عنا وعنه ـ :

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ ﴾ كناية عن خطئه في الإذن ، فإنّ العفو من روادفه .

قال شيخ الإسلام زكريا في حاشيته : تبع فيه الزمخشري[٩٧] ، قال الطيبي :

---

(٩٧) الزمخشري (... ـ ٥٣٨ هـ) : هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، أبو القاسم : إمام في =

أخطأ الزمخشري في هذه العبارة خطأ فاحشاً ، ولا أدري كيف ذهب عنه ـ وهو القَلِم في استخراج لطائف المعاني ـ أنّ في أمثال هذه الإشارات ـ وهي تقديم العفو ـ إشعاراً بتعظيم المخاطب وتوقيره وتوقير حرمته ، وهو كما قال ؛ لأن مثل ذلك لا يقتضي تقدم ذنب ، بل يدلّ تصديره على التعظيم ، كما تقول لمن تُعظمه : عفا الله عنكَ ؛ ما صنعتَ في أمري ؟ ورضي الله عنك ، ما جوابك عن كلامي ؟ ولهذا قال التفتازاني[٩٨] : ما كان ينبغي للمصنف ـ يعني الزمخشري ـ أن يعبر بهذه العبارة الشنيعة ، بعد ما راعى اللهُ مع رسوله تقديمَ العفو ، وذِكْرَ الإذن ـ المنبئ عن علوّ المرتبة ـ ، وقوة التصرف ، وإيرادَ الكلام في صورة الاستفهام ، وإن كان القصد إلى الإنكار ؛ على أنّ قولهم : (عفا الله عنك) قد يقال عند ترك الأولى ، والأفضل ، بل في مقام التبجيل والتعظيم ، مثل : عفا الله عنك ما صنعتَ في أمري ؟ ا هـ .

وقال الحافظ السيوطي في حاشيته : تبع في هذا العبارة السيئة الزمخشري ؛ وقد قال صاحب الانتصاف : هو بين أمرين : ـ إما أن لا يكون هذا المعنى مراداً ، فقد أخطأ ؛ أو يكون مراداً ، ولكن كنى الله عنه إجلالاً ورفعاً لقدره ؛ أفلا تَأدّب بآداب الله تعالى لا سيما في حقّ المصطفى ـ ﷺ ـ ؟ .. ! ثم نقل كلام الطيبي والتفتازاني ثم قال : وقال القاضي عياض في الشفاء : هو استفتاح كلام ؛ بمنزلة : أصلحك الله ، وأعزّك الله . وقد ألف في هذا الموضع رادًا على الزمخشري : الصدرُ حسن بن محمد بن صالح النابلسي كتابا سمّاه : « جنة الناظر وجنة المناظر في الانتصار لأبي القاسم الطاهر ﷺ » . وبهذه النكتة وأمثالها نهى أهلُ الدين والورع عن مطالعة الكشاف وإقرائه . وقد ألّف في ذلك تقي الدين السبكي كتاباً سمّاه :

نهي عن مطالعة الكشاف

= الدين والتفسير واللغة والآداب . ولد في زمخشر (قرية بخوارزم) ، سافر إلى مكة فجاور بها ، وتنقل في البلدان ، ثم عاد إلى الجرجانية (قرية بخوارزم) فتوفي بها . كانَ معتزلياً ، شديد الإنكار على المتصوفة . وقيل : رجع عن اعتزاله قبيل موته . من أشهر كتبه « الكشاف » في تفسير القرآن . و « أساس البلاغة » ... وغيرها . وقد نبه العلماء على خطر اعتزاله في الكشاف كما سيأتي ا هـ . الأعلام بتصرف .

(٩٨) التفتازاني (٧١٢ ـ ٧٩١ هـ) : هو مسعود بن عمر بن عبد الله ، سعد الدين . من أئمة العربية والبيان والمنطق . ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس . أبعده تيمورلنك إلى سمرقند ، فتوفي فيها ، ودفن في سرخس ا هـ . باختصار الأعلام . عدّ من كتبه في الأعلام (١٤) كتاباً منها : حاشية على الكشاف [قلت : وهو الذي نَقَل المؤلف عنه هنا] وشرح العقائد النسفية .

« سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف » ، فانظره في تلك الحاشية ، فقد نقله برمته . والله تعالى أعلم .

[س ٣٩] وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ١٥] .

ما المراد بالتعذيب المنفي هل في الدنيا أو في الآخرة ؟ وهل بلوغ الدعوة شرط فيها كما تقتضيه الآية ؟ أو ليس بشرط ، كما دلت عليه أحاديث المعتوه[٩٩] ، ومن في معناه ، ممن لا يفهم الخطاب ؛ فإنه يُمتحن يوم القيامة بنارٍ يؤمر بدخولها ؛ فإن أطاع دخل الجنة ، وإن عصى دخل النار .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : بلوغ الدعوة شرطٌ في التعذيب الواقع في الدنيا ، بنحو الخسف ، والرجم ، وأخذ الصيحة ، وغير ذلك ، مما عُذبت به الأمم السابقة العاصية لرسلها ؛ فقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ .

أي ما كنا معذبين ، أمَّة ـ بخسف ونحوه ـ حتى يجيئها رسولها ، وتقوم حجة الله عليها . وأما عذاب الآخرة : فلا يتوقف على بعثة ؛ ولو توقف على بعثة لم يدخل أحد من يأجوج ومأجوج النار ، مع أنهم أكثر من يدخل جهنم .

يأجوج ومأجوج

[س] فقلت : والحديث الذي ورد أنّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذهب إليهم « ليلة الإسراء » فدعاهم إلى عبادة الله وتوحيده ، فأبوا ، فهم في النار مع من عصى من ولد آدم .

[ج] فقال رضي الله عنه : لم يكن ذلك ؛ قلت : وكذا قال الحفّاظ من أهل الحديث : إن الحديث السابق في سنده نوح بن أبي مريم أبو عصمة الضبي الجامع الوضاع ، قال فيه ابن حبان : إنه جامع لكل شيء إلاّ الصدق .

قلت : ولم أُرد أن أطول بذكر أحاديث المعتوه ومن في معناه ؛ ولا بما قاله أئمة

---

(٩٩) المعتوه : هو من كان خطؤه أكثر من صوابه أو من كان قليل الفهم مختلط الكلام فاسد التدبير . والعاقل : صوابه أكثر من خطئه . والمجنون : كالمعتوه لكن مع الضرب والصياح . والمعتوه والمجنون كلاهما قاصر الأهلية غير مكلف . كما في كتب الأصول والفقه .

التفسير في تفسير الآية الكريمة ، ولا بما قاله فيها أيضاً فحول علماء الأصول ؛ لان الغرض جمع كلام الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، ولولا كثرة الجهل في الناس لاقتصرت عليه مجرداً ولم أُورِد ما يدل له من الأحاديث ونحوها . والله تعالى أعلم .

[س ٤٠] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن سبب التغيير بقوله تعالى : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير : ٢٢]

في حقّ النبي ـ ﷺ ـ وقوله في حقّ جبريل :

﴿ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ إلى قوله ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير : ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١]

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : القرآن ينزل على النبيّ ـ ﷺ ـ من نور الحقّ ، وإذا عَبّر ـ ﷺ ـ أخذت العبارة من الحالةِ الغالبة على ذات النبيّ ـ ﷺ ـ ، وهي إما تواضع أو غيرُه ، وهي في هذا المقام تواضع منه ـ ﷺ ـ مع جبريل بالتعظيم له ، واستصغارِ نفسه .

وقال لي ـ رضي الله عنه ـ مرة أخرى : إنما ذكر قوله : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ .

لإثبات ما قبله وتصحيح ما نسب لجبريل ـ عليه السلام ـ ؛ فكأنّه يقول : وهذا الذي قلناه في حقّ جبريل جاءكم به من عند من تعلمون صدقَه وأمانته ومعرفته بما يقول ، والمُخبر إذا كان على هذه الصفة وُثِق بخبره ، وليس هو بمجنون حتى يتكلم بما لا يَعلم ؛ فالغرض من قوله : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ . إدخال ما قبله في عقول المخاطبين ، لا تعريف حالة النبي ـ ﷺ ـ ، حتى يقال إنه اقتصر في تعريفه على هذه الصفة السلبية[*] ، وأتى في تعريف حال جبريل ـ عليه السلام ـ بأوصاف عظام . والله تعالى أعلم .

[س ٤١] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا ﴾ [الأعراف : ٨٩]

(*) الصفة السلبية : هي التي تنفي ضدها . كما في أبحاث التوحيد .

ما هذا الاستثناء من شعيب - عليه السلام - ؟ فإن الاستثناء يقتضي الشكَّ ، وعدمَ الثبوت على الحالة التي هو عليها .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : هذا الاستثناء محض رجوع إلى الله تعالى ؛ وذلك هو محض الإيمان ، لأن أهل الفتح ولا سيا الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يشاهدون فعل الله تعالى فيهم ؛ وأنّه لا حولَ لهم ولا قوة ، وأنّ الفعل الذي يظهر على ذواتهم إنّما هو من الله تعالى . فإذا استثنى صاحب هذه الحالة فقد غرق في بحر العرفان ، وأتى بأعلى درجة الإيمان . والله تعالى أعلم .

أهل الفتح

[س ٤٢] وسألته - رضي الله عنه - عن قوله تعالى :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم : ١ - ٢]

لِمَ أقسم على تصحيح رسالته - عليه الصلاة والسلام - بالنجم ، مع أنّ النجم حجر من الأحجار ؟ وأيُّ مناسبة بينه وبين نور الرسالة حتى وقع به القسم عليها ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : لم يقع القسم بالنجم من حيث إنّه نجم وحجر ، بل من حيث نورُ الحقّ الذي فيه ؛ ونور الحقّ الذي فيه هو نور الاهتداء به في ظلمات البرّ والبحر .

ثم بيّن ذلك بضرب مثال ؛ فقال : لو أن رجلين خرجا مسافرين ، فَضَلاَّ عن الطريق ، وعَدِما الزاد والرفيق ، حتى أيقنا بالهلاك ، وعدما الخلاص والفِكَاك ؛ فأمّا أحدهما : فكانت له معرفة بالنجم الذي يهتدى به إلى جهة سفره ، فرصده إلى أن كان الليل ، فتبعه إلى أن بلغ غاية قصده ، ونهاية مراده ، ونجّاه الله تعالى ؛ وأمّا الآخر : فلم تكن له معرفة بالنجم ولا كيف يَهتدي به ، ولا قلد صاحبه في معرفته ؛ فهو لا يزال يتخطّى في أودية الضلال إلى أن يهلك ، وبعد هلاكه يرجع كالحُمَمَة[100] بسبب ما يمرّ على ذاته من الحرّ والقرّ . وهكذا حالة الناس مع الرسول - ﷺ - ، فهم[1] بين هذين الرجلين. **فـفريق آمنوا** به ، وصدقوه واتبعوه ؛

ضرب مثال

---

(١٠٠) الحممة : جمعها حُمَمٌ الرماد والفحم وكل ما احترق من النار - مختار الصحاح .

(١) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : فهو .

فبَلَغوا به إلى جنة النعيم ، وما لا يُكَيَّف من العطاء الجسيم ؛ كما بلغ الرجل الأول إلى موضع الزاد والرفيق ، فأصاب من النعيم والظل الظَّليل مرادَه وحاجته ؛ **وفريق كذبوه** فلم يزالوا في سخط الله حتى ماتوا فأحرقتهم جهنم بحرّها وزمهريرها ، كما أحرقت ذاتَ الرجل الثاني بالحرّ والقرّ ، فوقعت المشاكلة[٢] بين المُقسَم به والمُقسَم عليه ؛ وفي الحقيقة ، وقع القَسَم بفرد من أفراد نور الحق ، الذي يعرفونه ، على فرد آخر لا يعرفونه .

[**س**] فقلت : فما المراد بقوله [تعالى] : ﴿ إذا هوى ﴾ ؟

[**ج**] فقال رضي الله عنه : المراد زال عن وسط السماء ، لأنّه إذا كان في وسط السماء لا يهتدي به أحد ، لأنه حينئذ واقفٌ غيرُ مائل إلى جهة من الجهات ، فلا يتأتى به استدلال . والله تعالى أعلم .

قلت : وللمفسرين ـ رضي الله عنهم ـ في الآية أقوال كثيرة ، قد استقصاها نجم الدين الغيطي في تأليفه في الإسراء والمعراج ـ وهو تأليف جليل ـ . وإذا وقفتَ عليه علمتَ نباهة ما أشار إليه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، ولولا الإطالة والخروج عن الغرض لجلبناها . والله أعلم .

اسم الصمد سبحانه

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول في قوله تعالى : ﴿ **الصمد** ﴾ : هو اسمٌ تسقى منه جميع المخلوقاتِ ، الشجرِ والحجرِ والمدرِ ، وما فيه روحٌ ، وما لا روحَ فيه . والله أعلم .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول في **أهل الأعراف** : هم مثل سيدي فلان وسيدي فلان ، يشير إلى أهل الفتح الكبير من أهل العرفان ـ رضي الله عنهم ـ .

قال ـ رضي الله عنه ـ : ولهم في الجنة منازل عالية يعلون بها على من في الجنة ؛ مثل المنارة العالية التي بمدينة فاس ، فإن أهلها يشرفون منها على مَن تحتهم ، ومنازلهم العلية هي الأعراف ، ضرب رضي الله عنه هذا المثل تقريباً .

(٢) المشاكلة : (عند أهل البديع) أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقوله تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ . المعجم الوسيط .

أهل الأعراف

قلت : وفي أهل الأعراف أقوال ذكرها الحافظ السيوطي في « البدور السافرة » من جملتها : أنهم حمزة والشهداء . وهو قريب مما ذكره الشيخ ـ رضي الله عنه ـ . والله تعالى أعلم .

[س ٤٣] وسألته ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ١ ـ ٢]

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : المراد بالفتح المشاهدة ، أي مشاهدته تعالى ، وذلك أنه سبق في سابق علمه تعالى أنّ الخلق لا يعرفونه جميعاً ، إذ لو عرفوه جميعاً لم تكن إلا دار واحدة وقد قضى تعالى أنّ له دارين ، فحجب الخلق عنه تعالى ـ إلا من رحمه الله ـ فمنعهم من مشاهدة الفعل منه تعالى ، ومن مشاهدة ذاته تعالى ، فإنّه لو كشف الغطاء عنهم لشاهدوه تعالى كما قال :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٣] . ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] . ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ١٨٦] . ﴿ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] .

وشاهدوا أفعالهم كلها مخلوقةً له تعالى ، وأنه هو الفاعل لها ، لا هم ، وإنما هم ظروفٌ وأجرامٌ موضوعة ، وهو تعالى يحركها كيف يشاء ، كما قال تعالى :

﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] .

وعند ذلك لا يعصيه أحدٌ قطّ ، لأن المعصية لا تكون إلا من المحجوب الغافل ، الساهي عن ربه وقت معصيته ، قال: والمؤمنون وإن كانوا يعتقدون أن الله هو الفاعل فيهم ، المريد لأفعالهم ، لكن هذا الاعتقاد يحضر ويغيب ، وسببه : الحجاب ؛ فاعتقادهم مجردُ إيمان بالغيب ، لا عن مشاهدة وعيان ، ومَنْ رحمه الله تعالى أزال عنه الحجاب وأكرمه بمشاهدته تعالى : فلا يرى إلا ما هو حقّ ، من الحقّ وإلى الحقّ . فهذا هو المشار إليه بالفتح المبين .

فقلت : ومتى وقع ؟ فقال : مِنْ صغره ، فإنه - ﷺ - لم يحجب عنه تعالى .

[س] فقلت : وهذا الفتح ثابت لكلّ نبيّ ، بل ولكلّ عارف ، فأيّ خصوصية فيه لنبينا - ﷺ - ؟

[ج] فقال - رضي الله عنه - : الفتح يختلف بالقوة والضعف ؛ فكلٌّ على ما يطيق؛ والقوة التي في النبيّ - ﷺ - عقلاً وروحاً ونفساً وذاتاً وسرّاً وحَفَظة لم تثبت لغيره ، حتى لو جُمع أهل الفتح كلهم من الأنبياء وغيرهم ، وجُعلت القوة المشار إليها عليهم لذابوا جميعاً ، وتهافتت ذواتهم(٣) . والمراد بالذنب في قوله تعالى :

﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] .

سَبَبُه ؛ وهو الغفلة وظلام الحجاب الذي في أصل نشأة الذات الترابية ، قال : وهذه الغفلة والحجاب للذنوب بمثابة الثوب العَفِن الوسِخ ، لنزول الذباب عليه ؛ فمتى كان ذلك الثوب على أحد نزل عليه الذباب ، ومتى زال عنه ذلك الثوب زال عنه الذباب ؛ فالثوب مثال الحجاب ، والذباب مثال للذنوب ، فمن سمّى ذلك الثوب ذبابا فهي تسمية سائغة ؛ فكذلك المراد هنا بالذنب هو الحجاب ، والمراد بما تقدم وما تأخر : الكناية عن زواله بالكلّية ؛ فكأنه يقول : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » ليزول عنك الحجاب بالكلّية ، ولتتم النعمة منّا عليك ، ولتهدى وتنصر(٤) ، فإنّه لا نعمة فوق نعمة زوال الحجاب ، ولا هداية فوق هداية المعارف ، ولا نصرة أبلغ من نصرة من كانت هذه حالته .

فقلت : وهل هذا خاص بالنبيّ - ﷺ - ؟ فقال : نعم . فقلت : ولِمَ ؟ فقال : لأنه عَينُ كلّ شيء(٥) .

فقلت : ولذلك تقول الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في المحشر ، ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر(٦) .

---

(٣) التهافت : التساقط شيئاً بعد شيء . عن ابن فارس كما في المصباح المنير .

(٤) في ظ ١ : ولتهتدي ولتعرف أنه لا نعمة فوق زوال الحجاب .

(٥) إشارة إلى أنّ كل شيء خلق من نوره ﷺ كما هو مُحقق بالكشف عند العارفين ، وإلى حديث أول ماخَلق الله نور نبيك ياجابر . - رواه الشافعي في مسنده -

(٦) رواه البخاري وذكره ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء .. ﴾ .

قلت : وهذا الذي قاله الشيخ ـ رضي الله عنه ـ من أنفَس المعارف ، وألطف اللطائف ، وأليق بالجناب النبويّ ، وأبلغ في التنزيه والتعظيم ، وأوفق للعصمة المُجمع عليها ، وأوفى بحق النبيّ ـ ﷺ ـ ، وأنسب بترتيب الآية ، وحسن سياقها ، فجزاه الله عنا أفضل الجزاء .

وقد تكلم في الآية خلائق لا يُحصون كثرة ؛ وكان في عقولهم هذا المعنى الذي يشير إليه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، وما أظهروه فكَم حَوّم عليه السبكي الكبير ، وكم طار في طلبه عَقْل أبي يحيى الشريف الشهير بابن أبي عبد الله الشريف التلمساني .. ! حتى جَعَل في الذنب ثلاث مراتب ، وفي المغفرة ثلاث مراتب . أما الذنب فله مصدر : وهو النفس ، وله حقيقة : وهي المخالفة ، وله أثر : وهو الظلام الذي يكون في القلب من الذنب المشار إليه ، بقوله تعالى :

﴿ كلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] وفي الحديث « إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْباً حَصَلَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ »(٧) .

قال : وتسمية المصدر والأثر ذنباً مجاز ، من باب : تسمية الشيء باسم سببه في المصدر ، ومُسَبَّبه في الأثر .

وأما المغفرة فهي : مأخوذة من الغَفر ، الذي هو الستر ، والستر على درجات :

الأولى : وهي أقواها أن لا يوجد الشيء أصلاً ؛ فهو مستور في ظلمة العدم .

الثانية : أن يوجد ، ولا تكون لنا حاسة تدركه أصلاً .

الثالثة : أن يوجد وتكون لنا حاسة تدركه ؛ ولكن يحول بيننا وبينه حجاب . فالشمس : إن لم توجد في السماء أصلاً فهي مستورة في العدم ؛ وإن وجدت وكان الناظر إليها أعمى فهي مستورة عنه لعدم الحاسة ؛ وإن حال بيننا وبينها غيم فهي مستورة عنّا به ، وهي أضعف مراتب السَتر ، فإنها بعد زوال الغيم تُبصَر .

---

(٧) رواه ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق . ولفظ الترمذي : إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ كلا بل ران ... ﴾ الآية . حسن صحيح .

قال : فالمغفرة في حقّ النبيّ - ﷺ - تراد بمعنى : العدم ؛ والذنب في حقه - ﷺ - يُراد بمعنى : المصدر ، وبمعنى الحقيقة ؛ ولا شك أن مغفرة كلّ منها - أي طيه عن العدم - تستلزم مغفرة الأثر ؛ بخلاف العكس ، فلهذا لا يصح أن يكون الذنب في حقه بمعنى الأثر ، لأن محو الأثر وطيه عن العدم لا يستلزم رفع حقيقة الذنب الذي هو المخالفة ، ولأن محو الأثر مع بقاء حقيقة المخالفة ينافي العصمة ، ولأنه يشاركه في هذا القدر - لو كان مراداً - آحادُ العصاة . فإن أريد بالذنب في الآية الحقيقة - التي هي المخالفة - كانت (مِنْ) في قوله (من ذنبك) بمعنى عن ، أي ليغفر الله ما تقدم عن ذنبك - وهو المصدر - ، وما تأخر عنه - وهو الأثر - ، وإنْ أريد بالذنب الحقيقة والمجاز ، كان المراد بالمتقدم : هو الحقيقة ، وبالمتأخر : هو الأثر المجاز . وفاته - رحمه الله تعالى - تفسير الفتح بما قاله الشيخ ؛ وذلك هو روح المسألة ، فإنّه فسره بالقضاء ولم يبيّن المقضيّ به ما هو ؟ ليصح تفرع ما بعده عليه ؛ كما لا يخفى ذلك على من طالع كلامه .

وقد ألّف في المسئلة الحافظ السيوطي جزءاً لطيفاً جمع فيه أقوال العلماء ، وكذا الشريف المتقدم أبو يحيى بن أبي عبد الله الشريف التلمساني . وقد جمع بين هذين التأليفين الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بابا السوداني في تأليف له في هذه المسألة . رحمَ الله الجميع بمنّه وكرمه ؛ ونفعنا بهم وبعلومهم ، آمين . والله تعالى أعلم .

[س ٤٤] وسألته - رضي الله عنه - عن قوله تعالى :

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ﴾ الآية [الجن : ٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ الآية [لقمان : ٣٤] ،

وقوله - ﷺ - : « في خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللهُ »(٨) .

كيف يُجمع بين هذا وبين ما يظهر على الأولياء العارفين - رضي الله عنهم - من الكشوفات والإخبار بالغيوب بما في الأرحام وغيرها ، فإنه أمر شائع في كرامات الأولياء - رضي الله عنهم - .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : الحصر الذي في كلام الله تعالى وفي الحديث ،

(٨) رواه الإمام أحمد وسيأتي ص ( ) جـ ٢ رواية للبخاري .

الغرض منه : إخراج الكَهَنة والعرّافين ، ومن له تابع من الجنّ ، الذين كانت تعتقد فيهم جهلة العرب الاطلاع على الغيب ومعرفته ؛ حتى كانوا يتحاكمون إليهم ، ويرجعون إلى قولهم ؛ فقصد الله تعالى إزالة ذلك الاعتقاد الفاسد من عقولهم ، فأنزل هذه الآيات وأمثالها كما أراد الله تعالى إزالة ذلك من الواقع ونفس الأمر ، فملأ السماء بالحرس الشديد والشهب ، والمقصود من ذلك كله جَمعُ العباد على الحق ، وصرفُهم عن الباطل ، والأولياء - رضي الله عنهم - من الحق لا من الباطل ، فلا يخرجهم الحصر الذي في الآية ونحوها .

قال - رضي الله عنه - : ونحن نقول في هذا وأمثاله : إن الكلام يكون عاماً ، ونشاشيب[9] النور التي تكون فيه تخص بعض أفراده دون بعض ؛ فالعارف إذا سمع اللفظ العام نظر إلى تلك النشاشيب ، فإن رآها نزلت على فلان وفلان ، وزيد وعمرو ، وخالد وبكر فقط ، علم أنهم المرادون فقط دون غيرهم ، فلا دخول له في الكلام ، وإن كان اللفظ عاما ؛ وإن نظر إلى النشاشيب فرآها نزلت على جميع الأفراد ، ولم يشذّ منها فرد ، علم أن الجميع مراد . قال : ونبينا ومولانا محمد - ﷺ - ، كان يعلم هذا قبل أن تخرج الآية من كلامه الشريف ، لأن نور النشاشيب يسبق إلى قلبه ليعرف مراد الحق سبحانه .

قلت : يشير رضي الله عنه إلى العامّ الذي أريد به الخصوص ، والعامّ الذي بقي على عمومه[10] ؛ لكنْ - رضي الله عنه - لا يعلم اصطلاحاً وإن سبق أهلَ الاصطلاح إلى روح المعاني ؛ حتى إنه لو أتاه أعلمُ علماء علم الظاهر وأشدّهم جدلا ، وأروغهم فيه ، وأكثرهم اطلاعاً ؛ وأراد معارضته ، فإنه لا يطيقه ، لأن الشيخ - رضي الله عنه - يسبقه إلى المعاني فيسدّ عليه كل ثَنية ، حتى لا يسع معارضَه إلا الإستسلامَ والانقياد إلى قوله . وكنت أقول له كثيراً : يا سيدي ؛ ما غُبن فيك أحد

---

(٩) النشا شيب : واحده نُشّابة وهي النَّبْل . ا هـ المعجم الوسيط .

(١٠) العام : - في علم أصول الفقه - هو ما وضع وضعاً واحداً لكثير غير محصور . وزاد ابن عابدين : مستغرقاً لجميع ما يصلح له . وهو عام صيغة ومعنى كالرجال ، أو معنى فقط كالرهط . والعام قطعي عند الحنفية ، ظني عند الشافعية . ومتى خصّص العامّ أصبح ظنياً ا هـ . باختصار من أصول الفقه لشيخنا أبي اليسر عابدين رحمه الله تعالى .

مثل ما غبن فيك علماء الظاهر .. ! فإنهم لو خالطوك وجارَوك في الكلام في أبواب العلم لاستنارت بصائرهم فيها ، وانزاحت عنهم الإشكالات التي فيها . وقد كان عندي كتاب « التبصير » لأبي المظفر الإسفرايني في اثنتين وسبعين فرقة ، فكان رضي الله عنه يقول لي : اذكر لي شُبه أهل الأهواء ، وسلني عن عويصها ، فما ذكرتُ له قطّ شبهة إلا حلّها في أول جوابه ، ثم ترقّى إلى علوم ومعارف أخر .

وتكلمت معه - رضي الله عنه - في مرض موته في برهان القطع والتطبيق(١١) ، فسمعت منه فيه أسراراً وظفرت فيه بعلوم ما ذكرها - قط - علماء

(١١) البرهان : (عند الحكماء) كما في شروح السلّم : هو القياس المؤلف من اليقينيات الضرورية أو النظرية ويشترط في حده الأوسط أن يكون علة لنسبة الأكبر إلى الأصغر .

أقسامه : ١ - البرهان اللّمي : حيث الحد الأوسط يكون علة لنسبة الأكبر إلى الأصغر مع كونه أيضاً علة لوجود تلك النسبة في الخارج . مثاله : هذا متعفن الأخلاط ؛ وكل متعفن الأخلاط محموم ، فهذا محموم . فتعفن الأخلاط (وهو الحد الأوسط) علة لثبوت الحمّى (وهو الحد الأكبر) في الذهن (إلى الأصغر) .

فالحد الأوسط علة لنسبة الأكبر (وهو الحمى) إلى الأصغر (وهو التعفن) والتعفن علة في الذهن مع كونه علة لثبوت الحمى في الخارج .

٢ - البرهان الأنيّ : حيث الحد الأوسط علة للنسبة في الذهن فقط كقولنا : هذا محموم ، وكل محموم متعفن الأخلاط ، فهذا متعفن الأخلاط .

٣ - البرهان التطبيقي : وقد أورده علماء الكلام في أدلتهم لنفي التسلسل عند إثبات وجوب الوجود لله سبحانه وتعالى .

وملخصه (كما في شرح الجوهرة للبيجوري وكذا في التعريفات) : أنك لو فرضت سلسلتين وجعلت إحداهما من الآن إلى ما لا نهاية له ، والأخرى مما قبله بواحد مثلاً إلى ما لا نهاية ، وطبقت بينها بأن قابلت بين أفرادهما من أولها ، فكلما طرحتَ من الآنية واحداً طرحت في مقابلته من الأخرى واحداً وهكذا ؛ فلا يخلو أن يفرغا معاً ، فيكون كل منهما له نهاية وهو خلاف الفرض ؛ وإن لم يفرغا لزم مساواة الناقص للكامل وهو باطل ؛ وإن فرغت الأخرى دون الآنية كانت الأخرى (الأقل) متناهية ، والآنية أيضاً كذلك ، لأنها إنما زادت عليها بقدر متناه ؛ والزائد على المتناهي بقدر متناه يكون متناهياً بالضرورة ..

وفي ضوابط المعرفة للشيخ عبد الرحمن بن الشيخ العلامة حسن حبنكة الميداني ؛ عند ذكر المستحيلات العقلية (الدور والتسلسل) فنفى الدور أولاً ، ثم قال : ويبدو أن البداهة تحكم باستحالة التسلسل ، لكن ذكروا عدة براهين لإثبات استحالة هذا التسلسل ، أظهرها وأوضحها ما يسمى : (برهان التطبيق) ويمكن صياغة هذا البرهان على الشكل التالي :

لو كان هذا التسلسل جائزاً عقلاً لكان العدد الأقل مساوياً للعدد الأكثر ؛ لكن العدد الأقل لا يكون بحال مساوياً للعدد الأكثر ؛ إذن : فالتسلسل غير جائز عقلاً .

الكلام أبداً ، ثم علمني رضي الله عنه توحيدَ الصوفية العارفين بالله ، وقال لي : هذا الذي كانت عليه صحابة النبي - ﷺ - .

فقلت - بعد أن علمت إشارته رضي الله عنه - : يا سيدي ؛ لو علم الناس هذا الحق في التوحيد ما افترقت الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ؛ فقال : نعم . وهو الذي أراد النبي - ﷺ - أن يكتبه لهم في كتاب عند وفاته - ﷺ - حتى لا تضل أمته من بعده أبداً[١٢] .

ولنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول : إني قلت للشيخ - رضي الله عنه - : إن التخصيص في آية : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ﴾ الآية [الجنّ : ٢٦] . بالرسول يُخرج الوليّ ، فالمعارضة باقية .

ضرب مثال

فقال - رضي الله عنه - : إنما يخرج غير الرسول ، وأما الوليّ فإنه داخل في الآية مع الرسول ؛ ثم ضرب مثالاً - وكان الوقت وقت حراثة - فقال : لو أن كبيراً من الكبراء مثل سيدي فلان أراد الخروج لينظر إلى أرض حراثته ويختبر الفلاحين الذين فيها ، فإنه لا بد أن يخرج معه بعض غلمانه وأعز أصحابه عليه ، فإذا بلغ إلى الموضع واطلع عليه وعلم ما فيه فإن من يكون معه من الغلمان والأصحاب والأتباع ينالهم شيء من ذلك ؛ فكذا الرسول لا بد له من عبيد وخدم وأحباب وأصحاب من أمته ، فإذا اطلع الرسول على غيب فلا بدّ أن[١٣] ينال أصفياء أمته شيءٌ من ذلك .

---

(١٢) روى الزهري في المغازي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما احتضر رسول الله ﷺ ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال النبي ﷺ : هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، فقال عمر : إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت ، واختصموا ، فمنهم من يقول : قَرّبُوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً ، لا تضلوا بعده ؛ ومنهم من يقول ما قال عمر . فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : قوموا .

... فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كلّ الرزية ، ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، من اختلافهم ولَغَطهم .

قال النووي : اتفق قول العلماء على أن قول عمر : « حسبنا كتاب الله » من قوة فقهه ودقيق نظره ، لأنه خشي أن يكتب أموراً ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة ... ويحتمل أن يكون قصد التخفيف عن رسول الله ﷺ لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب ... [ا هـ . نقلاً من تعليق د . سهيل زكار على المغازي] .

(١٣) فلا بد أن : كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : أفلا ينال - وهو خطأ واضح من السياق -

[س ٤٥] ثم قلت للشيخ رضي الله عنه فإن علماء الظاهر من المحدثين وغيرهم اختلفوا في النبي - ﷺ - هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ . إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

[ج] فقال - رضي الله عنه ، وعن سادتنا العلماء - : وكيف يخفى أمر الخمس عليه - ﷺ - ؛ والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس .

أهل التصرف

[س ٤٦] وكذا سألته عن قول العلماء في معرفة ليلة القدر : أنّها رفعت عن النبيّ - ﷺ - ولذا قال :

« أَطْلُبُوهَا فِي التَّاسِعَةِ فِي الْخَامِسَةِ » [رواه أحمد][14] .

ولو بقيت معرفتها عنده - عليه الصلاة والسلام - لعينها لهم .

[ج] فقال - رضي الله عنه - : سبحان الله ، وغضب ؛ ثم قال : والله لو جاءت ليلة القدر وأنا ميت ، وقد انتفخت جيفتي ، وارتفعت رجلي - كما تنتفخ جيفة الحمار - لعلمتُها ، وأنا على تلك الحالة ؛ فكيف تخفى على سيد الوجود - ﷺ - ؟ .. !

ثم ذكر أسراراً عرفانية في معرفة الخمس السابقة ، وفي معرفة ليلة القدر ، لا ينطق بها إلا عارف مثله - وفقنا الله لذكر شيء منها في هذا الكتاب - ، وقد عيّنها - رضي الله عنه - لنا في أعوام مختلفة ، فمرّة عيّنها لنا في رجب ؛ وعيّنها لنا في عام آخر في شعبان ، وفي عام آخر في رمضان ، وفي عام آخر في ليلة عيد الفطر . كان يعينها لنا قبل أن تأتي ، ويأمرنا بالتحفظ عليها ؛ وكان يقول لنا : إنها

ليلة القدر - وقتها -

(١٤) ولفظه : اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر : في تسع يبقين وسبع يبقين وخمس يبقين وثلاث يبقين . ورواه أيضاً البخاري بلفظ : إني خرجت لأخبركم بليلة القدر وإنه تلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم ؛ فالتمسوها في السبع والتسع والخمس . ولأحمد رواية نحوه .

تنتقل . وكذلك كان يعين لنا ساعة الجمعة ، ولعلنا نذكر شيئاً من أسرارها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى[١٥] .

وليكن هذا آخر ما أردنا جمعه من الآي التي فسرها لنا الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، وبقيت آياتٌ أخر بعضها سيأتي في أثناء الكتاب في المواضع التي تناسبه ؛ وبعضها لم نستوعب فيها مراده ـ رضي الله عنه ـ ، فلم أكتبها لذلك ؛ وبعضها فيها أسرار عرفانية لا تكتب . والله يجعل ما كتبناه خالصاً لوجهه الكريم ، وموجباً لرضوانه العميم ، وأن ينفع به من كتبه أو قرأه أو حصّله أو سعى في شيء منه بجاه صاحب الكلام ـ رضي الله عنه ـ ، ونفعنا به آمين ، وجعلنا من أهل محبته في الدارين .



(١٥) سيأتي ص ( ) ، جـ ٢ .

الباب الثالث

(ملخص) ص

في ذكر الظلام الذي يدخل على ذوات لعباد وأعمالهم وهم لا يشعرون .

وفيه (١٥) موضوعاً :

الباب الثالث

في ذكر الظلام الذي يدخل على ذوات العباد وأعمالهم وهم لا يشعرون

١ ـ سمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : أرسلني شيخي سيّدي عمر بن محمد الهوّاري يوماً إلى عَرْصة له ، بقصد أن أنظر إلى خدمة أناس كان آجرَهم للخدمة فيها ، وأوصاني أن أنظر إلى خدمتهم وأكّد عليّ في ذلك ؛ فلمّا كان وقت صلاة الظهر جاء إلينا وهو معنا ، وبقي معنا هنالك إلى أن فرغ الخدّام من الخدمة ، وأعطاهم أجرتهم ، فلما خرجوا نظرت إليه فإذا هو متغير ، ووجهه عليه أثر الغضب ، حتّى خفتُ منه ؛ فقال لي : هل رأيت اليوم شيئاً ؟ فقلت : ما رأيت شيئاً ، أيّ شيء ، فقال لي : انظر لعلك رأيتَ شيئاً ؛ فقلت : ما رأيت شيئاً ، فقال : أيّ شيء رأيتَ في خدمة الخدّام ؟ فقلت : حين كنتَ غائباً ـ قبل أن تجيء إلينا ـ كانوا يخدمون خدمة ضعيفة في غاية الضعف ، وحين قدمتَ ورأوكَ جعلوا يخدمون فوق طاقتهم ، فقال لي : إنك رأيت اليوم **أعمال الفاسقين** ، **وأعمال المحرومين** .

واقعة فيها عِبَر

فأما **الفاسقون** : فهم الذين يعبدون ، وتخرج العبادات والطاعة من ذواتهم بغير نية ولا قصد ، بل جرت عادة الذات بذلك ، فصارت حركاتهم وسكناتهم في حالة الطاعة لأجل العادة ، وعلى وفق الطبيعة ، من غير غرض من الأغراض ، فلا غرض عندهم لا صحيح ولا فاسد ، فليست عبادتهم لله ، ولا لغير الله ؛ وإنما عبادتهم لمجرد الطبع والعادة ، كمن كان شبعان ريّان ، لا يحب أكلا ولا يشتهيه ولا تطيقه ذاته . ثم حضر مع أناس في النزاهة فجعلوا يتحركون فيا يأكلون ، وجعل هذا الرجل يتحرك معهم ، فهم يتحركون لأجل الأكل ونفع أنفسهم وهو يتحرك معهم لا لأجل الأكل لأنه لا يريده ، بل والفرض أنه لا يطيقه ، ولا لأجل معونة

الفاسقون

إخوانه المؤمنين ، لأن هذه نيّة صالحة ، ولكن الحامل على حركته : أنه لما رأى الناس يتحركون تحركت ذاته طبعاً وعادة . فهذه أعمال الفاسقين .

المحرومون

وأما المحرومون : فهم الذين تكون أعمالهم لنفع أنفسهم ولتحصيل أغراضها ، ولا تكون لله ـ عز وجل ـ ، وهذه الأعمال لا تزيد إلا بعداً من الله ـ عزّ وجلّ ـ ، لأنها مخالفة لسرّ حقيقة الذات ؛ فإنّ سرّ حقيقة الذات : أنّها ذاتٌ مخلوقة لله مفعولة له ، مملوكة له ، منسوبة إليه ، لا نسبة لغيره فيها بوجه من الوجوه ؛ فلو جَرت أفعالها على هذا السرّ لكانت كلّها لله خالصة ؛ فكأنه يقول : لا حظَّ لي في شيء من أفعالها ، هي كلّها مخلوقة لله ، فتخرج عنه الأعمال عند صدورها على سرّ حقيقة الذات .

وأما أنه يقول : ذاتي هي لله ، وأفعالها لي فينويها لنفسه ولتحصيل أغراضه ، فهذا لا يجري فعله على سرّ حقيقة ذاته ، ولا يمكنه أبداً أن يوفيَ بشيء من حقوق الله ، لأنه يفعل لغرض نفسه لا للقيام بحقّ الله ؛ فقد انقطع عن الله في أفعاله ، فتنقطع عنه العطيّة من ربّه ـ عز وجل ـ ، فيكون محروماً من المحرومين .

[س ١] فقلت : فقد وردت آيات كثيرة ، وأحاديث لا تحصى ، في الترغيب بذكر الثواب وجزيل الأجر لمن فعل الفعل ، ولو كان كما قال سيدي عمر بن محمد الهواري لم يَرد شيءٌ منها بذلك ، لما فيه من القطع عن الله ـ عزّ وجلّ ـ .

[ج] فقال ـ رضي الله عنه ـ : لا يَرِد علينا ما في الآيات والأحاديث ، لأنه لم يقل فيها اعملوا لأنفسكم وأنا أثيبكم على أعمالكم في هذه الحالة بجزيل العطية ، وإنما قال اعبدوني وأخلصوا لي العبادة ، وأنا أثيبكم ؛ فنيتنا في أفعالنا تكون لله عز وجل ولعظمته وكبريائه ، ولما أسدى إلينا من العطايا الجسيمة ، وهو يثيبنا عليها ـ عز وجل ـ فضلاً منه ومنّة ؛ وإنما يَرد علينا ما في الآيات والأحاديث أن لو كانت العبادة مع الإخلاص لا أجر فيها ولا يثاب العبد عليها ، فحينئذ يرد ما ذكرتم ، وما أقبح العبد وأجهله حيث يظنّ أن يحصّل الحسنات ويكسب الأجر بأفعاله ، وهو يعلم أن أفعاله لم يحصل منها ولا شعرة ، فإذا كانت الذات مخلوقة لله ، والأفعال مخلوقة لله ، فكيف يسوغ لنا أن نعتمد في الحسنات على أفعالنا المخلوقة له

ـ عز وجل ـ ولا نعتمد على مجرد فضله ورحمته . ولكن الغفلة عن الله تعمي البصائر ـ والعياذ بالله ـ ... ! ؟

حكاية

قال ـ رضي الله عنه ـ : وقد كان بعض العُبّاد يعبد الله بقصد نفع نفسه ، وأن يعطيه ما يحب ؛ فدام على ذلك عشرين سنة ؛ وكان لحّاحا في الطلب ، فما ظهر له شيء مما يطلب فتحيّر في أمره ، فقال ، كيف يكون هذا ؟ أنا أطلب الله في مسألة عشرين سنة ولم يعطني شيئاً ، ولا رحمني بها ؛ فألقى الله ـ عز وجل ـ عليه رحمته ورزقه في تلك اللحظة معرفة نفسه وأفعالها فقال : إنّي لأحمق ؛ إذا كان الله ـ سبحانه ـ خلق الذات وخلق أفعالها ، وخلق الصحة فيّ ، وخلق المكان الذي أعبده فيه ، وخلق الماء الذي أتوضأ به ، وخلق الثوب الذي أستتر به ، وخلق الزمان الذي أعبده فيه ، فأيّ شيء عملتُ حتى أطلب عليه أجراً ، وأستحق بسببه ذكراً ؟ كلا والله ؛ ما فعلت شيئاً ، ولكني عمدتُ إلى أفعال الله فيَّ فقطعتها عنه ، ثم نسبتها إليَّ ، وجعلتُ أطلب بها عنده ، وأتمنى بها عليه ، حتى صرت أقول : وقفت أنا ببابه عشرين سنة ، وما أعطاني شيئاً .. ! أنا تائب إليك يا ربّ ، أنا تائب إليك يا ربّ ، أنا تائب إليك يا ربّ . فلما تاب إلى الله ، وعلم منه ـ تعالى ـ التوبة الصحيحة رَحِمَه الله ـ تعالى ـ ، بأن أعطاه كلَّ ما يتمنى ، وزاده المعرفة به التي لا تعاوضها جنّة ولا غيرها .

قلت : ومثل هذه الحكاية وما ذكره الحافظ السيوطي في ـ البدور السافرة ـ في باب « من نوقش الحساب هلك » فذكر فيه حديثاً عن النبيّ ـ ﷺ ـ أنه قال :

« كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ كَانَ يَعْبُدُ اللهُ سُبْحَانَهُ سِتَّمِائَةِ سَنَةٍ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ الْبَحْرِ ؛ وَأَعْطَاهُ اللهُ فِيهَا عَيْناً عَذْبَةً ، وَأَنْبَتَ لَهُ شَجَرَةً مِنَ الرُّمَّانِ ، تُثْمِرُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ رُمَّانَةً يَأْكُلُهَا وَتَكْفِيهِ فِي الْقُوتِ ؛ فَبَقِيَ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ الْمُدَّةَ السَّابِقَةَ ، وَلاَ حَصَلَ لَهُ فُتُورٌ وَلاَ مَلَلٌ . فَلَمَّا مَاتَ قَالَ لَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَدْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَفَضْلِي فَقَالَ : يَا رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي وَعِبَادَتِي لَكَ سِتَّمِائَةِ سَنَةٍ ؛ فَنَاقَشَهُ اللهُ تَعَالَى الْحِسَابَ ، فَقَالَ له عَزَّ وَجَلَّ : عِبَادَتُكَ هَذِهِ الْمُدَّةَ لا تَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتُ بِها عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَخْرَجْتُ لَكَ عَيْناً عَذْبَةً وَسْطَ الْبَحْرِ الْمَالِحِ ؛ فَبِأَيِّ حِيلَةٍ

اسْتَوْجَبْتَ عَلَيَّ هـذِهِ النِّعْمَـةَ ؟ وَأَنْبَتُّ لَـكَ شَجَرَةً تُثْمِرُ لَـكَ كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنَّمَـا تُثْمِرُ لِغَيْرِكَ مَرَّةً فِي السَّنَةِ ، فَبِأَيِّ حِيلَةٍ اسْتَوجَبْتَ عَلَيَّ ذلِكَ ؟ وَأَطَلْتُ عُمْرَكَ هذِهِ المُدَّةَ الطَّوِيلَةَ ، وَإنَّمَا يَعِيشُ غَيْرُكَ أَنْقَصَ مِنْ ذلِكَ . وَقَوَّيْتُـكَ عَلَى الْعِبَـادَةِ هـذِهِ المُـدَّةَ وَغَيْرُكَ لاَ يَقْوَى عَلَيْهَا ، وَطَرَدتُ عَنْـكَ الشَّيْطَـانَ وَسَلَّمْتُـكَ مِنْـهُ . وَكَمْ أَهْلَـكَ مِنَ النَّاسِ غَيْرَكَ ، وَأَعْطَيْتُكَ الصِّحَّةَ فِي هذِهِ المُدةِ الطَّوِيلَةِ وَلَمْ أُعْطِهَا لِغَيْرِكَ ، وَخَلَقْتُ ذَاتَكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ، وَخَلَقْتُ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَـاتِـكَ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْـكَ نِعْمَتِي . أَدْخِلُوهُ جَهَنَّمَ ؛ فَانْطَلَقَتْ بِهِ المَلاَئِكَةُ إِلى جَهَنَّمَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ هَلَـكَ ، فَقَـالَ يَـا رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّـةَ بِرَحْمَتِـكَ وَفَضْلِـكَ ، فَقَـالَ اللهُ تَعَـالَى وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ : رُدُّوهُ وَأَدْخِلُوهُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ؛ ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى ادْخُلِ الْجَنَّـةَ بِرَحْمَتِي فَنِعْمَ العَبْـدُ كُنْتَ لِي » .

عبادة الفاسقين والمحرومين

هذا معنى الحديث ؛ وقد طال عهدي به .

[س] ثم قلت لشيخنا ـ رضي الله عنه ـ : أي شيء أقبح ، عبادةُ الفـاسقين ، أو عبادة المحرومين ؟

[ج] فقال : عبادة المحرومين أفضل ، وأحسن ، لمسألة واحـدة ، وهي أن الله تعالى رؤوف رحيم لطيف ، فإذا رأى العبدَ داوم على عبادته لتحصيل أغراضه ؛ فإنه يرحمه ـ بفضله ـ بأن يعرفه حقيقـةَ الأمر ، في ذاتـه ، وفي أفعـالـه ، حتى يتوب إلى الله[1] ، ويتوجـه بعبـادتـه إليـه تعـالى ، كما وقـع للعـابد عشرين سنـة ، وخـلائـقَ لا يحصون كثرة .

[س] فقلت : وبرحمته ولطفه يعطيهم الأجور التي في الأحاديث والآيات ، فإنه بالوجه الذي رحمهم حتى عرّفهم به ، يرحمهم ، ويعطيهم الأجر .

[ج] فقـال رضي ـ رضي الله عنـه ـ : إن كان مرادك يعطيهم الأجر إذا أعطـاهم المعرفـة بمـا في حقيقـة الأمر ، فنعم ؛ وإن كان مرادك يعطيهم الأجر وهم منقطعون عنـه ويرون الفعـل منهم ، ويرون أنهم يستـوجبـون على الله أجراً ، فـلا تظنّ هذا أبداً .

(١) في ظ ١ : حتى يتوب عليه .

[س]فقلت : فهذا رجل سمع في الحديث من يفعل كذا فله كذا ، ومن يترك كذا فله كذا ، ويعتقد أنه لا يتحرك إلا بإذنه تعالى ؛ فبادَرَ عند سماع الحديث لامتثال ما فيه ، وليحصل له الأجر الذي فيه ؟.

[ج]فقال ـ رضي الله عنه ـ : إن كانت حرية نظره وقصده إلى تحصيل أمر ربّه ، ونيةُ الأجر تابعةٌ ، بحيث إنه لو لم يَرِد أجرٌ في الحديث لَفَعَل ؛ فهذا لا ضرر عليه ، وإن كانت حرية نظره وقصده إلى تحصيل الأجر ونية الامتثال تابعة حتى إنه لو لم يَرِد أجرٌ لترك الفعل ، فهذا هو الذي نتكلم عليه ، وهو الذي نذمّه ، لأنه خسر الدنيا والآخرة ؛ وإن كانت حرية نظره وقصده إليهما معاً فهذا يُعطى أجرَه بشرط أن ينظر بعينين صحيحتين :

العين الأولى : تنظر إلى الفعل وأنه طاعة ، وأنه وُعِد عليه بكذا من الأجر ؛ وهذه لا يحتاج العامل إلى توصيته بها .

العين الثانية : تنظر إلى أنه تعالى هو خالقه وخالق ذلك الفعل ، وأنه تعالى وعده بالثواب ، وأنه تعالى في ذلك متفضّل لا يجب عليه شيء فيا وعد به ؛ وأنه مع ذلك : مختار ، إن شاء رحم ، وإن شاء عذب ؛ ولكن العبد لما سمع أمر مولاه امتثله واحتسب على ربه الأجر والخير . فإذا نظر العبد إلى ربه هذا النظر الحسن الجميل فلا يضره نظره إلى الثواب ؛ فيعطيه ربّه أجره ، ويثيبه بجزيل الحسنات .

فقلت : فإنّ هذا القسم اختلف فيه العلماء ، فذهب الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتاب « منهاج العابدين » : إلى أنه لا أجر فيه ، وجعله من باب التشريك للعمل ، وهو عنده بمنزلة الرياء المحبط للعمل . وذهب أبو بكر بن العربي في « سراج المريدين » ، والقرافي في « القواعد والفروق » ، ـ رحمهما الله ـ : إلى أنه يؤجر عليه ، وأن ذلك التشريك لا يضرّ ، وأنه ليس بمثابة الرياء المحبط للعمل .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : الصواب مع ابن العربي والقرافي ؛

فـ ﴿ إنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[2] . وهذا قد أحسن عملاً ؛

---

(٢) اقتباس من [سورة الكهف ٣٠] .

فلِعَمله نورٌ إذا خرج من ذاته ؛ ولنيته الصالحة ونظره إلى ربه بالعين الثانية نورٌ آخر زائد على نور العمل ؛ فكيف يُحرم الأجر ؟ . وأكملُ منه ؛ من لم ينظر إلى الأجر ، وهو القسم الأول . وأكمل منهما معاً من انقطع عن العمل بعد نيته فلم يشعر بالعمل إلا عند الشروع فيه ، وعند ذلك أنه نوى لله عز وجل ، ثم غاب عنه بمشاهدة خالقه سبحانه ، فجال فكره في عظمته تعالى وكبريائه ، - نسأله تعالى أن يَهَب لنا ذلك ، بمَنّه وفضله وكرمه وجوده - .

المشاهدة توجب محبة الله تعالى

قال - رضي الله عنه - : وهذه المشاهدة توجب محبة الله - سبحانه - ، ومحبتُه - سبحانه - توجب الانقطاع إليه ، والانقطاعُ إليه يوجب أن يكون الأجر منه تعالى ، على ما يليق بقَدْره سبحانه لا على ما يليق بقدر العبد . وعدمُ المشاهدة يوجب الغفلة عنه سبحانه ، وهي توجب الانقطاع إلى الذات ؛ والانقطاعُ إلى الذات يوجب أن يكون الأجر على قدر العبد ، لا على قدر الربّ - سبحانه - ؛

مثال

ولهذا ترى رجلين كلّ منهما يصلي على النبيّ ﷺ ؛ فيخرج لهذا أجرٌ ضعيف ، ويخرج لهذا أجر لا يكيّف ولا يحصى ؛ وسببه ما قلنا .

فالرجل الأول : خرجت منه الصلاة على النبي ﷺ مع الغفلة وعمارة القلب بالشواغل والقواطع ، وكأنه ذكرها على سبيل الألفة والعادة ، فأعطي أجراً ضعيفاً .

والثاني : خرجت منه الصلاة على النبي ﷺ مع المحبة والتعظيم .

أما المحبة : فسببها أن يستحضر في قلبه جلالةَ النبيّ ﷺ وعظمته ، وكونه سبباً في كل موجود ، ومن نوره كلّ نور ، وأنه رحمة مُهداة للخلق ، وأنه رحمة الأولين والآخرين ؛ وهداية الخلق أجمعين ، إنما هي منه ، ومن أجله ؛ فيصلي عليه لأجل هذه المكانة العظيمة ، لا لأجل علة أخرى ترجع إلى نفع ذاته .

وأما التعظيم : فسببه : أن ينظر إلى هذه المكانة العظيمة ، وبأي شيء كانت وكيف ينبغي أن تكون خصال صاحبها ، وأن الخلائق أجمعين عاجزون عن تحمل شيء من خصالها ، لأنها ارتقت حقائقها فيه ﷺ إلى حدّ لا يُكيف بالفكر - فضلاً عن أن يطاق تحمله بالفعل - ؛ فإذا خرجت الصلاة من العبد على النبيّ ﷺ ، فإنّ أجرها يكون على قدر منزلة النبي ﷺ وعلى قدر كرم الربّ - سبحانه - ، لأن

محرك هذه الصلاة والحامل عليها هو مجرد تلك المكانة العظيمة ، فكان الأجر عليها على قدر تلك المكانة الحاملة عليها . وصلاة الأول كان المحركَ عليها حظٌّ نفسه وغرض ذاته ، فكان الأجر عليها على قدر محرّكها : ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ [الكهف : ٤٩] .

فهكذا عمل العبد بينه وبين ربه فإذا كان المحرك له هو عظمة الربّ وجلاله وعلوّه في كبريائه ، فالأجر على قدر عظمة الرب سبحانه ؛ وإذا كان المحرك له والحامل عليه مجرد غرض العبد وما يرجع لذاته ، فالأجر على قدر ذلك . والسلام .

الصلاة على النبي محمد ﷺ

[س ٢] فقلت : فهل ينتفع النبيّ ﷺ بصلاتنا عليه ، أو لا ينتفع ؟ فإن هذه مسألة قد اختلف العلماء فيها - رضي الله عنهم - .

ضرب مثال

[ج] فقال - رضي الله عنه - : لم يشرعها الله سبحانه لنا بقصد نفع نبيّه ﷺ ، وإنما شرعها الله لنا بقصد نفعنا خاصة ؛ كمن له عبيد ، فنظر إلى أرض كريمة لا تبلغها أرض في الزراعة ؛ فرحم عبيده ، فأعطاهم تلك الأرض على أن يكون الزرع كله لهم يستبدون به ، ولم يعطهم ذلك على وجه الشركة ؛ فهكذا حال صلاتنا عليه ﷺ ، فأجرها كله لنا ؛ وإذا شعل نور أجرها في بعض الأحيان ، واتصل بنوره ﷺ ، تراه بمنزلة شيء راجع إلى أصله لا غير ، لأن الأجور الثابتة للمؤمنين قاطبة إنما هي لأجل الإيمان الذي فيهم ، والإيمان الذي فيهم إنما هو من نوره ﷺ ، فصارت الأجور الثابتة لنا إنّما هي منه ﷺ ، ولا مثال له في المحسوسات إلا البحر المحيط مع الأمطار إذا جاءت بالسيول إلى البحر ، فإن ماء الأمطار من البحر ، فإذا رجع إلى البحر فلا يقال إنه زاد في البحر .

[س] فقلت : فإن بعض العلماء استدل على أنه ﷺ ينتفع بها ، بأن قاسها على النفع الحاصل له ﷺ من الخدَمة والولدان إذا كان في الجنة ، فكما أنه ﷺ ينتفع بالنِعَم والفواكه المحمولة إليه في الظروف ، فكذلك ينتفع ﷺ بالأنوار والأجور المحمولة إليه في هذه الحروف ؛ فالحمل هناك وقع بالأيدي الحاملة للظروف ، وهنا وقع بالأفواه الحاملة للحروف . قال : ولا تزيد حالته في دار الدنيا على حالته ﷺ في الجنة حتى يمتنع القياس ..!

[ج] فقال رضي الله عنه : ومن أين هم أولئك الخَدَمة والولدان ؟ إنما هم من نوره ﷺ ؛ بل الجنة وكل ما فيها من نوره ﷺ ، وإنما يصح ما قاله هذا العَالِم ، أن لو كان أولئك الخدمة مباينين له ﷺ ، ويكون إيماننا مبايناً له ﷺ ، وليس كذلك ..!

قال ـ رضي الله عنه ـ : ومن علم كيف هو النبيّ ﷺ استراح ..!

قال ـ رضي الله عنه ـ : وترى الرجل يقرأ دلائل الخيرات ، فإذا أراد أن يصلي على النبي ﷺ صوّره في فكره ، وصوّر الأمور المطلوبة له ـ كالوسيلة ، والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود ، وغير ذلك مما هو مذكور في كل صلاة ـ وصوّر نفسه طالباً لها من الله تعالى ، وقدّر في فكره أن الله يجيبه ويعطيه ذلك لنبيه ﷺ على يد هذا الطالب ؛ فيقع في ظن الطالب أنه حصل منه للنبيّ ﷺ نفع عظيم ، فَيَفرح ويستبشر ، ويزيد في القراءة ، ويبالغ في الصلاة ، ويرفع بها صوته ، ويحسّ بها خارجة من عروق قلبه ؛ ويعتريه خشوع ، وتنزل به رقة عظيمة ، ويظن أنه في حالة ما فوقها حالة ؛ وهو في هذا الظن على خطأ عظيم ؛ فلا يَصِل بصلاته هذه إلى شيء من الله تعالى ؛ لأنها متعلقة بما ظنه وصوّره في فكره ؛ وظَنّه باطل ؛ والباطل لا يتعلق بالحق سبحانه ؛ وإنما يتصل بالحقّ سبحانه ما هو حقّ في نفس الأمر ، بحيث إن الشخص لو فَتَح بصره لرآه في نفس الأمر . فكل ما كان كذلك فهو متعلق بالحقّ سبحانه ، وكل ما لو فتح الإنسان بصره لم يره فهو باطل ، والباطل لا يتعلق بالحق سبحانه . فليحذر المصلي على النبيّ ﷺ من هذه الآفة العظيمة ، فإنّ أكثر الناس لا يتفطنون لها ، ويظنون أنّ تلكَ الرقة والحلاوة الحاصلة لهم ، من الله ـ سبحانه ـ ، وإنّما هي من الشيطان ، ليدفعهم بها عن الحقّ سبحانه ، ويزيدهم بها بعداً على بعد . وإنما ينبغي أن يكون الحاملُ محبتَه ﷺ وتعظيمَه لا غير ؛ وحينئذ يشتعل نورها كما سبق ؛ وأما إن كان الحامل عليها نفعَ العبدِ فإنه يكون محجوباً وينقص أجره ـ كما سبق ـ . وكذا إن كان الحاملُ عليها نفعَ النبيّ ﷺ فإن صلاته حينئذ لا تتعلق بالحقّ ـ سبحانه ـ ولا تبلغ إليه كما سبق . والله الموفق .

تحذير

أجور الأعمال وأنوارها

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن للأعمال أجوراً ، وإن للأجور أنواراً ؛ وإن للأنوار اتصالاً بالذات اليوم في هذه الدار . فإذا كانت الأعمال خالصة لله تعالى ، وجَرَت على سرّ حقيقة الذات ـ كما سبق ـ ، فإن أنوار أجورها تسطع على الذات ، فتفطن الذات بذلك ، فيحصل لها خشوع وقشعريرة وبكاء وغير ذلك ـ مما يقتضيه ذلك النور الساطع ـ فيعلم صاحب البصيرة بذلك النور أن العمل قُبل ، وأن أجره يبلغ من القدر كذا وكذا .

وأكثر الناس يظنون أن الأجور لا تُعلم إلا في الدار الآخرة ؛ وذلك في حق **المحجوبين** .

وأما **غير المحجوب** : فذلك مكشوف له ، غير خفيّ عنه .

قال : وأما إذا كانت الأعمال لغير الله تعالى ، ولم تجرِ على حقيقة الذات فإنها عناء وتَعب ؛ فلا أجور لها ولا يسطع بها على الذات نور .

قال ـ رضي الله عنه ـ : فليختبر العامل قَلْبَه عند العمل ، فإنّ لكل عمل ـ وإن دقّ ـ أجراً ، ولأجره نورٌ ساطع تفطن الذات به لا محالة ، فإن كان القلبُ عند العمل معموراً بالشواغل والقواطع ، فليعلم أن الله قد حرمه أجره ، ولذلك ملأ قلبه بالشواغل ؛ وإن كان القلب فارغاً من الشواغل ، منقطعاً نحو الحق سبحانه ، فليعلم أن الله ـ تعالى ـ قد نجّز له أجره .

قال ـ رضي الله عنه ـ : وترى الطالب يسافر من قطر إلى قطر ليحصّل العلم ، بنيّة أن يدرك الجاهَ ، والكلمةَ النافذة ، أو الدنيا ، أو غيرَ ذلك ، من الأغراض الباطلة . ويبقى على هذه النية السنين المتطاولة ، فيَحرمه الله تعالى من نور العلم ، فلا يكون من الراسخين فيه أبداً ؛ لأنه « **لا يدرك حقيقة العلم إلا من توجه إليه بباطنه** » . وباطن هذا معمور بأغراضه وشواغله ، والذي يتحرك في العلم منه هو ظاهره فقط ، « والعلم سرّ من الأسرار » ، فلا يدركه الظاهر أبداً ؛ فكذلك أجور الأعمال التي ليست بخالصة لله تعالى ، فلا يدركها العبد أبداً ؛ لأن الأجور من أسرار الله تعالى ، والظاهر بدون الباطن لا يدرك الأسرار أبداً . والله الموفق .

الاستغاثة بالصالحين

[س ٣] وسألته - رضي الله عنه - : لِمَ كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله - عزّ وجلّ - ، فترى الواحد إذا جهد في يمينه يقول : وحقّ سيّدي فلان كسيّدي عبد القادر الجيلاني[٣] ، أو سيدي أبي يعزى ، أو سيدي أبي العباس السَّبتي ، وغيرهم ، - نفعنا الله بهم - . وإذا أراد أن يُحلّف أحداً ويؤكد عليه في يمينه يقول : احلف لي بسيّدي فلان . وإذا أصابه ضرّ ، وأراد أن يسأل - كالسعاة الذين يتكففون الناس - ، صرح باسم سيّدي فلان . وهم في ذلك كله منقطعون عن الله - عزّ وجلّ - ؛ وإذا قيل لهم : توسّلوا بالله ، أو احلفوا به ، أو نحو ذلك ، لا يقع ذلك الكلام منهم موقعاً ؛ فما السبب في ذلك ؟

تصرفات أهل الديوان

[ج] فقال - رضي الله عنه - : أهل الديوان - من أولياء الله - فعلوا ذلك عمداً ، لقوة الظلام في الذوات ، وكثرة المنقطعين عن الله - عز وجل - ، فصارت ذواتهم خبيثة ؛ وأولياء الله تعالى يحبون الذين يذكرون سيدهم وخالقهم - سبحانه - ، أن تكون ذواتهم طاهرة ؛ لأنه تعالى يجيب من دعاه إذا انقطع إليه باطناً وقت الدعاء ؛ وإجابتُه تكون بأحد أمرين : إمّا أن يعطيه ما سأل ؛ وإما أن يبين له سر القَدَر في المنع إذا منعه ، وهذا لا يكون إلا للأولياء ، ولا يكون للبعداء المحجوبين . فلو توجهت الذات الظلمانية إليه تعالى بجميع عروقها ، وبكل

إجابة الدعاء من الله تعالى بأحد أمرين

---

(٣) عبد القادر الجيلاني (٤٧٠ - ٥٦١ هـ) (١٠٧٨ - ١١٦٦ م) : هو ابن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني ، أبو محمد ، الجيلاني ، أو الكيلاني ، أو الجيلي ، مؤسس الطريقة القادرية ، من كبار الزهاد والمتصوفة . ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شاباً (٤٨٨ هـ) فاتصل بشيوخ العلم والتصوف وبرع في أساليب الوعظ ، وتفقه وسمع الحديث ، وقرأ الأدب واشتهر وتصدر للتدريس والافتاء في بغداد (٥٢٨ هـ) .

قالت أمّه : لما وضعته كان لا يرضع ثديه في نهار رمضان ، ولقد غم على الناس هلال رمضان فسألوني عنه ، فقلت لهم : إنه لم يلتقم اليوم له ثدياً ، ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان . له كرامات كثيرة ، تكلّم في ثلاثة عشر علماً ، كان يفتي على المذهب الشافعي ومذهب أحمد .

من أخلاقه : يقف مع الصغير والجارية ، ويجالس الفقراء . وذكر تلميذه وخادمه أبو الفتح الهروي أنه صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة . شرط عليه الخضر - عليه السلام - أن لا يرافقه إذا خالفه .

من أقواله : كل مؤمن مكلف بالتوقف والتفتيش عند حضور ما قسم له ، فلا يتناوله ويأخذه حتى يشهد له الحكم بالإباحة والعلم بالقَسْم . توفي في بغداد ودفن في مسجد مشهور فيها الآن .

كتبه : منها الغنية ، والفتح الرباني ، وفتوح الغيب ، والفيوضات الربانية ا هـ . ملخصاً الطبقات ، الأعلام .

جواهرها ، وسألته أمراً ، ومنعها ، ولم يطلعها على سرّ القدر في المنع ، لربّما وقع لها وسواس في وجود الحق - سبحانه - ، فتقع فيما هو أدهى وأمر من عدم قضاء حاجتها . فكان من المصلحة ما فعل أهل الديوان من ربط عقول الناس بعباد الله الصالحين ، لأنه إذا وقع لهم وسواس في كونهم أولياء فإنّ ذلك لا يضرّهم .

الدليل على كثرة المنقطعين

قال - رضي الله عنه - : ومما يدلك على كثرة المنقطعين ، وزيادة الظلام في ذواتهم ، أنك ترى الواحد يخرج من داره بعشرين موزونه مثلاً ، ويذهب بها إلى ضريح وليّ من أولياء الله تعالى ، فيطرحها عنده ليقضي له حاجته ، وكم من فقير محتاج يلقاه في الطريق ويطلب منه متاعَ الله في سبيل الله لوجه الله ، فلا يعطيه درهماً واحداً حتى يبلغ للوليّ فيطرحها عند رأسه ، وهذا من أقبح ما يكون ، وسببه : أن الصدقة لم تخرج لله - عز وجل - وعظمته وكبريائه ، ووجهه الكريم ووجوده العظيم ؛ إذ لو خرجت لذلك لدفعها صاحبها لكلّ محتاج لقيه ، ولكن لما كان الحاملَ عليها والداعي إلى إخراجها هو قصد النفع لنفسه ، واستكمالُ أغراضه وحظوظه ، خَصَّ بها موضعاً دون موضع ، لظنّه أنّ النفع يتبع ذلك الموضع ، وجوداً وعدماً .

قال - رضي الله عنه - : وقد رأيت في هذا اليوم ما أهدي للصالحين من باب تلمسان إلى الساقية الحمراء ، فإذا هو من الدنانير : ثمانون ديناراً ، ومن الغنم : ثلثمائة وستون شاة ، ومن البقر : اثنان وسبعون ثوراً ؛ أُخْرِج هذا كلّه في يوم واحد للصالحين ، وما أُخرج لله تعالى في ذلك اليوم عشرة دراهم .

مطلب مهم جداً

الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل

قال - رضي الله عنه - : وهذا سبب من **الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله** - عز وجل - ، الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها ، وهي منحصرة في ثلثمائة وستة وستين سبباً ، كلها موجبة لانقطاع العبد عن ربه - عز وجل - .

[س] فقلت : وهل حضرتكم

[ج] فقال - رضي الله عنه - : اكتب .

الأول : الهدية للصالحين ، على الوجه السابق ، دون وجه الله - عز وجل - .

الثاني : التوسّل إلى الصالحين بالله ـ عزّ وجلّ ـ ليقضوا الحاجة ، فيقول الزائر : قدمت لك وجاهِ الله يا سيّدي فلان إلا ما قضيت لي حاجتي . وإنما كان سبباً للانقطاع ، أن الزائر قَلَب الواجبَ وعكَس القضية ، فإنه كان من حقّه أن يتوسل لله ـ عز وجل ـ بأوليائه ، لا أن يعكس .

الثالث : زيارة الصالحين ، وعلى الزائر دَيْن فرض كعدد صلوات وجب قضاؤها عليه ، فترك قضاءها ، الذي هو حقّ الله ، وفيه نور الله وسره تعالى الذي يرحمه به ، وذهب إلى زيارة صالح ؛ ولا يخفى ما فيه من الانقطاع والظلام ...!

الرابع : الخوف من الظالم على العمر والرزق وغيرهما ، فيقول في نفسه : لا أعصى هذا الظالم ، لأني إن عصيته قتلني أو منع رزقي أو غيرُ ذلك مما يوجب الخوف منه ؛ ولو تحقق بوجود الحق تعالى معه ، وتصرفه فيه ، وفي ذلك الظالم ، لعلم أنّه هو الفاعل وحده ، لا يشاركه ذلك الظالم ولا غيره في فعل من الأفعال ؛ وحينئذ فلا يخاف إلا منه تعالى . وبقدر ما يقوى هذا النظر في العبد يقوى قربه من ربه تعالى ؛ وبقدر ما يقلّ أو ينعدم يكون بُعده من الله ـ عز وجل ـ ، وانقطاعه .

الخامس : الطمع في الظالم ؛ فيتقرب إليه لينال منه رزقاً ؛ ولو تحقق بأن الله سبحانه هو الرزاق ، لم يصدر منه ذلك .

السادس : النصرة للكافرين ، فيلهمهم مصالحهم في دنياهم بأن يرى لهم طريقاً ونحوه . فإنه من أسباب الانقطاع عن الله ـ عز وجل ـ . قلت : وما رأينا من نصح ظالماً إلا وكانت عاقبة أمره خسراً ، ونذكر ههنا **قصة سُفيان الثوري** ـ رضي الله عنه ـ مع الذي أراد أن يوقظ حرسيًا للصلاة ، فقال له سفيان : لا توقظه ، دَعْهُ ـ هذه الساعة ـ نسترحْ منه ، ومن شره فيها .

السابع : عدم النصيحة للمسلمين ، فيرى ما يضرّهم ، ولا يأمرهم بالتحرز منه ، ويرى ما ينفعهم ، ولا يأمرهم بالتأهب له .

الثامن : استحلاء التعب والمشقة في طلب الدنيا على عبادة الله ـ عز وجل ـ ، فمن أحسّ بذلك من نفسه فليعلم أنه مرتكب سبباً من أسباب الانقطاع .

التاسع : طلب الدنيا بما هو أهون منها وأذل وأحقر ، وقد كان السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ يطلبونها بما هو أعلى منها وأعز كالجهاد والتجارة والزراعة وغير ذلك من أسباب الحلال ، وأما من طلب الدنيا بالزور والكذب والفجور والأيمان الحانثة ، فقد طلبها بمعاص هي أخس منها أي من الدنيا ، فمن أحس بذلك من نفسه فليتب إلى الله عز وجل ، فإن الدنيا لا تُدرك إلا بما هو أعزّ منها .

العاشر : أن تكون أعمال العبد وطاعاته بقصد أن يرحمه الله بها ، وبقصد نفع نفسه وتحصيل أغراضه وحظوظه ، لا بقصد وجه الله الكريم ووجوده العظيم ، وهذا سبب قد عم أكثر النّاس إلا من رحمه الله ـ عزّ وجلّ ـ ، جعلنا الله منهم بمنه وفضله .

قال رضي الله عنه : ولو لم يخلق الله جنّة ولا ناراً لتبين من يعبده ممن لا يعبده ، ولكانت عبادة الذي يعبده خالصة لوجهه الكريم ، وحينئذ تحصل المعرفة به تعالى على وجهها الكامل لمن عبده ، ولكن الناس لمّا سمعوا بذكر الجنّة والنار تفرقت أغراضهم نحوهما فضلوا عن السبيل .

الحادي عشر : المعاصي في حرمات الله تعالى كالمساجد ونحوها ، فإنّ العبد لو تحقق بإضافة البيت إلى ربّه ، وقال في قلبه : هذا بيت الله ؛ لم تصدر منه فيها معصية .

الثاني عشر : اللواط . وستأتي ـ إن شاء الله ـ مفسدته[٤] ، وأنه لا مزيد عليها .

الثالث عشر : ضرب الرجل امرأته من غير ذنب ، فلذلك ، الضربُ سبب في الانقطاع ، لما لها عليه من الحقوق .

الرابع عشر : المنّة على العيال والأهل بالنفقة ، فيقول : أنفقت عليكم كذا وكذا ، بقصد المنة .

---

(٤) ص ٢٤٧ .

الخامس عشر : الحسد . وسيأتي ـ إن شاء الله[5] ـ ما فيه من المفاسد ، وأنّ غالب المعاصي منه .

السادس عشر : الإقدام على المعصية مع معرفتها ، وسيأتي ـ إن شاء الله ـ بيان ذلك[6] عند الكلام على أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة .

السابع عشر : جمع الدنيا من الحرام . قلت : ولا يتكرر مع الوجه التاسع ، كما لا يخفى .

الثامن عشر : عقوق الوالدين ، فسمعته ـ رضي الله عنه ـ ، يحكي عن شيخه سيدي عمر بن محمد الهوّاري ، وذكر أنه كان جالساً معه عند السدرة المحررة ـ التي هي خارج روضة سيدي علي بن حرزهم ـ ، فجاءه ولده يودعه وأراد الذهاب إلى الحج فأبى عليه أبوه سيدي عمر ، قال : وكان عاقاً لأبيه ، فذهب وأبوه غير راض عنه ، فقال لي سيدي عمر : **نتيجة عقوق الوالدين أربعة أمور :**

أحدها : أن الدنيا تذهب عنه وتبغضه ، كما يبغض المؤمن جهنّم .

ثانيها : أنه إذا جلس في موضع من المواضع وجعل يتكلم مع الحاضرين في شيء من الأشياء صرف الله قلوبهم عن الاستماع لكلامه ، وينزع الله تعالى البركة والنور من كلامه ، ويصير ممقوتاً بينهم .

ثالثها : أن أولياء الله تعالى ـ من أهل الديوان والتصرف ـ لا ينظرون إليه نظر رحمة ، ولا يرقّون له أبداً .

رابعها : أن نور إيمانه لا يزال ينقص شيئاً فشيئاً ؛ فمن أرادَ الله به الشقاوة ـ والعياذ بالله ـ لم يزل كذلك إلى أن يذهب نور إيمانه ويضمحل بالكلية ، فيموت كافراً ، ـ نسأل الله السلامة ـ ، ومن لم يُرد به ذلك ماتَ ناقصَ الإيمان ـ أعاذنا الله من ذلك ـ .

(٥) ص ٤٧٧ .

(٦) ص ٤٥٩ .

قال : ونتيجة رضاهم أربعة أمور ـ هي أضداد لهذه الأمور ـ : تحبّه الدنيا ، كما يحب المؤمن الجنّة ، ويحلو كلامه بين الناس ، ويحنّ عليه أولياء الله تعالى ، ولا يزال إيمانه يزيد شيئاً فشيئاً . والله الموفق .

فانظر يا أخي هذه المفاسدَ الأربعة التي في عقوق الوالدين ؛ والمحاسنَ الأربعة التي في بر الوالدين ...!

التاسع عشر : مخالطة المحجوبين كذوي الرياسات ، فإن في ذات العبد المؤمن خيطاً من نور ، يخرج من ثُقبة في ذاته ، يتصل ذلك النور بعطية الحقّ ـ سبحانه ـ . يزيدُ بمخالطة أوليائه تعالى ، ويقل بعدمها ؛ ويُخاف عليه من الانقطاع أصلاً . وانسداد الثقبة بمخالطة أرباب الرياسات ، فإنّهم برياستهم وأموالهم وجاههم يستولون على ذاته ، فتكون تحت أسْرِهم ، وفي حكم قَبْضَتِهم ؛ فلا يزال يصغي إليهم بقلبه وقالبه ، ويبقى على ذلك المدة الطويلة ، ولا يقع الحق سبحانه في فكره ، ولا في خاطره ، فلا يزال كذلك ـ مسترسلاً في أغراضه وانقطاعه ـ حتى تنسد الثقبة أصلاً ـ والعياذ بالله ـ . وهذه آفة حاصلة من ذوي الرياسات ، ـ نسأل الله السلامة ـ .

العشرون : التفريق بين الخلفاء الأربعة ـ رضي الله عنهم ـ ، أبي بكر[7] وعمر[8] وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

---

(٧) أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٥٠ ق هـ ـ ١٣ هـ) : هو عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب التيمي ، أبو بكر بن أبي قحافة . أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال ، وصاحبه في الغار . ولد بمكة ، نشأ سيّداً من سادات قريش وأغنيائهم . عالم بالأنساب والقبائل وأخبارها وسياستها ، وكانت العرب تدعوه بعالم قريش . بويع بالخلافة بالإجماع يوم وفاته ﷺ (١١ هـ) فحارب المرتدين . مدة خلافته : سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر . افتتحت أيامه بلاد الشام وجزء من العراق . توفي بالمدينة وصلى عليه عمر ودفن بجنب رسول الله ﷺ . له في الصحيحين (١٤٢) حديثاً . جاء في فضله أحاديث كثيرة . يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في مُرّة بن كعب (الجد السادس) . ا هـ ملخصاً تعليقات على غريب الحديث ٣ / ٢٠٨ مع تصرف من غيره .

(٨) عمر بن الخطاب (٤٠ ق هـ ـ ٢٣ هـ) : ابن نفيل القرشي العدوي ، أبو حفص ، ثاني الخلفاء الراشدين ؛ أول من لقب بأمير المؤمنين ، صحابي جليل شجاع حازم ، صاحب الفتوحات ، يضرب بعدله المثل ، من =

مطلب بعض خصائص الخلفاء الراشدين

قال - رضي الله عنه - : ومعنى التفريق أن يحب بعضهم ويبغض بعضهم ، - كما هو شأن الخوارج والروافض - ، وإنما كان ذلك التفريق سبباً في الانقطاع عن الله عز وجل ، لأن كل واحد منهم ورث خصلة من خصاله ﷺ ، فبُغض ذلك الخليفة يسري إلى بغض النبيّ ﷺ ، فلذلك كان سبباً في الانقطاع .

فقلت له : فما الخصلة التي في أبي بكر رضي الله عنه ؟

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

فقال : خصلة الإيمان بالله - عزّ وجلّ - ، فإن الإيمان بالله تعالى كان في النبيّ ﷺ على كيفية خاصة ، لو طُرحت على أهل الأرض صحابة وغيرهم لذابوا ، وورث أبو بكر - رضي الله عنه - من تلك الكيفية شيئاً قليلاً على قدر ما تطيقه ذاته ، ومع ذلك لم يكن في أمّة النبيّ ﷺ من يطيق أبا بكر في ذلك ، ولا مَن يدانيه ، لا من الصحابة ، ولا من غيرهم من أهل الفتح الكبير ، لأن النبيّ ﷺ بلغ في أسرار الألوهية ، وحقائق الربوبية ، ورقائق العرفان ، مبلغاً لا يكيّف ولا يطاق ، وكان يتكلم مع أبي بكر في البحور التي كان يخوضها - عليه الصلاة والسلام - ، فارتقى أبو بكر المرتقى المذكور ، ومع ذلك فكان النبيّ ﷺ في الثلاث سنين الأخيرة لا يتكلم معه في تلك الحقائق خيفة عليه أن يذوب .

عمر رضي الله عنه

قال - رضي الله عنه - : وأما الخصلة التي في عمر - رضي الله عنه - فهي خصلة النصيحة للمؤمنين ، والنظر إليهم وإيثارهم على نفسه ، وتدبير أمر جيوشهم ،

= الخيار في الجاهلية والإسلام . أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، وشهد الوقائع . وبعد ما أسلم صلى المسلمون عند الكعبة وجاهروا بالدعوة ، كانت له تجارة بين الشام والحجاز . بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر بعهد منه (١٣ هـ) . في أيامه فتح الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر والجزيرة . قيل : انتصبَ في مدته (١٢٠٠٠) منبر في الإسلام . أول من وضع التاريخ الهجري وأول من دوّن الدواوين واتخذ بيت مال للمسلمين ، وأمر ببناء البصرة والكوفة . كان يطوف في الأسواق منفرداً . كان إذا نزل به أمر دعا الشبان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم . له كلمات وخطب ورسائل . زادَ في نقش الدراهم « الحمد لله » وبعضها « لا إله إلا الله » وبعضها « محمد رسول الله » . ونقش خاتمه : كفى بالموت واعظاً يا عمر .

كان من المُحَدَّثين ، له (١٧) موافقة في القرآن الكريم . وجاء في فضله أحاديث كثيرة . وكان يقضي على عهد النبوة . أبيض طوالاً كث اللحية . طعنه أبو لؤلؤة فيروز الفارسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلة ، وعاش بعد الطعن ثلاث ليال . ودفن بجوار أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . روى : ٥٣٧ حديثاً . يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في كعب بن لؤي (الجد السابع) . ا هـ ملخصاً الأعلام مع زيادة من غيره وتصرف .

وما يُصلح عامتهم وخاصتهم ؛ وهذه خصلة من خصاله ﷺ ، وقد ورث عمر ـ رضي الله عنه ـ منها القدر الذي تطيقه ذاته .

وأما الخصلة التي في عثمان(٩) ـ رضي الله عنه ـ ، فهي خصلة الرأفة والحنانة وصلة الرحم ، وهذه واحدة من خصاله ﷺ ، وقد ورث منها عثمان ما يطيقه .

وأما الخصلة التي في عليّ(١٠) ـ رضي الله عنه ـ ، فهي خصلة الشجاعة ؛ وهي إحدى خصاله ﷺ وقد ورث منها عليّ ـ رضي الله عنه ـ ما يطيقه .

قال ـ رضي الله عنه ـ : وكذا سائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، كل واحد منهم ورث شيئاً من النبيّ ﷺ . فَبُغْضُ صحابي ـ أيّ صحابي كان ـ يوجب الانقطاع عن الله ـ عزّ وجلّ ـ .

ثم تفرقنا فلم نسمع منه تمام العدد السابق حتى مات رضي الله عنه ، والله يفتح علينا فيه ببركته ـ رضي الله عنه ـ .

---

(٩) عثمان بن عفان رضي الله عنه (٤٧ ق هـ ـ ٣٥ هـ) (٥٧٧ ـ ٦٥٦ م) : ابن أبي العاص بن أمية ، من قريش ، يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف (الجد الثالث) . أمير المؤمنين ، ذو النورين ، ثالث الخلفاء الراشدين ، أحد المبشرين بالجنة ، وممن اعتزّ بهم الإسلام .
ولد بمكة ، وأسلم بعيد البعثة ، ومات بالمدينة شهيداً صابراً مفترى عليه . كان غنياً شريفاً في الجاهلية ، جهّز في الإسلام جيش العسرة فدعى له الرسول عليه الصلاة والسلام . تولى الخلافة بعد عمر في (٢٣ هـ) ، افتتحت أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وأفريقيا وقبرس (قبرص) . أتم جمع القرآن ونَسَخَه ووزّعه على الأمصار . هو أول من زاد في المسجد الحرام والمسجد النبوي ، وأمر بالأذان الأول لصلاة الجمعة ، واتخذ الشرطة ، وداراً للقضاء . روى (١٤٦) حديثاً . ا هـ ملخصاً الأعلام . وفي الإتقان : هو من قراء الصحابة .

(١٠) علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٣ ق هـ ـ ٤٠ هـ) (٦٠٠ ـ ٦٦١ م) : ابن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم النبي ﷺ وصهره ، وأحد الشجعان الأبطال . خطيب كبير وعالم بالقضاء . أول الناس إسلاماً بعد خديجة . ولد بمكة ، وربي في حجره ﷺ ولم يفارقه . كان اللواء بيده في أكثر المشاهد وقال له عليه الصلاة والسلام حين آخى بين الصحابة : أنت أخي . وجاء في الحديث الشريف : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » .
كان بزمنه وقعة الجمل (٣٦ هـ) ووقعة صفين (٣٧ هـ) والنهروان (٣٨ هـ) قتل غيلة في (١٧ رمضان) في الكوفة وقبره مجهول . روى (٥٨٦) حديثاً . كان أسمر اللون عظيم البطن والعينين واللحية . وَلِد له (٢٨) ولداً ، منهم (١١) ذكراً و (١٧) أنثى . ا هـ ملخصاً الأعلام . وفي الإتقان : هو من قراء الصحابة السبعة .

الأمور التي تزيد في الإيمان

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يَعدّ **الأمور التي تزيد في الإيمان** .

فقال ـ رضي الله عنه ـ : ١ ـ منها زيارة القبور . ٢ ـ ومنها الصدقة لله تعالى خالصة . ٣ ـ ومنها التحرز عن الأيمان الحانثة . ٤ ـ ومنها غض البصر عن العورات والنظر إليها . ٥ ـ ومنها التغافل على معاصي الناس ، لأن من ينظر في معاصي الناس ويَتَتَبّعها قد يبتليه الله تعالى بالوسواس بأن ينعم الله تعالى على العاصي ، ويديم عليه النعمة ، ويجزل له العطيّة ؛ فيقول الناظر إلى معصيته : كأن هذا إنما أدرك هذه النعمة بمعصيته ، فيوسوس له الشيطان في المعصية حتى يقع فيها ، أو يوسوس له على وجه آخر ، ويقول : انظر كيف أنعم عليه ربه وهو يعصيه وحرمك أنت ، وأنت تطيعه ، ما هذا مقتضى الحكمة ...! ، إلى غير ذلك من الوساوس الباطلة ـ أعاذنا الله منها ـ . ٦ ـ ومنها تعظيم العلماء الذين هم حملة الشريعة ـ رضي الله عنهم ـ ؛ فتعظيمهم يزيد في الإيمان ـ جعلنا الله من الذين يعرفون قدرهم ـ .

قدر العلماء عند الله عز وجل

قال رضي الله عنه : ولو علم العامة قدر العلماء عند الله عز وجل ، ما تركوهم يمشون على الأرض ، ولتناوب أهل كل حومة العالم الذي فيهم وحملوه على أعناقهم . والله تعالى أعلم .

☆ ☆ ☆

مطلب حرمة اللواطة والزنا ومفسدتها

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إنما حرّم الله اللواط لأنه يسقط مع نطفة الرجل عدد من الملائكة ، فإذا وقعت النطفة في الدبر ـ الذي هو ليس محلاً للحراثة ـ ماتوا جميعاً . ومرة قال : إنهم بمنزلة فرخ الحَمَام ، إذا سقط على صخرة من عشّ عالٍ ، أترى يبقى فيه شيء ؟

موت الملائكة

قال : وأما إذا وقعت النطفة في الفرج ـ الذي هو محل الحراثة ـ فإنه يبقى مع تلك النطفة العددان من الملائكة : عدد ملائكة نطفة الأب ، وعدد ملائكة نطفة الأمّ ؛ ومجموع ذلك ثلثمائة وستة وستون ملكاً أنصافاً بينهما ، إلا أن الرجل يزيد بعشرة ، لأن ملائكته أكثر ، لسرّ في أصالة آدم لحواء .

ملائكة النطفة

قال : فإذا قضى الله تعالى بالتكوين ، فإنّ النطفة تصير علقة ، ثم مضغة ، ثم ما بقي من الأطوار ؛ وكذا عدد الملائكة ينمو كلّ واحد منهم كما تنمو النطفة ، فإذا خرج الولد إلى الدنيا خرج معه أولئك الملائكة ، وهم حفظة ذاته ؛ وكبيرهم الحافظ

مفسدة اللواطة

الذي على اليمين . فكما أن الولد نشأ بين الأب والأم ، كذلك أولئك الملائكة نشؤوا بين ملائكة ذات الأب وهم ثلثمائة وستة وستون ، وبين ملائكة ذات الأم .

قال : وأما إذا قضى الله تعالى أن لا يكون ولد من تلك النطفة ، فإن عدد الملائكة ينزلون معها إلى الرحم ويموتون ولا ضرر على العبد في ذلك ، لأنه لا كسب له في ذلك . قال : وما شبهتهم حينئذ إلا بقطرات الزيت ، النازلة من فتيلة القنديل إذا كان مملوءاً بالزيت أكثر من القدر المعتاد ، فتنزل مضيئة ولا تبلغ إلى الأرض حتى تنطفئ .

قال رضي الله عنه : ولهذا لا يجوز التسبب في إخراج المني من الرحم ، لأنا لا ندري هل أراد الله أن يكون من النطفة ولدٌ أم لا ؟ فنسعى في إهلاك عدد كثير من الملائكة .

مفسدة الزنا

وأما المفسدة التي حرم الزنا لأجلها : فليست هي من جهة الملائكة ، وإنما هي من جهة قطع النسب ، وذلك أن الناس يوم القيامة لهم نفع عظيم بالأنساب ، ولا تُقبل هناك دعوى نسب إلا بشهادة ، ولذلك أمر النبيّ ﷺ بالإشهاد في النكاح وإعلانه والجهر به ؛ والزاني لا يفعل ذلك إلاّ خفية ، لأنه لو جهر به لأقيم عليه الحدّ ، فهو ساع في قطع النسب واختلاطه . فهذا ما سبقت إليه الإشارة في مفسدة اللواط ـ عصمنا الله منه ـ .

مطلب أشد الناس عذاباً يوم القيامة (سيأتي أيضاً ص جـ٢)

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : أتدري من **أشد الناس عذاباً يوم القيامة** ؟ فقلت له : قل يا سيّدي ؛ فقال : هو رجل أعطاه الله ذاتاً كاملة ، وعقلاً كاملاً ، وصحة كاملة ، ومهّد له في العيش وأسباب الرزق ، ثم يبقى هذا الرجل اليوم واليومين والأكثر لا يخطر بباله ربّه ـ سبحانه ـ ؛ وإذا أمكنته المعصية أقبل عليها بذاته الكاملة ، وعقله الكامل ، واستلذّ بها ، واستحسنها ، من غير فكر يشوش عليه من ناحية ربّه تعالى ؛ فتجده متصلاً بالمعصية غاية الاتصال ، منقطعاً عن ربه تعالى كلّ الانقطاع ، يميل بكليته للمعصية ويستحليها غاية الاستحلاء ، فيكون جزاء هذا يوم القيامة : أن ينقطع إلى العذاب بجميع شراشره ، ويتشوّف إليه بالكلية ، ويقع فيه المرة الواحدة ، ويستحليه استحلاء المجروب للحكّ ؛ وعلى قدر ما حكّ يكون وباله .

قال ـ رضي الله عنه ـ : ولا سيما في حال المعصية شأنها عظيم وأمرها جسيم ، فينبغي للمؤمن إذا عصى أن يعلم أن له رباً قادراً عليه فيحصل الخوف والوجل منه تعالى ، فتنكسر بذلك سورة العذاب إن لم يقع السماح بالكليّة . والله الموفق .

فهذا ما سبقت الإشارة إليه سابقاً [ص ٤٥٤] في شأن الإقدام على المعصية مع معرفتها .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يحكي في استحضار الخالق ـ سبحانه ـ حال المعصية ، حكاية عجيبة عن سيدي عمر بن محمد الهوّاري ، قال سيّدي عمر : جاء رجل مسرف على نفسه ، مرتكب للمعاصي إلى شيخي ـ وأنا حاضر ـ ، فقال له : يا سيدي أنا مرتكب للمعاصي ، مصرّ عليها ، لا أقدر على تركها ، فكيف الحيلة في الخلاص ؟ فقال له الشيخ : ويحك أتعصي ربّك ، اترك المعاصي ولا تَعُد إليها ، فقال : لا أقدر ، فقال الشيخ : ويحك ؛ تب إلى ربك ، فقال : لا أقدر ، فتغافل عنه الشيخ وأقام عنده يوماً أو يومين ، فلما أراد وداعه ، قال : يا سيّدي ، كيف الخلاص ؟ فقال له الشيخ : إذا أردت أن تعصي ربك فاستحضر ثلاثة أمور ، وافعل ما شئت : ١ ـ استحضر المعصية ، وقبحها ، وما توصل إليه من غضب الربّ [سبحانه] . ٢ ـ واستحضر ذاتك ، ونفسك ، وخساستك ، وإعراضك عن ربك . ٣ ـ واستحضر ربّك ، وسطوته ، وقهره ، وقدرته عليك متى أرادك ، ثُمّ عفوه عنك ، وما أسبَلَه عليك من جميل ستره .

حكاية عجيبة

نصيحة لدفع المعصية

فإذا استحضرت هذه الأمور كما ينبغي فافعل ما بدا لك ، قال : فذهب الرجل ، ثم بعد مدة لقيته ، فسلم عليّ وقال : أو ما تعرفني ؟ فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا صاحب المعاصي ، وقد أخذ الله بيدي ببركة كلام الشيخ ، وذلك أني أردت المعصية فاستحضرت الأمور التي أوصاني بها ، فما قدرت عليها فكان ذلك سبب توبتي . والله أعلم .

[٤] وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : عندي أن الكبيرة : ما فعلت حالة انقطاع القلب عن الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر باطناً ، وإنْ تعلّق العبد بذلك ظاهراً فإنه لا ينفعه .

الكبيرة حقيقة

وإنما كانت المعصية في هذه الحالة كبيرة ، لأنه في حالة الانقطاع يكون العبد واقعاً في المعصية بقلبه وقالبه ، وبجبّه ولبّه ، وبيديه ورجليه ، وبكلّ ذاته ؛ فلا يزجره من قلبه زاجر ولا يُذكّره من ربه ذاكر .

تعريف والصغيرة : ما فعلت حال تعلق القلب بالرب ـ سبحانه ـ وبالأمور الموصلة إليه من رسله وملائكته وكتبه ، فإن العبد إذا وقع في المعصية حينئذ يقع فيها على غير نية مع شائبة بغض فيها ، لأجل المَزاجر التي في قلبه ، فهو في حالة مواقعتها في حياء من ربه تعالى .

[س ٤] فقلت : يُشكل على هذا التفريق عَدُّهُ ﷺ الكبائرَ في الحديث ، مع إطلاقها ، ولم يقيدها بحالة الانقطاع عن الله ـ عز وجل ـ ؛ فقال ﷺ في حديث الصحيحين :

« الْكَبَائِرُ الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ » . زاد البخاري : « وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ » . وزاد مسلم بدلها : « وَقَوْلُ الزُّورِ » . وفي حديثهما أيضاً : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ : الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ » .

[ج] فقال رضي الله عنه : هذه المعاصي لا تصدر من العبد إلا إذا كان مقطوعاً عن ربه عز وجل ؛ فإن كان القلب متعلقاً بالربّ ـ سبحانه ـ لا يشرك ، ولا يتعاطى سحراً ، ولا شيئاً مما هو مذكور في هذين الحديثين .

ثم قال ـ رضي الله عنه ـ : ألا ترى إلى فلان فإنه سيكون من أولياء الله تعالى ، وهو الآن محجوب من جملة المحجوبين ، وقلبه متعلق بربه تعالى ، فما باله لا يستطيع أن يفعل شيئاً من هذه المعاصي ويخاف منها خوفه من النار ؟..! وإلى فلان فإنه ليس من المفتوح عليهم ، وقلبه منقطع عن الله ـ عز وجل ـ ؛ ومجرد ذكر اللسان لا ينفع ، وانظر إلى ما يرتكبه من القبائح . ـ نسأل الله السلامة بمنّه وكرمه ـ ..!!

قال : فمعاصي أهل القطيعة لا تخفى ، ومعاصي أهل الوصلة لا تخفى .

أسباب المعاش ومنزلتها

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إنما أسباب المعاش ـ من حراثة وتجارة وغيرهما ـ بمنزلة الكشاكيل(☆) التي في أيدي السعاة ؛ فإنه قد جرت عادة الربّ ـ سبحانه ـ أنه لا يُنزل الرزق على العبد إنزالاً ـ بأن يعطيه الرزق في يده من غير حيلة ـ ، بل لا يعطيه إياه حتى يسأله بكشكول من كشاكيل أسبابه ، فإذا مدّ له الكشكول وضع له فيه ما يليق به ويصلحه ، وحينئذ فيجب على المتسبب أن ينزل سببه بهذه المنزلة ، فيكون نظره عند السبب إلى ربه ـ عز وجل ـ ، لا إلى السبب ؛ كما أن الساعي المتكفف إنما ينظر إلى الناس الذين يعطونه ، ولا ينظر إلى كشكوله الذي في يده ؛ وإذا كان نظره عند السبب إلى ربه ـ عز وجل ـ كان متعلقاً حالة سببه بربه ـ عز وجل ـ ، فيكون سببه وصلة بينه وبين ربه تعالى ، فلا يعتمد على سببه ، بل على ربه ؛ وإذا كان اعتماده على ربه فلا يتعاطى إلا سبباً أذن له ربه فيه ، وحينئذ فلا فرق عنده بين أن يكثر من الأسباب أو يقلل ، فإن المعطي ـ سبحانه ـ واحد ، وهو قادر على أن يعطيه في سبب واحد ما يعطيه لغيره في أسباب عديدة ، فليتق الله ، وليجمل في الطلب . فهذه صفة أسباب المتعلقين بالله ـ عز وجل ـ . وأما غيرهم فيقتلون أنفسهم ـ حالةَ السبب ـ بالخدمة ، ولا يرون سبباً من الأسباب إلا تعاطوه ، سواء كان مأذوناً فيه أو غيرَ مأذون فيه ؛ ويعتقدون أن الرزق يكون على حسب حِيَلهم وسياستهم الفاسدة . فهؤلاء هم الذين يستَحْلُون التدبير في أمور الدنيا والتعب فيها ، وركوبَ المشاقّ العظيمة في طلبها ، على طاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ ، وعبادته ؛ لكمال انقطاعهم عنه ـ سبحانه ـ .

ضرب مثل الناس

وسمعته رضي الله عنه ـ مرة أخرى ـ يقول ـ في هذا المعنى ـ : إنما مثل الناس كمثل قوم رُبطتْ في أوساطهم حبال ، ثم دُلّوا من شواهق جبال عالية ، حتى كانوا بين الأرض والسماء ، فتُرِكوا معلقين في الهواء ، وطال ذلك من أمرهم ؛ فأما العقلاء منهم ، فإنه لا يقر لهم قرار ؛ ولا تسكن أنفسهم إلى غير من الأغيار ، بل نظرهم مقسوم ، فمرة ينظرون إلى الموضع الذي تسقط فيه أرجلهم ، وهل هو قريب أو بعيد ؟ وهل المكان رَخو أو صُلب ، وكيف تكون حالتهم إذا سقطوا على ذلك

(☆) الكشاكيل : مفردها كَشْكُول وكَشْكُولة . وهو وعاء المتسوّل يجمع فيه رزقه . (والكلمتان أراميّتان) ، وبه سمي كتاب « الكشكول » لبهاء الدين العاملي لأنه جمع أشياء كثيرة مختلفة المواضيع ـ كما في كتب اللغة ـ .

الغافل عن الله والذاكر له سبحانه

المكان ؟ - وهذه أنظارٌ تذيب الأكباد ، وتفتت الفؤاد - ؛ ومرة ينظرون إلى الذي في يده الحبل المعلقون فيه ، هل أراد أن يطلقه من يده ، أم الوقت باق ؟ وهل بينهم وبينه مودة ورحمة ، فيحنّ عليهم إذا أطلقهم ، وينزلهم إلى المكان الذي يسقطون إليه برفق ؛ أو لا مودةَ ولا رحمةَ بينه وبينهم ؛ فلا يبالي كيف رماهم ...!؟ وحينئذ فيسعون في طلب مرضاته ، ولا يمكنهم ذلك بحيلة من الحيل ؛ إذ لا يمكنهم عمل من الأعمال ؛ - اللهم - إلا أن يكون بخشوع القلب وخضوع اللسان ، ونظر العين إليهم نظر الخائف منه ، المستعطفِ له ؛ ثم هو مختار إن شاء رَحِم ، وإن شاء عذّب ؛ فتحترق قلوبهم من خوفه وعذابه .

وأما غير العقلاء من أولئك المعلقين ، فإنهم لا ينظرون إلى المكان الذي يسقطون إليه ، ولا ينظرون إلى الذي بيده الحبل ، بل يغلب النسيان ، ويظنون أن الموضع الذي هم فيه حينئذ موضع إقامة ، فيشتغلون بأسباب الإقامة ، فيبنون فيه الدور والقصور ، ويتعاطون الحراثة والتجارة ، - وهم في ذلك الهواء - ولا شعور لهم بأمر الحبل ، فإذا قُطع بهم وجدوا أنفسهم قد فرطوا في المكان الذي يسقطون إليه حيث لم يشتغلوا بالنظر إليه ، ولا تعاطوا أسباب صلاحه ولو بالدعاء والتضرع ، ولا تأهبوا للوقوع فيه ، وفي الذي في يده الحبل ، فإنهم ما عرفوه فضلاً عن أن يتضرعوا له ، ويطلبوا منه النجاة والسلامة .

قال رضي الله عنه : فهذه حالة الغافل عن الله وعن الآخرة ، والذاكر لها . فالحبل هو العمر وانقطاعه بالموت ؛ والمكان الذي يسقط فيه إما جنة وإما نار ؛ والذي في يده الحبل هو الله سبحانه . فالعارفون به : في خوف دائم من هذين الأمرين ، فأثابهم الحق - سبحانه - بالراحة يوم اللقاء ؛ وأما الغافلون : فعلى العكس من ذلك . والله تعالى أعلم .

من حكمة إرسال الرسل

وسمعته - رضي الله عنه - يقول : إنما أرسل الله للعباد رسله ، وأمرهم بالطاعة لخصلة واحدة ، وهي أن يعرفوه فيوحّدوه ، ولا يشركوا به شيئاً ؛ فمتى حصل هذا المقصود من العبد كان عند الله محبوباً عزيزاً .

وسيأتي في كلامه - رضي الله عنه - : أن الطاعة إنما هي فتح باب يدخل منه

نورُ الحق على الذوات[11] ؛ وأن النهي عن المعاصي إنما هو عبارة عن سدّ أبواب ، يدخل منها ظلام الباطل على ذات العاصي . فمن كان مرتكباً للطاعات ، مجتنباً للمخالفات ، فقد فَتَح على ذاته أبوابَ نورِ الحقّ ، وسَدّ عنه أبواب ظلام الباطل ؛ ومن ترك الطاعات ، وارتكب المخالفات ، فقد فتح على نفسه أبواب ظلام الباطل ، وسَدّ عنها أبوابَ نور الحقّ ؛ ومن أطاع وعصى وفعلها معاً فقد فتح على نفسه البابين معاً . فلينظرِ العبد في أيّ مقام هو ؟ وأيّ بابٍ فَتَحه على نفسه ؟ قبل أن يندم ، حيث لا ينفعه الندم ...! ولكن أكثر الناس يظنّون أن القيام بالطاعات - ظاهراً - يكفي في فتح أبواب الحقّ ؛ كما أن فعل المخالفات في الظاهر يكفي في فتح أبواب الشرّ ؛ وليس كذلك ؛ بل لا بد في ذلك أن يوافق الظاهرُ الباطنَ . **فالناس حينئذ على أربعة أقسام :**

أقسام الناس في ظاهرهم وباطنهم أربعة

١ - قسم ظاهره وباطنه مع الله : فظاهره مع الله بامتثال أوامره ، وباطنه مع الله بزوال الغفلة حال فعل الطاعة وحصول المراقبة والمشاهدة . فهذا هو المحبوب عند الله عز وجل .

٢ - وقسم - والعياذ بالله - ظاهره وباطنه مع غير الله - سبحانه - : فظاهره في المخالفات وباطنه مغمور بالغفلات ، فهذا هو المذموم .

٣ - وقسم ظاهره مع الله ، وباطنه مع غير الله : فظاهره في الطاعات ، وباطنه غافل . وعلة هذا - (حيث لم تردّه عبادته إلى ربه) - أنها - أي عبادته - صارت عادةً له من جملة العادات ، فاستأنست ذاته بها ، فصار يفعلها بحكم **وازع الطبع ، لا بحكم وازع الشرع** . وقد يضاف إلى هذه العلة علة أُخرى وهي : أن يكون عند الناس معروفاً بالعبادة والزهد وحسن السيرة ، فيخاف من تقصيره في عبادته أن يسقط من أعين الناس ، فتراه يعبد - ليلَه ونهارَه - حرصاً على أن تزيد درجته عند الناس . فهذا هو الذي لم تزده عبادته إلا بعداً من الله سبحانه . وقد يجمع الله سبحانه بعض أهل هذا القسم مع واحد من أكابر أوليائه - من أهل القسم الأول - فيرى الولي علته ، فيريد أن يعالجه ، فيأمره بترك بعض ما هو عليه من

---

(١١) في ظ ١ : على الذات .

ظاهر العبادة فيأبى عليه ذلك ، ـ لاستحكام العلة ـ فيهلك مع الهالكين .

قلت : كما وقع لصاحب أبي يزيد البسطامي(١٢) ـ رضي الله عنه ـ ، وذلك أنه أمر بعض من كان معه ـ والله تعالى أعلم ـ على هذه الحالة ، بترك صيام نفل ، فأبى عليه ، فقال له أصحابه وإخوانه في الله : ويلك أتعصى قدوتك ؟ فقال لهم أبو يزيد : دعوا من سقط من عين الله ـ عز وجل ـ .

٤ ـ وقسم ظاهره مع غير الله ، وباطنه مع الله سبحانه : فظاهره في المخالفات ، وباطنه في مراقبة الحق ـ سبحانه ـ ، فتراه يعصي ـ وربّه بين عينيه ، لا يغيب عن فكره ـ فتكبر عليه معصيته ، ويراها واقعة عليه كالجبل ، فهو حزين كئيب دائماً ، وهذا أفضل ـ عند الله ـ بدرجات من القسم الذي فوقه ، لأن **مقصود الله من عباده ـ هو الانكسار ، والوقوف بين يديه تعالى بالذلة والخضوع** ـ حصل لهذا دون الذي فوقه .

قلت : وقد سبق له ـ رضي الله عنه ـ المثال الذي ضربه لعبادة المنافقين ، الذي يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ؛ فراجعه في شرح حديث الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه »(١٣) ، لتعلم به خساسة أهل القسم الثالث . ـ والله الموفق بمنّه وفضله ـ .

اضطراب الذات في الذكر أحياناً

[س ٥] وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : وقد سئل عن اضطراب الذات في بعض الأحيان وصياحها ؛ وذكر السائل : أنه إذا اشتغل بالذكر والعبادة يحصل له ذلك ؛ وخاف أن يكون من الشيطان ـ لعنه الله ـ ، وذكر أنه إذا أقبل على الدنيا واشتغل بها انقطع عنه ذلك .

[ج] فقال رضي الله عنه : إن الروح قد تنفض ـ بالنور الذي فيها ـ على

---

(١٢) أبو يزيد البسطامي (١٨٨ ـ ٢٦١ هـ) : هو طيفور بن عيسى البسطامي ، ولي زاهد مشهور ، سلطان العارفين . من أقواله : رأيت ربّ العزة في النوم فقلت : يا ربّ كيف أجدُك ؟ فقالَ : فارق نفسك وتعال إليّ .
ولد وتوفي في بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) . ا هـ ملخصاً الطبقات ١ / ٧١ ، الأعلام ، الحلية .

(١٣) ص ٣٨٢ .

الذات ، فيحصل للذات ذلك الاضطراب ؛ فتارة تمدها به في حالة الطاعة ، وتارة تمدها به في حالة المعصية ؛ فبينما الشخص في معصية ربه ، عاكف على شهوته ، إذ نفضت الروح على الذات بذلك النور ، فيحصل للذات خشوع ورجوع إلى الله تعالى ؛ قال : فلا ينبغي للشخص إذا حصل له ذلك ، في حالة الطاعة ، أن ينسبه إلى طاعته وعبادته ، فيدخُله العجب فيقول : لو كان ذلك من الطاعة لما حصل في حالة غيرها .

قال : وهذا النور - الحاصل للذات من الروح - هو للذات بمنزلة الزمام ؛ فإذا رآها عَدَلت عن الطريق وخاف عليها من الزيغ ، ظهر عليها - أي على الذات - ليقودها إلى الطريق ؛ ولا يكون إلا فيمن أراد الله به خيراً ، إذ هو سبب من أسباب الهداية . وقد يكون في ذات أخرى - لم يرد الله بها خيراً - ظلاماً يصدها عن الطريق ويمنعها من إجابة الرسول ﷺ . قال : فلكل ذاتٍ ضوء ، ولا تمشي إلا في ضوئها ، فإذا كان ضوؤها يهديها إلى الطريق فهي موفقة ؛ وإن كان ضوؤها يزيغ بها - وهو الذي نسميه ظلاماً - ، فهي مخذولة - والعياذ بالله - .

أسرار الروح (٣٦٦)سراً

ثم قال رضي الله عنه : **وفي الروح ثلثمائة وستة وستون سرّاً** ؛ فمن تلك الأسرار : سرّ لو أمدّت الروحُ به الذاتَ لبكت دائماً ؛ ومنها : سرّ لو أمدّتها به لضحكت دائماً ؛ ومنها : سر لو أمدّتها به لصاحت دائماً ؛ ولكنها لا تمدّها إلا بما سبق به القَدَر .

واقعة

(وكنت معه - رضي الله عنه -) ذات يوم بموضع ، فجلس معنا رجل ؛ وبينا الشيخ - رضي الله عنه - يتكلم ، إذ جعل الرجل يصيح صياحاً مُنكراً ، وطال ذلك من أمره ؛ فقال لي الشيخ - رضي الله عنه - بعد ذلك : هو شيء كبير ، لولا أن الشياطين تلعب به ، ويفسدون عليه صلاتَه .

فقلت : يا سيدي ، وكيف ؟

صلاة القلوب وصلاة الذات البشرية

فقال رضي الله عنه : **إن وجهة القلوب إلى الله تعالى هو صلاتها ، كما أن ركوع الذات وسجودها هو صلاتها** ، وإنما شُرعت الصلاة وسائر الطاعات لتحصل هذه الوجهة ، فهي نتيجة العبادات ، وفائدتها - التي هي سبب ربح العبد

ورحمته - ؛ فإذا رأت الشياطينُ شخصاً أراد أن تحصل له هذه الوجهة من ذكر أو سماعِ كلام رقيق ، أو نحو ذلك ، نفذوا على قلبه فأفسدوا عليه وجهته - حسداً لبني آدم وبغضاً فيهم - ؛ فتحصّل لهذا الصائح مفاسد : منها : فساد الوجهة التي هي سبب ربحه . ومنها : أن يظن أنه على شيء . ومنها : ما يخشى عليه من الانقطاع ، لأنه بذلك الصياح يظن أنه على شيء ؛ وكذلك الناس يظنون أنه على شيء ، فيشيرون إليه ، وويل لمن أشارت إليه الأصابع .

حكاية عن أهل الصدق

قلت : ومما يؤيد هذه ، الحكايةُ الذي ذكرها الشيخ زروق - رضي الله عنه - ، وملخصها : أن قوماً من الفقراء ، كانت عندهم - بفاس - مبيتة ؛ فكلّموا شخصاً صادقاً في الذهاب معهم ، - وكان أعمى - فذهب معهم إلى الموضع ؛ فبينما هم يذكرون ، إذ قال الشيخ الأعمى - رضي الله عنه - : يا قوم ، قد دخل عليكم الشيطان في صورة عنز بقرونها ؛ ثم قال : فمن هو صاحب الغفارة الحمراء منكم ؟ فإني رأيت الشيطان يشمه شماً عنيفاً ؛ ثم صاح الأعمى ، وقال : إنه نطحه بقرونه حتى غاصت فيه ؛ فلم يفرغ من كلامه حتى صاح صاحب الغفارة وخرج عن حسه . ثم قال الأعمى : ومن هو صاحب اللباس الفلاني فيكم ؟ فإني رأيت الشيطان قد انتقل إليه يشمه ؛ ثم صاح ، لقد نطحه - واللهِ - بقرنه نطحَة مُنكَرة ؛ فصاح المشموم ، وغاب عن حسه ، - انظر تمام الحكاية - فافتضحوا بحضور ذلك الصادق معهم ، وكانوا قبله يحسبون أنهم على شيء ، فكانوا على جهل مركب .

حكاية كشف

وقد اتفق أنه صاح بعض الناس بحضرة شيخ عارف ، فقال له الشيخ : إني تبعت صيحتك حتى دخلَتْ إلى قبر بمقبرة كذا ؛ فقال الصائح - ولم يكن من أصحاب ذلك الشيخ - : صدقتَ - يا سيدي - لما مررتُ بكم فوجدتكم تذكرون محبوبكم ، ذكرت أنا محبوبتي ، وكانت ابنةَ عمّ لي ماتت ، وذلك هو قبرها ، فلما تذكرتها صِحتُ من ألَم فراقها . والله تعالى أعلم .

شرب الدخان حرام

[٦] وسمعته - رضي الله عنه - يقول : الدخان - المعروف بطابة - ، حرام ، لأنه يضر بالبدن ، ولأن لأهله ولاعة به تشغلهم عن عبادة الله ، وتقطعهم عنه ، ولأنا « إذا شككنا في شيء ، أحرام هو أم حلال ؟ ولم نجد فيه نصاً عن النبي

قاعدة عند الأولياء

ﷺ نظرنا إلى أهل الديوان - من أولياء الله تعالى ؛ وهم أهل الدائرة والعدد - ، فإن وجدناهم يتعاطون ذلك الشيء علمنا أنه حلال ، وإن وجدناهم لا يتعاطونه ، ويتحامون عنه ، علمنا أنه حرام ، وإن كان بعضهم يتعاطاه ، وبعضهم لا يتعاطاه ، نظرنا إلى الأكثر فإنّ الحق معه » . وأهل الديوان لا يتعاطون هذا الدخان ، ولأن الملائكة تتأذى بريحه .

حكاية

ثم حكى لنا حكاية عن مدينة متعفنة لاجتماع فضلات بني آدم فيها ، وزبل الدواب ، مع قلة المياه لذلك ، وأطال في وصف المدينة ، وكيفية شكلها ، وأين هي ، - والغرض حاصل بهذا الذي قلناه ، فلذا لم نكتب كيفية وصفه لها - ، قال : فتجتمع فيها روائح كريهة ، فوق ما يظن ؛ قال : فدخلها ذات يوم ثمانية من أولياء الله تعالى من أهل التصرف ، فلما توسطوها خرجوا منها مسرعين ؛ وسبب إسراعهم : أن ملائكة ذواتهم نفرت من تلك الروائح الكريهة ، فنفر الأولياء لذلك ، لأنه لا يَعلم خطر نفور الملائكة عن الذات إلا من له بصيرة ؛ وما مثاله إلا كمن جيء به إلى موضع العدو وبلاد اللصوص ، ثم عُزل عن سلاحه ؛ فبأي شيء يلقى العدو حينئذ ؟..!!

نفور الملائكة من الروائح الكريهة

حكم الثوم والبصل

[س] فقلت له : **فالثوم والبصل ونحوهما لها رائحة كريهة وأكلها ليس بحرام .**

[ج] فقال رضي الله عنه : « إذا اجتمع حق لآدمي وحق الملك قدم الآدمي » لأن كل شيء إنما خلق من أجل بني آدم ، فما فيه منفعة لبني آدم لا يحرم ، - وإن كان فيه مضرة للملك - وفي الثوم والبصل منافع لا تخفى ، بخلاف الدخان ، فإنه لامنفعة فيه ؛ نعم ، يحدث بسبب شربه ضرر في الذات ، ويصير الدخان بعد ذلك قامعاً لها فهو بمنزلة من قطع ورقع ؛ ولو لم يشربه صاحبه لم يحصل فيه قطع حتى يحتاج إلى ترقيع ، فيظن أربابه أن فيه نفعاً ؛ وليس فيه إلا هذا .

قاعدة

قلت : وكذا سمعت بعض من ابتلي به يقول : إنه سمعه من طبيب ماهر نصراني .

[س ٧] وما ذكره - رضي الله عنه - في خطر نفور الملائكة عن الذات ، به

مسألة دخول الحمام مع مكشوفين

أجابني مرة أخرى حين سألته ، لَمّا اختلف علينا كلامُ الشيخ الحطاب[١٤] وكلامُ الشيخ المواق[١٥] - رحمهما الله تعالى - **في دخول الحمام مع مكشوفين لا يستترون** . فقال الشيخ الحطاب : يحرم الدخول ، ويجب عليه التيم إن خاف من الماء البارد ؛ وقال الشيخ المواق : يدخل ، ويستتر ، ويغض عينيه ، ولا حرج عليه .

[ج] فقال رضي الله عنه : الصواب مع الشيخ الحطّاب : وأما ماذكره الشيخ المواق[١٥] : ففيه آفة بعد فرض المستتر متحرزاً إلى الغاية ، وفاراً من النظر في عورة غيره إلى النهايةً ، وهي : - أي الآفة - أن المعاصي ، ومخالفة أوامر الله تعالى ، لا تكون إلا مع الظلام ، الذي بينه وبين ظلام جهنم خيوط واتصالات يحصل له الشقاء من جهنم بسببها ؛ ولا أحدَ أعرف بذلك من ملائكة الله تعالى . فإذا اجتمع قوم تحت سقف الحمام مثلاً على معصية ، وظهرت المعصية من جميعهم ، عم الظلام ذلك الموضع ، فتنفر الملائكة عنهم ، وإذا نفرت الملائكة جاء الشيطان وجنوده فعمروا الموضع ، فتصير أنوار إيمانهم - أي العصاة - حينئذ كالمصابيح التي جاءتها الرياح العاصفة من كل مكان ؛ فترى نورَها مرة يذهب إلى هذه الجهة ، ومرة إلى هذه الجهة ، ومرة ينعكس إلى أسفل ؛ حتى تقول إنه انطفأ واضمحل ؛ ولهذا كانت « **المعاصي بريد الكفر** » - والعياذ بالله تعالى - ، فإذا كان الحمام وأهله على هذه الحالة التي وصفنا وفرضنا رجلاً خَيّراً دينا فاضلا متحرزاً ، جاء ودخله ، واستتر ، فإنه يقع لنور إيمانه اضطراب بالظلام الذي وجده في الحمام ؛ لأن ذلك الظلام ضدٌّ الإيمان ، فتضطرب ملائكته لذلك أيضاً ، فتطمع فيه الشياطين ، وتصل إليه وتُشَهّى إليه النظَر في العورة ، وتغويه ؛ فلا يزال معهم في قتال ؛ وهم يقوَوْنَ عليه ، وهو يضعف بين أيديهم ؛ حتى يستحسنَ الشهوةَ ، ويستلذَ النظر للعورة . نسأل الله السلامة .

مثال

أثر

(١٤) الحطاب (٩٠٢ - ٩٥٤ هـ) : هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني . فقيه مالكي من علماء الصوفية ، مغربي الأصل له كتب منها شرح مختصر الخليل (٦) مجلدات في الفقه ا هـ . الأعلام باختصار .

(١٥) المَوَّاق (. . - ٨٩٧ هـ) : هو محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي ، أبو عبد الله المواق . فقيه مالكي ، عالم قرطبة وإمامها وصالحها . له « التاج والإكليل في شرح مختصر الخليل » فقه ، و « سنن المهتدين في مقامات الدين » ا هـ . الأعلام . وفي ظ ١ : المولق .

مثال آخر

قال : ولو فرضنا جماعة يشربون الخمر ، ويستلذون به ويظهرون المعاصي التي تكون معه ، ويفحشون فيها ، ولا يتحرزون من أحد ، ولا يخشونه ؛ ثم فرضنا رجلاً جاءهم وفي يده دلائل الخيرات وجلس بينهم وجعل يقرؤها ، وأطال معهم الجلوس وجلس معهم اليوم إلى آخره وهو على قراءته وهم على معاصيهم ، فإنه لا يذهب عليه الليل والنهار حتى ينقلب إليهم ، ويرجع من جملتهم للعلة التي ذكرناها ، ولهذا نهي عن الاجتماع مع أهل الفسوق والعصيان لأن الدم والشهوة والغفلة فينا وفيهم ، إلا من رحمه الله وقليل ما هم . والله تعالى أعلم .

أوصاف جهنم ومعرفة المؤمنين بها

[س ٨] وسمعته رضي الله عنه ، يصف جهنّم أعاذنا الله منها ، فذكر فيها مالا يطاق من الوصف ؛ حتى قال بعض إخواننا الحاضرين ياسيدي : لو علم الناس جهنم لشغلتهم عن الأكل والشرب فضلاً عن غيرها[١٦] .

[ج] فقال رضي الله عنه : المؤمنون بالله وبرسوله كلهم عارفون بجهنم ، فإن الواحد منهم إذا جرى على لسانه ذكر جهنم لكان ذلك الذكر جارياً على قلبه كما جرى على لسانه ، وإذا سمعها تَذكر ، وكان ذلك السماع جارياً على قلبه ، كما جرى على أُذنه ، فقد استوى الظاهر والباطن في الإيمان بها ، وحَضرتْ في الباطن كحضورها في الظاهر ؛ وإنما الشأن في استدامة ذلك الحضور ؛ فمن استدامَه فقد رحمه الله وزالت غفلته وقلت مخالفته ؛ ومن لم يستدمه كان على العكس من ذلك .

[س] فقلت له : وما السبب في عدم استدامة ذلك الحضور ؟

[ج] فقال : الدم الذي في الذات وبخاره ، هو السبب في ذلك ؛ وذلك أن العبد إذا ذكر جهنم أو سمع بذكرها ، فإن ذلك ـ كما سبق ـ ينزل على قلبه وحينئذ يذهب[١٧] الدم وبخاره .

قلت : ولذا يصفر وجه الخائف ، وإذا هرب الدم تعطل حكمه الذي هو الغفلة ؛ فإذا انقطع ذلك الذكر ـ الذي هو سبب هروب الدم ـ رجع الدم إلى مجاريه ، واستولت الغفلة على الذات ؛ فإذا رجع العبد إلى الذكر رجع الدم إلى

(١٦) وسيأتي أيضاً في الباب الثاني عشر ص ( ) جـ ٢ .

(١٧) في ظ ١ : يهرب .

القرار فزالت الغفلة ؛ فإن سها العبد عن الذكر رجع الدم إلى مكانه واستولت الغفلة على العبد حتى يرجع العبد إلى الذكر فتزول ، حتى يسهو عنه فترجع ، وهكذا على الدوام إلا من رحمة الله .

الذكر والغفلة عنه والرجوع إليه

ثم الناس مختلفون في مقدار الأمد الذي بين الرجوع إلى الذكر وبين السهو عنه ، فمنهم من يرجع بعد ساعة ، ومنهم من يرجع بعد ساعتين ، ومنهم من يرجع بعد يوم ومنهم من يرجع بعد يومين .

فانظر يا أخي ، من أي قسم تكون ؟ .. !

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨]

سماع الذكر وزوال الغفلة به

[س ٩] فقلت : ولِمَ كانت الذات إذا سَمِعتَ الذكرَ تزول عنها الغفلة ، ويهرب منها الدم ؛ وإذا لم تسمعه كانت بعكس ذلك .

[ج] فقال : لأنها بسماع الذكر تحصل لها اليقظة والإفاقة فتكون بمنزلة من رجع إليه عقله فتجرى أفعاله على السداد ، فإذا زال السماع عنها رجعت إلى منامها الذي هو الغفلة . ومثالها حينئذ كنائم وقع في النوم وقوع استطابة واستحلاء ، فإذا كُلّم ونودي أجاب من كلّمه على كره واستثقال ، وبمجرد انقطاع النداء يرجع إلى منامه ، لأنه هو الغالب عليه ، السابق على هذا النداء إلى ذاته ، فكذلك الغفلة هي السابقة للذات الغالبة عليها . والله تعالى أعلم .

الكشف والعيب الحاصل منه

[س ١٠] وسألته رضي الله عنه : عن الكشف[(١٨)] ، والنظر فيه ، وسبب العيب الحاصل منه ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : الكشف والحظ وغيرهما مما هو في معناهما ، سَبَبُ الجميع : انقطاع القلب عن الله - عز وجل - ، وخراب الباطن من سلطانه تعالى ، وذلك أن العبد إذا أحضر ربه في قلبه ، وعلم أنه تعالى هو الذي يفعل ما يشاء ،

---

(١٨) الكشف : في اللغة رفع الحجاب . وفي الاصطلاح : هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً . كما في التعريفات للسيد . قلت : والمراد هنا الثاني وهو الأمور الحقيقية لا المعاني ، وربما يكون الصواب الكفّ والنظر فيه بدل الكشف . ويكون المراد قراءة الكف كما هو مفهوم من السياق ا هـ . المحقق .

ويحكم ما يريد ، لا مدبرَ غيرُه ولا شريكَ له في ملكه - جلّ وعلا - ؛ وأنه تعالى لطيف بعباده ، يعطيهم أكثر مما يتمنون ، ويرحمهم فوق ما يظنون ، فعند ذلك يرضى العبد بِرَبِّه وكيلاً ، ويتخذه في جميع أموره دليلاً ، وينحاش إليه بالكلية ، وينقطع إليه بالطويّة ، ويضع مقاليده وجميع أزمَّتِه في يديه ، ولا يعوِّل في جميع أموره إلا عليه ؛ وعند ذلك يشاهد ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، من الخيرات التي يفعلها به سيده ومالكه ، هذا شأن من قلبه معمور بالله - عز وجل - .

وأما من خلا قلبه من ربه سبحانه ، واستولت الغفلة عليه ، وصار لا يشاهد إلا ذاته ولا يرى الأفعال صادرة إلا عن نفسه . فهذا هو الذي يتعاطى ما سبق ، ويريد أن يطلع على الغيب ليستكثر من الخير ، في نظره المكسوف ، ورأيه المكشوف ؛ وعند ذلك يَكِلُه ربّه تعالى إلى نفسه ؛ ويجعل تدميره في تدبيره ، ويبتليه بالرزايا والبلايا وخيبة الرجاء وفوات المقصود ؛ كما هو المشاهد في أرباب هذا الفن - نسأل الله السلامة بمنّه وفضله - .

وذلك قليل في حقّ من أعرض عن سيده ، ولم يرض بما خرج له في القسمة .

قصة غريبة راهب أخلص للصليب

قال : **وقد وقع لبعض رهبان النصارى** ما يستغرب ، وذلك : أنّه كان كبيرَهم ومقدَّمهم على الكنيسة ؛ فكان إذا أراد الخروج من الكنيسة لا يُعْرِض عن الصليب ويعطيه بالظهر حتى يخرج من الكنيسة ؛ إلى أن كان في بعض الأحيان ، فسافر ولده في وقت هيجان البحر وكثرة زلازله فدخله من الخوف على ولده ما لا يكيف ، فصار يترقب أخباره ، ويستشرف إليها ، حتى جاءه الخبر بقدومه سالماً ، فغلبه الفرح حتى ترك العادة في خروجه من الكنيسة ، فاستدبر الصليب وخرج ، فلما سلّم على ولده تذكر ما فعل مع الصليب ، فرجع من فوره ، وقال للرهبان : اضربوني ألفَ سَوط ؛ فقالوا : لمَ ؟ فقال : لأني استدبرت الصليب في هذا اليوم ، فاستعظموا ذلك الاستدبار فجعلوا يضربونه حتى أكملوا العدة ، ولا غابت عليه محنة ، فكان الناس عند ذلك يظنون أنه لأجل البلاء - الذي حصل له من الضرب - تتبدل نيته في الصليب ، ويرجع عن دينه . فلم يشعروا به حتى أخذ

الشفرة وقطع رجليه من الكعبين وقال : هذا جزاء من يعرض عن سيّده .

قال رضي الله عنه : فإذا كان هذا يصدر من قوم على الضلال والباطل ، فكيف ينبغي أن يكون حال من هو على الحقّ ، ويعبد الحقّ سبحانه .. ! ! ؟ . قال : ولكنه تبارك وتعالى لمّا سبق منه في سابق علمه وإرادته ، أنّه خلق أقواما ، وجعلهم أهلَ رحمته : وخلق آخرين وجعلهم أهلَ نِقمته ؛ وجعلَ حركاتِهم وسعيَهم على وفق السابقة .

شأن أهل الرحمة

فأما أهل الرحمة فعلّق قلوبهم به ، وصَرَف همتهم[19] إليه سبحانه ، فصارت حركاتهم وسكناتهم تابعةً لذلك ؛ فصلاتهم له ، وصيامهم له ، وقيامهم له ، وقعودهم له ، وسهرهم له ، ومحبتهم له ؛ ولم يزل تعالى يحركهم فيما يحبه إلى أن وصلوا إليه ، وظفروا برحمته ، فحصلوا على ما سبق لهم من قسمة الرحمة .

شأن أهل النقمة

وأما أهل نقمته . فعلّق قلوبهم بغيره وصَرَف همَّهم إلى ما هو أوهَى من خيط العنكبوت - كالأمور المتقدمة - فصارت حركاتهم وسكناتهم تابعةً لذلك ؛ فقيامهم لغيره تعالى لئلا يتعلقوا به سبحانه ، وقعودهم كذلك ، وسهرهم كذلك ، وجميع مساعيهم لغيره تعالى ، حتى ينفذ الوعيد السابق ويظفروا بما سبق لهم من قسمة العذاب .

حكاية

وحَكَى لنا [رضي الله عنه] عن بعض الصالحين ، أنه قال : جلست إلى جنب رجلين طعنا في السن ، وبلغا نحو السبعين سنة من الصبح إلى الزوال ، وهما يتحدثان في أمور الدنيا ولم يجر على لسانها ذكر الله تعالى ، ولا النبي - ﷺ - ، قال : ثم قمت فجددت الوضوء ، ثم جلست إلى جنب صبيين صاما أو قربا من الصوم ، فجعلا يتحدثان في وحدانية الله تعالى ، وما له من الصفات ؛ فسمعت منهما ما لا يطاق ؛ فتعجبت من حالهما ومن حال الشيخين الكبيرين . ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس : ٣٨]

عجيبة حكاية ولي سلب نوره

وحكى رضي الله تعالى عنه لنا - في تأييد أنه تعالى إذا علّق قلب عبد بغيره

---

(١٩) في ظ ١ : هِمَّتَهُم .

تعالى ، فإنه يُملي لـه من حيث لا يحتسب ويمدّه بما هو فتنة لـه حتى يظهر عليه إخبار بغيب أو نحوه ـ حكايةً تمتلئ القلوبَ منها رعباً وهي :

أن ولياً سلبه الله ، وانقطع نورُ الحق من قلبه ؛ فكان قبل السلب تظهر عليه كرامات الأولياء ؛ وكان بعد السلب تظهر على يده من أمور الطبّ ما يتعجب منه فتنة لـه ، وليَظُن بعد السلب أنه على شيء ؛ فتسامَعَ الناس به من كلّ مكان ، ووفدوا عليه بالأموال الثقيلة ، وكان جَموعاً لها ، فبقي على ذلك مدة قريبة من ثلاثة عشر عاماً ؛ وجمع سبعين ألف دينار ، ومات ، ولم يترك وارثاً ، وورثة بيت المال ، وكان عاقبة أمره خُسراً . نسأل الله السلامة والعافية . والله تعالى أعلم .

الجنابة عندهم رضي الله عنهم

[س ١١] وسألته ـ رضي الله عنه ـ : عن شعور الوليّ بالجنابة ، إذا كانت على أحد ، ولم يغتسل منها .

[ج] فقال رضي الله عنه : الجنابة عند الأولياء شتى ، ويجب **الغُسل** من أمر واحد ؛ **وأسبابه** عند الأولياء : متعددة ؛ وعند العلماء : له سبب واحد ، فالأولياء : يجب عندهم الغسل في جميع تلك الأسباب ؛ وعند العلماء : لا يجب الغسل إلا من سبب واحد ، فسألته عن ذلك الأمر الذي له سبب واحد عند العلماء وتعددت أسبابه عند الأولياء ، فقال : هو انقطاع الذات عن الله تعالى . في نظرها بأن تَمُدَّ عيونَها كلّها عنه ـ تعالى ـ ؛ وتَمتلئَ عروقُها فرحاً بغيره ـ تعالى ـ وسروراً ؛ ويستوعبَ الفِكْرُ في ذلك الغير وسائر أجزائها ، وجواهرها ، بشرط أن يكون ذلك الغير قاطعاً عنه تبارك وتعالى في تلك الحالة . فإذا وقعت الذات في هذا الانقطاع الكلي ، نفرت الملائكةُ والحفظةُ منها ، واستعظموا انقطاعَ العبد عن ربه تعالى ، **فعند الصوفية : كل سبب قاطع أوجَبَ للذات هذا الانقطاع يجب الغُسل منه** ، وعند العلماء : لا يجب الغسل إلا من الجماع ، أو ما في معناه . قال : **وسر الغسل** : هو تطهير الذات من ذلك الانقطاع بتنزيله ـ أي الإنقطاع ـ منزلة النجاسة الحسيّة ، وإذا أخذ العبد في الاغتسال أخذت الملائكة في الرجوع . فسبب شعور الولي بالجنابة : رؤيتُه للملائكة نافرةً من الذات المنقطعة ، فَيَعلمُ بأن النفورَ سَببُه هو الإنقطاع الحاصل من الجنابة .

الغسل عند الأولياء

قاعدة

سر الغسل عند الأولياء

[س] فقلت : فالمراقب لله تعالى حالة الوقاع يقتضي - هذا الكلام - أنه لا يجب عليه غُسل ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : هذا بالنسبة لغيره نادر ؛ « والنادر لا حكم له » . والله تعالى أعلم . قاعدة

وسمعته - رضي الله عنه - يقول : يقدر الوليّ على أن يكلم أحداً في أذنه ، ولا يقوم عنه حتى يكون هو والولي في المعارف على حد سواء ، من غير فرق بينهما ؛ يعني : أن الولي الكامل يقدر على توصيل العبد إلى الله تعالى في هذه اللحظة .

قال رضي الله عنه : لكنّ الشأن كلّه في العَلك[٢٠] الذي يلصق به هذا السرّ ، فإنه إذا لم يكن في الذات عَلِكٌ رجع السرّ إلى أصله ، مثل من يلبس للهواء قميصاً وسَراويل وعِمامة ؛ فإنها لا تثبت فيه ، فأردت أن أسأله عن ذلك العلك فلم يُمكنْ في ذلك الوقت .

موت النفس : سبب معرفة الله تعالى

[س و ج] فافترقنا عند قرب العشاء ؛ فنمت ، فرأيته في المنام فسألته عنه ، فقال لي : هو موت النفس . فلما التقيت معه في اليقظة ، أخبرته بجواب المنام ؛ فقال رضي الله عنه : الجواب حقّ .

موت النفس وعلامته

[س و ج] فقلت : ما معنى موتِ النفس ؟ فقال : مرة هو أن تكون أفعال العبد كلّها خالصة لله ؛ فإذا كانت الأعمال لغير الله فذلك علامة حياة النفس ؛ وعلامة أخرى : إذا كان العبد يجد من نفسه وسواساً فهو آية على حياة النفس ؛ وبقدر كثرة حياتها يكثر الوسواس . فمن لا وسواس له فلا نفس له ؛ ومن له وسواس فله نفس حية ؛ ومن له نفس حية لا تكون أعماله لله تعالى ، بل لنفسه يسعى ولها يدبر ؛ فقلت : وما الترياق الذي إذا نزل عليها ماتت وذابت كما يذوب الملح في الماء ، فاذكره لنا حتى نضعه عليها ونستريح منها ؟ فقال : لا شيء إلا إذا نزل عليها الجبل الكبير .

معرفة الله تعالى

فقلت : وما الجبل الكبير ؟ قال : معرفة الله - تعالى - ومشاهدته . فإذا

---

(٢٠) شيء عَلِكٌ : أي لزجٌ . مختار الصحاح .

كان قلب العبد معموراً بها ، وعلم أنه من ربّه تعالى بمرأى ومسمع ؛ وأنه لا يتحرك في شيء إلا إذا كان هو المحرك له - تعالى - ؛ وأنه هو المنعم عليه - تعالى - بما شاء من النعم ؛ وأنّ مصيرَه في الدار الأخرى إلى ربه فيُدخله أيَّ دار شاء ؛ فإذا فكر في هذا علم قطعاً أنه لا يقدر على نفع لنفسه ولا لغيره في هذه الدار ، ولا في الدار الآخرة إلا إذا أعطاه ربه . فعند ذلك لا يتشوّف إلى غيره فتموت نفسه ، وفقنا الله لأسباب موتها بمنه وكرمه . والله تعالى أعلم .

لعبة الضامة حَرام

[س ١٢] وسألته - رضي الله عنه - : عن اللعبة المعروفة **بالضامة** ، - وقد مررنا على قوم يلعبون بها - فسألته عن حكم اللعب بها ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : هو حرام ، فقلت : ولِمَ ؟ فقال : « **جميع المحرمات إنما حرّمت لسبب واحد ، وهو ما فيها من الانقطاع عن الله تعالى** » ، فكلّ قاطع للعبد عن الله تعالى ولا غرض فيه للشارع فإن الله يحرمه ؛ قال : وهذه اللعبة لامنفعة فيها إلا الشغل عن الله تعالى ، فإن أربابها تراهم حين تعاطيها منقطعين إليها بالقلب والقالَب حتى تنسد جميع عيون ذواتهم عن الحق سبحانه في تلك الساعة ؛ فقلت : وكذا تعلم الرمي وجري الخيل وغير ذلك من آلات الحرب ، فيها انقطاع عن الله تعالى وقت الشغل بها ، فقال : ليست هذه بمنزلة اللُّعبة السابقة ، فإنه لا غرض فيها للشارع ، ولا تعود على العبد بمنفعة في ذاته بخلاف الرمي وجري الخيل وغيرهما من آلات الحرب ، فإنّ تعلمها من إعداد القوة المأمور بها في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [الأنفال : ٦٠]

لعبة الشطرنج

فكل ما هو مقصود للشارع أو يصح أن يكون مقصوداً ، ليس بقاطع عن الله تعالى . قال رضي الله عنه : ولذا اختلفوا في **الشطرنج** ، فمنهم : من أباحه نظراً إلى ما فيه من تعلم كيفية الحرب ، وغير ذلك مما فيه ؛ ويصح أن يكون مقصوداً للشارع . ومنهم : من منعه نظراً إلى أن مقصود الشارع في تعلم كيفية الحرب وغيرها لا يتوقف على تلك الطريق بالخصوص ، بل يحصل بطريق آخر ، أوضح منها وأسهل . فلهذا كان الشطرنج أخف من الضامة . والله تعالى أعلم .

[١٣] وسمعته ـ رضي الله عنه ـ ـ يحكي عن بعض الصالحين ـ ، : أن سبب رسوخ التوبة في ذات العبد ومدِّ أغصانها فيها ، وتمكنِ عروقها منها ، وبلوغها الغاية فيها ، هو محبة المؤمنين جميعاً من غير فرق ، كما يبغض الكافرين جميعاً من غير فرق . قال : فإذا كانت هذه المحبة في العبد نزلت عليه التوبة من الله ، ولو كرهها وأراد دفعها فإنها تنزل ، لا محالة . وسبب ذلك : أن العبد لا يفرّق في محبته للمؤمنين ـ حتى يحب بعضاً دون بعض ـ ، إلا لدسيسة بغض في قلبه نشأت عن حسد أو كبر أو نحو ذلك ، فتكون طويته خبيثة ، والتوبة النصوح لا تنزل إلا بأرض طيبة ، وطويّة طاهرة ؛ فإذا أحب جميعَ المؤمنين فقد ارتفعت الدسائس كلُّها عن قلبه ، فتنزل التوبة عليه حينئذ .

محبة المؤمنين هي سبب التوبة من الله تعالى

ومرة قال : مثل هذا لا يحتاج إلى توبة ، وهذه المحبة العامّة تكفيه في محو جميع الذنوب ، فإنها تُذهب من القلب جميعَ الدسائس الموجبة للذنوب ؛ قال : ومن أعظم تلك الدسائس الحسد وهو لا يبقى ـ قطعاً ـ مع هذه المحبة ، وإنما قلنا : إن الحسد هو أعظم الدسائس ؛ لأن جميع المعاصي والدسائس إنما تتفرع عنه ، وهو السبب في جميعها ، فإنك لا تبغض أحداً ـ لكونه أكثرَ منك مالاً وولداً ، ونحو ذلك ـ إلا لحسد منك له ، وكذا لا تتكبر عليه ـ إذا كنت أكثرَ منه مالاً وولداً وأعزَّ نفراً ـ إلا لكونك تريد أن تطرده عن بلوغ منزلتك بذلك الكبر الذي تتكبر به عليه ؛ وما ذاك إلا لكونك لا تحب تلك المنزلة له ؛ وذلك هو الحسد بنفسه . وهكذا القول في رد جميع المعاصي إلى الحسد .

الحسد أعظم دسائس النفس

قلت : وقد سبق [ص ٤٥٤] شؤمُ الحسد ، وأنه أحد أبواب الظلام . وأحلنا هناك على هذا الكلام . فالله تعالى يقينا شر أنفسنا وشر كلّ ذي شر .

[س] ثم قلت للشيخ ـ رضي الله عنه ـ : فإذا أحبَّ هذا الرجل جميعَ المؤمنين ، من غير فرق ؛ فأين الحبّ في الله ، والبغض في الله ، اللذان هما شعبة من شعب الإيمان ، فإنّ العاصي يستحق أن يُبغَضَ في الله ، فإذا أحببناه في الله خالفنا مقتضى عصيانه ... ؟ !

بغض العاصي لأفعاله لا لذاته

[ج] فقال رضي الله عنه : الذي يجب أن يتوجه البغض إليه في العاصي هو أفعاله ، لا ذاته المؤمنة ، وقلبه الطاهر ، وإيمانه الدائم ، فالأمور التي توجب محبّته لازمة ، والذنوب التي توجب بغضَه عارضة طارئة ؛ فتكون محبته هي الساكنة في قلوبنا ؛ وبغضُه يتوجه نحو الأمور العارضة ، حتى إنّا نمثل ذنوبه بين أعيننا وفي أفكارنا بمنزلة أحجار مربوطة بثيابه ، خارجة عن ذاته ؛ فنحبّ ذاته ، ونبغض الأحجار المربوطة بثيابه . وهذا القَدْر هو الذي أمَر به الشارع في بغض العاصي من غير زيادة عليه . وأكثر الناس لا يفرّقون بين بغض الأفعال الخارجة عن الذات ، وبين بغض الذات ، فيريدون أن يبغضوا الأفعال ، فلا يعلمون كيف يبغضونها ، فيقعون في بغض الذات ، وبُغض الذات إنما أمرنا به في حقّ **الكافر** ؛ فنبغض ذواتهم ، وكلّ ما يصدر عنها .

وأما **المؤمن العاصي** فإنّا لم نؤمر ببغضه بغضاً يطفئ محبةَ ذاته ، ومحبةَ إيمانه بالله تعالى ، ومحبةَ إيمانه برسوله ـ ﷺ ـ ، ومحبةَ إيمانه بجميع الرسل ، ومحبةَ إيمانه بجميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، ومحبةَ إيمانه بسائر الكتب السماوية ، ومحبةَ إيمانه باليوم الآخر وكلّ ما فيه من حشر ونشر ، وجنة ونار ، وصراط وميزان ؛ ومحبةَ إيمانه بجميع الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، ومحبةَ إيمانه بالقَدَر خيرِه وشرِّه ؛ وهكذا نحبّه على كل وصف ممدوح فيه ، فإذا تقدمت محبتنا فيه على هذه الخصال الحميدة لم يمكن أن يدخل بغضه في قلوبنا أبداً ، وإنما نبغض أفعاله ، وندعوا له بخير ، ولا سيا إن نظرنا إليه بعين الحقيقة .

وأكثر الناس إذا أرادوا أن يبغضوا العاصي توجهوا إليه ـ أولاً ـ قَبل كل شيء ، بالبغض ؛ وغفلوا عن الخصال التي توجب محبته ، فلا يستحضرونها في عقولهم ، فيسكن بغضه في قلوبهم ، ويسري ذلك البغض إلى ذاته ، فتكون هي المبغوضَة في نظرهم . وذلك لا يحل ولا يجوز . والله تعالى أعلم .

التميّز عن الناس قبيح

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن الذي يتميز عن الناس في مركبه وملبسه وداره ومأكله قبيح ، فقلت : وما سبب قبحه ؟ فقال : إنه يَشغَل قلوب الناس بالالتفات إليه ، فيقطعهم عن الله تعالى ، فيكون تميّزه عنهم سبباً في قطعهم .

فقلت : فالمحجوبون الذين يلتفتون إليه مقطوعون ، فلا يضرّهم التفاتهم إليه ؛ فقال : يزيدهم قطيعةً على قطيعة . قال : وأيضاً فإنّ الروح تنفر من الذات المشتغلة بهذا التميز ، لأن بذلك التميز يحصل للروح ذِلةً ومسكنة ، فتكره فعلَ الذات وتفرّعنها فلا تسددها ، ولا ترشدها إلى ما يليق بها مع خالقها ، فيكون ذلك سببَ هلاكها ... ! !

قلت فللتمييز حينئذ آفتان : آفة في نفسه ، وآفة في غيره .

ثم قال بعض الحاضرين ـ وكان جواداً سخياً كريماً ـ : يا سيدي ؛ أرأيت حبَّ الصدقة إذا أوقع صاحبها في هذا التميز ، أيضرّه ذلك ، أم لا ؟

الصدقة وشرط قبولها

فقال ـ رضي الله عنه ـ : لا يضرّه ، وينبغي له إخفاء الصدقة ما أمكنه .

[١٤] قال ـ رضي الله عنه ـ : وأعرف رجلاً تصدق فيما بين المغرب والعشاء بخمسة وعشرين مثقالاً على فقراءَ لا يحصون ، ولم يعرفه واحد منهم .

[س ١٤] فقال السائل : يا سيدي ، فإنْ أخفاها ، ولكنْ بقيت نفسه تتشوّق إليها ، وتفرح بها ؟ .

[ج] فقال رضي الله عنه : إن كان تَشَوُّفه إليها على وجه الفرح بها ، ورؤيتها عظيمة في عينه ، فجَعَلتْ نفسُه تعجب بها ؛ فهذا لا يَمنع الفعل والإخراج ؛ لأن الشخص المتصدق قد يصادف من نفسه غفلة عن هذا النظر ، فتخرج الصدقة سالمة ، فيتقبلها الله تعالى .

طول العمر. سببه

قال رضي الله عنه : وإنما طوّل الله أعمارنا ـ حتى صرنا نعيش الستين والسبعين عاماً ـ لهذه الفائدة ، وهي : أنه لعلنا ندرك في العمر الطويل ساعة من ساعات القبول ؛ وذلك لاستيلاء النفس والشهوة علينا ، حتى لا يكاد يصفو لنا فعل ، ولا يخلص لنا عمل ؛ قال : فَمِثل هذه العلة لا تمنع من الفعل .

وأما إن كان تشوف النفس إليها على وجه الرياء بها ، وإنما فعلها صاحبها لأجل الناس ؛ فهذه علة تمنع من الفعل ، وتصيره معصية ، وإن كانت صورته صورةَ طاعة فيما يرى الناس .

قلت : أشار - رضي الله عنه - بهذا التفضيل إلى ما ذكره الأئمة - رضي الله عنهم - من : أن **خوف العجب لا يمنع العمل** ، وإنما يمنعه الرياء ، فرضي الله عنهم وعن هذا الشيخ ما أوسع دائرة علمه ! وإني لأتعجب من ذلك كثيراً ؛ ومما يزيدني تعجباً على تعجب كونه عامياً أمياً ، وتصدر منه هذه العلوم التي لا تطاق ولا تحصى ، ولا تحتاج عند إيرادها إلى تفكير أصلاً ؛ فسبحان من أمدّه بهذه العلوم اللدنية ، والمعارف الربانية ... ! !

قاعدة

[**س**] ثم أعاد عليه السائل السؤال ، فقال : يا سيدي أخبرنا كيف يكون عملُنا من صدقة وغيرها خالصاً لوجه الله تعالى ؟

[**ج**] فقال رضي الله عنه : كلُّ ما عملتَه بقصد الأجور والحسنات فهو عمل لغير الله تعالى ، ولا بدّ أن يَعرِض فيه الوسواس ؛ فتقول في نفسك - إذا تصدقت بالقصد السابق - : لعل المتصدَّق عليه ليس أهلاً للصدقة ، وإن كان أهلاً : فلعل هناك من هو أولى وأحقّ بها منه ، وأقرب إلى الله تعالى في قبولها ، وقد فاتني ؟! إلى أن تختم وسواسك بقولك : وهل قبلها الله مني أم لا ؟ « **وكلّ عمل دخله وسواس فلا نصيب فيه لله تعالى** » إذ الوسواس من الشيطان ، والشيطان لا يقدر على القرب من العمل الذي هو لله - سبحانه وتعالى - .

أصل

[**س**] فقال السائل : يا سيدي وإذا تَصَدّقتُ لا بقصد الأجور والحسنات ، ولكن بقصد القرب من الله تعالى ، فهل يضرّ ذلك ، أم لا ؟

[**ج**] فقال رضي الله عنه : نعم ، يضرّ ، وقصدُ القرب : علة من العلل ، والعملُ لأجله إنما صدر لغرض من الأغراض .

معنى العمل الخالص لله تعالى

قال : وإنما معنى العمل لله خالصاً - عند أهله - هو : أن يعلموا مَا رَبُّهم عليه من أوصاف الجلالِ والكمالِ والكبرياءِ والعظمةِ ، وما لَه عليهم من النعم ، التي لا تعد ولا تحصى ؛ فيرونه أهلاً لأن يُخضع له ، ومستحقّاً لأن يُخشع منه ؛ ولا يخطر ببالهم حظ من حظوظ نفوسهم ، قط ، فضلاً عن أن يكون عَمَلُهم لأجله ؛ بل يرون أنهم لو عبدوا ربهم أبداً ، وأطاعوه سرمدا ، بأشقّ عبادة تُصوَّر ، وأثقلِ تكليفٍ يُفرض ، مع تطاول الأعمار واستمراره عليه ، - ما دامت الأعصار - ،

ما قاموا بشيء من الحقّ الواجب للربّ ـ سبحانه ـ على المربوب . وإنما يُتصور من العبد أن يعمل لحظوظ نفسه أن لو فَرَغ من القيام بحقوق ربّه ؛ وإذا لم يستطع أبداً أن يوفي بواحد منها ، فكيف يطمع أن يوفي بها كلّها ؟ أم كيف يطمع أنْ يتفرغ للعمل لحظوظ نفسه ؟ ... !

ندم أهل الجنة

قال رضي الله عنه : وإذا دخل أهل الجنة الجنة ، وازدادوا معرفة في خالقهم سبحانه ، ندموا كلُّهم على ما قصَّروا في جنب الله[21] .

قال رضي الله عنه : وإذا تأملتَ ما قلناه ، علمتَ أن العملَ للأجور قاطعٌ عن الله ـ تعالى ـ وعن القيام بحقوقه ؛ ولهذا كان لا يزيد صاحبَه إلا بعداً من الله عز وجل ـ قال : وإذا عَبدتَ الله تعالى لكونه أهلاً لذلك لم يمكن أن يدخلَ عِبادَتَك وسواسٌ أبداً .

[س] فقلت : يا سيدي ، فإذا كان المتصدق يرى ـ حين إخراج الصدقة ـ أن المالَ لله لا له ، وذاتَه هي لله لا له ، وذاتَ المسكين المتصدَّقِ عليه لله ، فهو يرى أنّ الكل لله ؛ فيُخرج صدقته على هذه النية ، ولا يرى لنفسه شيئاً أصلاً ؛ فكيف تكون صدقةُ من هذه صفتُه ؟ !

[ج] فقال رضي الله عنه : من أحسن ما يكون . وقد سبق ما قلنا لكم في حكمة تأخير بعثة الرسول ﷺ إلى أن بلغ أربعين سنة .

قلت : ولعلنا نذكره فيما يأتي إن شاء الله تعالى[22] .

حكاية مع بهلول

ثم حكى لنا حكاية وقعت له مع رجل بُهْلُول[23] ، وحاصله : أنه قال رضي الله عنه : كنت أعرف رجلاً بُهلولاً وهو من الصالحين ؛ وليس عنده في فصل البرد الكُسوة التي تقيه من البرد ، فكان يهمني أمره ، وتدخلني الرحمة والرقة عليه كثيراً ؛ قال : وربما تَصدق عليه بعض الناس بِكُسوة تَقيه من البرد ، فيجيء من لا يخاف

---

(21) وسيأتي أيضاً ص (   ) جـ ٢ .

(22) قلت : لم أجد له ذكراً فيما يأتي وفيما سبق .

(23) البهلول من الرجال ـ بالضمّ ـ : الضحاك اهـ . مختار الصحاح .

من الله ـ عز وجل ـ فيزيلها عنه ويذهب بها . قال : فجئته بكُسوة تقيه من البرد، وكان يَبيت في بعض الأرحية التي يطحَن فيها . فجئت ذلك المكانَ فوجدته فيه ، فكلمته فأجابني ، فقلت : أتيتك بكُسوة لتلبسها ، فقال : لا أقبلها ، ولا ألبسها ؛ وكنتُ تصدقتُ بها عليه بنية أن يرزقني الله حاجة كذا ، ولم يعلم بذلك أحدٌ إلا الله سبحانه ؛ فلما سمعت منه الإباية ، أعدت عليه القول ، وكررته مراراً ؛ فعند ذلك قال : إني لا ألبس الكُسوة التي أخرجت لحاجة كذا ـ وذَكَر الحاجة بعينها ـ ، وإنما ألبس ما هو لله خالصاً ؛ فذهبتُ ، وتركتها بقربه ، ووصيّت أهل الرحى عليها وأن يلبسوها له ، فَبَقيتُ هناك أياماً وما لبسها قطّ . فإذا كان هذا مخلوقاً ، وأبى من قَبول ما هو لغير الله ؛ فكيف بالخالق سبحانه ... ! ؟ والله تعالى أعلم .

حكاية

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : كان بعضُ العبّاد المفتوح عليهم في العبادة مريضاً بعلة الاستسقاء ، فلما أحسّ بالموت ، وقد بقي على عقله ـ لأن غالب من يمرض بعلة الاستسقاء يبقى على عقله ـ ، فلما شاهد أَلَم الموت ، وعَلم أنه ما مرّ عليه في عمره مثله أبداً ، أكسبه ذلك خوفاً من الله ـ تعالى ـ ، وامتلأ قلبه رعباً من لقائه ـ عزّ وجلّ ـ ، فوقع في فكره ما سلف من العبادة الكثيرة ، ففرح بها ، وسَخِن قلبه بها ، وجعلها في مقابلة ذلك الخوف ، فأكسبه ذلك أمناً وهناء في قلبه ؛ فلما علم الله منه أنه اعتمد على عبادته سلبه الله ـ عزّ وجلّ ـ ، فمات مسلوباً ـ والعياذ بالله ـ قال : وكم في جهنم من عابد مثله ، أدخلهم الله جهنم لاعتمادهم على عملهم .

قال رضي الله عنه : ولا شك أنه لا يَعتمد على العبادة إلا من فعلها بقصد الأجر وحَظِّ النفس ، ولو كانت لله خالصاً لنفعتهم في هذا اليوم العظيم .

مطلب
عبادة العارفين بالله

قال رضي الله عنه : **وعبادة العارفين بالله** تعالى إنما هي لأجل وجوده الكريم ، وذاته الرفيعة ؛ فيفعلونها إجلالاً وتعظيماً ومهابة وتوقيراً ؛ ويعلمون أنهم لو عبدوا طولَ عمرهم ، ونطحوا الصخور بجباههم ، ـ دائماً سرمدا ـ ، ما وَفَّوا بشيء من حقوق الربوبية ، فكيف يطلبون لأنفسهم أجوراً .. ؟ ! لأنه لا يطلب الأجر إلا من رأى أنه قام بالحق ، وأدى الواجب عليه ؛ وهم ـ رضي الله عنهم ـ يرون أنفسهم مقصّرين ، ما قاموا لله بشيء ، مع أنهم يشاهدون الفعل الصادر منهم ، إنما هو منه تعالى لا منهم ؛ فكيف يطلبون الأجر على ما فعله غيرهم ؟ .. !

[س] فقلت : فأيَّ شيء سُلبَ هذا العابد ؟ أمَا المعرفة فإنها ليست عنده ؛ فإنه لو كان عنده منها شيء ما اعتمد على عمله ؛ فالمسلوب إذاً ، إمّا الإيمان وإما الحسنات .

[ج] فقال رضي الله عنه : المسلوب عنه هو الحسنات التي فعلها ، فإنّ نَظَره إليها ، واعتماده عليها ، أزال عنه جميعَ الرحمات المترتبة عليها ، ورجعت تلك الحسناتُ بأسرها معاصيَ وذنوباً ، يُعاقَب عليها في جهنم .

[س] فقلت : أفلم يَكف إحباطُها بالنظر إليها في عقوبته . حتى رجعت ذنوباً ؟ .

[ج] فقال رضي الله عنه : النظر إليها هو الذي صيّرها ذنوباً ، فإنك إذا رأيت حربه قصدتك ، وتراها داخلة في جنبك لا محالة ؛ فإذا أردت أن تتقيها بدَرْقَة[٢٤] فإنك لا تتقي بها حتى تقطع وتجزم بأن الدَرْقة أقوى من ضرب الحربة ، حتى إنها تردّها وتردّ غيرها . ولو كنتَ تعلم أن الدرقة لا ترد الحربة ، فإنك لا تتقي بها ، وإنما تستجير بصاحب الحربة ، وتدخل في حماه ، وتطلب رضاه ، لعله يرحمُك ، حتى يرد حربته عنك .

قال : فكذلك هذا العابد ، فإنه ما جعل عبادته في مقابلة ذلك الخوف ، وسكن قلبه ، ودخله الأمن والهناء ، حتى كان يرى أنها أقوى مما لله عليه من الحق الواجب ، وأقطع منه وأمضى ، حتى تردّه وتردّ غيره . وهذا غاية الضلال .

سِرّ مشروعية العبادات والشرائع

قال ـ رضي الله عنه ـ : وأيضاً ، فإن العبادات بأسرها ، والطاعاتِ كلَّها ، والشرائعَ بجملتها إنما نصبها الله ـ تعالى ـ لعباده ، لتقام كلمة التوحيد ، وتحصل المعرفة في قلوب الخلق بربهم ؛ فإذا حصلت هذه المعرفة حصل المقصود ، وإذا لم تحصل فلا عبرة بالوسيلة عند فوات المقصود .

قال : والمعاصي إنما حرّمت لأن فيها قطعاً للعبد عن الله ـ عز وجل ـ ؛ فإذا كانتَ الطاعات تقطع العبد كانت معاصيَ بلا إشكال . والله تعالى أعلم .

(٢٤) الدَّرَقَة : الترس من جلد ، ليس فيه خشب ولا عَقَب ا هـ . المعجم الوسيط .

مطلب مخالطة أهل الظلم

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن في أرباب المخزن[☆] ، وأهل الظلم ، من هو مؤمن متعلق القلب بربّه ـ سبحانه ـ ، وفيهم من هو منقطع عن الله ـ عزّ وجلّ ـ ؛ وعلامة ذلك : الانقباض والانبساط ؛ فمن كان منهم منقبضاً متغيراً ، يعلم أنّه مخالف لأمر ربه ، مطيعٌ لغيره ، متكدر البالِ متغير الحال ، فذلك هو **الأول** : فهو من الناجين في الآخرة ، بعد الحساب والعقاب والملام والعتاب ، إلا أن يعفو الله ـ سبحانه ـ ؛ ومن كان منهم ـ حالةَ ظُلْمِهِ ـ منبسطاً فرحاً مسروراً لا حزن عليه ولا خوف ، فذلك هو **الثاني** ؛ فهو يستحلي المعصية وظلم العباد ، كما يستحلي الجُعَل[٢٥] النجاسات وأكلَ القاذورات ، قلت : وقد سبق [ص ٤٥٩] أنه من أشد الناس عذاباً يوم القيامة .

ذَكَر هذا الكلام لرجل استشاره في خِلطة المخزن ، وأنه إن لم يخالطهم خاف على نفسه ؛ فدله على الخير ، وأوصاه بالمساكين ، وذكر له الكلام المتقدم ، وزاده زيادة ، **فقال : إن المؤمن كطير نزل على أرض نجسة ، فينقبض ويضم جناحيه ، وعلى أرض طاهرة فينبسط ويفتح جناحيه ، ويسعى في الطلب** . وقال له : إن أهل الانقطاع ـ والعياذ بالله ـ إذا غصبوا دراهم ؛ وجعلوها في جيوبهم ؛ وكان على تلك الدراهم اسم من أسماء الله تعالى ؛ فإذا جاء من هو متعلق بربه تعالى ، واحتال على تلك الدراهم بالطلب أو غيره ، حتى أخذها من ذلك المنقطع ، فقد أنقذ ملائكةً كراماً على الله ـ عز وجل ـ ؛ وذلك أن **على كل حرف من أسمائه تعالى مَلَكاً ؛ وعلى كلّ اسم من أسمائه تعالى ملكاً فيه قوة سبعين ملكاً** ، فما دامت الدراهم التي فيها الأسماء عند ذلك المنقطع ، فإن كلّ مَلَك من أولئك الملائكة يكون بمنزلة طائر ، قد أُخذ وكُتِّفَ وأُخرجَ رأسه من تحت جناحه ، فإذا جاء المتعلّق بالله فأخذه بحيلة من الحيل ، فإن المَلَك يحصل له فرح وسرور ، ويزول ما به من الضيق ، لكراهتهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ **لأهل** الانقطاع . والله تعالى أعلم .

ضرب مثال

تخليص مال التعصب

---

(٢٥) الجُعَل : وزان عُمَر الحرباء .. كما في المصباح . وقال في المعجم الوسيط :حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية . اهـ .

(☆) يعني بذلك ـ والله أعلم ـ الحكام وأعوانهم في زمنه رضي الله عنه . اهـ المحقق .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إنما أخذ العبد الضعيف ، وكان تدميره في تدبيره حيث عَزل ذاته عن الله تعالى ، وجعل ينظر في أمرها بالتدبير والقيام عليها ؛ ويبذل مجهوده في تحصيل مطالبها ، وهو في ذلك كلّه غافل عن الله تعالى ؛ فوَكَله الله تعالى إلى نفسه ، وجعله يشعر بالأغيار كما انقطع إلى الأغيار ؛ فتراه يتألم بالبرد والحرّ ، وتضره الجراحات ، وغير ذلك من أنواع الأذيّات . ولو أنه لم يعزل نفسه عن ربّه ـ عز وجل ـ ، وجعل زمامها بيد خالقه ، وقَطَع النظر عن غيره ، ومحا من قلبه جميعَ الأغيار ، فإنه لا يحسّ حينئذ بألم من الآلام ، ولو كان يمشي على حسك الحديد والسَّفَافيد[٢٦] ، قال : ولأجل الغفلة عن الله سبحانه عَظُم الحِمل على العبد ، وجاءته التكاليف ، وأرسلت إليه الرسل بالشرائع ، ليردّوه عن الغفلة إلى الله ـ سبحانه ـ ؛ ولولا الغفلة عن الله تعالى لكان البشر مثلَ الملائكة ، ولم يحتاجوا إلى تحمل هذه التكاليف الشاقة ؛ ولولا الغفلةُ عن الله تعالى لم تكن جهنّم أصلاً ؛ ولولا الغفلةُ عن الله تعالى لشاهد العبد أفعاله مخلوقةً لربه سبحانه ، فلم تكن له نفس يشاهدها ـ فضلاً عن أن ينسب إليها شيئاً ـ ؛ وإذا كان بهذه المثابة فإنه يكون فانياً دائماً . فكيف يكلّف مثل هذا ؟.. ! والله تعالى أعلم .

أعقل الناس وأحمقهم

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : ـ **أحمق الناس** : من يشدّ في الذي يمشي ـ يعني ـ : الذي يفنى وهو الدنيا ، وما يتعلق بها . **وأعقل الناس** : من يشد في الذي يبقى ، وهو الحق ـ سبحانه ـ ، فإن « الفانيَ إذا قُبض في الفاني لم ينفع أحدهُما الآخَر ؛ وإذا قُبض الفاني في الباقي صار الفاني باقياً » .

أصل

دواء الموت

قال رضي الله عنه : والناس يقولون : لا دواء للموت . وهو له دواء ؛ ودواؤه ما ذكرناه ، لا دواءَ له غير ما ذكرناه . ثم أقسم بالله ، وأكّد قسمه وكرّره مراراً ، وقال : إن العبد إذا شدّ في الله ـ سبحانه ـ شداً عجيباً ، ظاهراً وباطناً ، فإنه لا يفنى ، ولا يموت الموتة التي يعرفها الناس .

من أحوال أهل الديوان

قال رضي الله عنه : وغالب أهل الديوان إذا ماتوا فإنهم يُغسّلون أنفسهم ؛ فترى ميتاً على النعش ومُغَسِّلاً ، وهما شيء واحد ... ! والله تعالى أعلم .

---

(٢٦) السفافيد : مفرده سَفود . وهو عود من الحديد ينظم فيه اللحم ليشوى . المعجم الوسيط . قلت : وتسميه العامة : سيخ وأسياخ .

حكاية عجيبة فيها دلالة على أن مخالطة المؤمنين خير من العزلة

[١٥] ولنختم هذا الباب بحكاية عجيبة سمعتها منه - رضي الله عنه - ، وذلك أني كنت أتكلم معه - ذات يوم - ، فذكرت له تعظيم الناس للعُبَّادِ المنقطعين في الكهوف وجزائر البحر، ومدحتهم كثيراً ، وقلت : إنهم انقطعوا لعبادة الحقّ - سبحانه - ، وتجردوا من جميع الأغيار .

قال رضي الله عنه : أحكي لكم حكاية ، فاسمعوها - واللهُ حسبي وسائلي إن زدتُ فيها شيئاً - ؛ فقلت : معاذَ الله أن يقعَ هذا في أوهامنا ، أو يهجُسَ في خواطرنا .

قال رضي الله عنه : كنت ذات يوم في المصلى - بباب الفتوح - مع سيّدي منصور - يعني القطب - ، فبَدَا لنا أن نذهب إلى جزيرة في البحر الكبير[٢٧] الذي يضرب في مدينة سلا ، قال : فذهبنا إليها ، فإذا هي جزيرة فيها قدر ميل ، وفيها عينان من الماء العذب ، ووجدنا فيها رجلاً يعبد الله - تعالى - وسنّه نحو الأربعين سنة ، وفيها بيوت منحوتة من الحجر ، وفي وسط البيوت بويتات صغار كهيئة البيوت الصغار التي في داخل الحمام ؛ قال : ولا أدري مَنْ نَحَتَها ، لأن الموضع بعيد عن العمران جداً ، ولا يبلغه أحد وقد تبلغه السفن أحياناً ؛ وفيها من الأشجار نوع يشبه ثمرُهُ ثَمَرَ اللَّوز ، إلا أنه يخالفه ؛ ونوع آخر ، يشبه شجر التغزاز - المعروف عندنا - ، إلا أنه أقصر منه ؛ وله ورق عريض أخضر دائماً . فنظرت إلى الرجل ، وإذا قُوْتُه ذلك الثمر ، الذي يخرج من النوع الشبيه باللوز ، وذلك الورق الأخضر الذي في النوع الآخر الشبيه بالتغزاز ؛ فهذا قُوْتُه دائماً . ونظرنا إلى لباسه ، فإذا هو قد عمد إلى قضبان ذلك النوع الشبيه بالتغزاز - وهي قضبان رقاق - ، فَضَفَر بعضها مع بعض ، حتى جعل منها مثل الحزامة ، فاحتزم بها وستر عورته ، والباقي بلا ستر . فكلّمناه ، وقلنا له : كم لك في هذا الموضع ؟ فقال : لي فيه نحو الأربعين سنة ، فقلنا له : سنّك كله قدر الأربعين ؛ فمتى جئته ؟ قال : جئته مع أبي ، ولي نحو من خمس سنين وأنا صبي صغير ، فبقيت مع أبي نحو الخمس والعشرين سنة حتى

(٢٧) البحر الكبير : قلت : أي البحر المحيط الأطلنطي - ومدينة سلا : تقع على ساحله قرب مدينة الرباط [انظر خارطة المغرب المعاصرة] .

مات ، فدفنته هناك ؛ فقلنا له : أرنا قبره لنزوره : فأرانا قبره فدعونا له ، ثم جعلنا نتكلم معه ، فوجدنا لسانه ثقيلاً جداً ، لقلة مخالطته للناس وهو صغير ؛ ووجدناه يتكلم بالعربية لأنه من القوم المجاورين لتونس ؛ وهم يتكلمون بالعربية فسألناه عن الإيمان ؟ فوجدناه يعرف الله إلا أنه يعتقد الجهة ؛ فنهيناه عن ذلك ، وبيّنا له الصواب ؛ ووجدناه يعرف رسول الله - ﷺ - وأنه سيد الأولين والآخرين ، ويعرف أبا بكر - رضي الله عنه -، ويعرف فاطمة بنتَ الرسول - عليه الصلاة والسلام - ؛ وسألناه عن ابنها سيدنا الحسن ؟ فلم نجده يعرفه ؛ وسألناه عن شهر رمضان ؟ فما وجدناه يعرفه ، وذكر أنه يصوم ثلاثين يوماً ولكنها مفرقة في السنة ؛ فبيّنا له وجوب صوم رمضان ، وعينا له موضعه من السنة ؛ وسألناه عما يحفظ من القرآن ؟ فلم نجده يحفظ منه سوى :

﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ - الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

هكذا يَحْفَظُ هذا القَدْر مُصَحَّفا . فقلنا : وما عبادتك ؟ فقال : الركوع والسجود لله - عزّ وجلّ - ، فقلنا له : هل تنام ؟ قال : أنام عند سقوط الشمس للغروب ، إلى أن يظلم الحال ، وما عدا ذلك كلّه ركوع وسجود .

فقلت له : هل لك أن تخرج إلى بلاد الإسلام ، وتعاشر أهله فإنك على دينهم وتؤمن بنبيهم - ﷺ - ؟

فقال : نعم ؛ أنا مسلم من جملة المسلمين ؛ ولكنّي لا أخرج عن موضعي هذا حتى أموت ؛ قال : وكنا إذا كلّمناه وقرّبنا منه - عند الخطاب - يفرّ منا ، لعدم إلفه بالناس ؛ قال : وهو لا يطيق أن يأكل من طعامنا ، ولا تطيقه ذاته لطول إلفها بغيره ؛ قال : ونظرنا ، فإذا نحوٌ من ثُمن مدّ من الريالات عنده وفيه بعض المثاقيل من الذهب ؛ فقلنا له : من أين لك هذا ؟ فقال : أرباب السفن يأتون في بعض الأحيان إلى هذه الجزيرة ، فيرونني ، فيعطونني شيئاً من الريالات والدنانير بقصد الزيارة والتبرك ، ويطلبون مني معروفاً ؛ فأدعو لهم وينصرفون ؛ فقلنا له : أعطنا هذه الدنانير والريالات ، فإنه لا حاجة لك بها ، لأنك لا تنوي أنْ تبني بها داراً ؛ ولا أن تتزوج بها ؛ ولا أن تكتسي بها ؛ فما لك بها من حاجة ؛ فنأخذها

نحن .. ! ؛ فلنا بها حاجة ؛ فأبى ، وقال : دراهمي لا أعطيها لكم ؛ قال : وبقينا معه ساعة طويلة بقصد أن نعلمه شرائع الإسلام ؛ ثم ودّعناه وانصرفنا ، فلما رآنا نمشي على ظهر الماء بأرجلنا ، ولا يصيبنا من الماء شيء ، ولم يحصل لنا غرق ، جعل يستعيذ بالله منا ، وظن أننا من الشياطين .

قال رضي الله عنه : وهو إلى الآن في جزيرته في قيد الحياة ، وذلك في الثاني من ذي الحجة مكمّل تسعة وعشرين ومائة وألف . ١١٢٩ هـ

قلت : وفي هذه الحكاية **مواعظ** :

الموعظة الأولى : معرفة النعمة الحاصلة لنا في مخالطة المؤمنين ، فإنّ ذلك يوصلنا إلى معرفة شرائع الإسلام وأحوال النبي - ﷺ - وسيرته وسيرة أصحابه - رضي الله عنهم - ، وكيف كان زمانه ﷺ ، وزمان أصحابه - رضي الله عنهم - ؟ إلى غير ذلك من الأمور التي يزيد بها الإيمان ؛ فإن هذا الرجل لمّا فاتته مخالطة أهل الإسلام فاتته معرفة هذه الأحوال ؛ حتى قلت لشيخنا - رضي الله عنه - : لقد أضرّ به أبوه ، الذي قدم به إلى هذه الجزيرة ، وقطعه عن أهل الإسلام ؛ ولو تركه معهم لكان خيراً له ، وأسعد به ؛ فقال لي : صدقت ، فها هنا تُعرف قيمة المؤمنين ، - ولو كانوا عصاة - ، فإن معرفتهم بالدين وشرائع الإسلام لا يَعْدِلها شيء ؛ فالحمد لله على مخالطة أهل الإسلام ، ومزاحمتهم في الأسواق ونحوها ولا سيا المزاحمةً في مواطن الخير ؛ ولهذا يقول الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني - رضي الله عنه - : **إنّ النظر في وجوه المؤمنين يزيد في الإيمان** .

النظر في وجوه المؤمنين يزيد في الإيمان

الموعظة الثانية : معرفة النعمة التي أنعم الله بها علينا ، في الأكل والشرب ، والكِسوة والنوم والراحة ، والنكاح والتناسل ، وغير ذلك ، من النعم التي حُرمها هذا المتعبِّد ؛ فإنه كما حرم معرفة هذه النعمة حرم هذه النعم أيضاً ؛ ولو خالط أهل الإسلام لتنعم بهذه النعم ، وشكر الله عليها ، وكان شكره عليها موفّياً وقائماً بعبادته في تلك الجزيرة طول عمره .

الموعظة الثالثة : ما يغترّ به كثير من الناس في أمر المنقطعين في الفلوات والخلوات ؛ واعتقادهم الكمال فيهم ، وأن المقام الذي يبلغونه لا يبلغه الأولياء

العارفون المنغمسون في الناس ... !

وقد سمعت الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يقول : إنّي أنظر أحياناً إلى أنوار الإيمان الخارجة من الذوات حتى تتصل بالبرزخ ، وهي أنوار مختلفة بالرقة والغِلَظ ؛ والرقةُ تدل على ضعف الإيمان ، والغِلَظ على قوته ؛ ثم ننظر إلى العُبّاد الذين في الكهوف والفَلَوات فنرى الرقة غالبة على أنوارهم إلا من قلّ منهم . وننظر إلى العامّة فنرى أنوارهم أحسن من أولئك المنقطعين ، لاعتماد العوام على فضل الله ـ سبحانه ـ ، واعتماد العبّاد ـ غالباً ـ على عبادتهم .

رقة الأنوار وغلظها

قال رضي الله عنه : والعابد لا ينجو من عبادته إلا إذا كان يراها من ربّه باطناً ، ويدوم ذلك على فكره ؛ فإنْ غاب ذلك عن فكره وجعل يراها منه فهو إلى العطب أقرب منه إلى السلامة .

ولمّا سمعت من شيخنا ـ رضي الله عنه ـ هذه الحكاية حصل لي رقة وخشوع بمعرفة النعم التي أنعم الله بها علينا ؛ ونحن عنها غافلون .

[س] ثم قلت للشيخ ـ رضي الله عنه ـ : ولِمَ لَمْ تأخذوا بيد هذا الرجل ، وتخرجوه من الجزيرة إلى مدينة من مدن الإسلام ، ليرتاح ، ويرحمه الله تعالى ؟ .

[ج] قال رضي الله عنه : ذلك مقامه الذي أقامه الله فيه ، فسبحان من له هذا المُلك .. !

قال رضي الله عنه : ومن نظر إلى العجائب التي على وجه الأرض كفته ، ولم يحتج في توحيد ربّه إلى شيء آخر ؛ فإنه يرى على وجه الأرض خلائقَ مجتمعين ـ يعني جملةَ مَن على وجه الأرض ـ فيهم العاقل وغيره ، والمُنَعَّم والمحروم ؛ وهذا يقتل هذا ، وهذا يرحم هذا ، وهذا يجول بخواطره في أمور الدنيا ؛ وهذا في أمور التجارة ؛ وهذا في أمور جيرانه ؛ وهذا في أمور العلم ؛ وهذا في أمور الآخرة .

قال رضي الله عنه : وأخبرني شيخي ـ سيدي عمر بن محمد الهوّاري ـ أنه كان جالساً يوم الخميس ـ بباب المحروق ـ وجعل ينظر إلى بواطن الخارجين من الباب ؛ فخرج رجل فنظر إلى باطنه ، فإذا هو ليس فيه إلا التفكر في فلانة ـ حبيبته ـ

صورة كشف عن اختلاف بواطن الناس

كيف يظفر بها ، وكيف يكون أمره في ذلك ؟ واستولى عليه هذا التفكير حتى أذهله عن غيره . ثم خرج آخر ؛ فنظر إليه فإذا هو قلبه على مثل صفة الأول ، إلا أنه متعلق بصبي . ثم خرج ثالث ، فنظر إليه ، فإذا قلبه متعلق بالدنيا ، وقد استولى عليه الفكر فيها حتى صار لا يشعر بغيرها . ثم خرج رابع ، فنظر إليه ، فإذا باطنه متعلق بمحبة شرب الخمر ، والتلهف عليه ، لا يجول في فكره غير ذلك . ثم خرج خامس ، فنظر إليه ، فإذا فكره يجول في الآخرة وأمورها ، وغلب ذلك عليه حتى ظهر عليه . ثم خرج سادس ، فإذا قلبه معمور بمحبة العلم ، وقراءته ، لا يجول خاطره في غير ذلك . ثم خرج سابع ، فنظر إليه ، فإذا فكره لا يجول إلا في محبة ركوب الخيل ، واستولى عليه ذلك ، حتى أنساه غيره ، ثم خرج ثامن ، فإذا فكره لا يجول إلا في محبة الحرث ، وكيف يسعى فيه ، لا يتفكر في غيره . ثم خرج تاسع ، فإذا فكره معمور بمحبة سيّد الوجود ـ ﷺ ـ ، واستولى ذلك عليه ، حتى صار فكره لا يجول إلاّ في أحوال النبيّ ـ ﷺ ـ ، كيف كان قبل البعثة ، وكيف كان بعدها ؟ ، ثم كيف كان بعد نزول الوحي عليه ؟ ويجول في سكناه بمكة ، وسكناه بالمدينة ـ ﷺ ـ . ثم خرج عاشر ، فنظر إليه ، فإذا قلبه معمور بمحبة الله ـ عز وجل ربّ العالمين ، وخالق الكلّ أجمعين ـ ؛ فيجيل الفكر في عظمته وجلاله ، وتنزّهه وتقدّسه ، وما له من عليّ الصفات ـ سبحانه ـ .

تفكر العارفين

قال الشيخ سيدي عمر ـ رضي الله عنه ـ : ثم نظرت إلى الأمر الباطن الحاكم فيهم الناشىء عن إرادته تعالى فيهم فوجدته في بواطنهم كالحَبْل الذي يقودهم إلى مراد الحق ـ سبحانه ـ فيهم ، وهم عنه غافلون ؛ يحسبون الفعل منهم والاختيار موكولاً إليهم . قال : فحصلت لي عبرة كبيرة ، وعلمت أنه (لا إله إلا هو) وأنه تعالى لا شريك له في ملكه ، وأنه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

﴿ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد : ٤١]

وأن الخلق في غفلة كبيرة ، وحجاب عظيم . قلت : فمثل هذا هو تفكر العارفين ـ رضي الله عنهم ـ .

وقد سمعت الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يقول : قد يمر رجلان بموضع من

المواضع ، فلا يمشيان فيه إلا قليلاً ، حتى يغفر لأحدهما .

فقلت : ولِمَ ؟ فقال : لمعرفته كيف يتفكر في مخلوقات الله ؛ وصاحبه الذي عاشيه ساهٍ لاه.

فهذا ـ وفقك الله ـ ما ظهر لنا أن نكتبه من كلام الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في هذا الباب . وهو : باب دخول الظلام على العباد وأفعالهم ، ودخول الأنوار عليهم . فإذا انضم هذا إلى ما سبق في تعبير الرؤيا من **درجات الظلام العشرة**[٢٨] التي هي : درجة سهو المكروه ، ودرجة سهو الحرام ، ودرجة عمد المكروه ، ودرجة عمد الحرام ، ودرجة الجهل البسيط في العقيدة الخفيفة ، ودرجة الجهل المركّب فيها ، ودرجة الجهل البسيط في العقيدة الثقيلة ، ودرجة الجهل المركّب فيها ، ودرجة الجهل البسيط في الجناب العليّ ـ ﷺ ـ ، ودرجة الجهل المركب فيه . وعلم الواقف على كلامنا ما ذكرناه في ذلك الباب ، وفي هذا الباب ، حصل على معرفة كبيرة ، نفع الله بها الوارد والصادر ببركة الشيخ رضي الله عنه ، آمين . والحمد لله رب العالمين .



☆ ـ انتهى الجزء الأول ـ ☆

ويليه الجزء الثاني وهو الأخير

مع الفهارس المتنوعة

---

(٢٨) المتقدمة ص ٢٦٦ .

المحتوى (حسب تسلسل الأبحاث)

الباب الثاني ٣٢٥ ـ ٤٣٤

ج - سبب نزول الآية ما كان عليه الجاهلية والعرب ... من المجادلة عن الظالم ... والمجادل : هو الذي يظلم نفسه بشهادة الزور ٣٣١

س ٧ - قوله تعالى ﴿ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها ... ﴾ ما معنى أحق بها وأهلها ؟ حيث لا أحقية قبل الإسلام ٣٣٢ ج - الأحقية بحسب الوعد الأول قبل خلق المخلوقات

س ٨ - قوله تعالى ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾ هل كانت عاد أخرى ثانية ؟

ج - عاد الثانية أرسل إليها هود عليه السلام مجدداً ... وليست عادٌ الثانية كلها من ذرية إسماعيل بل هود عليه السلام وعشيرته ٣٣٤ - إرم ذات العماد - خية كبيرهم

- عادٌ الأولى : كانوا قبل نوح عليه السلام وأرسل إليهم هُوَيْدٌ عليه السلام ٣٣٥ . فائدة : لا يكون الوليّ ولياً حتى يؤمن بجميع الكتب تفصيلاً (وهي للغوث فقط) - أرسل قبل نوح عليه السلام ٧٠٠ رسول ٣٣٦ - نوح عليه السلام أول من أرسل إلى قوم كافرين . - حديث الشفاعة مع تعليق مهم .

س ٩ - قوله تعالى ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ... ﴾ هل أخطأ داود وأصاب سليمان عليهما السلام ؟ ٣٣٦ - ذكر ثلاث قصص عنهما عليهما السلام كشاهد ٣٣٧ : قصة المرأتين اللتين خطف الذئب ولد الكبرى منهما - .... - امرأة وُجد في فرجها ماء ج - لم يخطئ داود وإنما حكم بصميم الحق وسليمان حكم بالصلح ٣٣٨ وتوجيه الحكم في القصص الثلاث الباقية

س ١٠ - قوله تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ مع بحث مطول عن اللغة السريانية ٣٤٠

ج - الساق (بالسريانية) الجد - ضد الهزل - ونفسها في العربية وهو من توافق اللغتين ٣٤٠

أسماء بالسريانية : اسم عيسى ﷺ = مشيخا الإنجيل : معناه نور العين التوراة : معناه الشريعة ، الكلام الحق ٣٤١ سيدنا محمد ﷺ = مشفح ، المُنْحَمَنّا

- دعاء الدسوقي قدس سره ٣٤١ - معنى قوله في دعائه : أحمى حميثا ، أطميَ طميثا ... ٣٤٢

خصائص اللغة السريانية ٣٤٢ : لغة الأرواح ، بها يتخاطب الأولياء من أهل الديوان - كل حرف فيها يدل على معنى ٣٤٣ - هي سارية في جميع اللغات - البارقليط اسمه ﷺ بالعبرانية ٣٤٣ - الولي المفتوح عليه فتحاً كبيراً يتكلم بها ٣٤٧ - سبب تغير اللغات عن السريانية ٣٤٤ - آدم لما نزل إلى الأرض كان يتكلم بالسريانية مع أهله - لغة الهند : أقرب شيء إلى السريانية ٣٤٥

س - قوله تعالى ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ ج - المراد به آدم - والبيان : النطق بـ (٧٠٠) لغة أفضلها لغة القرآن ٣٤٥ - حديث « أحبوا العرب لثلاث ... » وأنه ليس بحديث ٣٤٥ - كلام الصبيان الصغار هو بالسريانية كثيراً - الصبي مادام في الرضاع فروحه متعلقة بالملأ الأعلى ٣٤٦

- **ألفاظ بالسريانية للأطفال :** أغ - بوبو - مُوْمُوْ

- سؤال القبر وجوابه ٣٤٧ ، ٣٤٨ وإجابة المَلَك للميت المؤمن (ناصر) ٣٥٠

- وحديث شاهد « نم صالحاً ، قد علمنا إن كنت لموقناً »

س ١١ - ج - **معاني كلمات في القرآن الكريم** اختلف فيها أسفاراً ٣٥٠ - الربانيون ٣٥١ - هيت لك ٣٥٢ - شهر - عدن - رهوا

س ١٢ ـ لكل كلمة في القرآن ظاهر وباطن ٣٥٤ ومنه قوله تعالى ﴿ إذا الشمس كورت ﴾
ج ـ ذلك حق . وظاهر الآية السابقة يتكلم على آخرها ...
س ج ـ قوله تعالى ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ... ﴾ ظاهرها وباطنها ؟ وقوله تعالى ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل ... ﴾ باطنها ؟ وجاء في الجواب عموماً أن معرفة الباطن لا يدرك إلا بالكشف ومن عرف السريانية أعانه على فهم باطن القرآن .

س ١٣ ـ هل القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ بالعربية ؟ ج ـ نعم وبعضه بالسريانية (كفواتح السور)

س ١٤ ـ معنى فواتح السور : مثل ص ، كهيعص ، الّم ، حمّ ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ج ـ فيه بيان المعنى وتقرير أنه : لا يعرف معنى فواتح السور إلا الأولياء ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ـ خصائص الأنبياء والأولياء ٣٥٧ ـ معنى (صَ) بالتفصيل ٣٥٨ ـ معنى (كهيعص) بالتفصيل ٣٥٩ ـ خيط نوره ﷺ ٣٦١ وحكاية ـ من خصائص الأولياء ٣٦١ ـ نظر البصيرة أقوى من نظر البصر ـ تأويل معنى (قّ) ٣٦٢ ـ الحضرة القديمة والحادثة مطلب : اتحاد الرمز وتعدد المعنى ٣٦٦ ـ أنوار الآيات القرآنية ثلاثة أقسام : أبيض ، أخضر ، أصفر ٣٦٦ ـ اللوح المحفوظ له ثلاثة أوجه ٣٦٦

ـ نور بصيرة المؤمن إذا وقع على شيء أسودَ صيّره أصفر في نظره ٣٦٦ بخلاف الكافر
١٥ ـ أصل وضع الحروف في اللغة السريانية (حسب حروف الهجاء) ٣٦٨ ـ ٣٧٤
ـ أسرار الحروف سبعة لكل حرف منها وسبعة أخر للعربية ٣٧٤
ـ ثلاث كلمات من السريانية تكلم بها الشيخ الدباغ مع تلميذه الشيخ أحمد ٣٧٤

س ١٦ ـ قوله تعالى ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم ... ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين ... ﴾ مما يدل على تجدد علمه سبحانه مع أن علمه قديم ...!؟ ٣٧٥
ج ـ القرآن ينزل على عادة الناس في كلامهم ... وشاهد قوله تعالى ﴿ إن الذين يبايعونك إنما ... ﴾

س ١٧ ـ مسألة الغرانيق وهي عند قوله تعالى ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ... ﴾ وحديث ... فألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق ... ٣٧٦ ج ـ الصواب ردها ؛ ويوافق ذلك قول ابن العربي وعياض ٣٧٦ ـ ٣٧٧ وبيان أن الواجب على المؤمن الإعراض عن مثل هذه الأحاديث الموجبة للريب في الدين ... ٣٧٨ وأن العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين ٣٧٩ ـ والأمور العلمية والاعتقادية لا يفيد خبر الواحد في ثبوتها ... ـ ذكر بعض التفاسير التي قيلت في الآية : الأول : رواية ابن أبي صالح كاتب الليث ٣٨٠ الثاني : تفسير أبي محمد مكي ٣٨١ الثالث : تفسير البيضاوي شرط التفسير الصحيح للآية ثلاثة أمور ٣٨١

س ١٨ ـ اختلاف عياض وابن حجر في قصة هاروت وماروت ٣٨٢ ج ـ الصواب مع عياض في نفي القصة

س ١٩ ـ قوله تعالى ﴿ وينزل من السماء من جبال فيها من برد ... ﴾ هل في السماء جبال من بَرَد .. ؟

يكن . ومدة مرضه شهران وأيام ٤٠٤

س ٢٨ ـ قوله تعالى ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ... ﴾ ما المراد بالمعيشة الضنك ؟ ٤٠٤ ج ـ ... الكافر لا تمر عليه ساعة إلا ويتكدر حاله لما يسبق إلى قلبه من الوسوسة ... يُحرك عليه الهمّ

ـ حكاية مناظرات بين علماء المسلمين وأهل الكتاب ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦

س ٢٩ ـ قوله تعالى ﴿ وهمّ بها لولا أن رأى ... ﴾ ما الذي هم به ؟ ٤٠٦ ج ـ همّ بضربها . وإنكار ماذكره بعض المفسرين قاعدة : الولي إذا وقع له الفتح نزع منه (٧٢) عرقاً من عروق الظلام

س ٢٩ٓ ـ قوله تعالى ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ هل هو خاص بموسى عليه السلام ؟ وهل ما يذكره السادة الصوفية من المكالمة حق ؟ ٤٠٧ ج ـ ما يذكر الصوفية في المكالمة حق ولا يعارض الآية إذ لا حصر فيها ٤٠٧

س ٣٠ ـ قوله تعالى ﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح ... ﴾ ما وجه التقييد بحالة الخوف ؟ ج ـ التقييد ليس للإخراج ... بل للتنصيص على رفع الحرج ... تعليق مهم : بحث مفهوم المخالفة ومفهوم الموافقة والتنصيص ٤٠٧ ، ٤٠٨

س ٣١ ـ حديث « في الغنم السائمة زكاة » ما هو مفهومه ؟ ج ـ الغنم المريضة التي لا تقدر على رعي تسقط فيها الزكاة ... وأن المعلوفة داخلة في منطوق الحديث لأنها سائمة بالطبع ٤٠٨ س و ج ـ اختلاف المجتهدين في المفهوم ؛ والتحقيق : أن المفهوم لا يمكن معرفته إلا لرجل عرف البواعث الحاملة للنبي ﷺ على التقييد ... ولا يعرف ذلك إلا أهل الفتح الكبير ... ٤٠٩

س ٣٢ ـ قوله تعالى ﴿ فلمّا جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ... ﴾ هل كان استدلالاً لنفسه أو لقومه ؟ ٤١٠ ج ـ كان على سبيل الاستدلال لنفسه وليس كاستدلال سائر الناس فإنهم عليهم الصلاة والسلام على غاية من المعرفة وكمال العبودية له سبحانه ... وإبراهيم ﷺ طلب أن يرى بعين رأسه ما كان يراه في باطنه وبصيرته ... ٤١٠ ـ الفرق بين استدلال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم ٤١١ ـ من كرامات الشيخ قدس سره

س ٣٣ ـ قوله تعالى ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره ... ﴾ ما المراد بالإظهار على الأديان كلها ؟ ٤١٢ ج ـ هذا الدين ظاهر على الأديان كلها من كل وجه ... !!٤١٢ ـ خصائص الدين الحنيفي ، ونظر المفتوح عليه إلى الأديان كلها

س ٣٤ ـ قوله تعالى ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله ... ﴾ المفسرون يذكرون في أسباب نزول أنها في ثعلبة بن حاطب ... ؟ ٤١٣ ج ـ ردّ هذه القصة فليس لها أصل ٤١٤

س ٣٥ ـ قوله تعالى ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ... ﴾ هل كانت في عالم الأرواح أو حين خلق آدم ؟ ٤١٤ ج ـ القصة كانت في عالم الأرواح ... الأرواح بأسرها غلبتها سطوة الكلام القديم ... فتطايرت من أمكنتها في البرزخ ٤١٥ ـ المفتوح عليه إذا نظر إلى موضع يعمره أهل الشرك يعلم ...

- المغفرة في حقه ﷺ بمعنى العدم والذنب في حقه ﷺ يراد بمعنى المصدر وبمعنى الحقيقة ٤٣٠

س ٤٤ - **قوله تعالى** ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ... ﴾ و ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ **وحديث** « في خمس لا يعلمهن إلا الله » كيف يجمع بين هذا وبين ما يظهر على الأولياء من الكشوفات والإخبار بالغيوب ... ؟ ج - الحصر في الآية والحديث الغرض منه : إخراج الكهنة ... الذين كانت تعتقد فيهم جهلة العرب الاطلاع على الغيب ٤٣١ - العام الذي أريد به الخصوص والذي بقي على عمومه تعليق : تعريف العام ٤٣١ - **برهان القطع والتطبيق** تكلم به الشيخ مع تلميذه مع تعليق هام بتعريف البرهان والبحث فيه ٤٣٢

- الحصر في الآية إنما يُخرج غير الرسول ، وأما الولي فإنه داخل في الآية مع الرسول ٤٣٣ مع تعليق مفيد : لما احتضر ﷺ ... فقال ... هلموا أكتب لكم كتاباً ...

س ٤٥ وج - **معرفته** ﷺ للخمس المذكورات في **قوله تعالى** ﴿ إن الله عنده علم الساعة ... ﴾ وكذا بالتبعية معرفة أهل التصريف لهن ٤٣٤

س ٤٦ وج - **ليلة القدر** وأنها رفعت معرفتها عن الأمة فقال ﷺ : « اطلبوها في التاسعة في الخامسة ... » ٤٣٥

الباب الثالث ٤٤١ - ٤٨٩

في ذكر الظلام الذي يدخل على ذوات العباد وأعمالهم وهم لا يشعرون (ملخص) ٤٤١

١ - الفاسقون والمحرومون وضرب أمثلة وقصص واقعية ٤٤١

حديث « كان فيمن قبلكم رجل كان يعبد الله سبحانه ستمائة سنة ... » ٤٤٣ - عبادة الفاسقين وعبادة المحرومين ٤٤٤ - ما ذهب إليه الغزالي في « منهاج العابدين » وما ذهب إليه ابن العربي في « سراج المريدين » والقرافي في « القواعد والفروق » وأن الصواب مع ابن العربي والقرافي في أن العبد لا يضره نظره إلى الثواب طالما أنه سمع أمر مولاه سبحانه ٤٤٥ - المشاهدة توجب محبة الله تعالى ٤٤٦ ومحبته سبحانه توجب الانقطاع إليه وهو يوجب الأجر منه تعالى على ما يليق بقَدْره سبحانه ... - الصلاة على النبي ﷺ مع المحبة والتعظيم ؛ وأثرها

س ٢ - هل ينتفع ﷺ بصلاتنا عليه ؟ واختلاف العلماء في ذلك ٤٤٧ ج - شرعها لنا سبحانه بقصد نفعنا خاصة . ومثال ذلك - تحذير أثناء الصلاة على النبي ﷺ ٤٤٨ - أجور الأعمال وأنوارها ٤٤٩ أصل « لا يدرك حقيقة العلم إلا من توجه إليه بباطنه »

س ٣ ج - الاستغاثة بالصالحين . حدودها وخطرها ٤٥٠ - من تصرفات أهل الديوان - شرط إجابة الدعاء - الدليل على كثرة المنقطعين عن الله ٤٥١

مطلب هام جداً : الأسباب الموجبة للانقطاع عنه سبحانه : وأهمها عشرون ٤٥١ حتى ٤٥٦

مطلب : بعض خصائص الخلفاء الراشدين ٤٥٦ - أبو بكر الصديق - عمر - عثمان ٤٥٧ - علي رضي الله عنهم

انتهى فهرس الجزء الأول
بحمد الله وعونه

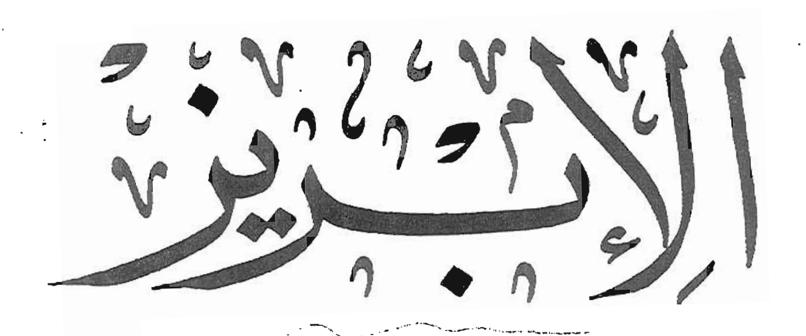
بسم الله الرحمن الرحيم

الإبريز

(الجزء الثاني)

صورة الغلاف : تعبر عن موضوع الكتاب ومؤلفه من حيث حاله وموطنه .

- غروب الشمس ويشير إلى بلاد المغرب .
- القبة تشير إلى مقام وليّ حيث يشع فيه النور .
- الأشجار والبرّية تشير إلى أنّ الأولياء هم غرباء في مقامهم عن عموم الناس .
- القضبان المتقاطعة : نافذة ذات شبك حديد على الطراز الأندلسي ، وكأن المحقق واقف خلفها في مسجد يتطلع إلى مقام الولاية الخاصة منطلقاً من رسالة المسجد لكي يكون عبداً خالصاً لله سبحانه وتعالى .
- هذه الصورة عموماً مستوحاة من واقع الكتاب أملاها المحقق على الفنان بالمعنى والتفصيل فصاغها على هذا النحو .



من

كلام سيدي الغوث عبد العزيز الدباغ

الحسني الصدّيقي المغربي الفاسي

من كبار أولياء الله تعالى في بلاد المغرب

(١٠٩٠ - ١١٣٢ هـ)

تأليف

العلامة العارف بالله الفقيه المالكي القارئ الجامع الشيخ أحمد بن المبارك

المغربي السجلماسي اللمطي المتوفى ١١٥٥ هـ = ١٧٤٢ م

(تلميذ الشيخ عبد العزيز الدباغ قدس الله سره)

تحقيق

محمد عدنان الشماع

(الجزء الثاني)

طبعة مدققة ومحققة ومقابلة على عدة نسخ مع فهارس متنوعة وتعليقات مَرْضية

وتراجم للأعلام ومقدمة هامة

تقديم ثلة من العلماء

موافقة إدارة الإفتاء العام في وزارة الأوقاف السورية
رقم ١٠٢٦
تاريخ ٦ / ٩ / ١٩٨٢
وموافقة وزارة الإعلام السورية
رقم ٨٩٦٠
تاريخ ١٥ / ٩ / ١٩٨٢

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م

ملاحظة : انظر في آخر هذا الجزء تصحيح أخطاء الجزء الأول واستدراكات عليه **بورق ملون .**

مخطط أبحاث الكتاب جـ ٢

- **الإهداء**
- **التقديم**
- أبواب الكتاب :

الإهداء

● إلى سيد الوجود نبيّنا **محمد** صلى الله عليه وعلى آله وسلّم . من شرفنا الله تعالى أن كنا من أمته .

● إلى روح الشيخ المربي العارف سيدي وقدوتي إلى الله سبحانه **سعيد البرهاني** رحمه الله . ذاك الرجل الأول في حياتي من ربّاني بعلمه وروحه وخصني بلحظه حياً وميتاً .

● إلى روح الشيخ العلامة المفتي الطبيب **محمد أبو اليسر عابدين** رحمة الله عليه . من كان من كبار المحققين الفقهاء والباحثين في شتى العلوم الدينية والعصرية من علمني أصول البحث والفتوى والوقوف على النصّ وتنقيح المسائل ، وأحبني حبّ الأب لابنه ، ومن به ولجت بحار العلوم الشرعية رواية ودراية .

● إلى روح سيدي الشيخ **عبد الوهّاب الحافظ** « دبس وزيت » من تعلمنا منه أن العلم بتدقيقه واقتبسنا منه أصول تلاوة القرآن ومخارج الحروف .

● إلى كافة **العلماء والأولياء والصالحين** من أحببتهم وانتفعت بهم ، وقدموني وشجعوني وأمدّوني .

● إلى روح سيدي **الوالد** رحمه الله ، من علمني الرجولة والهمة العالية والصبر مع الإيمان وحسن الخلق . من غذّاني طفلاً ، وعالني يافعاً وكنت دعوة من دعواته حين حملت بي أمي .

● إلى سيدتي **الوالدة** ، الأم الحنونة ، الصابرة الدؤوبة ، التقية الصالحة . سلّمها الله وألبسها ثوب الصحة والعافية .

● إلى **أمّ اليسر** ، الزوجة الحبيبة ، المؤمنة الخشوعة ، من كانت خير عون لي على طاعة الله تعالى وإنجاز عملي ومساعدتي فيه مع الصبر عليّ في ذلك .

● إلى أولادي وإخوتي وأخواتي وقرابتي وإخواني في الله ، وكل من له فضل عليّ في العلم والتقوى ، وكلّ من أحبني في الله ، وكل من شاركني في التصحيح والإخراج والتدقيق . **جزى الله الجميع عني كل خير** .

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المشرّف في هذا الكتاب ليكون ثوابه في صحائف مشايخي ووالديّ وذوي الفضل عليّ . وليكون فتحاً جديداً في التعرف على الله والصلة بأوليائه ، لي ولإخواني وأحبّائي وقارئيه من المؤمنين الكرام .

« أبو اليُسر »
محمد عدنان الشماع

كلمة فضيلة الشيخ العارف المربّي
عبد الرحمن الشاغوري

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الموفقُ من شاء من عباده ليكونوا من الصالحين ، فيدخلهم حضرةَ قدسه ويشملهم بنعيم لذّة أُنسه . وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبيّ الأُميّ الذي أُوتي علم الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين ، الذين تَلَقّوا ماجاء به ﷺ من الإسلام والإيمان والإحسان ، من غير علوم آلةٍ وإعداد لسان ● أما بعد . فإن مولانا العارف بالله الشيخ « عبد العزيز الدبّاغ » هو عالِمٌ أميّ ، صاحبُ علمٍ لَدُنيّ ، بَهَر علمُه العالِمَ الجليل « أحمد بن المبارك » فاتخذه أُستاذاً في العلم وملاذاً في السلوك والفهم ، بالرغم من أنه أُميّ ؛ مما يدلّ على مكانته لأنّ أُميته موهوبة له من أُمّيّة سيد الوجود عليه صلاة الله وسلامه . ومن هذا المنطلق كأنّ « أبا سليمان الدارانيّ » يشير إلى أميّ المقام بكلمته المشهورة : **(إذا اعتادت النفوسُ تركَ الآثام جالت في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدّيَ إليها عالم علماً)** . وقال العارف بالله أحمد بن مصطفى المعروف بابن عليوه المستغانمي (في شرحه الصوفي على المرشد المعين ص ٢٢) عند قول الماتن (وبعدُ فالعون من الله المجيد في نظم أبياتٍ للأميّ تفيد) : والأُميّ عند القوم من كان له حظ في **الأُمية النبوية** وهي : متابعة النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله . فهذا هو الأُميّ الحقيقي .

ويشهد لهذا ماأورده أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى في كتابه الأربعين حديثاً في التصوف منه حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « إن من العلم كهيئة المكنون لايعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى ، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله . فلا تحقروا عالماً آتاه الله علماً منه فإن الله لم يحقره إذ آتاه إياه » اهـ . الإحياء ١٩/١ . ط : عثمان المصرية .

ثم إن العلماء الأجلاء عَبر التاريخ من بعد هـذا العـالم الجليل صـاحب الإبريز قد قرأوا هذا الكتابَ واعتنوا به وأيدوا صاحبه وشهدوا له بالذوق العرفـانيّ العـالي ، والعلم الغزير العزيز ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وإني أنا العبد الفقير ما كتبت هذه الكلمـة لأحشر نفسي مع السـادة الأفـاضل المقرِّظين ؛ ولكن كتبتها نزولاً عند رغبة الفاضل الأديب محقق هذا الكتـاب السيـد محمد عدنان الشماع فإني أشكره على تحقيقـه هـذا الكتـاب وعلى مـاقـام بـه من جهـد واعتنـاء ، وأسـأل الله تعـالى أن يقبل عملـه ويَجعل من مَعين الكـوثر نهلـه وعَلَلَـه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبُه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين .

ربيع الأول ١٤٠٦ هـ

الفقير عبد الرحمن الشاغوري
خادم الطريقة الهاشمية
الدرقاوية



كلمة الشيخ الفقيه العارف
أنور الحصني

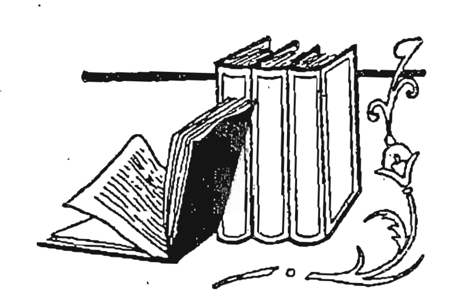
بسم الله . الحمد لله الذي اصطفى من عباده أنبياء وأولياء وأقطاباً وغوثاً وأبدالاً ، واختصهم بخصائص فلم يشاركهم أحد غيرهم من مخلوقاته سبحانه . وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، إله حجب بقهاريته ذاته فلم يُطلع ويكشف عنها الرداء إلا لحبيبه فـ « رأى رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رأسِهِ » ، وإلا لأصفيائه بأسرارهم بما يليق بجلاله وعظمته . وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً ﷺ الذي فتح الله بوجوده جميع مكوناته ، وجعله مفتاحاً لقلوب العارفين وأسرارهم ؛ فجميع الأنبياء والأولياء يلتمسون علومهم ومعارفهم من بحره الفياض ﷺ وعلى آله .

أما بعد ...! فإن الله سبحانه لَمّا خلق الخلق قسمهم على أقسام ورفع بعضهم على بعض درجات قال سبحانه : ﴿ يَخْتَصّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ وقال : ﴿ ... وَرَفَعَ بَعْضَهُم دَرَجَاتٍ ﴾ فربما ترى رجلاً لايُعبأ به وهو من أكابر الأولياء تنبع منه الأسرار والمعارف فكان منهم سيدي « علي الخواص » شيخ الإمام الشعراني وسيدي « عبد الرحمن المجذوب » شيخ الطريقة الشاذلية في زمانه ؛ وهما أُميان لا يقرآن ولا يكتبان ومنهم سيدي « عبد العزيز الدبّاغ » صاحب هذا الكتاب « الإبريز » الذي كاد كلامه أن يكون وحياً لقوة أنوار صاحبه ولشدة اتصاله بالله سبحانه ، وعظيم ارتباطه بسيدنا محمد ﷺ فهو على طريقة سلفه رضي الله عنهم ؛ قال سيدنا أبو الحسن الشاذلي : (والله لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ماعددت نفسي من المسلمين) . وكذلك نقل عن سيدنا « علي الجمل العمراني » - شيخ سيدي « العربي الدرقاوي » - مثله . ولا يبعد أن يصدر ذلك عن سيدنا « الدباغ » فهم من مشرب واحد .

وهذا الكتاب « الإبريز » قد طبع عدة طبعات نفذت نسخها جميعاً لكثرة منافعها العلمية والذوقية . وألهم الله سبحانه حبيبنا الأستاذ الفاضل صاحب العلوم والأذواق والفهم عن الله تعالى الشيخ « محمد عدنان الشماع » حفظه الله تعالى - تلميذ سيدنا الشيخ سعيد البرهاني رضي الله عنه وتلميذ سيدنا الشيخ محمد أبو اليسر عابدين رضي الله عنه - أن يصحح هذا الكتاب وينقحه ويعلق عليه ، فجدّد طبعته في أحسن الطبعات فجزاه الله عنا وعن جميع المسلمين خير الجزاء وزاده من فضله وكرمه وجوده . آمين .

الفقير إليه تعالى
أنور الحصني

١٤٠٤ هـ
١٩٨٤ م



كلمة الدكتورة
سعاد الحكيم « الدندراوية »

بسم الله ... الحمد لله الذي لا يعجزه شيء ، والصلاة والسلام على سيد البشر الزعيم الجامع للمسلمين ، وعلى آله ، ومن تبعه بصدق إلى يوم الدين . **وبعد** ...!
أريد أن أشكر الأستاذ « الشمّاع » على هديته القيّمة للمكتبة الصوفية .. فإخراج « الذهب الإبريز » في شكل يقبله ذوق المسلم المعاصر ، حدث ينتظره المثقف
● وإنني أدرك شعور الأستاذ « الشمّاع » .. شعور عالم متفهم أمام صفحات تحتاج أضعاف حجمها تعليقاً وشرحاً .. كيف لا ، وقد جمع الكتابُ في حناياه نقاوة أمّيةِ الإمام الدبّاغ إلى متفرقاتِ الثقافة الصوفية في القرن الحادي عشر الهجري .. هذه الثقافة التي تجلّت في فهمِ وتقريبِ وتقديمِ وأسئلةِ العلاّمةِ « أحمد بن المبارك »
● ونلمح معاناة المحقق هذه ، حين يطلّ علينا في « حاشية » شارحاً مقصود المؤلف ، مصحّحاً مسار أقواله ؛ وقد يحكم أحياناً على المقول بميزان الذوق مراعياً حقوق الأدب ، كما جاء في تعليق (٦٨) ١٠٦/١ حين تَدَخّل معلّقاً على عبارة : فإن « **المريد لا يجيء منه شيء حتى لا يكون في قلبه غير الشيخ والله والرسول** » .

هذا ، ولا يمكن أن يطلب القارئ من المحقق التدخل في كل عبارة ، والتعليق على كل نص ، والحكم على كل معنى من المعاني التي يوردها ابن المبارك ؛ لأن هذا عمل الباحثين بعده . ويكفي المحقق أنه فتح بكتابه هذا آفاقاً واسعة للعمل
● وحبّذا لو مَنَّ الله علينا بعالم متفهّم يدرس هذا الكتاب ، وينقّيه من كل مايُنافي مبادئ الذوق الإسلاميّ ، ويؤكد على ما ورد فيه من أُصولية العلم الصوفي [الإسلاميّ] .

- وأود بالمناسبة أن أقترح بعض مواضيع بحث .. ربّ مَنْ أراد خوض بحر هذا الكتاب أن يضع يده على جوهر :

١ ـ العَلاقة بين الشيخ والمريد في القرن الحادي عشر الهجري .. فهذا الكتاب يقدم لنا مادة هامة تمكننا من بحث هذه العلاقة . وخاصة وفرة الحكايات والكرامات التي تظهر كيف يباشر الشيخ تربيته لمريده .

٢ ـ الكرامات ، وإن اتفق العلماء على أصولها ، فقد تختلف أذواقنا في قبول أشكالها ..

٣ ـ كمال التوجه إلى جناب النبيّ الأعظم ﷺ ، الذي تُمَثّل في أمور كثيرة وكانت له نتائج مهمة فصّلها الباب الأول من الكتاب ؛ ومنها :

● طلب الدباغ الاجتماع بالنبي ﷺ في الدنيا قبل الآخرة (٥٢/١ وما بعد) ...

● تمييز الدباغ بين الأحاديث الصحيحة والمكذوبة على أساس مصاحبة النور للحديث النبوي . يقول : « مَنْ تكلم بكلام النبي ﷺ ، خرج النور مع كلامه . ومَنْ تكلم بغير كلامه خرج الكلام بغير نور » (١١٤/١) .

٤ ـ عصمة الأنبياء : إننا في زمن استعصمنا فيه بيقين العلوم الطبيعية الوضعية ، وتجرَّأنا على عصمة الأنبياء وعلمهم . ولكن مهلاً .. هاهي تهبّ علينا نفحات من علوم الإمام الدبّاغ تعيد للعلم المعصوم مكانته التي خسرناها نحن .. فهبطت علينا ظلماتٌ صرنا معها نقرأ ولا نفهم .. ولننصت معاً إلى أميّة الإمام الدباغ تعلّمنا [٣٣٦/١ـ٣٤٠] حين سُئل عن قوله تعالى ﴿ وداودَ وسُليمانَ إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غَنَمُ القوم وكُنّا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً ... ﴾ [الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩] .

يورد السائل قصصاً عدّة مَفَادها : أن **المصيب** واحد ، وأن **المخطئ** معذور ... ولكن ينبري « الدباغ » مدافعاً عن عصمة الأنبياء بالعقل والمعقول من جهة ، وبالنص القرآنيّ من جهة أخرى : ـ قال : « كأنكم تقولون : أخطأ داود

وأصاب سليمان ـ عليهما السلام ـ !! وهل يعتقد الفقهاء مثلَ هذا في الأنبياء ـ عليهم السلام ـ !؟ فإذا جاز عليهم [الأنبياء] الخطأ وصار يصدر منهم ، فأيُّ ثقة تقع لنا بهم حيث صاروا مثلَنا !؟ فمعاذ الله أن يكون داود أخطأ ..!! ● ثم أخذ يبيّن وجه الحكمة في كل حكم من القصص الواردة .. خاتماً بقوله تعالى ـ على سبيل الاستشهاد ـ ﴿ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وعِلْماً ﴾ . فلكلّ حُكم وجه يعلّمه النبي لأمته ● وما على القارئ إلا أن يعود إلى نور الحق يسطع في الصفحات المشار إليها ..

٥ ـ كيف .. ومن أين .. ومتى .. تَسَرّب إلى ضير الثقافة الصوفية إشارات غريبة . كقوله : « كان سيّدي فلان لما عرفه مريدُه لم يترك له امرأةً ولا ولداً ، حتى أفرده له » [١/١٠٦ـ١٠٧][☆] .

● هذا ، والكلام على **علوم الصوفية** في كتب أربابها طويل .. تقتصر منه على ما ورد . ونجدد الشكر للسيد الشماع الذي أتاح لنا قراءة ثانية لهذا السفر القيم .. والاستفادة منه بما يسره من تبويب وتنظيم . ونرجو الله أن يكون هذا العمل فاتحة فهم أعمق للإمام الدبّاغ ولكتاب « الذهب الإبريز » .

محرم / ١٤٠٦ هـ
أيلول / ١٩٨٥ م

د . سعاد الحكيم
أستاذة مادة التصوف
في الجامعة اللبنانية . بيروت

(☆) **قلت** : من المعلوم أن الموت والحياة بيد الله سبحانه فالنبي والشيخ وغيره لا يملك لنفسه ـ فضلاً عن غيره ـ نفعاً ولا ضراً . وإن مانسب إلى الشيخ في فعله مع مريده لا يخالف الشرع ؛ فهو لم يباشر إماتة أحد من المذكورين من امرأة أو ولد إنما أماتهم الله ميتة طبيعية بمرض أو نحوه فكان في ذلك ابتلاء من الله سبحانه ، ووافقت إرادةُ الشيخ إرادتَه سبحانه لما قالوا : « إن لله عباداً إذا أرادوا أراد » . ومراده ـ جلّ شأنه ـ ليس بالجديد إنما هو مطابق لما سبق في علمه « قالوا : أمور يبديها [سبحانه] ولا يبتديها ... » فكل ما يجري على المريد من ابتلاء إنما يُفسّر له على ذاك النحو بما يزيده ارتباطاً بالله تعالى وتمتيناً للصلة بالشيخ المربي المرشد . وهو نهج تربوي عند العارفين يخفف صدمة البلاء عند المريد حيث يقوّي منه جانب الإيمان بالقضاء والقدر ؛ فمن ضروريات الإيمان التسليم لأمر الله سبحانه حيث رضينا به رباً . فقد يحدث مثل ذلك مع المريد وليس هو بغريب ولا بلازم لكل سالك . اهـ المحقق .

كلمة الإيطالي
ماسِّيْمو آرشتّي ماستري(☆)

Massimo Archetti Maestri

- ... فوجدت كتاب الإبريز كتاباً ثميناً شريفاً مفيداً جداً ، قرأت قطعة منه عن اللغة السريانية وكلمات السريانية في اللغة العربية ولغة الصبيان . وجدت كل ذلك مهماً جداً . أظن أنه كتب ابن عربي باباً أو فصلاً من الفتوحات عن هذا الموضوع ...
- ... مادمت أقرأ كتاب الإبريز الذي حققه الأستاذ محمد عدنان الشماع فأعدُّه من أجَلّ الكتب الصوفية التي قرأتها إلى الآن(☆☆) .

وفي رسالة ثالثة جاء فيها تقريظ هذا الإيطالي ـ بناء على طلب من الأستاذ رياض المالح ـ :

الكتاب « الذهب الإبريز من كلام السيد عبد العزيز » من أجمل كتب التصوف ؛ لما يحتوي من المعاني الروحية ، والعلوم الربانية ، ولذلك كان كثير الشيوع عند العلماء والحكماء في العالم الإسلامي منذ زمان تأليفه في القرن الثاني عشر

(☆) محاضر في جامعة البندقية بإيطاليا ، ويحضّر دكتوراه في قسم الدراسات الشرقية في الجامعة المذكورة عن الأمير الشيخ عبد القادر الجزائري وصاحبه الشيخ عبد الرحمن عليش ومدى تأثرهم بمدرسة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الطائي الحاتمي ـ قدس سرّه ـ . ويقوم حالياً أيضاً بتحقيق كتاب « نسب الخرقة » للشيخ الأكبر . وله أيضاً أبحاث في التصوف الإسلامي وغيره . وهو مولع بالتصوف الإسلامي . ويتقن اللغة العربية .

(☆☆) جاءت هذه الكلمات في رسالتين له ـ بالعربية ـ موجهتين إلى الأستاذ رياض المالح إثر إهدائي له نسخة من الإبريز جـ ١

الهجري إلى وقتنا هذا . ومؤلفه هو الشيخ « أحمد بن المبارك » السجلماسي اللمطي البكري الصديقي المالكي تلميذ السيد الشريف الشيخ « عبد العزيز الدبّاغ » القطب الغوث أحد أئمة الأولياء ومشاهير الأصفياء رضي الله عنهما . فكتَبَ الشيخ أحمد بن المبارك ماسمع من شيخه من الأسرار والرموز الإلهية المُعجبة . ومع أن السيد عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أمّي فكان له معرفة علم من الله هي علم ـ العلم اللدني ـ وهو علم واسع جليل يعطيه الرحمن لمن اصطفاه من عباده . واختصّ الله تعالى به صفوة من بين أوليائه ، كما قال القشيري في رسالته الشهيرة : « فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة الأولياء ، وفضّلهم على الكافّة من عباده ، بعد رسله وأنبيائه ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وجعل قلوبهم معادن أسراره ، واختصّهم من بين الأمة بطوالع أنواره » ● وهذه الصفوة محجوبة عن عيون العامة ، قال أبو يزيد البسطامي : « أولياء الله تعالى عرائس الله ... ولا يرى العرائس المجرمون .. وهم مُخَدّرون عنده في حجاب الأنس ، لا يراهم أحدٌ ... » ● قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي ـ قدس الله سرّه ـ في الفتوحات المكية ، الباب التاسع والعشرين : « وخرّج الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : أَهْلُ القُرآنِ هُم أَهْلُ الله وخاصّته . وقال تعالى في حق المختصّين من عباده : ﴿ إنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطانٌ ﴾ [الحجر : ٤٢ ، والإسراء : ٦٥] » . وقال في مقدمة الفتوحات : « الطريق إلى الله تعالى .... سلكت عليه الخاصّة من المؤمنين الطالبين نجاتهم ، دون العامة الذين شغلوا أنفسهم بغير ماخُلقت له » .

واسم صفوة الأولياء عند القوم الخاصّة أو الخواصّ وأمّا خاصّة الخاصّة فهم في رأيهم « الذين ... عرفوا ـ بإذن الله ـ الأسرار الذاتيّة والصفاتيّة ، وذاقوا الحقائق الإلهية واللطائف الربانيّة الخالدة ، وقلَّ عددهم » . وما من شك في أنّ السيد الغوث عبد العزيز ينتسب إلى خاصة الأولياء بدار الإسلام ؛ يدل على ذلك أخذه عن سيدنا الخضر ـ عليه السلام ـ ، وسموّ أقواله وكثرة معارفه الروحية التي لاتعدّ ولا تحصى .

ويرجع الفضل في هذا الطبع الجديد لكتاب « الإبريز » للأستاذ الكريم

« محمد عدنان الشماع » ، الذي حققه وعلّق عليه وقدّم له وأضاف إليه فهارس متنوعة وتراجم للأعلام ، وكل ذلك مفيد نافع لمن يقرأه . وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، فإنّا نعتقد أنّ الذي ينشر كتب مناقبهم يعمل عملاً محموداً جديراً بالاستحسان المطلق من قبل العقلاء والصالحين والأولياء أهل الله . فيجب على المؤمن الصادق الاحترام لما قالوا وفعلوا في ميدان الزهد والإخلاص ويلزم الرجل النافذ البصيرة سلوك طريق من كان أحسن منه إيماناً وتقوىً وورعاً وحبّاً لله ، وذلك لأنّ الله تعالى يقول في الحديث القدسي : « ماوسعني أرضي ولا سمائي لكن وسعني قلب عبدي المؤمن »(☆) .

إيطاليا - البندقية - في ١٩٨٥/١٠/٢٨

كتبهُ

ماسّيمو أركيتي مايستري

عفا الله عنه



(☆) الحديث ذكر نحوه في الإحياء . قال في كشف الخفا ٢٥٥/٢ : ليس له إسناد معروف . ومعناه : وسع قلبُه الإيمانَ بي ومحبتي ومعرفتي . وله شاهد بالمعنى من حديث أحمد والطبراني . اهـ ملخصاً . **قلت** : وهذا الحديث يرد في كتب ساداتنا الصوفية ؛ ويظهر لي أنه مما ثبت لديهم كشفاً ، وهم يفهمون منه المعنى السابق . اهـ المحقق .

مقدمة المحقق

على الجزء الثاني للإبريز

بسم الله ... الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله . وبعد ...!

● فهذا هو « الجزء الثاني » من كتاب « الإبريز » بالثوب الجديد ، نخرجه - بعون الله وتوفيقه - على غرار ماتم في الجزء الأول ، بدقة وإتقان وتصحيح وتحقيق أتمّ وأكمل ؛ مع الفهارس المتنوعة التي تسهل الفائدة بأحدث أسلوب وأشمله . بذلك يتم مابدأناه بعد جهد جهيد وصبر طويل وسهر وضناً ، حَمَلنا على كل ذلك حبّنا للحقّ والحقيقة ، وإيماناً بأن ﴿ ... اللهَ لاَ يُضِيْعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ و « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » نبتغي بذلك وجه الله في نشر العلم النيّر الذي شرّفنا سبحانه بحمله والانتساب لأهله ، نرجوه سبحانه أن يتم فضله علينا بالتعلم والتعليم والدعوة إليه ، بالقول والفعل ، باللسان وبالقلم ، بلباس الشريعة والحقيقة ، بنظر وسلوك ، بفكر وذوق ، بالحكمة والموعظة الحسنة .

● هذا الكتاب ...! نادر في أبحاثه ، ممتع في مطالعته ، غني في مادته ، يطفح بالنور وينفع الخاصّ والعامّ ، ليس كتاب تصوف فحسب ، بل علوم وفنون شتّى ؛ يجد فيه القارئ - وخاصة المعتقد بالأولياء والمطّلع على كلام علماء الشريعة - فهماً جديداً ، وفتحاً مبيناً ، واستقصاء في البحث . كما يجد فيه الباحث في علوم القرآن وعلوم السنة وعلوم الآلة وعلوم القوم ، مافيه فوائد فريدة ورفع لإشكالات طالما وقف عندها كثير من أهل العلم .

أقدّمه للعلماء والمحققين وطلاب العلم خصوصاً ، وإلى العالم الإسلامي عموماً ؛ راجياً أن يعمّ به النفع ، ويجعل فيه القبول .

● « **الجزء الأول** » أحدث ضجة بين القارئين ، فالمادح كثير ، والمعترض قليل ، والقادح أقلّ ، وذلك شأن كل جديد وغريب . **فالمادحون** كانوا من العلماء الناضجين ممن لهم قدم في العلوم الشرعية ، وسلوك في طريق المعرفة بالله سبحانه ، وأذواق في العلوم اللّدُنّيّة ، وصلة قلبية بسلسلة الأولياء المتصلة بالسيد الأعظم محمد ﷺ . **والمعترضون** هم من ساداتنا أكابر العلماء ، واعتراضهم عن غيرة لوقت وجهد كبير بذلناه أن لو كان في كتاب أهمّ لا اعتراض لأحد على بعض مافيه . وعذري لهم : أنني بدأت عملي هذا مستخيراً ربّ العالمين ، ومستئذناً بالظاهر والباطن من أصحاب الإذن . وما كان لي أن أرجع عن أمر فيه خير ونور بدأته حتى أتمّه ـ بعون الله ـ إلى نهايته ؛ وهو مبدأ في حياتي تعلمته من مشايخي . وإنني أعدهم أن أسعى لأكون عند حسن ظنهم . وأرجو الله تعالى أن يريهم مني ماتقرُّ به أعينهم ، وأن يجعلني تحت رضاهم جميعاً ، فإنهم قدواتنا إلى الله جلّ شأنه .

وأما **القادحون** فكانوا على جهل بطريق الخصوصية والفتح المبين من الله العزيز الحكيم ، ولم يكن لهم دليل فيما انتقدوه ، إنّهم معذورون بجهلهم ، ظن بعضهم أن العلم قد انتهى إليهم ؛ فاغتروا بما أوتوا من استظهار لكتاب الله ، أو طلاقة في اللسان ، أو اطّلاع على بعض علوم .

كنت أرجو أن يصلني منهم نقد صحيح ، أو استفهام مُحِقّ ، لأجيب عليه ، وأوضّح السبيل للمسترشد الصادق . ومهما يكن فإنهم إخوتنا في الإسلام ، وندعو الله لنا ولهم أن يذيقنا جميعاً طعم معرفته ولذّة الأنس به ، وأن يكرمنا بالاجتماع بأوليائه ؛ مذكّراً نفسي وإياهم أن فضل الله واسع ، ورحمته يختص بها من يشاء وأنّه « ماحوى العلم جميعاً أحد ... » و ﴿ ماأوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

● إن ماجاء في هذا الكتاب من فهم وعلم إنما كانت فائدته كبيرة ، حيث قارن المؤلف كلام شيخه بكلام ونقول العلماء المحققين ؛ وما لم يكن مقارَناً فإنّما هو فتح وعلم جديد فيه من الله حفظ ، حيث لم يخرج عن عموم الشريعة المطهرة ، ولم يصادم نصّاً شرعياً قطعياً ، وهو ينفع المعتقد ومن يريد تطبيقه ، ولا يضرّ من لم يطبقه . وعموماً يجب تحسين الظن وعدم التسرع في النقد . وإن وجد مايوجب

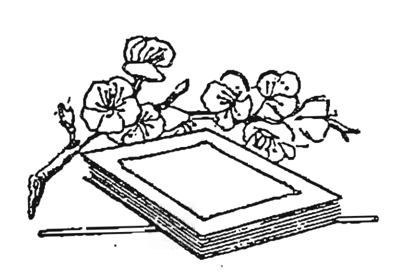
النقد فلايخشى على المعترض بلسان الشريعة غيرة عليها ؛ ولكن لمن أحاط بالدليل ، وملـك أداة الوزن الصحيح و « رحم الله امرءاً عرف حدّه فوقف عنده » . ومن لم يفهم مقصدهم فـالتسليم أولى ، وليطلب من الله سبحـانـه فهم المراد كي لا يُحرَمَ بركتهم ، فـإن صحبة الأكابر وقراءة كـلامهم تنفـع ـ ولـو لم يفهم عليهم أحيـانـاً ـ والطريق أساسها (الصدق والتسليم) .

● فإلى مزيد من هذا العلم المدعّم بالأدلة العقلية والنقلية ، أو النـابع عن ذوق سليم روحي ، وحسٍّ مرهف نـاجم عن معرفـة بـالله تعـالىٰ حقّ يقين ، وقلب عـامر بمحبته سبحانه ، ولسان رطب بذكره ؛ مع سند متصل بخواص أولياء الله .

والله يتولّى هدانا ويتوب علينـا إنـه سميع عليم . وصلى الله على سيـدنـا محمد وعلى آله وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

دمشق ـ ساروجة ـ عقيبة
محرم/١٤٠٦هـ   تشرين أول/١٩٨٥م

كتبه العبد الفقير إليه سبحانه
محمد عدنان بن تيسير الشماع



إجازات جديدة للمحقق في رواية هذا الكتاب :

وأروي هذا الكتاب بأسانيد جديدة عن الأخ الأستاذ « رياض المالح » .

● منها إجازة عن الشيخ « أبي الحسن زيد الفاروقي السرهندي أو السهرندي » [وذلك عند زيارة الأستاذ رياض له بالزاوية الدهلوية بـ « دلهي » عند مقام سيّدي « عبد الله الدهلوي »[1] في شباط وآذار ١٩٨٥ عند حضوره مؤتمر التصوف الأول في الهند] . وهو يروي عن كثير من مشايخه (منهم) شيخ والده[2] « عبد الغني الدهلوي » [صاحب « اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني »] . و (منهم) السيد عبد الحي الكتاني [كما في فهرس الفهارس ٨٤٥/٢] عن السيد « فالح المدني » عن السيد « محمد بن علي السنوسي » عن « التازي » عن سيدي « عبد العزيز الدباغ » .

● ومنها عن الشيخ الخواجة « حسن النظامي[3] الثاني » شيخ الزاوية النظامية بـ « دلهي » [وذلك عند نزوله عنده مع عائلته أثناء المؤتمر المذكور] .

---

(١) عبد الله الدهلوي (-   ) هـ : معروف عند الهنود بـ (غلام علي) وهو الشيخ الذي سافر إليه مولانا « خالد النقشبندي الجددي الكردي » ، المتوفى في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري ، المعروف بـ « خالد ذي الجناحين » ولقيه في « جهان أباد » وهو اسم قديم لـ « دلهي » . راجع ترجمة غلام علي في نزهة الخواطر ٣٥٦/٧ . والإمام السرهندي ص ٣٤٠ لشيخ المسلمين في الهند ، ورئيس ندوة العلماء في « الكنو » الأستاذ « أبي الحسن الندوي » .

(٢) والده هو عبد الله بن عمر أبو الخير الدهلوي (- ١٣٤١ هـ) بدلهي . انظر ترجمته في نزهة الخواطر ٢٩٩/٨ والإمام السهرندي أو السرهندي وذريته ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٣) هو من ذرية شمس الأولياء في الهند « نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني » المولود بمدينة « بدايون » ٦٣٦ هـ والمتوفى ٧٢٥ هـ ودفن بمدينة « دلهي » في قاع خارج المدينة . بنى فيه « محمد شاه تُغْلَق » ومَنْ بعدَه من الملوك الأبنيةَ الرفيعة . وقبره مشهور ظاهر يُتَبَرَّك به . انظر ترجمته في نزهة الخواطر ١٢٠/٢ - ١٢٥ . ومدفون بجانبه تلميذه العظيم « أمين خسرو الدهلوي » أكبر شعراء الهند على الإطلاق ، وهو عند الهنود كابن الفارض عند المشارقة . راجع نزهة الخواطر ٣٥/٢ . ومجلة الدوحة القطرية عدد نيسان ١٩٧٦ . مقال عن الندوة العالمية بمناسبة مرور ٧٠٠ سنة على ميلاد أشهر شعراء الهند « أمين خسرو » .

وهو يروي عن والده المولوي « شاه حسن الجشتي النظامي الدهلوي » عن شيخه « محمد بدر الدين القادري الفلاواريّ » [وتاريخ إجازته له : الأربعاء ٥ رجب ١٣٢٨ هـ] عن سيدي أحمد بن إدريس عن « التازي » عن سيدي « عبد العزيز الدباغ » .

● ومنها الإجازة الباطنية عن سيدي « الفضل بن أبي العباس الدُّنْدَراويّ » ، عن والده ، عن جدّه سيّدي « محمد الدندراوي » عن سيّدي « إبراهيم الرشيد »(٤) ، عن سيّدي « أحمد بن إدريس » ، عن « التازي » ، عن سيدي « عبد العزيز الدباغ » .

● وعن الأستاذ الفقيه « محمد أبو بكر التطواني » [عند نزول الأستاذ رياض عنده بـ « سلا » في المغرب الأقصى في رمضان ١٣٩٨ هـ] . وهو يروي بأسانيد كثيرة منها : عن الشيخ فالح الظاهريّ في « سبتة » عن السنوسي عن سيدي « أحمد بن إدريس » عن « التاوْديّ بن سَودة(☆) » وأبي محمد التازيّ عن سيدي « عبد العزيز الدباغ » [وقارن معجم الشيوخ ١٤١/١ : « والسلسبيل المعين » للسنوسي ، مخطوطة نسخة بلدية الإسكندرية رقم ٣٨٠٣ تصوف] .

● وعن الشيخ « محمد إبراهيم الفضل الختني(☆☆) » (المتوفى بالمدينة ١٣٨٩ هـ) وهو يروي عن غالب مشايخ العصر وأثباتهم من هنود وأتراك ويمنيين وشاميين ومصريين ومغاربة : مُنهم عن السيد عبد الحي كتاني [كما في فهرس الفهارس ٢٠٧/٦ وقارن الأنوار القدسية ص ٥١ للسنوسي] عن السيد أحمد الشريف السنوسي عن أبي

---

(٤) انظر ترجمة سيّدي « إبراهيم الرشيد » في حلية البشر للبيطار ٤٠/١ طبع دمشق . اهـ . التعليق (١ و ٢ و ٣ و ٤) نقلاً عن الأستاذ رياض المالح بتصرف .

(☆) انظر عنه في فهرس الفهارس ٢٥٦/١ . وغالب روايته عن صاحب الإبريز . وانظر أيضاً ثبت الكزبري ص٨

(☆☆) انظر ترجمته في الأعلام ٣٠٧/٥ [وقد أجاز السيد رياض إجازة عامة بخطه وقرأ عليه الأوائل العجلونية بالمكتبة الآجرية بدمشق] عند رحلته وطلب منه أسماء مشايخه فألّف له : تاريخ علماء « خُتَن » (وهي من قرى بخارى) .

العباس العرّائشي المكيّ اليمني ، عن أبي المواهب التـازي عن أبي السعود « عبـد العزيز الدبّاغ » .

● ومشافهة عن الشيخ « محمد أبو الخير الميداني » شيخ الديار الشـامية (المتوفى ١٣٨٠ هـ بدمشق) ، عن شيخه العـارف سليم المسوتي الحنفي (المتوفى بـدمشق ١٣٢٤ هـ) عن أبي المحاسن القاوقجي (المتـوفى ١٣٠٥ هـ) عن سيـدي محمد بن علي السنوسي عن سيدي أحمد بن إدريس عن التازي عن سيدي « عبد العزيز الدبـاغ » [قارن شوارق الأنوار الحلبية ص ٨ لأبي المحاسن القاوقجي] .



بسم الله الرحمن الرحيم

١) **تعريف** : الذهب الإبريز : أي الذهب الخالص . اهـ القاموس المحيط .

٢) **المصطلحات والرموز :**

ظ ١ : رمز المخطوطة الموجودة في المكتبة الظاهرية برقم ١١٤١٥ .

س : بداية سؤال لموضوع فرعي .

ج : بداية الجواب .

س ١ : بداية سؤال لموضوع جديد رقمه (١) مثلاً .

ج ١ : بداية جواب لموضوع جديد رقمه (١) مثلاً .

اهـ : انتهى

(-   هـ) : تاريخ (ولادة - وفاة هجري) .

[   ] : مابين القوسين زيادة من قبلنا لضرورة التفهيم .

١١/٢ : تعني جزء ٢ من المرجع وصفحة ١١ .

ص : صحيفة أو صفحة .

بولاق : طبعة بولاق بمصر .

أزهرية : طبعة مطبعة حي الجامع الأزهر .

عثمان : طبعة عثمان .

حلبية : طبعة مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر القاهرية .

ط : طبعة .

[الأنبياء : ٧٨] : تعني الآية : ٧٨ من سورة الأنبياء .

الباب الرابع

(ملخص)

في ذكر ديوان الصالحين



الباب الرابع
في ذكر ديوان الصالحين (☆)
رضي الله عنهم أجمعين

[١] سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول : **الديوان** يكون بـ « غار حراء » — مكان الديوان

(☆) **ديوان الأولياء** : هو مجلسهم الذي يجتمعون فيه أحياء وأمواتاً ، رجالاً ونساء ، بتوظيف من الله سبحانه وتعالى باسمه الباطن لتنفيذ قضاء الله والتصرف بمخلوقاته سبحانه على وفق مشيئته وذلك ساعة مولده ﷺ من كل يوم . وهم في ذلك على وظائف شتى ومراتب يمكن أن تقف على شيء منها حسب ماذكروه في كتبهم ، وما سمعناه من مشايخنا ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ : [انظر « معراج التشوف .. » لابن عجيبه ، و « الحاوي للفتاوي » للسيوطي ٢٤١/٢ ـ ٢٥٥ ، و « دستور العلماء » لنكري ، و « رسائل ابن عابدين » ٢٦٤/٢ ، و « مصطلحات الصوفية » للقاشاني ، « الإنسان الكامل والقطب الغوث الفرد من كلام ابن العربي الحاتمي » جمع وتأليف محمود محمود غراب] .

الوَلِيّ : بفتح الواو وكسر اللام وتشديد الياء . اسم من الوَلْي ، ومعناه القرب والدنو . والجمع : أولياء . واسم المصدر : الولاية . قلت : معناه اصطلاحاً : الوَلِيّ : هو من تولى اللهُ أمره ، وحفظه من العصيان ، ولم يخلّه ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال ، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ألا إنّ أَوْلِيَاءَ الله لا خوفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس ٦٢] وهي الولاية العامة التي ينالها كل مؤمن تقي : كل مؤمن يطبق أوامر الله تعالى وينتهي عما نهاه ، يترك المحرمات ويأتي بالفرائض ثم النوافل يأتي منها ما استطاع فيتدرج من الولاية العامة إلى الخاصة المذكورة في الحديث القدسي : « ... ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ... ولئن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنّه » رواه أحمد ٢٥٦/٦ . وفيهم جاء الحديث القدسيّ : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ... » [رواه أحمد ٢٥٦/٦ ، وابن ماجه في الفتن ، بنحو منه] .

والولاية : هي قيام العبد بالحقّ عند الفناء عن نفسه وذلك بتولّي الحقّ إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكن .

الصالحون : هم من صلحت أعمالهم الظاهرة ، واستقامت أحوالهم الباطنة ، فيتولاهم الله سبحانه ليصبحوا أولياءه ، قال تعالى : ﴿ وهو يَتَوَلَّى الصَّالِحين ﴾ [الأعراف : ١٩٦] .

الأولياء : ـ بالولاية الخاصة ـ هم أهل العلم بالله على نعت العيان (مشتق من الوَلْي) . قيل : هم من توالت طاعتهم ، وتحقق قربهم واتصل مددهم ● عددهم : ٣٠٠ وقيل ٥٠٠ والتحقيق أنه غير محدود . وهم كلما فَقَد =

الـذي كان يتحنث فيـه النبي ﷺ قبـل البعثـة . قـال رضي الله عنـه : فيجلس

= الناس كثروا وازداد خفاؤهم ● أسماؤهم : الأقطاب والصالحون لكل منهم اسم إلهيّ يخصه يُدعى به ولو كان اسمه ما كان . فللأقطاب : عبد الله . والأئمة في كل زمان : عبد الملك وعبد الرب . ومامن قطب إلا وله اسم يخصه زائد على الاسم العام « عبد الله » .

● وظائفهم ومراتبهم :

ـ منهم أهل الديوان ، وهم على وظائف إلهية رئيسية وفيهم أهل التصريف . رأسهم الغوث ، ويليه : الإمامان ، فالأوتاد فالأقطاب فالنقباء فالأفراد فالأبدال ، فالنجباء فالأخيار ، على خلاف في تقدم بعضهم على بعض .

ـ ومنهم من ليسوا من أهل الديوان لكنّ لهم عند الله شأناً ومقاماً وفتحاً نورانياً .

ـ سمعت شيخنا العارف سيدي سعيد البرهاني رحمه الله يقول : إنّ من الأولياء منهم أقطاب موكلون بكلّ بلد ، ومنهم أولياء موكلون بقلوب بني آدم ، ومنهم في البرّ في المدن والصحاري والقرى ، ومنهم في البحر . ومنهم في الوظائف الرسمية الدنيوية ، ومنهم في الأعمال الحرة والحرف ، ومنهم من هو بزيّ العلماء ، ومنهم من هو متستر بزي العوام ، ومنهم من يظهر بصورة مخالفة شرعاً أو عرفاً لكن حقيقته شرعية . ومنهم الكامل ومنهم صاحب الحال وصاحب المقام . ومنهم الصاحي ومنهم من عنده طرف جذب أو المجذوب كلياً . وأهل الجذب لا يُصحبون ولا يُطلب منهم الدعاء ولا يقتدى بهم ويمكن الاعتراض عليهم بلسان الشرع مع التسليم ... وقد أخفى الله الوليّ [أي غالباً] بين الناس لأجل أن لايحتقر الإنسان أحداً « ... رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ » . وقد يودع الله سرّه في أضعف خلقه . وصغير المؤمنين عند الله كبير . ومنهم صاحب كرامة ظاهرة ومنهم المتستر بها لكن الاستقامة هي عين الكرامة بل خير من ألف كرامة . ومنهم صاحب كشوفات في عالم الملك وأعظم منه في عالم الملكوت والجبروت . ومنهم ذو فتح في علوم وأسرار أو في علوم كونية . وقالوا : « إذا لم يكن العلماء أولياء فليس لله تعالى من وليّ » [أي العلماء بالعلم النوراني المفيد وهم العلماء العاملون ، الذين هم على تحصيل في العلوم الشرعية] . ومنهم المرشد المربّي ، ومنهم من لا يستطيع تربية غيره لعدم الإذن . وتظهر كراماتهم بعد موتهم أكثر منها في حياتهم . ومنهم من كان سالكاً طريق القوم مريداً عند مرشد ، ومنهم من أتته الولاية جذبةً من الله تعالى قربا (كانوا لصوصاً فصاروا خصوصاً) وقد قالوا : « جذبة من جذبات الحقّ تعدل عمل الثقلين » . وقد سمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن أهمّ سبب للاجتماع بالأولياء هو (برُّ الوالدين) ، وبأن الإنسان إذا صدق مع الله تعالى أتاه المرشد لخدمته وهيأه الله تعالى له . وإذا كان المؤمن بين أولياء فليحفظ قلبه فإن مجالستهم بالأدب ظاهراً وباطناً . وقرأنا عليه ـ قدس سره ـ في متن الشعراني أن الوليّ يشترط أن يتحقق بخمس : ١ ـ يجتمع مع الخضر ٢ ـ يصلي في مكة ٣ ـ لا يبيت عنده شيء من المال ٤ ـ ليس عنده حقد على أحد ٥ ـ لا يؤذي أحداً . اهـ . بالمعنى . فائدة مهمة

● كراماتهم وعلومهم : منهم من اختص بكشف أو بخرق لعادة كطي الزمان أو طي المكان وقطع المسافة أو اطلاع على مغيب (باطلاع الله إياه) أو مشي على الماء أو في الهواء أو تكثير القليل أو غير ذلك مما ورد في الكتاب في كرامات السيدة مريم أو الذي عنده علم من الكتاب (آصف بن برخيا) أو ماذكر في معجزات الأنبياء : « ماصح أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لوليّ » أو ماذكر في السيرة من معجزاته ﷺ =

= أو في كرامات الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم ... وقد ألّف النبهاني رحمه الله تعالى كتاباً جامعاً في ذلك سمّاه « جامع كرامات الأولياء » ● وأما علومهم : فعلى حسب فتحهم ، فمنهم صاحب فتح كبير كسيدي ابن عربي الطائي الحاتمي والغزالي والجيلاني والشاذلي ... ومن المتأخرين كسيدي أحمد الحارون . فقد تكلموا في علوم شرعية وعلوم كونية وعلوم لدنيّة لم يسبقوا بها ؛ يستفاد منها في الإرشاد والتربية وفي التوجيه وفي فنون متعددة عموماً وتكون فيها الفائدة أكبر لمن يعتقد بهم ويحسّن الظن فيهم ويتأول ما أشكل من كلامهم . قال العز بن عبد السلام [في قواعد الأحكام ١٣٩/١ عند قوله (فصل فيا يثاب عليه من العلوم)] ماملخصه :
كلّ العلوم شريفة ، وتختلف رتب شرفها باختلاف رتب متعلقاتها ... والعلوم أقسام : ضروريات ... نظريات ... ثالثها : علوم يُمنحها الأنبياء والأولياء بأن يخلقها الله فيهم من غير نظر ... وهي ضربان : علم يتعلق بالذات والصفات الإلهية وله شرف عظيم ... وثانيها : علوم إلهامية يكشف بها عما في القلوب ، فيرى أحدهم بعينيه من الغائبات مالم تجر العادة بسماع مثله وكذلك شمّه ومسّه ولمسه . وكذلك يدرك بقلبه علوماً متعلقة بالأكوان ... و (منهم) من يرى السموات وأفلاكها وكواكبها وشمسها وقمرها على ماهي عليه . و (منهم) من يرى اللوح المحفوظ ويقرأ فيه . وكذلك يسمع أحدهم صرير الأقلام وأصوات الملائكة والجان . ويفهم أحدهم منطق الطير ... اهـ .
الأبدال (أو البدلاء) : جمع بدل . وهم الذين استبدلوا المساوئ بالمحاسن وصفاتهم بصفات محبوبهم . سموا بذلك لما في الحديث : « ... كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً » . أو لأنهم خلف عن الأنبياء (كما في كلام أبي الدرداء رضي الله عنه الذي سيأتي بعد أسطر) . (ولابن عربي) : إذا رحل البدل عن موضع ترك بدله فيه حقيقة ؛ وروحانيته تجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه هذا الولي ، فإن ظهر شوق شديد من أناس ذلك الموطن لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله وكلموها وهو غائب عنها . وقد يكون هذا من غير البدل بفرق أن غير البدل لا يعلم أنه ترك غيره . (وللقاشاني) : الأبدال طائفة من أهل المحبة والكشف والمشاهدة والحضور يدعون الناس إلى التوحيد والإسلام لله تعالى ... ويدفع [الله] عن الناس بهم البلاء والفساد . كما جاء في الحديث النبوي حكاية عن الله تعالى أنه قال : « إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همه ولذته في ذكري ، فإذا جعلت همه ولذته في ذكري عشقني وعشقته ، ورفعت الحجاب بيني وبينه لا يسهو إذا سها الناس . أولئك كلامهم كلام الأنبياء وأولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فيه فصرفته بهم عنهم » . قلت : وسمعت شيخنا البرهاني قدس سره : أن سيدنا عبد القادر الجيلاني كان يُدعى في بعض الأحيان فيحضر في (٤٠) مجلساً في نفس الوقت .
● عددهم : أربعون رجلاً ، وقيل : (٧) . لكل واحد منهم درجة مخصوصة ، ينطبق أول درجاتهم على آخر درجات الصالحين وآخرها على أول درجة القطب . كلما مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه أحداً يدانيه ممن تحته ، وظهر التبدل في كل من هو أدنى منه ، فحينئذ يدخل في أول درجاتهم واحد من الصالحين وينخرط في سلك الأبدال . ولا يزال عددهم كاملاً حتى إذا جاء أمر الساعة قبضوا جميعاً ـ كما جاء في الخبر ـ . جاء في « الإحياء » كتاب « ذم الكبر والعجب » ٣٠٨/٣ قال أبو الدرداء رضي الله عنه :
« اعلم أن لله عباداً يقال لهم الأبدال خلفٌ من الأنبياء . هم أوتاد الأرض . فلما انقضت النبوة ، أبدل الله تعالى =

اليسرى و (أربعة أقطاب) عن يمينه ؛ وهم مالكية - على مذهب « الإمام

- عددهم. وظيفتهم.

= مكانهم قوماً من أمة محمد ﷺ ، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حُسن حلية ، ولكن بصدق الورع ، وحسن النيّة ، وسلامة الصدر لجميع المسلمين ، والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله ، بصبر من غير تجبّن ، وتواضع في غير مذلة . وهم قوم إصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم (أربعون صدّيقاً) أو ثلاثون رجلاً قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لايموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد أنشأ من يخلفه . واعلم يا أخي أنهم لايلعنون شيئاً ، ولا يؤذونه ، ولا يحقرونه ، ولا يتطاولون عليه ، ولا يحسدون أحداً ، ولا يحرصون على الدنيا . هم أطيب الناس خيراً ، وألينهم عريكة ، وأسخاهم نفساً . علامتهم : السخاء . وسجيتهم : البشاشة . وصفتهم : السلامة . ليسوا اليوم في خشية وغداً في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر ، وهم فيما بينهم وبين ربهم لاتدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجرّاة . قلوبهم تصعد ارتياحاً إلى الله تعالى واشتياقاً إليه ، وقدماً في استباق الخيرات : ﴿ أولئكَ حزبُ الله ألا إنّ حزبَ الله هم المفلحون ﴾ » . قال راوي الحديث : فقلت يا أبا الدرداء ..! ماسمعتُ بصفة أشد عليّ من هذه الصفة ؛ فكيف لي أن أبلُغَها ؟!! فقال : مابينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون مبغض الدنيا ؛ فإنك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حبّ الآخرة ؛ وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا ، وبقدر ذلك تبصر ماينفعك . فإذا علم الله من عبدٍ حسنَ الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة . واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل : ﴿ إنّ اللهَ مع الّذينَ اتّقوا والّذينَ هُمْ مُحسِنُون ﴾ . اهـ .

وفي « رسائل ابن عابدين » :

روى الطبراني وغيره عن علي أن رسول الله ﷺ قال : « لاتسبّوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال » .

وروى أحمد عن علي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « البدلاء بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ؛ يُسقى بهم الغيث ويُنْصَر بهم على الأعداء ، ويُصرف بهم عن أهل الشام العذاب » . قال السخاوي : رجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة . اهـ .

وروى الحكيم الترمذي عن أنس عنه ﷺ قال : « البدلاء أربعون رجلاً ... كلما مات منهم واحد أبدل الله تعالى مكانه آخر فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم ، فعند ذلك تقوم الساعة » . اهـ .

وجاءت أحاديث كثيرة رواها الديلمي وابن أبي الدنيا وأبو نعيم عن ابن عباس وابن عمر وغيرهم . وعن المطوعي عمن رأى الخضر عليه السلام وتكلم معه وذكر حديثاً طويلاً . وفي قوت القلوب : تصير الأبدال أبدالاً بالصمت والعزلة والجوع والسهر [أي في طاعته] .

● مسكنهم : أكثر الأحاديث على أنه في « الشام » . وفي حديث أنس - فيما رواه ابن عدي وابن شاهين والخلال - مرفوعاً : « ... اثنان وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ... » .

● علامتهم : لايلعنون شيئاً أبداً . قيل : ولا يولد لهم . يعفون عمن ظلمهم . يحسنون لمن أساء إليهم . يتواسون فيما أتاهم الله . أهل سخاء ومناصحة .

<u>النقباء</u> : جمع نقيب . وهو لغة : العريف ، شاهد القوم وضمينهم . واصطلاحاً : هم الذين نقبوا الكون ، وخرجوا إلى شهود المكوّن سبحانه .

● عددهم : (١٠) وقيل : (٣٠٠) وقيل : (١٢) في كل زمان عدد بروج الفَلَك . ● خواصهم : كل نقيب =

مالك » بن أنس رضي الله عنه و (**ثلاثة أقطاب**) عن يساره ؛ واحد من كل ـ أجناسهم ـ مراتبهم .

= عالم بخاصية برج وبما أودع الله تعالى في مقامه من الأسرار والتأثيرات ... جعل بأيديهم علوم الشرائع ؛ ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها ، ومعرفة مكرها وخداعها ... حازوا علم الفلك التاسع . ● مسكنهم : قيل : المغرب .

النجباء : جمع نجيب . وهو لغة : الكريم الحسيب . واصطلاحاً : هم السابقون إلى الله تعالى لنجابتهم ، وقائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم ومتصرفون في حقوق الخلق . ● عددهم : (٧٠) وقيل : (٨) في كل زمان وقيل : (٤٠) . ● مسكنهم : مصر.وقيل : الكوفة.وقيل:اليمن . ● خواصهم : أهل جد وقريحة وعلم بالصفات الثانية (السبعة المعاني المشهورة في علم التوحيد والثامنة « الإدراك) . ● مقامهم : الكرسي . ولهم القدم الراسخ في علم تسيير الكواكب الثابتة كشفاً .

الأوتاد (أو العُمد) : جمع وتد (بالكسر وقد يفتح ...) وهو لغة : كل ما يثبت به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ والجبال أوتادا ﴾ واصطلاحاً : هم كالجبال راسخون في معرفة الله سبحانه وحكمهم في العالم حكم الجبال في الأرض فإنه بالجبال يسكن ميل الأرض .

● عددهم : (٤) كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة . وقيل : (٤٠) . ● مسكنهم : زوايا الأرض .

● خصائصهم :ـ يمسك الله بهم العالم . أحدهم يحفظ الله به المشرق والآخر المغرب وثالث الجنوب ورابع الشمال . ومن كلام الحاتمي يُفهم : أنهم هم الرسل الأحياء الآن : عيسى والياس وادريس والخضر ، واحد منهم القطب واثنان إمامان.بواحد يحفظ الإيمان وبالثاني يحفظ الولاية ، وبالثالث يحفظ النبوة وبالرابع يحفظ الرسالة ، وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي . والقطب منهم لا يموت ... ولكل واحد من هذه الأمة في كل زمان شخص على قلوبهم مع وجودهم وهم نوابهم . ا هـ .

ـ لكل منهم ركن من أركان البيت ، ويكون على قلب نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فالذي على قلب آدم له الركن الشامي . والذي على قلب إبراهيم له الركن العراقي . والذي على قلب عيسى له الركن اليماني . والذي على قلب سيدنا محمد ﷺ له ركن الحجر الأسود . وكان « الشافعي » منهم .

الأخيار : وفيهم جاء حديث ابن عمر مرفوعاً : « خيار أمتي في كل قرن خمسمائة ... » رواه الطبراني .

● عددهم : (٧) وقيل : (٣) وقيل : (٥٠٠) . ● مسكنهم : سياحون . قيل : هم من أهل العراق .

العرفاء : [قلت : لم أقف على تعريفهم ولعلهم هم نفسهم الأخيار أو النقباء] .

● عددهم : (٧) .

الأفراد : جمع فرد . وهم الكروبيون معتكفون في حضرة الحقّ سبحانه . لا يعرفون سواه ، ولا يشهدون سوى ما عرفوه . نظيرهم من الملائكة : الأرواح المهيمة . وهم خارجون عن نظر القطب . وماله فيهم تصرّف ، والقطب واحد منهم .

● مقامهم : بين الصديقية والنبوة .

القطب : لغة : سيد القوم وملاك الشيء ومداره . اهـ القاموس المحيط . وقال في الكليات للكفوي : سمّي خيار الناس قطباً لاجتماع خيار الناس فيه اهـ ٦٥/١ . يطلق [في الاستعمال عموماً] على من تحقق بمقام . واصطلاحاً عند القوم : هو الخليفة الباطن ، سيد أهل زمانه ، هو القائم بحقّ الكون والمكوّن سبحانه . سمّي =

مـذهب من المـذاهب الثـلاثـة [أبي حنيفـة والشـافعي وأحمـد بن حنبـل رضي الله

= قطباً لجمعه المقامات والأحوال [الشريفة] ودورانها عليه فهو أكمل إنسان متكن في مقام الفردية تدور عليه أحوال الخلق . وهو عموماً قطب بالنسبة إلى مافي عالم الشهادة ؛ يستخلف بدلاً عنه عند موته من أقرب الأبدال منه . والقطب المحمديّ أو المفرد : وهو من جمع المقامات ثم خرج عنها إلى لامقام كأبي يزيد . أو من اختص بميراث علم لم يكن في شرع قبله . والقطب المحمدي يتقلب مع الأنفاس علماً . والأقطاب المحمديون قبل بعثته هم الرسل وهم (٣١٣) رسولاً . وبعد بعثته إلى يوم القيامة من أمته فهم (١٢) قطباً . وماعدا الأقطاب المحمديين هم أقطاب منسوبون إلى نبي من الأنبياء وعلى شرع سيدنا محمد ﷺ . ومامن قطب إلا وله اسم عام واسم خاص زائد على العام سواء كان نبياً أو ولياً .

الأقطاب : هم رجال الغيب سمّوا بذلك لعدم معرفة أكثر الناس لهم . ويتعدد في الزمان الواحد أقطاب في المقامات والأحوال والعلوم ... إذا غلب على الواحد منهم شيء منها ، [وسمعت شيخنا البرهاني قدس سره يقول : إن لكل بلد قطباً موكلاً بها اهـ] . فإذا أريد المقام الذي لايتصف به إلا واحد عُبّر عنه بـ :

الغوث : (أو قطب الأقطاب ، أو القطب الأكبر ، أو قطب الإرشاد ، أو قطب العالم) وهو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عالمي الغيب والشهادة . وهو موضع نظر الحقّ سبحانه من العالم في كل زمان . خلق على قلب سيدنا محمد ﷺ وقيل : على قلب إسرافيل ، فهو سيد الأقطاب رجال الغيب . جعله الله تعالى دائراً في الآفاق الأربعة كدوران الفلك في أفق السماء ● وقد يكون ظاهر الحكم يحوز الخلافة الظاهرة والباطنة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . وقد يكون له الخلافة الباطنة فقط كأكثر الأقطاب . وستر الله أحواله عن الخاصة والعامة ، غير أنه يرى عالماً كجاهل ، وأبله كفطن ، وقريباً بعيداً ، سهلاً عسراً ... ؛ به يقع صلاح العالم بتسخير من الله سبحانه . منزه عن الحال ثابت في العلم ، لاتطوى له الأرض ولا يمشي في الهواء ولا على ماء ، ولا يأكل من غير سبب . يصل منه المدد الروحاني إلى دوائر الأولياء من نجيب ونقيب وأوتاد وأبدال ● وتسميته بالغوث : من حيث إغاثته العوالم بمادته ورتبته الخاصة . وباعتبار التجاء الملهوف إليه . قال ابن العربي الحاتمي : كل من عرف القطب من الناس لزمته مبايعته ..

● علاماته وأوصافه : قال الإمام الشاذلي : للقطب خمس عشرة علامة :

١ ـ متخلق بأخلاق الرحمة على قدمه ﷺ صاحب علم ورأفة وشفقة وعفو وعقل ورزانة وجود وشجاعة .

٢ ـ له مدد العصمة وهي في الأنبياء واجبة وللأولياء جائزة وتسمى « الحفظ » فهو لا يتجاوز حداً من حدود الله ولا ينقض عهداً ● ٣ ـ خليفة الله في أرضه ، أمين على عباده بالخلافة النبوية ، قد بايعته الأرواح وانقادت إليه الأشباح ● ٤ ـ له النيابة عن الحقّ سبحانه في تصريف الأحكام عملاً بمقتضى الحكمة الإلهية ● ٥ ـ له مدد حملة العرش ● ٦ ـ هو عارف بالله سبحانه معرفة العيان ● ٧ ـ يكشف له عن إحاطة الصفات بالكائنات ● ٨ ـ يكرم بالحكم بأن يفصل بين الوجودين ، الوجود قبل التجلي وهو الوجود الأزلي ، والوجود بعد التجلي حيث في الأول كانت ربوبيةٌ بلا عبودية ومعنى بلا حسّ ؛ وفي الثاني كانت ربوبية وعبودية ، ومعنى وحسّ تحقق فيها اسمه تعالى الظاهر والباطن ● ٩ ، ١٠ ـ يكرم بالحكم بانفصال نور قبضته سبحانه عن النور الأزلي أي عن بحر الجبروت ، وما تفرع من نور القبضة إلى منتهاه من التجليات حالاً لا مآلاً ، لأن في =

عنهم] . و (الوكيل) أمامه ؛ ويسمى (قاضي الديوان) ؛ وهو في هذا الوقت

= المآل لا انتهاء لتجلياته سبحانه فإذا انقضى الوجود الدنيوي تجلى بوجود أخروي ولا نهاية له ● ١١ ـ يعلم ماثبت في ذاك الانفصال من المنفصلات جملة ، ومعرفة مزاياها ● ١٢ ـ يعلم حكم ماقبل تجليه سبحانه الذي هو التنزيه المطلق ● ١٣ ـ يعلم حكم مابعد التجلي وهو التكليف في مظاهر التعريف ● ١٤ ـ يعرف معنى الأول بلا بداية ومعنى الآخر بلا نهاية ● ١٥ ـ يطّلع على جزئيات من علم البدء ، ذاك العلم الأزلي المحيط بكل علم ومعلوم وهو سرّ القدر . اهـ ملخصاً ● وزاد الحاتمي : أن خليفة الله في أرضه لابد أن يكون على علم بمعاني حروف أوائل السور . وينفرد الحقّ به ويخلو به دون خلقه . قال ملا علي القاري : وأما قطب الأبدال في زمانه ﷺ فالذي في ظني « أويس القرني » اهـ ● أول من تقطب بعده ﷺ ابنته « فاطمة » ثم الخلفاء الراشدون والحسن ، وبعد عصر الصحابة معاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز . والمتوكل فكانت لهم الخلافة الظاهرة والباطنة . وكأحمد بن هارون الرشيد السبتي وأبي يزيد البسطامي وأكثر الأقطاب لهم الخلافة الباطنة فقط .

● العدد : واحد في كل زمان . ● المسكن : مكة ـ على الراجح .. وقيل اليمن . ● شأنه : هو مختف عن أكثر الناس لايطلع عليه إلا الأفراد منهم . عنده دائماً تصدعٌ في الرأس لثقل مايحمله من البلاء النازل من السماء ● اسمه العام : عبد الله . ذكره في نفسه : الله ، وفي العموم : لا إله إلا الله ـ إذا مات القطب خلفه أحد الإمامين اللذين أحدهما مقصور على عالم الملكوت والآخر على عالم الملك واسمها عبد الملك وعبد ربه . وذكرهما : الحمد لله .

القطبية الكبرى : هي مرتبة قطب الأقطاب وهو باطن نبوة سيدنا محمد ﷺ ، فلا يكون إلا لورثته .

ذكر الشعراني عن شيخه الخواص : أنه ﷺ أقام في القطبية الكبرى مدة رسالته وهي (٢٣) سنة على الأصح وبعده أبو بكر مدة خلافته (٢٨) شهراً وكذلك مدة خلافة عمر وعثمان وعلي ومن بعدهم إلى ظهور المهدي عليه السلام وهو آخر الأقطاب ... ثم ينزل بعده قطب وقته وخليفة الله تعالى في الأرض عيسى بن مريم عليه السلام فيقيم في الخلافة (٤٠) سنة . اهـ باختصار ، رسائل ابن عابدين ٢٧٥/٢ ، الإنسان الكامل لابن العربي ، جمع محمود غراب .

ملاحظة : قال ابن عابدين في رسائله ٢٦٩/٢ : وفيما ذكر من تعيين العدد بعض مخالفة ... وكأن ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ أن منْ ذكر الأكثر بيّن الجميع ومن ذكر الأقل اقتصر على بيان من هم رؤساء أهل تلك الدرجة وأرسخ قدماً من بقيتهم فيها ... اهـ .

فائدة : ١) قال الشيخ الشوبري عن الإمام اليافعي في كتابه « كفاية المعتقد » : .... قد سترت أحوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة ، غيرةً من الحق عليه ، غير أنه يرى عالماً كجاهل ... وكشفت أحوال الأوتاد للخاصة وكشفت أحوال الأبدال للخاصة والعارفين وسترت أحوال النجباء والنقباء عن العامة والخاصة ، وكشف بعضهم لبعض . وكشف حال الصالحين للعموم والخصوص ﴿ ليقضي الله أمراً كان مفعولا ﴾ اهـ .

٢) وفي « كفاية المعتقد » أيضاً قال بعض العارفين : « الصالحون » كثير ... و « النجباء » في العدد أقل منهم . و « النقباء » في العدد أقلّ منهم ... و « الأبدال » في العدد أقل منهم . و « الأوتاد » واحد باليمن ... [وعدّ =

مالكي أيضاً[1] ، من « بني خالد » القاطنين بناحية « البصرة » ؛ واسمه سيدي « محمد بن عبد الكريم البصراوي » . ومع الوكيل يتكلم الغوث ؛ ولذلك سمّي وكيلاً ، لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان . قال : **والتصرف** لـ « الأقطاب السبعة » على أمر الغوث . وكلّ واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته . **والصفوف** : ستة[2] من وراء الوكيل ؛ وتكون دائرتها من القطب الرابع إلى الذي على اليسار من الأقطاب الثلاثة . فالأقطاب السبعة هم أطراف الدائرة . وهذا هو الصف الأول . وخلفه الصف الثاني على صفته ، وعلى دائرته . وهكذا الثالث ، إلى أن يكون السادس آخرها .

نساء الديوان

قال : **ويحضره النساء** ؛ وعددهن قليل ، وصفوفهنّ ثلاثة ، وذلك في جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار ، فوق دائرة الصفّ الأول ، في فسحة هناك بين الغوث والأقطاب الثلاثة .

أموات المؤمنين الكمّل يحضرون الديوان ومميزاتهم ثلاث .

قال رضي الله عنه : **ويحضره بعض الكُمَّل من الأموات** ، ويكونون في الصفوف مع الأحياء ؛ **ويتميزون** بثلاثة أمور : (أحدها) : أن زيّهم لا يتبدل ، بخلاف زيّ الحيّ وهيئته ؛ فمرة يحلق شعره ، ومرة يجدد ثوبه وهكذا . وأمّا الموتى : فلا تتبدل حالتهم ؛ فإذا رأيتَ في الديوان رجلاً على زيٍّ لا يتبدل فاعلمْ أنه من الموتى ، كأن تراه محلوقَ الشعر ، ولا ينبت له شعر ، فاعلمْ أنه على تلك الحالة مات . وإن رأيت الشعر على رأسه على حالة ، لا يزيد ولا ينقص ولا يُحلق ، فاعلمْ أيضاً أنّه ميت ، وأنه مات على تلك الحالة . (ثانيها) : أنه لا تقع معهم مشاورة في أمور الأحياء ، لأنهم لا تصرف لهم فيها ، وقد انتقلوا إلى عَالَم آخر ، في غاية المباينة لعالم

= أربعة كما تقدم] . ٣) من أحوال القطب تقرير العادات والجري عليها ولا يظهر خرق عادة دائماً كما يظهر صاحب الحال . كما أنه كثير النكاح راغب فيه ، محبّ للنساء ، يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له . ويوفي الروحانية حقها على الحد الإلهي . [انظر بقية أحواله ص ١٦ حتى ١٩ في القطب الغوث الفرد من كلام ابن العربي الحاتمي جمع م . م الغراب] .

(١) أي زمن الشيخ الدباغ قدس سره . وتقدم ذكره ص ٣٣١ ، جـ ١ .

(٢) كذا في ظ١ . وفي بولاق : الستة .

الأحياء ؛ وإنما تقع معهم المشاورة في أمور عالم الأموات . قال رضي الله عنه : ومن (آداب زائر القبور) إذا أراد أن يدعو لصاحب قبر ، ويتوسل إلى الله تعالى بوليّ من أوليائه ، في إجابة دعوته ، أن يتوسل إليه تعالى بوليّ ميت ؛ فإنه أنجح لمقصوده ، وأقرب لإجابة دعوته .

فائدة

أدب زيارة القبور .

(ثالثها) : أن ذات الميت لاظلّ لها ، فإذا وقف الميت بينك وبين الشمس فإنك لاترى له ظلاً : وسِرّه : أنه يحضر بذات روحه ، لا بذاته الفانية الترابية ؛ و « ذاتُ الروح خفيفةٌ لا ثقيلة ، وشَفّافة لا كثيفة » . قال لي رضي الله عنه : وكم مرةٍ أذهب إلى الديوان ، أو إلى مجمع من مجامع الأولياء ، وقد طلعت الشمس ، فإذا رأوني من بعيد استقبلوني ؛ فأراهم بعينَي رأسي متميزين ، هذا بظلّه ، وهذا لا ظلّ له .

من صفة الروح

قال رضي الله عنه : **والأموات الحاضرون** في الديوان ، ينزلون إليه من البرزخ ، يطيرون طيراً ، بطيران الروح ؛ فإذا قَرُبُوا من موضع الديوان - بنحو مسافة - نزلوا إلى الأرض ، ومَشَوا على أرجلهم ، إلى أن يصلوا إلى الديوان ، تأدباً مع الأحياء ، وخوفاً منهم ؛ قال : وكذا « رجال الغيب » إذا زار بعضهم بعضاً فإنه يجيء يسير بروحه ، فإذا قرب من موضعه تأدب ومشى مشيَ ذاته الثقيلة ؛ تأدباً وخوفاً .

كيفية حضور الأموات .

رجال الغيب وزيارتهم لبعضهم .

قال : **وتحضره الملائكة** ؛ وهم من وراء الصفوف . **ويحضره أيضاً الجنّ الكمّل** ، وهم الروحانيون ، وهم من وراء الجميع ، وهم لا يَبْلُغون صفاً كاملاً . قال رضي الله عنه : **وفائدة حضور الملائكة والجنّ** : أن الأولياء يتصرفون في أمور تطيق ذواتهم الوصول إليها ؛ وفي أمور أخرى لاتطيق ذواتهم الوصول إليها ، فيستعينون بالملائكة وبالجنّ ، في الأمور التي لاتطيق ذواتهم الوصول إليها .

الملائكة وكمّل الجن ... يحضر الديوان .

ما فائدة ذلك ؟

قال : وفي بعض الأحيان يحضره النبيّ ﷺ ؛ فإذا حضر عليه الصلاة والسلام جلس في موضع الغوث ، وجلس الغوث في موضع الوكيل ، وتأخر الوكيل للصف . وإذا جاء النبيّ ﷺ جاءت معه الأنوار التي لاتطاق ، وإنما هي أنوار محرقة مفزعة

حضوره ﷺ الديوان .

قاتلة لحينها ، وهي أنوار المهابة والجلالة والعظمة ، حتى إنا لو فرضنا أربعين رجلاً بلغوا في الشجاعة مبلغاً لا مزيد عليه ، ثم فُجِئوا بهذه الأنوار ، فإنهم يصعقون لحينهم ؛ إلا أن الله تعالى يرزق أولياءه القوّة على تلقيها . ومع ذلك فالقليل منهم هو الذي يضبط الأمور التي صدرت في ساعة حضوره ﷺ . قال : **وكلامه ﷺ مع الغوث** ؛ قال : وكذلك الغوث ، إذا غاب النبيّ ﷺ تكون له أنوار خارقة ، حتى لا يستطيع أهل الديوان أن يقربوا منه ، بل يجلسون منه على بعد ؛ فالأمر الذي ينزل من عند الله تعالى لاتطيقه ذات إلا ذات النبي ﷺ ؛ وإذا خرج من عنده ﷺ فلا تطيقه ذات إلا ذات الغوث ؛ ومن ذات الغوث يتفرق على الأقطاب السبعة ، ومن الأقطاب السبعة يتفرق على أهل الديوان .

ساعة اجتماع الديوان .

[٢] **وأما ساعة الديوان** فقد سبق الكلام عليها [١ / ٣١٠] ؛ وأنها هي الساعة التي ولد فيها النبيّ ﷺ ، وأنها هي ساعة الاستجابة من ثلث الليل الأخير ، التي وردت بها الأحاديث ، كحديث : « يَنْزِلُ رَبُّنا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَخِيرِ فَيَقُولُ : مَنْ يدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ » الحديث . [رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن حنبل وابن ماجة ومالك في الموطأ][٣] .

قلت : ومن أراد أن يظفر بهذه الساعة فليقرأ عند إرادة النوم [آخر سورة الكهف:١٠٧] :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ ﴾ إلى آخر السورة .

ويطلبُ من الله تعالى أن يوقظه في الساعة المذكورة ، فإنه يفيق فيها . ـ ذكره الشيخ عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ـ ؛ وقد جربناه ما لا يحصى ؛ وجرّبه غيرنا ؛ حتى إنه وقع لجماعة ـ غيرَ مامرة ـ أن يقرؤوا الآية المذكورة ،

---

(٣) ولفظ الترمذي ١٦٤/٢ ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول ؛ فيقول : أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له ؛ من ذا الذي يسألني فأعطيَه ؛ من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له . فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر .

ويطلبوا من الله تعالى الإفاقة في الساعة المذكورة ، كلٌ واحد منهم يفعل ذلك في خاصة نفسه ، من غير أن يَعلم به صاحبه ، وإذا أفاقوا أفاقوا جميعاً في وقت واحد .

حال الديوان قبل البعثة .

[٣] **وسمعته** ـ رضي الله عنه ـ يقول : إنّ الديوان ـ أولاً ـ كان معموراً بالملائكة : ولما بَعثَ الله النبيَّ ﷺ جعل الديوانُ يُعمر بأولياء هذه الأمّة ؛ فظهر أن أولئك الملائكة كانوا نائبين عن أولياء هذه الأمة المشرفة ؛ حيث رأينا الوليّ إذا خرج إلى الدنيا ، وفتح الله عليه ، وصار من أهل الديوان ، فإنه يجيء إلى موضع مخصوص في الصفّ الأول ، أو غيره ، فيجلس فيه ويصعد المَلَك الذي كان فيه ؛ فإذا ظهر وليٌّ آخر جاء إلى موضع ويصعد المَلَك الذي في ذلك الموضع : وهكذا كانت بداية عمارة الديوان ؛ حتى كمل ولله الحمد ، كلما ظهر وَليّ صعد مَلَكٌ .

الوليّ يأخذ مكان المَلَك في الديوان .

[٤] وأما (**الملائكة**) الذين هم باقون فيه ، ويكونون خلف الصفوف الستة ـ كما سبق [ص ١٦] ـ ، فهم ملائكةُ ذاتِ النبي ﷺ الذين كانوا حُفّاظاً لها في الدنيا . ولما كان نور ذاته ﷺ مُفرّقاً في أهل الديوان بقيت ملائكة الذات الشريفة مع ذلك النور الشريف . قال رضي الله عنه : وإذا حضر النبيّ ﷺ في الديوان ، وجاءت معه الأنوار التي لاتطاق ، بادرت الملائكة الذين مع أهل الديوان ، ودخلوا في نوره ﷺ ، فما دام النبيّ ﷺ في الديوان ، لايظهر منهم مَلَك ؛ فإذا خرج النبيّ ﷺ من الديوان رجع الملائكة إلى مراكزهم . والله أعلم .

ملائكة نور ذاته ﷺ وحضوره .

[٥] **وسمعته** ـ رضي الله عنه ـ يقول : إنّ في كلّ مدينة من المدن عدداً كثيراً من الملائكة ، مثل السبعينَ ملكاً ، أو أقلّ ، أو أكثر ؛ يكونون موجودين عوناً لأهل التصرف من الأولياء ، فيما لاتطيقه ذات الوليّ .

ملائكة في صُوَر بني آدم هم أعوان أهل التصريف .

قال رضي الله عنه : **وهؤلاء الملائكة الذين يكونون في المدن يكونون على هيئة بني آدم** ، فمنهم من يلقاك في صورة « خواجة » ومنهم من يلقاك في صورة « فقير » ، ومنهم من يلقاك في صورة « طفل صغير » ، وهم منغمسون في الناس ولكن الناس لايشعرون .

[٦] وحكى لنا رضي الله عنه في هذا الباب حكايات ، فيها من الأسرار مالا يكيّف ولا يطاق . وسبب ذكره ـ رضي الله عنه ـ لهذا الكلام : أنه (سمعني) أقول لبعض من حضر : إنهم ذكروا : « أن من أخذ سِفراً من [صحيح] سيّدي البخاري[٤] ، وذهب به إلى ضريح وليّ ، وفتحه ، وتوسّلَ برجال سنده ، وبذلك الوليّ ، إلى الله تعالى ، فإن حاجته تُقضى ، ولا سيما إن كان هو السِفرَ الأخير » . ثم استفهمته رضي الله عنه عن صحة ماذُكر . (فقال) رضي الله عنه : إن (في كل مدينة عدداً من الملائكة) ؛ فإذا رأوا العبد يطلب من الله شيئاً ؛ فإن رأوا القَدَر سبق به ، سَدّدوه وكانوا معه ؛ فيحضره التوفيق ، ويزول الشيطان من الطريق . وإن رأوا خلاف ذلك ، تركوه فحضره الشيطان ؛ وحينئذ فإذا رأوا من أخذ سِفْراً من [صحيح] سيدي البخاري ذاهباً به إلى ضريح وليّ ورأوا حاجته مقضيةً ، سدّدوه ، وألقوا في قلبه الإلحاح والتلهف على طِلبته ، وذهبوا معه إلى الضريح وهو حامل الجِرْم[٥] السِّفْر ، وهم حاملون لأسراره ؛ فإذا دعا أمّنوا على دعائه فتُقضى حاجته . وإن رأوا الحاجة غيرَ مقضية ، أخذوا أسرار الكتاب ، وذهب هو بالجِرْم فقط ؛ ويَعرضُ له الشيطان في الطريق بالوسوسة ، وتشتيتِ الفكر ، حتى لاتبقى له حلاوةٌ في الدعاء .

بركة قراءة صحيح البخاري . فائدة لقضاء الحاجة.

[س] فقلت له : فما السرّ الزائد على جرم الكتاب الذي يأخذونه ؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : فما السرّ الذي امتاز به جرم العسل على جرم

---

(٤) الإمام البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ) : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . طلب العلم صغيراً . سمع الحديث في بلده بخارى ، ثم رحل لعدة أماكن ، وسمع الكثير . ألّف الصحيح بمكة ، واختاره من زهاء (٦٠٠٠٠٠) حديث ، وقال ماأدخلت فيه إلا صحيحاً ، وأحفظ (١٠٠,٠٠٠) حديث صحيح و (٢٠٠,٠٠٠) حديث غير صحيح ا هـ سبل السلام ١١/١ . توفي في سمرقند بقرية خرتنك . وفي طبقات الشعراني : تستنزل الرحمة عند ذكره ، صائم الدهر . من أقواله : أرجو أن ألقى الله تعالى ولا يطالبني أني اغتبت أحداً . كان يصلي بأصحابه في رمضان بثلث القرآن ؛ ويختم كل ثلاث ا هـ ٦٧/١ .

السِّفر : ـ بالكسر ـ الكتاب الكبير أو جزء من أجزاء التوراة . ا هـ القاموس المحيط . قلت : المراد هنا الجزء الواحد .

(٥) الجرم : ـ بالكسر ـ الجسد . ا هـ مختار الصحاح .

سبب ساعة الجمعة.

[٩] وسألته رضي الله عنه عن سبب « ساعة الجمعة » ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : ـ سببها : أنه تعالى لما فرغ من خلق الأشياء ـ وكان ذلك في آخر ساعة من يوم الجمعة ـ ؛ اجتمعت الخلائق كلّها على الدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يتم النعمة على ذواتهم ؛ **ويعطيَهم مايكون سبباً في بقائها وصلاحها ، مع رضاه تعالى عليهم وعدم سخطه** . قال رضي الله عنه : وينبغي للشخص إذا فتح عليه في ساعة الجمعة ، ووفّق لها ، أن يدعو بنحو هذا الدعاء ؛ ويسألَ اللهَ تعالى خيرَ الدنيا وخير الآخرة ؛ فإنّ ذلك هو الذي صدر من باطن المخلوقات يومئذ ولم يكن دعاؤهم مجرداً للآخرة . فإذا وفق الشخص للساعة المذكورة ووافق الدعاءَ المذكورَ نجح مرغوبه . قال رضي الله عنه : و (هذه الساعة القليلة) جداً إنما هي (قدر : الركوع مع طمأنينته) ؛ وذلك قدر مايرجع كل عضو من المتحرك إلى موضعه ، ويسكن فيه ، وتسكن عروقه وجوارحه من الحركة الناشئة عن التحرك السابق . قال رضي الله عنه : و (هذه الساعة تنتقل) ، ولكن في (يوم الجمعة) خاصة ؛ فمرّة تكون قبل الزوال تنتقل في ساعته ، ومرّة تكون عند الزوال وبعده تنتقل في ساعاته إلى غروب الشمس . فسمعته رضي الله عنه يقول : تبقى قبل الزوال ستة أشهر ، وبعد الزوال ستة أشهر . وسمعته ـ مرة أخرى ـ يقول : إنها في زمنه ﷺ كانت في الوقت الذي كان يخطب فيه النبيّ ﷺ ، وذلك عند الزوال ؛ وفي زمن سيدنا « عثمان » ـ رضي الله عنه ـ انتقلت فصارت بعد الزوال ، وصار وقت الخطبة وقتَ اجتماع الناس للصلاة فارغاً منها ، مع أن الخطبة والاجتماع إنّما شَرَعه النبيّ ﷺ لإدراك الساعة المذكورة . قال رضي الله عنه : ولكن لما كان قيام النبيّ ﷺ ووقوفه خَطيباً متضرعاً خاشعاً لله تعالى ، لايعادله شيء ، حصل للوقت الذي قام فيه النبيّ ﷺ شَرَفٌ عظيم ، ونور كثير ؛ فصار ذلك الوقت بمثابة ساعة الجمعة ، أو أفضل ؛ فمن فاتته ساعة الجمعة وأدرك ساعة وقوفه ﷺ لم يَضع له شيء ؛ ولهذا لم يأمر النبيّ ﷺ بنقل الخطبة إلى ساعة الجمعة ، كلما انتقلت ، لأن ساعته ﷺ لاتنتقل ، فكانت أولى بالاعتبار من ساعة الجمعة التي تنتقل ؛ لما في ذلك ـ أعني عدم نقل الخُطبة ـ من الرفق بالأمة المشرّفة ؛ وأيضاً ، (**فإنّ أمرَ ساعة الجمعة غيب وسرّ لايطّلع عليه إلا**

دعاء ساعة الجمعة لمن فتح عليه بها.

مقدار ساعة الجمعة.

تحديد ساعة الجمعة.

ساعة وقوفه ﷺ على المنبر خطيباً.

الخواص) . وساعته ﷺ ظاهرة مضبوطة بالزوال ، فلا تخفى على أحد ، فكانت أولى بالاعتبار ؛ وعلى هذا ، فمن لم يصلّ الجمعة عند الزوال ، وكانت عادته أن يؤخرها ، فقد فرّطوا في ساعة النبيّ ﷺ يقيناً ؛ وهم على شكّ في إدراك ساعة الجمعة ، فقد ضيّعوا اليقين بالشك ؛ وذلك تفريط عظيم . نسأل الله التوفيق لما نهجه ﷺ .

[س] فقلت : ونحن في « المغرب » ، إذا خطبنا في الزوال وأردنا مصادفة ساعته ﷺ فإنّا لاندركها ، لأنّ زوالنا يتأخر عن زوال المدينة بكثير ؛ فينبغي لنا أن نتحرى ساعته ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل الزوال ؛ وذلك يفضي إلى صلاة الجمعة قبل الزوال ؛ وهذا لا يجوز وكيف الحيلة ؟..!

[ج] فقال رضي الله عنه : (سرّ ساعته ﷺ) سارٍ في سائر الزوالات مطلقاً ، فلا يُعتبر زوالٌ دون زوال ، كما لا يعتبر غروب دون غروب ، وطلوعٌ دون طلوع ، بل المعتبر طلوعُ كلّ قطر ، وغروبُ كلّ مكان ؛ فإنّا نُصلّي الصبح على فجرنا ، لا على فجر « المدينة المنورة » ، ونفطر على غروبنا لا على غروبها ، وهكذا سائر الأحكام المضافة إلى الأوقات ؛ ومن جملة ذلك « الزوال » .

[س] ثم طَلبتُ من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ورَغِبْتُ إليه في أن يبيّن لنا كيفية انتقالها ، ووجه تدريجها ؛ وكيف كانت في آخر ساعة من الجمعة ، ثم جعلت تنتقل قليلاً قليلاً بالقهقرى ، حتى بلغت إلى الزوال ، ثم زادت إلى أن كانت قبله صاعدة إلى أول النهار ؛ ثم كيف ترجع عودها على بدئها ، إلى أن ترجع إلى آخر النهار مع أنّ سرها السابق يقتضي أن لاتنتقل ، وكذلك سرّ « ليلة القدر » يقتضي أن لاتنتقل ؛ كما لم تنتقل ساعة « ثلث الليل الأخير » وهي « ساعة ولادته ﷺ » ؛ ثم « **ساعة الجمعة** » في غاية الصغر ؛ فكيف تستوعب في ستة أشهر من غروب الشمس إلى الزوال ، وتستوعب في ستة أخرى من الزوال إلى طلوع الشمس ، ـ اللهمّ ـ إلا إذا كانت تكبر ... ؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : شرحُ ماسألتَ عنه منهيٌ عنه .

أحاديث فضل الجمعة وساعتها .

قلت : ولنذكر الأحاديث الشاهدة لكلام الشيخ ـ رضي الله عنه ـ الدالّة على أنه وارد : ـ أما قوله : (إن ساعة الجمعة وُقِّتَتْ لها هذه الأمّة ، دون غيرها من الأمم) ؛ فدليله ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا ، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ . فَهذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، هَدَانَا اللهُ لَه قال : يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فَالْيَوْمَ لَنَا ؛ وَغَداً لِلْيَهُودِ ؛ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى » .

ـ وأما قوله : (وأنها تنتقل ، وأنها قليلة جداً) فدليله ما أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُهْبِطَ ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ وَفِيهِ مَاتَ ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ؛ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ شَفَقاً مِنَ السَّاعَةِ ، إِلاَّ الْجِنَّ وَالإِنْسَ ؛ وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ » وقال مسلم في صحيحه : « فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا » . وقال في شأن الساعة : « وَهِيَ سَاعَةٌ خَفِيفَةٌ » . وقال : « لاَ يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي » .

وقال مسلم بن الحجاج في وقتها ـ من حديث أبي موسى[(٩)] ـ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فِيمَا بَيْنَ أَن يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاَةُ[(☆)] » . قال عبد الحقّ : ولم يسنده غير مَخْرمةَ بنِ بُكَيرٍ عن أبيه عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري ؛ وقد رواه جماعة عن أبي بُردة عن أبي موسى ؛ أي جعلوه من قول أبي

---

(٩) أبو موسى الأشعري (.. ـ ٤٤ هـ) : عبد الله بن قيس بن حضار بن حرب . من بني الأشعر من قحطان . صحابي ، من الشجعان الولاة الفاتحين . أحد الحكمين اللذين رضي بها علي ومعاوية رضي الله عنهما بعد وقعة صفّين . ولد في زبيد (باليمن) ، وقدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم . هاجر إلى الحبشة . استعمله ﷺ على زبيد وعدن . وولاه عمر على البصرة (١٧ هـ) فافتتح أصبهان والأهواز . هو من قراء الصحابة السبعة ، وأحسنهم صوتاً . وفي الحديث « سيد الفوارس أبو موسى » . له في الصحيحين (٣٥٥) حديثاً . ا هـ ملخصاً الاتقان ـ الأعلام .

(☆) كذا في صحيح مسلم ٦/١٤٠ بشرح النووي نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ..

موسى ، لا من قول النبيّ ﷺ ؛ فهو موقوف ، لا مرفوع . قال عبد الحقّ وغيره ومَخْرمة لم يسمع من أبيه إنما كان يحدث من كُتب أبيه ● وقال أبو داود عر جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ سَاعَةً ، لا يُوجَـ عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى شَيْئاً إلاّ آتَاهُ إِيَّاهُ ؛ فَالْتَمِسُوا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ » قال عبد الحقّ : في إسناده الجلاح مولى عبد العزيز بن مروان ؛ وقد ذكره أبـ عمر بن عبد البر من حديث عبد السلام بن حفص ـ ويقال له : ابن معقب ـ عر العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إر السَّاعَةَ الَّتِي يُتَحَرَّى فِيهَا الدُّعَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنَ الْجُمُعَةِ » . قال وعبد السلام ، ثقة مدنيّ ، وكذا قال فيه ابن معين ، أو لعله حكاه عنه أبو عمر انظر « عبد الحق » في « الأحكام الكبرى » . وانظر « ابن حجر » في « الفتح » فإنه حكى فيه واحداً وأربعين قولاً ، وذكر دلائلها وردودها ، وأطال في ذلك ونَسب الأقوال كلها ، وذكر الأحاديث الدالة عليها ، وبيّن ماهو صحيح منها ، ومـ هو ضعيف ، أو موقوف ، أو غيره ● ولمّا وقفتُ على تلك الأقوال كلّها ، وحفظتُها كلّها ؛ وعلمت دلائلها ؛ تكلمت مع الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في الساعة المذكورة فسمعتُ منه أسراراً كَتَبتُ بعضها ، وهو ماسبق . نفع الله به آمين . ولنرجع إلى ماسمعت منه في أمر **الديوان** فنقول :

لغة أهل الديوان

[١٠] **سمعته** ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن **لغة أهل الديوان** ـ رضي الله عنهم ـ هي (**السريانيّة**) لاختصارها ، وجمعها المعاني الكثيرة ؛ ولأن الديوار يحضره الأرواح والملائكة ؛ والسريانيّة هي لغتهم ؛ ولا يتكلمون بـ (**العربية**) إلا إذا حضر النبيّ ﷺ ؛ أدباً معه . **وسمعته** ـ رضي الله عنه ـ يقول : ليس كلُّ مر يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في « اللوح المحفوظ » ، بل منهم مر يقدر على النظر فيه ؛ ومنهم : من يتوجه إليه ببصيرته ، ولا يعرف مافيه ومنهم : من لا يتوجه إليه ، لعلمه بأنه ليس من أهل النظر إليه ؛ قال رضي الله عنه : كالهلال ، فإن رؤية الناس إليه مختلفة !!! .

[**تابع ١**] **وسمعته** ـ رضي الله عنه ـ يقول : إذا اجتمع الأولياء في الديوار

ـ رضي الله عنهم ـ أمد بعضُهم بعضاً ، فترى الأنوار تخرج وتدخل وتنفذ فيا بينهم كالنشاب ، ولا يتفرقون إلا على زيادة عظيمة . وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن **(الصغير من الأولياء)** يحضره بذاته ، وأما **الكبير** فلا تحجير عليه . يشير ـ رضي الله عنه ـ إلى : أن **الصغير** إذا حضره غاب عن محله وداره ، فلا يوجد في بلدته أصلاً ، لأنه يذهب إليه بذاته ؛ وأما **الكبير** : فإنه يدبّر على رأسه ، فيحضره ولا يغيب عن داره ؛ لأن الكبير يَقْدر على التصور(١٠) على ما شاء من الصور ، ولكمال روحه تُدبّر له ـ إن شاء ـ ثلثمائة وستةٌ وستون ذاتاً ؛ بل سمعت الشيخ ـ رضي الله عنه ـ مرة وأنا معه خارج « باب الحبشة(١١) » ، أحدِ أبواب « فاس » ـ حرسها الله ـ يقول : ايش هو الديوان ؟ والأولياء الذين يُقيمونه ، كلّهم في صدري ...!! وسمعته مرة يقول : إنما يُقام الديوان في صدري(☆) .

صغار أهل الديوان وكبارهم مقاماً.

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول ـ مرة أخرى ـ : السموات والأرضون بالنسبة إليّ كالموزونة في فلاة من الأرض(☆☆) . يصدر هذا الكلام منه ـ رضي الله عنه ـ ، وما أشبهه ؛ إذا شهدنا منه زيادة ؛ بل هو في زيادة دائماً ـ رضي الله عنه ـ .

ذوات كبار أولياء الديوان ٣٦٦ ذاتاً.

وقد **كنت معه** ذات يوم ، خارج « باب الفتوح » ؛ فجعل يذكر لي أكابر الصالحين ـ مع كونه أُميّاً ـ ، فقلت : فمن أين تعرفهم ؟ فقال رضي الله عنه : (أهلُ الفتح الكبير) مسكن أرواحهم قُبّةُ البرزخ ؛ فمن رأيناه فيها علمنا أنه من الأكابر . ثم جرى بيننا ذكر الشيخ سيدي « إبراهيم الدسوقي(١٢) » ؛ فقال : هو من

مقام سيدي الدسوقي.

(١٠) جاء في النسخ المطبوعة : على التطور . قلت : هو تصحيف من الناسخين .

(١١) في ط ١ : الجية .

(☆) وتأويله ـ والله أعلم ـ : أنه يشهده في صدره وهو في مكانه ، من باب الكرامة في طيّ المكان ورفع الحجاب .

(☆☆) قلت : وهذا من المقامات التي يمر عليها السالك لطريق المعرفة على يد مرشد عارف ، يتخيله بدءاً ويجريه على سرّه ثم يتحققه بدوام الذكر ؛ حيث يأتي الفتح بالتدريج على حسب استعداده وإخلاصه .

(١٢) إبراهيم الدسوقي (٦٣٣ ـ ٦٧٦ هـ) = (١٢٣٥ ـ ١٢٧٧ م) : هو ابن أبي المجد بن قريش بن محمد . يتصل نسبه إلى الحسن السبط رضي الله عنه . ولي كبير . كثير الأخبار والمريدين . من أهل دسوق (غرب مصر) . شافعيّ المذهب . (من كلامه) : يجب على المريد أن لايتكلم إلا بدستور [أي بإذن] شيخه إن كان جسمه حاضراً . وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب ؛ وذلك حتى يترقى إلى هذا المقام في حقّ ربّه عز وجل . ا هـ الطبقات ـ الأعلام ـ معجم مصطلحات الصوفية .

الأكابر ، فجعلتُ أذكر مناقبه ، والغرائب التي نُقلت من كراماته ؛ فقال رضي الله عنه : لو عاش سيّدي « إبراهيم الدسوقي » - رضي الله عنه - من زمنه إلى زماننا ، ماأدرك من المقامات ، ولا ترقى مثل ماترقّى أخوك « عبد العزيز » - يعني نفسه - من أمس إلى اليوم !! . واللهِ ماقاله أخوك افتخاراً ؛ وإنما قاله تعريفاً وتَحَدّثاً معكم بالنعمة ...!!

قوة تصرّف ومقام .

وكنت داخلاً معه - ذات يوم - من « باب الحبشة[١٣] » فنظر إليّ ، وقال : عَلَيّ في هذه الساعة ثلاثُ كِسْوات ، لو أُخِذت واحدةٌ منها ووُضِعَتْ على مدينة « فاس » لَذابَ جميع من فيها ، ورَجَع سورُها وبنيانها ودورها وجميع من فيها عَدَماً محضا .

مطلب عدد أسمائه تعالى لا يحصى .

[١١] وكنت داخلاً معه - ذات يوم - من « باب الفتوح » ، **فسألته** عن (**أسمائه تعالى**) وعددها ، وأن من العلماء من قال : إنها أربعة آلاف ؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : إنّي في لحظة - قدرَ تغميضةِ العين وفتحها - أشاهد من أسمائه تعالى ماينوف على مائة ألف ؛ والترقي هكذا على الدوام ، في كل لحظة .

☆ ☆ ☆

ولنرجع إلى مانحن بصدده ؛ فإنّ هذا بحرٌ لا قرار له ؛ ونحن على ساحل التَمَنّي ، نغترف من بحور الشيخ - رضي الله عنه - على قَدر الإمكان ؛ فنقول :

غياب الغوث (رئيس الديوان) أحياناً .

[تابع ١] سمعته رضي الله عنه يقول : قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره ؛ فيحصل بين أولياء الله تعالى من أهل الديوان مايوجب اختلافَهم ؛ فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتلَ بعضُهم بعضاً [بإذن من الله تعالى ، لا ببواعث نفسانية شيطانية] ؛ فإنْ كان غالبهم اختار أمراً ، وخالف الأقلُّ في ذلك ، فإن الأقلّ يحصل فيه التصرّف السابق ، فيموتون جميعاً . وقد اختلفوا - ذات يوم - في

---

(١٣) في ظ٦ : الحيصة . **قلت** : وما ذكره هنا هو من قوّة الحال ، وشدّة الأنوار حيث يقوى التصرف عندئذ في الأكوان - بإذن من الله تعالى - .

أمر ؛ فقالت طائفة منهم قليلة : إن لم يكن ذلك الأمر فَلْنَمُتْ ..! فقالت الطائفة الكثيرة : فموتوا ، إن شئتم ..! فماتت الطائفة القليلة . قال رضي الله عنه : فإن تكافأ الفريقان حَصَل التصرف فيهما معاً .

[س] فقلت : فإنّهم أهلُ بصيرة وكشف ، فَلِمَ يحصل بينهم النزاع ، وهم يشاهدون مراد الله تعالى ببصيرتهم ؟..!!

[ج] فقال رضي الله عنه : إذا كان الأقلّ هو المخالف فإنّ الله يحجبهم عن المراد ، حتى ينفذ ماقضاه فيهم ؛ وإذا تكافأ الفريقان فإنّ مراد الحقّ سبحانه يخفى على الجميع ، لأن « **قلوب الأولياء الأصفياء مظاهرُ الأقدار** » ؛ وقد اختلفَتْ وتكافأت . تحقيق

[س] فقلت : فما سبب غَيبة الغوث - رضي الله عنه - عن الديوان ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : سببه أحد أمرين : - إما غيبته في مشاهدة الحقّ سبحانه اليوم عن آخره[14] ، حتى تفنى العوالم في نظره ؛ فلهذا لايحضر في الديوان ؛ - وإمّا كونه في بداية توليته ، كما إذا كان ذلك بقرب موت الغوث الذي قبله ، فإنه قد لايحضر في بداية الأمر حتى تتأنس ذاته شيئاً فشيئاً . سبب غياب الغوث أحياناً .

[يتبع ١] قال رضي الله عنه : وقد يحضر سيّد الوجود ﷺ في غيبة الغوث ، فيحصل لأهل الديوان من الخوف والجزع - من حيث إنهم يجهلون العاقبة في حضوره ﷺ - مايُخرجهم عن حواسّهم ؛ حتى إنه لو طال ذلك أياماً كثيرة لانهدمت العوالم . قال رضي الله عنه : وإذا حضر سيّد الوجود ﷺ مع غَيبة الغوث ، فإنّه يحضر معه أبو بكر وعمر ، وعثمان وعلي ، والحسن والحسين ، وأمّهما فاطمة الزهراء[15] ؛ تارة كلّهم ، وتارة بعضهم - رضي الله عنهم أجمعين - . مايحصل بحضوره ﷺ مع أهل الديوان وبعض الأصحاب .

---

(١٤) كذا في ظ١ . وفي بولاق وغيرها : على أخيه .

(١٥) فاطمة الزهراء رضي الله عنها . ولدت سنة (٤١) من مولده ﷺ . بنت الرسول ﷺ أم الحسنين . سيدة نساء هذه الأمة . أمها خديجة رضي الله عنها . تزوجها علي في (٢) هـ . توفيت بعده ﷺ بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل . سميت بتولاً لانقطاعها عن نساء الأمة فضلاً وديناً وحسباً . روت (١٨) حديثاً . دفنت في دار عقيل . ا هـ الاستيعاب - تقريب التهذيب - أعلام النساء ١٣١/٤

قال : وتجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة النسوة ، اللاتي يحضرن الديوان ، في جهة اليسار - كما سبق - ؛ وتكون مولاتنا فاطمة أمامَهن - رضي الله عنها وعنهن - .

صيغة صلاة على النبي ﷺ لفاطمة الزهراء

قال رضي الله عنه : وسمعتها - رضي الله عنها - تصلّي على أبيها ﷺ ليلةً من الليالي وهي تقول : **اللهم صلِّ على مَن روحه محرابُ الأرواح والملائكة والكَون . اللهمّ صلِّ على من هو إمام الأنبياء والمرسلين . اللهم صلِّ على من هو إمام أهل الجنّة عبادِ الله المؤمنين** . وكانت تصلّي عليه ﷺ بالسريانية لا[16] بهذا اللفظ ؛ وإنّما أنا استخرجتُ معناه . والله أعلم .

[س] فقلت : فإذا حضر الغوث ، فهل يقدر أحد على مخالفته ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : لا يَقْدِر أحدٌ أن يحرّك شفته السفلى بالمخالفة - فضلاً عن النطق بها - ، فإنّه لو فَعَل ذلك لخاف على نفسه مِن سَلب الإيمان ، فضلاً عن شيء آخر . والله أعلم .

مباحثات أهل الديوان

وسمعته - رضي الله عنه - يقول : إنّ « أهل الديوان » إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد ؛ فهم - رضي الله عنهم - يتكلمون في « قضاء الله تعالى » في اليوم المستقبل ، والليلة التي تليه .

مباحث تصرفات أهل الديوان . تعريف :

قال رضي الله عنه : ولهم التصرف في العوالم كلّها ، السفلية والعلوية ، وحتى في « الحُجُب السبعين » ، وحتى في « **عالم الرقّا** » - بالراء وتشديد القاف - ، وهو مافوق « الحُجُب السبعين » ؛ فهم الذين يتصرفون فيه ، وفي أهله ، وفي خواطرهم ، وما تهجس به ضمائرهم ؛ فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرّف ، - رضي الله عنهم أجمعين - . وإذا كان هذا في « **عالم الرقّا** » ، الذي هو فوق « الحجب السبعين » ، التي هي فوق « العرش » ؛ فما ظنُّك بغيره من العوالم ..؟!

حكاية واقعة

قلت : ولقد قَبَضَ أصحابُ المخزن ولداً لبعض أصحابي ، وكان المخزن يطلبه وهو متخوف منهم ، فلما قبضوه أيقن أبوه بالهلاك فجاءني ؛ فذهبت للشيخ

---

(16) كذا في ظ١ . وفي بولاق وغيرها : تصلي عليه ﷺ ، لكن لا بهذا ...

القَطِران ؟ قلت : الحلاوة ؛ قال : وهي معنى زائد على جرمه ؛ قلت : نعم ؛ فقال : كذلك كلّ كتاب فيه سرّ زائد عليه ؛ وكما أن العسل إذا زالت حلاوته لا ينفع في بابه ؛ كذلك الكتاب إذا أُخذ سرّه .. !! قال رضي الله عنه : وكم من ورقة ، وكاغَد[6] ، مكتوبٍ فيه أسماؤه تعالى ، يوجد في الأرض ساقطاً ، ويطؤه الناس بأرجلهم ، ولولا أن الملائكة يأخذون أسرار تلك الأسماء لهلك جُلّ الناس ؛ والحمد لله على فضله ومنّته . والله أعلم .

حضور الأنبياء والملأ الأعلى وأزواجه ﷺ وأكابر الصحابة .

[تابع ١] **وسألته** ـ رضي الله عنه ـ : هل يحضر الديوانَ الأنبياءُ ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مثل سيدنا إبراهيم ، وسيدنا موسى ، وغيرهما من الرسل ـ على نبيّنا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : يحضرونه في ليلة واحدة في العام . قلت : فما هي ؟ قال : (ليلة القدر) ، فيحضره في تلك الليلة الأنبياء والمرسلون ويحضره (الملأ الأعلى) من الملائكة المقربين وغيرهم ، ويحضره سيد الوجود ﷺ ، ويحضره معه أزواجه الطاهرات ، وأكابر صحابته الأكرمين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

خديجة وعائشة

[٧] **وسألته** ـ رضي الله عنه ـ : عن الخلاف الذي بين المحدثين في تفضيل مولاتنا « **خديجة** » على مولاتنا « **عائشة** » ، والعكس .

[ج] فقال رضي الله عنه : رأيناهما مع النبيّ ﷺ في الديوان ليلة القدر ؛ فرأينا نور عائشة يزيد على نور خديجة ـ رضي الله عنهما ـ .

ليلة القدر: سببها الأصلي.

[٨] ثمّ ذكر لنا ـ رضي الله عنه ـ **سبب ليلة القدر**[7] فقال : إنّ العالَم قبل خلق النور في جرم الشمس كان مظلماً ؛ والملائكة عامرون له ، أرضاً وسماءً ، وفي الكهوف والسهول والجبال والأودية ؛ فلما خلق الله تعالى النور في الشمس وأضاء العالَمَ بها ضجت ملائكة السماء وملائكة الأرض ، وخافوا من خراب العالم ، ومن

---

(٦) **الكاغَد** : ـ بالفتح ـ القرطاس . كلمة فارسية وهي كل مايكتب فيه . ا هـ المصباح المنير ـ المعجم الوسيط .

(٧) سيأتي أيضاً ص ١٩٥ .

أمر عظيم ينزل بهم ؛ فنزل ملائكة السماء إلى الأرض وجعلوا هم وملائكةَ الأرض يفرّون من الضوء إلى الظلّ - أي من ضوء النهار إلى ظلّ الليل - فراراً من الضوء الذي لم يعرفوه ، إلى الظلّ الذي يعرفونه ، خائفين متضرعين ، مجتمعين على الابتهال إلى الله تعالى ، والتضرع له ، والخوف منه ؛ يطلبون منه الرضا ، ويلجؤون إليه في أن لا يَسخَطَ عليهم ؛ ولم يكن في ظنّهم إلا أنه تعالى أراد أن يطوي هذا العالم ، فاجتمعوا على التضرع والابتهال - على الصفة السابقة - مقدّرين في كلّ لحظة وقوع ماخافوه ، فإذا زاد إليهم الضوء فرّوا منه إلى الظلّ ، ولم يزالوا على تلك الحالة ، الضوء ينسخُ الظلّ ، وهم يفرّوُن ، إلى أن طافوا الأرض كلّها ، ورجعوا إلى الموضع الذي بدؤوا منه ؛ فلمّا لم يروا شيئاً وقع ، حصل لهمُ الأمن ، ورجعوا إلى مراكزهم في الأرض والسماء ؛ ثم صاروا يجتمعون ليلة من كلّ عام . فهذا هو سبب ليلة القدر .

[س] **قلت :** فهذا يقتضي أن ليلة القدر كانت قبل خلق آدم - عليه السلام - ؛ وفي الحديث مايقتضي أنّها خاصة بهذه الأمة(٨) .

ما اختصت به هذه الأمة .

[ج] فقال رضي الله عنه : الذي اختصّ بهذه الأمة الشريفة أجرُها ، وخيرُها ، والتوفيقُ لمعرفتها ببركة نبينا ﷺ . وأما الأمم السابقون فإنهم لم يوفّقوا لها ؛ كساعة الجمعة ، فإنها كانت يومَ خلق الله تعالى آدم - عليه السلام - ، ولم توفق لها أمةٌ من الأمم غيرَ هذه الأمة الشريفة ؛ فإنها عُرضت على اليهود فاختاروا السبت ، وعلى النصارى فاختاروا الأحد ، ووفقنا الله تعالى لها بمنّه وجوده . والله أعلم .

---

(٨) روى ابن أبي حاتم ... عن علي بن عروة قال : ذكَر رسول الله ﷺ يوماً أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاماً ، لم يعصوه طرفة عين . فذكر : أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون . قال : فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك . فأتاه جبريل فقال : يا محمد عجبتْ أُمّتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة ، لم يعصوه طرفة عين ، فقد أنزل الله خيراً من ذلك . فقرأ عليه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القدر ... ﴾ [السورة] . هذا أفضل مما عجبْتَ أنت وأُمتّك . قال : فسر بذلك رسول الله ﷺ والناس معه . كذا في تفسير ابن كثير سورة القدر . وانظر أسباب النزول للسيوطي .

ـ رضي الله عنه ـ فرغبته وكلمته فيه . فقال ـ رضي الله عنه ـ : إن كنت تظنّ أن القطّ يأكل الفأر بغير إذن فلان ـ يعني نفسه ـ فما ظنّك بشيء ! فلا تخفْ على الولد ؛ وقلْ لأبيه يُطيِّبْ خاطرَه . فكان الأمر كذلك : فإنّه لما بلغ إلى المخزن أطلقه بلا سبب .

شطحة ومقام

وكان رضي الله عنه يقول : إذا أردتَ قضاءَ حاجةٍ لك أو لغيرك ، فاذكرها لي ، ولا تزد ، ـ أي ولا تحرص في قضائها وتهتمّ بها ، فإن ذلك هو سبب عدم قضائها ـ فكان الأمر كذلك ، فكنّا إذا عرضَت حاجة ، وذكرناها له ، وسكتنا ، جاء فيها الفرج سريعاً [بإذن الله تعالى] ؛ وإذا وقع لنا بها اهتمام وعناية انغلق بابها . والله أعلم .

أماكن أخرى لانعقاد الديوان.

[تابع ١] وسألته ـ رضي الله عنه ـ ، هل يكون الديوان في موضع آخر غير **« غار حراء »** ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : نعم ، يكون في موضع آخر مرة في العام لا غير ، وهذا الموضع يقال له **« زاوية أسَا »** ـ بفتح الهمزة والسين ، بعدها ألف ـ خارج أرض « سوس »[١٧] ، بينها وبين أرض « غرب السودان » . فيحضره أولياء السودان ؛ ومنهم من لا يحضر الديوان إلا في تلك الليلة ، ويأذن الله تعالى ؛ ويسوق أهلَ آفاق [إلى] تلك الأراضي ، ويجتمعون بالموضع المذكور قبل تلك الليلة بيوم أو بيومين ، وبعدها كذلك . ويجتمع في ذلك السوق من « التِّبْر »[١٨] ما لا يحصى .

[س] فقلت : وهل ثَمّ جمعٌ آخر في غير هذين الموضعين ؟

[ج] فقال : نعم ، يجتمعون ، ولكن لا يجتمع نحو العشرة منهم في موضع قطّ إلا في الموضعين السابقين ، لأن الأرض لا تطيقهم ؛ لأنه تعالى أراد تَفَرُّقهم في الأرض ، وفي الخلق . والله تعالى أعلم .

---

(١٧) سوس : اسمٌ لعدة بلدان . والمراد هنا السوس الأدنى الذي في بلاد المغرب قرب السودان غربها . اهـ معجم البلدان .

(١٨) التِّبْرُ : الذهب والفضة ، أو فتاتها قبل أن يصاغا ... أو ما استخرج من المعدن قبل أن يصاغ . ا هـ القاموس المحيط . قلت : والمقصود به هنا الذهب ، كما هو الغالب في الاستعمال .

الجاذيب وأحوالهم وأحكامهم.

[١٢] وسألته رضي الله عنه : عن « المجاذيب » ، هل لهم دَخْل في الديوان ؟ وهل يتصرّفون مثل ما يتصرّف غير المجاذيب ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : لا دخلَ لهم في الديوان ، ولا بأيديهم تصرّف ؛ وإذا بلغ إليهم التصرّف هلك الناس .

[س] فقلت : ومتى يبلغ إليهم ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : وقت خروج الدجّال ـ لعنه الله ـ فيقع التصرّف بأيديهم ، ويكون كبير الديوان منهم ، وليس معه عقل تميز ، فيقع الخلل في التصرف ، ويكون ذلك سبباً في خروج الدجّال(☆) .

قلت : وقد سمعت من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ حكاية تضمّنت كلاماً على المجاذيب ، وعلى كثير من أحكامهم ، وفيها فوائد أخر ، فلنكتبها برمتها :

حكاية واقعة عن مجذوب.

سمعته رضي الله عنه يقول : كان سيدي حمّاد المجذوب رضي الله عنه ـ وهو من أهل المغرب ـ ، يطلب بسوق مصر ويسعى فيما يأكل ، وكان الوقت وقتَ غلاء ، فبينما هو قاصد لحانوت رجل ليطلبه ويسأله شيئاً مما يتقوّت به ، إذ حانت منه نظرة باطنية ؛ فرأى ذهباً كثيراً في زير ، وهو مدفون بإزاء حانوت الرجل المقصود ؛ قال : وكان الرجل المقصود من العارفين ؛ فنظر إلى سيّدي حمّاد قاصداً له ، فأراد أن يختبره ؛ فلما سأله سيّدي حماد قال له الرجل : اللهُ يفتح عليكم ؛ فأعاد سيّدي حمّاد السؤال ، فأعاد الرجل كلامه ؛ ثم قال : إن كان هذا سيّدي حمّاداً فإنّي أختبره ؛ فقال لسيّدي حماد : أنت تطلب ، والذي تحت رجلك يكفيك ؟ ـ يشير الرجل إلى الذهب المدفون ؛ لأن سيّدي حمّاداً وقف على موضعه لما بلغ قرب

(☆) الدجّال : اسم لرجل مبطل صاحب أعظم فتنة تظهر على وجه الأرض . وما من نبيّ إلا استعاذ منه وحذّر قومه من فتنته . ظهوره من علامات الساعة الكبرى . جاء فيه أحاديث كثيرة تبين أوصافه وحاله . فمن أوصافه : ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر يقرأها كل من يكتب ومن لا يكتب . يقول للسماء : أمطري فتمطر . يدّعي الألوهية . ويتراءى للناس أنه يحيي ويميت . عنده جنة ونار وناره جنة وجنته نار . يقتله سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام بين اللد والرملة . ا هـ وانظر الإشاعة في أشراط الساعة والتاج .

الباب ـ ؛ فقال سيّدي حمّاد : الذي تحت رجلي ذهب ، وأنا إنما أطلب نصف فضّة أتقوّت به ؛ فعلم الرجل بحاله ؛ وأعطاه عشرة أنصافِ فضّة ؛ وانصرف .

[س] فقلت : وما سبب معرفة الرجل به قبل أن يراه ، حتى أراد أن يختبره ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : عِلْمُه به ـ أولاً ـ قبل أن يراه ، بمثابة رجل نائم ، مناماً قريباً من اليقظة ؛ ورأى في منامه رجلاً على صفة كذا ، ثم استيقظ ، وإذا هو بالرجل واقف بين يديه ؛ فإنّه ينظر هل هو الذي رأى في منامه ، أم لا ؟ حتى يرتفع الشكّ ، ويعلم أن ما رآه في اليقظة هو ما رآه في المنام ـ الذي هو شبه اليقظة ـ .

[س] فقلت : وما باله قال له أوّلاً : الله يفتح عليكم ؛ فلمّا علم بولايته أعطاه ماسأل وزاده ، فإن العطيّة إن كانت لله ـ عزّ وجلّ ـ ، فلا يُنظر فيها إلى الآخذ ، وليّاً كانَ أم لا ؛ فإنّ ربّها تعالى واحد ...!؟ وإن كانت العطية لغير الله ، فإنها لاتناسب حالة العارفين ـ رضي الله عنهم ـ ؛ فحيث منعه أولاً ، كان من حقه أن يمنعه ثانياً ، ـ إن كان المنع لله ـ ، كما أنه حيث أعطاه ثانياً ، كان من حقه أن يعطيه أولاً ، إن كانت العطية لله ـ عز وجل ـ ..!؟

حقّ المؤمن وحقّ الوليّ .

[ج] فقال رضي الله عنه : إنّ **المؤمن** له حقّ واحد ، وهو حقّ الإيمان ؛ **والوليّ** له حقّان : حقّ الإيمان وحقّ المعرفة بالله ـ عز وجل ـ . وهو حيث قال له أولاً : الله يفتح عليكم ، قاله على أنه ـ أي السائل ـ من جملة المؤمنين ، فمنعه ، لأن حقّ الإيمان لم يستوجب نصيباً من ماله في تلك الساعة ، فلما جرّبه ، وعلم أنه من العارفين ، تأكد أمره ، وتزايد حقه ؛ فاستوجب نصيباً من ماله بسبب المعرفة التي اشتركا فيها ؛ فإنّ وصف **المعرفة** بالله تعالى **كعقد الأخوّة** بين المتواخيين في الله ـ عز وجل ـ ، فالمنع أوّلاً لله ـ عز وجل ـ والعطيّة ثانياً لله ـ عز وجل ـ ؛ فهو كمَثل رجل سأله سائل من وراء باب ، فقال له : الله يفتح عليكم ؛ ثم فتَح الباب وإذا السائل أخ للمسؤول ؛ فمن الواجب عليه أن لا ينزله منزلة الأجنبي حتى يمنعه ،

المعرفة بالله كعقد الأخوة .

ضرب مثال

بعد أن علم بأخوّته ، كما منعه قبل أن يعلم بها ، فإن هذا ينافي الأخوّة ، وما تقتضيه من صلة الرحم !.

[س] فقلت : وما هو النصيب الذي تقتضيه المعرفة في مال المسؤول ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : هو ما يوجبه عقد الأخوة في الله تعالى ، فإنْ لم يكن لك سوى أخ في الله فَلَه نصفُ مَالِك ؛ وإن كان لك تسعة فلكل واحدٍ عُشر مالك .

[س] فقلت : فما باله أعطاه عشرة أنصاف ، ولم يعطه نصف ماله ؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : لم ينحصر السائل العارف في ذلك السائل ، فلعل عارفاً آخر يقصده بعد ذهاب الأوّل ، ثم ثالثاً ورابعاً ، وهلمّ جرا ، « والمرء سفينة نفسه في تفرقة النصيب الواجب عليه لإخوانه في الله - عز وجل - » .

[س] فقلت : وأيُّ شيء كان سيدي حمّاد ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : كان من المجاذيب ؛ والرجل المقصود (اسمه : سيدي إبراهيم) كان من السالكين ، وكلاهما من العارفين - رضي الله عنهما - .

الفرق بين المجذوب والسالك.

[س ١٣] فقلت : وما الفرق بين **المجذوب والسالك** مع اشتراكهما في المعرفة بالله - عز وجلّ - ؟

تعريف المجذوب:

[ج] فقال رضي الله عنه : (**المجذوب** هو الذي يتأثر ظاهره بما يرى ، ويسرّه ما يشاهده ، فيجعل يحاكيه بظاهره ، ويتبعه بحركاته وسكناته) . والشخص إذا رحمه الله تعالى ، وفتح بصيرته ، لا يزال يشاهد من عجائب « الملأ الأعلى » ، ما لا يُكيّف ولا يطاق ؛ فإن كان مجذوباً فإنه يتبع بظاهره ما يراه ببصيرته ، وما يراه ببصيرته لا ينحصر ؛ فلذا لا ينضبط له حال . **فإذا رأيتَ من « المجاذيب » من يتمايل طرباً فإنه غائب في مشاهدة « الحور العين »** ؛ فإنّ ذلك هو هيئة حركاتهن : فظاهره مشتغل بمحاكاة ما يشاهد من أمرهنّ .

تعريف السالك

وأما (**السالك** : فهو الذي لا يتأثر ظاهره بما يرى ، ولا يُحاكي شيئاً من

الحركات التي يشاهدها) ، بل هو بحرٌ زاخر ساكن ، لا يظهر عليه شيء ؛ وهو أكمل من المجذوب ؛ وأجره يزيد على أجر المجذوب بالثلث ؛ وذلك أن **السالك على قَدَم النبيّ ﷺ** ؛ فإنه ﷺ لم يكن ظاهره يتأثر بشيء . ولذا ترى السالكين بعقولهم ، والمجاذيب لا عقول لهم في الغالب ، لأنّ ظاهرهم إذا اشتغل بمحاكاة ظاهر غيرهم ضاع ظاهرهم ـ الذي كان لهم في أصل الخِلقة ، قبل الفتح ـ فضاعت عقولهم تبعاً لذلك .

حكاية واقعة فيها بيان علامة المجذوب .

قال رضي الله عنه : وكان بعض السالكين من العارفين ـ رضي الله عنهم ـ يحضر الديوان ؛ وكان من الأكابر ؛ وكان له ولد من صلبه ، فكان يعلم أنه وارثه ، ولكن لا يدري هل يخرج مجذوباً أو سالكاً ؛ فحمله مرة على عنقه ومشى به حتى دخل به على أهل الديوان في محل الديوان ، فقالوا : ماهذا يا فلان ؟ وأنت تعلم أنه **لا يحل لمن لا يكون من أهل الخُطوة أن يُمشي به بالخطوة** ! فقال لهم : نسألكم العفو والصفح والمجاوزة ؛ ثم تقدم إلى الغوث ـ رضي الله عنه ـ ؛ فقال له : يا سيدي ! قَدِمت إليك هذا المجمع الشريف ؛ وحرمتِه وحرمةِ النبيّ ﷺ ومجلسه ذلك ، إلا ماأعلَمْتَني بشأنِ ولدي ... هل يصير مجذوباً أو سالكاً ؟! فقال له الغوث : هذا أمر لا يُعلم ، فإنّ (**نور الإيمان الذي في السالك هو بعينه الذي في المجذوب**) ، والمعرفة التي في هذا هي التي في هذا ، والتفاوت الذي بينهما في الحسنات والدرجات غيبٌ عنا ، ولا يُعلم إلا في الآخرة . فبأيّ حيلة يعلم أن ولدك هذا مجذوبٌ أو سالك ؟! هذا مالا يكون ، فقال للغوث ـ رضي الله عنه ـ : يا سيّدي ...! ماجعلك الله غوثاً إلا وأنت تعلم هذا وأكثر !! ، ثم سأله بجاه النبيّ ﷺ إلاّ بيّنَ له الحالة التي سيصير إليها الصبيّ من سلوك أو جذب ؛ فقال الغوث ـ رضي الله عنه ـ : ائتوني بعود ، فأتوه به ، فقال : هل من سكّين ؟ فأتوه بها ، فقال للصبيّ : تقدم ؛ فجعلَ يتقدم ؛ حتى أجلسه بين يديه ؛ ثم جعل يَنْجر العود بالسكين والصبي ينظر ، فجعل الغوث ـ رضي الله عنه ـ يَنجر ويُحزّز في العود ، وهو يعضّ مرة على لسانه ، ومرة على شفتيه ، ويرمق الصبيّ في أثناء ذلك ، وإذا الصبيّ يعضّ على لسانه إذا عضّ الغوث ـ رضي الله عنه ـ على لسانه ، ويعضّ على شفتيه إذا عضّ الغوث ـ رضي الله عنه ـ على شفتيه ؛ فقال له : خذ ولدك ، فإنّه

علامة المجذوب

سيخرج مجذوباً ؛ فقال : يا سيدي بِمَ عرفت ذلك ؟ فقال : إنه يتأثر ظاهره بما يرى ويشاهد [ا هـ] .

أمور تجتنب في صحبة المجاذيب.

قال رضي الله عنه : **والسالكون يتجنبون المجاذيب** في أمور : - (منها) : أن السالك لا يأكل مع المجذوب ، لأن المجذوب لا يبالي بما يخرج على لسانه من سبّ أو غيره . فيجب على السالك أن يتقي ذلك منه ، - و (منها):أنه لا يسافر معه لهذه العلة . و (منها) : أنه لا يلبس ثوبه لأنه لا يتوقى النجاسة ، - و (منها) : أنّه لا يحلّ للسالك أن يتزوج مجذوبة ؛ وكذا العكس .

وأمّا **الشيخ**[١٩] .... فإنه قد يتُخرج المجذوب على السالك ؛ كما في حكاية الصبي ، فإنه مجذوب وأبوه سالك . وقد يتخرج السالك على المجذوب ؛ كما وقع لسيدي « يوسف الفاسيّ » ، فإنّه سالك وشيخه سيّدي « عبد الرحمن المجذوب » مجذوبٌ [اللذان تقدم ذكرهما قبل أربع صفحات] .

[س] فقلت : فكيف يكون هذا ، و « المجذوب مشغول عن نفسه » ، فكيف بغيره حتى يشتغل بتربيته ؟..!

[ج] فقال رضي الله عنه : إن الجذب يختلف بالقوة والضعف ؛ فمنهم من يقلّ جذبه ، ومنهم من يكثر ، بحيث لا يفيق . والله أعلم .

تصرف الأولياء

[١٤] **وسمعته** - رضي الله عنه - يقول : إن (**الأولياء** يفعلون أموراً عظيمة ، سخرهم الحقّ - سبحانه - فيها) ، حتى يتعجب المتعجب من تلك الأفعال ؛ وإذا نظرت بعين الحقيقة ، وجدت الفاعل لها هو الحقّ - سبحانه - ، وهم محمولون كغيرهم من المخلوقات - من غير فرق - .

[س] فقلت : فالأولياء - رضي الله عنهم - يشاهدون أفعال الحقّ سبحانه ؛ وإذا كانوا مشاهدين لأفعاله تعالى ، فكيف يشاهدون الفعل من أنفسهم . أمْ كيف ينسبون ذلك لذواتهم ؟!! .

---

(١٩) كذا في جميع النسخ . قلت : ويظهر لي وجود نقص في العبارة ، أو تقديم وتأخير وحذف . فليراجع .

تقرير حقيقة عند أهل الله تعالى.

[ج] فقال رضي الله عنه : إن الأولياء وغيرهم ممن أكرمه الله تعالى إنما يشاهدون أفعاله تعالى في غيرهم ؛ و (لا يطيق أحدٌ من مخلوقات الله تعالى أن يشاهد أفعاله تعالى في ذات نفسه) ، ولو شاهد الأفعال الربانيّة في ذاته لذابت ذاتُه وسالَتْ ؛ وإنما (يطيق المخلوق أن يشاهد أفعالَ الحقّ سبحانه بالوسائط ، وفي غير ذاته) ؛ أمّا مباشرة في ذاته فلا يطيق ؛ ولا يطيق المخلوق أن يشاهد الفاعل في ذاته ، ولذا خَلَق تعالى « الوسائط » ، وجعل الملائكة ظروفاً تظهر فيها أفعاله لئلا تذوب المخلوقات ؛ وإنما أطاقت الملائكة لأن ذواتِها أنوار صافية ، وليست بأجرام تُرابية .

الوسائط

من خصائص الملائكة.

واعلم أن (للملائكة خصوصية) في توسطهم في الفعل ، ليست لغيرهم ، حتى إنك إذا نظرت بعد الفتح وجدتهم لا يخلو منهم مكان من أمكنة المخلوقات ، فتراهم في الحُجب وتحتها ، وفي العرش وتحته ، وفي الجنّة وفي النار ، وفي السماء وفي الأرض ، وفي الكهوف والجبال والأودية وسائر البحار . قال رضي الله عنه : ولأجل هذا النفع الحاصل بهم في التوسط بين الخلق والحقّ - سبحانه - وجب الإيمان بهم ، دون غيرهم من الموجودات العظام ، كالحجب ونحوها . والله أعلم .

من خصائص أهل التصرف.

[١٥] وكنت أتكلم معه - رضي الله عنه - ذاتَ يوم ؛ فذكرتُ له سيدنا **سليمان** - على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام - ، وما سخّر الله له من الجنّ والإنس والشياطين والريح[٢٠] ؛ وذكرتُ ما أعطى الله تعالى لأبيه سيدنا **داود** - عليه السلام - ، من صناعة الحديد وإلانته ، حتى يكون في يده مثل قِطَع العجين[٢١] ؛ وما أعطى الله لسيدنا **عيسى** - عليه السلام - من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله سبحانه[٢٢] ؛ ونحو ذلك ، من معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة

(٢٠) قوله تعالى : ﴿ ولسليمانِ الريح عاصفة تجري بأمره ﴾ [الأنبياء : ٨١] . ﴿ ولِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحها شَهْرٌ ﴾ [سبأ : ١٢] .

(٢١) قوله تعالى : ﴿ ولقد آتَيْنَا داوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ ﴾ [سبأ : ١٠] .

(٢٢) قوله تعالى : ﴿ أَنّي قَدْ جِئتكم بآية من ربكم أَنّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فأَنْفُخُ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأُبرئ الأَكْمَهَ والأبرَصَ وأُحْيِي الموتى بإذن الله وأُنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ... ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

والسلام ـ . وفَهِم مني كأنّي أقول له : وسيدُ الوجود ﷺ فوق الجميع ، ولِمَ لَمْ يظهر على يده مثل ذلك ، وأنّه وإن ظهر على يده شيء من المعجزات فَمِن فنّ آخر ؟!!

أهل التصرف أعطوا ما للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

[ج] فقال رضي الله عنه : كلُّ ماأُعطيَه سليمان في ملكه ـ عليه السلام ـ ، وما سخر لداود [عليه السلام] ، وأكرم به عيسى ـ عليه السلام ـ ، أعطاه الله تعالى وزيادة (لأهل التصرف) من أمّة النبيّ ﷺ ، فإن الله سَخَّر لهم [أي لكبار أولياء هذه الأمّة] الجنّ والإنس والشياطين والريح والملائكة ، بل وجميع مافي العوالم بأسرها ، ومكّنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ، ولكنه أمرٌ غيبي مستور لايظهر إلى الخُلق ، لئلا ينقطعوا إليهم فينسَوْن ربّهم ـ عز وجل ـ . وإنّما حصل ذلك لأهل التصرف ببركة النبيّ ﷺ ، فكل ذلك من معجزاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ . ثم ذكر أسراراً لاتطيقها العقول . والله تعالى أعلم .

مهمة

سبب تستّر الأولياء حفظاً لعقيدة العوام .

[١٦] **وسألته** رضي الله عنه ـ ذات يوم ـ ، فقلت : إن **أهل التصرف** ـ رضي الله عنهم ـ لهم القدرة على إهلاك الكفرة أينما كانوا ؛ فما بالهم تركوهم مع كفرهم وعبادتهم غيرَ الله ـ عز وجل ـ ومَنْ كان بهذه الصفة فهلاكه واجب ..؟!!

[ج] فقال رضي الله عنه : ـ وقد حوّل وجهه إلى خلف ، ثم ردّه ـ يَقْدر الوليّ في هذه اللحظة على إهلاك هذا البَرّ كلّه ؛ ومع ذلك ، فإذا حضر بين معركةٍ من المسلمين والكفار **يَحْرُم عليه** أن يتصرّف في الكفرة بشيء من ذلك السرّ ؛ وإنّما يقاتلهم بما جرت به عادة القتال من ضرب بسيف ، وطعن برمح ، ونحو ذلك ، اقتداء بالنبيّ ﷺ .

مايحرم على الوليّ.

قال رضي الله عنه : ولقد التقتْ سفينة للمسلمين ـ وكان فيها وليّان من أولياء الله عز وجل ـ مع سفينة للكفّار ، فلمّا حمي بينهم القتال ، قام أحد الوليّين ـ وكان صغيراً ـ فتصرف في السفينة بذلك السرّ ، فانطلقت النار في سفينة الكفرة وهم يرون ؛ ولم يصدر منه سبب عادي يستر به تصرّفه ، وإنما احترقت السفينة بلا سبب . فلما فعل ذلك الوليّ مافعل سلبه الوليّ الآخر الذي كان معه ـ وكان أكبرَ منه ـ عقوبةً على مافعل .

حكاية ولي عوقب لتصرفه.

قال رضي الله عنه : وإنما لم **يَجُز التصرّف في الكفرة** - دمَّرَهم الله - بذلك السرّ ، لأن صاحبه في تلك الحالة خارج - في الحقيقة - عن عالَم البشر ، والتَحَق بعالم آخر ؛ وكما لا يجوز لعالم الملائكة - مثلاً - أن يتصرفوا فيهم بما تطيقه قوتهم ، كذلك لا يجوز لصاحب السرّ أن يتصرف فيهم بقوّته ، بل تجري لهم على يديه الأمور التي بها بقاؤهم ، ودوام عيشَتِهم ؛ كما أنّ عليهم حفظةً من الملائكة يدبّرون أمورهم منذ نَشَؤُوا إلى أن ينقرضوا .

وبالجملة . فالكفرة - دمّرهم الله - من عالم البشر ، فَلا يُستعمل معهم في قتالهم وهلاكهم إلا ماهو عادةٌ في عالم البشر ، لا غير . والله أعلم .

و (سمعته) - رضي الله عنه - يقول : نَظَرَتْ بعضُ بنات النصارى - لعنهم الله - ذاتَ يوم للقمر ، فقالت لأبيها - وهي صغيرة - : يا أبت من خلق هذا ؟ فأشار أبوها إلى صليب في الأرض ، فقال : هذا ، فأخذته البنت إلى قدر قامتها وتركته في الهواء فسقط إلى الأرض ، فقالت : يا أبت إذا لم يمسك نفسه في هذا القدر القريب فمن أمسكه ؟ حتى خَلَق القمر في علوه وارتفاعه ..!! فسبّها أبوها .

[س و ج] فقلت : وهل البنت مُسْلِمةٌ ؟ فقال : لا ، فقلت : وهل أسلمَتْ بعد ذلك ؟ فقال : لا . فقلت : فأنّى لها بهذا الاعتراض الحقّ ، والنورِ الواضح الساطع ؟ فقال : كان بعض أهل الحقّ حاضراً ، فنظر إليها فتكلّمَتْ . والله أعلم .

قلت : والمراد بالبعض الحاضر : هو الشيخ - رضي الله عنه - ، والنظرة التي نظر إليها نظرةٌ باطنيةٌ ، لكنه محجوب عن أبصارهم - رضي الله عنه - . والله أعلم .

تصور الوليّ في صورة ما.

[١٧] و (**سَأَلْتُه**) - رضي الله عنه - عن الوليُّ إذا تَصوَّر في صورة غيرِ صورته ، وقُتل في تلك الصورة . مَن المتألم حينئذ ، روحُه أم الجسمُ الأَصلي ، أم المتصور فيه ؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : الذي يجب في « العقيدة » هو تماثل الألمين في الدارين . والناس لا معرفة لهم بهذا ؛ لظنهم أنّ المقصود بالألم هو الذات . وليس كذلك ، إنما المقصود هو الروح . ثم ذكر سرّاً من أسرار الله تعالى ، بيّن به ذلك ،

وَوَجْه الشاهد من هذا الباب ، وذلك : **أن الوليّ إذا سخَّرَهُ الله لموضع** لاتطيقه ذاته الترابية ، لعائق ، من حرّ شديد ، أو برد شديد ، أو نحو ذلك ؛ فإنّ روحه تخرج من ذاته ، وتدخل في بعض الأجرام المطيقة لذلك العائق ، وتفعل ذلك الأمر . قال : وإذا تألم في الذات المنتقل إليها أحسّ بالألم ، مثلَ إحساسه به إذا كانت روحه في ذاته ، من غير فرق .

الأجرام التي تدخل فيها روح الوليّ.

[س] فقلت : وما هذه الأجْرَام التي يقع فيها الدخول والانتقال ؟

[ج] فقال : مثل الجَمَل والثور ونحوهما ، ممّا يطيق ذلك العائق .

[س] فقلتُ : فأرواحهم في ذواتهم فكيف تدخلها روحُ الوليّ مع ذلك ؟!

[ج] فقال : أرواحهم ، وإن كانت في ذواتهم إلا أنها ليست كأرواح بني آدم ، فإنّ أرواح البهائم كعقولهم ، وعقولُهم كأرواحهم ، فلذا أرواحهم لاتحكم على ذواتهم كحكم أرواح بني آدم على ذواتهم ؛ فلذا كان الوليّ يَتَصور في ذات البهائم ، إذا أراد أن يَنفذ قَدَراً يتوقف على ذلك ؛ ولا يتصور في ذوات بني آدم التي فيها أرواحها .

[س] فقلت : فإنّا نرى في بعض الأحيان ثوراً - مثلاً - لاتشويش عليه ، ثم يعتريه أمرٌ فينزعج ويتحرك نحو شخص حتى يقتله ؛ فيمكن أن يكون الوليّ تَصَور في ذاته ، حتى نَفذ ذلك القَدَر ؟!

[ج] فقال : يمكن ذلك إذا كان ذلك الشخص المقتول كافراً ؛ لأنّ **جند النور** و **جند الظلام** في قتال شديد .

[س] فقلت : فهذه البهائم مثل : القطّ والكلب ؛ التي يَتصور عليها الشياطين ؛ يمكن أن تكون من هذا المعنى ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : نعم ؛ « **الشياطينُ** » من الظلام والباطل ؛ و « **الأولياءُ** » رضي الله عنهم من الحقّ ؛ والنورُ والظلامُ جندان ؛ فالبهائم المذكورة ، تارة يَتَصور عليها هذا الجُند ، وتارة يَتَصور عليها الجندُ الآخر لتنفيذ قَدَر .

[س] فقلت : فأيُّ قَدَر يَتوقف على تصوّر الوليّ على صورة الخَنَش ؟!

[ج] فقال : إذا أمره الله أن يقتل زيداً بالسمّ ، فإنّ روحه تدخل في الصورة المذكورة ، حتى ينفّذ القَدَر .

همة الوليّ تنفعل لها الأشياء .

[س] فقلت : فلا سُمّ في روح الوليّ ؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : وأيّ شيء هو السُّم ؛ (**همة الوليّ**) وعزيمته تنفعل لها الأشياء ، فإذا همَّ بشيء كان .

فسألته عن روح الوليّ إذا خرجت من ذاته ، فعلى أيِّ حالةٍ تبقَى ذاته ؟

حالة الجسد بعد خروج روح الولي منها.

[ج] فقال رضي الله عنه : تبقى بلا روح ؛ فإن كان من « **صغار الأولياء** » بقيت ذاته على صورة المبهوت المخلوع ، لا يتكلم بشيء ؛ وإذا تكلم لا يَفهم ما يقول ولا يَعرفه ؛ وإن كان من « **الكبار** » بقيت ذاتُه على حالةِ ما إذا كانت فيها روحها ، تتكلم وتضحك ، كأنّها على حالتها الأولى .

[س] فقلت : فإذا بقيَتْ بلا روح ماتت . فكيفَ ساغ من الأول أن يبقىَ على هيئة المخلوع ؟..! و [كيف ساغ] من الثاني أن يبقى على حالته ، وقد خرجت روحها ؟!

تحقيق

[ج] فقال رضي الله عنه : **إذا خرجت الروح** بقيت آثارُها في الذات ، من حرارة ونحوها ؛ فما دامت الآثار فيها بقيت الذات حيّة ؛ **ولا تنتفي الآثارُ عنها إلا بعد أربع وعشرِيْن ساعة** ؛ قال : فمن رجعت روحه لذاته قبل ذلك بقي على حياته ؛ ومن مرت على روحه المدة المذكورة ، وهي مفارقة لذاته ، لم يمكنها الرجوع لذاته أبداً وصار في عداد الأموات ؛ وكم من وليّ تُقبض روحه على هذه الحالة . ولله عناية عظيمة بمن قُبضت روحه على هذه الحالة ..!

غياب الروح عن الجسد مدة .

[١٨] (**فسألته**) عما سمعتَ من بعض الأولياء : تغيب روحه عن ذاته ثلاثة أيام ، ثم ترجع . فإن هذا يخالف ماسبق ؟!!

[ج] فقال رضي الله عنه : هذا الذي سمعتموه حقّ ، وتبقى غائبة سبعة عشر

ضرب مثال

يوماً وأكثر ، ولكن لابد لها من تَشوّفٍ نحو ذاتها ؛ وبتشوّفها تحصل حياة الذات . ثم ضرب رضي الله عنه مثلاً ؛ فقال : كمن جاء إلى موضع مخوف ، فوجد وادياً ، فأزال ثيابه ، وجعل يسبح في الماء ؛ فإنّه في الماء وهو يخاف على ثيابه ، فتراه يسبح مرة ، ويرفع رأسه مرة أخرى نحو ثيابه ، خوف السرقة عليها . فكذلك الروح ، إذا خرجت من الذات ، فإنها تنتبه إليها كانتباه السابح إلى ثيابه ، لكن انتباه السابح بالرؤية فقط ؛ والروح ـ لخفتها ـ انتباهها بالدخول ؛ فبانتباهها للذّات يقع لها الدخول فيها ؛ ثم تَخرج لقضاء الأمر الذي كلفت به ؛ ثم تنتبه للذّات فتدخل فيها ؛ وهكذا ، إلى أن تقضي ذلك الأمر في ثلاثة أيام أو أكثر ، فلا منافاة بينه وبين ماسبق . والله أعلم .

ضرب من التصرف.

[١٩] **وسمعته** ـ رضي الله عنه ـ يقول : إنّ الوليّ ـ صاحب التصرف ـ يمدّ يديه إلى جيب من شاء ، فيأخذ منه ماشاء من الدراهم ؛ وذو الجيب لا يشعر ...! قلت : لأن اليد الذي يأخذ بها الوليّ باطنية لا ظاهرية .

حكاية تصرف للشيخ رضي الله عنه .

ثم حكى لنا **حكاية** وقعت لبعض الأولياء ـ نفعنا الله بهم ـ مع جارٍ له : وذلك أن ذلك الجار كانت له امرأة ، قد أُودع عندها رجلٌ خمسةَ مثاقيل[٢٣] ؛ ثم ذهب في الحركة إلى « ناحية فجيج » ، وقال : إن عشتُ أخذتُها ، وإن مُتُّ فأعطها لأولادي . فغاب المودع ثم حضرت المنيّةُ المرأةَ ، فأوصت زوجَها جارَ الوليّ ، وقالت : إن جاء ربّها فأعطها له ، فأَنْعَم لها بذلك ؛ فلما دفنها غدر في الأمانة وأكَلها ؛ ثم جاء ربّها فأنكره ؛ ثم جعل يجمع ويكتسب حتى جمع خمسة مثاقيل مثل العِدّة السابقة ، ففرح بها ، وخرج من داره وترك الوليّ عند باب داره[٢٤] ؛ وكانا يسكنان بـ « رأس الجنّان » من محروسة « فاس » ـ أمّنها الله تعالى ـ حتى جاء إلى « الشمّاعين » ، فاشترى شمعة بقصد أن يأتي بها إلى ضريح سيّدي « عبد القادر الفاسيّ » ـ نفعنا الله به ـ ، فلما كان عند الفرن ـ الذي « بسبع لويات » ـ مدّ الوليّ يده من رأس الجنّان إلى جيب الرجل ، ـ وهو عند الفرن المذكورة ـ فأخذ منه

---

(٢٣) المثاقيل : جمع مثقال . وهو يطلق على الذهب وزناً .

(٢٤) في ظ١ : وإذا الوليّ عند باب الدار .

الخمسة مثاقيل ، عقوبةً على غدره بالأمانة ؛ والرجل لا شعور له بشيء ؛ حتى بلغ إلى الضريح المذكور ، فأنزل عليه الشمعة ، وطلع لـ « رأس الجنّان » ؛ فلما وقع بصره على الوليّ ألهمه الله أن يراجع مافي جيبه ؛ فأدخل يده فلم يجد شيئاً فغضب ، وجعل يتكلّم مع الوليّ ، ـ وهو لا يظنّ فيه ولاية ـ ويقول : واللهِ مابقي وليّ لله ، لا حيٌّ ولا ميّتٌ ؛ والوليّ يضحك ، حتى كاد يسقط إلى الأرض من كثرة الضحك ؛ ثم استفهمه الوليّ وقال : يا عمّ عبد الرحمن !! أيُّ شيء أصابك ؟ فقال له : لقد خرجتُ وفي جيبي خمسة مثاقيل ، وقلتُ : أشتري شمعة لسيدي « عبد القادر الفاسي » فَرَحاً بالدراهم ، فكان من بركته عليّ أن أخذها السفّارون . فازداد ضحك الوليّ . والله أعلم . قلت : والوليّ المذكور الذي أخذ الدراهم من الجيب هو الشيخ ـ رضي الله عنه ـ .

و (قد وقع) له يوماً بحضرة جماعة من أصحابنا ، مايقربُ من هذه الحكاية مع الفقيه : سيدي « محمد بن عليّ المَجّاوي » رحمه الله تعالى ـ بفتح الميم وتشديد الجيم ـ نسبة إلى « مجّاوة » القبيلة المعروفة بـ « ناحية تازى » . وذلك ، أنّه قدم من وطنه بقصد زيارة الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، فخرج الشيخ إليه ، وإلى جماعة من الأصحاب ؛ وجلس معهم عند باب داره ، مستنداً إلى جدارها ، وسيّدي « محمد بن عليّ » مستنداً إلى جدار الدار التي تقابلها ، ـ وبينهما الطريق السابلة ـ ؛ فقال الشيخ رضي الله عنه للفقيه المذكور ـ وكان يحبّه كثيراً ـ : هل عندكم دراهم ؟ فقال : يا سيدي ماعندي شيء ؛ فعاد الشيخ لقوله ، والفقيه لقوله ـ ثلاث مرات ـ ؛ فقال له الشيخ : انظر ..! ـ وكان في جيب الفقيه ثمانَ عشرة موزونة ، مصرورة في خرقة ـ فلم يمكنه إلا الإقرار ، فقال : يا سيدي ثمان عشرة موزونة ؛ فقال الشيخ : هاتها ، فأدخل يده في جيبه ففتش عليها فلم يجد شيئاً ؛ فبقي مبهوتاً . فضحك الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، وأخرجها له من تحته في خرقتها ، وقال له : مسكين يا سيدي « محمد بن علي » ..!! ؛ مَنْ يقدر على هذا ، كيف يسعك أن تدسّ عليه ، وتخبئ منه ؟..!

قلت : وقد ظهرت لنا كرامة أخرى في هذا الفقيه من الشيخ رضي الله

الشيخ يداوي مريده من مرضِ حبّ الدنيا .

عنه : وذلك : أنّ الفقيه - المذكور - كان شحيحاً على الدنيا ، محبّاً لها كثيراً : وكان عنده منها ماشاء الله ، وكان لايُولد له ، فلما التقى مع الشيخ - رضي الله عنه - وألقى الله في قلبه محبته ، لم يزل - رضي الله عنه - يأمرُه بإخراج دنياه لله - عز وجل - : وجعلت نفسُ الفقيه تسمح بذلك وتجود : وكان يتعجب منها : فإنه لم يكن يعهد منها ذلك : ثم شدّد الشيخ - رضي الله عنه - عليه ، في إخراج ماله في وجوه الخير ، حتى كنا نرحمه ، ويقول القاصد منّا : إن الشيخ - رضي الله عنه - ثقّل عليه كثيراً : والفقيه المذكور يفرح بذلك غايةَ الفرح : ونحن لانعرف العاقبة : والشيخ - رضي الله عنه - كان يعرفها : وذلك لأن الفقيه كان قد قَرُب أجله ، ودنت وفاته ، فكان الشيخ - رضي الله عنه - يبني له القصور في الجنّة ، ويقدّم له مالَه بين يديه : ونحن لاندري : فلمّا كاد مالُ الفقيه المذكور يفنى ، ولم يبق إلا مقدار ماترثه زوجته ، وتأخذه في صَداقها ، توفي الفقيه المذكور - رحمه الله - . وهكذا فعل الشيخ - رضي الله عنه - مع صاحبه الجليل سيدي « علي بن عبد الله الصباغي » - المتقدم في أول الكتاب [١ / ٨٨] - : فإنه - رضي الله عنه - منذُ عرفه ألحّ عليه في إخراج دنياه لله - عز وجل - : فلما فنيت دنياه توفي على أثرها ، وانقلب إلى ماعند الله - عزّ وجلّ - .

فانظر - وفقك الله - النفعَ الحاصل من معرفة أمثال الشيخ - رضي الله عنه - ..!! . والله أعلم .

الفرق بين أخذ الوليّ وأخذ السارق .

حكاية عن أخذ الولي من الغير .

و (**سمعته**) - رضي الله عنه - يقول : **الفرق** بين أخذ الوليّ - صاحب التصرّف - متاعَ الناس ، وبين أخْذ السارق واللصّ له : الحجابُ وعدمُه : فالوليّ مشاهدٌ لربّه - عزّ وجل - ، مأمور من قِبَله بالأخذ ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ [الكهف : ٨٢] . قال - رضي الله عنه - : ولقد دخل سيّدي « **منصور** » القطب - رضي الله عنه - إلى مولانا إدريس - نفعنا الله به - ، فوجد سيّدي « **أبا يعزى** بن أبي زيان البكاريّ » يزور ، فأخذ بُلغَته وخرّج ، فقلت للشيخ - رضي الله عنه - في ذلك ، فقال : الفرق بين أخذ الوليّ والسارق الحجاب ، وعدمُه ؟ فسيّدي منصور لكونه قطباً ، مشاهداً البلغة له ، ورآها في اللوح المحفوظ

توجيه الحكاية

من قيمته ، وسمع الأمرَ من الحقّ ـ سبحانه ـ بأخذها ، يحلُّ له الأخذ كيف[ما] أمكنه[٢٥] . والسارق محجوب غافل عن ربّه !!

حكاية أخرى

ثم حكى حكاية سيّدي « عبد الرحمن المجذوب »[٢٦] ـ رضي الله عنه ـ في الثور الذي قبضه أصحابه ، فأمرهم سيّدي عبد الرحمن بذبحه وأكله ، وامتنع سيدي « يوسف الفاسي » ـ وارثه ـ من أكله ، حتى جاء ربّه ، فأخبرهم أنّه صَدَقَةٌ لسيّدي عبد الرحمن وأصحابه .

توجيه الحكاية

قلت : وهي حكاية مشهورة وكذلك سيدي « أبو يعزى » ـ السابق ـ لو أمكنه أن يعطي بلغة من لحمه لسيدي منصور لفعل . أعاذنا الله من سوء الانتقاد على الكُمّل من العباد . فهذا ماأردنا أن نذكره في هذا الباب ـ نفع الله به آمين ـ .

☆ ☆ ☆

---

(٢٥) قلت : هذه المعاملة بين الخواص مقبولة ، لأن شؤونهم مبنية على الإيثار وهو أعلى مكارم الأخلاق ، كما قال سيدي حسن الراعي « [حقيقة الشكر عندنا] : إنْ فَقَدنا شَكَرنا ؛ وإن وَجَدْنا آثرنا » . وأما إن كانت هذه المعاملة بين وَليّ وعاميّ فإنه لابدّ فيها من وجه شرعي للأخذ كأن يكون المال بيد العاميّ هو حقٌّ للغير ، فيأخذه الوليّ خفية ليصرفه في جهته الأصلية الشرعية . فَهُمْ رضي الله عنهم لايخلو تصرفهم من وجهة شرعية ظاهرة أو خفية عنّا . وتقدم في أول [١٤] حكاية وَليّ مع جارٍ له . وسيأتي قريب من ذلك قصة الوليّ عبد الرحمن المجذوب ؛ آخر هذا الباب .

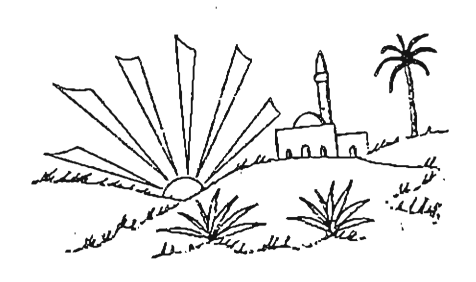
(٢٦) عبد الرحمن المجذوب (ـ ٩٤٤ هـ) : من أكابر الأولياء ، يغلب عليه الجذب . كان يتكلم ثلاثة أشهر ويسكت مثلها . يتكلم بالسريانى ويخبر عن سائر أقطار الأرض وعن أقواتهم وأحوالهم . دفن قرب جامع الملك الظاهر بالحسينية في مصر وله زاوية معروفة . ا هـ الطبقات .

الباب الخامس

(ملخص)

في ذكر التشايخ والإرادة

وفيه (١٦) بحثاً :



الباب الخامس
في ذكر المشايخ والإرادة

وبعض ماسمعنا منه في هذا الباب رضي الله عنه

[١] (سَأَلَه) - رضي الله عنه - بعضُ الفقهاء عما قيل : « إنّ التربية انقطعت » . فهل هذا صحيح ، أم لا ؟

ونص السؤال : سيدّنا الإمام ، من فتح الله عليه من فتوحات أوليائه الكرام ، وتفضّل عليه بالانتساب لبيت النبوّة ، - على الموصوف بها أفضل الصلاة وأزكى السلام - ، عَلِّمْنا - عَلَّمك الله من علومه اللدنّية - ، ما يزيح الإشكال عن قلوب الرجال ، ويسرح عقولها من العقال إلى نيل العلوم الروحانية ببيان العبارة وضرب الأمثال ؛ فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الخَلْقُ عِيَالُ اللهِ ، وأَحَبُّ الخَلْقِ إلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ »[١] . حديث شريف

فمنها - سيدي - : ما نقل عن « الشيخ زرّوق » رضي الله عنه : انقطعت التربية بالاصطلاح ، ولم يبق إلا التربية بالهمّة والحال ؛ فعليكم بالكتاب والسُّنَّة[٢] من غير زيادة ولا نقصان . هل ذلك خاصّ بزمانه ؟ أو هي منقطعة إلى نزول سيدنا عيسى عليه السلام ؟ فإن قلتم : انقطع ؛ فما سبب قطعه ؟ وإن قلتم : هو باقٍ ، فَمَن الشيخ الذي تعطى له روح المريد يتصرف فيها ، بالخلوة وكيف يشاء ؟ عيِّنْهُ لنا في أيّ إقليم وبلاد ، ممن نجح على يده أحدٌ من العباد ا هـ . وهذا الفقيه هو

التربية بالهمة والحال

---

(١) الحديث رواه أبو يعلى في مسنده ، والبزار عن أنس ، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود .

(٢) أي وما بُني عليهما من الاجتهاد عند أهل السنّة والجماعة .

الذي سبقت الإشارة إليه [١ / ٣٦٣] في تفسير « ق » وفي شرح حديث الكتابَيْن اللذين فيهما أسماءُ أهل الجنّة والنار [١/١٢٥] .

هدف التربية النفسية .

(فأجاب) - رضي الله عنه - : بأنّ المقصود من التربية هو تصفيةُ الذات وتطهيرها من رعوناتها ، حتى تطيق حمل السرّ ؛ **وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها** ، وقطع علائق الباطل عن وجهتها ؛ ثم قطعُ الباطل عنها ، (تارة) ، يكون بصفائها في أصل خلقتها بأن يطهّرها الله بلا واسطة ؛ وهذه حالة « القرون الثلاثة » الفاضلة الذين هم خير القرون[٣] ؛ فقد كان الناس في تلك القرون متعلقين بالحقّ باحثين عليه ؛ إذا ناموا ناموا عليه ، وإذا استيقظوا إستيقظوا عليه ، وإذا تحركوا تحركوا فيه ؛ حتى إنّ من فتح الله بصيرته ، ونظر إلى بواطنهم ، وجد عقولهم - إلاّ النادر - متعلقةٌ بالله وبرسوله ؛ باحثةٌ عن الوصول إلى مرضاتها . فلهذا كثر فيهم الخير ، وسطع في ذواتهم نورُ الحقّ ، وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يكيّف ولا يطاق ، **فكانت التربية في هذه القرون [الثلاثة الأولى] غيرَ محتاج إليها** ؛ وإنما يَلقى الشيخُ مريدَه وصاحبَ سِرّه ووارثَ نوره ، فيكلّمُه في أُذُنه ، فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك ؛ لطهارةِ الذوات ، وصفاء العقول ، وتَشَوُّفها إلى نهج الرشاد .

أهل القرون الثلاثة .

(وتارة) يكون بتسبّب من الشيخ فيه - أعني قطعَ الظلام من الذوات - ، وذلك فيا **بعد القرون الفاضلة** ، حيث **فسدت النيّات** وكسدت الطويّات ، وصارت العقول متعلقة بالدنيا ، باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات ، واستيفاء اللذات ؛ فصار الشيخ - صاحبُ البصيرة - يلقى مريدَه ووارثه ، فَيَعرفُه وينظر إليه ، فيجد عقلَه متعلقاً بالباطل ونيلِ الشهواتِ ؛ ويجد ذاتَه تتبع العقل في ذلك ، فتلهو مع اللاهين ، وتسهو مع الساهين ، وتميل مع المبطلين ؛ وتتحرك الجوارح في ذلك حركةً غيرَ محمودة ؛ من حيث إن العقل الذي هو مالكُها مربوط بالباطل لا بالحق ؛ فإذا وَجَدَه على هذه الحالة أمره (بالخَلْوة وبالذِّكْر وبتقليل الأكل) ؛

ما بعد القرون الفاضلة .

---

(٣) كما جاء في الحديث الشريف الصحيح عن ابن مسعود « خَيْرُ النّاسِ قَرْني ، ثم الذين يَلُونَهم ثمّ الذين يَلُونهم » . متفق عليه ا هـ كشف الخفا ١/٤٧٥ .

طريقة التربية عند العارفين بعد القرون الثلاثة .

فبالخلوة[٤] : ينقطع عن المبطلين الذين هم في عداد الموتى . **وبالذكر**[٥] : يزول كلام الباطل واللهو واللغو ، الذي كان في لسانه ؛ **وبتقليل الأكل** : يقلّ البخار الذي في الدم ، فتقلّ الشهوة ، فيرجع العقل إلى التعلق بالله وبرسوله ؛ فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء أطاقت ذاتُه حملَ السر . فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة .

نصيحة الشيخ زروق وشيوخه .

ثم بقي الأمر على هذا مدة ، **إلى أن اختلط الحق بالباطل** ، والنور بالظلام ؛ فصار (أهلُ الباطل) يربّون من يأتيهم بإدخال الخلوة ، وتلقين الأسماء [الحسنى] على نية فاسدة ، وغرض مخالف للحقّ ؛ وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات تُفضي بهذا[٦] إلى مكر من الله تعالى ، واستدراجات . وكثُر هذا الأمر في الأعصار التي أدركها « الشيخ زرّوق » ـ رضي الله عنه ـ وأدركها شيوخه ؛ **فظهر لهم من النصيحة لله ولرسوله أن** يشيروا على الناس بالرجوع عن هذه التربية ، التي كثر فيها المبطلون ؛ وأن يقفوا بالناس في ساحة الأمن ، التي لا خوفٌ فيها ولا حُزنٌ ؛ وهي : **اتّباع السنّة والكتاب** ، اللذَين ، لا يضلّ من اهتدى

---

(٤) **الخَلْوة** : المراد بها ـ في طريقة الشاذلية ـ انقطاع عن الناس مدة مخصوصة ، بإشراف مرشد عارف بالله تعالى يلقنه فيها اسم « الله » تعالى بصفة مخصوصة ليكرره حتى يتمكن في قلبه ؛ ثم يتدرج به مقاماً تلو مقام ، حتى يصل به إلى مقام الفناء في صفات الله سبحانه وتعالى عندها يتمكن الذكر من ذاته فيفنى عن نفسه فضلاً عن غيره من الموجودات . فتلوح له بوارق الأنوار المحمّدية التي هي من نور الله سبحانه وتعالى . ووقتها يكون المريد قد وضع قدمه على أول طريق المعرفة بالله سبحانه وتعالى ويصل إلى ذلك على حسب صفائه واستعداده وإكرام الله له ؛ ثم يسمو ويرتقي على حسب اجتهاده والتزامه بأصول الطريق حيث يأتي في مقدمتها الأوامر الشرعية التي قالوا فيها « نهاية سير الرجال : الشرع المحمدي » ويليها الآداب الإسلامية التي قال العارفون عنها : « ما وصل من وصل إلا بالأدب ... » إلى أن يتحقق بمعرفة الله سبحانه وتعالى . ا هـ المحقق .

(٥) **الذِكْر** لله سبحانه وتعالى : وينصرف ـ إذا أطلق ـ إلى ذكر اللسان . وهو ركن قوي في طريق الوصول وهو منشور الولاية . فمن أُلهم الذكر فقد أُعطي المنشور ؛ ومن سُلِب الذكر فقد عُزِل . وهو أنواع : ذكر العامة باللسان . وذكر الخاصة بالجَنان . وذكر خاصة الخاصة بالروح والسرّ وهو الشهود والعيان . فيذكر الله تعالى عند كل شيء وعلى كل شيء . وفي ذكر السرّ يخرس اللسان ويبقى كالمبهوت في محل العيان ا هـ . معراج التشوف ـ بتصرف ـ ص ٢١ .

(٦) في ظ ١ : يفضي بها . قلت : هو تصحيف .

بها . فكلامهم ـ رضي الله عنهم ـ خَرّج مخرج النصيحة والاحتياط ؛ ولم يريدوا ـ رضي الله عنهم ـ الانقطاع رأساً للتربية الحقيقية ـ وحاشاهم من ذلك ـ ؛ فإنّ نور النبيّ ﷺ باقٍ ، وخيرَه شاملٌ ، وبركتَه عامةٌ إلى يوم القيامة .

أوصاف الشيخ المربّي :

وأما **قولكم** : فَمَن الشيخ [الذي تعطى له روح المريد ، يَتصرّف فيها ، بالخلوة ، وكيف يَشاء] ؟ **فجوابكم** : إن (**الشيخ الذي يُلقى إليه بالقياد هو العارف بأحوال النبيّ ﷺ**) الذي سقيت ذاته من نوره ﷺ ؛ حتى صار على قدم النبيّ ﷺ ؛ وأمدّه الله تعالى بكمال الإيمان وصفاء العرفان . فهذا هو الذي يُلقى إليه بالقياد ، وتنبغي محبته وتَنْفَعُ خِلطته ؛ فإنه يَجمع العبدَ مع ربّه ، ويقطع عنه الوساوس في معرفته ، ويرقّيه في محبّة النبيّ ﷺ .

وأما **قولكم** : فعيّنوه لنا ؛ في أي إقليم أو بلد ؟ **فجوابه** : إن الموصوف المذكور متعدد ـ والحمد لله ـ في البلاد والعباد . فلا تخرجْ عن أهل السنّة والجماعة ؛ واطلبْه تجِدْه ..!! فـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

مسألة من ادعى أنه يرى النبي ﷺ يقظة ، وبيّنته .

[٢] (**وسأله**) الفقيه ـ المذكور أيضاً ـ عن الشيخ الذي يَدّعي رؤيةَ النبيّ ﷺ بما نصه : (ومنها) ـ أي الأسئلة سيّدي ـ : من ادّعى أنه يرى النبيّ ﷺ يقظة . قال العارفون بالله : لاتقبل دعواه إلا ببيّنة ، وهو أن يقطع ثلاثة آلاف مقام إلا مقاماً ، ويكلف المدّعي بعدها ببيانها . فالمطلوب من سيادتكم ـ أدامها الله ـ أن تعدّوها لنا ـ ولو برمزٍ واختصار ـ ، أو ماتيسر منها ، من غير استكثار !!؟

مقامات خواص النفوس في عروق الذات الـ٣٦٦ .

(**فأجاب**) رضي الله عنه : **بأنّ في باطن كلّ ذات ثلثمائة وستةً وستين عِرقاً** ؛ كلُّ عِرق حاملٌ للخاصيّة التي خُلق لها ؛ والعارف ذو البصيرة يشاهد تلك العروق مضيئةً شاعلة في معاني خواصّها ؛ فللكذب عرق مشعول بخاصيته ، وللحسد عرق يضيء به ، وللرياء عرق يضيء به ، وللغَدر عِرق يضيء به ، وللعُجب عرق يضيء به ، وللكِبْر عرق يضيء به ، وهكذا ... حتى تأتي على سائر العروق ؛ حتى إن **العارف** إذا نظرَ إلى الذوات رأى كلَّ ذات بمنزلة فَنَارٍ عُلّقت فيه ثلثمائة وست وستون شمعة ، كلُّ شمعة على لون لايشابه لون غيرها . ثم هذه الخواص ، في كل

ضرب مثال

واحدة منها تفاصيل وأقسام ؛ فخاصية الشهوة ـ مثلاً ـ لها أقسام بحسب ما تضاف إليه ، فإن أضيفت إلى الفُروج ، كانت قسماً ؛ وإن أضيفت إلى الجاه ، كانت قسماً ؛ وإلى المال ، كانت قسماً ؛ وإلى طول الأمل ، كانت قسماً ؛ وهكذا خاصيّة **الكذب** ؛ فمن حيث إن صاحبها لا يقول الحقّ ، تعدّ قسماً ؛ ومن حيث إن صاحبها يظن في غيره أنه لا يقول الحقّ ، ويشك في كلامه ولا يصدقه ، تعدّ قسماً .

ولا يفتح على العبد حتى يقطع هذه المقامات بأسرها . فإذا أراد الله بعبده خيراً وأهّله للفتح فإنه يقطعها عنه شيئاً فشيئاً على التدريج . فإذا قطع عنه ـ مثلاً ـ خاصيّة الكذب حصل على (مقام الصدق) ، ثم على (مقام التصديق) . وإذا قطع عنه خاصية الشهوة في المال ، حصل على (مقام الزهد) ؛ أو شهوةِ المعاصي ، حصل على (مقام التوبة) ؛ أو شهوةِ طول الأمل ، حصل على (مقام التجافي) عن دار الغرور ، وهكذا . ثم إذا **فُتح عليه** وجُعل السرُّ في ذاته تَدرَّج في مقامات المشاهدة للعوالم ؛ فأول ما **يشاهد** : « الأجرام الترابية » ، ثم « الأجرام العلوية » ، ثم « الأجرام النورانية » ، ثم يشاهد « سريان أفعاله تعالى في خليقته » . وله في مشاهدة « الأجرام الترابية » تدريج ؛ فأوّلُ ما يشاهد « الأرض » التي هو فيها ؛ ثم يشاهد « البحور » التي فيها ؛ ثم يشاهد ما بين « الأرض » التي هو فيها ، و « الأرض الثانية » ، بأن يخرق نظرُه التخوم إلى الثانية ، ثم يشاهد « الأرض الثانية » ، ثم تخومَها إلى « الثالثة » ، وهكذا إلى « السابعة » ؛ ثم يشاهد الجوَّ الذي بينه وبين « السماء الأولى » ؛ ثم « السماءَ الأولى » ؛ وهكذا على نحو الترتيب السابق في الأرض ؛ ثم يشاهد البرزخ والأرواح التي فيه ؛ ثم الملائكة والحفظة ، وأمور الآخرة .

تدرج مقامات المشاهدة .

الأرضون السبع .

السماوات السبع .

البرزخ

وعلى العبد في كل مشاهدة من هذه المشاهدات حقٌّ من حقوق الربوبية ، وأدبٌ من آداب العبودية ؛ ويَعرض له في ذلك قواطعُ ، وتعتريه عوائق ، ويشاهد أموراً هائلةً قتّالة . فلولا توفيقُ الله تعالى وفضلُه على العبد الضعيف ، ورحمتُه به ، لكان ـ أقلُّ درجاتها ـ يرجع بسببها من جملة الحمقى .

ثم قطعه لمقامات المشاهدة وأهوالها أصعبُ عليه من قطعه مقامات خواصّ

النفوس ؛ لأنّ قطعه لمقاماتِ الخواص باطني ، لا يَشعر به إلا بعد الفتح ؛ وقطعه لمقامات المشاهدة ظاهريّ ، يعاينه ويراه لأنه أمر يخوضه بعد الفتح ؛ فإذا صفا نظرُه وتمّ نور بصيرته ، ورَحِمه الله الرحمةَ التي لا شقاء بعدها ، رَزقه الله سبحانه (رؤيةَ سيّد الأولين والآخرين) ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ ؛ فيراه عِياناً ، ويشاهده يقظة ، ويمدُّه الله تعالى بما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ فحينئذ يَحصَل على مقام الهناء والسرور ؛ فهنيئاً له السعادة !!!. [وتقدم نحوه أول الكتاب ٥٥/١ وكذا ٤٠٠/١] .

مقام مشاهدته ﷺ يقظة ـ

فإذا اعتبرتَ العدد السابق في الخوّاص والأقسام الداخلة فيها ، مع المقامات التي توجد من المشاهدات السابقة ، وجدتَ ذلك ينوف[٧] على العدد المذكور . ثم إنّ النبيّ ﷺ لا تخفى شمائله المطهّرة على أمته ، فقد دوّنت العلماءُ ـ رضي الله عنهم ـ ما خصه الله ـ تبارك وتعالى ـ في ظاهر ذاته وفي باطنه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم[٨] .

فمن ادعى رُؤيته يقظة فَلْيُسأل عن شيء من أحواله الزكية ، ويُسمعْ جوابُه ، فإنه لا يخفى من يجيب عن عيان ، ولا يلتبس بغيره أبداً . والسلام .

فإن قَنَعتُم بهذا فبها ونعمت ؛ وإن أردتم كلاماً آخر ، فاعلم : أنّ (**العبد إذا فتح الله تعالى عليه**) أمدّه بنور من أنوار الحقّ يدخل على ذاته من جميع الجهات ، ويخرقها حتى يخرق اللحم والعظم ، ويعاني من برودته ومشقة دخوله على الذات ، ما يقارب « سكرات الموت » . ثم إنّ ذلك النور من شأنه أن يمدّ بأسرار المخلوقات التي أراد الله أن يفتح على ذلك العبد في مشاهدتها ، فيدخلُ النور على ذاته متلوناً بألوان المخلوقات المذكورة . فإذا أراد الله تعالى أن يفتح عليه مثلاً في مشاهدة المخلوقات التي على ظهر هذه الأرض فإن ذلك النور يأتيه مرّة ، ويخرقه بالأسرار التي تكونت بها ذوات بني آدم ، ويأتيه مرّة بالأسرار التي تكونت بها

---

(٧) في ظ ١ : ينيف . قلت : هو تصحيف .

(٨) راجع : ١ ـ الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ٢ ـ الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض ٣ ـ الخصائص الكبرى للسيوطي ٤ ـ كشف الغمة للشعراني (جـ ٢ باب النكاح فصل فيا اختص به ﷺ) ٥ ـ الأنوار المحمدية للنبهاني . وكتباً غيرها .

البهائم ، ويأتيه مرّة بالأسرار التي تكونت بها الجمادات من فواكه وثمار ونحوها ، بحيث إنه لا يفتح عليه في مشاهدة شيء منها حتى يسقى أولاً بأسرارها . ومع ذلك فإنّه يعاني في كل كَرّة ما يعانيه في أوّل مرة ، ومن جملة المخلوقات سيّدُ الوجود وعَلَم الشهود ﷺ . فإذا وعد الله عبداً بالفتح عليه في مشاهدة ذاته الشريفة [ﷺ] ، فإنه لا يشاهده حتى يسقى بالأسرار التي في ذاته الشريفة . فلنفرض الذات قبل الفتح بمثابة شيء مظلم ، والذاتُ الشريفة بمنزلة نورٍ ذي شُعَبٍ متنوعة تنتهي إلى مائة ألفٍ أو أكثر . فإذا أراد الله رحمةَ تلك الذات المظلمة فإنّ ذلك النور الذي يمدّها ويسقيها يأتيها مرة ، ويخرقها بتلك الشُّعَب واحدة بعد واحدة ؛ ولنفرضها مثلاً (شعبة الصبر) ، فيزول بها سوادٌ ضدّه من الجزع والقلق ؛ ويأتيه مرة بشعبة أخرى ، ولنفرضها (شعبة الرحمة) فيزول بها سوادٌ ضدّه الذي هو عدم الرحمة ويأتيه مرة بشعبة أخرى ، ولنفرضها (شعبة الحلم) ، فيزول بها سواد ضدّها ، وهكذا حتى تأتي على جميع الشُّعَب التي في الذات المطهّرة المنورة ، وتزول عن الذات المظلمة جميع الأوصاف السّوْداوية ؛ وعند ذلك يتمكن العبد من المشاهدة في الذات الشريفة ، لأنه متى بقي عليه شيء من السواد كان ذلك سواداً في ذاته ؛ ولا يطيق مشاهدة الذات الشريفة حتى يخرج السواد بأسره من ذاته . ولسنا نريد أنه إذا سُقي بالأسرار التي في الذات الشريفة أن تكون فيه على الكمال التي هي عليه في الذات الشريفة ؛ بل نريد أنه يسقى بها على ما تطيقه ذاته وأصل خلقته . ولسنا نريد أيضاً أنه إذا سقي بشيء من تلك الشُّعَب أنه ينقص من الذات الشريفة ويبقى محله خالياً منه ، فإنّ « الأنوار لا تزول عن محلّها بالأخذ منها » . فظهر لك بهذا أن العبد لا يشاهد النبيَّ ﷺ حتى تُمحى جميع أوصافه بورود تلك الأسرار الشريفة والأنوار اللطيفة ؛ وفي ذلك قطع لمقامات لا تُعدّ ولا تحصى . [وللإمام البوصيري في البردة][9] :

قاعدة .

مشاهدة النبي ﷺ شرطها .

---

(٩) البُوصيري (٦٠٨ - ٦٩٦ هـ) (١٢١٢ - ١٢٩٦ م) : محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري المصري ، شرف الدين شاعر مشهور حسن الديباجة مليح المعاني ، عظيم المحبة للرسول ﷺ . نسبته إلى بوصير بمصر بلد أمه وأصله من المغرب من قلعة حماد . ولد في بهشيم بمصر ونشأ في دلاص . اشتغل بصنعة الكتابة ببلبيس بمصر . أشهر شعره البردة ، شرحها وعارضها كثيرون . والهمزية ؛ وعارض « بانت سعاد » بقصيدة . أهـ من الأعلام بتصرف .

فَــإِنَّ فَضْــلَ رَسُــولِ اللهِ لَيْسَ لَــهُ حَــدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْــهُ نَــاطِـقٌ بِفَمِ

وكأنَّ من حصرها في ألفين أو أكثر أخبر عن حالته وما وقع له من الفتح ، وبقي عليه مابقي . وما سبق من نفي المشاهدة عن الذي لا يسقى بجميعها ، فإنّا نعني به نفي المشاهدة على الكمال ، فإنّ من بقيت عليه شُعْبة[10] ، وحصلت له مشاهدة ، حصلت له لا على الكمال . والله أعلم .

محبة الشيخ لنور إيمانه وفائدتها.

[س ٣] وسأله الفقيه المذكور عن : **المريد الذي يزيد إذا حضر الشيخ وينقص إذا غاب** . بما نصه :

(ومنها) : ـ أي من الأسئلة ـ سيدي إذا صحب المريدُ شيخاً كاملاً عارفاً بربّه ، وادّعى أنه يربيه بهمّته ؛ ثم إذا غابت بشرية الشيخ ـ بموت أو سفر ـ يجد المريد ضعفاً من نفسه في الحال والعلم والعمل . فما معنى تربيته له بالحال والهمّة ، وانتفاعه به ، مع ضعف انتفاعه به إذا بعد عنه ؟

معنى التربية بالحال والهمة.

(**فأجاب**) رضي الله عنه : بأن (همّة الشيخ الكامل) هي نور إيمانه بالله عزّ وجلّ ، وبها[11] يربّي المريدَ ويرقّيه من حالة إلى حالة ؛ [١] فإن كانت **محبة المريد للشيخ من نور إيمانه** أمدّه الشيخ [سواء] حَضَر أو غاب ، بل ولو مات ومرّت عليه آلاف[12] من السنين . ومن هنا كان أولياء كل قرن يستمدّون من نور إيمان النبيّ ﷺ ويربّيهم ويرقّيهم ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ ، لأنّ محبتهم فيه محبة صافية خالصة من نور إيمانهم . [٢] وإن كانت **محبة المريد في الشيخ من ذات المريد ، لا من إيمانه** ، انتفع به مادام حاضراً ، فإذا غابت الذات عن الذات وقع الانقطاع .

من خصائص الوليّ.

(وعلامة **محبة الذات**) : أن تكون محبته في الشيخ لتحصيل نفع ؛ أو لدفع ضرّ دنيوي أو أخروي . (وعلامة **محبة الإيمان**) : أن تكون خالصة لوجه الله ؛

علامة محبة ذات الشيخ ومحبة الإيمان له.

---

(١٠) كذا في ظ ١ . وفي الحلية : شعب .

(١١) كذا في ظ ١ . وفي الحلية : وبه .

(١٢) كذا في بولاق والحلية . وفي ظ ١ : الأزمنة والسنين .

لا لغرض من الأغراض . » فالمريد إذا وجد النقص من نفسه عند غيبة الشيخ فالتقصير منه لا من الشيخ » . والله أعلم .

أصل في الطريق .

[٤] (وسأله) الفقيه المذكور أيضاً عن : **طريق الشكر وطريق المجاهدة أيها أولى ؟** بما نصه :

الفرق بين طريقة الشاذلي وطريقة الغزالي .

ومنها سيدي - رضي الله عنكم وأرضاكم - ، ماالفرق بين (**طريقة الوليّ العارف الشاذليّ**)[١٣] وأتباعه ؟ و (**طريقة الغزالي**) - رضي الله تعالى عنه - وأتباعه . حتى إن الأُولى : مدارُها كلّها على الشكر والفرح بالمنعم ، من غير مشقّة ولا كُلفة ؛ والأخرى : مدارها على الرياضة والتعب والمشقّة والسهر والجوع وغيرها . فهل هما سيدي متوافقان على الرياضة ؟ وإنما يأمر الشاذلي بالشكر بعد القرب للوصول ، أو عنده ؛ أو هو أمَر بالشكر والفرح بالله من أوّل وهلة ، وحين البداية ؟! وهل الطريقتان يمكن سلوكها لرجل واحد ، أو لا يمكن أن يُنتفع بإحداهما إلا بالإعراض عن الأخرى ؟ جواباً شافياً ..!!

---

(١٣) **الإمام الشاذلي** (٥٩١ - ٦٥٦) هـ : أبو الحسن علي بن عبد الله بن تميم ، مغربي . رأس الطائفة الشاذلية الصوفية . ولد في « غمارة » من قرى أفريقية ؛ وتفقه وتصوف في تونس . وسكن « شاذلة » فنسب إليها ، ثم تركها ورحل إلى بلاد المشرق ، فحجّ ودخل العراق ؛ ثم سكن الاسكندرية . كان ضريراً ؛ شارك مع أصحابه في الجهاد في سبيل الله بمصر . توفي بصحراء عيذاب ، في طريقه للحج ا هـ من الأعلام .

قلت : سمعت شيخنا العارف سيدي محمد سعيد **البرهاني** رحمه الله تعالى يقول : من خصائص هذه الطريقة [الشاذلية] أن من انتسب إليها وصَدَق السير فيها لابد أن يجتمع في نهايته مع سيدنا محمد ﷺ يقظة . وقرأنا عليه رضي الله عنه : أن الإمام الشاذلي أعطي ديواناً فيه أسماء من انتسب إليه [أي من الصادقين] إلى يوم القيامة ؛ وبُشّر بأنهم من أهل الجنّة .

أقول : وطريقة الشاذلية تعتبر جماليّة ؛ تناسب جميع المؤمنين في كلّ عصر ؛ ويسلكها الصغير والكبير فهي كما سمّاها سيدي الدباغ طريقة الشكر وهي انتساب للشيخ المربي العارف وذلك يحصل بمجالسته ثم أخذ وِرْدٍ عامّ من الأذكار ، يليه - إن تفرس فيه الشيخ استعداداً - خلوةٌ فوردٌ خاص سهلٌ نوعاً وكمّاً . مع صدق ومحبة وتسليم ومراجعة للشيخ فيما يعرض له من أمور شرعية ومشكلات دنيوية وفتوحات ربانية ومع اتخاذ للأسباب الدنيوية الماشية وصبر واجتهاد . حتى يتخرج على يديه ويصبح من العارفين ويَشهد له شيخه ويأذن له بالإرشاد ويأتيه الإذن من الله تعالى ثم من رسوله ﷺ فينتفع به العباد . وإن لم يحصل مقام المعرفة بالله تعالى في دنياه فإنه يبقى يترقى بعد موته حتى يبعث يوم القيامة من العارفين على حسب همته وإرادته .

تعريف بطريقة الشاذلي (طريقة الشكر) .

(**فأجاب**) رضي الله عنه : بأن (طريقة الشكر) هي الأصلية ، وهي التي كانت عليها قلوب الأنبياء والأصفياء من الصحابة وغيرهم ، وهي عبادته تعالى على إخلاص العبودية والبراءة من جميع الحظوظ مع الاعتراف بالعجز والتقصير ، وعدم توفية الربوبيّة حقها ، وسكون ذلك في القلب على ممر الساعات والأزمان . فلما علم منهم تبارك وتعالى الصدق في ذلك ، أثابهم بما يقتضيه كرمه من الفتح في معرفته ، ونيلِ أسرار الإيمان به - عز وجل - . فلما سمع (أهل الرياضة) بما حصل لهؤلاء من الفتح جعلوا ذلك هو مطلوبهم ومرغوبهم ؛ فجعلوا يطلبونه بالصيام والقيام والسهر ، ودوام الخلوة ، حتى حَصّلوا على ما حصلوا .

فالهجرة في طريقة الشكر كانت من أول الأمر إلى الله وإلى رسوله لا إلى الفتح ، ونيل الكشوفات ؛ والهجرة في (طريقة الرياضة) كانت للفتح ونيل المراتب .

والسير في الأولى سير القلوب وفي الثانية سير الأبدان . والفتح في الأولى هجوميّ ، لم يحصل من العبد تشوف إليه ؛ فبينما العبد في مقام طلب التوبة والاستغفار من الذنوب إذ جاءه الفتح المبين .

والطريقتان على صواب ، لكن « طريقة الشكر أصوب وأخلص » . والطريقتان متفقتان على الرياضة ؛ لكنها في الأولى رياضة القلوب بتعلقها بالحقّ - سبحانه وتعالى - وإلزامها العكوف على بابه ، واللّجإ إلى الله في الحركات والسكنات والتباعد عن الغفلة المتخللة بين أوقات الحضور . و (بالجملة) **فالرياضة** : فيها تعليق القلب بالله - عز وجل - ، والدوام على ذلك ، وإن كان الظاهر غيرَ متلبس بكبير عبادة ؛ ولذا كان صاحبها يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويقارب النساء ، ويأتي بسائر وظائف الشرع التي تضادّ رياضة الأبدان .

وقال مرة أخرى بعد قوله : « والهجرة في طريقة الرياضة كانت للفتح ونيل المراتب » ثم (بعد الفتح) **منهم** : من يبقى على نيته الأولى ، فينقطع قلبه مع الأمور التي يشاهدها في العوالم ؛ ويفرح بما يرى من الكشف والمشي على الماء وطيّ

الخطوة ، ويرى أن ذلك هو الغاية . وهذا من الذين خلت قلوبهم من الله - عز وجل - في بداية الأمر ونهايته ، فهو من :

﴿ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ [الكهف : ١٠٣] .

ومنهم من تتبدل نيته بعد الفتح ويرحمه الله تعالى ، ويأخذ بيده ، فيتعلق قلبه بالحق سبحانه وتعالى ، ويعرض عن غيره ، وهذه الحالة التي حصلت لهذا بعد الفتح هي كانت البداية في طريق الشكر . فيا بعد مابين الطريقتين ، وتباين مابين المطلبين ..!!

(وبالجملة) : **فالسير** في الأولى : سير القلوب ، وفي الثانية : سير الأبدان ؛ والنية في الأولى خالصة ، وفي الثانية مشوبة ؛ والفتح في الأولى : هجومي لاتشوّف من العبد إليه فكان ربانياً ، وفي الثانية : نيل بحيلة وسبب ؛ فانقسم إلى الوجهين السابقين . **والفتح** في الأولى لاينالـه إلا المؤمن العارف الحبيب القريب ؛ بخلاف الفتح في الثانية ، فإنّك قد سمعت أن للرهبان وأحبار اليهود رياضات توصلوا بها إلى شيء من الاستدراجات[١٤] .

قال رضي الله عنه : ونحن في هذا الكلام نتكلم على الرياضة مطلقاً ، كانت من المُحقّ أو من المُبطل ؛ ولسنا نتكلم على رياضة أبي حامد الغزالي - رضي الله عنه - بالخصوص ، فإنّه إمام حقّ ووليّ صدق .

مقام الغزالي

وقولكم : (وهل يمكن سلوكها لرجل واحد ؟) . **جوابه** : أنه يمكن ، إذ لاتنافي بينهما ؛ فيمكنُ من الشخص أن يعلّق قلبه بالله - عزّ وجلّ - في سائر حركاته وسكناته ، ويقيم ظاهره في المجاهدات والرياضات . والله تعالى أعلم .

التعرف على القابلية .

[٥] (**وسأله**) الفقيه المذكور أيضاً بما نصه : ومنها سيدي ، هل يمكن للإنسان أن يعرف قابليته للإرادة وعدمها ؟ - أي **القابلية الخاصة** - ، أوْ لا يُعَرِّفه بذلك[١٥] إلا غيرُه من شيخ صالح ، أو أخ ناصح .

(١٤) كما سيأتي ص ٢٧٨ في قصة اليهودي مع سيدي إبراهيم الخواص .

(١٥) كذا في بولاق وغيرها . وفي ظ ١ : يعرف بذلك .

أصل: (**فأجاب**) رضي الله عنه : بأن (القابليّة) يعرفها الشخص من نفسه ، بأن يَنظر إلى الغالب على فكره ، فهو الذي خلقت الذات له ، و « لابد للذات أن تتبع ما الفكر فيه ، سواء أُقيمت فيه من أول الأمر أوْ لا » ؛ فمن غلبَ على فكره محبة الله ، والميل إلى جنابه ، واستحضار عظيم سطوته ، والخوف من جلاله وكبريائه ، فذلك علامة إرادة الخير به ، سواء كانت ذاته مقامة في المخالفات ، أو في الموافقات ، فإنّها وإن أقيمت في المخالفات فسيَرْجع الله ـ سبحانه ـ بها إلى الخير والفلاح والرشد والنجاح . ثم القابلية المذكورة كالرُّجلة والشجاعة تختلف بالقوة والضعف . وتعلم مراتبها المختلفة : فمن نظر إلى جماعة من الصبيان ـ وهم يلعبون ـ علم مَن رُجلتَه قويّة ، ومَن رُجلته ضعيفة ، ومن رُجلته متوسطة . فكذلك أهْل القابلية يتفاوتون في حضور المعنى السابق ، فمنهم : من هو في الدرجة العالية ؛ بأن يكون هو الغالب عليه في سائر أوقاته . ومنهم : من يأتيه في أقل أوقاته ، ومنهم : المتوسط .

الخواطر من نور العقل . و (سرّ ذلك) أن **الفكر والخواطر** التي في الباطن نور من أنوار العقل ، يَمدّ بها العقل الذاتَ على وفق القَدَر ، وما سبق في القسمة ؛ فإن أريد بالذات الخير ألقى العقل عليها الفكر فيه وفي أسبابه ، حتى تدركه ؛ وإن أُريد بالذات الشرّ ألقى العقل عليها الفكر فيه وفي أسبابه حتى تبلغ إليه وتناله .

ثم **الخير** يتبع مراتب الفكر الثلاثة السابقة ؛ **والشرُّ** يتبع أيضاً مراتب الفكر فيه . ثم القابليةُ لاتختص بما سبق ، بل ، كلُّ ماسبق في القَدَر أن الذات تدركه وتصل إليه ، فإن أمْرَ القابلية يظهر فيه .

فمن نظر إلى جماعة من الصبيان ؛ وسبق لواحد منهم أن يكون كاتباً والآخر أن يكون حجّاماً ، والآخر أن يكون شُرَطياً ـ مثلاً ـ ؛ فإن الأول يعرف كيفَ يشدّ القلم للكتابة ويحصل له ذلك بأدنى تنبيه ؛ ولا يعرف كيف يشد الموسى للتخفيف ؛ ولا كيف يعلّق السكين ، ولو نُبّه ماعسى أن ينبه !! والثاني يعرف كيف يشدّ الموسى ؛ ولا يعرف كيف يشدّ القلم ولا السكين .. والثالث يعرف كيف يعلق السكين ، ولا يعرف كيف يشدّ القلم ولا الموسى .

وَ « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ »[١٦] .

وكـذا من غلب على فكره التجرُّ في البزّ[١٧] ونحوه ، وأراد أبوه أن يقيمه في الفلاحة ، فإنّه لا يجيء منه خير ، ولو أقامه أبوه في التجارة جاء منه ما يحب وما يريد ، فخرج من هذا أن « **قابلية كلّ شيء مبنيّة على الفكر فيه** » ، وكل واحد يعلم ما يجول فيه فكره . والله الموفق .

قلت : وقد سمعت من الشيخ رضي الله عنه :

حكايات عن قابلية الإرادة.

١) أن امرأة من المتقدمين كان لها ابنان وبنت ؛ ولما أرادت أن تموت قالت لهم : إن ابني فلاناً يخرج من الصالحين ؛ والآخر يخرج من الظالمين ؛ والبنت سيكون لها مال كثير ودنيا عريضة ؛ فقيل لها : أتعلَمين الغيب ؟ فقالت : ما أعلم الغيب ؛ ولكنّي نظرت إلى (**الأول**) فرأيته شديد الخوف من الله تعالى ، لا يظلم أحداً من الصبيان ؛ وربُّه تعالى حاضر في قلبه دائماً ؛ فعلمت أنه سيصير إلى خير ؛ ونظرتُ إلى (**الثاني**) فرأيته على العكس ؛ فعلمتُ أن مآله إلى شرّ ؛ ونظرت إلى (**البنت**) - وكانت صغيرة - فوجدتها تصنع من الخرق البالية[١٨] خلاخل وقلائد ودماليج[١٩] وما يلبسه النساء ويتزيَّنَّ به . هذا شغلها دائماً ؛ فعلمت أنها ستصير إلى دنيا كثيرة .

٢) قلت : وأخبرني بعض الناس أنه كان يتيماً وأدخَلَتْه أمّه في صنعة الحرير ، وكان يتعاناها ، وتثقل عليه كثيراً ؛ حتى مر ذات يوم بقوم ، وهم يتعانون صنعة الجبس وتخريمه وتزويقه ؛ قال : فنظرت إليهم ، فذهب عقلي معهم ، فعطلت ذلك اليوم صنعة الحرير ، وخدمتُ معهم ، فأسرعَتْ جوارحي في الخدمة ، ونشط قلبي ، وكأنّي كنت في السجن وخرجت منه ؛ وحصل لي تيسر عظيم في فهم صنعة الجبس ، وما عدتُ إلى صنعة الحرير أبداً .

---

(١٦) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد ولفظه : اعملوا فكل ...

(١٧) البزّ : الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها . ا هـ القاموس المحيط .

(١٨) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : من الحرف العالية . قلت : يظهر من المعنى أنها تصحيف .

(١٩) في القاموس المحيط : الدّملج هو المدرج الأملس .

قلت : وهو اليوم رئيس القوم الذين يتعاطون صنعة الجبس « وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » .

٣) وأخبرني بعض الناس : أنه كان له حمار ضعيف ؛ وكان يسكن بإزاء قوم في البادية ؛ وكان لهم يتيم صغير ، لا شغل له إلا الركوب على حماري ، ولكن يركبه على صفة من يركب الخيل فيجعل في رجليه مهمازاً[٢٠] من شوك ، وللحمار لجاماً من سَعَف الدَّوْم[٢١] ، ويجعل في يده حربة من العيدان ، ويظل يحرك في الحمار . وكلما طردناه عاد إليه ، إن غفلنا عنه ؛ فلما كبر الطفل وبلغ رجع مع القواد الذي يسيّرون الخيل للسلطان ـ نصره الله ـ وَ « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » .

حكايــة مشهــورة : معلم الصبيان

٤) ونذكر هنا (**حكاية معلّم الصبيان**) : الذي اختبرهم بأن أعطاهم طيوراً ، وأمَرَ كلَّ واحد بذبح طائره في الموضع الذي لا يراه أحد ؛ فجاؤوا وقد ذبحوا طيورهم إلا واحداً منهم يقال : إنه هو « **أبو العباس السَّبتي** » ـ رضي الله عنه ـ ، فإنه رجع إلى الشيخ بطائره ؛ فقال : في كلّ موضع أريد فيه ذبحه أجد الله معي . فعلم الشيخ رضي الله عنه أنه سيصير إلى « مقام المعرفة » ، وأوصى عليه ؛ ولم يزل يلاحظه . والله تعالى أعلم .

عِرْق الولاية

وسمعت الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن (**الرجل إذا كان فيه عرق الولاية**) ؛ وأقامه الله مع أهل المخالفة ؛ وبقي معهم مُدّة ، فإنه إذا مر به وليٌّ من الأولياء ، وهو مع أولئك القوم ، فإن عِرق الولاية الذي فيه يحيا ـ بإذن الله ـ ، ويقع لصاحبه انشراح وفرح وانطلاق صدر ؛ هذا بمجرد مرور الوليّ عليهم ؛ ـ وإنْ كان صاحب العرق لا يعرفه ، ولا تكلم معه الوليُّ ، ولا جرى بينهما حديث ـ . أما إذا جرت بينهما معاشرة ، وحصلت بينهما معرفة ، فلا تسألْ عن حياة العرق الذي فيه ، وزيادة الخير فيه في كل لحظة . وإذا **كان في الرجل عرق الشرّ** الذي فيه ـ كالسرقة مثلاً ـ وأقامه الله مع أهل الولاية والعرفان ، وصار يخدمهم ويخالطهم

عِرْق الشر

---

(٢٠) المهماز والمهمز : حديدة في مؤخَّر خف الرائض اهـ . القاموس المحيط .

(٢١) سَعَف الدَّوْم : ورق الشجر الضخم اهـ . القاموس المحيط .

مدّة ، فإنه إذا مرّ بأولئك الجماعة سارق مثلاً ؛ فإنّ الرجل الذي فيه عرق السرقة يحيا ، وينشرح صدره للشرّ الذي فيه ، وتقوم قيامته بمجرد مرور السارق عليه ، من غير معرفة منه ، ولا مخالطة له . أما إذا حصلت المعرفة بينهما فإنّ شرّه يتمّ ـ والعياذ بالله ـ ، وَ « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » .

قلت : وهذا باب واسع ، وطريق نافع ، يعرفه من مارس تعليم الناس العلمَ أو نحوه ؛ فإنه إذا عُرض عليه هذا الكلام في « القابلية » وجده كأنه نسخة منقولة مما جرى عليه في زمان التعليم ومعاناته . ولقد أقامني الله تعالى ـ وله الفضل والمنّة ـ في مقام التعليم فبقيتُ فيه نحواً من سبع وعشرين سنة ؛ وحين سمعت كلام الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في « القابلية والخواطر التي تبتني عليها الذوات » ؛ عرضته على ماجرى للخلق كثير تعلّموا منا ، فوجدتُه ضابطاً جامعاً مانعاً ؛ وطرحت عنّي بسببه أحمالاً كثيرة كنت أتحملها في تعليمهم ، أبالغ لهم في النصح والبيان مع إقامة الدليل والبرهان ؛ وأحبُّ لهم الخير كثيراً وأتمنّاه لهم ؛ حتى يسكن ذلك في ذاتي ، ويصير ذلك كلُّه أكلي وشربي معهم ؛ ثم بعد ذلك لايجيء منهم شيء ، وكل مابنيته معهم في مدة سنين ينهدم بمجرد مخالطتهم لمن هو من أهل البطالة ، بل ينهدم بمجرد غفلتي عنهم وعدم تنبيههم ؛ كالدابّة التي تمشي مادامت تُضْرَب ، وإذا قطع عنها الضرب وَقَفَت . وجرى لخلق كثير غيرهم عكسُ هذا ، وذلك أنهم بمجرد مخالطتهم لنا ، ومعاشرتهم إيانا ، يسكن في قلوبهم مايسمعونه منا ؛ ثم لايزالون في زيادة في كل مجلس جلسوه معنا مع كوني لاأبالغ معهم المبالغة التي كنت أفعلها مع القسم الأول . فلم أزل أتفكر في ذلك ، وأطلب السبب فيه ، حتى سمعت كلام الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في « **القابلية** » ؛ وذكرتُ له ماجرى لي مع القسم الأول ؛ (فقال لي رضي الله عنه) : اطرحْ عنك الحمل ، فإنك تَضْرب في حديد بارد ، والناس ميسّرون لما خلقوا له ، و « البدايات تدل على النهايات » ، فانظر إلى البدايات ، ونَزِّل الناسَ منازلهم . هذا معنى كلامه ـ رضي الله عنه ـ . فمن ذلك اليوم استرحتُ ، وحصل لي علم عظيم ـ والحمد لله ـ بأحوال الناس في « القابلية في كل شيء » . والحمد لله .

المؤلف في مقام التعليم للناس

حصول العلم له فيهم.

أصل

تنبيه

فإن كنتَ كيّساً فطناً حاذقاً لبيباً ، فاجعل هذا الكلام نُصْبَ عينيك ؛ فإنك

تطرحُ بـه عن نفسـك أحمـالاً كثيرة في معـاشرة أصنـاف النـاس ، على اختـلاف طبائعهم . والله سبحانه الموفّق .

مناظرة بين الإمام التستري وإبليس:

[٦] (وسأله) الفقيه المذكور سؤالاً يناسب هذا الباب في الجملة . ونصّه : ومنها ـ سيّدي ـ مـا معنى قـول « إبليس » اللعين لـوليّ الله « سهل بن عبد الله التستري »[٢٢] في آيـة قـول الله تعـالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦] ... ؟

حتى قـال لـه [إبليس] : التقييـدُ صفتُـك ، لا صفةُ الحقّ . مع كـون الآيـة مقيّـدةً ، والكـلامُ على وفـق العلم !! وأيُّ حيلـة للعبـد حتى يقيّـد كـلامَ الحـقّ ـ سبحـانـه ـ ، مع أنّ الآيـة مقيّـدة بـدون تقييـده ، مـع أن الشيخ العـارف مربّي العارفين « محيي الدين الحاتمي » ، قال : واللعينُ أستـاذ « سهل » في هـذه ومعلّمـه . أجيبوا مأجورين ، وعليكم أزكى تحية وأطيب سلام ..!..؟

(قلت) : صفة المناظرة بين « إبليس » لعنه الله وبين « سهل » رضي الله عنه هي : أنْ قـال « إبليس » ، إن الله تعـالى يقول : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الآية المتقدمة] وأنا شيء ؛ فقال له سهل : فإن الله يقول : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقونَ [ويُؤتونَ الزَّكاةَ والذينَ هُمْ بِآيَاتِنا يُؤمِنُون] ﴾ وأنتَ لستَ منهم ؛ فـالعموم الـذي في ﴿ كلّ شيء ﴾ مقيـد ؛ فقـال لـه إبليس ـ لعنـه الله ـ : التقييـد صفتُـك لا صفتُه ـ سبحانه ـ . فوقف « سهل » ، ولم يَرُدَّ جواباً ، حتى قال « الحـاتميّ » : إن سهلاً شيخَ[٢٣] إبليس في هـذه الفـائـدة ، وهي : أن التقييـد صفتُـه ، لا صفـة الحقّ ـ سبحانـه وتعـالى ـ [انظر شرح كلمات الصوفيـة من كلامَ الشيخ الأكبر جمع محمود محمود الغراب ص٢٠٤] .

---

(٢٢) سهل بن عبد الله التستري (.. ـ ٢٨٣ هـ) : من أكابر العلماء المتكلمين في علوم الإخلاص والريـاضـات وعيوب الأفعال . صحب محمد بن سوار ؛ ورافق ذا النون المصري عندما خرج إلى مكة . من كلامه :

● إن الله مطلع على القلوب في ساعات الليل والنهار ، فأيّما قلبٌ رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس .

● أنا حجة الله على الخلق وأنا حجة على أولياء زماني .

● إني لأعهد الميثاق الذي أخذه الله عليّ من عالم الذرّ ؛ وإني لأرعى أولادي [أي أبناء الروح] من هذا الوقت إلى أن أخرجهم الله إلى عالم الشهود . ا هـ . الطبقات ٧٧/١ ـ حاشية ابن عابدين ٣٧/١

(٢٣) في ظ ١ : شيْخه .

سهوٌ وقع فيه الإمام الشعراني

ذكر الشيخ « الشعراني » - رحمه الله تعالى - الحكاية [في الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية ٤/٢ هامش الطبقات] وسَكَتَ عنها ...! ، فتخيَّلَ السائلُ من سكوته صحتَها ؛ فاستَشْكل ذلك بأن التقييد من الله تعالى لا من سهل . فرفع سؤاله إلى الشيخ - رضي الله عنه - .

(**فأجاب**) رضي الله عنه : بأن التقييد في الآية من الله تعالى لا من الخلق ، وتَمَسُّكُ إبليس - لعنه الله - بالشبهة التي أوردها تمسكٌ باطل . (والصواب : مع سهل) - رضي الله عنه - ، لا مع إبليس - لعنه الله - . ووجه مدح ذلك الكلام الذي جرى على لسانه - لعنه الله - : أن الحاتمي وسهلاً فهما منه مالم يفهمه إبليس - لعنه الله - ، ولا جرى على خاطره ؛ فحرك من سهل التستري الساكنَ ، وأيقظ منه النائم والكامن ؛ ورجع إلى مشاهدة مايعرفه من الحقّ - سبحانه وتعالى - ؛ فإنَّ

الصوفية بعد الفتح عليهم .

« **الصوفية** - رضي الله عنهم - **بعد الفتح** ومعرفة الحقّ - على ماهو عليه - ، **إذا نظروا إلى الحالة التي كانوا عليها قبل الفتح يجدون أنفسهم مقيَّدين** للحقّ - سبحانه وتعالى - ، فيما لا يحصى من التقييدات ؛ جاهلين به ، لا يعرفونه حقّ معرفته » . فلما قال اللعين : (التقييد من صفتِك لا من صفته) ، حصل بسبب هذا القول التِفاتٌ مِن سهل إلى الحالتين ، فحصل له ماحصل ؛ وإن كانَ

فنّ من سماع الصوفية .

اللعين لم يُرِدِ المعنى الذي التفت إليه سهل ، ولا جرى على خاطره . وهذا فنّ من (**سماع الصوفية**) - رضي الله عنهم - :

حكاية شاهدة

فقد جاء بعض الأشياخ إلى دار مريد له فدقّ عليه الباب ولم يكن في الدار غير المريد ، فقال المريد : من يدقّ الباب ؟ ماهنا غيري ؟ فسمع الشيخ قوله (ماهنا غيري) ، فصعق وخرّ مغشيّاً عليه ، ولم يشعر المريد بشيء من ذلك . فمن قال : إن المريد أستاذ شيخه في هذا الباب فلا ضيق عليه ..!!

حكاية شاهدة

وطلبَتْ بنتٌ من أبيها حاجة يأتي بها من السوق ؛ فخرج الأب ليأتي بها ، فقالت الأمّ لها : لِمَ كلّفتِ أباك ؟ فقالت البنت لها : وهل عندي غيره ، فسمع قولَها صوفيّ ، فخرّ مغشيّاً عليه .

ختام تحقيق

« وبهذا يُعلَم بطلانُ كلام إبليس - لعنه الله - ؛ وصحة **لمحات الصوفية** ، وإشاراتِهم - رضي الله عنهم - » . والله تعالى أعلم .

شرح قولهم «في المخالفة مائة رحمة».

[٧] (وسأله) الفقيه المذكور سؤالاً لا يبعد من هذا الباب ونصّه : ومنها ـ سيدي ـ ، ماتقل عن بعض العارفين : أن (في المخالفة مائة رحمة تعود على المؤمن) . ماهي هذه المائة رحمة التي أصلها من غضب الله تعالى وعَدْله ؛ وما سرّ انقلابها إلى رحمته [تعالى] وفضله ؟..! .

(فأجاب) رضي الله عنه : بأن المراد بهذه المعصية : معصية المؤمن العارف بجلال ربّه وعظمته ، فإنّ صاحب هذه المعرفة لاتصدر منه هذه المعصية إلا بحكم غلبة القَدَر ، ولسنا نعني بالعارف خصوصَ المفتوح عليه ، بل نعني به من خَلص إيمانه ، وصَفَا إيقانه ، فإنه ـ والحالة هذه ـ لا يزايله الخوف من ربّه ـ تبارك وتعالى ـ في حالة الطاعة ، فكيف بحالة المعصية ، لأن سبب سكون الخوف في ذاته معرفته بعظيم سطوته ـ سبحانه وتعالى ـ . فإذا فرضنا دوام هذه المعرفة ، وانتفاء أضدادها من الغفلة ونحوها ؛ فإنّ الخوف يدوم ويسكن في الذات ، ولا يفارقه ولو في حالة الطاعة ؛ فإنّه يخاف أن يكون أَتى بالطاعة على وجه يُبعده من الله تعالى ، فترى فرائِصَه ترعد من هذا الاحتمال رِعدة لا يقرّ له معها قرار ؛ ويعتريه هذا الخوف قبل الفعل ، وحين الفعل ، وبعد الفعل ؛ ولا يزال متشوفاً لما ينزل عليه من ربه ، خائفاً من هيبة الربوبية وسطوتها . فإذا كان هذا حاله مع الطاعة فكيف يكون حاله مع المعصية ..!!

حكاية

ولقد عصى بعض المؤمنين ربّه ـ عز وجل ـ وعاش بعد تلك المعصية ، أربعاً وعشرين سنة ، ولم تمرّ عليه ساعة في هذه المدة الطويلة إلا والدموع تسيل من عينيه خوفاً من تلك المعصية ، وعصمه الله تبارك وتعالى ببركة هذا الخوف الناشئ عن تلك المعصية في هذه المدة الطويلة من مواقعة الذنوب ، وأثابه ـ فضلاً منه تعالى ـ بمراقبة علاّم الغيوب في هذه المدة الطويلة ؛ وحصل هذا العبد ـ بسبب هذه المعصية ـ على مالايحصى من صنوف الرحمات[٢٤] .

وبالجملة (فالمدار : على الخوف الساكن في الذات دائماً) . وسببه : دوام

(٢٤) ومن هذا المعنى قول صاحب الحكم العطائية : « ربّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً » .

المعرفة بسطوة الربوبيّة . وحصلت هذه المعرفة للذات من الروح ؛ و (الروح من الملأ الأعلى) الذين هم أعلم الخلق بربهم عز وجل ؛ فإذا كانت الذات طاهرة ، فإن الروح تمدّها بشيء من معارفها ، فيربح العبد في سائر أحواله ، وفي طاعته ومعصيته ؛ وإذا كانت الذات غيرَ طاهرة فإن الروح تَحْجُب عنها معارفها ، فتنقطع الذاتُ مع الشهوات وتميل مع اللذات ، ويكون هذا هو الساكن فيها . والحالة المحمودة تكون عندها بمنزلة المنام ؛ والغالب هو الساكن ، و « الحكم للغالب » ، فتصير أعماله لتحصيل شهواته ، فيطيع لغرض نفع ذاته ، لا لُما تقتضيه العبودية من القيام بحقّ الربوبيّة ؛ ويعصي لاستيفاء لَذّاته[٢٥] ، ولا يبالي . فظهر ، أنه : « ليس المدار على الطاعة والمعصية بل المدار على الخوف وضدّه » . وفي الحقيقة « المدار على المعرفة والجهل » والعدد المذكور ـ أعني مائة رحمة ـ ليس مراداً لخصوصه ، بل المراد ماأشرنا إليه . والله تعالى أعلم .

الذات الطاهرة .

الذات غير الطاهرة .

وبقي للفقيه المذكور سؤالان ، فلنوردهما هنا ، ثم نتفرغ للمقصود .

[٨] قال الفقيه المذكور : ومنها ـ سيدي ـ قول العارفين : **مارأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه** . فكيف يُرى القديم في الحادث ـ تعالى الله عن الحلول والاتحاد ـ ؟!. وقولهم : **لا هو عينه ، ولا هو غيره** . وفيه رفع للمتناقضين ؛ وهو محال ؟

(**فأجاب**) رضي الله عنه : بأن معنى القول الأول : مارأيت شيئاً إلا رأيت فعل الله فيه . فهم ـ رُضي الله عنهم ـ لقوة عرفانهم يشاهدون أفعاله في المكوّنات والمخلوقات ، وما من مخلوق إلا وأفعالُه تعالى فيه ، لا محالة ، « **ولا حلولَ ولا اتحاد** » . وثَمَّ أسرار أخر لاتفشى ولا تذكر . وبالجملة ـ فتحقيق الجواب لا يسطر في كتاب .

وأمّا الكلام الثاني فغير ظاهر ، فإن القديم مباين للحادث ؛ والمباين للشيء لا يكون عينَه قطعاً ؛ وهو مغاير له بلا شك ، ولا ارتياب ، فالعينية مرتفعة والغيرية ثابتة . والله الموفق .

---

(٢٥) في ظ ١ : لاستيفاء حقّ ذاته .

[س ٩] ومنها ـ سيدي ـ **هل استحضار صورة النبي ﷺ في ذهن المؤمن** وتشخصه إياها هو من عالم الروح ؟ أو من عالم المثال ؟ أو من عالم الخيال(٣٦) ؟ وهل الصورة الذهنية ، وما اشتملت عليه من تعقل الحادثة والمكالمة محفوظ صاحبها من الشيطان مثل الرؤيا المنامية ، عملاً بقوله ﷺ : « مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي حَقّاً فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَمَثَّلَ بِي(٣٧) » أو كما قال عليه الصلاة والسلام . أوهي ليست مثلها ؟ أجيبوا مأجورين ؛ وعليكم أزكى تحية وسلام ..!

---

(٣٦) عالم الروح : الروح ـ تعريفها ـ : (عند ابن عربي) هو حصول الاستعداد من الصورة المسواة لقبول التجلي الإلهي الدائم الذي لم يزل ولا يزال ، وهو بذلك مبدأ الاختلاف وكثرة الصور في التجلي الواحد . والأرواح كالولاة : وقتاً يتصفون بالعزل ووقتاً يتصفون بالولاية ووقتاً بالغيبة عنها مع بقاء الولاية . فالولاية : مادام مدبراً لهذا الجسد ، والموت : عزله ، والنوم : غيبة عنه مع بقاء الولاية عليه . ا هـ المعجم الصوفي ص ٥٤٠

عالم المثال : قلت : هو أخص من عالم الخيال ا هـ . ويعرّفه في حجة الله البالغة بأنه : مادلت عليه ظواهر أحاديث كثيرة أن في الوجود عالماً غير عنصري تتمثل فيه المعاني بأجسام مناسبة لها في الصفة ، وتتحقق هنالك الأشياء قبل وجودها في الأرض [على] نحو من التحقق ... وأن كثيراً من الأشياء مما لا جسم لها عند العامة تنتقل وتنزل ولا يراها جميع الناس كحديث : « لما خلق الله الرحم قامت فقالت ... » وحديث : « إن البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنها غمامتان ... » وحديث : « تجيء الأعمال يوم القيامة ... » وحديث : « إن الله يبعث الأيام يوم القيامة كهيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة » وحديث : « صورت لي الجنة والنار .. » ... واستفاض في الحديث أن الله تعالى يتجلى بصور كثيرة لأهل الموقف . قال الإمام الغزالي : أمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أهل البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها ... ا هـ حجة الله البالغة ١٣/١ ، ١٤ . ومثّل لذلك ابن عربي في ترجمان الأشواق : كالدِّين [يتمثل] في صورة القَيْد ، والعِلْم [يتمثل] في صورة اللَّبَن ...

عالم الخيال : أصله لغة : مايتخيله الإنسان في منامه . والخيال : حس باطن بين المعقول والمحسوس . من حقيقته : أن يُجسِّد ويصور ماليس بجسد ولا صورة . والخيال له التبدل في كل حال والظهور في كل صورة ؛ فلا وجود حقيقي لا يقبل التبديل إلا الله تعالى . وما أوجد الله أعظم من الخيال منزلة ولا أعم حكماً يسري حكمه في جميع الموجودات والمعدومات . والخيال له كل صفات البرزخ . وكلُّ مايرى في حال النوم فهو من ذلك القبيل ويسمى « عالم الخيال » . وفي عالم الخيال جاءت أحاديث شريفة منها : « إن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » وكظهور جبريل للنبي ﷺ في صورة دحية . ا هـ بترتيب وتصرّف من المعجم الصوفي ص ٤٤٧

قلت : والمراد في السؤال المذكور في استحضار صورته ﷺ هل هو من ....عالم الخيال ... الخيالُ المتصل الذي هو القوة المتخيِّلة في الإنسان وما لها من طاقة على إيجاد صور تبقى ببقاء المتَخيِّل . وهو تعريف ابن عربي لأحد أقسام الخيال الأربعة المذكورة في المعجم الصوفي .

(٣٧) رواه أصحاب السنن وغيرهم بنحوه . وتقدم (٢٨١/١) تعليق (٥١) .

(**فأجاب**) رضي الله عنه : بأن ذلك الاستحضار من روح الشخص وعقله ؛ فمن تَوَجّه بفكره إليه ﷺ وقعت صورته في ذهنه (١) **فإن كان** ممن يَعْلَم صورتَهُ الكريمة لكونه صحابياً ، أو من العلماء الذين عَنَوا بالبحث عنها ثم حصّلوها ، فإنها تقع في فكره على نحو ما هي عليه ، في الخارج ؛ (٢) **وإن كان** من غير هذين فإنه يستحضره في صورة آدمي في غاية الكمال في خَلْقه وخُلُقه ؛ فقد تُوافِق الصورة التي في فكره ما في الخارج ، وقد تخالفه . والحاضر في الفكر هو صورة ذاته ﷺ ، لا صورةُ روحه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ فإنّ الذي شاهده الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأخبرَ عنه العلماء هو الذاتُ ، لا الروح الشريفة ؛ ولا يجولُ الفِكر إلا فيما يعلمه الشخص ويعرفه .

(فقولكم : « هل هو من عالم الروح » ؟) إن أردتم به الاستحضار ، فهو من عالم الروح ـ أي من روح المتفكر ـ ؛ وإن أردتم به الحاضر ، أي فهل الحاضر في أفكارنا روحه ﷺ ؟ فقد سبق [قبل أسطر] أنه ليس إياها .

وأما « **المحادثة والمكالمة** » إذا حصلت لهذا المتفكر ، فإن كانت ذاتُه طاهرةً ، وتحبها روحه ، ولم تَحْجُب عنها أسرارَها ، وكانت معها كالخليل مع خليله ، فالمحادثة معصومة وهي حقّ ؛ وإن كانت الذاتُ على العكس ، فالأمر على العكس . والله الموفق . انتهت أجوبته ـ رضي الله عنه ـ ونفعنا به آمين .

[١٠] وقد (**ذكرت له**) ـ رضي الله عنه ـ ذات يوم : أن بعض الصالحين كان يذكر مع جماعة من أصحابه ؛ ثم إن بعضهم تبدل لونه ، وتغير حاله ، وبدّل جلسته ؛ فقيل له : لِمَ فعلت هذا ؟ فقال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ ﴾ [الحجرات:٧] يريد أنّ النبيّ ﷺ حضرَهم في تلك الساعة ؛ وأنه شاهَدَ ذلك .

[س] فقلت للشيخ ـ رضي الله عنه ـ : هل هذه المشاهدة التي وقعت لهذا الرجل ، مشاهدة فتح أو مشاهدة فكر ؟!

مشاهدة الفكر ومشاهدة الفتح .

[ج] فقال : مشاهدة فكر ، لا مشاهدة فتح ؛ و (مشاهدة الفكر) وإن كانت دون (مشاهدة الفتح) ، إلا أنها لاتقع إلا لأهل الإيمان الخالص ، والمحبةِ الصافية ، والنيةِ الصادقة .

وبالجملة ـ فهي لاتقع إلا لمن كمل تعلّقه بالنبيّ ﷺ . وكم من واحد تقع له هذه المشاهدة ، فيظنها مشاهدة فتح ؛ وإنما هي مشاهدة فكر . وهذا القسم الذي تقع له هذه المشاهدة ، ـ وهو غير مفتوح عليه ـ إذا قيس مع عامة المؤمنين ، كانوا بالنسبة إليه كالعدم ، ويكون إيمانهم بالنسبة إلى إيمانه كلا شيء . والله تعالى أعلم .

قلت : ومما يؤيد المشاهدة الفكرية وأنها تقع لغير المفتوح عليه ، كونها تقع لمن كملت محبته في شخص ، وإن كان غير النبي ﷺ .

حكاية واقعة

ولقد أخبرني بعض الجزّارين : أنه مات له ولد كان يحبه كثيراً ، وأنه لم يزل شخصُه في فكره ؛ حتى إن عقله وجوارحُه كلّها معه ؛ فكان هذا دأبَه ليلاً ونهاراً ؛ إلى أن خرج ذات يوم إلى باب الفتوح ـ أحد أبواب « فاس » حرسها الله ـ لشراء الغنم ـ على عادة الجزّارين ـ ، فجال فكره في أمر ولده الميت ؛ فبينما هو يجول فكره إذ رآه عِياناً وهو قادم إليه حتى وقف إلى جنبه ؛ قال : فكلّمتُه ، وقلتُ له : يا ولدي ! خذ هذه الشاة ؛ ـ لشاة اشتراها ـ حتى أشتريَ أخرى . وقد حصلت لي غيبة قليلة عن حسي ؛ فلما سمعني من كان قريباً أتكلم مع الولد ، قالوا : مع من تتكلم أنت ؟ فلما كلّموني رجعت إلى حسّي ، وغاب الولد عن بصري ، فلا يدري ماحصل في باطني من الوجد عليه إلا اللهُ تبارك وتعالى .

المحبة بين المريد والشيخ.

قلت : وسمعت الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يقول : ينبغي أن تكون هذه « المحبة بين المريد والشيخ » ؛ فإنها نافعة جداً .

نار المحبة

[١١] وسمعته يقول : إن (أهل هذه المحبة يضرون وينفعون [بإذن الله تعالى]) كما يقع ذلك من « أهل التصرف » ويقول : « إن نار المَحَبَّة إذا شَعَلت لا يَرُدّها شيء » .

حكاية
التفاني في محبة الشيخ سبب للوراثة.

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : كان لبعض الأشياخ مريدٌ ؛ وكان المريد يحب الشيخ كثيراً ، حتى صار الشيخُ لايغيب عن حسّ المريد وفكره ؛ فكان الشيخ إذا فعل فعلاً في داره حاكاه المريد وهو في داره ، فإذا قال الشيخ في داره منادياً لابنته : يا فاطمة ، قال المريد في داره : يا فاطمة ؛ وإذا قال الشيخ : افعلوا

كذا ، قال المريد في داره : افعلوا كذا ، وإذا جعل الشيخ يَلْوي عِمامته على رأسه ، أخذ المريد شيئاً وجعل يلويه على رأسه . هذا دأبه في أحواله بحال الشيخ دائماً . و « بهذه المحبة البالغة إلى هذا القدر تقع الوراثة » .

أصل

حكاية عن أهل الوَلَه .

وسمعته - رضي الله عنه - يقول : كان بعض الناس يعشق بنتاً جميلة الصورة ، فبلغ من محبته فيها أنه إذا هتف شخصٌ باسمها وناداها يا فاطمة ؛ يقول العاشق : نعم ؛ من غير شعور منه . قال رضي الله عنه : حَدَّثوا عني بهذا الأمر ، أنا رأيته بعيني ؛ إذا نوديَ باسمها قال : نعم ؛ وهو لا يشعر . فإذا كانت هذه المحبة في الأمور الهزلية ، فكيف ينبغي أن يكون أهل الجِدّ .. !؟

حكاية ولد نصراني عشق فتاة .

وقد **سمعته** رضيَ الله عنه يقول : كان سيّدي « منصور » - رحمه الله تعالى - يقول : ومن الحُجّة على من يدّعي محبةَ الله تعالى : ما وقع لبعض أولاد النصارى ؛ فإنه عشق بنتاً لبعض أكابرهم ، فلما اجتمع بها ، ونام معها في فراش واحد ، وذهب فِكْره في بحار محبتها ؛ نظرتْ إلى وجهه فرأت فيه زبيبة فأرادت قطعها ، وكانت عندها سكين ، وهي مسمومة ، ولم تشعر بسمّها ؛ فقطعت تلك الزبيبة ، وسرى السمّ في ذاته ، فخرجت روحه ، وهو غائب في محبتها . فهذا كافر ، بلغ في محبته الشيطانية إلى أن خَرَجَتْ روحه وهو لا يشعر ؛ فكيف ينبغي أن تكون حال المؤمنين مع ربّهم - عزّ وجلّ - ...!؟

قاعدة في المحبة وشرطها .

(**وسمعته**) رضي الله عنه يقول : إن « **المحبّ لا ينتفع بمحبة الكبير له** ولو كان الكبير نبياً ، حتى يكون الصغير هو الذي يحب الكبير » ، فحينئذ ينتفع بمحبته ؛ **إلا اللهُ تعالى** ، « فإنه تعالى إذا أحب عبداً نفعته محبته ، ولو كان العبد في غاية الإعراض » .

حب العبد لله تعالى .

وقال رضي الله عنه : « **إن الصغير إذا أحب الكبير جذب ما في الكبير ، ولا عكس** » وكانت بين يديه أجاصة ؛ فقال : إن هذه إذا أمدها الله تعالى بمحبة تفاحة حامضة مثلاً وتمكنت فيها المحبة غاية فإنها تُسِف[28] ما فيها ، حتى إنا إذا

(٢٨) وفي ظ ١ : تشف . قلت : الصواب ما أثبتناه من بولاق وغيرها . ومعنى تسفّ : تأخذ خواصّها . والفعل أسَفّ : تتبع مداقّ الأمور . ا هـ القاموس المحيط .

شققناها وُجدنا حموضة التفاحة فيها ؛ ولا نجد في التفاحة شيئاً من طعم الإجاصة : **« إلا اللهُ تعالى فإنّهَ إذا أحبـه[٢٩] العبـد لايجـذب شيئـاً من أسراره تعـالى مـالم يحبّـه الله »** . وسرّ الفرق هو : أن الله تعالى لايحب عبْداً حتى يعرّفه بـه ؛ وبـالمعرفة يطّلع على أسراره تعـالى ، فيقع لـه الجذب إلى الله تعـالى . بخلاف محبة العبد من غير معرفة له بربه - عز وجل - ، فإنها لاتقضي شيئاً .

[س] فقلت : فإنهم يقولـون : إن **الشيـخ يكـون مـع مريـده في ذات المريد ، ويسكن معه فيها .**

محبـة المريـد لشيخـه ومراتبهـا وأوجه النفع فيها .

[ج] فقـال رضي الله عنـه : ذلـك صحيح ؛ وهو من المريـد لأنـه إذا قويت محبته جـذب الشيخ حتى يكون على الحـالـة المـذكورة ، فتصير ذات المريـد مسكنـاً للشيخ ؛ وكلٌّ واحـد يـزيّن مسكنــه . يشير إلى تـأثير الشيـخ في ذات المريـد إذا سَكَنها ..!!

وسمعتـه - رضي الله عنـه - يقـول : إن (المريدَ) إذا أحبَّ الشيخَ - المحبـةَ الكاملة - سكن الشيخُ معه في ذاته ؛ ويكون بمنزلة الحُبلى التي تحمل بولـدهـا ؛ فإنّ حَمْلَهـا ، تـارة ، يتم صلاحـه ، فيبقى على حـالـة مستقيمـة إلى أن تضعـه . وتـارة ، يسقط ، ولا يجيء منه شيء . وتارة ، يحصل له رقاد ، ثم يفيق . والإفاقـة تختلف ، فقد يفيق بعد شهر ، وقد يفيق بعد عام ، وقد يفيق لأكثر من ذلك ؛ فهكذا حـالـة (المريد إذا حمل بـ [أسرار] شيخه) ، فتارة ١) تكون محبته خالصة تـامـة دائمـة ؛ فلا يزال أمر الشيخ يظهر في ذاتـه إلى أن يفتح الله عليـه . وتـارة ٢) تكون محبتـه منقطعة بعد أن كانت صادقة ؛ وانقطاعها : بسبب عروض مانع - نسأل الله السلامة منـه - ، فتتبـدل نيتـه في الشيخ ، وتنقطـع أسرار الشيـخ عن ذاتـه ، بعـد أن كانت ساطعة عليها . وتارة ٣) تقف محبته في سيرها لمدة قريبة ، أو متوسطة أو طويلة ، فتقف أسرار ذات الشيخ عن ذاته ؛ فإذا رجعت المحبة رجعت الأسرار .

تـوجيـــه وإرشاد :

فليختبرْ المريد نفسَه ، من أي قسم هو من هذه الأقسام الثلاثـة ؟ وليسـأل اللهَ تعالى العفوَ والعافية ، والتوفيق والهداية ؛ إنه سميع قريب .

(٢٩) كذا في بولاق وغيرها . وهو الصواب حسب المعنى . وفي ظ ١ : إذا أحبُّ العبد . قلت : هو تصحيف .

قلت : وهذه الأقسام موجودة في المريدين . فليتحفظ المريد على هذا الكلام فإنه نفيس في بابه . والله أعلم .

المحبة المفيدة هي لذات الشيخ .

وسمعته رضي الله عنه يقول : لا ينتفع المريد بمحبة شيخه إذا أحبه لسرّه ، أو ولايته ، أو لعلمه ، أو كرمه ، أو لنحو ذلك من العلل ، حتى تكون محبته متعلقة بذات الشيخ متوجهة إليها ، لا لعلة ، ولا لغرض ؛ مثل المحبة التي تكون بين الصبيان ، فإنّ بعضهم يحب بعضاً من غير أغراض باعثة على المحبة ؛ بل مجرد الألفة لا غير . فهذه المحبّة ينبغي أن تكون بين المريد والشيخ ، حتى لاتزهق محبّة المريد إلى الأغراض والعلل ؛ فإنها متى زهقت إلى ذلك دخلها الشيطان وأكثّر فيها من الوساوس ؛ فربّما تنقطع ، وربّما تقف . كما سبق في القسمين الأخيرين . والله أعلم .

(وسألته) - رضي الله عنه - : لِمَ كانت **المحبة للعلْم والولاية والسرّ** ونحو ذلك [مما هو عند الشيخ] لاتنفع ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : لأنّ الأسرار والمعارف ونحوها ، كلّها من الله تعالى ؛ وكلٌّ واحد يحبّ الله تعالى .... فإلى الآن ما أحبّ شيخه[٣٠] ، وإنما تتحقق محبته للشيخ إذا أحبّه لخصوص ذاته ، لا لما قام بها من الأسرار .

[س و ج] فقلت : وكذا ذات الشيخ هي من الله تعالى ، وكل شيء منه ؛ فلِمَ نفعت محبة البعض دون البغض ؟ فقال : صدقت ؛ وغرضنا بمحبة الذات الكناية عن كون المحبة خالصةً لله تعالى ؛ لأن الذات - بمجردها - لا يتصور منها نفع ولا غيره ؛ فإذا توجهت المحبة نحوها ، كان ذلك علامة على الخلوص من الشوائب .

[س] فقلت : إن الناس لابد لهم من أغراض وإرادات ، فمن حرث بقصد القَصيل[٣١] الحاصل له منه ؛ فيحبّ الحرث للقصيل ، لا لذاته ؟!.

[ج] فقال رضي الله عنه : نعم . ولكنه إذا نوى القَصِيل وقَصَدَه في أول

---

(٣٠) كذا في جميع النسخ مطبوعةً ومخطوطة . قلت : ويظهر لي - والله أعلم - وجود سقط في العبارة لأنها موهمة في ظاهرها .

(٣١) القصيل : الشعير يجزّ أخضر لعلف الدواب ا هـ . المصباح المنير .

الأمر ، ثم شغل فكره بغيره ، بحيث إنه لا يبقى له على بال ، فهذا يحصل له القصيل الكثير ، وتجيئه الإصابة العظيمة ؛ وأمّا إن شغل فكره بهذا القَصِيل - ليله ونهاره - ، وجعل يفكّر ، ويقدّر كيف يكون ؟ وما يفعل به إذا كان ؟ فهذا لا يحصل له قصيل بل يركبه الوسواس قبل أن يحصل له القصيل فلا يزال يقول في نفسه : هل أُدركُ هذا القصيل ؟ ولعلّ الآفة الفلانية تأتي عليه ، أو يُغِيْر عليه بنو فلان ؟ ونحو هذا من الوسواس . بخلاف الأول فإنه مستريح الفكر في أمر القصيل ، وفي أمر الوسواس . فهكذا **حال مَنْ أحب الشيخ لذاته** ، ومَن أحبه لعلة .

حكاية لمحبة المريد كيف تكون ؟

وكنت أتكلم معه ذات يوم ، ونحن في جزء[٣٢] ابن عامر بمحروسة « فاس » - أمّنها الله تعالى - ، فقال لي : إن « سيدي منصوراً » في رأس الدرب ؛ أتحب أن تلتقي معه ، وتعرفه ؟ فقلت : - يا سيدي - نعم ؛ حباً وكرامة ؛ وكيف لا أحب أن ألتقي مع القطب ..؟! ، فقال لي - رضي الله عنه - : أمّا أنا ، فلو قدّرنا أنّ أباك وأمك وَلَدا من يماثلك في شكلك ، وصفتك وعلمك ، وجميع ما عليه ذاتك ، باطناً وظاهراً ، عدد مائة ؛ ما نظرت إلى واحد منهم . أنت حظي وقسمتي ؛ وهم عندي كسائر الناس . فاستيقظتُ من غفلتي ، وانتبهتُ من نومتي ، وعلمتُ أنّي ماجئتُ بشيء ، فإنّ **المحبة لا تقبل الشركة** . والله أعلم .

قاعدة :

(**وسمعته**) - رضي الله عنه - يقول : إن طالب السر من المريد هو ذاته الترابية ، ومعطي السرّ من الشيخ هو ذاته الترابية ؛ فإذا كانت الذات الترابية من المريد ، تحبّ الذات الترابية من الشيخ ، محبة مقصورة عليها ، أمدّتها بأسرارها ومعارفها ؛ وإذا كانت ذات المريد تحبّ أسرار ذات الشيخ وزهقت المحبة إليها وإلى معارفها ، منعتها الذات الترابية من مطلوبها ؛ ثم لا تقدر لها الروح ولا غيرها على شيء . **فليجهد المريد جهده في محبة ذات شيخه** ، معرضاً عن النفع مطلقاً - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - والله أعلم .

علامة المحبة

(**وسألته**) - رضي الله عنه - عن **المحبة** هل لها من أمارة وعلامة ؟

---

(٣٢) في ظ ١ : جزاء .

[ج] فقال رضي الله عنه : لها أمارتان :

الأمارة الأولى : أن تكون (راحة المريد في ذات شيخه) ؛ فلا يتفكر إلا فيها ، ولا يجري إلاّ لها ، ولا يهيم إلاّ بها ، ولا يفرح إلاّ بها ، ولا يحزن إلا عليها ؛ حتى تكون حركاته وسكناته سرّاً وعلانية حضوراً وغيبة في مصالح ذات الشيخ ، وما يليق بها ؛ ولا يبالي بذاته ولا بمصالحها .

الأمارة الثانية : (الأدب والتعظيم لجانب شيخه) ، حتى لو قُدِّر أن شيخه في بئر ، وهو في صومعة ، لرأى ـ بعين رأسه ـ أنه هو الذي في البئر ، وأن شيخه هو الذي في الصومعة ؛ لكثرة استيلاء تعظيم الشيخ على قلبه ، بل على عقله .

محبة المريد هي الجاذبة .

وقال رضي الله عنه : إن الناس يظنون أن الجميل للشيخ على المريد . والجميل في الحقيقة للمريد على الشيخ ، لأنه سبق [ص ٧٣] : « أن محبة الكبير لاتنفع ؛ ومحبة المريد هي الجاذبة » ، فلولا طهارة ذاتِ المريد وصفاءُ عقله ، وقبول نفسه للخير ، ومحبتُه الجاذبة ، ماقدر الشيخ على شيء ؛ ولو كانت محبة الشيخ هي النافعة ، لكان كلّ من [تـ]تلمَذ له ، يَصل ويبلغ مابلغت الرجال .

محبة الشيخ

(وسمعته) رضي الله عنه يقول : (علامة كون المريد يحب الشيخ) المحبة الصادقة النافعة أن تقدّر زوالَ الأسرار والخيرات التي في ذات الشيخ ، حتى تكون ذات الشيخ مجردة من ذلك كلّه وتكون كذوات سائر العوامّ ، فإن بقيت المحبة على حالها فهي محبة صادقة ؛ وإن تزحزحت المحبة وزالت بزوال الأسرار فهي محبة كاذبة . والله أعلم .

سقوط الميزان من المريد على شيخه .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : **علامة المحبة الصافية** سقوط الميزان من المريد على الشيخ ؛ حتى تكون أفعال الشيخ وأقواله ، وجميع أحواله ، كلها موفّقة مسددة في نظر المريد ، فما فَهم له وجهاً فذاك ، وما لم يفهم له سرّاً وَكَله إلى الله تعالى ، مع جزمه بأن الشيخ على صواب ؛ ومتى جَوّز أن الشيخ على غير صواب ـ فيما ظهر له خلاف الصواب فيه ـ فقد سقط على أمّ رأسه ، ودخل في زمرة الكاذبين .

الشيخ يطلب من مريده اعتقاد الكمال فيه والدوام عليه .

قال رضي الله عنه : والشيخ لا يطلب من مريده خدمة ظاهرية ، ولا دنيا ينفقها عليه ، ولا شيئاً من الأعمال البدنية ؛ وإنما يطلب منه هذا الحرف لا غير ، وهو : أن يعتقد في الشيخ الكمال والتوفيق والمعرفة والبصيرة والقرب من الله ـ عز وجل ـ ؛ ويدوم على هذا الاعتقاد اليومَ على أخيه ، والشهرَ على أخيه ، والسَّنَةَ على أختها ؛ فإن وُجد هذا الاعتقاد انتفع المريد به ، ثم بكل ما يخدم به الشيخَ بعد ذلك ؛ وإن لم يوجد هذا الاعتقاد ، أو وجد ولم يدم ، فإن عَرضت فيه الوساوس[٣٣] ، فالمريد على غير شيء .

امتحان في المحبة .

وكنت ذات يوم معه بقرب « بابُ الحديد » ، ـ أحد أبواب فاس ، حرسها الله تعالى ـ ، ومعنا بعض الناس ، وكان يخدم الشيخ كثيراً ، ويتسخر له في كل ما يعنّ ويعرض ، حتى إنه لا يبلغه في ذلك أحدٌ من أصحابه ـ رضي الله عنه ـ ؛ فقال له الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : أتحبني يا فلان لله عزّ وجلّ ؟ فقال : نعم ـ يا سيدي ـ ! محبةً خالصة لوجه الله الكريم ، لا رياء فيها ولا سمعة ؛ فغيرني ذلك حين سمعته ، فقال له الشيخ : أفرأيت إن سمعتَ أنّي سلبتُ ، وزالت الأسرارُ التي في ذاتي ؛ أتبقى على محبتك ؟ قال : نعم ، فقال الشيخ : فإنْ قالوا لك : إني رجعتُ طَرّاحاً أو زَبّالاً ، أو نحو ذلك . أتبقى على محبتك ؟ قال : نعم ـ يا سيدي ـ ! ، قال الشيخ : فإن قالوا لك : إني رجعت عاصياً ، أرتكبُ المخالفات ولا أُبالي ؛ أتبقى على محبتك ؟ قال : نعم ! ، قال الشيخ : وإن مَرّتْ عَليّ وأنا على ذلك سنةٌ ، ثم سنة ، ثم سنة ، إلى أن عدّ عشرين سنة ؛ قال : نعم ؛ ولا يدخلني شكٌ ولا ارتياب ؛ فقلت للرجل : ويحك !! ، إنّ هذا أمرٌ لا تطيقه !!

فقال له الشيخ : إنّي سأختبرك ، فقلت للرجل : ويحك ! هذا أوّل الخوف عليك ؛ وكيف يطيق الأعمى أن يختبره البصير ..؟! فاطلبْ من الشيخ العفوَ والعافية ؛ واعترف له بالعجز والتقصير ، وأنا معك في ذلك . ثم تضرعنا إليه جميعاً في الإقالة والعفو ؛ فسبق ماسبق ، إلى أن اختبره بأمرٍ فيه صلاحه ، فلم يظهر له وجهُهُ ، فلم يطقه ، فتبدلت نيّته في الشيخ ـ رضي الله عنه ـ . قلت : وسرّ الله

(٣٣) في بولاق : وساويس .

لا يطيقه إلا من كان فخّاره صحيحاً ؛ بأن يكون صحيح الجزم ، نافذ العزم ، ماضي الاعتقاد ، لا يُصغِي لأحد من العِباد ، قد صَلّى - على من عدا شيخه - صلاتَه على الجِنازة .

☆ ☆ ☆

مواعظ في حكايات مع مقدمة لها.

ولنثبتْ في هذا الباب حكايات - ليَعتبرَ بها من أراد صلاحَ نفسه - ، بعد تقديم كلام سمعته من الشيخ - رضي الله عنه - وهو كالمقدمة للحكايات :

سمعته رضي الله عنه يقول : كنت (قبل أن يفتحَ عليّ) ، أشاهد صورةً هائلة سوداء طويلة جداً ، على صورة جمل . وقع لي هذا مرّة واحدة . فلما فُتِحَ عَليّ ، وشاهدت من عوالم ربي ماقدّر لي ، فَتّشت عن عالم الصورة الهائلة ، وطلبتُ جنسها في أي موضع هو ، فما رأيت له خَبَراً[٣٤] ؛ فسألت سيّدي « محمد بن عبد الكريم » - رضي الله عنه - عن ذلك ؛ فأخبرني : أنه لا وجود لجنس تلك الصورة أصلاً ؛ فقلت له : وأيُّ شيء شاهدتُ ؟ فقال : ذلك من فعل الروح ؛ - أعني روح ذاتك - ؛ فقلت له : وكيف ذلك ؟ فقال : إنّ الذات إذا جعلت الشيء بين عينيها ، وجزمت به ، ساعَفَتها الروح في إيجاد الصورة التي جزمت بها ، وجعلتْ تخاف منها ، فتساعفها الروح في إيجادها ، ولو كان فيها ضرر للذات ؛ قال : وجَزْمُ الذات لا يقوم له شيء ، لا في جانب الخير ، ولا في جانب الشر .

جزم الذات له أثر كبير.

قال سيدي « محمد بن عبد الكريم » : وكنت - قبل الفتح - مررت بموضع ؛ فعرض لي بحرٌ في الطريق ، لا يُقطع إلا بالسفن ؛ وهو من البحار التي على وجه الأرض ؛ فحصل لي في الذات جزم عظيم بأنّي أمشي عليه ولا أغرق ، ولا يصيبني شيء ؛ قال : فوضعت رِجلي على ظهر الماء ، والجزمُ يتزايد ، فلم أزل أمشي فوقه ، حتى قطعته للساحل الآخر ؛ فلما رجعت مرة أخرى ، وزال الجزم من ذاتي ، وجعلتُ أشكّ في المشي عليه ؛ فأدليتِ رِجلي لأختبر ، فغرِقَتْ في الماء ، فأخرجتها ، وعلمتُ أنّي لا أطيق مَشْياً عليه .

تحقيق

قال الشيخ - رضي الله عنه - : « وما دامت الذات جازمة بالشيء فإنّ

---

(٣٤) في الحلبية : خيراً . قلت : هو تصحيف .

الشيطان لا يقربُها » وإنما يقربُها إذا ذهب الجزم عنها ؛ وهو يَعْلم بذهابه ، لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم[٣٥] ، فإذا رآه ذهب أقبل عليها بالوساوس ، حتى يفوتها الخير .

ضرب مثال

قال رضي الله عنه : فالجزم : مثلُ سُور المدينة الحصين ، فمتى كان للمدينة سور فلا يطمع فيها العدو ؛ ومتى حصل في السور خلل ، وظهرت فيه أبواب وفُرَج بادر العدو للدخول . فعيبُ الشيطان ووسوسته تابع لعيب سور الذات الذي هو الجزم . فَلْيبادرْ كلٌّ عاقل لصلاح سور ذاته ، حتى لا يقربه شيطان ، ولا يستفزّه إنسان . ومن هذا المعنى **سمعته** ـ رضي الله عنه ـ مرة يقول : إذا وعد الصادق أحداً بشيء من أمور الآخرة أو الدنيا فإن كان في وقت سماعه للوعد ساكناً مطمئناً ، جازماً بصدق الوعد ، فهو علامة على أنه يُدرك ذلك الشيء لا محالة ، وإن كان في وقت سماعه للوعد مضطرباً ، مرتاباً في صدق الوعد ، فهو علامة على أنه لا يدرك ذلك الشيء . « **فالجزم علامةُ أهل الصدق والتحقيق** » . نسأل الله تعالى بمنه وفضله أن يرزقنا حلاوَتَه وأسراره .

نداء ودعوة

أصل

حكايات

(١٢) حكاية

[تابع ١١] وأما (الحكايات) : [١] فمنها ماسمعت من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يقول : كان بعض مَنْ أراد الله رحمتَه في الماضين ، يحبُّ الصالحين ؛ فألقى الله في قلبه : أنْ خَرَج من ماله فباعه ، وجَمَع ثمنه ، فذهبَ به لبعض من شُهر عنه الصلاح ، ـ وكانت تقصده الوفود من النواحي ـ فذهبَ إليه هذا المرحوم ، بجملة ماله ، حتى بلغ بلده ، فَسَأل عن داره فَدُلَّ عليها ، فدقّ الباب ، فخرج الخادم ، فقال : مااسمك ؟ فقال : « عبد العليّ » ؛ وكان الشيخ المشهور بالولاية من العصاة المسرفين على نفوسهم ، وكان له نديم يتعاطى معه الشرابَ وغيرَه اسمه عبد العليّ ، فوافق اسمُه اسمَ هذا المرحوم ، فذهبت الجارية فقالت للشيخ : اسم هذا الذي دقّ الباب « عبد العليّ » فقال ـ وظنّ أنّه نديمه ـ : ائذَني له . فدخل على الشيخ فوجد الشراب بين يديه ، وامرأة فاجرة معه ، ورزقه الله تعالى الغفلة عن ذلك كلّه ؛

حكاية مريد صدق مع شيخ بطال ، فكان من أهل الديوان .

(٣٥) الحديث رواه الشيخان عن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها . ا هـ كشف الخفا ٢/٢٣

فتقدم إليه ، فقال : يا سيدي ، سمعت بك من بلادي ؛ وجئتك قاصداً لتدلّني على الله عزّ وجلّ ؛ وهذا مالي أتيتك به لله تعالى ؛ فقال له الشيخ : يتقبلُ الله منكم ؛ ثم أمر الجارية أن تدفع له رغيفاً فأخذه ، وأعطاه الفأس ، وأمره بالخدمة في بستان للشيخ عيّنه له ؛ فذهب ذلك المرحوم من ساعته ؛ ونفسه مطمئنة ، وقلبه مسرور بقبول الشيخ له ، فذهب فرحاً للخدمة ، وقد لقيَ نَصَباً من سفره للشيخ ، وما استراح حتى بلغ البستان ، وجعل يخدم بفرح وسرور ونشاط نفس ، فكان مِن قَدَر الله عزّ وجلّ وحسن جميله بذلك المرحوم ، أن صادف مجيئَهُ للشيخ الكذاب المسرف وفاةُ رجل من أكابر العارفين ، وكان من أهل الديوان فحضر وفاتَه « الغوثُ » و « الأقطاب السبعة » ؛ فقالوا له : يا سيدي فلان ! كم مرةٍ ونحن نقول لك : اهبط إلى مدينة من مدن الإسلام ، فعسى أن تلقى من يرثك في سرك ؛ ولم تساعدنا ، فالآن حانت وفاتُك ، فيضيعُ سرّك ، وتبقى بلا وارث ؛ فقال لهم : يا سادتي ! قد ساق الله إليّ من يرثني وأنا في موضعي ؛ فقالوا له : ومن هو ؟ فقال : « عبد العليّ » الذي وفد على فلان المبطل ؛ فانظروا إلى حُسنِ سريرته مع الله عز وجل ، وإلى تمام صدقه ، ورسوخ خاطره ، ونفوذ عزمه ، وصلابة جزمه ، فإنه رأى ما رأى ، ولم يتزلزل له خاطر ، ولا تحرك له وسواس ؛ فهل سمعتم بمثل هذا الصفاء الذي في ذاته ؟..! أفتوافقون على إرثه ؟ فقالوا : نعم ؛ فخرجت روح الوليّ ، واتصل سيدي « عبد العليّ » بالسرّ ، وأثابه الله عزّ وجلّ على حسن نيته ؛ فوقع له الفتح ؛ وعَلِم من أين جاءته الرحمة ، وأن الشيخ الذي وفد عليه مسرف كذّاب ، وأن الله تعالى رحمه بسببَ نيته لا غير . والله الموفق .

حكاية شيخ يمتحن مريده بقتل أبيه.

- [٢] ومنها **ما سمعته** من الشيخ - رضي الله عنه - قال : كان لبعض المشايخ مريد صادق ، فأراد أن يمتحنَ صدقه يوماً ، فقال له : يا فلان أتحبني ؟ قال : نعم ، - يا سيّدي - ، فقال له : من تحب أكثر أنا أو أبوك ؟ فقال : أنت يا سيدي فقال : أفرأيت إن أمرتك أن تأتيني برأس أبيك ، أتطيعني ؟ فقال : يا سيدي فكيف لاأطيعك ..! ولكن الساعة ترى ، فذهب من حينه - وكان ذلك بعد أن رقد الناس - فتسوّر جدار دارهم ، وعلا فوق السطح ، ثم دخل على أبيه وأمه في

منزلهما ، فوجد أباه يقضي حاجته من أمّه ؛ فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ؛ ولكنْ بَرَك عليه ـ وهو فوق أمّه ـ فقطع رأسه ، وأتى به للشيخ ، وطرحه بين يديه ؛ فقال له : ويحك أتيتني برأس أبيك ، فقال : ـ يا سيدي ـ نعم ! ، أَمَا هو هذا ؟ فقال له : ويحك !! ، إنما كنتُ مازحاً ، فقال له المريد : أَمّا أنا فكل كلامك عندي لا هزلَ فيه ؛ فقال له الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : انظرْ ، هل هو رأس أبيك ؟ فنظر المريد فإذا هو ليس برأس أبيه ، فقال له الشيخ : رأس من هو ؟ فقال له : رأس فلان العِلْج[٣٦] ، قال : وكان أهلُ مدينتهم يتخذون العُلُوج كثيراً ، بمنزلة العبيد السودانيين ؛ قال : وكان أبوه غاب تلك الليلة ، فخانته زوجته في الفراش ، ووعدَتْ عِلْجاً كافراً ، ومكّنته من نفسها ؛ وكُوشِف الشيخ ـ رضي الله عنه ـ بذلك ، فأرسل المريدَ ليقتله على الصفة السابقة ؛ ليمتحن صدقه ؛ فعَلِم أنه جبل من الجبال ؛ فكان وارثَ سره ، والمستوليَ بعده على فتحه . والله الموفق .

حكاية مريد امتحن بالخدمة دون سؤال .

ـ [٣] **ومنها أني سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول : جاء بعض المريدين لشيخ عارف ؛ فقال له : يا سيدي ! القبولَ لله عز وجل ؛ فقال : نعم . ثم أمره** بالمُقام عنده ، والعكوف على خدمته ؛ وأعطاه مسّاحة في رأسها كورة حديد زائدة لانفع فيها إلا تثقيلُ المسّاحة ؛ وكان المريد هو وارثَ الشيخ ، بشرط أن لا ينتبه لكورة الحديد المذكورة ، فإن انتبه وقال : مافائدتها ؟ ولأيّ شيء تصلح ؟ ولا معنى لها إلا التثقيل ؛ فإنه لا يرثُ منه شيئاً .

قال رضي الله عنه : فبقي في خدمته سبع سنين ، وهو يخدم بالفاس[٣٧] ، ولا تحرك له عِرْق وسواس ، ولا هزّته عواصف رياح الشيطان ؛ وصارت الكورة المذكورة بمنزلة العدم الذي لا يُرى ولا يُسمع . فهذه حالة الصادقين الموفقين رضي الله عنهم . والله تعالى الموفق .

ـ [٤] **وسمعته رضي الله عنه يقول** : كان لبعض العارفين بالله عزّ وجل

---

(٣٦) العلج : بوزن العجل ، الواحد من الكفار العجم . ا هـ مختار الصحاح .

(٣٧) في ظ ١ : بالمسّاحة .

مريدٌ صادق ، وكان هو وارثَ سرّه ، فأشهده الله تعالى من شيخه أموراً كثيرة منكرة ، ومع ذلك فلمْ يتحرك له وسواس . فلما مات شيخه ، وفتح الله عليه ، شاهد تلك الأمور ، وعلم أنّ الصواب مع الشيخ فيها ، وليس فيها ما يُنكر شرعاً ، إلا أنها اشتبهت عليه . فمن ذلك : أن امرأة كانت من جيران الشيخ وكانت تُذكر بالسوء ، وكان المريد يعرف شخصها ، وكان للشيخ امرأة على صورتها ، وكان المريد لا يعرفها ؛ وكان للشيخ موضع يخلو به بين باب الدار وبين البيوت ؛ وكان المريد لا يبلغ إليه ، وإنما يقف بالباب ؛ فاتفق أن دخلت المرأة المشهورة بالسوء على المريد ، وهو بالباب ، فجازت الدار ؛ واتفق أن خرجت امرأة الشيخ الشبيهة بها ، فدخلت على الشيخ الخلوة ؛ وكان الشيخ أرسل إليها ليقضي حاجته منها ؛ فدخلتْ وقام إليها الشيخ ، ومرتْ الشبيهةُ بها نحو البيوت ؛ فرمى المريد ببصره إلى الخلوة فرأى المرأة مع الشيخ ، وهو يقضي حاجته منها ؛ فما شك أنها المشهورة بالسوء ؛ وربط الله على قلبه ، فلم يستفزّه الشيطان ؛ ثم خرجت المرأة ، وحانت الصلاة ، فخرج الشيخ للصلاة وتيمم ، وكان به مرض منعه من الاغتسال ، فما شك المريد أن الشيخ تيمم عن غير ضرر ؛ وربط الله على قلب المريد . وكان بالشيخ مرض منعه من هضم الطعام فصنعوا له ماء الفلنيص عصروه ، وأتوا له بمائه ليشربه ، فدخل المريد فوجده يشربه ، فما شك أنه ماء خمر ؛ وربط الله على قلبه ، فلم يتحرك عليه وسواس . فلما فتح الله عليه ، علم أن المرأة التي وطئها الشيخُ امرأتُه ، لا المرأة المشهورة بالسوء ؛ وعلم أن التيمم الذي فعله الشيخ لضرر كان بجسده ؛ وعلم أن الماء الذي شربه الشيخ ماء فلنيص ، لا ماء خمر . والله الموفق .

حكاية شيخ امتحن مريده بمنكرات أظهرها .

ـ [٥] **وسمعته رضي الله عنه يقول : كان لبعض المريدين أخ في الله عزّ وجلّ ، فمات ذلك الأخ وبقي المريد ، فجعل إذا فتح الله عليه بشيء يقسمه بين** أولاده وبين أولاد الأخ في الله ، وكان لهذا المريد أرضٌ مع إخوانه ، فبيعت عليهم من جانب المخزن ظلماً ؛ فلما أخذوا ثمنها كان نصيب المريد منها أربعين مثقالاً ـ سكّة زماننا ـ ، فقال له إخوانه : ماتفعل بدراهمك ؟ فقال : أقسمها بيني وبين أولاد أخي في الله . فاستحمقوه ، وقالوا : مارأينا مثلك في نقصان العقل ؛ تَسَبَّبْ

حكاية مريد صدق مع أخ في الله ففتح عليه .

بدراهمك ، واشترِ بها كذا ، واصنع بها كذا ، واترك عليك هذه الحماقة التي أنت مشتغل بها ؛ فأرادت نفسه أن تميل إلى قولهم ؛ فقال لها : يا نفسي ماتقولين [من] الله عزّ وجلّ إذا وقفتِ بين يديه غداً ، حيث يقول لي : رزقتُكَ أربعين مثقالاً ، فاستأثرت بها وضيّعت حقّ الأُخوة ، فاليوم أضيعك كما ضيعتها . فوفقه الله ، فقسم الدراهم بينه وبين أولاد أخيه في الله ، فلما خرج من عندهم ، فتح الله عليه ؛ وأعطاه مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ وجعله من العارفين ؛ لصدق نيته ، ولصداقة عزمه ، ونفوذ جزمه . والله الموفق .

حكاية شيخ امتحن أصحابه ففرّوا إلا واحداً.

[٦] **وسمعت** من غير الشيخ رضي الله عنه : أن بعضَ الأكابر كان له عدة أصحاب ؛ وكان لا يتخيل النجابة إلا من واحد منهم ، فأراد أن يختبرهم يوماً ؛ فاختبرهم ، ففروا بجملتهم سوى ذلك الواحد ، وذلك أنه تركهم حتى اجتمعوا على باب خلوته ، فأظهر لهم صورة امرأة جاءته فدخلت الخلوة ، فقام الشيخ ودخل معها ؛ فأيقنوا أن الشيخ اشتغل معها بالفاحشة ؛ فتفرقوا كلّهم ، وخسرت نيتهم إلا ذلك الواحد ، فإنه ذهب ، وأتى بالماء وجعل يسخنه ، بقصد أن يغتسل به الشيخ ؛ فخرج عليه الشيخ ، فقال : ماهذا الذي تفعل ؟ فقال : رأيت المرأة قد دخلت ؛ فقلت : لعلك تحتاج إلى غسل ، فسخنت لك الماء ، فقال له الشيخ : وتتبعني بعد أن رأيتني على المعصية ؟ فقال : ولِمَ لاأتبعُك ؟..! والمعصية لاتستحيل عليك ، وإنما تستحيل في حق الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، ولَمْ أخالطْكَ على أنك نبيّ لاتَعصي ، وإنما خالطتُكَ على أنّك بشر ، وأنك أعرف مني بالطريق ، ومعرفتك بالطريق باقية فيك ؛ والوصف الذي عرفتُك عليه لم يزل ؛ فلا تتبدل لي نية ، ولا يتحرك لي خاطر ، فقال له الشيخ : يا ولدي ! تلك الدنيا تصورت بصورة امرأة ، وأنا فعلت ذلك عمداً لينقطع عني أولئك القوم . فادخل يا ولدي - وفقك الله - معي الخلوة فهل ترى امرأة فيها ؟ فدخل فلم يجد امرأة ، فازداد محبة على محبته . والله الموفق .

- [٧] **ورأيت** في كتاب « محي الدين » ؛ تلميذ « تاج الدين الذاكر

حكاية رجل طلب السر فامتحن فلم يثبت .

المصري »[٣٨] ـ رحمها الله تعالى ـ : أن رجلاً جاء إلى بعض الأكابر ، فقال له : يا سيدي ! أريد منكم أن تعطوني السرّ الذي خصكم الله به ؛ فقال الشيخ : إنك لاتطيق ذلك ؛ فقال المريد : أطيقه وأقدِرُ عليه . فامتحَنَه الشيخ بأمر سقط منه على أمّ رأسه . نسأل الله السلامة .

وذلك ؛ أنه كان عند الشيخ مريدٌ شاب حَدَث ، أبوه من الأكابر ؛ فلما قال ذلك المريد : أنا أطيق السرّ ، قال له الشيخ : إني سأعطيك ـ إن شاء الله ـ السرّ ، فأمره بالمُقام عنده ؛ ثم إن الشيخ أمر الشاب الحَدَث بالاختفاء في مكان ، بحيث لا يظهر لأحد ؛ ثم أدخلَ الشيخُ خلوتَه كبشاً ، فذبحه ، وجعل على ثيابه شيئاً من الدم ، فخرج على المريد السابق ؛ والسكين في يده ، والدم يسيل على يده ، وهو في صورة الغضبان ؛ فقال المريد : ماعندكم يا سيّدي ؟ فقال : إن الشاب الفلاني أغضبني ؛ فما ملكت نفسي أن ذبحته[٣٩] ؛ فهاهو في ذلك المكان مذبوح ـ يشير إلى الخلوة التي ذبح فيها الكبش ـ ؛ فإن أردتَ السّرّ يا ولدي ! فاكتم هذا الأمر ، ولا تذكره لأحد ؛ وإن سألني عنه أبوه فإني أقول له : مرض ولدك ومات ؛ فإنّه يصدّقني ، ويحصل في المسألة لطف . فعساك ـ يا ولدي ـ تساعدني على هذا الأمر ، وتسترني فيه ؛ فإن فعلتَ فأنا أعطيك السرّ ، إن شاء الله تعالى ؛ فقال المريد ـ وقد

(٣٨) تاج الدين الذاكر المصري (ـ ٩٣٠ ونيّف هـ) : ولي كبير صاحب كرامات . ذو سمت حسن وأخلاق جميلة هو وأصحابه . وله شفاعات كثيرة عن أولي الأمر . يمكث (٧) أيام بوضوء واحد ، وفي آخر عمره كان يتوضأ كل (١١) يوماً . صلى (٤٠) سنة الصبح بوضوء العشاء ... ● لما حضرته الوفاة قالوا له : يا سيدي من هو الخليفة بعدكم لنعرفه ونلزم الأدب معه فقال : قد أذنّا لفلان وفلان ... وعدّ عشرة من أصحابه ، أنّ كل من حضر منهم يفتتح الذكر بالجماعة ، والطريقَ تعرف أهلها ولو هربوا منها تبعتهم . فكان من العشرة : الشيخ الوفائي وخادمه الشيخ عبد الباسط وهو أجلّهم .

تحقيق

من أقواله : لاتصح الصحبة لشخص مع شيخه إلا إن شرب من مشروبه واتّحد به اتحاد الدم في العروق .

دفن بزاويته بجوار حمام الدود وجنازته مشهورة اهـ من الطبقات للشعراني ١٢٩/٢ في ترجمة مشايخه .

(٣٩) قلت هذا من الكذب المباح للضرورة وهو من جملة المعاريض ، فالشيخ هنا لم يقصد عين الكذب إذ هو حرام ، بل ورّى ، والتورية جائزة كما في حاشية ابن عابدين ـ باب الحظر والإباحة . وصورة الضرورة هنا حاصلة في كون المريد يطلب أمراً ليس عنده استعداد لتحمله فأراد الشيخ امتحانه ليتحقق بذلك . إذ ماعند الشيخ أمانة يحرم إعطاءها لغير مستحقها عملاً بإشارة قوله تعالى : ﴿ فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ [النساء ٦ ، ٥٩] .

تمَّر وجهه ، وظَهر غيظه ؛ حيث ظَن أنّ الشيخ في قبضته ـ : سأفعل ـ بكلام يظهر منه الكذب ـ ؛ ففارقَ الشيخَ وذهبَ سريعاً إلى والد الشاب ، وأعلمه بالقصّة ، وقال له : إنّ الشيخ الكذّاب الذي كنتم تعتقدون فيه الخير قتل ولدكم في هذه الساعة ؛ وجعل يرغبني أن أستره ، ويطلب مني أن أكتمه عنكم ؛ وإن شككتم في الأمر فاذهبوا معي ـ الساعة ـ فإنكم تجدون ولدكم يتشحّط في دمه ؛ فقال له الناس : ويحك ! ؛ فإن سيّدي فلاناً لا يفعل هذا ، ولعل الأمرَ شبّهَ عليك ؛ فقال لهم : اذهبوا معي حتى يظهر صدقي أو كذبي . ففشا قولُه في الناس ؛ وسمع به أرباب الدولة ، فأقبلوا إلى الشيخ سِرَاعاً ، والمريد أمامهم حتى وقفوا على خلوة الشيخ ؛ فقرعوا الباب ، فخرج الشيخ ؛ وقال لهم : مالكم ؟ وأي شيء أقْدَمكم ؟ فقالوا له : ألا[٤٠] تسمع ما يقول هذا ـ يشيرون إلى المريد ـ ..؟! ؛ فقال له الشيخ : وأيُّ شيء كان ؟ فقال له المريد : الذي كنتَ ترغّبني فيه ، وتطلب مني كتمانه ، هو الذي كان ؛ فقال الشيخ : ماوقع بيني وبينك شيء ، وما كلّمتك قطّ ؛ فقال المريد : الكذبُ لا ينجيك ، قد قتلتَ ولد الناس . فترامى الناس على الشيخ ، من كل ناحية : قتلتَ ولد الناس ، فالآن نقتلك يا عدو الله تغش الناسَ بعبادتك ، وتخدعهم بخلوتك ....!؟

فقال الشيخ : سلوه من أين عَلِمَ بأنّي قتلته ؟ فقال المريد : ألم تَخرج عليَّ ، وأثر الدم على[٤١] يديك وثوبك ؟ فقال الشيخ : نعم ؛ وقد ذبحتُ شاة ، فقال المريد : فلندخلْ إلى الخلوة إن كنت صادقاً ؛ فدخلوا فوجدوا شاة مذبوحة ؛ فقال المريد : إنما[٤٢] أخفيتَ القتيل ، وأظهرتَ هذه الشاة في موضعه لئلا تُقتل به ...! ؛ فقال الشيخ : أرأيتَ إن خرج الشاب ولا بأس عليه أتعلم أنك من الكاذبين الذين لا يفلحون ؟..! فقال المريد : فأخرجه ، إن كنت صادقاً . فأرسل الشيخ إلى الفتى ؛ فخرج ولا علم عنده بما وقع ، فلما رآه الناس تضرعوا إلى الشيخ وجعلوا

---

(٤٠) في ظ ١ : أمَا ... مشيرين إلى ...

(٤١) في ظ ١ : في ...

(٤٢) في ظ ١ : أنت أخفيت .

يسبّون المريد الكاذب . وعند ذلك ، قال له الشيخ : ألستَ تزعم ـ يا كذّاب ـ أنك تطيق السرّ وتقدر عليه ، فما بالك لم تقدر على كتم هذا الأمر الذي لم يكن منه شيء ؟ وإنما صنعنا معك هذا لدعواك أنك تطيق السرّ . فاذهب ، فقد أعطيناك السرّ الذي يليق بأمثالك . فكان ذلك المريد ـ من يومه ذلك ـ موعظةً للمعتبرين ، ونكالاً للمدعين الكاذبين . نسأل الله بمنّه التوفيق .

حكاية رجل طلب السر من ولي فاختبر ففشل .

ـ [٨] **ووقع لرجل آخر حكاية عجيبة** : وذلك أنه كان شيخَ ركبِ الحجيج ، وكان من بلاد المَغْرب[٤٣] ، وكان يعتني كثيراً بلقاء الصالحين ، ويحبهم ويفتش على الذي يربح على يديه ؛ فكان هذا دأبه إذا طلع إلى المشرق ، وإذا رجع إلى المغرب[٤٤] . فالتقى **بمصر** مع بعض الصالحين فأعطاه أمانة ، وقال له : الرجلُ الذي يطلبها منك هو صاحبك . فما زال يطوف على الصالحين الذين يعرفهم ، واحداً واحداً ، حتى قدم لبلده ودخل داره وبقي ماشاء الله ، فلقيه ذات يوم جارُه فقال له : أين الأمانة التي أعطاك فلان بمصر ؟ فعلم أن جارَه هو صاحب الوقت ؛ فسقط على رجله يقبّلها ، ويقول : يا سيدي ! كيف تخفون أنفسكم عليّ ..!! ، وما تركت صالحاً يشار إليه بالمشرق والمغرب إلا أتيته ، وأنتم جيراني وأقرب الناس إليّ ؛ ثم طلب منه السرّ الذي خصه الله به ؛ فقال له الشيخ : هذا أمر لا تطيقه ؛ فقال : بل أطيقه يا سيدي ؛ فقال الشيخ : فإن كنت تطيقه فاعمل بشرطي ، فقال : وما شرطك يا سيدي ؟ فقال الشيخ : شرطٌ لا كبيرَ ضررٍ عليك فيه ؛ هو أن تحلق لحيتك الطويلة هذه[٤٥] فقال له : يا سيدي كيف يَسوغُ لي ذلك ، وبها أُهاب

---

(٤٣) كذا في ظ ١ وهو الصواب . وفي بولاق : الغرب . وفي الحلبية والأزهرية : العرب . قلت لعله تصحيف .

(٤٤) إلى المغرب : زيادة في ظ ١

(٤٥) (قوله هو أن تحلق لحيتك ...) قلت : مقصود الشيخ من ذلك ـ والله أعلم ـ هو أن يخلصه من نفسه حيث أن النفس الأمارة هي أعظم حجاب يمنع من التعرف على الله سبحانه . فرأى منه الشيخ أنه متوقف مع مظهره وعلمه وشهرته : فأراد أن يصف له دواء يخلّصه من مرضه إن هو طبقه . وهذا الدواء ـ حلق اللحية ـ هو في مقياس الشرع صغيرة ، لكنه يخلصه من آفة مستأصلة فيه ؛ وذاك من باب « ارتكاب أخف الضررين » . فهم رضي الله عنهم ـ أطباء القلوب ـ يدلون من انتسب إليهم على ما يخلصهم من شرور أنفسهم ، كما قال ابن مشيس لأبي الحسن الشاذلي في أول قدم له في الطريق « اذهب فاغتسل ... » ؛ وكررها له حتى علم أنه إنما يقصد : الخروج عن نفسه ودعاويها لتتكن له التحلية بعد التخلية .

وأُعظِّم في طريق المشرق . فقال الشيخ : فإن أردت السرَّ فافعل ماأقولُ لك ؛ فقال له : يا سيدي هذا أمر لاأطيقه ، فقال له الشيخ : وما بقى لك عليّ ذنب ، حيث لم تقبلْ شرطي ؛ ففارقه . فلما مات الشيخُ ، وفاتّه مافاته ، ندم وقال : لو كان عقلي اليومَ عندي في زمان الشيخ لفعلت ماقال ، وزدتُ عليه .

حكاية رجل ادعى محبة وليّ فاختبرفخان.

ـ [٩] وسمعتُ من بعض الثقات ـ ممن كان يرى النبيّ ﷺ في اليقظة ، وكان يشم رائحة مدينة النبيّ ﷺ من[٤٦] مدينة فاس ـ قال : كنت مع بعض الأولياء يوم[٤٧] الجمعة في جامع الأندلس بمحروسة فاس ـ أمّنَها الله ـ فلما صلّيت الجمعة ، وخرجت من الجامع ، فإذا برجل يُقبِّل يد ذلك الولي ؛ ويقول : يا سيدي إنّي أحبك لله عزّ وجلّ ، فقال له الوليّ ـ وقد نظر فيه نظرة منكرة ـ : ألم تعلم أن الله يعلم السرّ وأخفى ؛ يعني : فهلاّ اكتفيت بعلم الله وحسن جزائه ؛ فذهب الولي ، وجعل[٤٨] الذي ادعى المحبة يبكي مما سمعه من الولي ؛ فتقدمتُ إليه ، وقلت : ـ يا هذا ـ إنك قد ادّعيت أمراً عظيماً ، ولا بد للشيخ أن يختبرك ؛ فكن رجلاً ..! وإلا فهو الفراق بينك وبين الشيخ ..!! ؛ قال : وكان جاراً للشيخ في بعض بساتينه ؛ وكانت شجرة تين للشيخ في الحدود ، فكان ذلك المدّعي يجنيها كلّ عام ، والشيخ يصبر ، ويعفو ، ويصفح ، ويحسن جواره ؛ فلما ادعى المحبةَ أسقط عنه كلفة التحمل ، وقال له : إن الشجرة شجرتي ، لاشيء لك فيها ، فأنكره المدّعي ، وقال : هي لي ؛ فقام الشيخ معه على ساق الجِدّ في النزاع والخصام ، حتى سَمِعتُ ذلك المدعي يسبُّ الشيخَ رضي الله عنه . وسمعت هذا الرجل يقول : ذهبنا إلى الحج فلما زرت قبر النبي ﷺ أخذَتْني حالة ، وقلت : ـ يا رسول الله ـ ماظننت أنّي أصل إلى مدينتكم ، ثم أرجع إلى فاس . فسمعت صوتاً من قِبَل القبر الشريف ، وهو يقول : إن كنتَ محزوناً في هذا القبر فمن جاء منكم فليبقَ ههنا ؛ وإن كنتَ

---

(٤٦) في ظ ١ : وهو بمدينة ...

(٤٧) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : ليلة .

(٤٨) في ظ ١ : وبقي .

مع أمتي ـ حيثما كانت ـ فارجعوا إلى بلادكم . قال : فرجعت إلى بلادي[٤٩] . والله تعالى الموفق .

حكاية وليّ ملامتي .

ـ [١٠] وسمعت الشيخ رضي الله عنه يقول : كان بعض الشيوخ الجاذيب يُظهر مخالفة ، ليفرّ عنه الناس ؛ حتى إنه أراق على ثوبه ذات يوم خمراً ، فجعل الناس يشمون منه رائحة الخمر ، ويفرون منه ؛ ولم يبق معه إلا وارثُ سرّه[٥٠] ؛ فقال : فعلتُ هذا عمداً ليفرّ عني هؤلاء النمل ، ـ يشير إلى كثرة الناس الذين كانوا يتبعونه ـ فإنه لا حاجة لي فيهم ، والحاجة إنما هي بك ، وحدك . والله الموفق .

حكاية رجل صدق وحَسَن نيته بوليّ.

ـ [١١] وسمعته رضي الله عنه يقول : جاء رجل إلى بعض الأولياء ، وجعل يتأمّله ، ويُصعّد فيه النظر ؛ حتى تأمله من رأسه إلى رجليه ، فقال له الوليّ : مامرادك ؟ قال : ـ يا سيّدي ـ هذه غنيمتي ؛ أردتُ أن تنظر ذاتي ذاتَكَ ، لتشفع فيها غداً بين يدي الله . قال الشيخ رضي الله عنه : فربح ذلك الرجل ربحاً كبيراً .

وكان رضي الله عنه إذا ذكر هذه الحكاية يقول : الناس باقون في هذه الأمة ...!![٥١] ؛ والحمد لله . والله الموفق .

حكاية أحد الصادقين مع شيخ .

ـ [١٢] وسمعته رضي الله عنه يقول : جاء بعض الصادقين إلى من يعتقد فيه الخير ؛ فقال له : إني أحبّك في الله عزّ وجلّ ؛ فقال له الشيخ ـ وكان ذلك عند صلاة الصبح ـ : فإنْ أردتَ أن تربح فلا ترجعْ إلى دارك أبداً ، واذهبْ إلى بلاد

---

(٤٩) قلت : مفهوم هذا أنه ﷺ لم يقبل زيارته ؛ وذلك جزاء وقيعته بالشيخ المذكور ، الذي هو ولي من أولياء الله ومن أحبابه ﷺ ، حيث معاداتهم رضي الله عنهم هي معاداته ﷺ ، ومحبتهم رضي الله عنهم توصل لمحبته ﷺ . وهو ﷺ تُعرض عليه أعمال أمته كما جاء ذلك في الأحاديث الشريفة . وإن الذي سمعه هذا المدّعي هو من باب التنبيه ويدل على عناية الله تعالى به لعله يتوب ويرجع . اللهم اجعلنا عند حسن ظنّ أوليائك ورضّهم عنّا يا كريم . واجعلنا تحت أنظار نبيك ﷺ آمين . ا هـ المحقق .

(٥٠) قلت : هي مرتبة متوسطة بين الأولياء ، الذين يسمون « مُلامتيّة » ؛ فهم لا يظهر عليهم خيرٌ ولا يضمرون شراً بل يتسترون من أن يعرفهم أحد بولاية وذلك بفعلهم ماينفر الناس منهم . مع محافظتهم على آداب الشريعة المطهّرة . فهذا الوليّ وإن أراق خمراً على ثوبه فلا يعني أنه يصلي به ..فهم أشد الناس التزاماً بالسنة النبوية إلا من كان منهم خارجاً عن عقله ، مجذوباً : فعندئذ ترتفع رسوم الشريعة عنه « إذا أخذ ماأوهب ، أسقط ماأوجب » .

(٥١) قلت : يريد أن الناس الذين يعتقدون بوجود الأولياء لازالوا باقين في هذه الأمة فإن فيهم خيراً .

المشرق ؛ قال: فامتثل ، ولم يخالف ؛ فربح دنيا وأخرى . والله الموفق .

☆ ☆ ☆

مبحث هام

كرامات الأولياء

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن الذين ألّفوا في كرامات الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ وإن نفعوا الناس من حيث التعريفُ بالأولياء ، فقد أضرّوا بهم كثيراً ، من حيث إنهم اقتصروا على ذكر الكرامات ، ولم يذكروا شيئاً من الأمور الفانية التي تقع من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات ؛ حتى إن الواقف على كلامهم إذا رأى كرامة على كرامة ، وتصرفاً على تصرف ، وكشفاً على كشف ؛ (توهّمَ) أن الوليّ لا يعجز في أمر يُطلب فيه ، ولا يصدر منه شيء من المخالفات ، ولو ظاهراً ؛ فيقع في جهل عظيم ، لأنّه يظنّ أنّ الوليّ موصوف بوصف (من أوصاف الربوبيّة) ؛ وهو أنه يفعل ما يشاء ، ولا يلحقه عجز ؛ وبوصف (من أوصاف النُبوّة) ، وهو العصمة والأمر الأول من خصائص الربوبية ، ولم يعطِهِ الله تعالى لرسله الكرام ؛ فكيف بالأولياء !! ؛ قال الله تعالى لنبيّه ﷺ :

توهم وجهل

خصائص الربوبية .

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ وقال ﷺ : « سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اثْنَتَيْنِ فَأَعْطَانِيهِمَا وَسَأَلْتُهُ اثْنَتَيْنِ فَمَنَعَنِيهِمَا قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ؛ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيعاً ﴾ فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، فَقَالَ : قَدْ سَبَقَ الْقَضَاءُ ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، فَقَالَ : سَبَقَ الْقَضَاءُ »[٥٢] .

وقال تعالى في سؤال نوح نجاةَ ابنه من الغرق : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ : رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ . قَالَ : يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ

---

(٥٢) وفي البخاري قال رسول الله ﷺ : هذه أهون وأيسر . وروى نحوه مسلم والترمذي والنسائي وأحمد وغيرهم (انظر تفسير ابن كثير) سورة الأنعام . والآيات المذكورة في الحديث هي على التسلسل : آل عمران:١٢٨ ، القصص:٥٦ ، الأنعام:٦٥ .

تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود:٤٥] وقال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً ﴾ [التحريم:١٠] . والناس اليوم ، إذا رأوا وليّاً دعا فلم يُستجب له ، أو رأوا ولده على غير طريق ، أو امرأته لاتتقي الله ، قالوا : ليس بوليّ ، إذ لو كان وليّاً لاستجاب الله دعاءه ؛ ولو كان وليّاً لأصلح أهلَ داره ، ويظنّون : أن الوليّ يُصلح غيره ؛ وهو لا يقدر على إصلاح نفسه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَازَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [النور ٢١] .

خصائص النبوة

وأما **الأمر الثاني** : وهو العصمة فهو من خصائص النبوّة ، والولايةُ لاتزاحم النبوّة .

قال رضي الله عنه : والخير الذي يظهر على يد الوليّ إنما هو من بركته ﷺ ؛ إذ الإيمان ـ الذي هو السبب في ذلك الخير ـ إنما وصل إليه بواسطة النبي ﷺ .

أما (ذاتُ الوليّ) ، فإنّها كسائر الذوات ؛ بخلاف (الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام ، فإنّهم جُبلوا على العصمة ، وفُطِرُوا على معرفة الله تعالى وتقواه ، بحيث إنهم لايحتاجون إلى شرع يتّبعونه ، ولا إلى مُعلّم يستفيدون منه ؛ والحقّ الساكن في ذواتهم ـ وهو حرف النبوّة الذي طبعوا عليه ـ يسلك بهم النهج القويم ، والطريق المستقيم .

واجب المؤلفين

قال رضي الله عنه : ولو أنّ الناس ـ الذين ألّفوا في **الكرامات** ـ قصدوا إلى شرح حال الوليّ الذي وقع التأليف فيه ، فيذكرون ماوقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة ، والأمور الفانية ؛ لعَلِم الناسُ الأولياءَ على الحقيقة ؛ فيعلمون أن الوليّ يدعو تارة فيستجاب له ، وتارة لا يستجاب له . ويريد الأمرَ ؛ فتارة يُقضى ، وتارة لايُقضى ؛ كما وقع للأنبياء والرسل الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ؛ ويزيد **الوليّ** بأنه (تارة) تظهر الطاعة على جوارحه ؛ و (تارة) تظهر المخالفة عليها كسائر الناس ؛ وإنما **امتاز الولي** عنهم بأمر واحد ، وهو : **ماخصه الله تعالى به من المعارف ، ومنحه من الفتوحات ؛** ومع ذلك **فالمخالفة إن**

خصائص الولي

ظهرت عليه فإنما هي بحسب مايظهر لنا لا في الحقيقة ، لأن المشاهدة التي هو فيها تأبى المخالفة ، وتمنع من المعصية منعاً لا ينتهي إلى حد العصمة ، حتى تزاحم الولايةُ النبوة ، فإن المنع من المعصية ذاتيّ في الأنبياء [عليهم الصلاة والسلام] ، عَرَضيّ في الأولياء ؛ فيمكن زواله في الأولياء ، ولا يمكن زواله في الأنبياء . وسرّه ماسبق ، وهو : أن خيرَ الأنبياء من ذواتهم ، وخير الأولياء من غير ذواتهم ؛ فعصمة الأنبياء ذاتية ، وعصمة الأولياء عَرَضية ؛ فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صوريّة ، لا حقيقية ، قَصدَ بها امتحانَ من شاهدها واختباره ؛ ولذلك أسرار . فنطلب من الله تعالى أن يوفقنا للإيمان بأوليائه ، كما وفقنا للإيمان بأنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

قال رضي الله عنه : ومن عَلِمَ سيرةَ النبي ﷺ (في أكله وشربه ونومه ويقظته وجميع أحواله في بيته ؛ وعلم سيرته في حروبه وغزواته ، وكيف يدال له مرة ويدال عليه أخرى ، وكيف يطلب منه أناس قوماً من أصحابه ثم يذهبون ويغدرون بهم ، كما في غزوة الرجيع وغزوة بئر معونة وعلم ماوقع في قصة الحديبية[٥٣] وغيرها ؛ غزوات

(٥٣) يوم الرجيع أو غزوة الرجيع (٣ هـ) : ملخصها ـ قدم وفد من عضل والقارة على النبيّ ﷺ يذكرُ أنهم وصلتهم أخبار الإسلام ، وهم بحاجة إلى من يعلمهم إياه . فبعث ﷺ نفراً من أصحابه ، فيهم : مرثد بن أبي مرثد وخالد بن بكير وعاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وأمّر عليهم عاصماً . فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ، ذُكروا لِحَيّ من هذيل فتبعوهم بقريب من مائة رام ؛ فاقتصُّوا آثارهم حتى لحقوهم ، وقتلوا عاصماً في سبعة نفر وبقي خبيب وزيد ورجل آخر قتلوه حين أبى أن يصحبهم ... وباعوا خبيباً وزيداً بمكة . فاشترى الأول بنو الحارث وابتاع الثاني صفوانُ بنُ أمية . مكث خبيب أسيراً عند بني الحارث وقتله عقبة بن الحارث وكان أول من صلى ركعتين قبل القتل ... وخرجوا بزيد إلى الحَرَم ليقتلوه ... وهو القائل : « والله ماأحبُ أن محمداً الآنَ في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي ! » فقال أبو سفيان : « مارأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً » .
بئر معونة (٤ هـ) : ملخصها ـ قدم عامر بن مالك عليه ﷺ ؛ فعرض عليه الإسلام ، فلم يُسلم ولم يظهر تجنباً عن الإسلام ؛ بل قال : يا محمد ؛ لو بَعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فَدعَوْهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك فقال ﷺ : « إني أخشى عليهم أهل نجد » . قال عامر : أنا لهم جار ... فبعثَ ﷺ (٧٠) رجلاً من خيار المسلمين ... فساروا حتى نزلوا بئر معونة فبعثوا « حرام بن ملحان » بكتاب رسول الله ﷺ إلى « عامر بن الطفيل » : فلما أتاه لم ينظر في كتابه ، وعدا عليه فقتله ... ثم استصرخَ « عامرُ بن الطفيل » بني عامر يستعديهم على بقية الدعاة ، فأبوا أن يجيبوه وقالوا : لن نخفر « عامر بن مالك » ؛ فاستصرخ عليهم =

ولكل ذلك أسرار ربانيّة أطلعَ الله تعالى عليها نبيّنا ﷺ) ؛ هانت عليه معرفة الأولياء ، ولا يستكثر ما يراه على ظاهرهم من الأمور الفانية والأوصاف البشرية .

فائدة مطالعة السيرة .

فعلى العاقل الذي يحب الخير ويحب أهله ، أن يُكثر من مطالعة سيرته ﷺ فإنه يهديه ذلك إلى معرفة الأولياء العارفين ؛ ولا يشكل عليه شيء من أمورهم . وهذا القَدر هو الذي يمكن أن يُبيّنه القلم . والعاقل اللبيب تكفيه الإشارة . والله الموفق .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن الرجل قد يسمع بالوليّ في بلاد بعيدة فيصوره في نفسه على صورة تطابق الكرامات التي تنقل عنه، فإذا وجده على غير تلك الصورة التي سبقت في ذهنه ، وقع له شك في كونه هو ذلك الوليّ .

= قبائل من سليم من عُصيّة ورعْل وذكوان فأجابوه ، وانطلقوا فأحاطوا بالقوم في رحالهم ... وقُتل المسلمون عن آخرهم ... وأفلت « عمرو بن أميّة الضمري » فرجع إلى المدينة ... وتأثر النبيّ ﷺ لمقتل هؤلاء الدعاة الصالحين ، وبقي شهراً يقنت في صلاة الصبح ، يدعو على قبائل سليم : رعل وذكوان وبني لحيان وعُصية .

صلح الحديبية (ذو القعدة آخر ٦ هـ) : ملخصها ـ أعلن ﷺ أنه متوجه إلى مكة معتمراً وتبعه / ١٤٠٠ / مهاجر وأنصاري . أحرم ﷺ في الطريق وساق الهدي وأرسل عيناً لتحسس خبر أهل مكة ، فعلم أنّ قريشاً جمعت الجموع لمقاتلته وصدّه عن البيت . ويسير الرسول ﷺ إليهم في طريق وعر غير طريقهم وتبرك ناقته ﷺ ويقول ﷺ : « حبسها حابس الفيل » . ويُقسم على تعظيم حرمة البيت وأهله . وترسل قريش « عروة بن مسعود » للمفاوضة ، ويرجع « عروة » ويحدّث قريشاً بما شاهد من تعظيم الصحابة للنبي ﷺ . ثم ترسل قريش « سهيل بن عمرو » ليكتب بينهم وبين المسلمين كتاب الصلح ، وتم ذلك على الشروط التالية : (١) مدة الصلح : ١٠ سنين لا إسلال فيها ولا إغلال (٢) من أحب أن يدخل في عقد قريش دخل فيه (٢) لا يأتي رجل إلى المسلمين ممن قد أسلم في مكة إلا ردوه إلى قريش ؛ ومن جاء من المسلمين مرتداً إلى مكّة لم تردّه قريش . ودخلت خزاعة في عقد المسلمين ، وبنو بكر في عقد قريش . ويغضب عمر (رضي الله عنه) غَيْرَةً على المسلمين ظناً منه أنهم يقبلون الدنية في دينهم في هذا الصلح . ويحاور النبيَّ ﷺ ثم أبا بكر ، كما يُصاب الأصحاب بالوجوم . ويقوم ﷺ بنحر بُدنه ويدعو حالقه ليتحلل من إحرام عمرته بسبب إحصاره ، ويقوم الصحابة إثر ذلك ينحرون ويتحللون . وتأتي النبيَّ ﷺ نسوةٌ مهاجرات بدينهن وتنزل فيهن آيات كريمة فلا يردهن ﷺ إلى الكفار . ويأخذ ﷺ على أصحابه (بعد إشاعة مقتل عثمان الذي أرسله سفيراً للمفاوضة مع قريش قبل عقد الصلح) بيعة الرضوان تحت شجرة ، ثم يبلغه بطلان تلك الإشاعة . ا هـ ملخصاً من فقه السيرة من ص ٢٥٢ حتى ٢٥٥ ثم ص ٣١٥ حتى ٣٢٠

قلت : ويعتبر صلح الحديبية هو الفتح المبين الذي تقدم فتح مكة ، والذي جاء ذكره مفصلاً في سورة الفتح . والغَدْر الذي يشير إليه الشيخ الدباغ قدس سره هو ظاهر في يوم الرجيع وبئر معونة وأما في صلح الحديبية فالغدر وقع عقبه حيث نكثت قريش عهدها بعد سنة ونيف شهراً وكان ذلك سبباً في فتح مكة .

حكاية واقعة

ثم **ذكر** رضي الله عنه : أن رجلاً من الجزائر سمع بوليّ في « فاس » ، ونقلت إليه عنه كرامات كثيرة فصوّره في نفسه في صورة شيخ كبير له هيبة عظيمة ؛ فارتحل إليه لينال من أسراره ، فلما وصل مدينة « فاس » سأل عن دار ذلك الوليّ فدُلَّ عليها ـ وكان يظن أن لذلك الولي بوّابين يقفون على باب داره ـ ؛ فدقّ الباب فخرج الوليّ ، فقال القاصد : ـ يا سيدي ـ أريد منكم أن تشاوروا عليّ سيّدي الشيخ ـ وظن أن الخارج إليه بوّاب ـ ؛ فقال له الوليّ : الذي قصدتَه من بلادك ، وسِرْتَ إليه مسيرة شهر أو أكثر ، هو أنا لا غير ؛ فقال : يا سيّدي ! أنا رجل غريب ، وجئتُ إلى الشيخ بشوق عظيم ، فدلَّني عليه ـ يرحمك الله ـ . وذلك أنه نظر إلى الوليّ ، فلم يجد عليه إشارةً ولا صورة عظيمة . فقال له الوليّ : يا مسكين أنا هو الذي تريد ؛ فقال القاصد : أنا أقول لكم إنّي غريب ، وطلبتُ منكم أن تدلّوني على الشيخ ، وأنتم تسخرون بي ؛ فقال له الوليّ : اللهُ بيننا إن سخرتُ بكم ؛ فقال له القاصد : اللهُ حسبك ؛ وانصرف . حيث وجده على غير الصورة التي صوّرها في فكره .

زَلّة خطيرة في كرامات الأولياء .

قلت : وكم واحدٍ سقط من هذا السبب ؛ فإنه إذا طالع الكتب المؤلفة في كرامات الأولياء صوَّرَ الوليّ على نحو ما سمع في تلك الكتب ؛ فإذا عَرَض تلك الصورة على أولياء زمانه ، شكّ فيهم أجمعين ، لِمَا يشاهد فيهم من الأوصاف ، التي لاتكتب في الكتب ؛ ولو أنّه شاهد الأولياء الذين دُوّنت كراماتهم قبل تدوينها ، لوجدَ فيهم من الأوصاف ماأنكره على أهل زمانه . وقد يبلغ الجهلُ بأقوامٍ[٥٤] إلى إنكار الولاية عن كلّ موجودٍ من أهل زمانهم ؛ لِمَا استحكم في عقولهم من حصر الولاية ، وتحقيقها بالضوابط ؛ فإذا نَزّل تلك الضوابط على موجودٍ من أهل زمانه وجَدَها لاتطابقه ؛ فينفي الولايةَ عنه ، ويصير حاصله أنه يؤمن بوليّ كليّ لا وجود له في الخارج ؛ ولم يدر أنّ (**الولاية** : هي مجرد اصطفاء من الله تعالى لعبده ؛ ولا يقدر على ضبطها مخلوق من المخلوقات) .

جهل أقوام

---

(٥٤) قلت : كما وقع لكثير من المسلمين اليوم ، ممن لم يأخذوا العلم عن أهله ، بل أخذوه من الكتب فقط ، أو أخذوه عن غير الثقات ، فَضَلّوا وأضلّوا ، ووقعوا بمثل ماوقع به مَن ذَكَرهم المؤلف رحمه الله تعالى .

حكاية واقعة

وقد (وقع) لبعض الفقهاء ـ من أهل العصر ـ معنا حكاية ، في هذا المعنى ، وذلك : أنه أتاني ببعض كتب القوم ؛ وهو يذكر فيه شروط الولاية ، وضوابطها ، وكيف ينبغي أن يكون الوليّ ، الذي يُشَيِّخ ؛ فقال لي : أردتُ منكم أن تسمعوا مني ماذكره في هذا الكتاب في الولاية وشروط الوليّ ، وقد فهمتُ إشارته وأنه أراد الإنكار على بعض من يشار إليه بالولاية . فأراد أن يقرأ عليّ مافي ذلك الكتاب ، فإذا سلّمتُه ، ألزمني بما في باطنه ، من الإنكار والاعتراض على أولياء الله عز وجل ؛ فقلت له : لاتقرأ عليّ مافي الكتاب حتى تجيبني عن سؤال ؛ فإذا أجبتني عنه فاقرأ علي[55] ماشئتَ . أخْبِرْني : هل مؤلّفُ هذا الكتابِ أحاط بخزائن الله وعطائه وملكه العظيم ؟ أو هو كما قال الخضر لموسى ـ عليهما السلام ـ : « مانقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور بنقرته من البحر » !! .

فإن قلتم : أحاط بملك الله ، وخزائنه ، فَقُولُوه حتى أسمعه منكم ؛ فقال الفقيه : معاذ الله أن نقول ذلك . وإن قلتم هو كما قال الخضر لموسى ـ عليهما السلام ـ ؛ فالسكوت خير له ؛ فإنّ مثاله كنملة ، لها غُوَير صغير ، تأوي إليه ، وتسكن فيه ؛ فخرجَتْ منه فوجدَتْ حبةَ قمح ففرحَتْ بها ، وأدخلتها إلى مسكنها ؛ وحملها الفرح على أن جعلت تصيح ، وتنادي : يا جميع النمل لا مأوى إلا عندي ، ولا خير إلا ماأنا فيه ؛ فقلت له : إنها تُتْعب حَلْقها ، وتوجع رأسها ، بلا فائدة ؛ فإن من عَلِم أنّ عِلْمَ موسى والخضر عليهما السلام[56] من علم الله كنقرة العصفور من البحر ، كيف يصحّ منه أن يقطع على المولى الكريم ، ويقول : إنه لايَرْحم هذا ، ولا يَفتح على هذا ، وليس هذا من الأولياء ، وضوابط الولاية لاتصدق على هذا ولا تطابقه ...!! ؛ وإذا كان الله تعالى يرحم العبد وهو على الكفر فيعطيه الإيمان ؛ ثم يَفْتح عليه من ساعته ، فأيُّ قاعدة تبقى للولاية حينئذ ؟ وإذا قيل لك عن السلطان ـ الحادث العاجز المُوَلّى على الناس ـ : إنه أغنى عبدَه الفلانيّ ، ومنع الحرّ الفلاني ، وخلع على اليهودي الفلانيّ كذا وكذا ؛ فإنك لاتستبعده ؛ لأنك تعتقد أنه

---

(٥٥) كذا في ظ ١ : وفي الحلبية وغيرها : فاقرأ ما ...

(٥٦) كذا في ظ ١ . وفي الحلبية وغيرها : فإنّ من علمه من علم الله كنقرة ...

لا منازع له في ملكه ؛ وإذا كنت تعتقد هذا في الملك الحادث ، فكيف تمنع الملك القديم ـ سبحانه ـ من ذلك بضوابطك وقواعدك ، وإنك تعتقد أنه : ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج:١٦] وأنه ﴿ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ [يوسف:٢١] .

فقال الفقيه : هذا الذي قلتم صوابٌ ـ والله إنه لحقّ ـ . وطوى كتابه ، وقال : إن قلنا : إن هؤلاء المؤلفين أحاطوا بعلم الله ؛ فبئس ماقلنا ؛ وإن قلنا : إنهم لم يحيطوا بالنزر منه ؛ فلا ينبغي لنا أن نحجّر على الله بقواعدهم ؛ فلو سكتوا لكان خيراً لهم ، والمهديّ من هداه الله » وكم من مهديّ هُديَ قبل أن تكون هذه القواعد والضوابط . والله الموفق .

مناظرة

و (وقعت) لي **مناظرة** أخرى مع بعض الفقراء[٥٧] المنتسبين إلى خدمة الصالحين ـ رضي الله عنهم ـ ، وذلك أني كنت أنا وهو نختلف إلى بعض الأولياء كثيراً ، فلما مات ذلك الوليّ ، جعلت أختلف إلى وليّ آخر ، وبقي هو في زاوية الأول ؛ فلقيني ذات يوم ، فقال : أردت نصيحتك يا فلان ..! ، فقلت : حباً وكرامة ، وعلى الرأس والعين ، ـ وقد فهمت مراده ـ ؛ فقال : إنك كنت أولاً مع سيّدي فلان ، وكانت ولايته لا يَشكّ فيها اثنان ، وقد ذهبتَ اليوم إلى غيره ، فأنت بمثابة من ترك الجواهر واليواقيت واستبدلها بالأحجار ..!! ؛ فقلت : أنت تتكلم عن

---

(٥٧) الفقراء : نسبة إلى الفقر . (في معراج التشوف إلى حقائق التصوف) الفقر : هو نفض اليد من الدنيا ، وصيانة القلب من إظهار الشكوى . ونعت الفقير الصادق ثلاثةٌ : ● صيانة فقره ● وحفظ سرّه ● وإقامة دينه .

قلت : والفقر هو شعار الصالحين : وحقيقته : التحقق بقوله تعالى : ﴿ ... أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ ﴾ [فاطر ١٥] . وقد أصبحت هذه التسمية علماً لكل من انتسب إلى العارفين بالله تعالى وسلك طريقهم . وهو هنا لا يعني ذلك تعطيل أسباب الحياة ومدّ يد السؤال إلى الناس . بل هو فقر إلى الله واستغناء به سبحانه عما سواه ، فلا اعتماد على مال أو جاه ، ولا على حسب أو نسب . والمعتمد عند القوم : أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر ، بل ويتقدم عليه في دخول الجنة بنصف يوم من أيام الآخرة . واختار النبي ﷺ أن يكون عبداً نبياً لا ملكاً نبياً : بعد أن عرض عليه أن تكون بطحاء مكة ذهباً فأباها . وقال في دعائه ـ فيما رواه الترمذي ـ : « اللهمّ أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين » . قال في كشف الخفا ٢٠٧/١ : ـ عن زكريا الأنصاري ـ معناه : طلب التواضع والخضوع ، وأن لا يكون من الجبابرة المتكبّرين والأغنياء المترفين .

بصيرة أو عن غير بصيرة ؟ فإن كان كلامك عن بصيرة فاذكرها لنا حتى نذكر لك ماعندنا ؛ وإن كان كلامك عن غير بصيرة فاذكر دليله : فقال لي : ظاهر مثل الشمس : فقلت له : فإن قال لك قائل : إنّ كلامك هذا يبعدك من الله ويقربك من الشيطان ..!! فقلتَ له : فما دليلك ؟ فقال لك : ظاهر مثل الشمس : فَبِمَ تجيبه ؟ فسكت ، ولم يدر مايقول ؛ ثم قلت له : إنّي فكرتُ في دليلك وجُلْتُ بخاطري في برهانك ، فلم أجد لك دليلاً إلا أمراً واحداً ؛ فقال لي : وما هو ؟ فقلت : إنك تزعم أنك شريك لله في ملكه ، بحيث لايعطي شيئاً ولا يفتح على عبد[58] إلا بإذنك ؛ والفتحَ على الرجل ـ الذي تنكر عليه ـ لم يقع بإذنك ولا يقدر الله تعالى على إعطائه إلا بإذنك ..!! ، فمن هذا الطريق يتهيأ لك الإنكار على عباد الله الصالحين ؛ ولو كنت تعتقد أن الله لاشريك له في ملكه ، ولا منازع له في عطائه ، لسلّمت لعباد الله ماأعطاهم ربّهم عز وجل من الخيرات ..!! : فقال الفقير : أنا تائب إلى الله تعالى !! : أنا تائب إلى الله تعالى !! ؛ أنا تائب إلى الله تعالى !!. الحقُّ ماتقول . والله مانحن إلا فُضوليّون ؛ وما كنا ننكر إلا بالباطل . والله الموفق .

☆ ☆ ☆

مبحث الولي المفتوح عليه وتقيده بالمذاهب

[١٣] و (اعلم) وَفّقَكَ الله : أنّ « الوليّ المفتوح عليه » يعرف الحقّ والصواب ؛ ولا يتقيد بمذهب من المذاهب . ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة . وكيف لا ...!؟ وهو الذي لايغيب عنه النبيّ ﷺ طرفة عين ، ولا يخرج عن مشاهدة الحقّ ـ جلّ جلاله ـ لحظة ، وحينئذ فهو العارف بمراد النبيّ ﷺ وبمراد الحقّ ـ جلّ جلاله ـ في أحكامه التكليفية وغيرها ؛ وإذا كان كذلك فهو حجّة على غيره ، وليس غيره حجةً عليه ؛ لأنه أقرب إلى الحقّ من غير المفتوح عليه ؛ وحينئذ فكيف يسوغ الإنكار على مَن هذه صفتُهُ ويقال : إنّه خالف

---

(٥٨) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والأزهرية : ولا يفتح علي إلاّ ... ؛ وفي الحلبية : ولا يفتح عليّ شيء إلا ...

مذهب فلان في كُذا ؟!!. إذا سمعتَ هـذا فمن أراد أن ينكر على الوليّ المفتوح عليـه لا يخلو :

وجـوه الإنكار على الأولياء

إمّا أن يكون جاهلاً بالشريعة ـ كما هو الواقع غالباً من أهل الإنكار ـ ؛ وهـذا لا يليق به الإنكار ؛ والأعمى لا ينكر على البصير أبداً ؛ فـاشتغـال هـذا بزوال جهلـه أولى به .

وإما : أن يكون عالماً بمذهب من مذاهبها جـاهلاً بغيره ؛ وهـذا لا يصحّ منـه إنكار ، إلا إن كان يعتقد أنّ الحقّ مقصور على مذهبه ، ولا يتجـاوزه لغيره ؛ وهـذا الاعتقاد لم يَصِر إليه أحد من المصوِّبة ولا من المخطِّئة .

أمّا المُصَوِّبة : فإنهم يعتقدون الحقّ في كلّ مذهب ؛ فهي كلّها ـ عنـدهم ـ على صواب ، وحكم الله ـ عندهم ـ يتعدد بحسب ظنّ المجتهد ، فمن ظنّ الحرمـة في نـازلـة فهي حكم الله في حقّه ؛ ومن ظن الحِلِّيّةَ فيها بعينها فهي حكم الله في حقّه . ● وأمـا المُخَطِّئة : فحكم الله عندهم واحد لا يتعدد ، ومُصيبُـهُ واحـد ، ولكنهم لا يحْصُرونـه في مذهب بعينه ، بل يكون الحقّ في نازلةٍ هو ماذهب إليه إمام ؛ وفي نـازلـة أخرى ماذهب إليه غيره . فاشتغال هذا المنكر بزوال هذا الاعتقاد الفاسد أولى به .

حكـم الله في المسألة .

وإمّا أن يكون عالماً بالمذاهب الأربعة ؛ وهذا لا يتأتى منـه الإنكار أيضـاً ، إلاّ إذا كان يعتقـد نفي الحـقّ عن غيرهـا من مـذاهب العلمـاء ، كـمذهب الثـوري والأوزاعي ، وعطـاء[٥٩] وابن جُرَيْـج[٦٠] وعكرمـة ، ومجـاهـد ومعمر وعبـد الرزاق

(٥٩) عطاء بن أبي رباح (.. ـ ١١٥ هـ) : كان عبداً حبشياً ، مولى لأبي ميسرة الفهريّ . نشأ بمكة . وحج سبعين حجةً . هو من قراء التابعين بمكة . كان يعلّم الأكابر العلم وجاءه سليمان بن عبد الملك فجلس بين يديه فعلمه مناسك الحج ثم التفت إلى أولاده وقال : تعلموا العلم فإني لاأنسى ذلّنا بين يدي هـذا العبـد الأسود . كان يقـول : من جلس مجلس ذكر كفّر الله تعالى عنـه بـذلـك المجلس عشرة مجـالس من مجـالس البـاطـل . ا هـ الطبقات ٣٩/١ .

(٦٠) ابن جريج (٨٠ ـ ١٥٠ هـ) : هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم : دوميّ الأصل : مكيّ ثقة . فقيه فاضل . إمام أهل الحجاز عصره . أول من صنّف بمكة . كان ثبتاً لكنـه يـدلّس ويرسل . من الطبقة السادسة للحفاظ . ولد وتوفي بمكة . ا هـ تقريب التهذيب .

والبخاري ومسلم ، وابن جرير وابن خزيمة ، وابن المنذر وطاوس[٦١] والنخعي[٦٢] ، وقتادة[٦٣] ، وغيرهم من التابعين ، وأتباعهم من مذاهب الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ . وهذا اعتقاد فاسد ، فاشتغاله بدوائه أولى من اشتغاله بالإنكار على أولياء الله المفتوح عليهم . وإذا وصلت إلى هنا علمت أنه لا يسوغ الإنكار على الحقيقة إلا ممن أحاط بالشريعة ؛ ولا يحيط بها إلا النبيّ ﷺ والكملُ من ورثته ، كالأغواث في كلّ زمان ـ رضي الله عنهم ـ . **أما** غيرهم فسكوتهم خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون . وكلامنا في الإنكار على أهل الحقّ من أهل الفتح . **وأما** أهل الظلام والضلال فلا تخفى أحوالهم على من مارسهم .

المُنكِر على الأولياء يجب أن يحيط بالشريعة .

وقد (استأذن) بعضُ الناس شيخَه في الإنكار على الأولياء أهلِ الحق من أهل الفتح : وقال له : يا سيدي ، لاأنكر عليهم إلا بميزان الشريعة ؛ فمن وجدته مستقيماً سلّمت له ، ومن وجدته مائلاً أنكرت عليه ؛ فقال له شيخه : أخاف أن لاتكون

فائدة مهمة جداً .

(٦١) **طاوس** (٣٣ ـ ١٠٦ هـ) : ابن كيسان اليماني التابعي ، أبو عبد الرحمن ، أصله من الفرس ، سكن مدينة الجند ، وتردد إلى صنعاء ، أدرك (٥٠) من أصحاب رسول الله ﷺ وكان ابن عباس إذا ذكره قال : ذاك عالم اليمن . صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ؛ وحج أربعين حجة . توفي بمكة . اهـ . الأعلام . وفي الإتقان : عُدّ من قراء التابعين بعد عطاء بن أبي رباح .

(٦٢) **النخعي** (.. ـ ٦٢ هـ) : هو علقمة بن قيس ، أبو شبل النخعي الفقيه الكبير عمّ الأسود بن يزيد النخعي وخال إبراهيم النخعي . ولد في حياة رسول الله ﷺ وأخذ القرآن عرضاً عن ابن مسعود ، وسمع من علي وعمر وأبي الدرداء وعائشة . كان أشبه الناس بابن مسعود سمتاً وهدياً وعلماً . من أحسن الناس صوتاً بالقرآن . قال له ابن مسعود : « لو رآك رسول الله [ﷺ] لسرّ بك » . ا هـ من الحلية ، النشر ، الأعلام وغيرها .
قال في تقريب التهذيب : إذا أطلق فهو [أي المراد به] إبراهيم بن يزيد . وزاد في « الأعلام » : ابن قيس بن الأسود ، أبو عمران النخعي ، من مذحج ، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث ، ومجتهد من أهل الكوفة . ولد (٤٦ هـ) وتوفي (٩٦ هـ) مختفياً من الحجاج . **قلت** : ولعله هو المراد به هنا .

(٦٣) **قتادة** (٦١ ـ ١١٧ هـ) : هو أبو الخطاب السدوسيّ البصريّ الأعمى المفسر ، أحد الأئمة في حروف القرآن وله اختيار . روى القراءة عن أبي العالية الرياحي وأنس بن مالك وروى عنه جماعة . يُضرب بحفظه المثل . قيل : كان يرى القدر ، وقد يُدلّس . مات بواسط . من أقواله : يستحب أن لاتقرأ أحاديث رسول الله ﷺ إلا على طهارة ، روى حديثاً عن أنس بن مالك : « كان ﷺ إذا نامَ تَوَسَّدَ يَمِينَهُ ثُمَّ قالَ رَبِّ قِنِي عذابَكَ يومَ تبعثُ عِبَادَكَ » . ا هـ الحلية ، الأعلام ، النشر وغيرها .

عندك الصنوج كلها التي يوزن بها ، وإذا كان عندك بعض الصنوج دون بعض فلا يصح ميزانك . - يشير إلى ماسبق من كونه ينكر وهو جاهل - .

مسألة في سجود السهو.

وقد (حضرتُ) لبعض الناس - وكانت له فطانة وحذاقة - ، فسمع سائلاً يسأل ولياً مفتوحاً عليه عن السورة التي بعد أمّ القرآن إذا نسيها المصلي وترتب السجود القبلي عليه ثم نسيه فلم يفعله حتى سلّم وطال الحال . هل تبطل الصلاة بترك السجود القَبْلي ؟ بناء على أن في السورة ثلاث سنن . أَوْ لا ؟ بناء على أنه ليس فيها ثلاثُ سنن ؟ وقد ذهب إلى الأول الشيخ الحطّاب وغيره ، وإلى الثاني شُرّاح الرسالة . وطَلَب السائل من هذا الوليّ المفتوح عليه أن يعين له الحق عند الله تعالى ؛ فأجابه الوليّ سريعاً : الحقُّ عند الله تعالى ، هو أن **السورة لا يوجب نسيانُها سجوداً أصلاً ، ومن سجد لها بطلت صلاته** . وكان الوليّ المفتوح عليه عاميّاً أمياً ، وكان السائل يعرفه ويعرف ارتقاء درجته في الفتح ؛ فلما سمع جوابه علم أنه الحقّ الذي لاريب فيه . وأما الذي له حذاقةٌ وفطانة فدخله شك وارتياب ، فقال للسائل - بعد أن قاما عن الوليّ - : إن هذا الرجل - يعني الوليّ - جاهل ، لايعرف شيئاً ؛ انظر كيف جهل حكم الله في هذه المسألة الظاهرة ، وقال : إن تارك السورة لا سجود عليه ؛ وقد عدها ابن رشد في السنن المؤكدة ، كما عدّ فيها الجهر والسرّ . فأجابه السائل : بأن الوليّ المفتوح عليه لا يتقيد بمذهب ، بل يدور مع الحقّ أينما دار ، فقال الذي له حذاقة - وكان من طلبة العلم - : نحن لانتجاوز أقوالَ إمامنا « مالك » . فأجابه السائل : بأنّ هذا الذي قاله الوليّ المفتوح عليه قد رواه « أشهب » عن « مالك » ، كما نقله في التوضيح ، فروى عن الإمام أن السورة مستحبة وليست بسنة ؛ ثم هو « مذهب الشافعي » - رضي الله عنه - فعنده أن السورة من الهيئات التحسينية ، وليست من السنن ؛ ومن سجد لها بطلت صلاته . ثم سؤالنا للوليّ إنما كان عن تعيين الحق من غير تقييد ، ولم يكن عن خصوص المشهور من مذهب مالك ، وقد عَيّنَ ماسألناه عنه ، ووافق ذلك روايةً عن مالك ، وهي مذهب الشافعي - رضي الله عنهما - ؛ فأيُّ تَبعةٍ بقيت على الوليّ في جوابه ؟ فلما قال السائل هذا القول ، وسمعه الذي له حذاقةٌ انقطع ، ولم يَدرِ مايقول . قلت : وهذه طريقة المنكرين وعادتهم ، لاتجد معهم إلا التقصير التام .

واقعة

مناظرة المؤلف مع فقهاء من مشايخه حول حقيقة الشيخ الدباغ رضي الله عنه وردّ الإنكار عليه.

وقد (وقع) لبعض أكابر الفقهاء - من أشياخنا رضي الله عنهم - كلام معي في هذا المعنى ، فقال لي يوماً : يا فلان إني أردت نصيحتك لمحبتي فيك وتمام مودتي إليك ، فقلت : يا سيدي حباً وكرامة وعلى الرأس والعين . فقال لي [الفقيه] رضي الله عنه : إن الناس على طرف ، وأنت وحدك على طرف ، في رجل عَلِمْتَ كشفَه وولايتَه ؛ الناسُ فيه على الانتقاد ، وأنت على الاعتقاد ، ومن المحال أن تكون وحدك على الحقّ ؛ وذكر كلاماً من هذا المعنى ، هذه زبدته .

فقلت : يا سيدي ! من تمام نصيحتك لي أن تجيبني عمّا أذكره لك ؛ فإن أجبتني عنه تمّت النصيحة ، وكان أجرك على الله . فقال لي [الفقيه] رضي الله عنه : اذكر ماشئت . فقلت : يا سيدي ! ألقيتُم الرجل ، وسمعتم كلامه ، وتباحثتم معه في أمر من الأمور ، حتى ظهر لكم ماعليه الناس فيه ؟ فقال لي : مالقيته قطّ ، ولا رأيته أصلاً ...! . فقلت له - وقد طرحتُ الحياء والحشمة لما بيني وبينه من الألفة والمودّة - : يا سيدي ! ماظهر لي فيكم إلا أنكم عكستم الصواب ، وطلبتم اليقين في باب الظن ، الذي لايمكن فيه اليقين ؛ واكتفيتم في باب اليقين بالظنّ ، بل بالشك ، بل بالإفك والأباطيل . فقال لي [الفقيه] رضي الله عنه : فَسِّر لي مرادك بهذا الكلام ...!؟

فقلت له : إنكم إذا أخذتم في تدريس الفقه ، ونُقِل لكم كلام عن « المُدَوَّنة » أو « تبصرة » اللخمي[٦٤] أو « بيان » ابن رشد[٦٥] أو « جواهر » ابن شاس[٦٦] ، ونحوها

(٦٤) اللخمي (.. - ٤٧٨ هـ) : علي بن محمد الربعي أبو الحسن ، المعروف باللخمي . فقيه مالكيّ له معرفة بالأدب والحديث . قيرواني الأصل . نزل سفاقس وتوفي بها . صنف كتباً مفيدة ، من أحسنها : تعليق كبير على المدونة في الفقه المالكي سماه « التبصرة » أورد فيها آراء خرج بها عن المذهب . ا هـ الأعلام .

(٦٥) ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) : محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي ، أبو الوليد ، الفيلسوف . من قرطبة عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية وزاد عليه . صنف نحو (٥٠) كتاباً ، عدّ منها في الأعلام (١٦) ، وهي في عدة فنون . اتهم بالزندقة فنفي إلى مراكش ، وبها توفي ، ثم نقلت جثته إلى قرطبة . قلت : له مراسلات مع الشيخ الأكبر الحاتمي . وردّ عليه الإمام الغزالي في بعض آراء فلسفية فاسدة في كتابه تهافت الفلاسفة . وردّ ابن رشد بعض ذلك في كتابه تهافت التهافت. قلت: هذا هو جد ابن رشد الفقيه صاحب البيان (المذكور أعلاه)، ترجمه في الأعلام.

(٦٦) ابن شاس (.. - ٦١٦ هـ) : هو عبد الله بن محمد بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المصري ، المنعوت بـ (الجلال) شيخ المالكية في عصره بمصر ، من دمياط وبها توفي شهيداً مجاهداً . له « الجواهر الثمينة » في فقه المالكية . ا هـ من هدية العارفين ٤٥٩/١ ، وفيات الأعيان ٢٦٢/٢ ، الذخيرة السنية ٥٦ .

من دواوين الفقـه ؛ وأمكنكم مراجعـة هـذه الأصول ، فـإنكم لاتثقون بنقل الواسطـة حتى تنظروهـا بـأنفسكم ، ولـو كانت الـواسطـة مثـل ابن مرزوق[٦٧] والحطّـاب والتوضيح ونحوهم ؛ فهذا باب الظنّ وكأنكم تطلبون فيـه اليقين ؛ حتى لم تكتفوا فيـه بنقل العدول الثقات الأثبـات ، حتى بـاشرتم الأمر بـأنفسكم ؛ ولا يمكنكم اليقين فيـه أبداً ؛ وإنما عارضتم ظناً أقوى بظنّ أضعف منه ، فإنّ نقل الواسطة السابقة أقرب إلى الصواب ، من جهةٍ (١) قرب زمانها إلى مؤلفي الكتب الستة ، فإنهم أقرب إليهم منّا بلا ريب . ومن جهـةٍ (٢) أنّ النّسَخ التي عنـد الواسطـة من هـذه الأصـول مرويّـة بطريق من طرق الروايات ، وأما نحن فلا رواية عنـدنـا فيهـا ، ولا نُسَخ صحيحـة منهـا ، فمن الجـائز أن تكـون نسختكم منهـا زادت أو نقصت . فبـأي يقين تَرُدُّ نقـل الحَطّاب عنها ؟ مع وجود هذين الأمرين فيه وفقدهما فيك ، [☆]وأمـا أنكم « اكتفيتم بالظّنّ في باب اليقين الذي يمكن فيه » ، فإنّ هذا الرجل الذي بلغك عنه مـابلغـك موجود حيّ حاضر معك في المـدينـة ليس بينـك وبينـه مسـافـة ؛ ومعرفتُـه سعـادة لا شقاء بعدها ؛ إن وفق الله لمحبته وإلقاء القيـاد إليـه ؛ وقـد أمكنـك الوصول إليـه حتى تَعتقد فتَسعد وتربح ، أو تَنْتقد فترجع ، ويحصل لـك اليقين بـأحـد الأمرين ، وتزول ظلمـة الشـكّ من قلبـك . ثم إنـك قنعت في هـذا الأمر الرابح والخير الراجـح الذي نَفْعه محقق ، وصاحبه موفق بنقل الفسقـة والكَـذَبـة ، وكان من عـادتـك أنـك لاتقنع في باب الظنّ والنفع القليل بنقل الثقات الأثبات حتى تباشر الأمر بنفسك ، فهلاّ جريت على ذلك في هذا الباب الذي هو باب اليقين ، والنفع الذي هو سعـادة محضة . أليـس هذا منكم - رضي الله عنكم - عكساً للصواب ؟.

فقال [الفقيه] رضي الله عنـه : قَطَعْتني بـالحجـة ، واللهِ لا يمكنني الجواب عن هذا أبداً ، واشهـد عليّ بـأنّي تـائب إلى الله عز وجل . ثم قلت للشيخ المـذكور : إن

(٦٧) أبو عمرو بن مرزوق القرشي (٤٩٣ - ٥٦٤ هـ) : دفن بقرافة مصر شرقي الإمام الشافعي . هو من أكابر علماء مصر . كان يفتي على مذهب الإمام أحمد . من أقواله : جميع المخلوقات من الذرّة إلى العرش طرقٌ موصلة إلى معرفته ، وحججٌ بالغة على أزليته ؛ والكون جميعه ألسنٌ ناطقة بوحدانيته ؛ والعالم كله كتاب يقرأ حروفه المبصرون على قدر بصائرهم . ا هـ من الطبقات .

(☆) كذا في ظ ١ . وفي الحلبية : أو أما . قلت : هو تصحيف .

كان ولا بد لكم من التقليد فَقَلِّدْني لأمرين : ● أحدهما أنك تعلم بصيرتي في الأشياء ● ثانيهما أنك تعلم أني خالطت الرجل المذكور سنين كثيرة حتى علمتُ منه مالم يعلمه غيري ؛ وأما هؤلاء الكذبة الفسقة فأكثرهم لم يلقه مثلكم ، وإنما اعتمادهم على التسامع[٦٨] الذي لا أصل له ، وسببه : الحرمان والخذلان ، نسأل الله التوفيق بمَنّه وفضله وكرمه . فقال [الفقيه] رضي الله عنه : مابقي مما تقول شيء آخر .

ثم (لَقِيَني) فقيه آخر ، من أشياخ الفقيه المتقدم ، فقال لي : ذَكَر لي عنكم فُلانٌ حُجةً قاطعة لكل منازع . ثم التَفَتَ إلى الفقيه المذكور ، فقال : ألم تخبرني بأن فلاناً قال لك : كيت وكيت ؟ فقال : نعم . ثم قالا معاً : بهذا الكلام قطعتَ ظَهرنا .

قلتُ : وهذان الفقيهان هما رأس الطبقة من أهل العصر ، بحيث إنها لا يجاريها أحد في وقتها ؛ وأما مَن دونها من أهل الإنكار ، فأكثرهم يعتمدون على التسامع ، الذي لا أصل له كما سبق ؛ وأكيسُهم الذي يعتمد في إنكاره على قوله : كنا نعرف سيّدي فلاناً ، ولم يكن هكذا ـ يعني أن الرجل المنكَرَ عليه لم يكن كسيدي فلان ـ . ولم يَدْرِ أن الزهر ألوان والنخلَ : ﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد:٤] .

اختلاف الأولياء في مقاماتهم وأحوالهم .

ـ وقد دخلت مع الشيخ رضي الله عنه إلى بستان في فصل الربيع ، فنظر إلى اختلاف أزهاره وأنواره ساعة ، ثم رفع رأسه إليّ ، وقال : من أراد أن يعرف اختلافَ الأولياء وتباينهم في المقامات والأحوال ، ـ مع كونهم على هدى وصواب ـ وحلاوتَهم في قلوب الناس ، فلينظرْ إلى اختلاف هذه الأنوار والأزهار ، مع حلاوتها في القلوب ؛ فإن كان قوله : إن سيّدي فلاناً الذي عرفناه لم يكن هكذا ـ حصراً لرحمة الله في الوليّ الذي عَرَفَه ـ فقد حَجَّر واسعاً . ولما قال الأعرابي ـ الذي

---

(٦٨) التسامع: هو النقل سماعاً من الناس دون معاينة . وهو غير مقبول سماعاً إلا في بعض مسائل منها : ثبوت النسب والزوجيّة والوقف فتثبت بها شهادة الأعمى وغيره . ا هـ مذاكرة مع شيخنا محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله تعالى وكذا في حاشية ابن عابدين .

بـال في المسجـد ـ : اللّهم ارحمني وارحم محمّـداً ولا ترحم معنـا أحـداً ؛ قـال لـه النبي ﷺ : « لَقَـدْ حَجَّرْت وَاسِعاً »[69] . وإن كان قولـه : ذلـك ظنّاً منـه أن كلّ مرحوم لا يكون إلا مثل الوليّ الـذي عرفـه . فقـد سبق أنّهم ـ رضي الله عنهم ـ على أصناف شتى ؛ وأيضاً فهو مشتَرَك الإلزام ، فـإنّ هـذا الاعتراض لازم في الوليّ الـذي عرفه ، فإنّه لم يكن مثل الوليّ الـذي كان قبلـه[70] ؛ فـإن اعترض على الثـالث بـأنّـه ليس مثلَ الثاني ، اعترض على الثاني بأنه ليس مثلَ الأول الذي كان قبله .

ـ وإنما أطلتُ الكلام في هذا البابِ ، وذكرتُ هذه المنـاظراتِ التي وقعت لنـا مع الفقهاء ـ رضي الله عنهم ـ ، حرصاً على وصول الخير إلى طـائفـة الفقهـاء وطَلَبـة العلم ، ومحبةً فيهم ، ونصيحةً لهم ؛ فإنّهم ابتُلُوا بالإنكار على السادات الأبرار الأخيـار الأطهار في سائر القرون والأعصار ، وفي جميع البوادي والقرى والأمصـار ، وإنكارهم لا يَخرجُ عن هـذا الـذي ذكرنـاه في هـذا البـاب ؛ فمن كان منهم منصفاً ، وتـأمّـل مـاسطرنـاه فيـه رجع وظهر لـه الحـقّ ، ولاح لـه وجـه الصـواب . وكثيراً مـا كنت أتعرض لمناظرة الفقهاء في هذا البـاب ، ظنّـاً مني أنّهم يعتمـدون في إنكارهم على أمور صحيحـة ، فلمـا اختبرتهم وجـدتُ الأمر على مـا وصفت لـك . والله الهـادي إلى الصـواب ، لا رَبَّ غيرُه ، ولا خيرَ إلا خيرُه : ﴿ عَلَيْـهِ تَـوَكَّلْتُ وَإِلَيْـهِ أُنِيبُ ﴾ [هود ٨٨ والشورى ١٠] .

أدب النظر إلى الوليّ .

مطلب هام

أسباب ظهور المخالفات على ظاهر الوليّ .

[١٤] و (سمعته) رضي الله عنـه يقـول : لا ينبغي أن ينظر إلى ظـاهر الوليّ ويُوزَن عليـه ، فيخسرَ الوازنُ دنيـا وأخرى ؛ فـإنّ في بـاطن الـوليّ العجـائبَ والغرائب ، وما مثاله إلا كخيشة[71] صوف في وسطها خيشة[71] حرير ، لا تظهر إلا في الآخرة ؛ وغير الوليّ بالعكس : خيشة حرير في وسطهـا خيشـة صوف ـ والعيـاذ بالله ـ .

---

(٦٩) رواه البخاري ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد بلفظ تحجّرت .

(٧٠) في ظ ١ : فإن لم يكن ...

(٧١) في بولاق وغيرها : كخيسة ـ أي بالسين ـ وهو تصحيف لعل الصواب هو بالشين .

ولنثبت أسباباً كثيرة في ظهور المخالفات على ظاهر الوليّ سمعناها من الشيخ رضي الله عنه مفرّقة فنجمعها هنا ، فنقول :

حكاية

(سمعته) رضي الله عنه يقول : كان لبعض الأولياء الصدّيقين مريدٌ صادق ، فكان يحبه كثيراً ؛ وأطلعه الله على أسرار ولايته ، حتى أفرط في محبته ، وكاد يتجاوز بشيخه إلى مقام النبوّة ، فأظهر الله على الشيخ صورةَ معصية الزنا رحمةً بالمريد المذكور . فلمّا رآه رجع عن ذلك الإفراط في الاعتقاد ، ونَزَّل شيخه منزلته ، ففتح الله حينئذ على المريد . قال رضي الله عنه : ولو دام على اعتقاده الأول لكان من جملة الكافرين المارقين ، ـ نسأل الله السلامة ـ .

ظهور المعصية لرحمة المريد .

قال رضي الله عنه : وهذا أحد الأسرار في الأمور التي كانت تظهر على النبيّ ﷺ من نحو قوله في قضية تأبير النخل : « لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَتْ »[٧٢] ثمّ تركوا التأبير فجاءت الثمر شيصاً ـ أي غير صالحة ـ .

مسألة تأبير النخل .

ومن نحو قوله ﷺ : « رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنَّا نَدْخُلُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ وَمُقَصِّرِينَ »[٧٣] . ثم خرج عليه الصلاة والسلام مع أصحابه الكرام رضي الله عنهم ، فصدّهم المشركون ولم يدخلوا إلا في عام آخر ، ونحو ذلك ، فَفَعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمور مع نبيّه الكريم ، لئلا يعتقد الصحابة فيه الألوهية ، ولذا قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص:٥٦] . وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨] . ونحو ذلك . فإنّ المقصود من ذلك كلّه هو الجمع على الله سبحانه . والله أعلم .

رؤيا دخول المسجد الحرام .

و (سمعته) رضي الله عنه يقول : إن الوليّ الكامل يتلوّن على قلوب القاصدين ونيّاتهم . فمن صفت نيّته رآه في عين الكمال ، وظهر له منه الخوارق ، وما يَسُرّه ؛ ومن خَبثت نيّته كان على الضدّ من ذلك ؛ وفي الحقيقة : ما ظهر لكلّ

تلون الولي الكامل .

---

(٧٢) الحديث تقدم ٢٠٧/١ رواه مسلم .

(٧٣) لم أجده باللفظ في كتب الحديث إنّما بالمعنى في تفسير سورة الفتح ، وفي السيرة عند غزوة الحديبية .

واحد إلا ما في باطنه من حسن وقبح . **والوليّ بمنزلة المرآة التي تنجلي فيها الصور الحسنة والصور القبيحة** ؛ فمن ظهر له من وليّ كمال ودلالة على الله فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن ظهر له غيرُ ذلك فليرجع على نفسه .

افتتان الناس وصورة من تستّر الوليّ.

قال رضي الله عنه : وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالوليّ ، سخره[٧٣] الحقّ فيا هم فيه من قبح ومخالفة ، فيظنّون أنّه على شاكلتهم ؛ وليس كذلك ؛ حتى إنّه يُتَصور في طور الولاية أن يقعد الوليّ مع قوم يشربون الخمرَ ، وهو يشرب معهم ؛ فيظنون أنّه شارب الخمر ؛ وإنما تصوّرت روحه في صورة من الصور ، وأظهرت ماأظهرت ؛ وفي الحقيقة لاشيء ، وإنما هو ظِلّ ذاته ، تحرّك فيا تحركوا فيه ، مثلَ الصورة التي تظهر في المرآة ، فإنّك إذا أخذتَ في الكلام تكلّمَتْ وإذا أخذتَ في الأكل أكلَتْ ، وإذا أخذت في الشرب شربَتْ ، وإذا أخذتَ في الضحك ضحكَتْ ، وإذا أخذتَ في الحركة تحركَتْ ؛ وتحاكيكَ في كلّ ما يصدر منك ، وفي الحقيقة لم يصدر منها أكل ولا غيره ، لأنها ظِلّ ذاتك وليست الحقيقة . **فإذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الوليّ معهم بظلّ ذاته** وجعل يرتكب ما يرتكبون . والله الموفق .

أقسام القاصدين إلى الأولياء أربعة.

و (**سمعته**) رضي الله عنه يقول : إن **الوليّ إنّما يَعتبرُ من القاصدين إليه باطنَهم** ، وأمّا ظاهرهم فلا عبرة به عنده . و (القاصدون) على أربعة أقسام : ● **قسم** : يستوي ظاهره وباطنه في الاعتقاد . وهذا أسعدهم . ● **وقسم** : يستوي ظاهره وباطنه في الانتقاد . وهذا أبعدهم . ● **وقسم** : ظاهره معتقد وباطنه منتقد . وهذا أضرّ الأقسام على الوليّ ، كالمنافق بالنسبة إلى النبيّ ﷺ ؛ لأنّه إذا نظر إلى ظاهره ويريد نفعَه منعه الباطن ، وإذا أراد البعد منه حيث ينظر إلى باطنه ، أطمعَه ظاهره .

من خصائص الولاية

قال رضي الله عنه : **والوليّ يسمع كلام الباطن** كما يسمع كلام الظاهر ؛ فيكون هذا القسم عنده ، بمثابة من جلس إليه رجلان ، أحدهما في جوف الآخر ، فيقول الرجل الظاهر : أنت سيدي ، وأنا عند أمرك ونهيك ، وعلى طاعتك وتسييرك ؛ ويقول الذي في الجوف : أنت لست بوليّ ؛ والناس أخطؤوا فيا

(٧٣) كذا في ظ ا . وفي الحلية وغيرها : سخرهم . قلت : هو تصحيف والصواب ماأثبتنا .

يظنّون فيك ؛ وأنا على شكّ في أمرك ، وفيما يقول الناس فيك ؛ ونحو هذا . فالجاهل الذي لا يعرف الباطن يستوي في نظره هذا القسم والقسم الأول ؛ فإذا رأى القسم الأول ربح ـ وحصل له الخير الكثير من الوليّ ـ ، قال في نفسه : ولِمَ لم يربح القسم الثالث ؟ مع أنه يتأدب ، ويخدم بنفسه ، ويقف عند الأمر والنهي كالأول ؛ فيقول في نفسه : لعل الخلل والنقصان من الوليّ ، فيكون هذا باباً واسعاً للكلام في الأشياخ ، ودخول الوسوسة فيهم .

● وأما القسم الرابع وهو ما يكون باطنه معتقداً وظاهره منتقداً ، فلا يتصور إلا مع الحسد . نسأل الله السلامة والعافية بمَنّه وكرمه آمين .

العلوم التي تبرز من الوليّ .

وسألته رضي الله عنه يوماً ، فقلت له : هذه العلوم التي تبرز منكم وتتكلمون بها ، هل تحتاجون فيها إلى قصد واستعمال ؛ أم لا ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : إن **الوليّ الكامل غائب في مشاهدة الحقّ** ـ سبحانه وتعالى ـ لا يُحجب عنه طرفة عين ؛ **وظاهره مع الخلق** ، فيستعملُ الحقُّ سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ما سبق لهم في القسمة ؛ فمن قَسم له منه رحمةً أطلق عليه ذلك الظاهر ، وأنطقه بالعلوم ، وأظهر له ما لا يكيف من الخيرات ؛ ومن أراد به سوءاً ، ولم يَقْسِم له على يده[٧٣] شيئاً ، أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف . قال رضي الله عنه : وما مَثَلُ الوليّ مع القاصدين إلا كحَجَر بني إسرائيل[٧٤] ؛ فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ؛ وإذا كان بين أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة .

ضرب مثال

قلت : وقد شاهدتُ هذا المعنى في الشيخ ـ رضي الله عنه ـ مراراً ، فإذا حضر بين يديه بعضُ من لا يعتقده لا تخرج منه ولا فائدة واحدة ؛ ولا يقدر على التكلم بشيء من العلوم اللدنيّة ، والمعارف الربانية ، حتى يقوم ذلك الشخص ، ويوصينا

---

(٧٣) الضمير يعود على الوليّ .

(٧٤) انظر تفسير ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر ... ﴾ [البقرة:٦٠] .

ويقول : إذا حضرٌ مثل هذا الرجل فلا تسألوني عن شيء ، حتى يقوم . وكنا قبل الوصية جاهلين بهذا الأمر ، فنسأل الشيخ ونريد أن نستخرج منه النفائس والأسرار الربانية كي يسمعها الرجل الحاضر فيتوب ، فإذا سألناه ـ رضي الله عنه ـ حينئذ وجدناه كأنه رجل آخر لانعرفه ولا يعرفنا ، وكأن العلوم التي تبدو منه لم تكن له على بال أبداً ؛ حتى ذَكَر لنا السبب ففهمنا السرّ ؛ والحمد لله رب العالمين .

سبب معصية الوليّ فيما يظهر للناس .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إنّ **الوليّ الكبير** ـ فيما يظهر للناس ـ **يعصي وهو ليس بعاص** ، وإنما روحه حَجبَتْ ذاته فظهرت في صورتها ؛ فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية ، لأنها إذا أكلت حراماً ـ مثلاً ـ فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت . **وسبب** هذه المعصية الظاهرية شقاوة الحاضرين ـ والعياذ بالله تعالى ـ ، فإذا رأيتَ الوليّ الكبير ظهرت عليه (كرامةٌ) فاشهدْ للحاضرين بأن الله تعالى أراد بهم الخير ؛ أو (معصيةٌ) فاشهد بشقاوتهم . وكما أن أرواحهم هي التي تتولى كراماتِهم ، كذلك هي التي تتولى معاصيهم الظاهرة . والله أعلم .

قاعدة فقهية :

و (سمعته) رضي الله عنه يقول : إن **الوليّ قد يغلب عليه الشهود فيخاف على ذاته الترابية** من التلاشي **فيستعمل أموراً تردّه إلى حسّه** ، وإن[٧٥] كان فيها مايعاب عليه من باب : « **إذا التقى ضَرَران ارتُكِب أخفُّها** » ، فإذا رآه شخص ارتكب ذلك الأمر ، ولا يعلم الوجه الذي ارتكبه لأجله ، ربما بادر إلى الإنكار عليه فيُحرم بركته . وقد تقرر في الشرع ـ أي في الشريعة المطهرة ـ : أن العضو إذا أصابته الأَكَلَة ، وخيف على الذات منها ، فإنه يباح قطعه لتسلَمَ الذاتُ ؛ مع أن العضوَ معصومٌ ؛ ولكنه من باب : إذا التقى ضرران ارتُكب أخفهما . وكذلك الشخص إذا خاف على نفسه الهلاك من شدة الجوع فإنه يباح له أكلُ المَيْتة ، حتى يشبع[٧٦] ويتزود منها ؛ وغير ذلك من الفروع الداخلة تحت هذه القاعدة . وهذه الأمور ـ الذي تَرُدّ ذاتَ الوليّ إلى حسّها ـ هي

غلبة الشهود على الولي واستعماله مايرده إلى حسه .

---

(٧٥) إنْ : وصلية .

(٧٦) قلت : ومذهب الحنفية يأكل بقدر مايدفع عنه الهلاك فلا يتزود ولا يشبع منها .

المعتـادة لها قبل الفتح ؛ وكلٌّ ذات ومـا اعتـادت . فـافهم بـالإشـارة ففي التفصيـل والتصريح وحشة . والله أعلم .

انكشـــاف العورة .

و (سمعته) رضي الله عنه يقول : إن غير الوليّ إذا انكشفت عورتـه نفرت منه الملائكة الكرام ؛ لأن الحياء يغلب عليهم ؛ والمراد بالعورة : العورة الحسية وهي ظاهرة . والعورة المعنوية : التي تكون بذكر المُجون وألفـاظِ السَفَـه . وأمـا الوليّ ، فإنها لاتنفر منه إذا وقع له ذلك ، لأنه إنما يفعلـه لغرض صحيح فيترك ستر عورتـه لما هو أولى منـه ، لأن « أقوى المصلحتين يجب ارتكابـه » ،ويؤجر على ستر عورتـه وإن لم يفعلـه ، لأنـه مـامَنَعـه من فعلـه إلا مـاهو أقوى منـه ؛ ولولا ذلـك الأقـوى لفعله ؛ فكأنه فعلهما جميعاً ، فيؤجر عليهما معاً .

قاعدة فقهية

[س] فقلت : وما هذا الأقوى الذي تَركَ لأجله سترَ عورته ، أو تكلم لأجله بشيء من ألفاظ المُجون ؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : كل مـا يَرُدُّ الـذات إلى عـالمهـا الحسي ويَرُدّ عليهـا عقلهـا ؛ فـإذا كان كشف العـورة يـوجب ذلـك لشخص ارتكبـه . وإذا كان التكلّم بالمُجون ، وألفاظ السَفَه يوجب ذلك لشخص آخر ارتكبه أيضـاً . وإذا كان غيره من الأمور الفانية يوجبه لشخص ثالث ارتكبه ؛ وهلمّ جرّا .

[س] فقلت : ولِمَ تحتاج الذات إلى ما يردّها إلى عالمهـا الحسيّ ؟ وهل تغيب عنه ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : نعم ، تغيب عنـه . ثم ضرب مثلاً لتحقيق الغَيْبـة فقال : كرجل له ستمائة قِنطار ، وقـد كَبِر وعمي ، وانقطع منـه التـدبير بـالكلّيـة ؛ ومع ذلك فله أولاد لا يُحصَون ، وكلُّهم صغار لا يقدرون على شيء ؛ ثم أرسلها بقصد التُّجر مع أناس ركبوا البحر في زمن هَولِه ، وكثرة عطبه ، وقلّـة السلامـة منـه ؛ ولم يترك لنفسـه ولا لأولاده فَلْسـاً واحـداً ؛ فـلا تسـألْ عن عقـل هـذا الرجـل كيف يكون ؟..!! فإنه يذهب مع أهل السفينة ، وينقطع عن الذات بالكلّيـة ؛ وحينئـذ فتحصل له آفتان :

الأولى منها: انسداد أفواه العروق التي يكون غذاء الجسم منها ، بسبب احتراقها بالحرارة التي هاجت حين اشتغال الفكر بأمر السفينة .

واقعة

قلت : وقد شاهدتُ رجلاً ، من حملة القرآن العزيز ، ومن أهل العلم ، دوخل في عقله ، ـ نسأل الله السلامة ـ من طلب التدبير والكيمياء والكنوز[٧٧] ؛ وسكن ذلك في عقله ، واشتغل به فِكْرُه اليومَ على اليوم . فجعلَ لونُه يصفر ؛ وقلّ جلوسه مع الناس ؛ وصار لا يأكل من الطعام إلا ما قلّ . ثم لم يزل أمره في زيادة ، إلى أن مات سريعاً ، ـ نسأل الله السلامة ـ . **وسرّ ذلك** ماأشار إليه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ من انسداد أفواه عروق غذاء الجسم ؛ فيتضرر الجسم بذلك ، وتزول نضارته ونعومته ، ويحصل فيه اصفرار وذبول ، إلى أن يتلاشى ويهلك .

سوء حال من طلب الكيمياء والكنوز .

والآفة الثانية : أن العقل إذا ذهب مع أهل السفينة ، وانقطع عن الذات ، وطالت غيبتُه عنها ؛ فإنّ الروح تخرج منها ، ولا ترجع إليها ، لأنها إنما دخلت في أول الأمر عند النفخ كُرهاً لا طوعاً ؛ فمتى وجدتْ سبيلاً إلى الخروج وخرجت ، فإنها لاترجع إليها أبداً . فإنْ وَعَدَ اللهُ تلك الذاتَ بانصرام أجلها ، كان ذلك ابتداءَ مرضِها ، وظهورَ عللها ؛ حتى يأتي أمر الله ؛ وإن وَعَدها سبحانه بالبقاء مدةً ، كانت الروح خارجةً عنها بالعقل الذي هو سرّها ؛ وتقوم بتدبيرها مع انفصالها وانقطاعها عنها ؛ وكان ذلك سبَبَ ابتداء الحمق . ولو وَجَد هذا الرجلُ سبباً يردُّه إلى أمره الأول ، وإخراج أهل السفينة من عقله ، لبقي سالماً من هاتين الآفتين .

قال : فكذلك أولياء الله تعالى يحصل لهم الغَيْبات ؛ فإذا رأيتَهم يستعملون شيئاً من المُجون[٧٨] والضحك ونحوهما ـ مما يَردُّ عليهم عقولَهم ، ويحفظُ عليهم بقاءَ ذواتهم ـ فلا تبادرْ بالإنكار عليهم ، فإنّهم لا يستعملونه إلا لهذا الغرض الصحيح ، فينتفع الخلق بهم مدةَ بقاء ذواتهم .

---

(٧٧) جاء في الهدية العلائية : ويجتنب علم الفلسفة والشعبدة والرمل والسحر ... والكيمياء وعلم الحَرْف ... ا هـ ص ٣٠٢ ط ٣ .

(٧٨) المُجون : مصدر مَجَن . الماجن : الذي لايبالي ماصنع وما قيل له . ا هـ المُغرب .

قلت : وكم مرةٍ ونحنُ مع الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يقول : اهدِرُوا علينـا فـإنّـه يطلُعَ لكم بذلك خير كثير[٧٩] ؛ حتى قال لي مرة : مـامثَّلتُ صـاحب المشـاهـدة إلا بنَسْرٍ طـائرٍ في الهواء ، وعلا في طيرانـه ؛ والفرض أن الجو مملوء بـالريـاح ، وفي يـد رَجل خيـطٌ رقيق موصول بـذات النَسر ومربوط فيهـا ، فـإذا رآه علا في الطيران ، وأرادت الريـاح أن تجلبـه بحيث لا يرجع أبـداً ، جعـلَ الرجـل يَقبضُ الخيـطَ شيئـاً فشيئـاً ، وهو يخـاف أن ينقطع ، والنَّسرُ ينزل شيئـاً فشيئـاً ، إلى أن يرجع إلى يـد صاحبه . فكذلك هذه الأمور الفانية التي تعتادها الذات الترابية هي التي تردّهـا إلى عالَمِها الحسي .

قلت : ولو أردنا أن نذكر شيئاً من تلـك الأمور الواقعـة للعـارفين ـ رضي الله عنهم ـ لخرجنا عن المقام . والله أعلم .

وظيفة الوليّ

[١٥] **وسمعته** رضي الله عنه يقول : **إن الغرض من الوليّ هو الدلالـة على الله تعالى** والجَمْعُ عليه ، والتزهيد فيا سواه ؛ فإذا جَعلَ القاصدُ إليـه يطلب منـه هـذا الأمر فإنه يربح[٨٠] معه ؛ وإذا جعل يطلب منه قضاء الحوائج والأوطار ، ولا يسـألـه عن ربّه ؛ ولا كيف يعرفه ؛ مَقَتَه الوليُ وأبغضَه . وهو[أي هذا القـاصـد] السـالم إن نجا من مصيبة تنزل بـه ؛ وذلـك لأمور : [١] منهـا أن محبتـه للوليّ ليست لوجـه الله تعالى ، وإنما هي على حرف ؛ والمحبةُ على حرف خسرانٌ مبين ، لا ينزل عليها نور الحقّ أبداً . [٢] ومنها أن الوليّ يراه في تعلقه بغير الله تعالى في عين القطيعـة ، وهو يريـد أن ينقذه منها ؛ والعبد يريدُ منه أن يزيده منهـا ؛ فـإنّ الوليّ يراه تَركَ التَمْرة وأخـذ الجمرة ، فالتمرةُ : معرِفَةُ الله تعالى ، والعكوف بين يديه ؛ والجمرةُ : هي القَطيعة عنـه ، والقبض في غيره ، والميل إلى الدنيا ، والركونُ إلى زخارفهـا . [٣] ومنهـا أن الوليّ إذا ساعده في قضاء بعض الأوطارِ ، وقابَلَه ببعض الكشوفات ، ربما يظنّ العبد أن هـذا هو الذي ينبغي أن تقع المعرفة عليـه ، وفيـه يرغب النـاس ، وليس وراءه مَطلب . وكلّ ذلك ضلال وموجب لمقت الوليّ له .

---

(٧٩) سيأتي أيضاً ص ١٣٦

(٨٠) في ظ ١ : يرجع .

قلت : ومِنْ مُقْتِـه لـه ، ومكره بـه ، أن يُظهر [الـوليّ] على ذاتِـه بعضَ المخالفات ؛ أو يخبره بشيء لا يكون أنه يكون ؛ ليطردَه بذلك عنه . والله أعلم .

السماع عند أهل المعرفة .

[١٦] **وسمعتـه** رضي الله عنـه يقـول : إن سماع أهـل العرفـان ينبني على مشاهدتهم الحقّ سبحانه ؛ وتكون الأمور التي يسمعونها بمثابة السفينة التي يخرقون بها بحـار المشـاهـدة ، فيعتمـدون على تلـك الأمور ، ويتوصلون بهـا إلى مـالا يُكيّف من المشاهدة ؛ وذلك أن المُشاهَدَ ـ سبحـانـه ـ حيٌّ قـديم ، لا مِثلَ لـه ولا نظير ، فليس لهذه الذات ماتعتمد عليه إلا ما يمكن في العبارة الحادثة مما اعتادتـه الـذات ، ونشـأت عليه . قال : وإذا اتسعت مشاهدتهم ، وصـاروا من الكبـار ، قرب عشقهم من عشق أهل الهزل ـ فيما يظهر للناس ـ ، وذلـك للسرور والفرح والطرب الحـاصل لهم عنـد مشاهدتهم فعلَ الحق ـ سبحانـه وتعـالى ـ في مخلوقـاتـه ؛ فـإذا شـاهـدوا ذلـك حصل للروح مالا يُكيّف من السرور . حتى لقد حصل لبعضهم ـ رضي الله عنه ـ ، أنه رأى قطّاً يحكّ حنكه بيده ؛ فجعل الوليّ يبكي ، ودموعه تسيل ، وهو يسجد [لله] بين يدي القطّ حتى أخْضَلت دموعه مابين يديه . فقلت لـه : مـاسِرُّه ؟ فقـال رضي الله عنه : إنّ الروح شـاهـدت الحقّ ـ سبحـانـه وتعـالى ـ يفعلُ تلـك الحركـة ، فجعلتْ تسجد له ، وتتواضع ، وتبكي بين يديـه ـ سبحـانـه وتعـالى ـ ؛ والـذاتُ تسـاعِفهـا ؛ فجعلَتِ الذاتُ تفعل مثل ماتفعلُه الروح ، وتحاكيهـا في ذلـك ؛ فـالنـاس يظهر لهم أن سجوده للقِطّ ، والوليّ في وقت بكائه وسجوده لم يشاهـد إلا الحقّ سبحـانـه ، فهو له يبكي ، وله يتضرع ويخضع .

حالة استغراق في مشـاهـدة فعـل الحـق سبحانه .

قال رضي الله عنه : وهذا يحصل لهم دائماً ؛ إلاّ أنّ الذات إذا غابت عن عقلهـا ساعَفَت الروح ، وإذا لم تغب عن عقلها منعهـا العقل من ذلـك ، حفظـاً للظـاهر ؛ فترى الوليّ إذا رأى الغصن في الأشجـار يتمايل يحصل لـه مـاسبق ؛ ولـذا يقولـون : « **إن ضربني سيّدي بالأحجار ، فهي عندي أعزّ من الأثمار** » ، لِمَا يَحصل له من النعيم والسرور عند مشاهدة الفعل منه ـ عزّ وجلّ ـ . والله أعلم .

مَثَل سائر .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن (**الله تعـالى إذا فتح على عبـدٍ**) وكان على حالة ـ أيِّ حالة كانت ـ بقي عليها ، ولو كانت الحالة مذمومـةً طبعـاً ، كجزَارة

وغيرها ، من الحِرَف المذمومة[81] ؛ فيبقى على حالته ولا ينتقل عنها ، لأنه يرى الانتقال عنها تصنّعاً للناس ، والتصنّع للناس أعظم عند المفتوح عليه من شرب الخمر ونحوه من المعاصي .

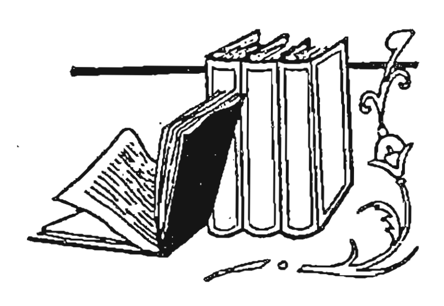
خطر التصنع

حكاية وليّ بالشام .

قال رضي الله عنه : وأعرف رجلاً بالرّملة ـ من أرض الشام [بفلسطين] ـ ، فتح الله عليه وهو بحالة يتضاحك الناس عليه فيها ، ـ كحالة الرجل المشهور بمدينة فاس« بمعَيزو » ـ فبقي على حالته بعد الفتح ولم ينتقل عنها . قلت : وكانت حالة« معَيزو » ـ المتقدم ـ أنّ الصبيان وغيرَهم ـ من ضَعَفة العقول ـ يتبعونه طولَ نهاره ، يضحكون عليه .

قال رضي الله عنه : وأعرف رجلاً آخر ، فتح الله عليه ، وكان قبل ذلك طبّالاً ؛ فبقي على حالته بعد الفتح ولم ينتقل عنها .

قلت : وقد سمعت منه ـ رضي الله عنه ـ في هذا الباب أسراراً كثيرة عظيمة لا ينبغي إيداعها في الكتب . والله أعلم .



(81) من الحِرَف المذمومة : الدلاّل ـ الحلاّق ـ حفّار القبور ـ الحمّامي ... لأنها حرف تحتّم غالباً الوقوع في مخالفات شرعية . وبعضها تورث قسوة القلب . ا هـ المحقق ـ كما في كتب الفقه باب الحظر والإباحة . قلت : وقد تكون تلك الحرف للأولياء من باب التستّر لهم وهم رضي الله عنهم بعيدون على التحقيق عن أيّة مخالفة شرعية .

الباب السادس

(ملخص)

شيخ التربية ● الشيوخ الذين ورثهم الشيخ رضي الله عنه ● فائدة تلقين الذكر ● ماقيل في أسماء الله الحسنى والحضرة ..

ص

فصل

[في الأشياخ الذين ورثهم الشيخ الدباغ رضي الله عنه]

ص

- **السقي بأنوار أسمائه الحسنى** سبحانه المائة وتدرّج الشيخ الدباغ فيها ١٧٦ رضي الله عنه .

٣- **الحضرة** - حلقة الذكر - تاريخها : بعد القرون الثلاثة . سببها : شهود ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ أولياء أربعة للملائكة وتأثرهم بهم .

٤- **نظر البصيرة** - أقسامه / ٣٦٦٠٠٠ / جزءاً . وفيها حكاية عظيمة . ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ ذواته ﷺ وذوات وارثه الغوث .



الباب السادس
في
ذكر شيخ التربية [المرشد]

وما يتبع ذلك من الإشارة إلى الشيوخ الذين ورثهم الشيخ رضي الله عنه وفائدة تلقين الذكر وبعض ماقيل في الأسماء الحسنى والحضرة وما يتصل بذلك.

فنقول : قد تكلم صاحب الرائية على شيخ التربية ، وشرح الشيخ - رضي الله عنه - شيئاً من كلامه ؛ فأحببت أن أثبت ذلك هنا ، لأن الكتاب موضوع لجمع كلام الشيخ - رضي الله عنه ● **قال** صاحب الرائية[1] [العارف أبو العباس الشريشي الفاسي (٥٨١-٦٤١) هـ وشيخه هو السهروردي] :

١- وَلِلشَّيْخِ آيَاتٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ   فَمَا هُوَ إِلاَّ فِي لَيَالِي الْهَوَى يَسْرِي[2]

علامات شيخ التربية

قال الشيخ رضي الله عنه : ولشيخ التربية علامات ظاهرة ، وهي : [١] أن يكون سالم الصدر على الناس ، ليس له في هذه الأمة عدو [٢] وأن يكون كريماً إذا طلبته أعطاك ، [٣] وأن يحبّ من أساء إليه [٤] وأن يغفل عن خطايا المريدين . ومن لم تكن له هذه العلامات فليس بشيخ ● **ثم قال** صاحب الرائية :

٢- إِذَا لَمْ يَكُنْ عِلْمٌ لَدَيْهِ بِظَاهِرٍ   وَلاَ بَاطِنٍ فَاضْرِبْ بِهِ لُجَجَ الْبَحْرِ

قال الشيخ رضي الله عنه : مراده « بعلم الظاهر » علم الفقه والتوحيد ، أي القدر الواجب منهما على المكلف ، ومراده « بعلم الباطن » معرفة الله تعالى ● ثم قال :

---

(١) ستأتي ترجمته أيضاً ص ١٦١ وفي آخر هذا الباب أيضاً ● والقصيدة هي من بحر الشعر الطويل .

(٢) وترتيب هذا البيت حسب القصيدة الأصل : الخامس عشر . ثم السادس عشر وهكذا حتى الثاني والعشرون .

٣- وَإِنْ كَانَ إِلاَّ أَنَّهُ غَيْرُ جَامِعٍ لِوَصْفَيْهِمَا جَمْعاً عَلَى أَكْمَلِ الأَمْرِ
٤- فَأَقْرَبُ أَحْوَالِ الْعَلِيلِ إِلَى الرَّدَى إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ الطَّبِيبُ عَلَى خُبْرِ

قال الشيخ - رضي الله عنه - : أيْ وإن وُجِدَ الشيخُ ، إلا أنه وجد غيرَ جامع لوصفِ العلمِ الظاهرِ والباطنِ ، جمعاً كاملاً ؛ فأقرب أحوال المريد معه إلى الهلاك ● وقوله : « إذا لم يكن منه الطبيب على خُبر » ، يريد : أن هذا الشيخ الذي ليس بجامع - لقصور علمه - لا يَعلم ما يضرّ المريد ، فأقرب أحوال المريد معه إلى الهلاك .

إرشاد للسالكين

قال سيدي منصور : « **إذا كانت صحبتك[٣] مع شيخ كامل فاحرصْ أن تَفنى عن مرادك في مراده ؛ واطلبْ أن لا تعيش بعده ؛ فسلامتك مع غيره غريبة ؛ ووصلُك أغرب وأعجَبُ من كل شيء** » . ثم قال :

٥- وَمَنْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ الْوُجُودُ أَقَامَهُ وَأَظْهَرَهُ مَنْشُورُ أَلْوِيَةِ النَّصْرِ
٦- فَأَقْبَلَ أَرْبَابُ الإِرَادَةِ نَحْوَهُ بِصِدْقٍ[٤] يَحُلُّ الْعُسْرَ فِي جَلْمَدِ الصَّخْرِ
٧- وَآيَتُهُ[٥] أَنْ لاَ يَمِيلَ إِلَى هَوىً فَدُنْيَاهُ فِي طَيٍّ وَأُخْرَاهُ فِي نَشْرِ

قال الشيخ رضي الله عنه : « ومن لم يكن » - من الشيوخ - أثبته شيخه في المشيخة بالإذن له فيها ، لكونه مات عنه قبل أن يُكمّله ؛ ولكنْ أثبته فيها الناس ، « وأظهره[٦] » فيها « منشورٌ » أعلام « النصر » ، بحيث نَصر اللهُ به أعلامَ المريدين على نفوسهم وهواهم وشياطينهم ؛ « فأقبلَ » بسبب ذلك النصرِ « أربابُ الإرادة » ، وأهلُ الهمة ، الذين يرغبون في القرب إلى الله - عز وجل - « نحوَه بصدقٍ » يخرق الصخور . فهذا شيخٌ مقبول أيضاً . يريد : لأنه يحتمل أن يكون تَكمّلَ على يد « **رجال الغيب** » ، أو أنه[٧] يأخذ على يد سيّدي « أحمد الخضر » ● وقوله « وآيته » : أي علامته الظاهرة الدالة على استحقاقه رتبة المشيخة

رجال الغيب والخضر قد يكمّلون من لم يكمل إرشاده .

---

(٣) في ظ ١ : محبتك .

(٤) في ظ ١ : بقصد بدل صدق . والأول هو الصواب حسب الأصل .

(٥) وفي الأصل : وآياته .

(٦) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والحلبية وغيرها : أظهروه . قلت : لعله تصحيف ، والأقرب للمعنى حسب السياق هو ما أثبتناه .

(٧) في ظ ١ : لأنه . قلت : يصبح المعنى بها بعيداً .

● « أن لا يميل إلى هوى » في تربيته بما يبدو من مشاهد حاله ، وتكون دنياه عنده في استتار ، وآخرته في انتشار ● فقوله « فَدُنْياه في طيّ » : كناية عن الزهد فيها ، والإعراض عنها ، كما أن قوله « وأخراه في نشر » : كناية عن الرغبة فيها ، والإقبال عليها ● ثم قال :

٨ـ وَإِنْ كَانَ ذَا جَمْعٍ لأَكْلِ طَعَامِهِ مُرِيدُ..! فَلاَ تَصْحَبْهُ يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ

قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : معنى كلامه : إن كان شيخُ التربية يجمع الناس لأكل طعامه فلا تتبعْه ، ولا تصحبْهُ يا مريدُ أبداً . يريدُ ـ والله أعلم ـ : إذا كان يجمع الناس لأكل طعامه ، ولا أثر له فيهم بفتح ؛ فإنّ هذا يصير الاجتماعَ عليه لأجل طعامه ، لا لأجل الله ـ عزّ وجلّ ـ ؛ أما إذا كان يجمع الناس عليه ليجمعَهم على الله ، وله مع ذلك طعام ؛ فلا بأس بصحبة هذا واتّباعه ● ثم قال :

٩ـ وَلاَ تَسْأَلَنْ عَنْهُ سِوَى ذِي بَصِيرَةٍ خَلِيٍّ مِنَ الأَهْوَاءِ لَيْسَ بِمُغْتَرِّ[8]

التفتيش عن الشيخ والشروط المطلوبة في الشيخ .

قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : المعنى : لاتسأل عن شيخ التربية إلا من جَمَع ثلاثة شروط : ● أن يكون ذا بصيرة ● وأن يكون خالياً من الأهواء ● وأن لا يكون مغترّاً . فكونه (ذا بصيرة) ، احترازٌ[9] من السالك المحض الذي ليست له معاملة القلوب ، فإنه إذا سُئل عن شيخ التربية يُحيل على سالك آخر ، هو أكثرُ منه اجتهاداً ، وأدومُ على الأوراد ، وأحفظُ للوظائف ؛ لأنه يرى أنّ هذا المقام هو غاية الطريق ؛ وأنّ التفاوت بين أهله إنما هو بالقوّة والضعف . والسالك المحض ليس أهلاً للمشيخة ولا يبلغها . وكونه (خالياً من الأهواء) احترازٌ[9] من صاحب التعصّب ، ـ ولو كان ذا بصيرة ـ فإنّ المتعصّب للشخص إذا سُئل عن شيخ التربية ، ربما [أ] حال عليه لأجل التعصب . وكونه (غير مغتر) احترازٌ[9] ممن لا يعرف اصطلاح القوم في وصف شيخ التربية ؛ فإذا سُئل عن الشيخ المربي ربما يحيل على المجذوب المحض ؛ لما يرى معه من قوة المعرفة والاستهلاك في الحقيقة . والمجذوب المحض ليس أهلاً للمشيخة ؛ ولا يبلغها ● ثم قال :

---

(٨) قلت : ترتيب هذا البيت مقارنة بأصل الأبيات : الرابع والعشرون ويليه الخامس والعشرون وهكذا حتى الثامن والعشرون .

(٩) كذا في بولاق والحلبية وغيرها : احترازٌ . قلت : يظهر أنها الأصوب على أنها خبر كون . وفي ظ ١ : احترازاً .

١٠ـ فَمَنْ صَـدِئَتْ مِرْآةُ نَـاظِرِ فَهْمِـهِ أَرَتْهُ بِوَجْـهِ الشَّمْسِ مِنْ كَلَفٍ[١٠] الْبَـدْرِ
١١ـ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَـدْرِي الْعَرُوضَ فَرُبَّمَـا يَرَى الْقَبْضَ فِي التَّطْوِيلِ مِنْ أَقْبَحِ الْكَسْرِ

قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : المعنى : فمن صَـدِئت عينُـه ، يرى السواد ـ الذي في وسط القمر ـ على وجه الشمس التي لا سواد فيها أصلاً ، لانعكاس الحقائق في حقّه . ومراده : أن من لم يكن ذا بصيرة فإنه يرى العيب في « الشيخ الكامل » فَيَنفرُّ عنه ، ويرى الكمال في « السالك » فَيَدُل عليه ● وقوله « ومن لم يكن يدري العَروض » : أي ومن لم يكن يعرف ميزان الشعر ، ربما يعتقد : أن [القبض أي :] سقوط الخامس من عَرُوض « بحر الطويل »[١١] ، هو : من أقبح العيوب فيه ؛ كذلك من لم يكن يعرف اصطلاح الصوفية في أوصاف الشيخ المربّي ، ربما رأى الكامل فظنّه مبتَدِئاً فنفر عنه ؛ كما دَلَّ على المجذوب وهو لا يستحق .

الشيخ: من جمع علم الظاهر والباطن .

قلت : حاصل ماذكره صاحب الرائية في هذه الأبيات : أن « **الشيخ** » إذا كان خالياً من « علم الظاهر والباطن » ، أو كان متصفاً بهما لا على الكمال ، فإنّه لا خير في صحبته ؛ وأن من كان متصفاً بهما على الكمال ، وكانت فيه الآيات السابقة فإنه يُشَيِّخ ، وهذا **إذا** أقامه شيخه في التربية ، وأذن له فيها حال حياته . **وأما** إن مات قبل ذلك ، ولم يكمل في زمان شيخه ؛ فهذا : إن ظهرت عليه « أمارات **الفتح** » ، وعلامات الخير ، وأعرض عن الدنيا ، وأقبل على الآخرة ، ووقع للمريدين « الفتح » على يديه ؛ فهذا أيضاً يُشَيَّخ . وأمّا إن لم يكن فيه إلا مُجردُ جمع الناس على طعامه ، فهذا لا خيرَ في معرفته . وأنّه لا ينبغي للشخص أن يسأل عن شيخ التربية ، إلا من[☆] جمع الأوصاف الثلاثة السابقة [المذكورة في الصفحة السابقة] ؛ فإنّ غَيْرَه ربّما عَكَسَ الصواب .

---

(١٠) **الكَلَف** : لون بين السواد والحمرة اهـ . مختار الصحاح .

(١١) **البحر الطويل** : هو أحد أبحر الشعر « الخمسة عشر » ، وهو مُثمّن الدائرة ؛ مركبٌ من : (فعولن مفاعيلن) أربعَ مرّات ، فجزء عروضه هو (مفاعيلن) الرابع وليس له إلا عروض واحد مقبوضةٌ ـ أي محذوفةٌ ـ الخامس الساكن وهو الياء ، فمن لم يكن عالماً بالفنّ ربّما وجدها كذلك ، فيرى أن ذلك عيبٌ وكسرٌ ... اهـ . من شرح الرائية .

(☆) كذا في ظ ١ وهو الصواب . وفي بولاق والأزهرية والحلبية : إلا إذا ... قلتُ : هو تصحيف .

ثم أشار صاحب الرائية إلى « الآداب التي تجب على المريد في صحبة شيخ التربية » ، فقال :

١٢ـ وَلاَ تَقْدِمَنْ[١٢] قَبْلَ اعْتِقَادِكَ أَنَّهُ مُرَبٍّ وَلاَ أَوْلَى بِهَا مِنْهُ فِي الْعَصْرِ

١٤ـ فَإِنْ رَقِيبَ الالْتِفَاتِ لِغَيْرِهِ يَقُولُ لِمَحْبُوبِ السِّرَايَةِ لاَتَسْرِ

الاعتقاد في الشيخ المربّي.

قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : أي ولا تَقدمَنْ على شيخ بقصد الدخول في صحبته حتى تعتقد أنه من أهل التربية ، وأنه لا أحقّ منه بها في زمنه ؛ وإنّما وجب عليه ذلك ، لأن « الشيخ » الذي يرى من مريده الالتفاتَ إلى شيخ غيره يقطعُ عنه المادة ، و « المريد » الذي يدخل في صحبة شيخ وهو يرى أن في الوجود شيخاً مثل[١٣] شيخه ، أو أكمل منه ، يبقى متشوفاً إلى ذلك الأكمل في اعتقاده ،

---

(١٢) تَقْدِمَنْ : مضارع أقدم . والنون نون التوكيد الخفيفة . اهـ المحقق .

(١٣) كذا في ظ ١ . قلت : هو الصواب اهـ . وفي طبعة بولاق وغيرها : شيخاً منه . قلت : هو تصحيف .

فائدة مهمة : إن ماذكره الشيخ رضي الله عنه في شأن اعتقاد المريد بشيخه المربي هو مما اتفقت عليه جميع طرق التربية والإرشاد فلا يكون اتّباع صحيح إلا عن محبة واعتقاد . وأصل ذلك : أن الشيخ المرشد المربي هو وارث من ورّاثه ﷺ بل هو واسطة المريد إليه ﷺ وهو عليه الصلاة والسلام قال ربّ العزة جلّ وعلا في حقه : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَيُؤْمِنونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَيَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضيتَ ويُسَلِّموا تَسْليما ﴾ فما وجب للأصل صحّ أن يكون للفرع .

تنبيه : ١ ـ يجب أن ينضم إلى هذا المعنى : محبة المؤمنين جميعاً العوام منهم والخواص ، مع التأكيد على محبة وتعظيم كل من يحمل شعاراً دينياً ، أو يقومُ بحقّ بأداء وظيفة دينية كانت جزءاً من مهمته ﷺ .

٢ ـ يجب أن لايحملنا هنا المعنى على أن تنغلق ونَجْمد على الشيخ المربي فقط إذ « القناعة من الله حرمان » فالشيخ المربي ـ حقّاً ـ هو شيخ الروح والنفس والعقل ، وهو واحد في الحياة وبعد المات ؛ وهو الشيخ العالم بالله سبحانه وتعالى ، وهو الذي يعرفنا على ربّنا سبحانه وتعالى وبه تكون الحلقة متصلة بالسلسلة النورانية بأولياء الله تعالى إلى الصحابة إلى النبي ﷺ إلى ربّ العزة جلّ وعزّ .

لكن يبقى هناك علماء فقهاء محدثون قراء عارفون ، هم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيضاً من حيث العلم الظاهر والباطن ؛ يجب على المريد طالب العلم أن ينتفع بهم لما قالوا : « المَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ خَيْرَ أَهْلِ زَمانِهِ » و « أَبْخَلُ البخلاءِ مَنْ نَزَلَ في مَحَلَّتِهِ عالِمٌ فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ » حدثنا بذلك ـ شيخنا المربي محمد سعيد البرهاني قدّس الله سرّه ـ . ولما دَرَج عليه أكابر العلماء من كون الواحد منهم كان له أشياخ كثر في العلم والتبرّك وشيخ واحد في التربية . فهذا الإمام الشعراني كتب مؤلفاً في تراجم أشياخه عدّ فيه قرابة ألف منهم . ـ كما حدثني بذلك شيخنا محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله تعالى ورأيت المؤلَّف وهو نسخة مخطوطة في مكتبته ـ وكذا جاء في تراجم كثير من العلماء . كأبي حنيفة أخذ عن الصحابة وعن (٤٠٠٠) من التابعين . =

فيراه شيخُه متشوّفاً إليه فيقطع عنه المادة ؛ فلا يكون منتفعاً بالأول ، ولا بالثاني . قال الشيخ - رضي الله عنه - : وقد رأينا مثل هذا في زماننا كثيراً ؛ والله يكون لنا وليّاً ونصيراً . وقال صاحب الرائية قبل هذا :

١٣- وَمِنْ بَعْدِهِ الشَّيْخُ الَّذِي هُوَ قُدْوَةٌ يُلْقِي مُرَادَ الْحَقِّ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ(١٤)

قال الشيخ - رضي الله عنه - : « ومن بعد » مقام التوبة(١٥) - أي من بعد تحصيله - طَلَبُ « الشيخ » ، الذي هو مربٍّ ، فإنه مقدّم على النفس في طريق الأحوال . وفائدته : أنه يُري العبدَ مطلبَ الحقّ منه ، في ظاهره ، وفي باطنه . قال الشيخ - رضي الله عنه - : ولا بد من شيخ يعرّفك ويدلّك على معرفة الشيخ ؛ وكيف تلقاه وتجلسُ معه ؛ وإن لم يكن هذا ، فاعلم أنك مكسورٌ لا طبيبَ لك ، ولو فعلت مافعلت والسلام ● ثم قال :

١٥- فَقُمْ وَاجْتَنِبْ مَاذَمَّهُ الْعِلْمُ وَاجْتَلِبْ لِمَا خَصَّهُ بِالْمَدْحِ فَهُوَ جَنِي الدُّرِّ

اجتناب المذموم شرعاً مع دوام الصحبة .

قال الشيخ - رضي الله عنه - : أي إذا وجدت ، وأعطاك المولى الشيخَ الذي يربّيك ، « فقمْ » على خدمته ، واعرف حقّ صحبته ، واتخذه وسيلةً إلى الله ، عسى أن تدركَ معرفة الله - عز وجل - ، لكنْ يجب عليك - مع ذلك - أن تترك ماعابه

= والأدب عند القوم رضي الله عنهم أن يستأذن شيخه المرشد ليتم له النفع . إذ ليست العبرة بالكمّ بل بالنوع المفيد : كما أن للعلم طغياناً - إن لم تلحظ صاحبه عنايةُ الله تعالى - وآفةً كبيرة وهي العجب . وإذن المرشد للمزيد يعني أنه سيكون واسطة في عناية الله تعالى به وجعل علمه نورانياً لا ظلمانياً . فإن كان شيخ التربية حاضراً يستأذنه صريحاً ، وإلاّ فيستأذنه بقلبه إن كان غائباً عنه . وهذا الأدب مما منّ الله به علينا أن تحققنا به . ونسأله تعالى الثبات والمزيد .

٣ - إذا صدق الإنسان مع الله تعالى فإنه يجمعه سبحانه بالمرشد ، ومن أعظم الأسباب في ذلك رضاء الوالدين . فإذا ماالتقى بالمرشد الكامل فليلزمه حتى يتخرج على يديه وبعدها لايخشى عليه أينما توجه .

٤ - في آخر الزمان حين يفتقد المرشد الكامل تكون الصلاة على النبي ﷺ هي المرشد للمؤمن ، كما حدثنا بذلك الأشياخ جزاهم الله عنا كل خير . اهـ المحقق .

(١٤) وترتيبه حسب الأصل : التاسع ثم العاشر . وقبله (الثامن) :

فيبدو مقامَ التوب وهو ممهدٌ فدونك فاقرع بابه قرعَ مضطرِ

(١٥) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : مقام التربية . قلت : هو تصحيف .

الشرع من الأفعال الذمية ، وأن تكسب مامدحه منها ؛ فذلك هو « جَني الدُّر » ؛ والدرّ ـ في الأصل ـ : اللؤلؤ العظيم ؛ وهو كناية عن التقوى . والجَنْيُ : القطع . هذا أصله ؛ والمراد هنا : الأخذ . فكأنه قال : إن اجتنبتَ المذموم شرعاً ، « واجتلبتَ » الممدوح شرعاً ، فقد أخذتَ التقوى ، ووصلتَ إليها . ـ نسأل الله أن يمنّ علينا بها ـ فإنّها التي تُبنى عليها أحوالُك ومقاماتُك[١٦] ● ثم قال : تعريف

١٦ـ وَإِنْ تَسْمُ تَحْوَ الْفَقْرِ نَفْسُكَ فَاطَّرِحْ   هَوَاهَا وَجَانِبْهُ مُجَانَبَةَ الشَّرِّ[١٧]

قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : وإن ترفع همتك إلى « طريق الفقر » وهي « طريق التصوف » ، فاطرَحْ هوى نفسك ، فيا تختاره لنفسها ، من وجوه التعبدات ، وأنواع القربات ، دون أن يأمرها به الشيخ[١٨] ؛ وباعِدْ هواها في ذلك مباعدتَك للشر . يريد : أن فلاح المريد فيا يختاره له الشيخ ، لا فيا يختاره هو لنفسه ؛ وإن كان يختار هو لنفسه هلك . طرح هوى النفس مع الشيخ .

قلت : وكم مريدٍ سقط من هذا الباب ؛ لأن المريد قبل الفتح عليه ، إذا اختارت له نفسه الإكثارَ من النوافل والصيام والقيام ، فربما كان ذلك لشهوة السُّمْعة والرياء ، فيصير عمله لغير الله ـ عز وجل ـ ؛ فإذا رحمه الله بالشيخ المربّي ، وجَمَعَه به ، فإنه يرى ذلك علةً فيه ، فيريد نقلَه عنها ؛ فإنْ ساعفه المريد ، وسبقت له العناية من الله تعالى دلّه على ما يليق به ، وانتقل به إلى حالة مرضية عند الله تعالى ؛ وإن لم يساعفه المريد ؛ وقال : جئناه ليزيدنا وجعل يُنقِصُنا ؛ وخسرتْ نيتُه في شيخه المربّي ؛ فهذا قد استحوذَ عليه الشيطان ، واستحكمت فيه علة الرياء والخسران ـ نسأل الله السلامة والعافية بمنّه وكرمه أجمعين ـ ● ونذكر ههنا : **قصة النفر من الصحابة** ـ رضوان الله عليهم ـ الذين جاؤوا إلى دار النّبيّ ﷺ ، فسألوا أزواجه عن عبادته ﷺ وقيامه وصيامه ، فذكَرْن لهم عبادتَه ﷺ ، قصة نفر من الصحابة .

---

(١٦) كذا في بولاق وفي ظ ١ : بهذا الذي تبنى عليه أحوالنا ومقاماتنا .

(١٧) وترتيبه حسب الأصل : الحادي عشر وبعده هنا الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر .

(١٨) في ظ ١ : أن يأمره بها الشيخ .

فاستقلّوها[١٩] ؛ ثم قالوا : لسنا كالنبيّ ﷺ ، فإنه عبدٌ قد غَفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ؛ ثم قال أحدهم : أمّا أنا فأصوم الدهر كلَّه ؛ وقال الآخر : أمّا أنا فأقوم الليل كلّه ولا أنام ؛ وقال الآخر : أمّا أنا فلا أقارب النساء .؛ ثم ذهبوا ، وجاء النبيّ ﷺ على إثرهم فأخبرته عائشة - رضي الله عنها - بما رأت منهم ، وبما قالوا ؛ فدعاهم النبيّ ﷺ وقال[٢٠] لهم :

« أمّا أنَا فَأَخْشَاكُمْ للهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، وَأَعْلَمُكُمْ بِهِ ؛ وَإِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ ، وَأُقَارِبُ النِّسَاءَ ؛ وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » ؛ وأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَاأَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ الآية[٢١] .

واختلفت الرواة في تعيين أولئك النفر ؛ فمنهم ، من عدّ فيهم عثمانَ بن مظعون[٢٢] وعبد الله بن مسعود وأبا هريرة[٢٣] ؛ ومنهم من عدّ فيهم سعدَ بن أبي وقاص[٢٤] ؛ ومنهم ، من عدّ فيهم عليّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمرو بن

---

(١٩) كذا في الأزهرية - وهو الصواب - . وفي بولاق وعثمان : فاستقبلوها . وفي ظ ١ : فاستعملوها .

(٢٠) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد ومالك في الموطأ .

(٢١) المائدة ٨٧

(٢٢) **عثمان بن مظعون** : (.. - ٣ هـ) الجُمَحيّ القرشي ، أبو السائب . أسلم قبل دخوله ﷺ « دار الأرقم » . هاجر إلى الحبشة الهجرتين . حرّم الخمر في الجاهلية . شهد بدراً ● وجاء في صفوة الصفوة عن عائشة : فلقي [عثمانَ] رسولُ الله ﷺ فقال [له ﷺ] : « يا عثمان ! إن الرهبانية لم تكتب علينا ، أفما لك فيّ أسوة ؟ فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا ...!! » ● وهو أول من مات في المدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم ● وفي حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح : لما مات كشف عن وجهه وقبله ﷺ ودعا له وبكى .

(٢٣) **أبو هريرة** (.. - ٥٧ هـ) قيل : هو عبد الله بن صخر الدوسي ؛ قدم المدينة (٧ هـ) ورسول الله ﷺ بخيبر فسار إلى خيبر وبايعه ودعا له . هو من أهل الصفة ومن أكثر الصحابة رواية . استعمله عمر ثم مروان توفي بالعقيق آخر خلافة معاوية . اهـ من صفوة الصفوة .

(٢٤) **سعد بن أبي وقاص** (حوالي ٢٠ ق هـ - ٥٥ هـ) هو مالك بن وهيب . أسلم ابن سبع عشرة ، وكان ثالث ثلاثة ؛ شهد المشاهد . من أصحاب الشورى . خُصّ بالإجابة والابتهال . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة . ابتلي بالإمارة والسياسة وامتحن بالحجابة والحراسة ، وكان من الفاتحين ، ثم آثر العزلة . دعا له الرسول ﷺ : « اللهم سدّدْ رميته وأجبْ دعوتَه » . كان قصيراً ، آدم ، أفطس ، أشعر يخضب بالسواد . مات بالعقيق ، وصلى عليه « مروان بن الحكم » ، ودفن بالبقيع . اهـ صفوة الصفوة .

العاص ؛ ومنهم من عدّ فيهم أبا بكر الصديق - رضي الله عنهم - .

فانظر - وفقك الله - كيف رَدَّهم - عليه الصلاة والسلام - عن هوى نفوسهم في الإكثار من النوافل ، إلى ماأحبه لهم واختاره ، من التوسط في الأمور ، وذلك أعظم شاهد لما يفعله الشيوخ مع المريدين الموفَّقين ؛ وأما غيرهم فلا كلام عليه . **وقد رأيت** بعضهم جاء إلى شيخ - رضي الله عنه - وأراد أن يتخذه وسيلة ؛ وكان على غاية الإكثار من العبادة ، حتى إنه يقرأ في كلّ ليلة ختمةً من القرآن ، ويقرأ دلائل الخيرات في النهار - عدّة مرات - ، ويصوم الدهر ، ولا تلقاه إلا أصفر اللون ، كأنه من أهل القبور . فلم يَزَل الشيخ - رضي الله عنه - ينقله من درجة إلى درجة ، ومن حالة إلى حالة ، حتى ردّه إلى مقام التوسط ؛ ثم قال له الشيخ - رضي الله عنه - ذات يوم : كم من تعب أراحك الله منه يا فلان ؟! فقال : جزاك الله عنا خيراً ، يا سيدي ! ؛ فإنّا كانت أعمالنا رياء ؛ فلغير الله كنا نعبد ، وأراحنا الله من ذلك ، ببركتك ● **وقال** لي الشيخ - رضي الله عنه - يوماً : إنّ هذه « **النوافل** » إذا لم يفعلْها الشخص فإنه لايحاسب عليها في الآخرة ؛ وإن فعلها بنيّة أن يراه الناس ، ويمدحوه عليها ؛ فإنه يعاقب(☆) عليها في الآخرة وتخلى دار أبيه عليها(☆☆) . قلت : لأن « الرياء معصية » ● **وسمعته** رضي الله عنه يقول : إن (**المحجوب**(☆) لا يخلو من الرياء والسمعة إلا إذا كان يرى في كل لحظة أن أفعاله مخلوقةٌ له تعالى ؛ لا يغيب عنه ذلك ، في حالة الفعل ؛ ومهما غاب عنه - ولو طرفةَ عين - وَقَع في الرياء والسمعة والعجب) ● ثم **قال** صاحب الرائية :

تحقيق وإرشاد في الرياء والتخلص منه .

١٧ - وَضَعْهَا بِحِجْرِ الشَّيْخِ طِفْلاً فَمَا لَهَا ... خُرُوجٌ بِـلاَ فَطْمٍ عَنِ الْحِجْرِ وَالْحَجْرِ

قال الشيخ - رضي الله عنه - : أي ضعْ نفسك في حِجْر شيخك يُرَبِّك تربية الطفل في حِجر أمّه ؛ فليس لنفسك قبل فِطام التربية خروج عن حجر الشيخ ، وتحجيره . فالحِجر الأول : هو الحِجر المعروف ، الذي هو مقدّم القميص . والحَجْر

(☆) كذا في بولاق و ظ١ . قلت : هو الصواب . بينما في الحلبية : يعاتب .... المحبوب ....

(☆☆) بمعنى : ينخرب بيت أبيه - كما هو المثل الشعبيّ العاميّ - .

الثاني معناه : المنع ؛ أي منع الشيخ للمريد عما يريده . ومن هذا الثاني : الحَجْر عند الفقهاء الذي هو بمعنى التحجير[٢٥] ، فالحِجر الأول : كناية عن نظر الشيخ وتصرّفه . والثاني : كناية عن منعه للمريد مالا يليق به . والله تعالى أعلم ● ثم قال :

١٨- وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سَلْبَ الإِرَادَةِ وَصْفُهُ   فَــلاَ يَطْمَعَنْ فِي شَمِّ رَائِحَــــةِ الْفَقْرِ

قال الشيخ - رضي الله عنه - : ومن لم يكن من المريدين وصفُه - مع شيخه المربّي له - سلبَ الإرادة ، فلا يطمعن أنْ يشمّ رائحة الفقر ، - نسأل الله الحفظ - ● ثم **قال** :

١٩- وَهــذَا وَإِنْ كَانَ الْعَزِيـزَ وُجُودُهُ   وَلكِنَّــهُ فِي الْعَـزْمِ خَــالٍ مِنَ الْعُسْرِ

قال الشيخ رضي الله عنه : وهذا - أي كون شم رائحة الفقر مرتبطاً بسلب الإرادة - ، وإن كان قليلاً لا يكاد يوجد ، ولكنه - من حيث العزمُ عليه - خالٍ من التعذر والامتناع . يريد : بل هو من حيث العزم عليه ممكن . و « **العزمُ** : هو التصميم على الفعل من غير احتمال » . تعريف

ثم ذكر صاحب الرائية ماسبق من قوله : وللشيخ آيات - الأبيات السابقة - [من (١)] إلى قوله :

١٤- فَــإِنَّ رَقِيبَ الالْتِفَـــاتِ لِغَيْرِهِ   يَقُـولُ لِمَحْبُـوبِ السِّرَايَــةِ لاَ تَسْرِ[٢٦]

ثم ذكر بعده قولَه :

٢٠- وَلاَ تَعْتَرِضْ يَوْماً عَلَيْـهِ فَـإِنَّـهُ   كَفِيـلٌ بِتَشْتِيتِ الْمُرِيــدِ عَلَى هَجْرِ

قال الشيخ - رضي الله عنه - : ولا تعترض على شيخك أبداً ، فإن الاعتراض على الشيخ ضامن لتشتيت المريدِ - المعترضِ عليه - عن ربّه ، وعن دينه ؛ مع تركه الاعتراض وعاقبته .

(٢٥) الحَجْرُ : هو منع نفاذ تصرف قوليّ لا فعليّ ، لصغر ورقّ وجنون . اهـ التعريفات .

(٢٦) وترتيبه : الثامن والعشرون فالتاسع والعشرون وهكذا حتى غاية التاسع والأربعين ، وهو آخرها من أصل مائة وعشرين بيتاً مجموع أبيات الرائية .

له ، وإعراضه عنه ، وطرده إياه عن صحبته . واليوم - في البيت - : بمعنى الساعة والوقت الذي هو فيه . و « **الاعتراض** : مقابلة القول بالرد » .

تعريف

☆ ☆ ☆

واعلم - وفقك الله - أن هذه التفاسير لهذه الأبيات وجدتها مكتوبة على نسخة من الرائية بخط الشيخ - رضي الله عنه - ؛ ولم أسمعها منه ، ولكنها مكتوبة بخط يده الكريمة بلا شكّ ولا ريب ؛ فلذا نسبتها إليه - رضي الله عنه - ؛ مع أن عِلْم الشيخ - رضي الله عنه - أكثر ، بل فوق ذلك كله . ووددتُ أنّي أقرأ هذه القصيدة عليه رضي الله عنه ؛ فإنّا نسمع منه الأسرارَ الربانية ، والأنوارَ العرفانية ، في شرحها ، على عادته - رضي الله عنه - .

☆ ☆ ☆

و (بقيتْ أبياتٌ أخر) متعلقة بهذا الغرض لم يشرحها الشيخ - رضي الله عنه - فعزمت على كتبها من غير شرح ؛ ثم بدا لي أن أكتبها ، وأشرحها بما تيسر ؛ من غير تطويل ولا إكثار . **قال** صاحب الرائية :

أبيات شرحها الشيخ المؤلف .

٢١- وَمَنْ يَعْتَرِضْ وَالْعِلْمُ عَنْهُ بِمعْزِلٍ   يَرَى النَّقْصَ فِي عَيْنِ الْكَمَالِ وَلاَ يَدْرِي

أي : ومن يعترض على الشيخ ، أو على غيره ، من أهل الطريقة ، وهو جاهل ، فإنه يرى الكمال نقصاناً ويقلب الأمورَ ، وهو لا يدري . وأصل هذا البيت لـ « صاحب العوارفُ » ، حيث قال : « **وينبغي للمريد** كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ [أن] يذكر قصة **موسى** مع **الخضر** - عليهما السلام - ، كيف كان « الخضر » يفعل أشياء ينكرها [سيدنا] « موسى » ، فإذا أخبره « الخضر » بسرّها يرجع « موسى » عن إنكاره . فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ . فللشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم ، والحكمة » اهـ[☆] . والرائية مختصرة من العوارف ، فهي - أي العوارف - أصل للرائية .

عوارف المعارف أصل للرائية .

(☆) نقله من عوارف المعارف في الباب (٥١) بتصرف في أحرف .

وقال أبو الحسنُ الشُشتري[٢٧] ـ رضي الله عنه ـ : ولا يُعترضُ على المشايخ فيما يصنعون ، فإنّهم لا يتصرفون إلا عن إذن وبصيرة ؛ وليس هم ممن يدخلون تحت جنس العالَمِ الأول ـ أعني « عالَمَ الحجاب » ـ ، الذين لم يتشوّفوا إلى « عالَم الملكوت » ، ولم تُفتن عقولُهم إلا بالظواهر خاصة ؛ بل هم[٢٨] معهم كائنون بائنون ؛ الحركاتُ والسكنات والأجسام والأقوال واللسان والحروف المنطوق بها ؛ كل ذلك متجانس مع العامة ؛ وهم محجوبون عنهم من وجه آخر ؛ فلا يَعرف ما هم به ولا عليه إلا مَن كان منهم اهـ . والله أعلم ● ثم **قال :**

٢٢ـ وَمَنْ لَمْ يُوَافِقْ شَيْخَهُ فِي اعْتِقَادِهِ ... يَظَلُّ مِنَ الإِنْكَارِ فِي لَهَبِ الْجَمْرِ

المعنى : أن « الشيخ » مصيب في فعله ؛ فيعتقد أن الصواب في ذلك الفعل . فالمريد إن اعتقد الصواب مثل اعتقاد شيخه رَبح ونَجح ، وإن خالف شيخَه في اعتقاده ، واعتقد أن شيخه على خطأ في ذلك الفعل ؛ فإنه لا محالة يصير أمره إلى فراق شيخه . وعن فراق الشيخ كنّى بـ « لهب الجمر » : أي فإنّه يظلّ من الإنكار في فراق الشيخ ، الذي هو كلهب الجمر .

قال محي الدين بن العربي ـ رضي الله عنه ـ : ومِن **شرط المريد** ، أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ، وبَيِّنة منه ؛ ولا يزنْ أحوالَه بميزانه ، فقد تَصدُر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة ، فيجب التسليم ؛ وكم من رجلٍ أخَذَ[٢٩] كأسَ خمرٍ بيده ؛ ورفعه إلى فيه ، وقَلَبه الله في فيه عسلاً ؛ والناظر يراه شَرب خمراً ، وهو ما شرب إلا عسلاً . ومِثْل هذا كثير . وقد رأينا من يجسّد روحانيتَه على صورة ، ويقيمها في فعل من الأفعال ، ويراها الحاضرون على ذلك الفعل ؛ فيقولون : رأينا فلاناً يفعل كذا . وهو عن ذلك الفعل

---

(٢٧) الششتري (.. ـ ٦٦٨ هـ) : هو علي بن عبد الله النميري الششتري ، أبو الحسن صوفي فاضل أندلسي من أهل ششتر (من عمل وادي آش) تنقّل في البلاد ، وله أتباع . توفي قرب « دمياط » ودفن فيها . له « العروة الوثقى » في بيان السنن ، و « المقاليد الوجوديّة في أسرار الصوفية » و « ديوان شعر » اهـ من الأعلام . وفي طبعة الحلبية : الشبري . قلت : هو تصحيف . والصواب من ظ ١ .

(٢٨) في ظ ١ : بل هي .

(٢٩) أخذ : زيادة في ظ ١ .

بعزل . وهذه كانت أحوال « أبي عبد الله الموصلي » المعروف بـ « قضيب البان »[٣٠] . وقد عاينّا هذا مراراً في أشخاص اهـ .

قلت : وقد سبق في الباب الذي قبل هذا من كلام الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ما هو أبهر وأكثر من هذا فراجعه[٣١] . والله أعلم ● **ثم قال** :

٢٣ ـ فَذُو الْعَقْلِ لاَ يَرْضَى سِوَاهُ وَإِنْ نَأى   عَنِ الْحَقِّ نَأْيَ اللَّيْلِ عَنْ وَاضِحِ الْفَجْرِ

المعنى : أن من له عقل سليم ، وطبع مستقيم ، لا يرضى سوى شيخه ، ويدور معه حيثما دار ؛ وإن بَعُد الشيخ في ظاهر الأمر عن الحقّ بعداً بيّناً كبعد الليل من الفجر ؛ ويقول [في نفسه] : إن للشيخ في ذلك وجهاً مستقيماً عسى الله[٣٢] أن يطلعني عليه .

سمعت شيخنا ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن المريد إذا عثر على شيء من هذه الأمور التي تصدر من الأشياخ وتخالف الظاهر ، وحسّن ظنّه بشيخه ، فإن الله تعالى يوقفه على أسرارها إذا فتح عليه .

قلت : وقد سبق في كلامه ـ رضي الله عنه ـ حكاياتٌ كثيرة عن المريدين الصادقين فراجعه في الباب[٣٣] الذي قبل هذا . والله أعلم ● **ثم قال** :

٢٤ ـ وَلاَ تَعْرِفَنْ فِي حَضْرَةِ الشَّيخِ غَيْرَهُ   وَلاَ تَمْلأَنْ عَيْنـاً مِنَ النَّظَرِ الشَّزْرِ

« النظر الشزر » : هو النظر يميناً وشمالاً ، أو هو نظر الغضبان بمؤخر العين ؛ أو نظر فيه إغضاء . وفيه أقوال . والمناسب الأول[٣٤] أن يكون ذلك النظر لغير الشيخ . فكأنه يقول : ولا تعرفن في حضرة الشيخ ـ وهي محل جلوسه ـ غيرَه . ولا تنظرْ في حضرته إلى ذلك الغير ، يميناً أو شمالاً ؛ فكأنه نهى عن معرفة ذلك الغير تعريف

(٣٠) قضيب البان : أبو عبد الله الموصلي . كذا في ظ ١ وبولاق وانظر ترجمته في ١٦٣/٢ في الحاشية .

(٣١) ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ .

(٣٢) كذا في ظ ١ .

(٣٣) ص ٨٠ حتى ٩٠ .

(٣٤) كذا في ظ ١ . وفي الحلبية وغيرها : للأول . قلت : هو تصحيف كما يظهر .

وعن الالتفات إليه . وأما المعنى الثاني والثالث : للنظر الشزر ، فالمنظور إليه فيها هو شيخه المربي . فكأنه يقول : ولا تعرفْ في حضرة الشيخ غيرَه ؛ ولا تنظر إلى شيخك نظر غضب . أو ولا تنظر إليه نظراً فيه إغضاء ؛ كأنه يتجاوز ويغضي عن بعض مافعله . لكن هذان المعنيان لا يناسبان السياق ، فإن الكلام مع مريد صادق يدور مع شيخه حيثما دار ؛ فقيل له : إذا وصلت إلى هذا المقام فلا تعرف غير شيخك ، وحينئذ فلا يناسب أن يقال له : ولا تغضب على شيخك ؛ وإنما المناسب

الجمع على الشيخ

أن يقال له : ولا تلتفت إلى غير شيخك ، لأن معنى هذا الأدب : الجمعُ على الشيخ ، والاستغراق فيه ، والانحياش إليه ، والغَيْبة في سرّه ؛ ليثمر له ذلك مع الشيخ أمثالَه

قاعدة في الأدب .

مع الحق سبحانه لأن « **كل أدب يستعمله المريد مع الشيخ فإنه يثمر له مثلَه مع الله ـ عزّ وجلّ ـ** » . و (اعلم) ، أن هذا الأدب لا يتأتى من المريد ، مالم يكن له من الشيح جاذبٌ باطني ؛ فإن محبّة الشيخ للمريد إذا اتصلت أشعتها بالمريد تَحُوْشه إلى الشيخ ، وتحوطه من كل قاطع ؛ فإذا دامتْ دام الاتصال ، وإن انقطعت وقع الانفصال ؛ حتى قال بعض الأشياخ لمريد له ، كان يلازمه كثيراً ، ويصلي معه الصلوات الخمس ، ولا يغيب عنه في وقت من الأوقات ؛ وظن أنّ ذلك

الأصل محبة الشيخ للمريد .

من محبته في الشيخ لا من محبة الشيخ فيه ؛ فقال له الشيخ : أتحبني يا فلان ؟ فقال : يا سيدي ! ومن محبتي إليك وقع هذا الاتصال ؛ فقال له الشيخ : ستعلم ..!! . فمن ذلك الوقت ، ماقدر على أن يَصلَ إلى الشيخ ؛ حتى مرّت عليه سنة كاملة ؛ ولم يقدر على مشاهدة شيخه ؛ فضلاً عن ملازمته ؛ حتى عفا عنه الشيخ وسامحه .

وقال بعض الأشياخ يوماً لأصحابه : أتحبونني ؟ فقالوا : نعم ، يا سيّدي ! ماعندنا أعزّ منك ؛ فقال لهم : وهل أُحبّكم أنا ؟ فقالوا : لا ندري . فقال : ماجئتم بشيء ، إنما سبقت محبتي لكم ، فلما أشرقت أنوارُها فيكم أنتجتْ محبتكم لي .

وأمّا أصحاب الشيخ ـ رضي الله عنه ـ فمنذ عرفوه بردت قلوبهم من معرفة غيره وزيارته ؛ وبعضُهم يحسّ بالمنع من ذلك .

حكاية واقعة

حكى إليّ بعضُهم : أنه جاءَ لزيارة الشيخ ، ووافقه بعضُ الناس في الطريق ؛

وطلبوا منه أن يذهب معهم لزيارة ضريح الوليّ الصالح سيّدي « قاسم أبي عسرية »[٣٥] ـ المشهور ـ ؛ فاستحييت وذهبتُ معهم ، والقلبُ بارد من زيارته ، فلما وصلت إلى مشهده أصابني وجع في بطني ؛ فبتّ ليلتي في ذلك المشهد ، والوجع يتزايد حتى شغلني عن الزيارة ؛ ولما خرجت حين أصبح النهار ـ من ذلك المشهد ـ زال الوجع ، وصار كأنّه لا شيء . قال : ووقع لي ذلك مرة أُخرى ، فعلمتُ أن ذلك من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ .

عادة الشيخ الدباغ قدس سره .

قلت : و (عادةُ الشيخ رضي الله عنه مع أصحابه) أنْ يخبرهم بكل ما وقع لهم في الطريق ، إذا قصدوا زيارته ؛ حتى إنه يخبرهم بالكلام الذي يدور بينهم ، ويخبر بما في بواطنهم . ووقع لبعض أصحابه ـ رضي الله عنه ـ ما هو أقوى من هذا . وذلك ، أنّه أحس بأنه يُمنع من زيارة الصالحين ـ قبل أن يعرف الشيخ بمدة تقرب من سبع سنين ـ ؛ فحصل له قَنَط ، وظنّ أنّ ذلك شقاوةً وقساوة ؛ حتى جاء إلى بعض من يُظنّ فيه الخير ، وقال له : يا سيدي ...! إن زيارة الصالحين تثقل عليّ ، فقال له : أنت هو الذي تثقل عليهم ؛ فزاده قنطاً على قنطه ؛ ثم قصد رجلاً آخر يُظنّ فيه الخير ، فشكا إليه ذلك ؛ فقال له : إن الولي قد يكون في حضرة الحق سبحانه فلا تكون روحه بأفنية القبور ؛ وقد لا يكون في الحضرة ، فتكون روحه بأفنية القبور ؛ فلعلك إذا جئت إلى ضريحه تجدُه في الحضرة فلا تكونُ روحه في قبره ، حتى يحصلَ لك أنس به ، وتحصلُ لك وحشة ، ويثقل عليك الحال ، فخفف عليه الأمر بهذا الكلام إلا أنه قال : إن كنتُ كلّما جئتُ ولياً أزوره ، لاأجدُ روحه بفناء قبره ، فهذا عرق من الشقاوة فيّ إلى الآن لم يَزُل . فلمّا جمعه الله ـ تبارك وتعالى ـ مع الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، لم يكن عنده أهمّ من أن يسأله عن هذا الأمر :

[س] فقال : يا سيدي ..!! إن زيارة الصالحين تثقل عليّ كثيراً ، وقد شكوت إلى سيّدي فلان فقال لي : كيت وكيت ؛ وإلى سيّدي فلان ؛ فقال لي : كيت وكيت ؛ فما تقولون أنتم ـ رضي الله عنكم ـ ؟

---

(٣٥) قاسم أبو عسرية : قلت يفيد السياق أنه ولي مدفون في مدينة فاس ـ لم أجد له ترجمة فليراجع ـ .

[ج] فقال له الشيخ رضي الله عنه ـ وقد نظر إلى مشموم من الورد معلّق في حانوت ـ فقال : إن صاحب هذا المشموم ، إنْ أعطاه لكل أحد يقلبه ويمسه بيده فإنّه يفسد ، ويحصل فيه ذبول ويَبَس ، فالصواب في حقه ، والأليقُ به ، أن يمنعه من كل أحد . قال [أي أحد أصحاب الشيخ] : فعلمت أني ممنوع من زيارة غير الشيخ ـ رضي الله عنه ـ قبل أن أعرفه بسنين .

حكاية واقعة

و (وقعت حكاية أخرى) وهي : أن رجلاً من أصحابه ـ رضي الله عنه ـ كان يعتقد الخير في بعض السادات ، وكان يحبّه كثيراً ، ويزوره غالباً ؛ وله في صحبته مايقرب من سبع سنين حتى خامرت محبتُه شعرَه وبَشَرَهُ وعَظْمَه ولَحْمَه ، حتى ملأت ذاته من قرنه إلى إبهامه ، وكان يجزم بعد وفاة ذلك الشيخ لا يعرف غيره أبداً ، لأنه كان يعتقد أنه لانظير له ؛ قال : فجمعني الله مع الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، وبقيت معه ساعة ؛ فما قمت من عنده ، حتى زالت تلك المحبة المتعلقة بذلك الميت بأسرها ، وذَهَبت من سائر جسده بشراشرها ، ولم يقدر من تلك الساعة على زيارة ذلك الشيخ في قبره أبداً . فسأل الشيخَ ـ رضي الله عنه ـ فقال : ياسيدي ..! رأيت عجباً ..! كنت أحبّ سيّدي فلاناً محبةً لاتكيّف ، ولا تُوصف ؛ وكنت أجزم بأنّ غيره لايحل محله أبداً ، فلما جالستُك ساعة زال ذلك كلُّه ، والفرض أن ذلك الشيخ لم نتعرض له في تلك الساعة ، ولا جرى له ذكر ، ولا تكلمنا في الأسباب التي تمحو محبته ...!!

فقال ـ رضي الله عنه ـ : ذلك الشيخ صادق ، ووليّ من أولياء الله تعالى ، وأنت في محبتك له صادق ، ولكنّ المحبة التي بينكما ليس لها أصل تنزل عليه . ثم ضرب له مثلاً ، فقال : كطفل صغير له أب ، ففرق الله بينه وبين أبيه ؛ فالتقطه رجل آخر ؛ وجعل يربيه ؛ فكبر الولد ، ولا يرى غير الرجل الذي كان يربيه ؛ فصار يقول له : أبي ؛ ويحنّ له كما يحنّ الولد إلى أبيه ، حتى بقي عنده نحواً من سبع سنين ؛ ثم جاء أبوه الذي هو ابنه من صلبه ، فوجد الولد جالساً بفناء دار الرجل الذي يربيه ، فوقف أمامه ساعة ثم مرّ عنه ؛ فإن عروق ذلك الولد تذهب كلها مع أبيه الذي هو من صلبه ؛ ولا يبقى شيء منها مع الرجل المربّي له ؛ فلا يَحُلّ أحد

ضرب مثل

في قلبه محلّ أبيه من صلبه ، وإن كان قبل ذلك يظنّ أن الرجل المربّي هو أبوه . قال : فمحا ـ والله بهذا المثال ـ ما بقي في قلبي من رشوحات تلك المحبّة ، وقطعها من جذْرها . وهكذا حال الأكابر ـ رضي الله عنهم ـ ، حتى قالوا : « إن المريدين بمثابة أكواب الحمام فهي لمن غلب » ، فـ « الشيخ الذي يغضب على مريده حيث يتركه ويذهب لغيره عاجز أو عقيم » ؛ فمن عَجْزه أو عُقمه ذَهَب مريده لغيره .

من كلام المشايخ . أصل

وكم مرةٍ يذهب الشيخ ـ رضي الله عنه ـ إلى زيارة بعض الصالحين ، فيخرج معه جماعة من أصحابه ، ـ وفقهم الله ـ فيقولون له : أنت مقصودنا ، وأنت الذي نزوره ، وذهابنا لسيّدي فلان ، مساعفة لك ، ومؤانسة لذاتك ؛ فأنت مقصودنا ، سواء ذَهَبْتَ لسيدي فلان تزوره أو إلى غيره . فإذا وصل الشيخ ـ رضي الله عنه ـ إلى ضريح الوليّ ـ الذي قصده ـ يذهب وحده ، أو يستصحب واحداً من أصحابه ليرافقه ، وبقية أصحابه قانعون بالشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، مكتفون به ، معتقدون : أنه لا يبلغه أحد من أهل زمانه ـ رضي الله عنه ـ ، ولا من الأموات قبْله ؛ وإنّما يُقَدّمون عليه ساداتِنا الصحابة لا غير ، فَهُم لا يعرفون غير الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ؛ حضر الشيخ أو غاب ؛ في حياته ، وبعد مماته .

مقام الدبّاغ بعد وفاته .

ولما مات الشيخ ـ رضي الله عنه ـ كنت أتكلف الذهاب إلى زيارته في قبره كثيراً ؛ فوقف عليّ في المنام وقال لي : إن ذاتي ليست بمحجوبة في القبر ، بل هي في العالم كله عامرةٌ له ومالئة ، وفي أي موضع تطلبني تجدني ، حتى إنك لو قمت إلى سارية في المسجد وتوسلتَ بي إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ فإني أكون معك حينئذ ؛ ثم أشار إلى العالَم كلّه ، فقال ؟ وأنا فيه بأجمعه فحيثما طلبتني وجدتني ؛ وإياك أن تظنّ أني أنا ربك ـ عز وجل ـ فإنّ ربّك ـ عزّ وجلّ ـ غير محصور في العالم وأنا محصور فيه ، هذا ما سمعته منه ـ رضي الله عنه ـ في المنام .

شطحة

وكذا سمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول في حياته : إنّ العالم كلّه قد يكون أحياناً في وسط جوفي[٣٦] . وسمعته رضي الله عنه ـ أحياناً ـ يقول : ما السموات

(٣٦) قلت : يعني أنه يشهده في سرّه ، وسرّ الوليّ مستمد من سرّه ﷺ الذي هو من سرّ الله عز وجل والذي به رأى ﷺ ربّه ليلة المعراج ويرى المؤمنون ربّهم يوم القيامة . اهـ المحقق .

السبع والأرضون السبع في نظر العبد المؤمن إلا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض . فواجب أيضاً أن تختلف حضرة الشيخ في قوله [في البيت الأخير المتقدم] :

(وَلاَ تَعْرِفَنْ فِي حَضْرَةِ الشَّيْخِ غَيْرَهُ)

بحسب مقامات الأشياخ ـ رضي الله عنهم ـ ؛ فحضرة شيخنا ـ رضي الله عنه ـ هي العالم بأسره . والله أعلم ● ثم **قال** :

٢٥ـ وَلاَ تَنْطِقَنْ يَوْماً لَدَيْهِ فَإِنْ دَعَا إِلَيْهِ فَلاَ تَعْدِلْ عَلَى الْكَلِمِ النَّزْرِ

يقول ـ والله أعلم ـ : لاتنطق في وقت من الأوقات عند شيخك ؛ فإنْ سألك عن شيء فلا تعدل عن الجواب ـ الذي تدعو إليه الحاجة ـ إلى الإكثار والتطويل ، فإن ذلك يزيل هيبة الشيخ ، وهذا ـ والله أعلم ـ مالم يطلب منه الشيخُ الإكثارَ من الكلام ؛ فإنْ طلب مه ذلك ، وكان للشيخ فيه غرض ، فإنّه ينبغي له حينئذ الإسهاب والتطويل ، مراعياً خاطرَ الشيخ ؛ فإذا رآه شبع من الكلام فإنّه يجب عليه الرجوع إلى أدبه . وقد سبق[٣٧] ما كان يقوله لنا الشيخ ـ رضي الله عنه ـ حين يغيب في المشاهدة[٣٨] : اهدروا علي كثيراً ، فإنّ الله يأجركم على ذلك ، ـ يعني لأنه يرجع بذلك إلى حسّه ـ ● **وأصل** هذا الكلام الذي في البيت لصاحب العوارف ، قال فيها[☆] بعد أن ذكر تأويلات في قوله تعالى : ﴿ لاَتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات:١] وقيل : نزلت في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ ، فإذا سُئل الرسول ﷺ عن شيء خاضوا فيه ، وتقدموا بالقول والفتوى ؛ فنهُوا عن ذلك .

وهكذا **أدب**[٣٩] المريد في مجلس الشيخ : ينبغي أن يلزمَ **السكوتَ** ؛ ولا يقول شيئاً بحضرته ، من كلام حَسَن ، إلا إذا استأمره الشيخ في ذلك ، وَوَجدَ من

---

(٣٧) ص (١١١) .

(٣٨) **المشاهدة** : هي رؤية التجليات الإلهية كثيفة . **والمعاينة** : أرق من المشاهدة . اهـ بتصرف من معراج التشوف إلى حقائق التصوف .

(☆) في الباب (٥١) ص ٧٠ [ط على هامش الإحياء] .

(٣٩) كذا في ظ ١ . وفي غيرها : دأب . قلت : والظاهر أنه تصحيف .

الشيخ فسحة . وشأن المريد في حضرة الشيخ ، كمن هو قاعد على ساحل بحر ، ينتظر رزقاً يساق إليه ؛ فتطلّعه إلى الاستماع ، وما يرزق من طريق كلام الشيخ ، يحقق مقام إرادته ، وطلبه ، واستزادته من فضل الله تعالى ؛ وتطلّعه إلى القول يردُّه عن مقام الطلب ، والاستزادة إلى مقام إثبات شيء لنفسه ؛ وذلك جنايةٌ المريد .

وينبغي أن يكون تطلعه إلى مامعهم[٤٠] من حاله ، يَستكشف عنه بالسؤال من الشيخ ؛ على أن « **الصادق لايحتاج إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ** » ، بل يبادئه الشيخ بما يريد ؛ لأن الشيخ يكون مستنطِقاً نطقَه بالحقّ ؛ وهو عند حضور الصدّيقين يرفعُ قلبه إلى الله تعالى ، ويَستمطر ويَستسقي لهم ، فيكون لسانُه وقلبُه في القول والنطق مأخوذَين إلى فهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين إلى مايُفتَح عليه . ثم قال : ويكون الشيخ فيما يجريه الحقّ - سبحانه وتعالى - على لسانه مستمعاً ، كأحد المستمعين . وكان « الشيخ أبو السعود »[٤١] - رحمه الله - يكلّم الأصحاب بما يُلقى إليه ، ويقول : أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم . فأشكل ذلك على بعض الحاضرين ، وقال : إذا كان القائل يعلم مايقول فكيف يكون مستمعاً ؟ فرجع إلى منزله ، فرأى في ليلته في المنام ، كأن قائلاً يقول له :

قاعدة

---

(٤٠) كذا في الأزهرية . قلت : هو الأقرب للصواب . وفي بولاق وعثمان : إلى مهم من حاله . وفي ظ ١ : إلى فهم من حاله ليستكشف ... وفي الحلبية : إلى معهم ...

(٤١) **أبو السعود بن أبي العشائر** (... - ٦٤٤ هـ) : هو من أجلّ مشايخ مصر . كان السلطان ينزل لزيارته . من تلاميذه : **داود المغربي ، خضر الكردي** ... كان يسمع عند خلع نعليه أنين كأنين المريض فسُئل عنه فقال : هي النفس نخلعها عند النعال إذا اجتمعنا بالناس خشية التكبر .

- من (أقواله) : لاينصحك من لاينصح نفسه ، ولا تأمن الغشّ ممن غشّ نفسه . إذا لم تعْنَ بنفسك فغيرُك أحرى أن يضيّع نفسَك .

كتب رسالة إلى بعض إخوانه : السلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته وبعد فقد سألتني أيها الأخ أن أدعو لك والعبد أقل من أن يُجاب له دعاء . ولكن ندعو لك امتثالاً فنقول : ألهمك الله يا أخي ذكره ، وأوزعك شكره ورضّاك بقَدَره ، ولا أخلاك من توفيقه ؛ ولا وَكَلَك إلى نفسك ؛ وجعلك ممن وفّى بعهده ، وصدق في قوله وفعله ...) . توفي بالقاهرة الأحد / ٩ شوال ، ودفن من يومه بسفح الجبل المقطّم . اهـ من الطبقات ١٦٢/١ .

أليس الغواص يغوص في البحر لطلب الدرّ ؟ ويرجع بالصدف في مخلاته ، والدرّ قد حصل معه ؟ ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر ؛ ويشاركه في رؤية الدرّ من هو على الساحل ؟ ففهم في المنام إشارة الشيخ في ذلك ● فأحسن « آداب المريد » مع « الشيخ » السكون والخمود والجمود ، حتى يبادئه الشيخ بما لَهُ فيه المصلحة قولاً وفعلاً اهـ . والله أعلم ● ثم قال :

٢٦ـ وَلاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِهِ وَلاَ تَجْهَرُوا جَهْرَ الَّذِي هُوَ فِي قَفْرِ

يقول ـ والله أعلم ـ : لا ترفعوا أيها « المريدون » أصواتكم فوق صوت الشيخ ، فإن ذلك يخلُّ بالأدب ؛ ولا تجهروا له بالقول كجهر سكان القِفار والبوادي ، الذين معهم جفاء وجلافة ؛ ولكن عظّموه وفخّموه وقولوا : يا سيدي ، ويا أستاذي ، ويا وليّ الله ، ونحو ذلك . وأصل هذا الكلام الآية الشريفة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢] .

قال « السهروردي » في « العوارف » ـ رضي الله عنه ـ : ومن تأديب الله تعالى أصحابَ رسول الله ﷺ قولُه [تعالى] : ﴿ لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات:٢] . كان « ثابت بن قيس بن شماس »[٤٢] في أذنه وَقْر ، وكان جَهوري الصوت ، وكان إذا تكلم جهر بصوته ، وربما كان يكلم النبيّ ﷺ فيتأذى بصوته ، فأنزل الله الآية تأديباً له ولغيره . ثم قال ـ بعد أن ذكر روايات[٤٣] في سبب نزولها ، ... وأنها نزلت في منازعة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ بحضرته ـ قال : فكان « عمر » بعد ذلك ، إذا تكلم عند النبيّ ﷺ لا يُسمع كلامه حتى يُستَفْهم . وقيل : لمّا نزلت الآية آلى أبو بكر أن لا يتكلم عند النبيّ ﷺ إلا كأخفى السرّ .

---

(٤٢) ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري (.. ـ ١٢ هـ) : صحابي ، كان خطيبَ الرسول ﷺ ، شهد أُحداً وما بعدها . جاء فيه حديث : « نعم الرجل ثابت » . استشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما . وله قصة مشهورة في وصيته بعد موته [حيث نفّذها له أبو بكر الصديق كما سيأتي ذكره] . اهـ من الأعلام .

(٤٣) كذا في ظ ١ وهو الصواب . وفي الحلبية : رواية . قلت : هو خطأ .

فهكذا ينبغي أن يكون المريد مع شيخه ، فلا ينبسطْ برفع الصوت ، وكثرة الضحك والكلام ، إلا إذا باسطه الشيخ . فرَفْعُ الصوت إلقاء لجلباب الوفاء . « **والوقارُ إذا سكن القلبَ عقلَ اللسانَ** » ، وقد ينال باطنَ بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ مالا يستطيعُ أن يشبع النظر إلى الشيخ . حكمة

ثم قال : قال « ابن عطاء »[٤٤] في قوله [تعالى] : ﴿ لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ : زجرٌ عن الأدنى لئلا يتخطى أحد إلى مافوقه[٤٥] في ذلك . وقال « سهل » : لاتخاطبوه إلاّ مستفهمين ، وقال « أبو بكر بن طاهر »[٤٦] : لاتبدؤوه بالخطاب ، ولا تجيبوه إلا على حدود الحرمة[٤٧] : ﴿ وَلَاتَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ أي لاتغلظوا له في الخطاب ، ولا تنادوه باسمه : يا محمّد ، يا أحمد ؛ كما ينادي بعضكم لبعض ؛ ولكن فخّموه وعظّموه وقولوا : يا نبيّ الله ، يا رسول الله ﷺ ...!!

ومن هذا القبيل يكون الخطاب من المريد للشيخ . و « **إذا سكن الوقار في القلب ظهر على اللسان كيفيةُ الخطاب** » . ولّما كَلِفَتِ النفوس بمحبة الأولاد والأزواج ؛ وتمكنت أهوية النفوس والطباع استخرجت من اللسان عبارات غريبة هي نَحتٌ[٤٨] وقتها ، صاغها كَلَف النفوس وهواها ؛ و « **إذا امتلأ القلب حرمة** حكمة حكمة

(٤٤) ابن عطاء الله السّكَنْدري (.. ـ ٧٠٩ هـ) : هو أحمد بن محمد بن عطاء الله الإسكندري الجذامي ، الشاذلي ، الشهير بابن عطاء الله ، أبو العباس ، وأبو الفضل ، صوفي ، مشارك في أنواع العلوم . صاحب « الحكم العطائية » وغيرها . توفي بالقاهرة . اهـ معجم المؤلفين . قال الشيخ « زرّوق » في « قواعد التصوف » [القاعدة ٧٣] : ... وتَفْصيل هذه الطريقة [أي الدلالة على الله تعالى ، هو] في كتب ابن عطاء الله ، ومن نحا نحوه . اهـ . وفي الحلبية : ثم قال ابن عطاء . والصواب هو من ظ ١ .

(٤٥) كذا في ظ ١ . قلت : هو الصواب . وفي الحلبية : إلى فوقه .

(٤٦) أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري (.. ـ ٣٣٠ هـ) : هو من أقران الشبلي من مشايخ الجبل . عالم ورع صحب يوسف بن الحسين وغيره . حدث عنه منصور بن عبد الله قوله : إذا أحببت أخاً في الله فاقلل مخالطته في الدنيا . اهـ الرسالة القشيرية ص ٢٩ . من أصحابه أبو بكر محمد بن أحمد الفراء من كبار مشايخ نيسابور . اهـ طبقات الصوفية ٥٠٧ .

(٤٧) في ظ ١ : لاتقاء الحرمة .

(٤٨) كذا في ظ ١ بالنون . وفي الحلبية : بالتاء ، وهو تصحيف .

ووقاراً **تعلم اللسان العبارة** » ● ثم قال بعد أن ذكر ما فعل ثابتُ بن قيس ـ رضي الله عنه ـ ، لَمَّا نزلت الآية ، من تقييده نفسَه ، وما شهد له به رسول الله ﷺ حينئذ من « عيشه سعيداً ، وموته شهيداً ، ودخوله الجنة » ؛ وما آل إليه أمره من نزول قوله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﴾ ﷺ . الآية [الحجرات:٣] . والشهادة والوصيّة بعد الموت وإجازة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لها . قال : فهذه كرامة ، ظهرت لثابت ، بحسن تقواه وأدبه مع رسول الله ﷺ ؛ فليعتبر « **المريد الصادق** » ، وليعلمْ أن الشيخَ تذكرةٌ من الله تعالى ورسوله ، وأن الذي يعتمده مع الشيخ عَوْضٌ مالو كان في زمن رسول الله ﷺ لاعتمده مع رسول الله ﷺ . فلما قام القوم بواجب الأدب أخْبر الحقّ عن حالهم وأثنى عليهم فقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ [الحجرات:٣].

أي أخلص قلوبهم واختبرها ، كما يُمتحن الذهب بالنار ، فيخرج خالصه . فكان اللسان ترجمان القلب وتهذَّبَ اللفظُ لما تهذَّبَ القلبُ . فهكذا ينبغي أن يكون المريد مع الشيخ .

قال أبو عثمان [المغربي] : **الأدب** مع الأكابر ، وفي مجلس السادات من الأولياء ، يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى ، والخير في الأولى[٤٩] والعقبى ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾ [الحجرات ٥] .

ثم **قال** بعد كلام في قوله [تعالى] : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُون ﴾ [الحجرات:٤] :

---

(٤٩) كذا في الأصل ـ في كتاب عوارف المعارف ٨٧ ـ وفي الحلية وغيرها : دنيا ـ بدل ـ أولى .

أبو عثمان سعيد بن سلام **المغربي** (..... ـ ٣٧٣ هـ تقريباً) : صحب الزجّاجي ، ولقي النهرجوري وابن الصايغ وغيرهم وكان في الرياضة كبير الشأن . مات بنيسابور ، صلى عليه ابن فورك بوصيته ... من **أقواله :** من آثر صحبة الأغنياء على الفقراء ابتلاه الله بموت القلب . اهـ من الرسالة القشيرية ص ٣٢ .

وفي هذا تأديب للمريد ، في الدخول على الشيخ ، والإقدام عليه ، وتركه الاستعجال ؛ وصبره إلى أن يَخرج الشيخُ من موضع خلوته اهـ[٥٠] ● ثم قال :

٢٧ـ وَلاَ تَرْفَعَنْ بِالضَّحْكِ صَوْتَكَ عِنْدَهُ فَلاَ قُبْحَ إلاّ دُونَ ذَلِكَ فَاسْتَقِرِ

تعريف الضحك .

قال « عياض » : الضحك حالةٌ تغيرٍ ، يوجبها سرورٌ ، ويغلب ، فتنبسط له عروق القلب فيجري فيها الدم فيفيض إلى سائر عروق الجسد فتثور لذلك حرارة ينبسط لها الوجه ، ويضيق منها الفم ، وينفتح ، وهو التبسم ؛ فإذا زاد السرور ، وتمادى ، ولم يضبط الإنسان نفسه قَهقَه اهـ . أي : لاترفعن بالضحك صوتك عند الشيخ فلا قبح ـ من الأمور التي سبق ذمها ، والنهي عنها ـ إلا دون رفع الصوت بالضحك بحضرة الشيخ ، أي فهو فوقها كلّها في القبح ● وقوله (فاستقرِ) ، هكذا بالقاف ، من الاستقراء ـ في بعض النسخ ـ أي استقرِ الأمورَ المذمومة ، فإنك تجد هذا الأمر فوقَها في القبح . وفي بعضها بالعين المهملة هكذا « فاستعْرِ » من الاستعراء وهو طلب التعرّي من هذا الأمر الذميم أي : فتخلصْ من هذا الأمر وتخلَّ عنه . وفي العوارف : وتصعب معرفة الاعتدال في الضحك . والضحك : من خصائص الإنسان ويُمَيِّزُهُ عن جنس الحيوان . ولا يكون الضحك إلا من سابِقَة تعجب . والتعجب يستدعي الفكر . والفكرُ : شرف الإنسان وخاصيته ، ومعرفة الاعتدال فيه شأن من ترسَخُ قدمه في العلم ، ولهذا قيل : **إياك وكثرةَ الضحك فإنه يميت القلب** ؛ وقيل : **كثرة الضحك من الرعونة** .

أثر

وروي عن [سيدنا] عيسى [عليه السلام] أنه قال : إن الله يبغض الضحّاك من غير عجب ، والمشّاء من غير أَرَب . ثم قال : وجعل **أبو حنيفة**[٥١] ـ رحمه

---

(٥٠) نقلاً من عوارف المعارف ص ٨٨ .

(٥١) أبو حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠) هـ : النعمان بن ثابت بن النعمان بن مرزبان الفارسي من الأحرار . أدرك والده الإمام علي بن أبي طالب فدعا له ولذريته بالبركة . ● **مشايخه** : حماد بن سلمة في الفقه . ـ وروى القراءة عرضاً عن الأعمش وعاصم وابن أبي ليلى . ● صح أنه سمع الحديث من سبعة من الصحابة وأدرك بالسن عشرين صحابياً . ● **تلامذته** : اجتمع معه ألف من أصحابه ، أجلّهم وأفضلهم أربعون قد بلغوا حد الاجتهاد . أشهرهم : القاضي أبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وعبد الله بن المبارك ، وزفر ، والحسن بن زياد . وابنه حمّاد وعبد الرزاق . وأخذ الحديث عن (٤٠٠٠) من التابعين . =

الله ـ القهقهة من الذنب [في الصلاة] ، وحكم ببطلان الوضوء بها ، وقال : تُقيم الإثم مُقامَ خروج الخارج اهـ ● ثم قال :

٢٨ ـ وَلاَ تَقْعُدَنْ قُدَّامَهُ مُتَرَبِّعاً وَلاَ بَادِياً رِجْلاً فَبَادِرْ إِلَى السَّتْرِ

أدب الجلوس خاصة أمام الشيخ .

معناه ظاهر ، وقال : أبو طالب المكي ـ رضي الله عنه ـ : وكان من هدي العلماء في قعودهم ، أن يجتمع أحدهم في جلسته ، وينصب ركبتيه ؛ ومنهم من يقعد على قدميه ، ويضع مرفقيه على ركبتيه ؛ كذلك كان من شمائل كلِّ من تكلم في هذا

= مما ينسب له : ● مسند في الحديث ● والفقه الأكبر في التوحيد ● والمقصود في الصرف ● ومناظراته مع الدهريين ... ● وروى عنه الإمام محمد كتب ظاهر الرواية التي نقلت بالتواتر ● وأفرد الخزاعي قراءته في جزء قال ابن الجزري : لو صح سندها إليه لكانت من أصحّ القراءات . [قلت : لذا فهي معدودة في جملة القراءات الشاذة] .

شمائله وفضله : ـ قال السيوطي في الحديث الذي رواه الشيخان « والذي نفسي بيده لو كان الدّين مُعلقاً بالثريا لتناوله رجل من فارس » : [هذا الحديث] أصل صحيح يعتمد عليه في الإشارة لأبي حنيفة . ● قال ابن دكين : كان هيوباً ، لا يتكلم إلا جواباً ، ولا يخوض فيما لا يعنيه . ● قال الحسن ابن صالح : كان شديد الورع ، هائباً للحرام ، تاركاً لكثير من الحلال مخافة الشبهة . ● وقال شقيق البلخي : كان من أكرم الناس وأكثرهم احتياطاً في الدين ، وأبعدهم عن القول بالرأي في دين الله عزّ وجلّ ؛ وكان لا يضع مسألة في العلم حتى يجمع أصحابه عليها ويعقد عليها مجلساً ... اهـ . [قلت : وجاء في أصول الفقه : أنه كان يقدّم الحديث المرسل والضعيف على القياس اهـ] . ● كان يُسمّى الوتد لكثرة قيامه بالليل ، بل أحياه بقراءة القرآن ثلاثين سنة ● صلى خمساً وأربعين سنة الخمس صلوات(☆) بوضوء واحد وكان يجمع القرآن في ركعة ● رأى ربّه في المنام مائة مرة . وختم القرآن في الموضع الذي مات فيه (٧٠٠٠) مرة ● ضُرب بالسياط ليَلِيَ القضاء فلم يفعل ● قال فيه الشافعي : من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ● قال الحصكفي في شرح الدر : [أبو حنيفة هو] مِنْ أعظم معجزات المصطفى ﷺ بعد القرآن وحسبك من مناقبه اشتهار مذهبه ... وقد اتبع مذهبه كثير من الأولياء كإبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي ومعروف الكرخي وأبي يزيد البسطامي والفضيل بن عياض وداود الطائي واللفاف وخلف بن أيوب وابن المبارك ووكيع بن الجراح وأبي بكر الوراق والشاذلي وحاتم الأصم وغيره .
● قلت : ذكر لنا عن الشيخ أبي الخير الميداني رحمه الله أن حوالي $\frac{1}{2}$ المسلمين في العالم هم على مذهبه رضي الله عنه . ● قلت : ويعتبر مذهبه أهم مرجع في القضاء عند كثير من دول العالم .
من أقواله : ● ماصلّيتُ قطّ إلا ودعوتُ لشيخي حمّاد ولكل من تعلمتُ منه علماً ● من هان عليه فرضه هان عليه دينه .
توفي : في بغداد ، وقبره مشهور فيها ضمن مسجد . اهـ ملخصاً ـ الطبقات ٥٣/١ ، حاشية ابن عابدين على الدر ٣٤/١ ـ ٤٧ طبعة بولاق .

(☆) وفي الطبقات : صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة .

العلم خاصة من عهد أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن زمان الحسن البصري ؛ وهو أول من تكلم في هذا العلم ، وفتق الألسنة به إلى وقت أبي القاسم الجنيد(٥٢) ، قبل أن تظهر الكراسي .

الحسن البصري أول من تكلم بعلم الحقيقة .

وكذلك روينا عن رسول الله ﷺ أنه **كان يقعد القُرْفُصاء ، ويحتبي بيديه** . وفي خبر آخر : **كان يقعد على قدميه ، ويجعل يديه على ركبتيه** . ثم قال : وإنما كان يجلس متربعاً ، النحويون وأهل اللغة وأبناء الدنيا من العلماء المفتين ؛ وهي جلسة المتكبرين . ومن التواضع : الاجتماع في الجلسة اهـ .

جلوسه الشريف ﷺ .

فللمريد أُسْوة حسنة في النبيّ ﷺ ومن بعده من العلماء الزاهدين أهل المعرفة واليقين ● ثم **قال** :

٢٩ـ وَلاَ بَاسِطاً سَجَّادَةً بِحُضُورِهِ فَلاَ قَصْدَ إلاَّ السَّعْيُ لِلْخَادِمِ الْبَرِّ
٣٠ـ وَسَجَّادَةُ الصُّوفِيِّ بَيْتُ سُكُونِهِ وَلاَ وَكْرَ إلاَّ أَنْ يَطِيرَ عَنِ الْوَكْرِ

يقول ـ والله أعلم ـ : ولا تكن أيها المريد باسطاً سجادة تجلس عليها بحضور شيخك ، فإنَّ ذلك ينافي مقصودك ؛ فإنّ مقصودك خدمةُ الشيخ ، والقيامُ بأموره ، وبذل النفس في حوائجه ومهماته ، واشتغالُك بالجلوس على السجادة يقتضي طلب الراحة ، ويوهم التساوي مع الشيخ في الدرجة . ومحل سجادة الصوفي بيتُ سكناه لا مجلس شيخه ؛ بل ينبغي له في مجلس شيخه التواضع ، والتصاغر ، والاشتغال بالخدمة ● وقوله : (ولا وكرَ إلا أن يطير عن الوكر) ، « الوكر : هو عش الطائر الذي يأوي إليه » ؛ وأطلقه هنا على مجلس الشيخ الذي يأوي إليه المريدون .

تعريف الوكر

---

(٥٢) أبو القاسم الجنيد (.. ـ ٢٩٧ هـ) : أصله من نهاوند ، ولد ونشأ في العراق ● مذهبه على مذهب أبي ثور صاحب الإمام الشافعي ● أصحابه : السقطي ـ القصّاب ... ● هو من كبار أئمة القوم وساداتهم في علم الشريعة والحقيقة (ذو الجناحين) ومن أكمل من يقتدى بهم ● أثنى عليه جميع العلماء .

من كلامه : إن الله يخلص إلى القلوب من برّه على حسب ما تخلص إليه القلوب مِنْ ذِكْره ؛ فانظر ماذا خالطَ قلبَك .

توفي يوم السبت ، وقبره ببغداد ظاهر . اهـ مخلصاً الطبقات ٨٥/١ . قال في الرسالة : كان الكَتَبَةُ يحضرون مجلسه لألفاظه ، والفقهاء لتقريره ، والفلاسفة لدقّة نظره ومعانيه ، والمتكلمون لتحقيقه ، والصوفية لإشاراته وحقائقه ● عدّه السلمي في « طبقات الصوفية » من الطبقة الثانية .

والمعنى : وكما أنه لا سجادةَ لك مع حضور الشيخ ؛ فلا وكر لك معه ؛ أي لا مجلس لك معه يجتمع عليك الناس فيه ، وتنصرف إليك فيه الوجوه ، فإن في ذلك سوءَ أدب مع الشيخ وقطيعة وعقوقاً ، اللهم إلا أن تكون تربيتك كَمُلت ؛ ووصل لك الفطام ؛ وأَذِنَ لك الشيخ بالتربية والاستقلال ؛ وصرت إماماً مربياً ، فلا بأس بالمجلس حينئذ ، لكن بعد الانفصال عن الشيخ وفراقه لمحل آخر . وعنه كنّى بقوله : (إلا أن يطير عن الوكر) ؛ أي : إلا أن يكمل أمرَه ، ويطيرَ عن شيخه ، ويستقل بنفسه ، كالفرخ الذي كملت تربيته ، وقدر على الطيران ؛ فإنّه يستقلّ بأمره ولا يحتاج إلى أبيه . وقوله : (فلا قصدَ إلا السعيُ للخادم البرّ) ، أي : لا غرضَ للخادم البرّ ، الصادق في الإرادة ، إلا السعيُ في حوائج الشيخ ومهمّاته .

قال في العوارف[٥٣] : « ومن **آدابهم الظاهرة** : أن المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة ؛ فإن المريد من شأنه التبتل بالخدمة ؛ وفي السجادة إيماءٌ إلى الاستراحة والتعزز .... » ؛ ثم قال ـ في موضع آخر[٥٤] بعد كلام ـ : « و [أمّا] **الخدمة** [فـ] شأن من دخل الرباط مبتدئاً ، ولم يذق طَعمَ المُعلَّم[٥٥] ، ولم يتنبه لنفائس الأحوال ، فَيُؤمَرُ بالخدمة لتكون عبادتُه خدمَة ؛ ويجذبَ بحسنِ الخدمة قلوبَ أهلِ الله تعالى إليه ، فتشمله بركة ذلك ، ويُعين الإخوانَ المشتغلين بالعبادة » . إلى أن قال : « والخدمة عند القوم ، من جملة العمل الصالح ؛ وهي : طريق من طرق المواجيد ، تكسبهم الأوصافَ الجميلة ، والأحوال الحسنة »[٥٦] ● **ثم قال :**

٣١ـ وَمَا دُمْتَ لَمْ تُفْطَمْ فَلاَ فَرَجِيَّةَ عَلَيْكَ وَلاَ تُلْقَى عَلَيْهَا بِمُسْتَجْرِ[٥٧]

---

(٥٣) اهـ . من عوارف المعارف الباب (٥٨ أ) ، ٩٣/٤ هامش الإحياء .

(٥٤) عوارف المعارف الباب (١٤ أ) ، ٦٣/٢ هامش الإحياء .

(٥٥) كذا في عوارف المعارف وهو الأقرب معنىً . وفي ظ ١ والحلبية : طعم للعاملة . قلت : هو بعيد معنىً .

(٥٦) كذا في المرجع السابق . وفي الحلبية وبولاق : المواجد .

(٥٧) لا فرجيّة : لا : عاملة عمل ليس . تلقى : توجد اهـ . وفي بعض نسخ الرائية : تُلفَ . أي بدون ألف مقصورة على أنها مجزومة بـ « لا » . وفي ظ ١ : تلقى .

يقول ـ والله أعلم ـ : وما دمتَ ـ أيها المريد ـ لم تفطم عن رضاع التربية ، ولم تبلغ إلى درجة الاستقلال ، فلا ينبغي لك لباس ماهو من زيّ الشيوخ كالفرجيّة ؛ وهي لباس معروف عندهم . والمستجرئ : هو الذي له جرأة على الشيء .

قال « أبو عبد الرحمن محمد بن الحسن السّلميّ »[58] ـ رضي الله عنه ـ : ويكره لبس الفَرجيّة أيضاً إلا للمشايخ فإنها بمنزلة الطيلسان . والسجادة والطيلسان[59] للمشايخ ؛ والبرانس للمريدين اهـ . وهذا الحكم جار في كل زيّ للشيوخ ، لأنّ العلّة واحدة ؛ وهو يختلف باختلاف الأعراف ● ثم قال :

٣٢ـ وَلاَ تَرَيَنْ فِي الأَرْضِ دُونَكَ مُؤْمِناً   وَلاَ كَافِراً حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الْقَبْرِ

يقول ـ والله أعلم ـ : ولا تريَنْ أيها المريدُ في الأرض ـ مؤمناً أو كافراً ـ أدنى منك منزلة ، وأخفضَ منك عند الله مرتبةً ، بل اعكس الأمر ، وقل : إنّك دون كلّ أحد ؛ واستَمِرَّ على ذلك إلى أن تموت . قال « أبو يزيد البسطامي » رضي الله عنه : مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه ، فهو متكبر . قيل : فمتى يكون متواضعاً ؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقاماً ، ولا حالاً ؛ وتواضَعَ مع كل أحد على قَدْرِ معرفته بربه وبنفسه .

التواضع والتكبر

(٥٨) أبو عبد الرحمن السُّلَميّ (٣٢٥ ـ ٤١٢ هـ) : محمد بن الحسن عربي الأصل ، أبوه منسوب إلى سراقة من أزد شنوءة . واشتهر بنسبته إلى قبيلة والدته سُلَيم حيث جده لأمه عمرو بن نجيد السُّلَميّ . نشأ في بيت علم وتصوف .
● مشايخه : ـ منهم الدارقطني في الحديث وأبو نصر السراج وأبو نعيم الأصبهاني ، وجده لأمه وغيرهم في الفقه والتصوف والفنون المتنوعة . عدّ منهم العالم « نور الدين شريبه » في مقدمته على طبقات الصوفية (٢٨) شيخاً . ● تلامذته : استقصى عددهم في المقدمة المذكورة بـ (٢٣) من العلماء . منهم : البيهقي والشيرازي والجويني (أبو محمد والد أبي المعالي) والقشيري . ● مصنفاته : بلغت (٣٠٠) جزء في علوم الحديث . واشتهر بتآليفه في التصوف قيل : بلغت (٧٠٠) جزء أي كراسة . من أشهرها « طبقات الصوفية » . ● ولادته ووفاته في نيسابور ـ أهمّ مدن خراسان في إيران ـ وقبره مشهور . اهـ من تصدير على « طبقات الصوفية » لشريبة .

(٥٩) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والحلبية : فالطيلسان ...

(قال في العوارف)[٦٠] : وقد سئل يوسف بن أسباط[٦١] : ما غاية « التواضع » ؟ فقال : أن تَخْرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيته خيراً منك . [ثم قال] ورأيت شيخنا « ضياءَ الدين أبا النجيب [السهروردي] »[☆] وكنت معه في سفره إلى الشام ، وقد بعث له بعض أبناء الدنيا طعاماً على رؤوس الأُسارى من الإفرنج ، وهم في قيودهم ، فلما مُدت السفْرة ـ والأُسارى ينتظرون الأواني حتى تَفرغ ـ ، قال للخادم : أَحضرِ الأُسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء ؛ فجاء بهم وأَقعَدَهم على السفرة صفاً واحداً ، وقام الشيخ من سجادته ، ومشى إليهم ، وقعد بينهم كالواحد منهم ؛ فأكل وأكلوا ، وظهر لنا على وجهه ما نازَل باطنَه ، من التواضع لله ، والانكسار في نفسه ، وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله .

التواضع مع الأسارى .

وقال الشيخ أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي[٦٢] ـ رحمه الله ـ : رأيت الشيخ الفقيه أبا محمد « عبدَ الله بنَ عبد الرحمن بنِ مقيّد » ـ وكان من الفقهاء العلماء ـ يوماً وهو يمشي في يوم شاتٍ ، كثيرِ المطر والطين ، فاستقبله كلب يمشي على الطريق الذي كان يمشي عليها ، قال : فرأيته قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقاً ووقف ينتظره ليجوز ، وحينئذ يمشي هو ، فلما قرب منه الكلب رأيته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشي فوقه ، قال : فلما جازه

تواضع مع الحيوان .

---

(٦٠) من الباب الثلاثين (٦/٣ على هامش الإحياء) .

(٦١) **يوسف بن أسباط** (ـ حوالي ١٩٠ هـ) : كان يعمل الخوص بيده ويتقوت حتى مات . له أقوال في التواضع والزهد والفرار من الشرّ ، ومن يقرأ القرآن ثم يميل لمحبة الدنيا ، والعجب وخطره عند العلماء ، والشهرة وتأثيرها على صفاء القلب . اهـ من طبقات الشعراني ٦١/١ . ومن أصحابه : عبد الله بن خبيق كما ذكره في الرسالة القشيرية ص ١٩ .

(☆) **أبو النجيب السهروردي** (ـ ٥٦٣ هـ) : عبد القادر . يلقب بضياء الدين وبنجيب الدين . له نسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . انعقد عليه إجماع العلماء بالاحترام . وجعل الله له القبول والمهابة . **أصحابه** : شهاب الدين السهروردي وابن مسعود الرومي . أقواله : منها ● أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبة ... ● أفضل الأشياء عندهم [أي السادة الصوفية] : عدّ الأنفاس ... ● أهل التصوف على ثلاث طبقات : مريد طالب ، ومتوسط طائر ، ومنته واصل ... ● سكن بغداد ، ودفن بمدرسته على شاطئ دجلة . اهـ . طبقات الشعراني ١٤٠/١ .

(٦٢) **علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي** (ـ هـ) :
عبد الله بن عبد الرحمن بن مقيد (ـ هـ) :
} قلت : لم أجد لهما ترجمة فيظهر أنهما غير مشهورَيْن . فليراجع .

الكلب ، وصلتُ إليه فوجدت عليه كآبة ؛ فقلت : يا سيدي ! رأيتك الآن صنعت شيئاً استغربته ؛ كيف رميت نفسك في الطين ، وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي ؟! فقال لي : بعدَ أن عمِلتَ له طريقاً تحتي ، تفكّرت ، وقلت : ترفّعتُ عن الكلب ، وجعلتُ نفسي أرفعَ منه ، بل هو ـ والله ـ أرفع مني ، وأولى بالكرامة ؛ لأني عصيت الله تعالى ، وأنا كثير الذنوب ؛ والكلب لا ذنب له ، فنزلتُ له عن موضعي ، وتركته يَمشي عليه ؛ وأنا الآن أخاف المقتَ من الله ، إلا أن يعفو عنّي ، لأنّي رفعت نفسي على من هو خير مني ● قال « ذو النون [المصري] »[٦٣] رضي الله عنه : من أراد التواضع فليوجّه نفسه إلى عظمة الله فإنّها تذوب وتصغر ؛ ومن نظر إلى عظمة الله تعالى وسلطانه ذهب عنه سلطان نفسه ؛ لأنّ النفوس كلّها صغيرة عند هيبته . فإذا حصل العبد على هذا المعنى من التواضع تواضَعَ للخلق لا محالة ، لرؤية نسبتهم إلى الحقّ تعالى ؛ ولذلك (قال في العوارف)[٦٤] : ومتى لم يكن للصوفيّ حظّ من « التواضع الخاصّ » على « بساط القرب » ، لا يتوفّر حظّه من التواضع للخلق اهـ . والله أعلم ● ثم قال :

دواء للتواضع

التواضع الخاص .

٣٣ـ فإنّ خِتَامَ الأَمْرِ عَنْكَ مُغَيَّبٌ ۞ وَمَنْ لَيْسَ ذَا خُسْرٍ يَخَافُ مِنَ الْمَكْرِ

يعني أن الخاتمة مجهولة ؛ وجهلها يقتضي ما سبق ، وهو أنه لا يَرى أحداً دونه : فإن كان الشخص ذا خسر فلا إشكال في خوفه ؛ وإن كان ذا عمل صالح فإنه لا يَأمن مكرَ الله . قال « ابن العربي الحاتمي » رضي الله عنه : و « من آدابهم »

(٦٣) ذو النون المصري (.. ـ ٢٤٥ هـ) : ثوبان بن إبراهيم الاخميمي . أبو الفيض ● زاهد عابد مشهور ● مصري من النوبة ● أصله من الموالي ● نحيف تعلوه حمرة ● له فصاحة وحكمة وشعر ● أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ● استحضره « المتوكل العباسي » بتهمة فسمع كلامه وأطلقه فعاد إلى بلده وتوفي بالجيزة وجنازته مشهورة . ● من كلامه : ● لكل شيء علامة ؛ وعلامة طرد العارف عن حضرة الله تعالى انقطاعه عن ذكره ● من نظر إلى عيوب الناس عمي عن عيوب نفسه ● سئل عن السفلة من الخلق ؛ فقال : من لا يعرف الطريق إلى الله تعالى ولا يتعرفه ● أدركنا العلماء وأحدهم كلما ازداد علماً ازداد في الدنيا زهداً ... وأنتم اليوم ...!!؟ . اهـ من الطبقات الكبرى للشعراني ٧٠/١ . الأعلام والرسالة القشيرية ص ٢ .

(٦٤) الباب الثلاثون (١٨/٣ هامش الإحياء) .

من آدابهم مع الله تعالى .

مع الله تعالى : ـ وقليل فاعله ـ أن يعتقد الإنسانُ أن لله نظراتٍ في كل زمان إلى قلوب عباده ، يمنحهم فيها من معارفه ولطائفه ، ماشاء ؛ فإذا فارق شخصاً ، ساعة واحدة، وأعرض عنه نَفَساً واحداً ؛ وهو جالس معه ثم عاد إليه ؛ فإنه يتهيأ للقائه بالخدمة والتعظيم ؛ لعل نظرةً من نظراته حصلت له أغنته ..!! ؛ فإن كان الأمر كذلك ـ يعني بأن حصلت له نظرة من تلك النظرات ـ فقد وفّى معه الأدب ؛ وإن لم يكن الأمر كذلك ، ـ يعني بأن لم يحصل له شيء من تلك النظرات ـ ؛ فقد تأدّب مع الله تعالى ، حيث عامله بما تقتضيه المرتبة الإلهية . وهذا مقام عزيز قلّ أن ترى له ذائقاً .

من آدابهم مع الخلق .

و « [من آدابهم] » كذلك أيضاً إذا شاهدوا عاصياً في حال عصيانه ، ثم زال عن تلك المعصية ؛ فإنهم لا يعتقدون فيه الإصرار ، ويقولون : لعله تاب في سرّه ؛ ولعله ممن لاتضره المعصية ، لاعتناء الباري [سبحانه] به في عاقبة أمره . ومن نظر[٦٥] نفسه خيراً من أحد ، من غير أن يعرف مرتبته ، ومرتبة ذلك الآخر ، ـ بالغاية لا بالوقت ـ فهو جاهل بالله عزّ وجلّ ، مخدوع لا خير فيه ، ولو أُعطي من المعارف ماأعطي اهـ .

خوف العارفين

وقال أبو طالب المكي[٦٦] ـ رضي الله عنه ـ : ومن خوف العارفين علمُهم بأن الله ـ عزّ وجلّ ـ يخوّف عباده بمن شاء من عباده ؛ الأَعْلَين يجعلهم نكالاً للأَدْنَين ، ويخوف العمومَ من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده ؛ حكمةً له ، وحكماً منه ؛ فعند الخائفين في علمهم أن الله تعالى قد أخرج طائفة من الصالحين نكالاً خوّف بهم المؤمنين ؛ ونكّل بطائفة من الشهداء خوّف بهم الصالحين ؛ وأخرجَ جماعة من الصديقين خوّف بهم الشهداء ـ والله أعلم بما وراء ذلك ـ فصار من أهل كلّ مقام عِبرةً لمن دونهم ، وموعظةً لمن فوقهم ، وتخويفٌ وتهديد لأصحابهم . وهذا داخل في

(٦٥) في ظ ١ : أو ينظر الباري إليه بنظر الرحمة في عاقبة أمره . ومن رأى نفسه خيراً ...

(٦٦) أبو طالب المكي (.. ـ ٣٨٦ هـ) : محمد بن علي بن عطية . مكيّ حارثيّ . واعظ زاهد فقيه . من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) . نشأ بمكة ، ورحل إلى البصرة . سكن بغداد ، فوعظ فيها . له : « علم القلوب » و « قوت القلوب في معاملة المحبوب » و « أربعون حديثاً » اهـ من الأعلام . قلت : امتدح « الشيخ زرّوق » في « قواعد التصوف » كتاب « قوت القلوب » ونبّه على أهمية مافيه أيضاً [القاعدة ٧٠ و ٧٥] .

وصف من أوصافه وهو : ترك المبالاة بما ظهر من العلوم والأعمال ؛ فلم يسكنْ عند ذلك أحدٌ من أهل المقامات في مقام ؛ ولا نظرَ أحدٌ من أهل الأحوال إلى حال : ولا أمِنَ من مكر الله ـ عزّ وجلّ ـ عالمٌ به في كل الأحوال اهـ .

وقال أبو حامد [الغزالي] رضي الله عنه : إن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حدّ المعقولات والمألوفات ؛ ولا يمكن الحكم عليها بقياس ، ولا حَدْس وحسبان ، فضلاً عن التحقيق والاستيقان . وهذا الذي قَطّع قلوب العارفين ؛ إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يباليٌ بك . (ثم قال) ـ بعد كلام طويل ـ : ـ قال بعض العارفين : لو حال بيني وبين من عرفته ـ خمسينَ سنةً بالتوحيد ـ اسطوانةٌ فماتَ لما قطعت له بالتوحيد ؛ لأنّي لاأدري ماظهر له من التقليب .

وقال بعضهم : لو كانت الشهادةُ على باب الدار ، والموت على الإسلام على باب الحُجرة ، لاخترت الموت على الإسلام ، لأني لاأدري مايعرض لقلبي من باب الحجرة إلى باب الدار . وكان « سهل » يقول : خوف « الصدّيقين » من سوء الخاتمة عند كلّ خطرة وكلّ حركة ، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال الله تعالى : ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون:٦٠] . قال : وكان « سهل » يقول : المريد يخاف من المعاصي ؛ والعارف يخاف أن يُبتلى بالكفر . وكان أبو يزيد يقول : إذا توجهت إلى المسجد ، فكان في وسطي زنار ، أخاف أن يذهب بي إلى البِيْعَة ، أو لبيت النار ، حتى أدخل المسجد فينقطع عنّي الزنّار . فهذا دأبي كلّ يوم خمسَ مرات • اهـ .

حكاية غريبة خوف ولي من الله تعالى .

ووقعت حكاية غريبة من هذا المعنى ؛ سمعتها من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : سمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : لقيتُ بمكة ـ شرّفها الله ـ أبا الحسن عليّ الصدغاء الهندي ، فوجدته على حالة غريبة ؛ وذلك أنه إذا أراد أن يخطو خطوة يرفع رجله ، وترتعد في الهواء ، ثم يردها فترتعد ، ثم يعيدها إلى ناحية الخطوة فترتعد ؛ ولا يكمل الخطوة حتى يقول من رآه : مابه إلاّ الجنون ؛ ثم هكذا في كل خطوة ؛ وكذا إذا رفع طعاماً إلى فيه ، يقع له مثل ذلك ، فيمدّ يده إلى ناحية فمه ، فترتعد ،

ثم يردها إلى ناحية فمه ، فترتعد ، ولا يجعل اللقمة في فيه حتى يرحمه كلّ من يراه ؛ وكذا يقع له مثل ذلك إذا أراد أن يضطجع . وبلغ به الحال إلى أن وقع له ذلك في كل حركة اختيارية منسوبة إليه ؛ حتى وقع له ذلك في تغميض الجفن وفتحه . فلما رأيت منه ذلك أكربني وأحزنني غاية ، حتى رحمته . (فقلت له) : يا أبا الحسن ماهذه الحالة التي أنت عليها وقد جعلك الله من أوليائه وخواص أصفيائه ومن كبار العارفين به ، ومن أهل الديوان ؛ وذاتك سليمة صحيحة لا علة فيها ؟..! (فقال) : ماذكرتَ هذا الذي حلّ بي لأحد سواكم ، وسأذكره لكم . وهو : أن الله تعالى ـ وله الحمد ـ أطلعني على مشاهدة فعله في مخلوقاته : فأنا أرى فعله سارياً في الخليقة ، عياناً ، لا يغيب عليّ منه شيء ● ثم أطلعني الله تبارك وتعالى ـ وله الحمد بمحض فضله ـ على « أسرار فعله » و« قضائه وقدره » في خليقته ؛ فأنا أشاهد تلك الأفعال ؛ وأعلم لِمَ كانت ؟ وأعلم « أسْرار القَدَر » فيها ، بحيث لا يخفى عليّ شيء من تلك الأسرار ● ثم نظرتُ إلى فعله فِيَّ ، فوجدته قد حجبني عن مشاهدته ومشاهدة أسراره ؛ فوقع في ظني أنّه ماحجبني عن مشاهدته إلا لشرّ أراده بي ؛ بأن يكون سخطه تعالى مقروناً بفعل من أفعالي ؛ فحجبني عن الجميع ؛ حتى لا أعلم الذي يكون هلاكي به فأجْتنبه ؛ فلذا صرت خائفاً من كلّ فعلٍ اختياريّ منسوب لي ، وأُجوّز في كلّ فعل من أفعالي الاختيارية أن يكون هو سببَ هلاكي ، فما من فعل من أفعالي إلا وأنا أخاف منه ؛ فلذلك صرت أتضرع إلى الله تعالى بظاهري وباطني ، وأستحضر الخوف من الفعل الذي أريد أن أُقدِمَ عليه ؛ وأسأله تعالى أن لا يكون ذلك الفعل سبباً لهلاكي ... والحركة الأولى في مدّ رِجلي فعلٌ ؛ فأرتعد منها ، وأخاف ، فأردها ، وأرتعد خوفاً من الردّ ؛ وهكذا ، في كلّ فعل ● **قال** الشيخ رضي الله عنه : فما زلتُ أُذَكّره بالله ـ عزّ وجلّ ـ ، وأُذْكرُ له سَعَةَ رحمته ، وقوله في الحديث القدسي[٦٧] : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَاشَاءَ ، فَإِنْ ظَنَّ بِي خَيْراً أَعْطَيْتُهُ خَيْراً » الحديث . وهو يسمع لكلامي ؛ حتى ظننت أنه سيرجع عن حالته تلك . ثم عاوده ظنّه ، وبقي على حالته ، وكل من رآه يرحمه ، ويدعو له بتعجيل الراحة ، نصح وإرشاد

(٦٧) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد والدارمي .

بهذه أو بهذه ● قال رضي الله عنه : وتَمَنَّيت أن يراه « أهل الحجاب » ، ويعلمون بسرّ حاله ، وشدّة خوفه من الله ـ عزّ وجلّ ـ ، وعظيمِ مراقبته له سبحانه ، في كلّ حركة وسكون : حتى يعلموا ماهم عليه من الانهاك في الشهوات والقطيعة عن الله ـ عز وجل ـ ● قال رضي الله عنه : وإنّما أخفى سبحانه فعله فيه [أي في ذلك الوليّ] عن مشاهدته ، لرحمةٍ أرادها به ، فإنّه لو أطلعه على ذلك ؛ وصار يشاهد الفعل فيه ، لذابت ذاته . ولّما أراد تعالى بقاءه واستمراره إلى أجل معيّن ، أخفى عليه فعله فيه . ومشاهدة فعل الربّ ـ سبحانه ـ بالعبد كما ثبتت له [أي لذلك الوليّ] ثبتت لغيره من الأولياء ، بل وكذا سائر الأنبياء . و« **الحادث** ـ كيفما كان ـ **لا يطيق مشاهدة فعل الربّ فيه ، وإلاّ لذاب** » . وإنما « الذي يطيقه الحادثُ مشاهدة فعل الربّ في غيره » . والله أعلم ● ثم قال :

تحقيق في العقيدة .

٢٤ـ وَلاَ تَنْظُرَنْ يَوْماً إِلَى الْخَلْقِ إِنَّهُ يُخَلِّي طَلِيقَ الصَّفْوِ فِي كَدَرِ الأَسْرِ

لّما نهى المريدَ عن التكبر على الخلق والازدراء بهم ؛ حذّره من الإفراط في الجانب الآخر ؛ كي لا يجعلَهم قِبلة ، ويرائيَهم في أفعاله ، وينظر إليهم في أحواله وأقواله ؛ فقال : (ولا تنظرن يوماً) أي لحظة من الزمان ، ووقتاً من الأوقات (إلى الخلق) ، فتراعيَهم في أحوالك وأفعالك وأقوالك وشؤونك كلها من عبادات وعادات . فـ (إن) النظر إليهم في ذلك والتقييد بهم (يخلّي) الطليق الصافي من العلل والآفات (في كدر [الأسر]) أسرِ العلل والآفات ، لأنك حيث نظرت إلى الخلق في أفعالك وأقوالك يدخل عليك الرياء ، والتصنع لهم ، والتزين لهم ، وتحسين مواضِع نظرهم منك ؛ ولذا قال الشيخ « أبو عبد الله القرشي »[٦٨] ـ رضي

(٦٨) أبو عبد الله القرشيّ (ـ حوالي ٤٠٠ هـ) : من كبار الأولياء بمصر . جليل القدر ، مشهور بحبّ الفقراء ويعظمهم لكونهم انتسبوا إلى الله تعالى . كان متستراً بكونه أعمى أجذم لاترضى بمثله النساء ؛ طلبت ابنة أحد أصحابه أن يزوجها للشيخ القرشي فعقد عليها الشيخ وحين ذهبت النسوة دخل ... وخرج شاباً جميل الصورة ... بثياب حسنة ... فسترت وجهها حياء منه ... فقال لها : أبقى معك على هذا الحال ومع غيرك على تلك الحالة ولا تخبري أحداً حتى أموت !! . فقالت : بل أرضى بحالك بين الناس . فدعا لها ... ولذا كانت حرمتها بين الفقراء [أي مُريدي زوجها] كحرمة الشيخ في حال حياته . من **أقواله** : ● احتقار الفقراء سبب لارتكاب الرذائل ● الزم العبودية وآدابها ولا تطلب بها الوصول إليه فإنه إذا أرادك له أوصلك إليه ، =

الله عنه ـ : « **من لم يقنع في أقواله وأفعاله بسمع الله ونظره ، دخل عليه الرياء لامحالة** » ● وقال « بشر الحافي »[٦٩] ـ رضي الله عنه ـ : « **ماأعرفُ رجلاً أحبَّ أن يُعرف إلا افتضح** » .

وقال أيضاً : « **لايجدُ حلاوةَ الآخرةِ رجلٌ يُحبُّ أنْ يَعْرِفَهُ الناسُ** » ● وقال بعضهم : « **ولا تَطْمَعْ في المَنزلة عند الله وأنتَ تريد المنزلة عند الناس** » ● قال في « العوارف »[٧٠] : وهذا أصل ينفسد به كثير من الأعمال إذا أهمل ، وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر [اهـ] . وهذا الكلام هو أصل هذا البيت . [اهـ][٧١] .

تحقيق في معرفة الله سبحانه .

(**وكنت مع الشيخ**) ـ رضي الله عنه ـ ذات يوم بباب الحديد[٧٢] ، فنظر إليّ وقال : **لايطمعْ أحدٌ في معرفة الله وهو لايعرف الرسولَ ﷺ ؛ ولا يطمعْ أحدٌ في معرفة الرسول ﷺ وهو لايعرف شيخَه ؛ ولا يطمعْ أحد في معرفة شيخه وهو لم يصلِّ على الناس صلاتَه على الجنازة . فإذا خرج**

= وأي عمل خلص حتى تطلب به الوصول ؟! ● لايكون الابتلاء إلا في الفحول من الرجال . اهـ من الطبقات الكبرى بتصرف ١٥٩/١ . (وقال ابن حجر) في تقريب التهذيب : مصري مقبول من [الطبقة] السادسة . **قلت** : في ظ ١ : أبو عبد الله القشيري قلت : ولم أجد له ترجمة ، بينما في بولاق وغيرها من الطبعات : القرشي وهو الصواب كما في شرح الرائية . كما نقل عنه في الرسالة القشيرية كلاماً في المحبة وغيرها (انظر ص ١٥٩) . وكذا في عوارف المعارف ٣٤٣/٤ هامش الإحياء .

(٦٩) **بشر الحافي** (... ـ ٢٢٧ هـ) : أبو النصر ، بن الحارث . أصله من مرو . أوحد وقته علماً وحالاً . صحب الفضيل بن عياض . مات ببغداد وقبره ظاهر مشهور .

من أقواله : ● صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، وصحبة الأخيار تورث حسن الظن بالأشرار وإن الله عز وجل لايسأل عبداً قط لِمَ حَسَّنتَ ظنّك بعبادي ● سئل عن التصوف ؛ فقال : هو اسم لثلاث معان وهو : ـ أن لايطفي نورُ معرفة العارف نورَ ورعه ـ. وأن لايتكلمَ في علم باطن ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة ـ. ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله عز وجل . اهـ من الطبقات الكبرى ٧٣/١ والرسالة القشيرية ص ٦ . **قلت** : ونقل للمؤلف كلامه عنه مما ذكره الشعراني في ترجمته في الطبقات . وقال الإمام أحمد بن حنبل لأخت بشر : ... من بيتكم يخرج الورع الصادق . [انظر الرسالة القشيرية ـ باب الورع ـ ص ٥٩] .

(٧٠) الباب (   ) / هامش الإحياء . [لم أجده في عوارف المعارف فليراجع] .

(٧١) نقل المؤلف غالب هذا الكلام من شرح رائية الشريشي للفاسي ص ٦١ باختصار وتصرف .

(٧٢) في ظ ١ : باب الجديد ـ أي بالجيم ـ

الناسُ من نظره ، وصار لايبالي بهم في أقواله وأفعاله وشؤونه كلّها ، جاءته الرحمة من حيث لايحتسب . ● ويعجب الشيخ - رضي الله عنه - [م-]من لايُبالي بنظر الناس إليه . ويَحكي لنا في هذا الباب أسراراً نفيسة . - وفقنا الله لما يحبّه ويرضاه ، بمنّه وكرمه . آمين - والله أعلم ● ثم **قال :**

٣٥- وَإنْ نَظَمَ الْحَقُّ الْكَرَامَاتِ أَسْطُراً   فَـلاَ تُبْـدِيَنْ حَرْفـاً لِغَيْرِكَ مِنْ سَطْرِ

٣٦- سِوَى الشَّيْخِ لاَتَكْتُمْـهُ سِراً فَإنَّـهُ   بِسَاحَـةِ كَشْفِ السِّرِ يَجْرِي عَلَى بَحْرِ

سبق : أن المريد إذا صلى على الناس صلاته على الجنازة ، وخرجوا من نظره ، فإنَ الرحمة تأتيه من حيث لايحتسب ؛ ولذلك قال : (وإنْ نَظَمَ الحقُّ الكرامات) ، أي : وإن رحمك الله - سبحانه - حيث انحصر نظرك فيه ، وظهر لك كراماتٌ كثيرة ، فالأدب أن تكتُمَها ولا تذكرْها لأحد سوى الشيخ ، فلا تكتمه شيئاً منها ، فإنه طبيبك العارف بعِلَلِكَ التي تقطع عنك الطريق ؛ ومن كان بهذه الصفة فهو جدير بأن تُكشف له الأسرار ، وتُرفعَ دونه الأستار ● (وقوله : فإنه بساحة كشف السر يجري على بحر) ، أي : فإنّ الشيخ - لمعرفته بعللك - بمثابة من يجري على بحرٍ في ساحة كشف السرّ . والساحة هي المحل هنا . والمعنى : فإن الشيخ يجري على بحر في محلّ كشف السرّ . **قال** في « العوارف »[٧٣] : ومن « **الأدب** » أن لايَكتمَ عن الشيخ شيئاً من حاله ، ومواهبِ [موارد فضلِ] الحقّ عنده ، وما يظهر له من كرامة [أ][٧٤]و إجابة ؛ ويكشفَ للشيخ من حاله - ويَعلَمُ الله تعالى منه - ؛ وما يستحي من كشفه يذكرُه إيماءً وتعريضاً ؛ فإنّ المريد متى انطوى ضميره على شيء لايكشفه للشيخ تصريحاً وتعريضاً ، يصير على باطنه عقدة في الطريق ؛ وبالقول مع الشيخ تنحلّ العُقدةُ وتزولُ .

أدب المريد

أدب المريد

عقدة الطريق

من آداب الشيخ

(ثم **قال**) - في آداب الشيخ[٧٥] - : ومن **جملة مهام الآداب** : حفظ أسرار المريدين فيما يكاشَفون به ، ويُمتحون من أنواع المنح ؛ **فسرّ المريد لا يتجاوز**

---

(٧٣) الباب (٥١) ، (٩٣/٤ هامش الإحياء) .

(٧٤) مابين المعترضات [ ]:زيادة غير موجودة في أصل العوارف .

(٧٥) الباب (٥٢) ، (١١٩/٤ هامش الإحياء) .

ربّه وشيخه ؛ ثمّ يحقّر الشيخُ في نفس المريد مايجدُه في خلوته ، من كشف أو سماع خطاب أو شيء من خوارق العادات ؛ ويُعرّفه : أن الوقوف مع شيء من هذا يَشغل عن الله تعالى . اهـ الغرض منه .

واقعة

قلت : وكنت أتكلم - ذاتَ يوم - مع الشيخ - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الأعراف:١٧٢] . فـ (**ذكر لي**) في ذلك كلاماً نفيساً ؛ فتأوّلتُ فيه تأويلاً . فجعل [هذا التأويل] يَحضر لي في الصلاة ؛ ففرحتُ به ، وذكرته للشيخ - رضي الله عنه - فساعفني في أوّل الحال ؛ ثم بعده بأيام قال لي : اتركْ ذلك عنك ؛ فلم أفهمْ سرّه ؛ ولم يَزَل - رضي الله عنه - يزجرني عن ذلك ، حتى تبين لي بعد ذلك أنّه لو طال عليّ لجرّني إلى أمور قبيحة . فحمدت الله تعالى ، وعلمتُ أنه من بركته - رضي الله عنه -

كرامة كشف

كرامة

و (**شكوتُ** له) - ذاتَ يوم رضي الله عنه - شيئاً من الأمور التي تعرض لنا . **فقال** لي - رضي الله عنه - : إنه لايقع لك ، ولا يعرض لك بعد هذا أبداً ؛ فكان الأمر كذلك ، وكأنما ضُرب بيني وبينه بسور .

و (**شكوت** له) - رضي الله عنه - ذاتَ يوم : أمراً نزل بي فيه ضرر في الدِّين والدنيا ، لاتُؤمن غائلته . **فقال** لي - رضي الله عنه - : أما في الدنيا فلا تخش منه أبداً ، ولا يقعُ لك منه شرّ أصلاً . وأما في الآخرة : فأنا أتكفّل لَكَ على الله تعالى أنك لاتُسأل عن هذا الأمر ، ولا تحاسب عليه . فكان الأمر في الدنيا كما قال - رضي الله عنه - ؛ ونرجو من الله سبحانه أن يكون الأمر في الآخرة كما قال - رضي الله عنه - .

إرشاد

وكان رضي الله عنه يقول لنا : لاتكتموا عنّي شيئاً من الأمور التي تنزل بكم ، في الدين والدنيا ، وأخبروني حتى بالمعاصي التي تقع لكم ؛ وإن لم تخبروني أخبرتكم فإنه « **لاخير في صحبةٍ يُستر معها شيء من أحوال المتصاحبين** » .

وكان رضي الله عنه يقول : أمّا أنا ، فلا أكتم عنكم شيئاً من أموري . ثم يشرح لنا رضي الله عنه حالَه ، حتى بلغ إلى وقته ذلك ؛ ويذكر لنا جميعَ ماوقع له من العاديات وغيرها ؛ ويقول لنا - رضي الله عنه - : إن لم أخبرْكم ، ولم أطلعْكم على أحوالي ، فإن الله يعاقبني ويحاسبني لأنكم تظنّون بي الخير ؛ فاصبروا حتى أذكر لكم

الأمور الباطنية التي لم تطّلعوا عليها ؛ فمن شاء منكم بعد ذلك أن يبقى معي فليبقَ ، وحينئذ يحلّ لي أكل طعامه وقبول هديته ؛ ومن شاء أن يذهب ، فليذهب ، فإنّ سكوتي عن ذكر تلك الأمور غش لكم . وما كان رضي الله عنه لأصحابه إلا (رحمة محضة ؛ يشفع لهم في زلاتهم ، ويتكفل لهم بنوائبهم ، ويتحمل لهم كل مايخشون عاقبته ، ويهتم لأمورهم أكثر [مـ]ـمّا يهتم لأموره) .

صفات المرشد

وقال لي ـ رضي الله عنه ، ذاتَ يوم ـ : الرجل الذي لايشاطر صاحبَه في سيئاته ماهو بصاحب له ● وقال : « إن لم تكن **الصحبة** إلا على الحسنات فما هي بصحبة » ● وبالجملة ، فما كان ـ رضي الله عنه ـ لأصحابه إلاّ رحمة مرسلة من الله ـ عزّ وجلّ ـ : فعلى مثله يبكي الباكون ● ولو رمنا تفصيل أعيان الجزئيات الواقعة لنا معه ، ولغيرنا ، في هذا الباب ؛ لطال الكلام . فظهر بهذا قوله في « العوارف »[٧٦] : (وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة) . والله أعلم . ● **ثم قال :**

شروط الصحبة

٣٧ ـ وَفِي الْكَشْفِ إِنْ كُوشِفْتَ رَاجِعْهُ إِنَّهُ — لإيضاحِ سرّ الكشفِ[☆] مبْتَسِمُ الثَّغْرِ

أي : راجع أيها المريد شيخك في الكشف إن كوشفت بشيء ، (إنه) أي الشيخ (مبتسم الثغر) لإيضاح الكشف ؛ أي : إنه مسرور وراض بسؤالك له عن الكشف فيوضح لك سرّه .

قال « السهروردي »[٧٧] ـ رضي الله عنه ـ : وقد تتجرد للذاكر الحقائق ، من غير لبسة [عالَم] المثال ، فيكون ذلك كشفاً وإخباراً من الله تعالى إياه ؛ ويكون ذلك تارة بالرؤية ، وتارة بالسماع ، وقد يسمع من باطنه ؛ وقد يطرق ذلك من الهواء ـ لا من باطنه ـ كالهواتف ؛ يعلم بذلك أمراً يريده الله له ، أو لغيره ؛ فيكون ذلك إخباراً من الله تعالى له ، ليزداد يقينه [أو يرى في المنام حقيقة الشيء اهـ منه] ● وفوق هذا كله ، مَن كوشف بصِرف اليقين . بخلاف ماقبله من الكشف ، فإنه قد يقع للبراهمة والفلاسفة والدهريين والرهبانيين وغيرهم ، ممن سلك طريق

الكشف عند الفرق الضالة

(٧٦) المتقدم في الصفحة ١٥٣ .

(☆) كذا في أصل الرائية وشرحها وفي ظ١ . وفي بولاق والحلبية : لتوضيح ماكوشفت .

(٧٧) في عوارف المعارف (٢/٢٨٥ ، ٢٨٦ و ٢٩١ هامش الإحياء) الباب (٢٧) .

الخذلان والردى ؛ يكون ذلك في حقهم مكراً واستدراجاً ليستحسنوا حالَهم ؛ ويستقروا في مقام الطرد والبعد ، إبقاءً لهم فيما أراد منهم من العمى والضلال والردى والوبال ؛ حتى لا يغترّ السالك بشيء من ذلك ، ويعلمَ أنه لو مشى على الهواء والماء لا ينفعه ذلك حتى يؤدي حقّ التقوى والزهد ـ اهـ الغرض منه مختصراً وملفقاً ـ .

فلذا احتيج إلى الشيخ في الكشف ؛ حيث كانت غائلته لا تُؤمَن . ● ثم قال :

٣٨ـ وَلاَ تَنْفَرِدْ عَنْـهُ بِـوَاقِعَـةٍ جَرَتْ فَفِي عَشـاً عَيْنَـاكَ وَالسَّمْـعُ فِي وَقْرِ

العَشَا : ضعف في البصر . **والوَقْر** : ثقل في الأذن ؛ وقيل : ذهاب السمع كلّه . وأما **الواقعة** : فالذي يؤخذ مِنْ كلام صاحب « العوارف »[٧٨] أنّها ظهور الحقائق في « صورة مثال » ، كما أن **الكشف** ظهور الحقائق لا في « صورة مثال » . مثالُ ذلك : الظفرُ بالعدو ؛ فإنّ (النائم) قد يرى في منامه أنه يظفر بعدوه ؛ فإذا ظفر به بعد ذلك كانت رؤياه لا تحتاج إلى تعبير . وقد يرى النائم في منامه : الظفر به في « **صورة مثال** » . كما إذا رأى أنه « قتل حيّة » فاستيقظ فظفر بعدوه ؛ فحينئذ ، حقيقة الظفر ظهرت في « صورة مثال » ؛ فتحتاج رؤياه إلى تعبير . وفي القسم الأول ظهرت له تلك الحقيقة بلا صورة . فـ (**ما يكاشف به الشخص في حال يقظته**) ، إن كان في غير « صورة مثال » ، فهو « كشف » ، وإن كان في « صورة مثال » فهو « واقعة » ؛ وإنما احتيج فيها « **للشيخ** » زيادة على ما سبق في الكشف ؛ لأن تلك الصورة قد تكون لها حقيقة فتكون « واقعة » ؛ وقد تكون « مثالاً » فارغاً خالياً من الفائدة ، ليس وراءه معنى ولا حاصل ؛ نظير « **أضغاث الأحلام** » التي تقع في المنام ، فلا تكون واقعةً : لأن (**شرط صحة الواقعة**) : الإخلاص في الذّكر أولاً ، ثم الاستغراق في الذكر ثانياً ؛ و (**علامة ذلك**) : الزهدُ في الدنيا ، وملازمة التقوى . فالمعنى حينئذ : ولا تنفردْ عن الشيخ بواقعة جرت لك ، فإنك ضعيف السمع والبصر ، والشيخ هو الناقد النافذ . قال في العوارف[٧٩] : ومن (**آداب المريد مع الشيخ**) : أن لا يستقل بواقعة وكشف ، دون مراجعة

تعريف الواقعة ، الكشف ، المثال .

الكشف يقظة

أضغاث الأحلام .

(٧٨) الباب (٢٧ آ) ، (٢/٢٨٣ هامش الإحياء) .

(٧٩) الباب (٥١ آ) ، (٤/٩٦ هامش الإحياء) .

الشيخ : فإنَّ الشيخَ عِلمُه واسع ، وبابُه المفتوح إلى الله تعالى أكبر ؛ فإن كانت « الواقعة » صحيحة أمضاها الشيخ ، وإن كان فيها شبهة أزالها الشيخ [اهـ] ● ثم أطال في ذلك ● وقال [صاحب العوارف][80] أيضاً : و (**من لطائف**) ما سمعت من أصحاب شيخنا ـ رضي الله عنه ـ أنه قال ذات يوم لأصحابه : نحن محتاجون إلى شيء من العلوم ؛ فارجعوا إلى خلواتكم [واسألوا الله تعالى] ؛ وما يفتح الله عليكم ، ائتوني به . ففعلوا ؛ ثم جاءه من بينهم شخص يعرف بـ « إسماعيل البطائحي » ومعه كاغَد[81] عليه ثلاثون دائرة ؛ وقال : هذا الذي فُتح لي في واقعتي . فأخذ الشيخ الكاغَد ، فلم يكن إلا ساعة ، وإذا بشخص دخل ومعه ذَهَب ؛ فقدمه بين يدي الشيخ ، ففتح القرطاس وإذا هو ثلاثون صحيحاً ؛ فَنَزَّل كلَّ صحيح على دائرة ، وقال : هذا فتوح الشيخ إسماعيل ـ أو كلام هذا معناه ـ [اهـ] . ● وقال أيضاً[82] : و (**قد تنكشف**) الحقائق في لبسة الخيال ، أو في صورة مثال ؛ كما تنكشف الحقائق للنائم في لبسة الخيال . كمن (رأى في المنام أنه قتلَ حية) ، فيقول المُعَبِّر : تظفر بالعدوّ ● ثم أطال في ذلك ، وبيَّنَ فيه الفرق بين الواقعة والكشف ؛ وبيْنَ الواقعة الصحيحة ، والتي هي خيال محض . وأتى في ذلك بنحو الورقة من القالب الكبير . وقد لخصتُ زبدته في شرح هذا البيت والذي قبله . والله أعلم .

لطيفة

● **ثم قال :**

٣٩ـ وَفِرَّ إِلَيْـهِ فِي الْمُهِمَّـاتِ كُلِّهَـا   فَـإِنَّـكَ تَلْقَى النَّصْرَ فِي ذَلِـكَ الْفَرّ

معناه ظاهر . قال في العوارف[83] : و (**ليعتقد المريد**) أن الشيخ بابٌ فتحه الله إلى جناب كرمه ، منه يدخل ، ومنه يَخرج ، وإليه يرجع ؛ ويُنزل

---

(٨٠) الباب (٢٠) ، (١٥٢/٢ هامش الإحياء) .

(٨١) الكاغَد : ـ بفتح الغين ـ القرطاس معرّب . مُثَلَّث القاف ـ وما يطلق على الصحيفة من أي شيء كانت . اهـ بتصرف من القاموس المحيط .

(٨٢) تقدم في تعليق (٧٨) المتقدم .

(٨٣) الباب (١٢) في شرح خرقة مشايخ الصوفية (٤٣/٢ هامش الإحياء) .

بالشيخ سوانحه[٨٤] ، ومهامّه الدينية والدنيوية ، ويعتقد : أن الشيخ يَنزل بالله الكريم مايُنزل المريدُ به ؛ ويرجع في ذلك إلى الله للمريد ، كما يرجع المريد إليه .

المكالمة والمحادثة وأنواعها .

وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة ، في النوم واليقظة ؛ فلا يتصرف الشيخ في المريد بهواه ؛ فهو أمانة الله عنده ؛ ويستغيث إلى الله بحوائج المريد ، كما يستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ... ﴾ [الشورى:٥١] فإرسال الرسول : يختص بالأنبياء ، والوحيُ كذلك . والكلامُ من وراء حجاب : بالإلهام والهواتف والمنام وغير ذلك ، للشيوخ اهـ .

آداب القول مع الشيخ وشروطه .

وقال أيضاً : **ومن الأدب مع الشيخ**[٨٥] : أن المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو دنياه ، **لا يستعجل** بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له ـ من حال الشيخ ـ أنه مستعدّ له ، ولسماع كلامه ؛ فكما أن للدعاء أوقاتاً وآداباً وشروطاً لأنه مخاطبةٌ لله تعالى ؛ فللقول مع الشيخ أيضاً آدابٌ وشروط ؛ لأنه من معاملة الله تعالى . ويسأل اللهَ تعالى ـ قبل الكلام مع الشيخ ـ التوفيقَ لما يجب من الأدب اهـ .

مرتبة الشيخ

وقد **سمعت** الشيخ رضي الله عنه يقول : (الشيخ للمريد) في درجة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ؛ فإيمانه متعلق به ؛ وكذا سائر أموره الدينية والدنيوية . وأرباب البصائر يشاهدون ذلك عياناً . وكنت أخرج معه ـ رضي الله عنه ـ كثيراً وأنا لاأعرف درجته ، فكان يقول لي : مَثَلك مثل من يَظَلّ يمشي على عالي أسوار المدينة وشُرُفاتها ، مع ضيق المحلّ الذي تجعل فيه رِجلك ، وبُعد محلّ السقوط . فلم أفهم معنى هذا الكلام إلا بعد حين . فكان بعد ذلك إذا جرى هذا الكلام على خاطري يحصل لي منه روع عظيم ، وخوف شديد .

---

(٨٤) كذا في العوارف . والسوانح : ج سانحة . وفعله : سَنَحَ . قال في قاموس المحيط : سنح لي رأي : عَرَض . وسنح بكذا : عرَّض ولم يصرّح . قلت : فيكون المعنى إجمالاً : ينزل بالشيخ مايعرض له ● وفي ظ ١ : شواغله ، وفي الحلبية : حوائجه ● قلت ومعانيها متقاربة .

(٨٥) الباب (٥١ أ) ، (١١٢/٤ هامش الإحياء) نقله بالحرف تقريباً .

[س] وقلت له ذات يوم : إني أخاف من الله تعالى من أمور فعلتها ؛ فقال لي : ماهي ؟ فذكرتُ له ماحصل .

[ج] فقال لي رضي الله عنه : لاتَخَفْ من هذه الأشياء : ولكن أكبر الكبائر في حقّك أن تمر عليك ساعة ولا أكون في خاطرك ، فهذه هي المعصية التي تضرك في دينك ودنياك(٨٦) .

[س] وقلت له مرة : يا سيدي إني بعيد من الخير .

[ج] فقال لي ـ رضي الله عنه ـ : اطرح عنك هذا ...! ، وانظر إلى منزلتك عندي ، فعليها تُحمل . وكنا معه ـ رضي الله عنه ـ على حالة قلَّ أن يُسمع بمثلها ؛ لا يَنزل بنا أمر ـ مهمّ أو غير مهمّ ـ إلا ذكرناه له ؛ فيتحمله عنّا عياناً ، ويريحُ خاطرَنا منه بمجرد ذكره له .

ممازحة الشيخ لمريديه والتنزل لهم .

وكان ـ رضي الله عنه ـ : يمازحنا ، ويضاحكنا ، ويزيل الحياء عنّا ، ويفاتحنا بالأمور قبل أن نسأله عنها ؛ ويقول لنا : لاتجعلوني في مقام الشيخ ، إنما أنا لكم بمنزلة الأخ ، ومقام الشيخ لاتطيقون القيام بآدابه ، فأنا أسامحكم وأجعلكم في حلّ من ذلك ، واجعلوني بمنزلة الأخ ، تدوم الصحبة بيننا وبينكم . ـ فالله يجازيه عنا أفضل الجزاء بمنّه وكرمه ـ .

ولو رُمنا أن نشرح هذه النبذة التي أشرنا إليها من حال الشيخ رضي الله عنه لطال الحال . والله أعلم . ● ثم قال :

٤٠ ـ وَلاَ تَكُ مِمَّنْ يَحْسُنُ الْفِعْلُ عِنْدَهُ فَيَفْسُدَ إلاّ أَنْ يَفِرَّ إلَى الْكَرِّ

في هذا البيت تحذير من العجب ، الذي يضرّ بالعمل ؛ أي : ولا تكن من الذين تحسن عندهم أعمالُهم وتعجبهم ، فإنها تَفسدُ بذلك ؛ لأن **العجب مفسد للأعمال** . (وقوله : إلا أن يفر) بالياء من أسفل في بعض النسخ ؛ وفي بعضها

---

(٨٦) قلت : هذا مشرب ينهجه بعض العارفين في تربية أتباعهم تدرّجاً بهم إلى مراقبة النبي ﷺ ، ومن ثم إلى مراقبة الله سبحانه وتعالى ، لكن المعتمد في طريقة الشاذلية ـ كما حدثنا شيخنا البرهاني قدس سره ـ هو مراقبة الله تعالى مباشرة .

بـالتـاء من فـوق . والمعنى ظـاهر عليها . أي : لكن إذا فَرَرتَ من ذلـك العجب والاستحسان إلى الرجوع إلى الله تعالى ، فإنّ فعلك لا يفسـد ؛ لأنـك إذا رجعت إلى الله تعـالى تجـده هو المتصرفَ فيـك ، والمُجري ذلـك عليـك ؛ وأنـك وعـاء من جملـة الأوعية لا فرق بينك وبين غيرك ؛ وترى نفسك فيما صدر منك من الاستحسـان كمن يفتخر بفعل غيره : فتستبـدل العجبَ بـالحيـاء من الله تعـالى ، والخوفِ من مقتـه ، والشكر لـه على جزيل نعمتـه . **والعجبُ دليل على عدم قبـول العمـل** ؛ حتى قال بعض العارفين : **من علامة قبول العمل نسيانُك إياه ، وانقطاع نظرك عنه بالكلية** ، بدلالة قولـه تعـالى : ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فـاطر: ١٠] . قال : فعلامة رفع الحقّ تعالى ذلـك العمل أنـه لا يبقى عنـدك منـه شيء ، فـإنـه إذا بقي في نظرك منـه شيء لم يرتفـع إليـه ● وقـال زين العـابـدين علي بن الحسين[٨٧] - رضي الله عنهما - : كل شيء من أفعالك إذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لم يقبـل منـك : لأن المقبـول مرفـوع مغيّب عنـك ؛ ومـا انقطَعَتْ عنـه رؤيتـك ، فذلك دليل القَبول اهـ . ● **ثم قال :**

٤٠- وَمَنْ حَلَّ مِنْ صِدْقِ الإِنَـابَـةِ مَنْزِلاً يَرَى الْعَيْبَ فِي أَفْعَالِـهِ وَهْوَ مُسْتَبْرِي

أي (ومن حلّ) ونزل (من صِـدْق الإنـابـة) إلى الله والرجوع إليـه الرجـوعَ الكلي (منزلاً ، يرى العيب في أفعالـه) التي تَقَرَّب إلى مولاه بهـا ، (وهو مستبرئ) أي : وهو بريء . - والسين والتـاء زائدتـان - ، وإنمـا كان بريئـاً من ذلـك العيب الذي رآه ، لكونه قد أتى بها على ما ينبغي شريعةً وحقيقـةً في ظـاهره وفي بـاطنـه ؛ لكنه يَتّهم نفسـه ، ولا يَأْمن أن يكون قد خفي عليه شيء من دسائسها . (وقد قال « أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري[٨٨] » رضي الله عنـه : « **من علامـةِ من**

(٨٧) **زين العابدين** (٣٨ - ٩٤ هـ) : علي بن الحسين بن علي بن أبي طـالب . أبو الحسن ● رابع الأئمة الـ (١٢) عند الإمامية . يضرب به المثل في الحلم والورع ● يقال لـه : « علي الأصغر » وأخوه « علي الأكبر » ● مولـده ووفاته بالمدينة ● ليس للحسين السبط عقب إلا منه . اهـ من الأعلام والطبقات الكبرى .

(٨٨) **إسحق بن محمد النهرجوري** (.. - ٣٣٠ هـ) (.. - ٩٤١ م) : أبو يعقوب ● أقام بالحرم وجاور سنين ومات بمكة ● صاحب الجنيد وعمر بن عثمان المكي وأبا يعقوب السوسي ● نسبتـه إلى نهرجور (قريـة قرب الأهواز بالعراق) ● سئل عن الطريق إلى الله تعالى ؟ فأجاب : اجتنب الجهلاء ، واصحب العلماء ، واستعمل العلم ، وداوم الذكر ، وأنت إذن من أهل الطريق . اهـ من الطبقات الكبرى(١/١١١) .

تـولاه الله في أحـوالـه : أن يشهـد التقصير في إخـلاصـه ، والغفلـة في أذكاره ، والنقصانَ في صدْقه ، والفتورَ في مشاهـدتـه ، وقلةَ المراعاة في فَقره ؛ فتكون جميع أحواله عنده غيرَ مَرْضية ويزدادُ فقراً إلى الله عزّ وجلّ في قصده وسَيره » . ● وقـال « أبـو عمرو إسماعيـل بن نجيـد[٨٩] » رضي الله عنـه : لايصفـو لأحـد قـدَمٌ في العبودية حتى تكون أفعالُه كلُّها عنده رياءً ، وأحواله كلها عنده دعاوى . فالنفس مجبولة على ضدّ الخير لولا فضل الله علينا[٩٠] ورحمته ، قـال تعـالى : ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُـهُ مَـازَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَـدٍ أَبَـداً ﴾ [النـوُر:٢١] . وقـال عـزّ من قـائـل : ﴿ وَمَـا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّـارَةٌ بِـالسُّـوءِ إلاَّ مَـارَحِمَ رَبِّي ﴾ [يوسف:٥٣] . ● وقال بعض السادات ـ رضي الله عنه ـ : ماهناك إلا فضله ؛ ولا نعيش إلا في ستره ؛ ولـو كُشف الغطـاء لكشف عن أمر عظيم [اهـ] ● فلـذا تَبَرَّأَ الأكابر من أعمالهم الصحيحة ، فضلاً عن غيرها ؛ حتى قـال أبو يزيـد : لو صَفَت لي تهليلة واحدة مـا باليت بعدهـا بشيء)[٩١] . وقـال « أبـو سليمـان الـداراني » : مااستحسنت من نفسي عملاً فاحتسبته .

علامـة من تـولاه الله في أحواله .

☆☆☆

قلت : هـذا مـايتعلق بشرح الأبيـات التي ذكرهـا صـاحب الرائية في الشيخ المربّي وآدابـه وآداب المريـد معـه ، وهي من أنْفَس مـا يُسمع ؛ وينبغي للمريـد أن يحفظ هذه القصيدة ، فإنها قصيـدة مُنَوّرة ؛ فإن لم يمكنـه حفظهـا كلهـا فليحفـظ الأبيات المتعلقة بالشيخ المربّي . (**وصاحب الرائيـة**) هو : الإمـام أبو العبـاس ، « **أحمـد** بن محمـد بن أحمـد بن محمـد بن أحمـد **بن خلف** القرشي » التيمي البكريّ

ترجمة صاحب الرائيـة الإمام الشريشي (٥٨٢-٦٤١ هـ) .

---

(٨٩) إسماعيل بن نجيـد (ـ ٣٦٦ هـ) : أبو عمرو ، السلمي ● جـدّ الشيخ أبي عبـد الرحمن السلمي شيخ القشيري ● صحب أبو عثمان [النوري] ● لقي الجنيد ● هو من أكبر مشايخ وقتـه لـه طريقـة ينفرد بهـا عن تلبيس الحال وصون الوقت ● سمع الحديث ورواه وكان ثقة ● لـه أقوال في الحال وفي النفس وفي التهـذيب وخـدمـة الصالحين واحترام عامة المسلمين وعـدم التصدّر في إظهـار المحاسن للغير وفي الاستقـامـة . ذكرهـا في الطبقـات الكبرى ١٢٠/١

(٩٠) كذا في شرح الرائية . وفي ظ ١ : علينا ورحمته .

(٩١) مابين القوسين (....) نقله المؤلف من شرح الرائية ص ٧١ .

الصديقيّ . سلاويّ الأصل ، ولد بسلا سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ؛ ونشأ بمراكش ؛ واستوطن الفيّوم من مصر ـ حرسها الله ـ ، وبها توفي في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وستمائة ؛ ولقبه هناك تاج الدين ؛ وكنيته أبو العباس ● كان رضي الله عنه وافرَ الحفظ ، من علم البيان ، نحواً ، وأدباً ، شاعراً محسناً ، محققاً لعلم الكلام ، بارعاً في أصول الفقه ؛ متقدماً في التصوف ، وإليه انقطع وعليه عوّل ، وفيه صنّف ونَظّم ـ في مقاصده وتدريج سلوكه ـ قصيدتّه هذه التي سماها : « أنوار السرائر وسرائر الأنوار » ؛ وأخذها الناس عنه ، واشتهرت في الأقطار ؛ لإجادة نظمها وضبطها .

قال صاحب « إثمد العينين » : إن هذه القصيدة حجةٌ عند أهل الطريقة ؛ ولم يزل المشايخ ـ رضي الله عنهم ـ يحضّون عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها . ثم نقل عن الشيخ أبي عبد الله « محمد الهزميري » رضي الله عنه أنه كان كثيراً مايحض عليها أصحابه وجميعَ تلامذته ، شديد العناية بها ، ويلتزم الخير للمداوم عليها ؛ قال : وكان هو يديم الكلام عليها ويشرح بعض مقاماتها [ا هـ .] .

وأخذ الناظم ـ رضي الله عنه ـ عن جماعة بـ « مراكش » ؛ ثم جال في طلب العلم . وأخذ بـ « فاس » عن الإمام الأصولي العابد الزاهد أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم المعروف بـ « **ابن الكتاني** العبدلاوي » ؛ والشيخ الإمام العلامة النحوي أبي ذر « مصعب » ابن الإمام النحوي أبي عبد الله محمد بن مسعود بن أبي ركب « الخشني الإشبيلي » ثم الفاسي من ذرية أبي ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ الصحابي المشهور ؛ والشيخ أبي العباس بن أبي القاسم « **بن القفال** » . ووصل إلى الأندلس فأخذ عن بعض أهلها ، ثم شرّق وحَجّ . وأخذ ببغداد عن الإمام العالم أبي محمد عبد الرزاق بن قطب الصديقين وحجة الله للعارفين محي الملة والدين أبي محمد « عبد القادر » بن أبي صالح الشريف الحسني المعروف بـ « **الجيلاني** » ، والشيخ المحدث التاريخي أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمران « **القطيعي** » ، والشيخ أبي محمد قميص « **بن فيروز** » بن عبد الله الحنبلي . وأخذ علم الكلام : عن الإمام الشيخ الكبير تقي الدين أبي العز « مظفر بن عبد الله » بن علي بن الحسين « الأزدي الشافعي » ، المعروف بـ « **المقترح** » . وأخذ أصول الفقه بالاسكندرية عن الشيخ

الإمام علم الأعلام شمس الدين أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حسن « **بن عطيـة** » الإيباري المالكيّ . وأخذ التصوف ذوقاً وإشراقاً ببغداد عن شيخ شيوخ وقتـه وقـدوة أهل عصره ، ترجمان الطريقة وسلطان أهل الحقيقة شهاب الدين أبي حفص ، ويُكنى أيضاً بأبي عبد الله « عمر بن محمد » بن عبد الله بن محمد بن عبد الله القرشي التيمي البكري الصديقي ، ثم الشافعي المعروف بـ « **السهروردي** » صاحب عوارف المعارف التي هي أصل هذه القصيدة . والله أعلم . وأخذ الطب عن « **أبي بيـان** » ● وروى عنه الشيخ الصالح أبو عبد الله « **محمد بن إبراهيم القيسي** » السلاوي نزيل تونس ، لقيه بالفيّوم من مصر . والله أعلم .

ترجمة شهاب الدين السهروردي صاحب العوارف .

تتمة تعليق رقم (٣٠) ص ١٣١ :

قضيب البـان ـ أبـو عبـد الله المـوصلّي ـ (... ـ ... هـ) : الحسين بن عيسى . ينتهي نسبه إلى الحسن ـ السبط ـ ابن سيدنا علي كرم الله وجهه ● كان جليلاً جميلاً ؛ لذلك سموه ـ قضيب البـان ـ . غلب عليه المشيخة . اعتقدته الملوك والخلفاء العباسيون ● مولده ووفاته بالمَوصل . ● حفظ القرآن ابن تسع سنين ، وأحسن علم القراءة والتجويد والعربية وشيئاً من فقه الحنابلة . ● صحب الشيخ « عبد القادر الجيلاني » ولبس منه الخرقه . وتتلمذ لمشايخ عدة كلهم أقطاب ● ظهرت له كرامات ، ومنها : قطع المسافة ● أحبّه الشيخ حياة الحرّاني محبة عُظْمِية ولازم مجلسه وكانا يتزاوران ● له جامع مشهور باسمه في الموصل هو رباطه الواقع في باب سنجار .

من كلامه : لكل زمان فرد يخلو بأسرار الله تعالى ، ويقوم وحده بأمر الله تعالى ؛ فلا تتحرك ذرة في العالم العلوي والسفلي حتى يحيط بها علماً ، ويراها غيباً ، ويعطيها من الوجود فيضاً ● من أحواله : يراه بعض أصحابه سنة لا يأكل ويشرب ، وسنة لا يشرب ويأكل ، وسنة لا يأكل ولا يشرب . ويتصور بأي هيئة شاء . شاهده أكثر أصحابه بعد وفاته يتعبد الله في رباطه ويتردد إليه ● اجتمع معه الشيخ « علي بن الصباغ » و « أبو عبد الله القرشي » و « أبو العباس القسطلاني » . اهـ . من كتاب ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء . لأحمد بن الخياط الموصلي ـ حققه سعيد الديوه‌جي مدير متاحف الموصل .

قلت : في الحلبية والأزهرية : أبو عبد الله المصلي ـ وهو تصحيف ـ والصواب : الموصلّي كذا في ظ١ ، وبولاق .

فصل

[في الأشياخ الذين ورثهم الشيخ عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه]

وإذا فرغنا من شيخ التربية ، وآدابه ، وآداب المريد معه ؛ فلنرجع إلى الكلام على الأشياخ الذين ورثهم الشيخ - رضي الله عنه - فنقول :

(**سمعته**) رضي الله عنه يقول : ورثتُ عشرة من الأولياء ، وهم :

سيدي الهواري

١ - سيدي « عمر بن محمد الهواريّ » ؛ المقيم على ضريح سيدي « عليّ بن حرزهم » - نفعنا الله به - .

٢ - وسيدي « عبد الله البرناوي » ؛ وكان من الأقطاب ، - وقد سبق في أول الكتاب [٥٥/١] كيفية التقائه بالشيخ رضي الله عنه -

سيدي البرناوي.

وسمعته - رضي الله عنه - يقول : إن سيدي « عبد الله البرناوي » سُقي بأنوار نيّف وسبعين من أسماء الله الحسنى .

٣ - وسيدي « يحيى » - صاحب الجريد - ؛ وكان من الأقطاب أيضاً ؛ وكان شديد الاتباع في ظاهره وفي باطنه لشريعة النبي ﷺ ، وكان يتولى التصرّف في جميع « **من يزور الصالحين الموتى** » ؛ فهو ينظر في حوائجهم ، ويقضي ماقضاه الله منها . قال لي رضي الله عنه هذا ، لمّا تكلمت معه في شأن بعض السادات الموتى ، ممن كثر زيارة الناس له ، وظهر النفعُ عليه ، وشفاءُ المرضى ، عند ضريحه .

من خصائص أمة سيدنا محمد ﷺ .

حكايات أهل التصريف.

فقال لي - رضي الله عنه - : **إن قلوب أمة محمد ﷺ لها شأن عظيم عند الله ؛ ولو أنها اجتمعت على موضع لم يدفن فيه أحد وظنّت فيه وليّاً وجعلت ترغب إلى الله تعالى في ذلك الموضع فإنّ الله تعالى يسرع لها بالإجابة** ● وسيدي « يحيى » اليوم - يعني يوم الحكاية - هو الذي يتولى التصرف

في ذلك . وقد يقع هذا أيضاً في الأولياء الأحياء فقد يكون الرجل مشهوراً بالولاية عند الناس ، وتُقضى بالتوسل به إلى الله الحوائجُ ، ولا نصيب له في الولاية ؛ إنما قُضيت حاجة المتوسِّل به على يَدِ « أهل التصرف » ؛ وهم - رضي الله عنهم - الذين أقاموا ذلك الرجل في صورة الوليّ ليجتمع عليه « أهل الظلام » مثله ؛ وهم الذين يتصرفون تبعاً للقدر ؛ فهو عندهم بمنزلة الصورة التي يجعلها صاحب الزرع في فدّانه ، ليطرد بها العصافير . فهي تظنُّ الصورةَ رجلاً ، فتهرب منه ؛ وذلك في الحقيقة من فعل صاحب الفدّان ، لا من فعل الصورة . فكذلك « أهل التصرف » - رضي الله عنهم - يقيمون ذلك الرجل ويجمعون عليه « أهل الظلام » مثله ؛ والمتصرف فيهم خفيٌّ عنهم ، ولم يظهر لهم ، لأنه حقّ ، وهم لا يطيقون الحقّ .

حكاية

وسمعته رضي الله عنه يقول : جاء رجل إلى « طريق مُخْوف » بعد المَغرِب ، وقد جلس له رجلان أحدهما : في أول الشِعبة[1] ، والآخر : في وسطها ؛ فلما أراد أن يدخل الشِعبة - وكان مُشَيِّخاً على بعض من لاشيء عنده - ، فقال : يا سيّدي فلان قَدّمتُ عليك جاهَ سيدنا محمد ﷺ إلا مافككْتني من هذه الشِعبة ووعدتك عليّ ● قال رضي الله عنه : فسمعه بعض أهل التصرف وقد استعظم اسمَ النبي الشريف ﷺ ، وجاهَه الذي قدّمه على شيخه ؛ فلم يكن له بد أن يقضي تلك الحاجة ؛ فذهب بنفسه مع ذلك الرجل ، وآنسه في قلبه ، وقطع معه تلك الشعبة ؛ وهو لا يراه ؛ وطبع الله على الرجلين اللّصين فلم يفعلا شيئاً . فلمْ يَشُكَّ ذلك المريد أن شيخه هو الذي قضى حاجته . فلما وصل إليه دفع له أربعة مثاقيل وعِدَّة . والله أعلم .

سيدي منصور

٤ - وسيدي « **منصور بن أحمد** » من أهل جبل حبيب ، وكان أيضاً قُطباً ، يتصرف في أمر البحر . وقال لي الشيخ رضي الله عنه : أما ترى اللحم إذا قَطَعته ترتعد منه بعضُ اللحمات أحياناً ؟! فقلت : نعم[☆] ؛ فقال رضي الله عنه : كذلك كانت ذاتُ سيّدي منصور - رضي الله عنه - حين فتح الله عليه ، ترتعد

---

(١) الشعب : بالكسر - الطريق . وقيل الطريق في الجبل . اهـ المصباح المنير .

(☆) والصواب لغة الجواب بـ : بلى . وكذا فيما يأتي في ص ٢٢٩ .

جـواهرهـا كلُّهـا إجـلالاً لله تعـالى ، ومهـابـة ؛ وبقيَتْ على ذلـك مـدةً . وسمعتـه - رضي الله عنـه - يقـول : إني رأيـت سيـدنـا « إبراهيمَ خليـل الرحمن » - على نبيّنـا وعليه الصلاة والسلام - يطلب الدعاء الصالح من سيّدي منصور - رضي الله عنه[٢]

● وكم من فـائـدةٍ علميـة عرفـانيـة حكاهـا لنـا الشيـخ - رضي الله عنـه - عن هـذين القطبين الجليلين : سيدي يحيى ، وسيدي منصور ؛ ولكنـا مفرّطون ، فلا نسمع منـه - في أول معرفتي[٣] لـه - إلا : « خرجتُ أنـا وسيـدي يحيى وسيّـدي منصـور ... » ، « وفعلت أنـا وسيـدي يحيى وسيـدي منصور ... » . « وقـال سيـدي يحيى : كـذا وكذا » . « وقال سيدي منصور : كذا وكذا » ..... فكنـا نزهَد فيما نسمع حتى ظهر لنا التفريط في أمرنا ، وعند ذلك وفّقنا الله لـه - والحمد لله ولـه الشكر - إلى تقييـد ماسمعته بعد ذلك . وضاع ماكان قبل ذلك ؛ فإني ماشتغلت بالتقييد إلا بعد وفـاة هذين السيدين الجليلين رضي الله عنهما .

٥ - وسيـدي **محمـد اللهـواج**[٤] : من أهـل أنجرا من الفحص[٥] ، وكان قطبـاً أيضاً وسبق [٥٨/١] كيفيـة اجتماع الشيخ - رضي الله عنـه - معـه ؛ وكانت حكايـة الشيخ عنه - رضي الله عنـه - قليلـة ، مـاأعلمـه حكى عنـه إلا ثلاث حكايـات ؛ قـد كتبت التي وقعت له معه في العين التي بـ « دار ابن عمر » وقد سبقت [٥٨/١] .

٦ - وسيـدي « **أحمـد بن عبـد الله المصري** » ، وكان غـوثـاً ، وسبقت الحكايات التي أوصى بها الشيخَ - رضي الله عنه - في أول الكتاب [٥٩/١] .

---

(٢) قلت : وهذا من باب تبرُّك الكبير بالصغير وتبرك الأنبياء بأولياء هذه الأمّة التي تمنى سيـدنـا موسى أن يكون منها وإلا فإن مرتبة النبوة فوق مرتبة الولاية ، ونهاية الوليّ هي بداية النبيّ ● وتقدم ٥٧/١ كيفيـة اجتماعـه مع القطب منصور .

(٣) في ظ ١ : معرفته له .

(٤) كذا في ظ ١ . والذي في بولاق وغيرها : السراج . قلت : هو تصحيف والصواب مـاأثبتنـاه ● وتقدم أيضاً ٥٨/١ تعليق (١٧) .

(٥) جاء في معجم البلدان لياقوت : - الفحص : بالمغرب من أرض الأندلس ، مواضع عدة تسمى الفحص ... وفي اصطلاح أهل الأندلس : كل موضع يُسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع ، يسمى فحصاً . ثم صار علماً لعدة مواضع : فهو اسم ناحية كبيرة من أعمال طليطلة . واسم إقليم من أقاليم اكشونيـة (لشبونـة) . واسم إقليم بإشبيلية . وفحص البلوط . وفحص الأُجَم . وفحص سـورنجين . اهـ ملخصاً .

٧ ـ وسيدي « عليّ بن عيسى المغربي » ، وكان قطباً أيضاً ، وكان مسكنه بـ « جبل الدروز ، من أرض الشام » . وحكى لنا الشيخ رضي الله عنه حكاية طويلة في سبب انتقاله من أرض المغرب إلى أرض الشام ، طال عهدي بها .

٨ ـ وسيدي « محمد بن علي الكيموني » .

٩ ـ وسيدي « محمد المغربي » .

١٠ ـ وسيدي « عبد الله الجراز » ـ بجيم معقودة ـ وكان مسكنه بالدير « دير مراكش » ● وزاد في آخر سنة تسع وعشرين وراثةَ رجل آخر من أكابر الأولياء ، كما سمعت ذلك منه رضي الله عنه .

١١ ـ واسم الرجل سيدي « إبراهيم لَمْلَزْ » ـ بفتح اللام وبعدها ميم مسكنة بعدها لام مفتوحة وبعد اللام زاي ساكنة ـ ذكر لي ـ رضي الله عنه ـ اسم هذا الوليّ ؛ وقال لي : اعقل عليه . ثم بعد مدة سألني عنه ، فوجدني قد نسيته ، فذكره لي مرة أخرى ؛ ثم أوصاني عليه ؛ ثم بعد مدة أخرى سألني عنه فوجدني أيضاً قد نسيته ، فذكره لي مرة أخرى ، وزجرني ؛ فقيدت اسمه وعَقَلْتُ عليه . والحمد لله . قال : وهذا الرجل من أهل « الجزائر » ـ بجيم معقودة ـ ثم بعد ذلك هِبْنا أنْ نسأله عمن ورثه بعد ذلك .

☆ ☆ ☆

[س] ثم قلت للشيخ ـ رضي الله عنه ـ : وهل يفترق ما ورثته منهم[٦] ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : وَرِثتُ من التسعة معرفةَ الله تعالى ، ووَرِثت من الأول معرفة الله . ثم ضرب « مثالاً » بفارس على فرس ، ـ وقد اشتاق رجل إلى نعته ـ فلقيه بعض الناس وجعل ينعت له الفرس وصِفَةَ قوائمه ، وكيفيةَ لونه ، وحالة جريه ، وأن رقبته طولها كذا وكذا ؛ وذكر له جميع حلية الفرس ، وكيفية إجراء الفارس له ؛ ولم يذكر من صفة الفارس شيئاً ، والفرض أن نعته للفرس وجريه ليس مجرد خبر ، بل يحصل معه عيان ، ومشاهدة للفرس وجريه ببركة الناعت ؛ ثم جاء من ذكر له الفارس ونَعَتَه له ، وذكر له حليته وصفته ، وأزال

(٦) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والحلبية : منه . قلت : هو خطأ يظهر من السياق .

عنه الحجاب حتى شاهده عياناً . ● وضرب لي « **مثلاً** » آخر مرة أخرى فقال : إن الذي حصل لي ممن سيدي « عمر » مثل أن يقول رجل لرجل : سرْ مع هذه الطريق ، فإنّك تجد فيها الماء . ولم يذكر له أين الماء منها . فذهب وهو لا يدري أين الماء ؟ حتى جاء من عَيَّن له موضعَ الماء ، وأوقفه عليه . ● وقال لي مرة أخرى : « **مَثَلُ** » ماحصل لي من سيدي عمر ، كرجل صاد لرجل صيداً وطرحه بين يديه ، وذهب وتركه ؛ فلم يدر مايفعل به ؛ حتى جاء رجل آخر بنار وحطب ، وأوقد له النار ، وأتاه بسكين ، وقال له : خذ السكين ، واقطع بها ماشئت من اللحم ، وطيِّب وكُلْ . ضرب مثال

[**س**] فقلت له : وهل كان « سيدي عمر » من القسم الثاني المفتوح عليهم ؟

[**ج**] فقال : نعم ؛ ولكنّ فتحه ضعيف . فقلت : وهل يحضر الديوان ؟ فقال : نعم ؛ وليس كل من يحضر الديوان يعرف مافيه وما دخل وما خرج وما زاد وما نقص ..!!

فقلت : كأنه بمثابة « مَجالِس العلم » ؛ فليس كل من يحضرها يعرف مافيها .

[**س**] فقلت : وكيف كان التقاؤك مع سيدي « عمر » ؟

[**ج**] فقال : شَيَّختُ غيرَ واحد ممن لاسرّ معه ؛ ثم إن الله تعالى جذب قلبي إلى سيدي عمر ، وكان يجمعنا سيّدي « علي بن حرزهم » ، كان هو قيّمه ، ونحن نأخذ صدقته فرمقته فأعجبتني حالته ، فجعلت أطلب له « الوِرْد »(٧) وهو يتغافل عني ، وأنا أزداد شوقاً وتشوفاً(٨) ، حتى بت معه ليلة بضريح سيدي « علي بن حرزهم » ، فوقعت الحكاية السابقة [٥١/١ ، ٥٢] في تلقين الورد ، واجتماعه بسيدنا الخضر عليه السلام .

☆☆☆

(٧) كذا في بولاق والحلبية . وفي ظ ١ : له القرب ... قلت : والأول هو الصواب مقارنة بأصل الحكاية (٥٢/١) .

(٨) كذا في بولاق و ظ ١ ـ وهو الأصوب ـ . وفي الحلبية : وتشوقاً .

ورد الأشياخ وفائدته .

[١] و (**سئل**) وأنا حاضر ـ رضي الله عنه ـ عن فائدة « **الورْد** » الذي يعطيه الأشياخ .

[ج] فقال رضي الله عنه للسائل : تسألني عن الصادقين أم عن الكاذبين ؟ فقال : عن الصادقين فقال رضي الله عنه : فائدته : أن **الله تعالى حفظ على هذه الأمة دينها بهذه الشريعة المطهرة** ؛ التي إذا فعلت في الظاهر حفظت الإيمان في الباطن ، وأن الشيخ الصادق معمور الباطن بالمشاهدة مع الحق سبحانه وتعالى حتى إن المريد إذا قال : لاإله إلا الله ـ قبل أن يَلقى الشيخَ الكامل ـ ؛ يقولها بلسانه وقلبُه غافلٌ ، والشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته ، فإذا لَقّنَ المريدَ سَرَت حالتُه في المريد ، فلا يزال يترقى إلى أن يبلغ مقام الشيخ ـ إن قَدَّر الله له ذلك ـ .

حكاية شهيرة

ثم ضرب « **مثلاً** » ، بـ « الحكاية الشهيرة » التي وقعت لِمَلِك له ولد عزيز عليه ، ثم نزل به ضُرّ عظيم ، فجمع الأطباء لدواء ولده ، وتوعدهم بوعيدٍ شديد إن لم يبرأ ولده ؛ فاتفق الأطباء على أن دواءه في عدم أكل اللحم . فذكروا ذلك للولد ، فأبى عليهم ، وقال : لاأترك اللحم ولو خرجت روحي في هذه الساعة ؛ فحار الأطباء ، ودهشوا في أمره ، ونزل بهم مالا يطيقونه ، حيث امتنع الولد من اتباع سبب الشفاء ، و[أ]لَحّوا عليه المرّة بعدَ المرّة ، فلم يزده ذلك إلا نفوراً ، فذهب رجل منهم ، واغتسل ، وتضرع إلى الله تعالى ، ونوى أن لا يأكل اللحم مادام المريض لا يأكله ؛ ثم جاء إلى المريض ؛ فقال له : لاتأكلِ اللحم ؛ فامتثل أمره ؛ وسمع قوله ؛ وبرئ لحينه ؛ فتعجب بقية الأطباء من ذلك ؛ فأخبرهم بما فعل .

نظر الأولياء إلى ذوات المحجوبين .

فقال رضي الله عنْه : ـ وأيضاً ـ فإنّ أهل العرفان من أولياء الله تعالى إذا نظروا إلى ذوات المحجوبين ، فرأوا ذاتاً طاهرة قابلة لحمل سرّهم ، مطيقة له ؛ فإنهم لا يزالون معها بالتربية ، بتلقين الذكر وغيره ، ويكون هذا « المطيق للسرّ » هو مقصود الشيخ لا غير ؛ فإذا جاء إلى الشيخ غيره ، ممن ليس بمطيق ، وطلب منه التلقين ، فإنه لايمتنع ، لأنه لايقطع على أحد ؛ فلذا تجد الشيوخ ، يلقّنون كلّ أحد ، مطيقاً كان أم لا . مع « **فائدة أخرى** » ، تظهر في الآخرة ؛ وذلك أنه (ﷺ يكون بيده يوم القيامة لواء الحمد) ، وهو نور الإيمان ، وجميعُ الخلائق

خلقه ، من أمّته ومن غير أمّته ، مع سائر الأنبياء ؛ وتكون كلُّ أمّة تحت لواء نبيها ؛ ولواءُ نبيها يَستمدّ من لواء النبيّ ﷺ ؛ وهم مع أممهم على أحد كتفيه ، وأمته المطهرة على الكتف الآخر ؛ وفيها الأولياء بعدد الأنبياء ؛ ولهم ألوية مثل ما للأنبياء ؛ ولهم من الأتباع مثل ما للأنبياء ؛ ويستمدون من النبي ﷺ ، ويستمد أتباعهم منهم ، كحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فـ (المريد إذا لم يكن مطيقاً فإنه ينتفع في الآخرة بشيخه الذي لقنه) . قال رضي الله عنه : ولا يَنتفع منه ـ بمجرد « التلقين » فقط ، ومطلق تلفظه بالذكر ، بل حتى يتعلم منه كيفية (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله) ، ويَنتفع منه بعضَ النفع في الباطن .

أولياء الأمة المحمدية بعدد الأنبياء .

تلقين الذكر مع العلم .

وسمعت من غير الشيخ ـ رضي الله عنه ـ **حكايات** تقربُ من قصة الأطباء ، وهي : أن عبداً مملوكاً لرجل استشفع ببعض أهل الخير ، ليكلم سيده لعله يعتقه ، فلم يجبه لذلك حتى مر عليه أزيد من عام ؛ ثم ذهب معه إلى سيده ، فكلمه في عتقه ، فأجابه إلى ذلك ، وأعتقه ؛ ففرح العبد بالحرية ، واستبشر بها ، وقال للشفيع : لِمَ تأخرتَ بشفاعتك هذه المدة ؟! ولو كلمته في أول مارغّبتك لأعتقني ، وكان أجر هذه المدة في ميزانك . فما الذي حملك على التأخير حتى مضت هذه المدة ؟ فقال الشفيع : أنا لاأكلم أحداً في أمر إلا إذا عملتُ به ، ولمّا رغبتني أن أكلم سيّدَك لم يكن عندي عبدٌ أعتقه . فلم أزل أتكسّب في تلك المدة ، حتى جمعتُ قيمة رقيق ، ثم اشتريته وأعتقته ، وبعد ذلك كلمتُ سيّدَك ، فقبل رغبتي ؛ ولو أنّي كلمت سيّدك قبل أن أعتق ، ماظننته يفعل مانريد . والله أعلم .

حكاية شيخ وعبده .

[٢] و (**سمعته**) رضي الله عنه يقول في « اسم الله العظيم الأعظم » : إنه كال المائة ، وليس من التسعة والتسعين ، وإن كثيراً من معانيه في الأسماء التسعة والتسعين ؛ وأنه هو « ذكر الذات » لا « ذكر اللسان » ، فتسمعه يخرج من الذات كطنين النحاس الصفْر ، وهو يثقل على الذات ؛ ولا تطيق الذات ذكره إلا مرة أو مرتين في اليوم . **فقلت** : ولِمَ ؟ **فقال** رضي الله عنه : لأنه لايكون إلا مع المشاهدة التامّة ، وذلك ثقيل على هذه الذات ؛ وإذا ذَكَرَته الذات يفزع[٩] العالم

اسم الله الأعظم هو ذكر الذات .

---

(٩) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : قفز ـ تقد . وهو تصحيف .

كلّه ، هيبة وإجلالاً ومخافة .

قال رضي الله عنه : وكان في السيد « **عيسى** ابن مريم » ـ على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام ـ قوة على ذكره وكان يذكره في اليوم أربع عشرة مرة . والله أعلم .

أسماء الله الحسنى ومشاهدات الأنبياء .

وسمعته رضي الله عنه يقول في (أسماء الله الحسنى) : إن معانيها حصلت للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من مشاهدات ، فمن شاهد معنى وَضَع له اسماً . فالمعاني ظهرت لهم على قَدْر مشاهدتهم في الله عز وجل ؛ والأسماء خرجت منهم بحسب ذلك . قال رضي الله عنه : **فجميع الأسماء حصلت بوضع الأنبياء** ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، وسيدنا **إدريس** ـ عليه السلام ـ أول من **وَضَع : علياً وقوياً وعظيماً ومنّاناً** . وهكذا كلّ نبيّ وضع شيئاً منها ولكنهم وضعوها بلغتهم ، ومزية القرآن أنّه جمعها كلّها ؛ وأتى بها مع ذلك بلغة العرب ، لا بألسنة الأنبياء المتقدمين . قال رضي الله عنه : وأول من وضع (اسم الجلالة) أبونا آدم ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ ؛ وذلك أن الله سبحانه وتعالى لما نفخ فيه الروح نهض مستوفزاً ، فقام على رِجْل واتكأ على رُكبة الرِّجْل الأخرى ، فحصلت له في تلك الحالة مع ربه ـ عز وجل ـ مشاهدة عظيمة ، فأَنْطَق اللهُ لسانه بلفظ يؤدي الأسرار التي شاهدها من الذات العليّة ، فقال : (الله) ؛ وقد خرج في علمه ـ سبحانه وتعالى ـ أنه يتسمّى بهذه الأسماء الحسنى ؛ فلذا أجراها على لسان أنبيائه وأصفيائه . قال رضي الله عنه : ولو وضع سيد الوجود ﷺ للمعاني التي حصلت له من مشاهدته التي لاتطاق أسماءً ، لذاب كلُّ من سمعها ؛ ولكنه ـ سبحانه وتعالى ـ لطيف بعباده . والله أعلم .

بدء خلق سيدنا آدم .

[**تنبيه**] قلت : وإياك أن تظنّ أن هذا الكلام فيه مخالفة للعقيدة ، وهي أن **الأسماء الحسنى قديمة** . فإن المراد بقدمها : قدم معانيها لا ألفاظها الحادثة ؛ لأن كل لفظ عَرَضٌ ، وكلُّ عرض فهو حادث ، لاسيا إذا كان سيّالاً مثل الألفاظ والأصوات ؛ وذلك واضح . والله أعلم .

أسرار لفظ الجلالة .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن في (اسم الجلالة) ثلاثةَ أسرار :

● **الأول** : أن مخلوقاته تعالى لاحدّ لها ، وأنها مختلفة فتنقسم إلى : إنس وجنّ

وحيوان وغير ذلك ، من الأنواع التي لا يعلمها أكثر الخلق ؛ ومع هذه الكثرة ، فهو تعالى واحد في ملكه ، لا مدبّر معه ، ولا وزير له ؛ فهو وحده تعالى يتصرف فيها بجملتها ، ولا يفوته منها شيء ولا يخرج عن قدرته تعالى منها واحد ؛ فهو قاهر للكلّ ، محيط به ؛ كما قال تعالى : ﴿ واللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ [البروج:٢٠] . ● الثاني : أنه يتصرف فيها كيف شاء ، فَيُغني هذا ، ويفقر هذا ، ويعز هذا ، ويذل هذا ؛ ويجعل هذا أبيض ، وهذا أسود ؛ ويجيب سؤال هذا ، ويمنع هذا ؛ ويفرق بينهما في الأزمنة والأمكنة .

وبالجملة ـ فهو [سبحانه] كلَّ يوم في شأن ، ولا يشغله شأن عن شأن . والاختيار له ، لا للمخلوقات ؛ فهو يفعل مايشاء ، لا ماتشاء . سبحانه لاإله إلا هو . ● الثالث : أنه تعالى مقدس منزه ، لايكيّف ، ولا يُشَبَّه بشيء من المخلوقات ، ومع ذلك فله السطوة والقهر ؛ حتى إنه لولا الحجاب الذي حَجَب به المخلوقات لرجعوا هباء منثوراً ؛ ولتهافتوا وصاروا دكاً رمياً ، عند تجليه تعالى لهم ؛ بل لا يبقى لهم أثر ، حتى يقول القائل : ماكان في هذا العالم شيء من المخلوقات أصلاً ...!! إلاّ أنه تعالى برحمته وعظيم حكمته ، لمّا سبق في قضائه أن يوصل أهلَ كلّ دار إليها ؛ إذا أراد أن يخلق مخلوقاً ـ أيَّ مخلوق كان ـ لايخلقه حتى يخلق حجابه قَبْله ● وقال رضي الله عنه : وهذه الأسرار يعلمها « أرباب البصيرة » ، من مجرد النطق باسم الجلالة ؛ من غير احتياج إلى مشاهدة شيء من المخلوقات .

«الله» اسم جامع لجميع الأسماء .

[س و ج] فقلت : ومن أين ذلك ؟ فضرب ـ رضي الله عنه ـ لنا « مثلاً » فهمنا من معناه أنه : إنما كان ذلك من حيث إنه اسم جامع لجميع الأسماء . والله تعالى أعلم .

أصل في التوحيد .

وسمعته رضي الله عنه يقول : الله تعالى مقدّس منزّه لا يُشَبَّه بشيء من المخلوقات ؛ و (**كلُّ ما يُصوِّرُهُ الفِكْرُ فاللهُ تعالى بخلاف ذلك**) .

قاعدة :

قال رضي الله عنه : لأن (كلّ ما يُصوِّره الفكرُ فهو موجودٌ في مخلوقاتِ ربّنا) ـ سبحانه وتعالى ـ ؛ لأن الفكر لا يُصوِّر إلا ماهو مخلوق ؛ فكل مافي الفكر له مِثْل ، والله لا مِثْل له .

[س] فقلت : فإنَّ الفكر يتصور إنساناً مقلوباً يمشي على رأسه .

[ج] فقال رضي الله عنه : ـ واللهِ ـ لقد شاهدته يمشي كما تصوره الفكر ، ويده ساترٌ بها فرجه ؛ فهي بمنزلة الحجاب له ، ولا يزيلها إلا إذا أراد قضاء حاجته ، من حدَث أو جماع .

قال رضي الله عنه : ولقد جلست ذات يوم مع سيدي « محمد بن عبد الكريم البصراوي » ؛ فقال لي : تعال حتى نصور في أفكارنا أغرب صورة ، ثم ننظر في مخلوقات الله أهي موجودة أم لا ؟! فقلت : صَوِّرْ ماشئت ، فقال : تصور مخلوقاً يمشي على أربع وهو على صورة جمل ، وظهره كلّه أفواه كأفواه العكروشة[10] التي في جنبها ؛ وعلى ظهره صومعة على لون مخالف للونه ، ، صاعدةً إلى فوق ؛ وفي رأسها شرافات[11] ؛ من شرافة منها يبول ويتغوط ، ومن شرافة أخرى يشرب ؛ وبين الشرافات صورة إنسان برأسه ووجهه وجميع جوارحه ● فما فرغ من تصويره حتى رأينا هذا المخلوق ، وله عدد كثير ؛ وإذا بالذَكَر منه يَنزو على الأنثى فتحمل منه ، وفي عام آخر ينزو عليه الأنثى بأن ينقلب الحال فيرجع الذكر أنثى والأنثى ذكراً ● **قلت** : وهذا من أغرب ما يسمع . والله أعلم .

[٣] و(**سمعته**) رضي الله عنه يتكلم في « **المشاهدة** » ، ويعظم أمرها ، ويشير إلى عجز أكثر الخلق عنها[12] ؛ ويذكر الأسباب في عجزهم ؛ إلى أن حكى لنا عن نفسه « حكاية » : **فقال** رضي الله عنه : لقيتُ بعضَ أوليائه تعالى ـ في آخر سنة سبع وعشرين ـ فقلت : ادعُ الله تعالى لي أن يرزقني مشاهدته ، فقال لي : دعْ عنك هذا ، ولا تطلبها منه تعالى ، حتى يكون هو الذي يعطيها لك من غير سؤال ؛ فإنه إن أعطاها لك من غير سؤال ، أعانك عليها ، وأعطاك القوة عليها ، قبل أن تنزل هي بك ؛ وإذا جعلتَ تسألها منه ـ سبحانه وتعالى ـ وتكثر من

ـ مشاهدته سبحانه .

---

(١٠) **العكروشة** :[قلت : لعلها اسم مخلوق من حيوان أو نبات معروف عند أهل المغرب بهذا الاسم] . فليراجع .

(١١) في ظ ١ : وعلى رأسها شرفات .

(١٢) **مشاهدته سبحانه** : هي ـ عند علماء التوحيد ـ جائزة عقلاً ونقلاً . لكنها لم تحصل في الدنيا لأحد إلا لنبينا محمد ﷺ ليلة المعراج حيث حصل له الكلام والرؤية على الراجح عند أهل السنة والجماعة . وأما في الآخرة فإنها ثابتة في الكتاب والسنة بلا كيف ولا جهة باستعداد يخلقه الله سبحانه لأهل الجنة فيهم .

الاستعداد لمشاهدته سبحانه.

السؤال ، فإنه لا يخيِّب سؤالك ، ولكن تخاف أن يكلَك إلى نفسك فتعجزَ عنها . **قال** : فقلت : اطلبها لي ؛ فإنّي أطيقها ..!! ● فقال لي : انظر إلى « عالم الإنس » ؛ فنظرت إليه ؛ فقال : اجمعْهُ كلَّه بين عينيك ، حتى يكون في مثل دور الخاتم ؛ فقلت : جمعتُه . فقال : انظر إلى عالم الجنّ ، وافعل به كذلك ؛ فقلت : فعلتُ . فقال : انظر إلى عالم الملائكة ، ملائكة الأرض والسموات والعرش ، وافعل بهم كذلك ؛ فقلت : فعلت . قال : وجعل يُعدد العوالِمَ كلَّها عَالَماً عالَماً ؛ حتى عدّ أنواعاً كثيرة ، وذكر عالم الجنّة ، وجميعَ ما فيه ؛ وعالَمَ النيران ، وجميعَ ما فيه ؛ ويأمرني أن أجمع ذلك بين عينيّ ، وأنا أجمعه ؛ وأقول : فعلتُ ● ثم قال : انظر إلى هذا الذي بين عينيك مجموعاً ، وانظر إليه بنظرة واحدة ؛ واجتهد هل تقدر على استحضار الجميع في تلك النظرة الواحدة ؟ ففعلت ، فلم أقدر ؛ فقال لي : أنت لم تُطق أن تشاهد هذه المخلوقات ، وعَجَزتَ عن استحضارها في نظرك ، فكيف بـ « مشاهدةُ الخالق » سبحانه وتعالى ؟...!! فعلمتُ الحقَّ ؛ وبكَيْت بدموع القلب على حرصي على شيء لا أطيقه .

قال رضي الله عنه : واستحضار هذه المخلوقات في نظر واحد لا يطيقه بشر ، ولا يقدر عليه إنسان .

رؤيته ﷺ يقظة .

قال رضي الله عنه : وكذا (من يرى النبي ﷺ) من « أولياء الله » تعالى في اليقظة ، فإنّه لا يراه حتى يرى هذه العوالم كلّها ؛ ولكن لا بنظر واحد .

☆ ☆ ☆

شأن الروح

فتنة

وقال لي رضي الله عنه ـ مرة في أول ما لقيته وتكلمتُ معه في « **الروح** » ـ : إنه لا يحيط بها عاقل ، ولا يعرفُ حقيقتها إلا إذا كوشف بالعوالم كلّها قبل أن يعرفها ؛ ومتى بقي عليه بعضُها ، ولم يكاشَف به ، ثم كوشف بالروح فإنه يُفْتَتَن ● **قال** رضي الله عنه : ولو جلستَ مع أنجب عالم ، وجعل يسألني عن الروح ، وأنا أجيبه عن سؤالاته فإنه تَمرّ عليه أربع سنين ولا تنقطع اعتراضاته فيها لكثرة إشكالاتها وخفاء أمرها . والله أعلم .

☆ ☆ ☆

ضرب مثل في كون العبد لا يطيق معرفة الله تعالى على ما هو عليه .

وسمعته - رضي الله عنه - يضرب « مثلاً » في كون العبد لا يطيق [مشاهدة ربّه - عزّ وجلّ - بل][13] معرفة ربه سبحانه وتعالى على ما هو عليه في كبريائه وعظمته ؛ فيقول : إن الآنية من الفخار لو أمدّها الله تعالى بالإدراك وسألها سائل عن صانعها - المُعَلّم الذي صنعها - : كيف هو ؛ وكيف طوله ؛ وكيف لونه ؛ وكيف عقله ؛ وكيف إدراكه ؛ وكيف سمعه ؛ وكيف بصره ؟ وكم حياته في هذه الدار ؟ وما هي الآلات التي صنعها بها ؟ إلى غير ذلك ، من أوصاف المعَلّم صانِعِها الظاهرةِ والباطنة ؛ فإنها لاتطيق معرفة ذلك ، ولا تطيق ذاتُها حمل تلك المعارف ؛ و « **لا يطيق مصنوع أبداً معرفةَ صفات صانعه على ما هو عليه** » ● **قال** رضي الله عنه : فإذا كان هذا العجز في حادث مع حادث . فما بالك بالصانع القديم سبحانه وتعالى ..!! فلا يطيق مخلوق - أيَّ مخلوق كان - معرفته بالحقيقة ؛ لا في هذه الدار ، ولا في تلك الدار ، أبد الآبدين ، ودهر الداهرين . والله أعلم .

قاعدة

☆ ☆ ☆

الذكر وثقله على الذات وسقي الذات منه .

[٤] و (**سمعته**) - رضي الله عنه - يقول : إنّ **الذِكْرَ** فيه ثِقَلٌ على الذات أكثر من **العبادة** ؛ قال : والمراد بالذات الذات الخبيثة ، فإنها مَسْقِيَّة بماء الظلام ؛ والذكرُ يسقيها بالنور ، وهي لاتقبله للظلام الذي فيها ؛ فهو يريد أن يقلبها عن طبعها ، ويخرجها عن حقيقتها ؛ كمن يريد أن يجعل في المرأة طبع الرجل ، ويجعل في الرجل طبع المرأة ؛ وكمن يريد أن يجعل طعم القمح وحلاوته ومذاقه ، في غيره من الحبوب ؛ فلا تسألْ عن تدبيره وحيرته ..! قال : بخلاف العبادة ، فإنها شغلٌ لظاهر الذات ، فهي بمنزلة الخدمة بالفأس ، فالثقل فيها إنما هو من جهة تعب الذات وكَلَلِها . والله أعلم .

خاصة اسم «القريب» سبحانه .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن في أسمائه تعالى اسماً إذا سُقي العبدُ بنوره بكى دائماً ؛ فقلت : وما هو ؟ فقال : **القريب** . فقلت : كأنه إنّما بكى لأن رجوعه

---

(١٣) زيادة في ظ ١

من غفلته إلى ربه ، بمنزلة من رجع من سفره إلى أعز خلق الله عنده ، كأمّه مثلاً ، فتراه يبكي إذا رآها . فقال رضي الله عنه : بكاؤه مع أمّه محضُ فرح وسرور ؛ ومع ربّه - عزّ وجلّ - فيه ذلك ؛ وشيء آخر وهو : الحياء العارض له من تذكُّرِهِ مخالفةَ أوامرِ ربّه زمانَ غفلته .

قال رضي الله عنه : ومن أسمائه تعالى : اسم إذا سُقي العبد بنوره ضحك دائماً أبداً ، وكان بمنزلة من جاءه جماعة ، - ولنفرضهم ستين رجلاً مثلاً - فأزالوا ثيابه ؛ وجعلوا يُدَغْدِغُونَه ، ويغمزونه بأصابعهم في مواضع ضحكه ، وهو بين أيديهم لا يقدر على الخلاص منهم .

خاصة اسم المتعالي سبحانه .

[س و ج] فقلت : وما هو هذا الاسم ؟ فقال : « **المتعالي** » ● ثم أدركتني هيبة منعتني من تمام السؤال الذي في خاطري إذْ كان مرادي أن أسأله عن أنوار الأسماء الحسنى كلّها ● قال رضي الله عنه : ولا زمانَ أصعب على « الوليّ » من زمان « سَقيه بأنوار الأسماء » ، لاضطراب ذاته بين مقتضياتها فكل اسم يقتضي منه خلاف ما يقتضيه الآخر ● قال رضي الله عنه : ومنهم من يسقى بواحد ، فيدوم حكمه عليه ، من ضَحِك دائماً ، وبكاء دائماً ، أو غير ذلك . ومنهم من يُسقى باثنين ؛ ومنهم من يُسقى بأكثر من ذلك .

أنوار الأسماء الحسنى .

[س و ج] فقلت : وبكم سقيتم أنتم ؟ فقال - رضي الله عنه وهو الصادق فيما يقول - : سقيت بسبعة وتسعين اسماً . بالمائة كلّها إلا ثلاثة .

سقي الشيخ الدباغ بـ (٩٧) اسماً .

[س و ج] فقلت : إنما هي تسعة وتسعون . فقال رضي الله عنه : والمكمّل للمائة لم يعدّ فيها ؛ لأن الناس لا يطيقونه ؛ وهو : اسم الله العظيم الأعظم ، الذي إذا دُعيَ به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى .

وقد سبق كلامه رضي الله عنه في هذا الاسم [ص ١٧٠] ، وهو دال على معرفته به غاية ؛ فإنّا رأينا من الأولياء الصادقين - رضي الله عنهم ، ونفعنا بهم - وسمعتُ كلامَهم في هذا الاسم الأعظم ، فما سمعت فيه مثلَ كلامه - رضي الله عنه - ولا كتبتُ فيه كلَّ ما سمعته في شأنه ● قال رضي الله عنه : ولا يسقى بهذا العدد

ـ يعني العدَدَ الذي سقي هو به ـ إلا واحد من الأولياء . **قلت** : وهو الغوث . ثم هذا الذي قاله في أول الأمر .

تمام سقياه رضي الله عنه بأنوار المائة اسم .

وسمعت منه في آخر أمره رضي الله عنه : أنه سُقي بالعدد كله ـ أعني المائة ـ ؛ وأن السقي بها ينقسم إلى قسمين : (أحدهما) : في مقام الروح ؛ فمن الأولياء من يُسقى بواحد ؛ ومنهم من يسقى بأكثر ولا يكمل المائة كلها إلا الغوث ● (السقي الثاني) : في مقام السرّ ● **قال** رضي الله عنه : ولا يستكمل المائةَ فيه مخلوق من المخلوقات إلا سيّدَ الوجود ﷺ .

مقامه عليه الصلاة والسلام .

قلت : وفي طيِّ هذا الكلام أسرارٌ وأنوار يعرفها أربابها ـ رزقنا الله رضاهم ـ والله أعلم .

☆ ☆ ☆

وسمعته ـ رضي الله عنه يتكلم على (أسمائه تعالى) وعلى الذين يذكرونها في أورادهم ـ فقال رضي الله عنه : إنْ أخذوها عن شيخ عارف لَمْ تضرَّهُم ؛ وإن أخذوها عن غير عارف ضَرَّتهم .

[س] فقلت : وما السبب في ذلك ؟

أسماؤه تعالى لا تضر إذا أخذت عن عارف .

[ج] فقال رضي الله عنه : (الأسماء الحسنى) لها أنوارٌ من أنوار الحقّ ـ سبحانه وتعالى ـ ؛ فإذا أردت أن تذكر الاسم فـ « إن كان مع الاسم نوره » ، وأنت تذكره ؛ لم يضركَ ؛ و « إن لم يكن مع الاسم نوره » ـ الذي يحجب العبد من الشيطان ـ حضر الشيطان وتسبب في ضرر العبد . و « الشيخ إذا كان عارفاً » ، ـ وهو في حضرة الحقّ دائماً ـ ، وأراد أن يعطي اسماً من « أسماء الله الحسنى » لمريده ، أعطاه ذلك الاسم مع النور الذي يحجبه ، فيذكره « المريد » ولا يضرّه ؛ ثم هو ـ أي النفعُ به ـ على النيَّةِ التي أعطاهُ « الشيخ » ذلك الاسم بها ؛ فإن أعطاه بنيّة إدراك « الدنيا » أدركها ؛ أو بنيّة إدراك « الآخرة » أدركها ؛ أو بنيّة « معرفة الله تعالى » أدركها .

وأما إن كان « الشيخ ـ الذي يُلقّن الاسمَ ـ محجوباً » فإنّه يعطي مريده مجرد الاسم ، من غير نور حاجب ، فيهلك المريد ـ نسأل الله السلامة ـ .

[س] فقلت : فـ (القرآن العزيز) فيه الأسماء الحسنى ؛ وحَمَلَتُه يَتْلونه ، ويَتْلون الأسماء الحسنى التي فيه دائماً ولا تضرّهم ..!! ؛ فما السبب في ذلك ؟ مع أنهم لا يأخذونها عن « شيخ عارف » .

حملة القرآن شيخهم النبي ﷺ

[ج] فقال رضي الله عنه : سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمّد ﷺ أرسله الله بالقرآن ، لكل من بَلَغه القرآن ، من زمانه ﷺ إلى يوم القيامة ؛ فـ (كلّ تال للقرآن فشيخه فيه هو النبي ﷺ) ؛ فهذا سبب حَجْب « حملة القرآن » ـ نفعنا الله بهم ـ ثم هو ﷺ لم يعطِ لأمته ـ الشريفة ـ القرآن إلا بقدر ما يطيقونه ويعرفونه من الأمور الظاهرة التي يفهمونها ؛ ولم يعطهم القرآنَ بجميع أسراره وأنواره ، وأنوارِ الأسماء التي فيه ؛ ولو كان أعطاهم ذلك بأنواره لما عصى أحدٌ من أمته الشريفة ، ولكانوا كلُّهم أقطاباً ، ولما تَضَرَّر أحدٌ بالأسماء قطّ ● قال رضي الله عنه : وفي سورة « يسٓ » اسمان : في أولها ، وهما : ﴿ **العزيز الرحيم** ﴾ . واسمان في وسطها ، وهما : ﴿ **العزيز العليم** ﴾ . وفي « صٓ » اسمان وهما : ﴿ **العزيز الوهاب** ﴾ . وهذه الأسماء صالحة لخير الدنيا وخير الآخرة . قال رضي الله عنه : وفي « سورة المُلك » قوله تعالى : ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤] . وهو نافع لمن نزل به فقر ، أو ضرّ ، أو جهل ، أو بلاء ، أو معصية ؛ فإذا أكثر من تلاوة الآية فإن الله تعالى ـ بمَنّه وفضله وكرمه ـ يعافيه مما نزل به[١٤] . والله أعلم .

من أسمائه تعالى .

من أسراره سبحانه وتعالى لدفع الفقر والضر والجهل .

قلت : وقد شاهدتُ بعض أصحابنا ممن نزل به الحَبّ المعروف عند العامة « بالبيش »[١٥] من الأدواء المعضلة ؛ فجاء إلى الشيخ ـ رضي الله عنه ـ وهو في قيد حياته ، فشكا له ذلك ، وخاف منه خوفاً شديداً ، فأمرَه ـ رضي الله عنه ـ بتلاوة الآية الشريفة ؛ فرفعه الله عنه من حيث لا يحتسب . والله أعلم .

☆ ☆ ☆

(١٤) قلت : وحروفها الجُمّل ٢٠٤١ فتقرأ بعددها على الأقل فإن ذلك أرجى للقبول .

(١٥) في ظ ١ : بالبيبش ، من الأمراض المعضلة .

أصل الحضرة (حلقة الذكر).

[٥] و (سمعته) رضي الله عنه يقول في (سبب الحضرة) : إن الحضرة لم تكن في القرن الأول ـ يعني قرن الصحابة ـ ، ولا في القرن الثاني ، ـ يعني قرن التابعين ـ ولا في القرن الثالث ، ـ يعني قرن تابع التابعين ـ وهذه القرون الثلاثة ، هي خير القرون كما شهد به الحديث الشريف .

وسبب ذكره لهذا الكلام أن سائلاً سأله عن الحضرة ، قال رضي الله عنه : فكرهت أن أجيبه بصريح الحق وأنا عامي فلا يقبله مني .

فقلت : هذه المسألة يسأل عنها علماؤنا ـ رضي الله عنهم ـ ، هل فعلها النبي ﷺ أو لم يفعلها قطّ ؟ فإن قالوا : لم يفعلها قط ، سألناهم : هل فعلها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أو لم يفعلها قط ؟ فإن قالوا : لم يفعلها قطّ ، سألناهم : هل فعلها عمر ـ رضي الله عنه ـ أو لم يفعلها قط ؟ فإن قالوا : لم يفعلها قط ، سألناهم : هل فعلها عثمان رضي الله عنه أو لم يفعلها قط ؟ فإن قالوا : لم يفعلها قط ؛ سألناهم : هل فعلها علي ـ رضي الله عنه ـ أو لم يفعلها قطّ ؟ فإن قالوا : لم يفعلها قطّ ؛ سألناهم : هل فعلها أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ أو لم يفعلها أحد منهم قط ؟ فإن قالوا : لم تثبت عن واحد منهم ، سألناهم : هل فعلها التابعون أو لم يفعلها أحد منهم قطّ ؟ فإن قالوا : لم تثبت عن واحد منهم ؛ سألناهم : هل فعلها من أتباع التابعين أحد أو لم يفعلها قط ؟ فإن قالوا : لم تثبت عن واحد منهم . علمنا أن مالم يفعله هؤلاء القرون الثلاثة لا خير فيه ● قال رضي الله عنه :

قصة سبب الحضرة .

وإنما (ظهرت الحضرة : في القرن الرابع) . وسببها : أن أربعة أو خمسة ، من أولياء الله تعالى ، ومن المفتوح عليهم ؛ كان لهم أتباع وأصحاب وكانوا ـ رضي الله عنهم ـ في بعض الأحيان ربما شاهدوا عباد الله من الملائكة وغيرهم يذكرون الله تعالى ، قال : والملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ منهم من يذكر الله بلسانه وبذاته كلّها ، فترى ذاته تتحرك يميناً وشمالاً ، وتتحرك أماماً وخَلْفاً ، فكان الوليّ من هؤلاء الخمسة إذا شاهد مَلَكاً على هذه الحالة ، تعجبه حالته ؛ فتتأثر ذاته بالحالة التي يشاهدها من المَلَك ؛ ثم تتكيف ذاته بحركة المَلَك ، فتتحرك ذاته كما تتحرك ذات الملك ؛ وتحكي ذاتُه ذاتَ المَلَك ؛ وهو لاشعور له بما يصدر منه لغيبته في مشاهدةِ الحق سبحانه ؛ و (لاشكّ في ضعف مَن هذه حالته ، وعدم قوته) ؛ فإذا رآه أتباعه

يتحرك بتلك الحركة تبعوه ، فهو يتحرك لحركة المَلَك ؛ وهم يتحركون لحركته ، ويتزيون بزيه الظاهر ● ثم هلكَ الأشياخُ الخمسة ، أهلُ الباطن والصدق - رضي الله عنهم - ، فاشتغل أهلُ الزيّ الظاهر بالحضرة ، وزادوا في حركتها ، وجعلوا لها آلة ، وتكلفوا لها ، وتوارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل . فقد علمتَ أن سببها ضعفٌ من الأشياخ المذكورين ، أوجبَ لهم عدمَ ضبط ظواهرِهم . وأهل القرون الثلاثة - رضي الله عنهم - لم تكن في أزمنتهم ، ولا سُمعت عن أحد منهم(١٦) . والله أعلم .

نظر البصيرة فيه ٣٦٦٠٠٠ جزء عند العارف .

[٦] و (**سمعته**) رضي الله عنه يقول في (نظر البصيرة) : إن فيه ثلثمائة ألف جزء ، وستةً وستين ألف جزء ؛ جزء واحد منها : في نظر العين ، والباقي من الأجزاء : في ذات « العارف ، الوارث الكامل » ؛ فينظر بذاته كما ينظر أحدنا بعينه ولكن نظره بمجموع الأجزاء كلها ، قال : وهذا لا يكون إلا لرجل واحد - يعني به الغوث ، الذي تحته الأقطاب السبعة - ● فقال بعض الحاضرين - وكنا بداره

---

(١٦) أقول : ماذكره سيدي الدبّاغ لايعني القدح في حلقة الذكر (الحضرة) ، بل إنما هو من باب ذكر الأصل في ذلك كما كوشف له فيه . وإلا فأين نحن من مرتبة الأولياء الذين يذكرهم حيث تحركوا في ذكر الله تعالى بحركة الملائكة وغيرهم من الذين يشاهدونهم . فأتباعهم المقلدون لهم متشبهون بهم وهم كما ذكر « أهل باطن وصدق » ● إن الحضرة منقولة ومتوارثة عن كبار الأشياخ العارفين فهي مقررة في كتبهم ومظهر من مظاهر التصوف في سلوك طريقهم ، عند سيدي أحمد الرفاعي (وانظر البرهان المؤيد) والجنيد والجيلاني والشاذلي والشعراني والشيخ الأكبر الحاتمي وغيرهم رضي الله عنهم . وفي الرسالة القشيرية لمح بها في التواجد والسماع ... والشيخ زروق في رسالته الزروقية . الأصل فيها : قوله تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ... ﴾ (آخر سورة آل عمران) . والاصطلاح على كيفيتها : هو من باب البدعة الحسنة .
قال في كتاب « النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية للشيخ مصطفى حبش المدني » ص ١٧٢ : إن القوم لما كان جل قصدهم ذكر الله في سائر أوقاتهم أوجب لهم اشتعال أنواره في بواطنهم وأجسادهم فجعلوا **حلقة الذكر** والجهر به دواء لحالهم وسبباً لنشاطهم واسترواحاً لقلوبهم ، وزيادة على السير إلى مقصودهم ، ولسريان المدد بينهم ، وجمع الهمة على محبوبهم ، وطرداً لداء الكسل والفتور والنوم ، وسداً لباب الغفلة الموجبة للمعاصي ... وجعلوا لحلقة الذكر الجهري كيفية وشروطاً وآداباً ... اهـ باختصار . **أقول** : وكل ذلك معروف عند من سلك طريق القوم ؛ لاداعي لتفصيله . **والخلاصة** : إن غالب طرق التربية والإرشاد لاتخلو من الحضرة كمظهر من مظاهرها وذلك للنفع الحاصل فيها : من ذكر الله تعالى ومراقبته ونزول الرحمات بذكر الصالحين فيها ، والإرشاد الحاصل بالسماع والإنشاد ، والبركة الحاصلة بالحركة . فهي مما سنّة السادات العارفون ولا دليل لمنكرها ، لأن الأصل في الأشياء الإباحة ؛ حيث لاتعارض أصلاً ، بل هي سبيل لتحريك القلب والتوجه به نحو ربه سبحانه .

بمدينة « **تطاون** » ؛ وكان لا يعرف مقام الشيخ رضي الله عنه ـ : إن سيّدي « عبد الوهّاب الشعراني » ذكر أنه اجتمع في الملكوت : سيدي عبدُ القادر **الجيلاني** وسيدي أحمدُ بن حسين **الرفاعي**(١٧) ، وسيّدي « إبراهيمُ **الدسوقي** » ، ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ؛ ووقعت لهم حكاية في ذلك العالم ؛ فذكرها سيدي إبراهيم لبعض أصحابه فقالوا : يا سيّدي من يَشهدُ لك ، ـ وكان بمصر مع أصحابه ، والشيخان الآخران بالعراق ـ ، فقال : سيّدي إبراهيم هاهما يشهدان بذلك ـ يشير إلى الشيخين ـ . فحضرا في الحين وشهدا له . فقال الرجل : فهؤلاءِ ثلاثةٌ ، وكلُّهم كُمّل .

حكاية اجتماع ثلاثة أولياء في الملكوت.

فـ (**قال**) الشيخ رضي الله عنه : تلك الحكاية يفعلها أضعف ما في الأولياء ؛ ولقد رأيت وليّاً بلغ مقاماً عظيماً ، وهو : أنه يشاهد المخلوقاتِ الناطقةَ ، والصامتةَ ، والوحوشَ ، والحشراتِ ، والسمواتِ ونجومَها ، والأرضينَ وما فيها . وكُرَةُ العالم بأسرها تستمد منه ، ويسمعُ أصواتَها وكلامَها في لحظة واحدة ، ويَمُدّ كلٌّ واحد بما يحتاجه ، ويعطيه مايصلحه ، من غير أن يشغله هذا عن هذا ؛ بل أعلى العالَم وأسفله بمنزلة من هو في حيّز واحد عنده ؛ ثم يُرحم هذا الوليّ ، فينظر فيرى

تعقيب وتعليق.

حكاية ولي.

---

(١٧) **أحمد الرفاعي** (.. ـ ٥٧٠) هـ : ● منسوب إلى بني رفاعة قبيلة من العرب ● سكن أم عبيدة بأرض البطائح [بالعراق] ● تروّس في علوم الطريق ، وشرح أحوال القوم ، واهتم بتربية المريدين بالبطائح ● شافعي المذهب قرأ كتاب التنبيه للشيخ أبي إسحق الشيرازي ● قال له أحد تلامذته : يا سيّدي أنت القطب ؛ فقال : نزّه شيخك عن القطبية ؛ فقال له : وأنت الغوث ؛ فقال : نزه شيخك عن الغوثية . قال الشعراني : وفي هذا دليلٌ على أنه تعدى المقامات والأطوار لأن القطبية والغوثية مقام معلوم ، ومن كان مع الله وبالله فلا يُعْلم له مقام وإن كان له في كل مقام مقام ● كلفه الله تعالى بالنظر في أمر الدوابّ والحيوانات إذا جلس على جسمه بعوضة لا يطيّرها ولا يمكن أحدٌ أن يطيّرها ويقول : دعوها تشرب من هذا الدم الذي قسمه الحق تعالى لها . [**قلت** : هو حال خاص به رضي الله عنه لا يمكن أن يقتدى به فيه] ● قيل كان يركب على الأسد ويجعل لجامه الحيّة كرامة من الله تعالى له . **من أقواله** : طريقتنا مبنية على ثلاثة أشياء : (. لا تسأل . ولا تردّ . ولا تدّخر) ● الصدقة أفضل من العبادات البدنية والنوافل ● لا يحصل للعبد صفاء الصدر ، حتى لا يبقى فيه شيء من الخبث لا لعدو ولا لصديق ، ولا لأحد من خلق الله تعالى .

ـ انتفع من الشيخ العارف بالله تعالى عبد الملك الحرنوتي ● قال خادمه يعقوب : مرض شيخي بالبطن فكان يخرج منه في كل يوم ماشاء الله . فبقي المرض بالشيخ شهراً ، وأجابهم عن ذلك الذي يخرج بأنه اللحم ذهب ولم يبق إلا المخ . ثم قال لهم : اليوم يخرج وغداً يغدو على الله تعالى . فخرج منه شيء منه أبيض مرتين وانقطع ● توفي يوم الخميس الظهر ثاني عشر جمادى الأولى . ودفن في قبر الشيخ يحيى البخاري . اهـ من الطبقات .

« مـــدَدَه » من غيره ؛ وهــو النبي ﷺ ؛ ويرى « مـــدد **النبي** » ﷺ من الحــقّ سبحانه ، فيرى الكلّ منه تعالى .

قال : وسمعت هذا الولي يقول : إذا نظرت إلى كون « **المَدَد** » من غيري أجد نفسي كالضفدع ؛ والخلقُ كلّهم أقوى منّي وأقدر . قلت : وهـذه صفـة شيخنـا ـ رضي الله عنه ـ غوثِ الزمان والأقطابِ السبعة تحته .

شطحة

وقـال لي ـ رضي الله عنـه ـ مرة : إني أرى « السموات السبع » و « الأرضين السبع » و « العرش » داخلـةً في وسطِ ذاتي ؛ وكـذا « مـافوق العرش » من السبعين حجاباً ، وفي كل حجاب سبعون ألف عام ، وبين كل حجـاب وحجـاب سبعون ألف عام ؛ وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام ، وكذا مافوق « الحجب السبعين » من عالم الرّقّا ـ بتشديد الراء وتشديد القاف بعدها ـ . فكل هؤلاء المخلوقات لا يقع في فكرهم شيء فضلاً عن جوارحهم إلا بإذن رجل رحمه الله تعالى[١٨] .

قلت : ولهذا الكلام شرح يعرفه أربابه ـ رزقنا الله رضاهم ، وجعلنا من زمرتهم وحزبهم . آمين آمين آمين يا رب العالمين ـ ● وأمّا (**قولـه** ـ رضي الله عنه ـ : إن أصغر الأولياء يفعل تلك الحكاية) فقد صدق ـ رضي الله عنه ـ في ذلك ، فقد شاهدت من أخذ في بداية الفتح ، وأوائل الكشف ، يفعل مثل ذلك ، مع كونه إلى الآن ماصح له إيمان الصوفية ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

ذواتـــه ﷺ ١٢٤٠٠٠ ذات.

وسألته رضي الله عنه ، فقلت : وموروثه ﷺ له مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ذات ، فما باله لم يرثها الغوثُ كلها ؟

معنى الوراثة لـه ﷺ في الغوث .

[ج] **فقـال** رضي الله عنـه : « **لا يطيق أحدٌ مـا يطيقـه النبيُّ** ﷺ » . ومعنى الوراثة في « الغوث » : أنه ليس ثَمّ ذاتٌ شربت من ذات النبيّ ﷺ مثلَ ذاتِ « الغوث » رضي الله عنه[١٩] . والله أعلم .

---

(١٨) **قلت** : هذا الكلام يخرج منه ـ رضي الله عنه ـ حال فناء نفسه في الله سبحانه فيتكلم على حسب ما يرى ويعاين مع شهود الفضل كله لله سبحانه . ويقصد بذاته هنا : سره ووجوده وكل ذلك يراه قائماً بالله سبحانه بمحض المنة والجود ، عن طريق سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

(١٩) وسيأتي ذكر ذلك أيضاً ٢٠١/٢ .

الباب السابع

(ملخص)

تفسيره رضي الله عنه لبعض ماأشكل من كلام الأشياخ

الباب السابع

في تفسيره رضي الله عنه لبعض ما أشكل علينا من كلام الأشياخ رضي الله عنهم

شرح صيغة صلاة ابن مشيش على النبي ﷺ.

فـ (من ذلك) أنه شرح لنا - رضي الله عنه - بعض الألفاظ من « صلاة » القطب الكامل الوارث الواصل مولانا « عبد السلام بن مَشِيْش » - رضي الله عنه - .

معنى (من/منه انشقت الأسرار).

[١] فـ (**سمعته**) - رضي الله عنه - يقول : في شرح قوله : (**اللهمَّ صَلِّ عَلى مَنْ مِنْه انشقَّتِ الأَسْرَارُ**) حاكياً عن سيدي « محمد بن عبد الكريم البصراوي » - رضي الله عنه - : أن (الله تعالى لما أراد إخراجَ بركاتِ الأرض وأسرارِها ، - مِثْلَ ما فيها من العيون والآبار والأنهار ، والأشجار والثمار والأزهار - ؛ أرسل « سبعين ألفَ » ملك إلى « سبعين ألف » ملك إلى « سبعين ألف » ملك ، - ثلاث سبعينات من الألوف - فنزلوا يطوفون في الأرض ، فـ « السبعون الأولى » يذكرون اسم النبي ﷺ ، - ومرادنا بالاسم : **الاسم العالي** ؛ على ما يأتي في شرح : (وتنزّلت علوم آدم) - ؛ و « السبعون الثانية » يذكرون قربَهُ ﷺ من ربّه - عز وجل - ومنزلته ﷺ منه ؛ و « السبعون الثالثة » تصلي عليه ﷺ. ونوره ﷺ مع الطوائف الثلاث ● فتكونت الكائنات ببركة ذكر اسمه ﷺ وحضوره بينها ، ومشاهدتها قربَه ﷺ من ربّه - عز وجل - . قال : وذكروه على الأرض فاستقرّت ؛ وعلى السموات فاستقلّت ؛ وعلى مفاصل ذات ابن آدم فلانت بإذن الله تعالى ؛ وعلى مواضع عينيه ففتحت بالأنوار التي فيها) ؛ فهذا معنى قوله : منه انشقت الأسرار .

[س] **فقلت :** فهذا معنى قول « دلائل الخيرات » : وبالاسم الذي وضعته على الليل فأظلم ؛ وعلى النهار فاستنار ؛ وعلى السموات فاستقلّت ؛ وعلى الأرض فاستقرّت ؛ وعلى الجبال فَرَسَت ؛ وعلى البحار فأُفجِرت[1] ؛ وعلى العيون فنَبَعت ؛ وعلى السحاب فأمطرت .

[ج] فقال رضي الله عنه : نعم ؛ ذلك الاسم هو اسم نبيّنا ومولانا محمد ﷺ فببركته تكونت الكائنات . والله أعلم . ● **قلت :** وقد سبق كلام سيدي « أحمد بن عبد الله » ، الغوث - رضي الله عنه -، وقوله لمريده : يا ولدي لولا نورُ سيّدنا محمد ﷺ ماظهر سرّ من أسرار الأرض ، فلولا هو ماتفجّرت عين من العيون ، ولا جرى نهر من الأنهار . وإنّ نوره ﷺ يا ولدي ، يفوح في شهر مارس [آذار] ، ثلاث مرات ، على سائر الحبوب ؛ فيقع لها الإثمار ببركته ﷺ ؛ ولولا نورُه ﷺ ماأثمرت . ويا ولدي ! **إنّ أقل الناس إيماناً من يرى إيمانه على ذاته مثلَ الجبل وأعظم منه** ؛ فأحْرى غيرَه ؛ **وإن الذات تَكِلّ أحياناً عن حمل الإيمان فَتريدُ أن ترميه ، فيفوح نور النبي ﷺ عليها ، فيكون معيناً لها على حمل الإيمان ؛ فتستحليه ، وتستطيبه** . فراجعه في أول الكتاب [٥٩/١] . والله أعلم .

من حكايا أهل الديوان .

وسمعته رضي الله عنه مرة أخرى يقول - في شرح (من منه انشقت الأسرار) - : إنه لولا هو ﷺ ، ماظهر تفاوتُ الناس في الجنّة والنار ؛ ولكانوا كلُّهم على مرتبة واحدة فيها . وذلك ، أنه تعالى لما خلقَ نورَه ﷺ ، وسبق في سابق علمه تفاوت الناس في قبوله ، والميل عنه ؛ ظهرَ ذلك عليهم حيث خلق ذلك النور ، فعلم هناك أنّ منهم من يبلغ من الخشوع درجة كذا ؛ ومن المعرفة درجة كذا ؛ ومن الخوف درجة كذا ؛ وأنّ لونَ كذا من نوع كذا ؛ وفلاناً شرب منه نوعاً آخر ، قبل ظهورهم ، وهم في عدم العدم . قال رضي الله عنه : فتفاوت المراتب وتباينها هو معنى « انشقاق الأسرار » منه ﷺ . والله أعلم .

تفاوت الناس في الخشوع والمعرفة والشرب المعنوي من الأنوار .

---

(١) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : فجرت - قلت : لعله تصحيف والصواب ماأثبتنا .

وسمعته رضي الله عنه مرة أخرى يقول - في شرح (من منه انشقت الأسرار) - : إن **أسرار الأنبياء والأولياء وغيرهم كلها مأخوذة من سرّ سيدنا محمد** ﷺ فإن له سرين : - **أحدهما** : في المشاهدة ؛ وهو موهوب ؛ - **والآخر** : يحصل من هذا السرّ ، وهو مكسوب . فلنفرض « المشاهدة » بمثابة ثوب ؛ مابقي صاحب حرفة من الحِرَف إلا وصنع[2] فيه شيئاً من صنعته . ولنفرض « صاحبَ المشاهدة » كشارب لذلك الثوب بأسره ؛ فإذا شرب الخيط الذي صنعه الحَرَّار مثلاً ، أمدّه الله تعالى بمعرفة « صناعة الحرير » ، وكل ماتحتاج إليه في أمورها وشؤونها كلها ؛ وإذا شرب الخيط الذي صنعه النسَّاج - مثلاً - ، أمدّه الله تعالى بصناعة النسج ، ومعرفةِ جميعِ ماتتوقف عليه ؛ وهكذا ، حتى نأتي على سائر الصنائع والحرف التي نعرفها ، والتي لانعرفها ؛ فهكذا مشاهدته ﷺ نفرضها مشتملة على جميع المعارف التي سبقت بها إرادته تعالى . **قلت** : و (**وجه الشبه**) بينها وبين الثوب السابق : تباين الأمور ؛ ففي الثوب السابق تباينت فيه الصنائع والحرف ، وفي المشاهدة الشريفة تباينت فيها « الأسماء الحسنى » ، وظهرت فيها أسرارها وأنوارها . و (وجه آخر) : أن الصنائع المتباينة اجتمعت كلها في الثوب السابق ، وكذا أنوار الأسماء الحسنى كلها اجتمعت في مشاهدته ﷺ . و (**وجه** آخر) : أن تلك الصنائع المتباينة ، بمعرفتها يقع التصرف في موضوعاتها ؛ وكذا « الأسماء الحسنى » بالسِقْي[3] بأنوارها يقع التصرف في هذا العالم . فـ (وجه الشبه) حينئذ مركب من مجموع هذه الأشياء الثلاثة ، وهي : تباين الأمور في شيء ، مع استيفائها فيه ، وكون التصرف يضاف إليها . والله أعلم . ثم **قال** رضي الله عنه : فتكون ذاتُه ﷺ مشتملةً على جميع مايلزم في تلك المشاهدة ، وممدودةً بسائر أسرارها ؛ من رحمة الخلق ، ومحبتهم ، والعفو عنهم ، والصفح والحِلْم ، والدعاء لهم بخير ، لعلّ الله تعالى يقوّيهم على الإيمان بالله عزّ وجلّ . (قال) رضي الله عنه : وبهذا كان ﷺ يدعو لأبي بكر الصديق رضي الله عنه . والناس اليومَ لا يعرفون قيمة هذا الدعاء .

دعاؤه ﷺ لأبي بكر الصديق .

---

(2) وفي ظ ١ : وضع .

(3) السِقْي : - بالكسر - الحظّ من الشراب . اهـ مختار الصحاح .

قلت : يعني أنّه لَمّا فرضنا المشاهدة مشتملةً على سائر « الأسماء الحسنى » ، وفرضنا صاحبها ﷺ كالشارب السابق للثوب السابق ؛ لزم قطعاً أن تكون ذاته ﷺ ، مسقيةً بجميع أنوار الأسماء الحسنى ، وممدودة بأسرارها ؛ فيكون في ذاته ﷺ نورُ الصبر ، ونورُ الرحمة ، ونور الحلم ، ونور العفو ، ونور المغفرة ، ونور العلم ، ونور القدرة ، ونور السمع ، ونور البصر ، ونور الكلام ؛ وهكذا ، حتى نأتي على جميع « الأسماء الحسنى » ؛ فتكون أنوارها في الذات الشريفة على الكمال .

ثم قال الشيخ رضي الله عنه : فنلتفت إلى غيره من الملائكة والأنبياء والأولياء ، فنجدهم قد تفرق فيهم بعض ما في الذات الشريفة ، مع كون السقي وصل إليهم من الذات الشريفة ؛ فالأسرار الموجودة في ذواتهم انشقت منه ﷺ ، حتى إني سمعته - رضي الله عنه - يقول : لولا الدم الذي في الذات واللحم والعروق ، - المانع من معرفة حقائق الأمور - ، لم يتكلم **الأنبياء** - عليهم الصلاة والسلام - منذ وجدوا إلى أن ظهر نبينا ﷺ إلا بأمر نبينا ﷺ ، فلا تكون إشارتهم إلا إليه ، ولا تكون دلالتهم إلا عليه ؛ حتى إنهم يصرّحون لكلّ من تبعهم ، بأنّهم إنما ربحوا منه ، وأنّ مددهم جميعاً إنما هو منه ﷺ ؛ وأنّهم في الحقيقة نائبون عنه لا مستقلّون ؛ وأنهم بمنزلة أولاده ﷺ ؛ و (**هو ﷺ بمنزلة الأب لهم**) ؛ حتى يكون الخلق كلّهم فيه سواء ؛ ودعوةُ الجميع إليه ﷺ واحدة ؛ فإنّ هذا هو الكائن في نفس الأمر . و « **الأمم الماضية** » بمجرد موتهم وانفصالهم عن هذه الدار ، يعلمونه يقيناً ؛ وفي الآخرة يظهر لهم عياناً ؛ وعند دخول الجنّة يقع الفصل بينهم وبين الجنة ، حيث تنكمش عنهم ، وتنقبض ، وتقول لهم لا أعرفكم ، لستم من نور محمد ﷺ ، فيقع الفصل بأنهم وإن سبقوا عليه ، فهم ممتدون من أنبيائهم ، وأنبياؤهم - عليهم السلام - ممتدون من النبيّ ﷺ ، فإذنْ الجميع ممتدّ منه ﷺ . قال رضي الله عنه : فلولا الدم ، وما سبق في الإرادة الأزلية ، لكان هذا الواقع في دار الدنيا .

الأنبياء نوّابه ﷺ في الحقيقة .

[س و ج] فقلت : وَلِمَ منع هذا الدمُ من معرفة الحقّ ؟ فقال رضي الله عنه : لأنّه يجذب الذات إلى أصلها الترابي ، ويميل بها إلى الأمور الفانية ، فتتشوف للبناء والغرس وجمع الأموال ، وغير ذلك . يميل بها إلى ذلك في كل لحظة وهو عين

الدم يمنع من معرفة الله .

الغفلة والحجاب عنه تعالى . ولولا ذلك الدم لم تلتفت الذات إلى شيء من هذه الأمور الفانية أصلاً .

قلت : ولا يخفى أن حجابيته تختلف ، فهي كثيفة في حقّ **العوام** ، ضعيفة في حقّ **الخواص** ، وتقرب من الانتفاء في حقّ **الأنبياء** ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ؛ ومنتفية رأساً في حقّ سيد الأولين والآخرين ﷺ . وقد سبق (١ / ٤٧٠) ما يدل على ذلك في الكتاب . والله أعلم .

شرح (وانفلقت الأنوار) .

وسمعته رضي الله عنه يقول في قوله : **(وانفلقت الأنوار)** ، إنّ أول ما خلق الله تعالى نورُ سيدنا محمد ﷺ[٤] ثم خَلَق منه القلمَ ، والحُجُبَ السبعين ، وملائكتَها ، ثم خَلَقَ اللوح ، ثم قبل كماله وانعقاده خَلَقَ العرش ، والأرواحَ ، والجنّةَ ، والبرزخَ .

العرش ووصفه

أمّا **العرش** فإنه خَلَقه الله تعالى من نوره ؛ وخلق ذلك النور من النور المكرم ، وهو ـ أي النور المكرم ـ نورُ نبينا ومولانا محمد ﷺ ، وخَلَقه ـ أي العرش ـ ياقوتةً عظيمة لا يقاس قدرها وعِظَمها ؛ وخلق في وسط هذه الياقوتة جوهرة ، فصار مجموع الياقوتة والجوهرة كبَيْضة بَياضُها هو الياقوتة ، وصفارها هو الجوهرة : ثم إن الله تعالى أمد تلك الجوهرة وسقاها بنوره ﷺ ، فجعل يخرق الياقوتةَ ويسقي الجوهرة ؛ فسقاها مرة ، ثم مرة ، ثم مرة ، إلى أن انتهى إلى سبع مرات ؛ فسالَتْ الجوهرة ـ بإذن الله تعالى ـ ، فرجعت ماءً ، ونزلت إلى أسفل الياقوتة التي هي العرش . ثم إن النور المكرم ـ الذي خرق العرش إلى الجوهرة التي سالت ماء ـ لم يرجع ؛ فخلق الله منه «ملائكة ثمانية » ؛ وهم **حملة العرش** ؛ فَخَلَقَهُم من صفائه ؛ وخلق من ثقله **الريح** وله قوة وجهد عظيم ؛ فأمرها تعالى أن تَنزل تحت الماء فسكنت تحته فحملته ، ثم جعلت تخدم وجعلَ البَرْدُ يَقوى في الماء ؛

أصل الماء في العرش .

حملة العرش

---

(٤) ومنه الحديث الشريف الذي رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ قال : قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء ؟ قال ﷺ : إن الله خلق قبل الأشياء نورَ نبيك من نوره ... (الحديث) انظره بتمامه في كشف الخفا ٢١١/١ . وكذا نحوه في مسند الإمام الشافعي ذكره في الأربعين العجلونية .

فأراد الماء أن يرجع إلى أصله ويجمد ، فلم تدعه الرياح ، بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمد ؛ وجعلت تلك الشقوق تتعفن ويدخلها الثقل والنتونة ؛ وشقوق تزيد على شقوق ؛ ثم جعلت تكبّر وتتسع ، وذهبت إلى جهات سبع ، وأماكن سبع ؛ فخلق الله منه **الأرضين السبع** ودخل الماء بينها وبين البحور ؛ وجعل **الضبابُ** يتصاعد من الماء لقوة جهد الريح ؛ ثم جعل يتراكم فخلق الله منه **السموات السبع** . ثم جعلت الريح تخدم خدمة عظيمة على عادتها ؛ أولاً وآخراً ؛ فَجَعلت النار تزيد في الهواء من قوة خرق الريح للماء والهواء ، وكلما زَنَدت[٥] نارٌ أخذتْها الملائكة وذهبت بها إلى محل جهنم اليوم ؛ فذلك **أصل جهنم** . فالشقوق التي تكونت منها الأرضون تركوها على حالها . والضباب التي تكونت منه السموات تركوه على حاله أيضاً ؛ والنار التي زَنَدت في الهواء أخذوها ونقلوها إلى محل آخر ؛ لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي منها الأرضون السبع والضباب الذي منه السموات السبع ؛ بل وتأكل الماء وتشربه بالكلية ، لقوة جهد الريح . ثم إن الله تعالى خلق « **ملائكة الأرضين** » من نوره ﷺ ، وأمرهم أن يعبدوه عليها[٦] ؛ وخلق ملائكة السموات من نوره ﷺ ، وأمرهم أن يعبدوه عليها[٦] .

أصل الماء، الأرضين السبع والسموات السبع .

أصل جهنم

ملائكة الأرض والسماء .

الأرواح والجنة

وأمّا **الأرواح والجنة** ـ إلا مواضع منها ـ ، فإنها أيضاً خلقت من نورٍ ؛ وخلق ذلك النور من نوره ﷺ .

البرزخ

وأمّا **البرزخ** فنصفه الأعلى من نوره ﷺ ، فخرج من هذا أن **القلم و اللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السموات والأرضين كلها خلقت من نوره** ﷺ بلا واسطة ، وأن **العرش والماء والجنة والأرواح خلقت من نورٍ خُلِقَ من نوره** ﷺ . ثم بعد هذا فلهذه المخلوقات أيضاً سَقْيٌ من نوره ﷺ .

القلم

أما القلم : فإنه سُقِيَ سبع مرات ، سقياً عظيماً ، وهو أعظم المخلوقات بحيث

---

(٥) في ظ ١ : زادت .

(٦) أي أن يعبدوا الله سبحانه على ظهر الأرض وفي السموات .

إنه لو كشف نورهُ لِجرم الأرض لتدكدكت ، وصارت رمياً . وكذا **الماء** : فإنه سُقي سبع مرات ؛ ولكن ليس كسقي القلم .

وأما **الحجب السبعون** : فإنها في سَقيٍ دائم .

وأما **العرش** : فإنه سقي مرتين : مرة في بدء خلقه ، ومرة عند تمام خَلقه ، لتستمسك ذاتُه . وكذا **الجنة** فإنها سقيت مرتين : مرة في بدء خلقها ، ومرة بعد تمام خلقها ، لتستمسك ذاتُها .

سُقيا الأنبياء وسائر المؤمنين والمخلوقات من نوره ﷺ .

وأما **الأنبياء** - عليهم الصلاة والسلام - وكذا **سائر المؤمنين** من الأمم الماضية ، ومن هذه الأمّة : فإنّهم سُقُوا ثمان مرات : **الأولى** : في (عالم الأرواح) حين خلق الله نور الأرواح جملة فسقاه . **الثانية** : حين جعل يصور منه الأرواح ؛ فعند تصوير كل روح سقاها بنوره ﷺ . **الثالثة** : « يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ » فإن كل من أجاب اللهَ تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - سُقي من نوره ﷺ ؛ لكن منهم من سقي كثيراً ومنهم من سقي قليلاً . فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين ، حتى كان منهم أولياء وغيرهم . وأمّا (أرواح الكفار) فإنها كرهت شرب ذلك النور وامتنعت منه . فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية ، والارتقاءات السرمدية ، ندمت ؛ وطلبت سقياً ، فسقيت من الظلام - والعياذ بالله - . **الرابعة** : عند تصويره في بطن أمّه وتركيب مفاصِله ، وشقّ بصره ؛ فإنّ ذاته تُسقى من النور الكريم لتلينَ مفاصله ، وتَتَفتّح أسماعها وأبصارها ؛ ولولا ذلك مالانت مفاصلها . **الخامسة** : عند خروجه من بطن أمّه ، فإنه يُسقى من النور الكريم ليُلْهَم الأكلَ من فمه ؛ ولولا ذلك ما أكل من فمه أبداً ● **السادسة** : عند التقامه ثديَ أمّه في أوّل رضعة ، فإنه يُسقى من النور الكريم أيضاً ● **السابعة** : عند نفخ الروح فيه ؛ فإنه لولا سقيُ الذات بالنور الكريم مادخلت فيها الروح أبداً ؛ ومع ذلك فلا تدخل فيها إلا بكُلفة عظيمة ، وتعب يحصل للملائكة معها ؛ ولولا أمرُ الله تعالى لها ، ومعرفتها به ، ما قدر مَلَك على إدخالها في الذات . و (سمعته) رضي الله عنه مرة أخرى يقول : مَثَلُ

ضرب مثال

« الملائكة » الذين يريدون أن يُدخلوا « الرُّوحَ » في « الذاتِ » كعبيد صغارٍ لِمَلِك

يُرسلها إلى « الباشا العظيم » ليدخلوه إلى السجن ، فإذا نظرنا إلى الغلمان الصغار ، وإلى الباشا العظيم ، وجدناهم لا يقدرون على معالجة الباشا في أمر من الأمور . وإذا نظرنا إلى « المَلك » الذي أرسلهم ، وأنه الحاكم في « الباشا وغيره » ، حكمنا بأنه يجب أن يَذِلّ لهم الباشا وغيره ● وإذا أرادوا إدخالها في الذات حصل لها كرب عظيم وانزعاجات كثيرة وتجعل ترغرغ[٧] بصوت عظيم ؛ فلا يَعْلَم مانزل بها إلا الله تعالى . والله أعلم ● **الثامنة** : عند تصويره عند البعث ، فإنه يُسقى من النور الكريم لتستمسك ذاته .

قال رضي الله عنه : فهذا السقي في هذه المرّات الثمان اشترك فيه الأنبياء والمؤمنون من سائر الأمم ، ومن هذه الأمة ؛ ولكن (الفرق) حاصل ، فإنّ **ما سقيَ** به **الأنبياء** ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قَدْرٌ لا يطيقه غيرُهم ، فلذلك حازوا درجة النبوّة والرسالة . **وأما** غيرهم فكلٌّ سُقي بقَدر طاقته . **وأما** (الفَرْق) بين سقي هذه الأمّة الشريفة وبين سقي غيرها من سائر الأمم ، فهو : أن هذه الأمّة الشريفة سُقيت من النور الكريم ، بعد أن دخل في الذات الطاهرة وهي ذاته ﷺ ، فحصل له من الكمال ما لا يكيّف ولا يطاق ، لأنّ النور الكريم أخذ **سرَّ روحه** الطاهرة ، **وسرَّ ذاته** الطاهرة ﷺ ؛ بخلاف سائر الأمم فإنّ النور في سقيها إنّما أخَذ سرَّ الروح فقط ، فلهذا كان المؤمنون من هذه الأمّة الشريفة كُمّلاً ، وعدولاً وسطاً ؛ وكانت هذه الأمة : ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] . ولله الحمد والشكر ● **قال** رضي الله عنه : وكذا **سائر المخلوقات** سُقيت من النور الكريم . ولولا النور الكريم الذي فيها ما انتفع أحد منها بشيء .

فرق

فرق

سرّ روحه وسرّ ذاته ﷺ .

قال رضي الله عنه : و (**لما نزل سيدنا آدم** ـ على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام ـ **إلى الأرض**) كانت الأشجار تتساقط ثمارها في أول ظهورها . فلما أراد الله تعالى إثمارها سقاها من نوره الكريم ﷺ فمن ذلك اليوم جعَلت تثمر[٨] . ولقد

بركة نوره ﷺ .

---

(٧) في ظ ١ : تزعزع .

(٨) تقدم نحوه أول الكتاب [٥٩/١] في ذكر الحكاية الأولى من حكايا أهل الديوان .

كانت قبل ذلك كلُّها ذِكاراً تنفتح ثم تتساقط . ولولا **نورُه ﷺ الذي في ذوات الكافرين** - فإنها سقيت به عند تصويرها في البطون عند نفخ الروح ، وعند الخروج ، وعند الرضاع - لخرجت إليهم جهنم وأكلتهم أكلاً . ولا تخرج إليهم في الآخرة وتأكلهم حتى يُنزع منهم ذلك النور الذي صلحت به ذواتُهم . والله أعلم .

● **وسمعته** رضي الله عنه - مرة أخرى - يقول : **لَمَّا خلق الله تعالى النورَ المكرم وخلقَ بعده القلم والعرش واللوح والبرزخ والجنّة ، وخَلَقَ الملائكةَ الذين هم سكّان العرشِ والجنّةِ والحُجُبِ ؛ قال العرش** : يا رب لِمَ خلقتني ؟ فقال الله تعالى : لأجعلَكَ حجاباً تحجب (**أحبابي**) من أنوار الحجب التي فوقك ؛ فإنّهم لا يطيقونها لأنّي أخلقهم من تراب ؛ - ولم يكن في ذلك الوقت أعداءٌ ولا دارٌ هَمّ التي هي جهنّم - ؛ فظنّ الملائكة أن أحبابه الذين يخلقهم الله تعالى من تراب ، يخلُقهم في الجنة ويُسكنهم فيها ، ويَحجبهم بالعرش [اهـ] ● **ثم خلق الله تعالى « نورَ الأرواح »** جملة فسقاه من النور المكرم ، **ثم ميّزه الله تعالى قِطعاً قِطعاً ؛ فصوّر من كل قِطعة روحاً** من الأرواح ؛ وسقاهم عند التصوير من النور المكرم أيضاً ؛ **ثم بقيت الأرواح على ذلك مدة .** فمنهم : من استحلى ذلك الشراب ، ومنهم : من لم يستحله ، **فلما أراد الله تعالى أن يميز أحبابه** من أعدائه ، وأن يخلق لأعدائه دارَهُمْ - التي هي جهنّم - **جمع الأرواح ، وقال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾** ؛ فمن استحلى ذلك النور وكانت منه إليه رقّةٌ وحُنوٌّ عليه ، أجاب محبةً ورضاً ؛ ومن لم يستحله ، أجاب كُرهاً وخوفاً . فظهر **الظلام** الذي هو (أصل جهنم) فَجَعل « الظلام » يزيد في كلّ لحظة ؛ وجعل « النور » أيضاً يزيد في كل لحظة ؛ فعند ذلك ، علموا قدر النور المكرّم ، حيث رَأوا من لم يستحله استوجب الغضب ، وخلقت جهنم من أجلهم . والله أعلم ● وسمعته رضي الله عنه يقول - مرة أخرى - : إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - وإن سُقُوا من نوره - لم يشربوه بتمامه ، بل كلٌّ واحد يشرب منه ما يناسبُه ، وكُتِبَ له ؛ فـ (**إن النورَ المكرّم ذو ألوان كثيرة ، وأحوالٍ عديدة ، وأقسامٍ كثيرة**) ، فكلٌّ واحد شرب لوناً خاصاً ، ونوعاً خاصاً ● قال رضي الله عنه : فسيدنا « **عيسى** » - عليه الصلاة والسلام - شرب من النور المكرّم ، فحصل له مقام الغُربة ؛ وهو مقام يحمل

مناجاة العرش لربه سبحانه عندما خلقه .

يوم ﴿ألست بربكم﴾ .

سقيا الأنبياء من النور الشريف .

صاحبه على السياحة وعدم القرار في موضع واحد .

وسيدنا « **إبراهيم** » عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم ، فحصل له « مقام **الرحمة والتواضع** » مع « **المشاهدة الكاملة** » ؛ فتراه إذا تكلم مع أحد يخاطبه بلين ويكلمه بتواضع عظيم فيظن المتكلم أنه يتواضع له ، وهو إنما يتواضع لله ـ عزّ وجلّ ـ لقوة مشاهدته .

وسيدنا « **موسى** » ـ عليه الصلاة والسلام ـ شرب من النور المكرم فحصل له « مقام **مشاهدة الحقّ** سبحانه في نعمه » وخيراته وعطاياه التي لا يُقْدَر قَدْرها ؛ وهكذا سائر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والملائكة الكرام . والله أعلم

أهل الخير

● وسمعته رضي الله عنه يقول : إنما ظهر الخير لأهله ببركته ﷺ . وأهلُ الخير : هم الملائكة والأنبياء والأولياء وعامة المؤمنين .

[س و ج] فقلت : وكيف يُفَرَّق بينهم ؟ فقال رضي الله عنه : **الملائكة** ذواتهم من النور ، وأرواحهم من النور ؛ **والأنبياء** عليهم الصلاة والسلام ذواتهم من تراب وأرواحهم من نور ، وبين الروح والذات نور آخر ، هو شراب ذواتهم ؛ وكذا **الأولياء** ، غير أنّ « الأنبياء » عليهم الصلاة والسلام زادوا عليهم بدرجة النبوة التي لاتكيّف ولا تطاق . وأما « **عوامّ المؤمنين** » فلهم ذوات ترابية وأرواح نورانية ، ولذواتهم شبه عِرق من ذلك النور ، الذي للأولياء والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

ذات الملك وذات النبيّ

[س و ج] فقلت : وما نسبة هذه الأنوار من نور نبيّنا محمد ﷺ ، وكيف استمدادها منه ؟ فضرب رضي الله عنه **مثلاً** عامياً على عادته ـ نفعنا الله به ـ وقال : كمن جوّع جماعةً من القِطَط مدةً ، حتى اشتاقوا للأكل اشتياقاً كثيراً ؛ ثم طرح خُبزةً بينهم ، فجعلوا يأكلون منها أكلاً حثيثاً ، والخبزة لا ينقص منها قلامةُ ظفر . فكذا نورُه ﷺ تستمد منه العوالم ولا يَنقص شيئاً ، والحقّ ـ سبحانه وتعالى ـ يمدّه بالزيادة دائماً ؛ ولا تظهر فيه الزيادة بأن يتسع فراغها ، بل الزيادة باطنة فيه ، لاتظهر أبداً ؛ كما أن النقص لا يظهر . فهذا النور المكرَّم تستمد منه الملائكة والأنبياء والأولياء والمؤمنون . والمَدَدُ مختلف كما سبق . والله أعلم ● وسمعته رضي الله

نوره ﷺ ونسبة الأنوار إليه

نور الشمس والقمر.

نور الأرواح

بدء ظهور الأنوار.

عنه يقول : « أنوار الشمس والقمر والنجوم » مستمدة من « نور البرزخ » و « نور البرزخ » مستمد من « النور المكرّم » ومن « نور الأرواح » التي فيه ؛ و « نور الأرواح » مستمد من نوره ﷺ . ● قال رضي الله عنه : وإنّما ظهرت الأنوار فيها عند قرب خلق « آدم » ، وبعد خلق « الأرض وجبالها » ؛ فكانت (الملائكةُ والأرواحُ) يَعبدون الله تعالى ؛ فلم يفجَأْهم إلا والأنوار ظهرت في الشمس والقمر والنجوم ؛ ففرت الملائكة الذين في الأرض من « نور الشمس » إلى « ظلّ الليل » ، فَجَعلت الشمس تنسخه وهم يذهبون معه ، إلى أن عادوا إلى المكان الذي بدؤوا منه ؛ وحصل لهم هَوْل عظيم ؛ وظَنّوا أن ذلك حَدَثَ لأمر عظيم ؛ فاجتمع ملائكة كلّ أرض في أرضهم وفعلوا ماسبق . وأما ملائكة السموات ، والأرواح التي في البرزخ ، فإنهم لمّا رأوا ملائكة الأرض فعلوا مافعلوا نزلوا معهم إلى الأرض . فأمّا « أرواح بني آدم » فوقفوا مع ملائكة الأرض الأولى ، واجتمع الجميع - من ملائكة الأرض والسموات والأرواح - على تلك الليلة . فلما رجعت « الشمس » إلى موضعها الأول ، ولم يحدث شيء ، أَمِنوا فرجعوا إلى مراكزهم . ثم صاروا يفعلون ذلك كلّ عام . فهذا سبب ليلة القدر[9] . والله أعلم .

السبب الأصلي لليلة القدر.

☆ ☆ ☆

(وفيه ارتقت الحقائق).

أسرار الحق تعالى في خلقه : ٣٦٦ سراً .

و (سمعته) - رضي الله عنه - يقول في (قوله : وفيه ارتقت الحقائق) : إن المراد بالحقائق أسرار الحقّ تعالى التي فرّقها في خلقه - وهي ثلثمائة وستة وستون سراً - ، ظهرت في « الحيوانات » على ماأراد الحقّ سبحانه . وظهرت في « الجمادات » كذلك ، وهكذا سائر المخلوقات ● قال رضي الله عنه : ففي « النبات » مثلاً سرّ منها وهو « النفع » ؛ فهذا النفع حقيقةٌ من حقائق الحق سبحانه - أي المتعلقة به - ؛ لأن كلّ حقّ فهو متعلق به سبحانه - كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى [٢٧٤/٢] - . ثمّ هذا النفع ارتقى في النبيّ ﷺ وبَلَغ مقاماً لم يكن لغيره . ألا ترى النفعَ السابق في استمداد « المُكَوّنات » كلّها من نوره ﷺ ولم يثبت

(٩) وتقدم ذكرها آخر الباب الثاني [٤٣٤/١] . وأوائل الباب الرابع [٢١/٢] .

هذا المخلوق ● قال رضي الله عنه : وفي « **الأرض** » - مثلاً - سرّ الحَمْلِ لِمَا فيها[10] ؛ وهو حقيقةٌ من حقائق الحقّ سبحانه . وقد ارتقى في النبيّ ﷺ إلى حدّ لا يطاق ؛ حتى إنه لو جُعل مافيه من الأسرار والمعارف على المخلوقات لتهافتوا ولم يطيقوا ذلك ● وفي « **أهل المشاهدة** » - مثلاً - سرّ من الأسرار ، وهو : أنهم « لا يغفلون عنه تعالى طَرفةَ عين » . وهذا المعنى ارتقى فيه النبيّ ﷺ إلى حدّ لا يطاق ؛ كما سبق في مشاهدته الشريفة . وفي « **الصدّيقين** » سرّ من أسرار الحقّ سبحانه وهو « الصدق » ، وقد ارتقى في النبيّ ﷺ إلى حدّ لا يطاق ● وفي « **أهل الكشف** » سرّ من أسرار الحقّ سبحانه ، وهو « معرفة الحق » على ماهو عليه ؛ وقد ارتقى في النبيّ ﷺ إلى حدّ لا يَبلُغُ كُنْهَهُ .

وبالجملة « فارتقاء الحقائق على قدر السقي من أنوار الحق سبحانه » .

ولما كان النبيّ ﷺ هو الأصل في الأنوار ، ومنه تفرقت ، لزم أن الحقائق ارتقت فيه على قدر نوره ؛ ونوره لا يطيقه أحد ؛ فارتقاء الحقائق الذي فيه ، لا يطيقه أحد . والله أعلم .

(وتنزّلت علوم آدم) .

وسمعته - رضي الله عنه - يقول في (قوله : **وتَنَزّلَتْ عُلُومُ آدَمَ**) : إن المراد بعلوم « آدم » ماحصل له من الأسماء التي عُلّمها ، المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] . والمراد بالأسماء : (الأسماء العالية) لا (الأسماء النازلة) ، فإنّ (كلّ مخلوق له اسمٌ عالٍ واسمٌ نازل) ؛ **فالاسم النازل** هو : الذي يُشعر بالمسمى في الجملة ؛ **والاسم العالي** هو : الذي يشعر بأصل المسمّى ؛ ومن أي شيءٍ هو ؟ وبفائدة المُسَمّى ؛ ولأي شيء يصلح « الفأس » من سائر مايستعمل فيه ؟ وكيفية صنعة « الحدّاد » له . فيعلم من مجرد سماع لفظه ، هذه العلومَ والمعارف المتعلقة بالفأس . وهكذا كلُّ مخلوق . والمراد بقوله تعالى : ﴿ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ : الأسماء التي يطيقُها آدم ، ويحتاج إليها سائر البشر ، أوْ لَهم بها تعلّق ؛ وهي من كل مخلوق تحت العرش إلى ماتحت الأرض ؛ فيدخل في ذلك الجنة

الأسماء العالية والأسماء النازلة .

---

(١٠) في ظ ١ : سرُّ لحلِ مافيها . قلت : هما بمعنى واحد .

والنار ، والسموات السبع وما فيهن ، وما بينهن ، وما بين السماء والأرض ؛ وما في الأرض ، من البراري والقفار والأودية ، والبحار والأشجار . فـ (ما من[11] **مخلوقٍ في ذلك ـ ناطقٍ أو جامدٍ ـ إلا وآدم يعرف من اسمه تلكَ الأمورَ الثلاثة : أصلَه وفائدَتَه وكيفيةَ ترتيبه ووضعِ شكله**) . فيَعلَم من اسم « الجَنَّة » من أين خلقت ؟ ولأيّ شيء خُلقت ؟ وترتيبَ مراتبها ، وجميعَ ما فيها من الحُوْر ، وعددَ من يسكنها بعد البعث . ويَعلَم من لفظ « النار » مثلَ ذلك . ويعلم من لفظ « السماء » مثلَ ذلك ؛ ولأي شيء كانت الأولى في محلها ؟ والثانية ... ، وهكذا في كل سماء . ويعلم من لفظ « الملائكة » من أيّ شيء خُلقوا ؟ ولأيّ شيء خُلقوا ؟ وكيفيةَ خلقهم ، وترتيبَ مراتبهم وبأيّ شيء استحق هذا المَلَكُ هذا المقام ؟ واستحق غيره مقاماً آخر ؟ ... وهكذا في كل مَلَك في العرش إلى ماتحت الأرض . فهذه (**علوم آدمَ وأولادِه ، من الأنبياء** ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، **والأولياء الكُمَّل** ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ) ● وإنما خَص « آدمَ » بالذكر لأنه أول مَن عَلِّم هذه العلوم ، ومَن عَلِمَها من أولاده ، فإنّما عَلِمَها بعده . وليس المراد أنه لا يعلَمُها إلا آدم . وإنما خَصصناها بما يحتاج إليه هو وذريتُه ، وبما يطيقونه لئلا يلزم من عدم التخصيص الإحاطة بمعلومات الله تعالى . وإنما قال (تَنـزَّلَتْ) إشارة إلى الفرق بين « علم النبيّ ﷺ » بهذه العلوم وبين « علم آدم وغيره » من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بها ؛ فإنهم إذا توجهوا إليها يحصل لهم شِبه مقام عن مشاهدة الحق سبحانه وتعالى ؛ وإذا توجهوا نحو مشاهدة الحقّ ـ سبحانه وتعالى ـ ، حصل لهم شبْه النوم عن هذه العلوم . و « **نبينا** ﷺ » لقوته لا يَشغَله هذا عن هذا ؛ فهو إذا توجه نحو الحقّ سبحانه وتعالى ، حَصَلت له المشاهدة التامة ، وحصل له مع ذلك مشاهدة هذه العلوم وغيرها مما لا يطاق ؛ وإذا توجه نحو هذه العلوم حصلت له ، مع حصول هذه المشاهدة في الحقّ ـ سبحانه وتعالى ـ ؛ فـ « **لا تحجبه مشاهدة الحقّ عن مشاهدة الخلق ، ولا مشاهدة الخلق عن مشاهدة الحقّ سبحانه وتعالى** » . (فـ)ـتلك[12] العلوم إنما تنزّلت ورَسَخَتْ فيه

فرق

من خصائصه ﷺ .

(١١) التصحيح اقتضاه سياق النص . وفي بولاق والأزهرية والحلبية : فكل مخلوق . وفي ظ ١ : وكل مخلوق .

(١٢) في ظ ١ : فالعلوم إنما نزلت .

(فأعجز الخلائق).

(وله تضاءلت الفهوم).

تعريف الفهم:

(فلم يدركه منا سابق ولا لاحق.

قرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة).

دون غيره ﷺ ؛ فإنّ غيره تزول عنه إذا توجه نحو الحقّ سبحانه وتعالى ، ولذلك (**أَعْجَزَ**) ﷺ (**الخَلَائِقَ . ولهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُوم**) فيه أي اضمحلت ؛ فلم يفهموه ولم يعرفوه . والفهوم : جمع فهم وهو : نور العقل الذي هو الإدراك . (**فَلَمْ يُدرِكْهُ مِنَّا**) أي من بني آدم (**سَابِقٌ**) وهم : الأنبياء (**وَلاَ لاَحِقٌ**) وهُم : الأولياء الكمّل ؛ والموجب لذلك هو : أن روحه - عليه الصلاة والسلام - لما كانت كاملة في الكمالات الباطنية ؛ فكذلك ذاته ﷺ كاملةٌ في الكمالات الذاتية . (**فَرِيَاضُ المَلَكُوت**) أيْ : فأسرار العالم العلويّ ، أيْ : فأسرار القَدَر التي فيه ، وفي خلق كل مخلوق فيه ، ووضعه في موضعه ، من الملائكة وجميع ما فيه ، ولِمَ كانت السماء في محلها ؟ واللوح المحفوظ في محله ؟ . (**بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ**) أي رحمها الله تعالى بنوره ﷺ (**وَحِيَاض الجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ**) :

اعلم أن (العالم العلوي يقال له : عالم الملك ، وعالم الملكوت ، وعالم الجبروت) باعتبارات مختلفة فـ « **عالم الملك** » : باعتبار اتفاق أهله - أعني : ناطقهم وصامتهم وجامدهم وعاقلهم - فإنهم اتفقوا على نظر واحد ، والتفات واحد ، إلى معبود واحد ، وهو الحقّ سبحانه وتعالى ، فهم متفقون على معرفته ، ومشاهدته ، وسلب الاختيار عنهم . بخلاف أهل الأرض من العالم السفلي ، فمنهم عُبّاد شمس ، وعبّاد قمر ، وعبّاد كواكب ، وعبّاد صليب ، وعباد وثن ... ، إلى غير ذلك من ضلالاتهم . فاختلف نظرهم بخلاف أهل العالم العلويّ .

وبالجملة فـ (كلُّ عالَم اتفق أهله على كلمة حقّ فهو عالم الملك) ؛ وليس ذلك إلا العالم العلوي . و « **عالم الملكوت** » : باعتبار اختلاف أنوار أهله ، وتباين مقاماتهم ، وأحوالهم . و « **عالم الجبروت** » : باعتبار الأنوار التي تَهُبّ عليهم ، كما يهب علينا ريح الهواء في عالمنا ، فتهب عليهم تلك الأنوار لتسقى بها ذواتهم وأرواحهم ومعارفهم ، وتدوم بها مقاماتهم ، فهي - أي الأنوار التي تهب عليهم - كالحافظة لجميع ما سبق من أحوالهم . فجعل لتلك الأنوار التي أشير إليها بـ (الجبروت) حياضاً . ولما كانت تلك الأنوار إنما تستمد من نوره ﷺ قال : إن تلك الحياض تدفقت من فيض أنواره ﷺ .

قلت : وهذا الذي ذكره الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في هذه العوالم الثلاثة حسن

تعاريف أخرى للعوالم الثلاثة .

● وذهب بعضهم : إلى أن عالم الملك هو المدرك بالحواس . وعالم الملكوت : هو المدرك بالعقول . وعالم الجبروت : هو المدرك بالمواهب ● وقال بعضهم : عالم الملك : هو الظاهر المحسوس . وعالم الملكوت : هو الباطن في العقول . وعالم الجبروت : هو المتوسط بينهما الآخذ بطرف كل منهما ● وقال بعضهم : الجبروت : هو حضرة الأسماء ، كما أن الملكوت : حضرة الصفات من حيث كونُها وسائطَ التصرف بين الأسماء والأفعال ؛ كاللطف والقهر ، المتوسطين بين اللطيف والملطوف ، والقهار والمقهور . والله تعالى أعلم .

وقال رضي الله عنه ـ مرة أخرى ـ في قوله : **(فَرِيَاضُ المَلَكُوْتِ)** . اعلم أن الرياض هنا كمن يقول محاسن الملكوت ، والملكوت : هو العالم العلوي ، وقصده هنا : هو اللوح المحفوظ ، مع القلم والبرزخ ، وما فوق ذلك من العرش . لأن اللوح المحفوظ مكتوب فيه اسمه ﷺ ، وأسماء الأنبياء ، والأولياء ، وعبادِ الله الصالحين ، وسائرِ المؤمنين . **وحروف اللوح المحفوظ تسطع منها الأنوار ، وتخرج على قدر اختلاف مقامات أصحاب الأسماء المتقدمة عند الله عز وجل** . فأنوار اللوح ـ المتعلقة بحروف الأسماء المتقدمة ـ في غاية الاختلاف . وكذلك **الأنوار الخارجة من القلم** ، مختلفة جداً ، كالاختلاف السابق . وأما **البرزخ** : فلا يطيق أحد أن يحضي ألوان الأنوار الخارجة منه ، وهي أنوار أرواح الأنبياء والأولياء وعباد الله الصالحين وسائرِ المؤمنين ؛ وكذلك **أنوار العرش** : فإنها مختلفة السطع فيه على حسب اختلاف منازل سكان الجنة ؛ فكل منزل فيها له نور يخصه . و « **العرش يسطع فيه نورُ كلِّ منزل** » ؛ فأنواره مختلفة ● ولما اختلفت أنوار هذه الأشياء حسن تشبيهها بالرياض المحسوسة المشتملة على أزهار متعددة ، وأنوار متباينة . ولذلك أطلق عليها اسم الرياض فقال (فَرِيَاضُ المَلَكُوْتِ) ● ولما كان نوره ﷺ في تلك الأشياء المتقدمة ، فإنّ اسمه مكتوب في اللوح المحفوظ ، وخرج نوره من أسرار القلم ؛ **ولروحه الشريفة** : مقام في البرزخ ، وله في الجنة المقام الذي لامقام فوقه ؛ فلزم أن نوره ﷺ موجود مع تلك الأنوار المتقدمة ؛ وحيث كان موجوداً معها حصل لها بسببه حسن وبهاء ورونق عجيب ، ونظام غريب ؛ وإليه

ألوان أنوار اللوح المحفوظ والقلم والبرزخ والعرش .

(ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط).

أشار بقوله : (بزهر جماله) ﷺ ● (**وَلاَ شَيْءَ إِلاَّ وَهُوَ بِهِ مَنُوْطٌ**) أي معلق استمداداً واستناداً ، فإن الكل مستمد منه ﷺ ومستند عليه في الحقيقة (**إِذْ لَوْلاَ الوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ المَوْسُوْطُ**) . الواسطة هنا : هو نبينا ﷺ وسماه بالواسطة لوجود الأشياء من أجله ﷺ ؛ وهو وسيلتهم العظمى . والمراد بالموسوط : ماعداه ﷺ .

و(قوله : كَمَا قِيْل) إشارة إلى أن هذا أمر قد قاله غيره ، وأشار به إلى ما اشتهر على ألسنة الخاصّ والعامّ ؛ وأنه لولا هو ﷺ ، ما خلقت جنّة ولا نار ، ولا سماء ولا أرض ، ولا زمان ولا مكان ، ولا ليل ولا نهار ، ولا غير ذلك .

(صلاة تليق بك منك إليه . اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك) .

(**صَلاَةً تَلِيقُ بِكَ**) أي بقدْرك وعظمتك (**مِنْكَ**) أي صادرة منك لا منّي . (**إِلَيْهِ**) : أي تنتهي إليه . (**اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الجَامِعُ**) أي الذي حمل من أسرارك ، وجمع منها مالم يجمعه غيره ؛ فإن المشاهدة كلما اتسعت دائرتها اتسعت علوم صاحبها ؛ ولا أعظم من مشاهدته ﷺ ؛ وعندنا يعلم من العرش إلى الفرش ، ويطلع على جميع مافيه ، مافوقه أحد . وهذه **العلوم كلها بالنسبة إليه** ﷺ **كألفٍ من ستين حزباً** التي هي القرآن العزيز . والله أعلم .

واعلم وفقك الله : أني لم يمكني أن أسأله ـ رضي الله عنه ـ كما أحبّ عن قوله : (فلم يدركه منا سابق) إلى آخر ما كتبته في شرحه ـ رضي الله عنه ـ لهذه المواضع ، من هذه الصلاة المباركة ؛ لحضور بعض من لا يعتقد في الشيخ ـ رضي الله عنه ـ في مجلسنا فلم ينطق لسانه رضي الله عنه ـ كما سبق اعتذارنا غير مامرة ـ . ولو مشى الشيخ رضي الله عنه على ماسمعناه منه من أول الصلاة لسمعنا منه العجب العجاب . والله أعلم .

(اللهم ألحقني بنسبه وحققني بحسبه) .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول في قوله : (**اللهم ألحقني بنسبه وحققني بحسبه**) أن المراد بالنّسب ماثبت في باطنه ﷺ ، من المشاهدة التي عجز عنها الخلائق أجمعون . والشيخ عبد السلام [بن مشيش] ـ رضي الله عنه ـ كان قطباً جامعاً ووارثاً كاملاً له ﷺ حتى سُقي من مشاهدته الشريفة ● **قال** رضي الله عنه : والمراد بالحسب : صفاته ﷺ مثل الرحمة والعلم والحلم ، وغير ذلك ، من

أخلاقه الزكية الطاهرة المرضية . ولما كانت مشاهدته ﷺ لا يطيقها أحد طَلَبَ اللحوق بها ، دون التحقق بها لأنه لا يطيقه . قال رضي الله عنه : وإياك أن تظن أن حرية نظر الشيخ وجمع قصده ونهاية عزمه توجهت لغير ذاته الشريفة ﷺ ، من كشفٍ وتصرفٍ وولايةٍ ؛ بل هي مقصورة على الذات الشريفة .

وسمعته رضي الله عنه مرة أخرى ، يقول : (اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ) : أي الجهد والقوة (وحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ) : أي ماحُمِّل عليه ﷺ وما يحمله . ثم ضرب مثلاً برجل له إبل لا تحصى ، وتركها مدة تتناسل ، وهو في كل ذلك يفصّل الثياب الفاخرة ، واللباسات الزاهرة ، والأحمال الباهرة ؛ ونظر فيمن يطيق حَمل جميع مافَصَّل ، فلم يجد في إبله كلها سوى واحد فجَعَل الجميعَ عليه ، وحَمَّله ، بغير كلفة ولا مشقة . والله أعلم .

☆☆☆

إجابة عن إشكال في عبارة من الحزب الكبير للشاذلي .

[٢] وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول في « قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه (**وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك إلخ**) » : إن هذا الكلام صدر من الشيخ حين مشاهدتِه رحمةَ الله الواسعة(١٣) ؛ فلما وقعت هذه المشاهدة لروحه نطقت الذات لضعفها ، ولم تقم بالأدب الواجب ؛ كمن يعلم حرمة النوح والندب ، ويرتكبه إذا نزل به ما يوجبه ، ـ عالماً بالتحريم ـ لضعف ذاته ● ومرة أخرى ضرب ـ رضي الله عنه ـ مثلاً : برجل اطلع على مَلِك ، وحولَه جماعة ، وهو يعطي كلَّ واحد ما لا يحصَى من القناطير ؛ فدخل ذلك الرجل ، وبه من القلق والاضطراب والخوف من عدم العطاء ، ما أخرجه عن عادته ؛ فجعل يقول للملك : إن لم تعطني فلستَ بكريم . والله أعلم ● وذلك لأن هذا الكلام في « الحزب الكبير » محل إشكال حتى قال الشيخ « ابن عباد »(١٤) ـ رضي الله عنه ـ : ينبغي أن

---

(١٣) في ظ ١ : حين مشاهدته ـ رحمه الله ـ الواسطة .

(١٤) **ابن عباد** (٧٣٣ ـ ٧٩٢ هـ) = (١٣٣٣ ـ ١٣٩٠ م) : محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد ، النفزيّ ، الحِمْيَرِيّ ، الرّندِيّ ، أبو عبد الله ، المعروف « بابن عباد » ● متصوف باحث . من أهل « رندة » بالأندلس . تنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وسلا وطنجة ● =

يسقط (إليكِ) من قوله (أحسن إليك وأساء إليك) ، لأنه لا يحسن أحد إلى الله ولا يسيء إليه ، بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء:٧] . غير أنه لا يقدر أحدٌ أن يبدل لفظ الشيخ ، لأنه ينظر بنور الولاية ما لا ينظر غيره . وقال أيضاً : كثيراً ما رأينا في النسخ الصحيحة مكتوباً على هذا الفصل : مَن كان له مع الله بَسط حال وإدلال ، فليأتمّ بهذه الكلمات ؛ ومن ليس كذلك فليتجاوزها إلى ما بعدها من قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف:٢٣] اهـ ● وقال البُرْزُلي[15] : رأيت في بعض النسخ ، على هذا الموضع ، وهي التي أخذناها على شيخنا أبي الحسن الطبري عن الشيخ أبي العزائم ماضي ، عن الشيخ أبي الحسن : يُسَلَّم لهذا الشيخ في هذا المُوضع ، ولا يقاس عليه انتهى . والله أعلم .

التسليم مطلوب

☆ ☆ ☆

[٣] و **سألته** رضي الله عنه : عن معنى قول ابن الفارض رضي الله عنه :

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً ... سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ

[ج] فقال رضي الله عنه : هذه إشارة إلى شيء في عالم الأرواح ، والمراد بالحبيب نبينا ﷺ فذكره في ذلك العالم ، سبب في حصول المشاهدة التامة ؛ فتنتقل الروح بسبب هذه المشاهدة من حالة كانت عليها إلى حالة تحصل لها ، وتتبدل في هذه الحالة عوائدها وجميع معارفها ، فتحصل لها قوة عظيمة على خرق الأنوار ، وقطع الأغيار ، وتنقطع عن الحالة الأولى ، حتى كأنها لا تعرفها أصلاً ؛ فحسن لذلك تشبيه هذه المشاهدة بالمدامة ، لثلاثة أمور :(الأول) : أن المدامة سبب في

= استقر خطيباً لـ « القرويين » بفاس ، وبها توفي ● له كتب منها : « الرسائل الكبرى » في التوحيد والتصوف ومتشابه الآيات . و « غيث المواهب العليّة بشرح الحكم العطائية » و « كفاية المحتاج » و « الرسائل الصغرى » و « فتح الطرفة » و « شرح أسماء الله الحسنى » . اهـ من الأعلام ١٩٠/٦

(١٥) البُرْزُلي (٧٤١ ـ ٨٤٤ هـ) : أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيْرواني المعروف بالبرزلي أحد أئمة المالكية في المغرب ، سكن تونس وانتهت إليه الفتوى فيها . من كتبه « جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام » و « الديوان الكبير » في الفقه . ا هـ من الأعلام .

الانتقال ، من حالة إلى حالة ، وكذلك هذه المشاهدة .(الثاني) : أن المدامة سبب في الانقطاع ، عن الحالة الأولى ، وكذلك هذه المشاهدة .

(الثالث) : أن المدامة سبب في الشجاعة ، والجراءَة ، والإقدام ؛ لأن المدامة إذا طَلَعت في رأس شاربها يستحقر في عينه كلّ أحد ، وكذلك هذه المشاهدة ، سبب في إقدام صاحبها على جميع الأنوار ، وخرقه لها ، وطرحه لجميع الأغيار : فهذا معنى قوله : (شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيْبِ مُدَامَةً) ، أي جرأنا بالمشاهدة في الحق ـ سبحانه وتعالى ـ على ذكر حبيبه ﷺ ● و (**قوله** : سَكِرْنَا بِها) أي انقطعنا بها عن غيره تعالى ، وتعلقنا به وحده . و (**قوله** : مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ) ، يعني : لأن ذلك في عالم الأرواح ، والكَرْم إنما خلق في عالم الأشباح ● ثم إن هذه المشاهدة التي سقيت بها الروح بسبب ذكر الحبيب ﷺ بقيَتْ فيها إلى أن دخلت في **الذات** ، فحصَلت لها الغفلة ، بسبب انقطاع الذات في شهواتها ؛ فلما جعل الشخص يذكر **الحبيب** ، ويسمع من يذكره ، جعلت المشاهدة التي في **الروح** تنزل في الذات ، وتحل فيها شيئاً فشيئاً ، إلى أن تحصَل للذات الأمور الثلاثة التي حصَلت للروح ، فتنتقل من حالة إلى حالة ، وتنقطع عن الحالة الأولى ، فتنقطع **الأغيار** وتتعلق بالواحد القهار ـ سبحانه لاإله إلا هو ـ . والله أعلم .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إني لم أزل أتعجب من (**الوليّ** الذي يقول : إنه يملأ الكون) وذلك لأن للكون باباً منه يقع الدخول إليه وهو النبيّ ﷺ ، و (**لا يطيق مخلوق من المخلوقات أن يحمل نورَه** ﷺ) . ومن عجز عن « الباب » فكيف يطيق غيره ..!؟ ؛ اللهم إلا أن يكون دخل من غير باب ؛ ـ يعني فيكون فتحه شيطانياً ظلمانياً ـ وهذا لا يملأ بيته ، فضلاً عن داره ، فضلاً عن شيء آخر . تعجبٌ من بعض شطحاتهم . تحقيق

● **قال** رضي الله عنه : واعلم أنّ « أنوار المكوّنات » كلّها ، من عرش ، وفرش ، وسموات وأرضين ، وجنات وحجب ، وما فوقها وما تحتها ، إذا جُمِعَت كلُّها وَجَدْتَ بعضاً من « نور النبيّ ﷺ » ؛ وأنّ مجموع نوره ﷺ لو وضع على **العرش** لذاب ؛ ولو وضع على **الحُجُب** السبعين ـ التي فوقِ العرش ـ لتهافتت ؛ نوره ﷺ

ولو جُمعت المخلوقاتُ كلُّها وَوُضع عليها ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت .

وإذا كان هذا شأنَ نوره ﷺ ، فكيف يقول ـ من يقول ـ : إنه يملأ الكون ؟..!! فأين تكون ذاته إذا بلغت المدينة المشرفة ، وقربت من القبر الشريف ؟! أم كيف تكون إذا تصاعدت نحو البرزخ ، وقربت من الموضع الذي فيه النور العظيم القائم بالروح[١٦] الشريفة ؟! أفتكون ذاته حاملة له ، والمخلوقات بجملتها عاجزة عنه ؟! أم يتخطى ذلك الموضع فلم يملأ الكون ، والفرض أن الموضع المذكور آخذ من القبر الشريف إلى قبة البرزخ تحت العرش ؛ ولعله [أي الوليّ القائل] أراد بالكون ما بين السماء والأرض ماعدا موضعَ البرزخ الذيُّ فيه النور المعظم . تأويل قول الوليّ .

[س] **فقلت** : ولعله [يقصد] أنه [أي الوليّ] يملؤه من حيث النورُ ؛ أي يملؤه بنوره لا بذاته ، كالشمس التي سطعت على السموات والأرض ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : وما مراده إلا أنه يملؤه بنوره ؛ ولا يريد أنه يملؤه بذاته . ولكن أين نوره من « **نور المصطفى** ﷺ » ؟...!! فإن ذلك النور من النور المكرّم بمنزلة الفتيلة في وسط النهار وقت الظهيرة ! وهل يصح أن يقال : إن تلك الفتيلة كَسَفت نورَ الشمس ..!!؟ ضرب مثال

[س] فقلت : ونور الشمس من النور المكرّم بمنزلة الفتيلة فما باله مَلأَ الأكوان ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : لَمْ يملأ الأكوان بمعنى أن النور المكرم ذهب بسببه واضمحل ، فكيف **ونور الشمس** إنما هو من **نور أرواح المؤمنين** الذي هو من **نوره** ﷺ ؛ وإنما سبب ذلك أنّا حُجِبْنا عن مشاهدة النور المكرّم ، كما حُجبنا عن مشاهدة أنوار الأولياء ؛ فـ (لو كُشِف **الحجاب**) لكانت الأنوار من النور المكرّم بمنزلة الفتائل وسَطَ النهار ؛ ولم يظهر للشمس ولا لغيرها نورٌ إلا كما يظهر للفتائل وسط النهار .

● (**قال**) رضي الله عنه : ولقد جهدت غاية الجهد من صلاة الصبح إلى

---

(١٦) في ظ ١ : القائم بالبرزخ الشريف .

الضحى ، وأنا أنظر : هل أقدر على حمل « الباب »[١٧] ؟ فما قدرتُ عليها ، ووجدتها قوية عليَّ . والله الموفق .

حكاية غريبة رجل نزل إلى البحر وخرج بعد ساعة وقد تزوج وولد له .

[س ٤] و (سألته) رضي الله عنه : عن حكاية (الرجل الذي نزل إلى « البحر » ثم خرج بعد ساعة ، فقال له صاحبه ـ الذي كان ينتظره ـ : إنك أبطأتَ عليّ ، حتى خِفْتُ من فوات « الجمعة » . فقال له : إني جئتُ من مصرَ ، وَلِيْ فيها نحوٌ من كذا وكذا شهراً ، وقد تزوجت ، وولدي فيها) ..!!! فـ (قلت) : كيف يمكن هذا ؟ والساعة التي مرت عليها واحدة ، فكيف تكونُ على هذا ساعة وعلى الآخر عدة شهور فإن الشمس التي في الأفق تكون بها الساعة والشهر واحدة ؟ فإن كانت على الذي غطس في البحر عدة شهور ، فكيف تكون على أهل مِصرَ ؟ فإن كانت عدة شهور حتى تزوج فيها وولد له ؛ لزم المحال ؛ فإن أهل « مصر » ، وأهل « دجلة » التي هي البحر السابق ، لا يمكن اختلاف مشارق الشمس ومغاربها بالنسبة إليها اختلافاً يبلغ هذا القدر أبداً ؛ وإن كانت على أهل « مصر » ساعة ، فكيف ساغ له أن يتزوج فيها ويولد له فيها ؟ هذا مِن أشْكلِ ما بَلَغَنا من « كرامات الأولياء » . وليس (طيّ الزمان) كـ (طيّ المكان) ؛ فإنّ طي الزمان يلزم فيه المحذور السابق ، وطيّ المكان محضُ كرامة لا محذورَ فيه ...!! و (الحكاية المذكورة ذَكَرَها غيرُ واحد) . وربّما احتج لها بعضهم : بطول يوم القيامة ؛ فإن مقدارَهُ « خمسونَ ألفَ سنةٍ » ؛ وهو على المؤمن كساعة ، وكركعتي الفجر . ولا دليل فيه ، لأن طول القيامة قد قيل : إنه طولُ شِدَّة ، لا طولُ مُدَّة . وأكبر ظنّي أنّه عليه اقتصر « ابن حجر » في « الفتح » . والله أعلم[١٨] .

طي الزمان وطي المكان .

يوم القيامة = ٥٠٠٠٠ سنة = كركعتين عند المؤمن .

من عقيدة المسلم .

[ج] فـ (قال) رضي الله عنه : إن الله تعالى لا يعجزه شيء ؛ فهو

(١٧) أي باب الكون وهو المذكور في الصفحة السابقة .

(١٨) قلت : وقريب من هذه الحكاية ماذكر أيضاً عن الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي حين أتاه من يجادل في أمر معجزة المعراج فقعد معه يسامره وعمل له شراباً ساخناً ، وبينما هو كذلك إذ أخذت الرجل غفوة فرأى نفسه أنه في بلدة فتزوج وولد له ، ثم مر على بئر في برية فشرب منه فانقلب امرأة فتزوجت وولد لها ... ثم يصحو من غفوته فيرى الشراب ساخناً ويخبره الشيخ بما رأى ويكون ذلك سبباً في إيمانه اهـ سماعاً من أشياخنا رضي الله عنهم بالمعنى مع الإيجاز .

يقدر على أن يجعل لصاحب الحكاية زماناً آخر ، وقوماً آخرين ، في حال كونه في البحر ، ويحجبه عن مشاهدة البحر ، وهو فيه ، كما حجب تعالى من شاء عن مشاهدة « المَلَك » ، وهو معه دائماً ؛ وإذا حجبه عن البحر أشهده ذلك الزمان ، وأولئك القوم ؛ ويمثلهم تعالى بما شاء بأهل « مصر » أو بغيرهم ، حتى يَحصل المراد من الحكاية ؛ ثم يُذهبَ تعالى ذلك الزمانَ وأولئك القومَ ؛ وإنما يفعل تعالى هذا ونحوَه لشيء وقع لصاحب الحكاية ، فقلت : صدقتم - رضي الله عنكم - . كذلك قالوا : إنه كان يُنكر بعضَ ما يقع للأولياء ، مع كثرة خدمته لهم .

● **قال** رضي الله عنه : وقد رأيت أنا ، ما هو أغربُ من هذه ، وهو : أنّي رأيت شخصاً عند الضحى ، وهو لم يتزوج بعدُ ؛ فلما كان عند الظهر رجعتُ إلى الموضع ، وجدت الشخص قد مات ، ووجدتُ ابنه قد قام مَقامه في صنعته ؛ والابن قد بلغَ . فأبوه لم يتزوج عند الضحى ، ثم تزوج بعدها ، ووُلد له ، وبلغ ولده قبل الظهر ....!!

[س و ج] فقلت : هؤلاء من الجنّ أم من الإنس ؟ فقال رضي الله عنه : ليسوا من الجنّ ولا من الإنس ؛ ولله عوالم لا تحصى . ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] . ● قال رضي الله عنه : وقد **وقع** لي عام أحد عشر [ومئة وألف] بعد موت أمي ما يستغرب . وذلك أن أبي تزوج امرأة أخرى ، واستجور أَمَةً له ، فجاءت الأمة فَضَرَبَتني ، فقلت : أيُّ همٍّ أقاسيه ، همُّ الأَمَةِ ، أم همّ المرأة ؟! فتنكدتُ وتَغيَّرتُ ، ثم جَرَتْ فيَّ سِنَةٌ ، فرأيتُ جميعَ ما يقع لي إلى انصرام أجلي ؛ فرأيت مَنْ ألتقي معه من الأشياخ ، ورأيت المرأة التي أتزوجها ، ومُضيَ المدة إلى ولادة ولدي « **عمر** » ، وذبحت له وسَبَّعت[١٩] ؛ ثم رأيت جميعَ ما يقع لي بعد ولادة « عمر » إلى ولادة ولدي « **إدريس** » ، وذبحتُ له وسبَّعت ؛ ثم جميع ما يقع لي بعده إلى ولادة ابنتي « **فاطمة** » ، ورأيت الفتح الذي وقع لي بعد ولادتها . وجميعُ ما أدركتُه لا يغيب عني شيءٌ منه ، ومن جميع ما وقع ويقع لي في عُمري . وهذا كله

واقعة كشف للشيخ .

من أولاد الشيخ عبد العزيز الدباغ: عمر وإدريس وفاطمة .

---

(١٩) أي ذبحت في اليوم السابع من الولادة كما هو المستحب في العقيقة فيما ورد عنه ﷺ مع حلاقة رأس المولود والتصدق بوزنه ذهباً أو فضة ..ومع تسميته .

في سُوَيْعَة ؛ ولست بنائم ، حتى تكونَ رؤيا منام ● **قلت** : وهذه رؤيا حصلت بالروح .

رؤية العارف للجنين بعين البصيرة .

كما **سمعته** ـ رضي الله عنه ـ يقول مرة أخرى : إنّ الجنين إذا سَقَط من بطن أمّه ، يراه العارف الكامل في تلك الحالة على الحالة التي يبلغ إليها عُمُرُه ، وينتهي إليها أجله ؛ ويَرَى فيه جميع مايدركه من خير أو شرّ ؛ حتى إن مَن شاهده مشاهدةَ العارف ، ونسخَ جميع ماشاهده ، وطرحَ النسخة عنده ، وجعل يقابلها مع مايظهر في الذات ، ويشاهد مافيها كلَّ ساعة ولحظة ، وجدهما لا يختلفان أبداً في شيء من الأشياء . والله أعلم .

حكاية غريبة

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : ـ فيما يقرب من خلق أولئك القوم في نظر ذلك الرجل ـ إن (بعض العارفين) مر بموضع ، فتمنّى أن تكون فيه مدينةٌ يُعبد فيها الله عزّ وجلّ ، فأمر الله الملائكة فنزلوا في صورة بني آدم ، وقال للمدينة : كوني فكانت . فمرّ العارف بالموضع مرة أخرى فوجد المدينة وأهلها يعبدون الله تعالى ؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . فبقيت المدينة وأهلها يعبدون الله فيها ...؛ إلى أن مات ذلك العارف ؛ فرجع كلُّ شيء إلى أصله ؛ فالملائكة إلى مراكزهم ، والمدينة رجعت إلى العدم المحض ؛ حتّى إنّ مَن مرّ عليها بعد وفاة ذلك العارف بساعة يقول : ماكانت هنا عِمارة قطّ .

وبهذا **سمعته** يجيب عن كلام حكي له عن « الحاتمي » ـ رضي الله عنه ـ لم أتحققه الآن ، لأن غيري حكاه له .

الجنة من مشاهدات الشيخ الأكبر .

فسمعته ـ والله تعالى أعلم ـ يقول : إن « الحاتمي » قال في بعض مشاهداته : إنّه رأى الجنّة في كذا ـ يعني في غير موضعها ـ . فأجابه ـ رضي الله عنه ـ وأنا أسمع : فإن العارف لاأشرفَ عنده في الأمكنة ولا في الأزمنة من المكان الذي تحصل له فيه تلك المشاهدة ؛ فيثيبه تعالى على تلك المشاهدة ؛ بأن يخلق تعالى جنّة في جهة ذلك العارف ؛ فيظن أنه رأى الجنة في غير موضعها ؛ وإنما هو شيء آخر خُلق له إثابةً . فكاد الذي حكى له كلامَ « ابن العربي » يطير فرحاً حين سمع هذا الجواب . والله أعلم .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : في تحقيق خلق ـك القوم في نظر ذلك الرجل ، فقال لي : أنظُرْ إلى هذا الهواء الذي بيني وبينك ، فقلت له : قد نظرت ؛ فأشار إلى محلّ أصبع منه ، وقال لي : إن الله تعالى يأمر هذا المقدار أن يتسع حتى يكون مثل هذا الهواء الذي بيني وبينك ، ثم يجعل تعالى فيه ألواناً عديدة أصفر وأحمر وأخضر وأسود ، ويحجب الهواء الأول عن هذا الهواء الثاني وعن جميع مافيه ؛ ثم يأخذ جزءاً من الهواء الأول ، ويحجبه عن الهواء الأول ، ويدخله في هذا الهواء الثاني ، ويريه العجائب والألوان التي فيه . ثم يَردّ ذلك الجزء إلى الهواء الأول ، ويَذهب الهواء الثاني بجميع مافيهُ . (قال) رضي الله عنه : أو ليس ربنا ـ عزّ وجلّ ـ بقادر على هذا أو أكثر منه ؟! فـ (قلت) : بلى ، إنّه على كل شيء قدير . والله أعلم .

☆ ☆ ☆

التحقيق في كلام الغزالي .

[٥] و (**سألته**) ـ رضي الله عنه ـ : عن كلام صاحب الإحياء في كتاب التفكر[٢٠] حيث قال [بما يُفهم منه] : إن سيدنا جبريل أعلم من سيِّد الأولين والآخرين ﷺ .

مقام جبريل بالنسبة لمقامه ﷺ .

[ج] فـ (**قال**) لي رضي الله عنه : لو عاش سيدنا جبريل مائة ألف عام ، إلى مائة ألف عام ، إلى مالانهاية له ، ماأدرك ربعاً من معرفة النبي ﷺ ولا من علمه بربّه تعالى ، وكيف يمكن أن يكون سيدنا جبرَيل أعلم وهو إنّما خلق من نور النبي ﷺ ؟! فهو وجميع الملائكة بعضُ نوره ﷺ ؛ وجميعهم وجميع المخلوقات يستمدون المعرفة منه ﷺ ؛ وقد كان الحبيب ﷺ مع حبيبه ـ عزّ وجلّ ـ حيث لا جبريلَ ولا غيرَه ؛ واستمد ﷺ من ربه تعالى إذ ذاك مايليق بعطية الكريم وجلاله وعظمته مع حبيبه ﷺ ؛ ثم بعد ذلك بمدة مديدة ، جعل تعالى يخلق من نوره الكريم جبريلَ وغيرَه من الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

---

(٢٠) ٢٨١/٤ آخر كتاب التفكر بما نصه : « ... وما عرفوه [أي الأنبياء] قليل بالإضافة إلى ماعرفه محمد ﷺ ؛ وما عرفه الأنبياء كلّهم قليل بالإضافة إلى ماعرفته الملائكة المقربون كإسرافيل وجبريل وغيرهما ... » .

قال رضي الله عنه : وجبريل وجميع الملائكة وجميع الأولياء أرباب الفتح ، وحتى الجنّ يعرفون أن سيدنا جبريل - عليه السلام - حصلت له مقامات ، في المعرفة وغيرها ، ببركة صحبته للنبي ﷺ ، بحيث لو عاش سيدنا جبريلُ عليه السلام طولَ عمره ، ولم يصحب سيدَ الوجود ﷺ ، وسعى في تحصيلها ، وبذل المجهود والطاقة ، ماحَصَل له مقام واحد منها ؛ فالنفع الذي حصل له من النبي ﷺ لايعرفه إلا هو ومن فتح الله عليه . قال رضي الله عنه : وسيدنا **جبريل** إنما **خلق لخدمة النبي** ﷺ ، وليكون من جملة حفظة ذاته الشريفة ﷺ ونيسة له ؛ إذ هو ﷺ **سرّ الله من هذا الوجود ؛ وجميع الموجودات تستمد منه** ، فيحتاج إلى مشاهدتها . وذاته الشريفة خلقت من تراب - كذوات بني آدم - فهي لاتـألف إلا مايشاكلها ، فإذا شاهد مالايشاكله آنسه جبريل ● **ثم** ذكر لنا - رضي الله عنه - : أن (**صور الملائكة**) تفجع هذه الذوات ، وتدهشها ، لكونها على صورة لاتُعرف ، مع كثرة الأيدي والأرجل والرؤوس والوجوه ، وكونها على سَعة عظيمة بحيث تملأ مابين الخافقين . قال رضي الله عنه : ولا يَعلم ذلك إلا من فُتح عليه ؛ فكان سيدنا جبريل ونيس الذات الترابية الشريفة ، في أمثال هذه الأمور .

صورة الملك

وأما **روحه الشريفة** ﷺ : فإنها لاتهاب شيئاً من هذه الصور ، ولا من غيرها ، لأنها عارفة بالجميع .

[**س**] فقلت : ولِمَ كانت الروح الشريفة لاتكفي في الونيسة ؟

[**ج**] فقال رضي الله عنه : لأن الذات لاتشاهدها منفصلةً عنها ؛ والوحدانيةُ لله - تعالى وحده - لايطيق الدوام عليها إلا ذاتُه تعالى ؛ ومن عداه شَفْعٌ يحب الشفع ويميل إليه .

قال رضي الله عنه : وسيدنا جبريل إنما كان ونيسه فيما تطيقه ذاتُه ويعرفه مما هو تحت « **سدرة المنتهى** » ؛ أما ماهو فوق ذلك من « الحجب السبعين » ، و « الملائكة » الذين فيها ، فإنه لم يكن ونيسه في ذلك لأنه - أي سيدنا جبريل عليه السلام - لايطيق مشاهدة « **مافوق سدرة المنتهى** » ، لقوة الأنوار ؛ ولهذا ذهب ﷺ في قطع تلك الحجب وحده ولم يذهب معه جبريل - عليه السلام - ،

تجاوزه ﷺ مافوق سدرة المنتهى .

وطلب منه الذهاب معه . فقال : لاأطيقه وإنما تطيقه أنت الذي قوّاك الله عليه .

● و (تكلّمْتُ مَعَهُ في أمْرِ الوَحْيِ) وكيفيّة تَلَقّي النبيّ ﷺ وهل يتلقاه بواسطة جبريل - كما هو ظاهر كثير من الآي - أوْ لا ؟ فأتى فيه بكلام لاتطيقه العقول فلا ينبغي كتبه . والله أعلم .

☆ ☆ ☆

تكبيرات العيد

[٦] و (**سألته**) - رضي الله عنه - : عن **سبب تكبير العيد سبعاً** في الركعة الأولى ، **وستاً** في الركعة الثانية . وذكرت له بعض ماقاله الفقهاء [المالكية] في ذلك .

[**ج**] فقال رضي الله عنه مسرعاً : **- سببه :** أن التكبيرة **الأولى :** يشاهد فيها العبدُ المكبّرُ ولا سيما سيدُ الوجود ﷺ المكوّناتِ التي في الأرض الأولى ، والتي في السماء الأولى ، ويشاهد المكوّن - سبحانه وتعالى - . والتكبيرة **الثانية :** يشاهد فيها المكوّناتِ التي في الأرض الثانية ، والتي في السماء الثانية ، ويشاهد المكوّن - سبحانه وتعالى - لأنها أفعاله - تبارك وتعالى - . والتكبيرة **الثالثة :** يشاهد فيها المكوّناتِ التي في الأرض الثالثة ، والتي في السماء الثالثة ، ويشاهد المكوّن سبحانه لأنها أفعاله - تبارك وتعالى - . والتكبيرة **الرابعة :** يشاهد فيها المكوّناتِ التي في الأرض الرابعة ، والتي في السماء الرابعة ، ويشاهد فيها المكوّن سبحانه لأنها أفعاله - تبارك وتعالى - . والتكبيرة **الخامسة** : يشاهد فيها المكوّناتِ التي في الأرض الخامسة ، والتي في السماء الخامسة ، ويشاهد فيها المكوّن سبحانه لأنها أفعاله - تبارك وتعالى - . والتكبيرة **السادسة :** يشاهد فيها المكوّناتِ التي في الأرض السادسة ، والتي في السماء السادسة ، ويشاهد فيها المكوّن سبحانه لأنها أفعاله - تبارك وتعالى - . والتكبيرة **السابعة :** يشاهد فيها المكوّناتِ التي في الأرض السابعة ، والتي في السماء السابعة ، ويشاهد فيها المكوّن - سبحانه وتعالى - لأنها أفعاله - تبارك وتعالى - . هذا في (**الركعة الأولى**) . وأما (**الركعة الثانية**) : فإن التكبيرة **الأولى منها** : يشاهد فيها ماخُلق في اليوم الأول - وهو (يوم الأحد) - ، ويشاهد المكوّن - سبحانه وتعالى - . والتكبيرة **الثانية :** يشاهد فيها

ماخلق في اليوم الثاني ـ وهو (يوم الاثنين) ـ ، ويشاهد المكوِّن سبحانه . والتكبيرة **الثالثة** : يشاهد فيها ماخُلق في اليوم الثالث ـ وهو (يوم الثلاثاء) ـ ، ويشاهد المكوِّن سبحانه . والتكبيرة **الرابعة** : يشاهد فيها ماخُلق في اليوم الرابع ـ وهو (يوم الأربعاء) ـ ، ويشاهد المكوِّن ـ سبحانه وتعالى ـ . والتكبيرة **الخامسة** : يشاهد فيها ماخُلق في اليوم الخامس ـ وهو (يوم الخميس) ـ ، ويشاهد المكوِّن ـ سبحانه وتعالى ـ . والتكبيرة **السادسة** : يشاهد فيها ماخُلق في اليوم السادس ـ وهو (يوم الجمعة) ـ ، ويشاهد المكوِّن ـ سبحانه وتعالى ـ .(☆)

[س] فقلت : وهذه المخلوقات في هذه الأيام الستة هي التي في السموات السبع وفي الأرضين السبع .

[ج] فقال رضي الله عنه : يشاهد عند رؤيته إلى الأيام أصول المخلوقات التي كانت في بدء الخلق ؛ وأما عند نظره إلى السموات والأرضين فيشاهد المخلوقات الموجودات على ظهرها .

[س] فقلت : فتكبير العيد سبعاً ، وستاً ، شُرِعَ في حقّ كلّ مكلف ، وأين كل مكلف من هذه المشاهدة ؟..!

[ج] فقال رضي الله عنه : (من فتح الله عليه) ، فلا كلام فيه ؛ و (من لم يفتح عليه) فينبغي له أن يستعملَ هذه المشاهدة ويستحضرَها ، ولو على سبيل الإجمال ـ والله تعالى جواد كريم ـ ؛ فإن استحضر العبدُ ماذَكرتُ في هذا العيد ، وفي العيد الذي بعده ، وهكذا . وفرح بربّه ودام على ذلك ، فإنّ الله تعالى لا يخيبه ، ولا تخرج روحه من جسده حتى يريَه تعالى هذه المشاهداتِ تفصيلاً ، لأن الله على كل شيء قدير ؛ والبُعد والانقطاع إنما حصل من ناحية العبد لا من ناحية الرب سبحانه وتعالى . ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

(☆) قلت : المراد بمشاهدته سبحانه وتعالى هنا استحضار وجوده سبحانه ومشاهدة أنواره وأسراره سبحانه . فهي مشاهدة بصيرة لابصر أو مشاهدة بصر غلبت عليه البصيرة . إذ لم تحصل مشاهدته ورؤيته تعالى لأحد من البشر في الدنيا إلا لنبينا سيدنا محمد ﷺ ليلة المعراج كما هو مقرر عند المحققين من أهل السنة والجماعة .

[س] فقلت : فَسِّرْ (التكبير ثلاثاً) إِثْرَ خمسَ عشرةَ فريضةً ، من ظهر يوم النحر إلى صبح اليوم الرابع [عند المالكية] ؟ تكبير التشريق.

[ج] **فقال** رضي الله عنه : **التكبيرة الأولى** : يستحضر فيها ، ويشاهد تصوير الذات نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة . **والتكبيرة الثانية** : يستحضر فيها ، ويشاهد تمامَ التصوير وكمالَه ، وحسنَ خَلقه ، ونفخَ الروح فيه ، وصيرورتَه خلقاً آخر . ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون ١٤] . **والتكبيرة الثالثة** : يستحضر فيها ، ويشاهد فسادَ الصورة ، ورجوعَها تراباً حين تكون في القبر .

فإن هذه الأمورَ الثلاثة ، من عجائب قدرته ـ تبارك وتعالى ـ ، ومن غرائب ماأبدعه في مصنوعاته ـ سبحانه وتعالى لاإله إلا هو ـ ؛ وهذا التكبير لا يختص عند الصوفية بما ذكره الفقهاء بل يستعملونه دبر كل صلاة ، ولكن قبل السلام منها . فائدة
قال رضي الله عنه : و (المفتوح عليه) يشاهد هذه الأحوال عياناً ، ويراها جهاراً ؛ فيشاهد من باهر قدرته تعالى مالا يُكَيَّف ؛ وكم من عجائبَ لله تعالى في مخلوقاته ؛ فإذا حصل للمفتوح عليه ماأوجب تغييره ، أو قبضه ، أو نحو ذلك ، نظرَ إليها فيحصل له من التوحيد والاعتبار ومحو مانزل به مالا يُكَيَّف ؛ فغيرُ المفتوح عليه يدفعه بالرؤية والعيان . **قال** رضي الله عنه : وعلى وجه الأرض عجائبُ لو شاهدها أرباب الأدلة والبراهين مااحتاجوا إلى دليل . (من) تلك العجائب ، ماإذا شاهده العبد علم بوحدانية الله تعالى ، من غير دليل تكفيه مشاهدة ذلك الأمر . و (منها) ماإذا شاهده العبد علم بوجود الجنة ، ولا يحتاج إلى إقامة الدليل على وجودها . و (منها) ماإذا شاهده العبد علم بوجود جهنم ، ولا يحتاج إلى دليل . إلى غير ذلك من عجائب مخلوقات ربنا سبحانه وتعالى . والله أعلم .

☆ ☆ ☆

[٧] و (**سألته**) رضي الله عنه عن (قول أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه : **خضنا بحوراً وقفت الأنبياء بسواحلها**) . شرح ماقاله أبو يزيد البسطامي .

[ج] (**فقال**) رضي الله عنه : النبوّة خطرها جسيم ، وقدرها عظيم ، وصاحبها كريم ، ذو مقام رفيع وجناب منيع لايبلغ أحدٌ مقدارَه ؛ ولا يَشق سائرٌ

غُبارَه ؛ فهيهات أن يصل الوليّ إلى رحالها ؛ وشتان ما بينه وبين رجالها !!؛ ولكنه قد علم أن سيدَ الوجود ﷺ هو سيدُ الأنبياء وإمام المرسلين ، وخيرَةُ خلق الله أجمعين ؛ و (**قَدْ يُعِيرُ ﷺ بعضَ أثوابِهِ لبعضِ الكامِلِينَ من أمّتِهِ الشّريفة ؛ فإذا لبِسَه حَصَلَ له [مِثْلُ] ماقاله أبو يزيد البسطامي**) ؛ وذلك في الحقيقة منسوب إلى النبي ﷺ ، فهو [ﷺ] الخائض لتلك البحور ، والمُقَدّم على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ● **قال** رضي الله عنه : وقد **غلط** بعض الأولياء من أهل الفتح فظن أن الوليَّ العارف الكبير قد يبلغ مقام النبيّ في المعرفة ، وإن كان في الدرجة لا يصله . قال رضي الله عنه : وهذا الذي ظنوه غلط ، مخالف لما في نفس الأمر . والصواب : أن « **الولي** » ـ ولو بلغ في المعرفة مابلغ ـ لا يصل إلى ماذكروه ولا يقرب منه أصلاً . والله أعلم .

غلط بعض الأولياء .

☆ ☆ ☆

[٨] و (**سألته**) رضي الله عنه : عما نسب لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي[٢١] رضي الله عنه من قوله : « **ليس في الإمكان أبدع مما كان** » .

تفسير كلام الغزالي :

ليس في الإمكان....

[ج] **فقال** رضي الله عنه : **القدرة الإلهية لاتحصر ؛ والربُّ ـ سبحانه وتعالى ـ لا يعجزه شيء .**

قلت : وهذا الكلام في غاية الإتقان والعرفان ● وقد استخرتُ الله تعالى ـ غير مرة ـ في أن أكتب شيئاً في هذه المسألة ، محبةً في الخير ، ونصيحةً للغير ؛ فإنها

---

(٢١) **الغزالي** (٤٥٠ ـ ٥٠٥) هـ : هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي ● تلقى دروسه الأولية في « طوس » ثم سافر إلى « نيسابور » وقرأ على إمام الحرمين الجويني ولازمه حتى توفي ● درّس في المدرسة النظامية في بغداد ● تعمق في دراسة الفلسفة : ثم انقطع عن التدريس ثم حج ● ورجع إلى دمشق واستوطنها عشر سنين بمنارة الجامع الأموي وصنّف فيها كتباً منها « الإحياء » ● ثم رحل إلى « القدس » و « الإسكندرية » : ثم عاد إلى « طوس » ● قاربت مصنفاته المائتين ، كان من رؤساء الطريقة الصوفية وساداتهم كما شهد له بذلك « الشيخ الأكبر ابن العربي » . وقال العارف أبو الحسن الشاذلي : رأيت المصطفى [ﷺ] بالمنام باهى عيسى وموسى [عليهما السلام] بالغزالي . **قلت** : كما شهد له سيدنا الدباغ بعلو المرتبة كما مرّ وكما سيأتي في آخر مبحث مسألة (ليس في الإمكان ...) . اهـ . الطبقات للشعراني ـ طبقات السبكي ـ الشذرات والتبيين لابن عساكر والأعلام .

(عقيدة) ومع ذلك فإنها من الضروريات ولكنه لما كثر فيها القيل والقال ، واختلفت فيها أجوبة الرجال كادت تلتحق بسبب ذلك (بأدق النظريات) . فأقول - مستعيناً بالله ومعتصماً بحوله وقوته - : قال الله تعالى في كتابه العزيز - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَأَبْكاراً ﴾ [التحريم:٥] . وقال الله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ ولا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ ﴾ [محمد:٣٣] . إلى قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِبِ إِنَّا لَقادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [المعارج:٤١] . وقال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ [الأنعام:١٣٣] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ [الأنعام:٣٥] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٩] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً ﴾ [الفرقان:٥١] . وقال تعالى : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ ﴾ [الشعراء:٤] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾ [يونس:٩٩] . وقال تعالى : ﴿ يا أَيُّها النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ واللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَما ذلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [فاطر:١٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها ﴾ [السجدة:١٣] . وقال تعالى : ﴿ يَخْلُقُ اللهُ ما يَشاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور:٤٥] . وقال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٨] ● وفي الحديث الصحيح أن النبيّ ﷺ قال لهم في مرضه : « ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتاباً لاتَضِلُّوا بَعْدَهُ » فقال عمر : حسبُنا كتاب الله ...! وقال ابن عباس : إن الرزيّة كلّ الرزيّة ، ماحال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم كتاباً[٢٢] . وفي الحديث

---

(٢٢) تقدم الحديث بتمامه وشرحه في (٤٣٣/١) تعليق (١٢) .

الصحيح أيضاً : أنه ﷺ خرج ليريهم (ليلة القدر) فتلاحى رجلان فَرُفعت . وهذان الحديثان في صحيح البخاري . وقال الحافظ السيوطي في « الباهر في حكم النبي ﷺ بالباطن والظاهر » : (الحديث الرابع) قال أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا موسى بن عبيدة ، حدثنا هود بن عطاء الله اليماني عن أنس ، قال : « كَانَ فِينَا شَابٌّ ذُو عِبَادَةٍ وَزُهْدٍ وَاجْتِهَادٍ فَسَمَّيْنَاهُ لِرَسُولِ الله ﷺ فَلَمْ يَعْرِفْهُ وَوَصَفْنَاهُ بِصِفَتِهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ هذَا ، فَقَالَ : إِنِّي لأَرَى عَلَى وَجْهِهِ سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَجَاءَ فَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : أَجَعَلْتَ فِي نَفْسِكَ أَنْ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ خَيْرٌ مِنْكَ ؟ فَقَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ ، ثُمَّ وَلَّى فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ؛ فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ أَقْتُلُ رَجُلاً وَهُوَ يُصَلِّي وَقَدْ نَهَانَا النبي ﷺ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ ؟!. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ ؛ وَزَادَ : لأَرْجِعَنَّ فَقَدْ رَجَعَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَهْ يَا عُمَرُ !!. فَذَكَرَ لَهُ(☆) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ يَقْتُلِ الرَّجُلَ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا ، فَقَالَ أَنْتَ تَقْتُلُهُ إِنْ وَجَدْتَهُ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَهُ قَدْ خَرَجَ ، فَقَالَ : أَمَا وَاللهِ لَوْ قَتَلْتَهُ لَكَانَ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ ؛ وَلَمَا اخْتَلَفَ فِي أُمَّتِي اثْنَانِ » . أخرجه « أبو يعلى »[٢٣] في مسنده من طريق عن موسى به ؛ وموسى وشيخه فيهما لين . ولكن للحديث طرق تقتضي ثبوته .

(طريق ثان) ـ عن أنس قال « أبو يعلى » في مسنده : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا عمر بن يوسف[٢٤] حدثنا عكرمة ـ هو ابن عمار ـ عن يزيد الرقاشي ، حدثنا

(☆) كذا في بولاق وغيرها وفي ظ ١ . قلت : في العبارة خلل فليراجع في مسند (أبي يعلى) .

(٢٣) أبو يَعلى الْمَوْصِلّيّ (.. ـ ٣٠٧ هـ) : هو أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصليّ ● حافظ من علماء الحديث . ثقة مشهور . محدّث الموصل ● عَمّرَ طويلاً فناهز المائة ● رَحَل الناس إليه ● توفي بالموصل ● له كتب منها : ـ المعجم في الحديث ـ مسندان : كبير وصغير ... اهـ الأعلام .

(٢٤) في ظ ١ : يونس .

أنس قال : « كَانَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَغْزُو مَعَنَا ، فَإِذَا رَجَعَ وَحَطَّ عَنْ رَاحِلَتِهِ عَمَدَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَجَعَلَ يُصَلِّي فِيهِ فَيُطِيلُ الصَّلَاةَ ، حَتَّى جَعَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَرَوْنَ[٢٥] أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَيْهِمْ ، فَمَرَّ يَوْماً وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَانَبِيَّ اللهِ ! هذَا ذَلِكَ الرَّجُلُ ؛ فَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِ وَإِمَّا جَاءَ هُوَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلا قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ لَسَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمَجْلِسِ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَقُلْتَ حِينَ وَقَفْتَ عَلَى الْمَجْلِسِ فِي نَفْسِكَ : لَيْسَ فِي الْقَوْمِ خَيْرٌ مِنِّي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَتَى نَاحِيَةً مِنَ الْمَسْجِدِ فَخَطَّ خَطّاً بِرِجْلِهِ ثُمَّ صَفَّ كَعْبَيْهِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى هَذَا فَيَقْتُلَهُ[٢٦] ؟ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ . فَقَالَ : أَقَتَلْتَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : وَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَهِبْتُهُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى هَذَا فَيَقْتُلَهُ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : أَنَا ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَوَجَدَهُ قَائِماً يُصَلِّي فَرَجَعَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ : أَقَتَلْتَ الرَّجُلَ ؟ فَقَالَ : يَانَبِيَّ اللهِ وَجَدْتُهُ قَائِماً يُصَلِّي فَهِبْتُهُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَيَقْتُلَهُ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَنْتَ لَهُ إِنْ أَدْرَكْتَهُ . فَذَهَبَ عَلِيٌّ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ هَذَا أَوَّلُ فَرْقٍ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي ، لَوْ قَتَلْتَهُ مَا اخْتَلَفَ فِي أُمَّتِي اثْنَانِ . إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ فِرْقَةً وَاحِدَةً ؛ قُلْنَا : يَانَبِيَّ اللهِ مَنْ تِلْكَ الْفِرْقَةُ ؟ قَالَ : الْجَمَاعَةُ » .

(طريق ثالث) ـ عن الرقاشي عن أنس ، قال البيهقي في « دلائل النبوة » : أخبرنا عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا بشر بن بكر عن الأوزاعي[٢٧] قال : حدثني الرقاشي عن أنس بن مالك قال : « ذَكَرُوا رَجُلاً عِنْدَ

(٢٥) يرون : زيادة ضرورية من ظ ١ . وهي ناقصة في بولاق وغيرها من الطبعات .

(٢٦) كذا في ظ ١ . قلت : هو الصواب . وفي بولاق وغيرها : يقتله .

(٢٧) الأوزاعي (٨٨ ـ ١٥٧ هـ) : عبد الرحمن بن عمرو ● ولد ببعلبك . سكن بدمشق في حَيّ العُقَيْبَة ـ وكانت تسمى عُقَيْبَة الأوزاعي ـ ● فقيه ، محدّث ، مجتهد ـ له مناظرات مع علماء عصره منها مناظرته مع أبي حنيفة =

النَّبيِّ ﷺ ، فَذَكَرُوا قُوَّتَهُ في الْجِهادِ وَاجْتِهَادَهُ في الْعِبَادَةِ ، فَإِذَا هُمْ بِالرَّجُلِ مُقْبِلٌ ، قالُوا هَذَا الَّذِي كُنَّا نَذْكُرُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى في وَجْهِهِ سَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : هَلْ حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ بِأَنْ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ خَيْرٌ مِنْكَ ؟ قَال : نَعَمْ . ثُمَّ ذَهَبَ فَاخْتَطَّ مَسْجِداً وَصَفَّ قَدَمَيْهِ يُصَلِّي ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ يَقُومُ إِلَيْهِ فَيَقْتُلَهُ ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَائِماً يُصَلِّي ، فَقَال : يَارَسُولَ اللهِ وَجَدْتُهُ قَائِماً يُصَلِّي فَهِبْتُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَيْهِ فَيَقْتُلَهُ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : أَنَا ، فَقَامَ فَصَنَعَ كَمَا صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَيْهِ فَيَقْتُلَهُ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا ، فَقَالَ : أَنْتَ لَهُ إِنْ أَدْرَكْتَهُ ، فَذَهَبَ فَوَجَدَهُ قَدِ انْصَرَفَ ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ هَذَا أَوَّلُ فِرْقٍ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي . لَوْ قَتَلْتَهُ مَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ بَعْدَهُ مِنْ أُمَّتِي ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ بَنِي إِسْرائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّها في النَّارِ إِلاَّ فِرْقَةً واحِدَةً » .

قال يزيد الرقاشي : هي الجماعة .

(طريق رابع) ـ عن أنس قال أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن بكار حدثنا أبو معشر عن يعقوب بن زيد بن طلحة ، عن زيد بن أسلم ، عن أنس بن مالك ، قال : « ذُكِرَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَهُ نِكَايَةٌ في الْعَدُوِّ وَاجْتِهَادٌ فِي الْعِبَادَةِ ، فَقَالَ : لاأَعْرِفُهُ ، فَقَالُوا : بَلَى ، نَعْتُهُ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : لاأَعْرِفُهُ . فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ الرَّجُلُ ، فَقَالُوا : هُوَ هَذَا يارَسُولَ اللهِ ، قَالَ : مَا كُنْتُ أَعْرِفُ هَذَا . هُوَ أَوَّلُ فِرْقٍ رَأَيْتَهُ في أُمَّتِي ، إِنَّ فِيهِ لَسَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَلَمَّا دَنَا الرَّجُلُ [من الرَسُول فـ]سَلَّم[28] فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلاَمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَنْشُدُكَ باللهِ ! هَلْ حَدَّثَتْ نَفْسَكَ حِينَ طَلَعْتَ عَلَيْنَا أَنْ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكَ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ،

= في رفع اليدين في الصلاة للانتقالات . ذكرها في حاشية لقط الدرر على نخبة الفكر نقلاً عن الحازمي وابن الهمام ● قضى أيامه الأخيرة مرابطاً على الساحل في بيروت ـ لينال أجر المجاهدين ـ وتوفي فيها ؛ وله جامع مشهور ● من أقواله : لقاء الإخوان خير من لقاء الأهل والمال . اهـ من الطبقات ـ لقط الدرر ـ بتصرف .

(٢٨) زيادة من ظ ١ .

فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبي بَكْرٍ : قُمْ فَاقْتُلْهُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَوَجَدَهُ قَائِماً يُصَلِّي ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ في نَفْسِهِ : إِنَّ لِلصَّلاةِ حُرْمَةً وَحَقّاً ؛ وَلَوْ أَنِّي اسْتَأْمَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ . فَجَاءَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : أَقَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : لاَ ، رَأَيْتُهُ قَائِماً يُصَلِّي وَرَأَيْتُ لِلصَّلاةِ حُرْمَةً وَحَقّاً ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَقْتُلَهُ قَتَلْتُهُ ، قَالَ : لَسْتَ بِصَاحِبِهِ ، اذْهَبْ يَاعُمَرُ فَاقْتُلْهُ ، فَدَخَلَ عُمَرُ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَهُ سَاجِداً فَانْتَظَرَهُ طَوِيلاً ثُمَّ قَالَ : إِنَّ لِلسُّجُودِ حُرْمَةً ، فَلَوْ أَنِّي اسْتَأْمَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ : فَقَدِ اسْتَأْمَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي . فَجَاءَ إِلَى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ : أَقَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : لا رَأَيْتُهُ سَاجِداً ، وَرَأَيْتُ لِلسُّجُودِ حُقّاً وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَقْتُلَهُ قَتَلْتُهُ ، قَالَ : لَسْتَ بِصَاحِبِهِ ، قُمْ يَاعَلِيُّ ! فَأَنْتَ صَاحِبُهُ إِنْ وَجَدْتَهُ ؛ فَقَامَ عَلِيٌّ فَدَخَلَ ، فَوَجَدَهُ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ؛ فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : أَقَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : لَوْ قَتَلْتَهُ مَااخْتَلَفَ رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِي حَتَّى الدجَّالُ » .

(طريق خامس) ـ لهذا الحديث من رواية جابر بن عبد الله . قال أبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن منيع معاً في مسنديهما : حدثنا يزيد بن هرون[٢٩] ، حدثني العوام بن حوشب[٣٠] ، حدثني طلحة بن نافع أبو سفيان ، عن جابر[٣١] قال : « مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا فِيهِ وَأَثْنَوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ

---

(٢٩) **يزيد بن هارون** (١١٨ ـ ٢٠٦ هـ) (٧٣٦ ـ ٨٢١ م) : ابن زادان بن ثابت السلمي بالولاء الواسطي ● من حفّاظ الحديث الثقات . واسع العلم في الدين . ذكي كبير الشأن ● أصله من بخارى . مولده ووفاته بواسط ● قدّر من يحضر مجلسه بـ (٧٠٠٠٠) . قال عن نفسه : أحفظ (٢٤٠٠٠) حديث بإسنادها ولا فخر . « قال المأمون : لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق ... » ● ذهبت إحدى عينيه من الحزن وعمشت الأخرى ● من أقواله : من طلب الرياسة في غير وقتها حرمها وقت أوانها . اهـ من الطبقات ـ الأعلام .

(٣٠) **العوّام بن حَوْشب** (ـ ١٤٨ هـ) : ابن يزيد الشيباني ، أبو عيسى الواسطي . ثقة ثبت فاضل من الطبقة السادسة (أي من الذين عاصروا صغار التابعين) . روى له أصحاب الكتب الستة .

(٣١) **جابر بن عبد الله** (١٦ ق هـ ـ ٧٨ هـ) (٦٠٧ ـ ٦٩٧ م) : ابن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي ● صحابي شهد العقبة وهو من المكثرين رواية . روى عنه جماعة من الصحابة . وأبوه من الصحابة أيضاً ● غزا (١٩) غزوة . في ختم حياته كانت له حلقة علم في المسجد النبوي الشريف ● روى له البخاري ومسلم ١٥٤٠ حديثاً . اهـ من الإصابة في تمييز الصحابة ٢١٣/١ .

رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ يقْتُلُهُ ؟ قَالَ أَبو بَكْرٍ : أَنَا ، فَانْطَلَقَ فَوَجَدَهُ قَائِماً يُصَلِّي ؛ فَرَجَعَ أَبو بَكْرٍ وَلَمْ يَقْتُلْهُ لَمَّا رَآهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ يَقْتُلُهُ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : أَنَا ، فَذَهَبَ فَوَجَدَهُ قَائِماً يُصَلِّي فَرَجَعَ وَلَمْ يَقْتُلْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ يَقْتُلُهُ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا ، فَقَالَ : أَنْتَ وَلا أَرَاكَ تُدْرِكُهُ ، فَانْطَلَقَ فَوَجَدَهُ قَدْ ذَهَبَ ... » . أخرجه أبو يعلى ● حدثنا أبو خيثمة[٣٢] ، حدثنا يزيد بن هارون بهذا ، وهذا الإسناد صحيح على شرط مسلم ؛ فإن يزيد بن هارون والعوام بن حوشب من رجال الصحيحين ، وأبو سفيان طلحة بن نافع[٣٣] من رجال مسلم . فلو لم يكن لهذا الحديث إلا هذا الإسناد وحده لكان كافياً في ثبوته وصحته .

(طريق سادس) ـ لهذا الحديث من رواية أبي بكرة الصحابيّ ، قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : حدثنا رَوْح ، حدثنا عثمان الشحام ، حدثنا مسلم بن أبي بكرة[٣٤] عن أبيه : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ سَاجِدٍ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى الصَّلاةِ ، فَقَضَى الصَّلاةَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : مَنْ يَقْتُلُ هذا ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَحَسَرَ عَنْ يَدَيْهِ فَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَهَزَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَانَبِيَّ اللهِ ، كَيْفَ أَقْتُلُ رَجُلاً سَاجِداً يَشْهَدُ أَنْ لاإِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؟! ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَقْتُلُ هَذَا ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : أَنَا ، فَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ وَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَهَزَّهُ حَتَّى ارْتَعَدَتْ يَدُهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَانَبِيَّ اللهِ كَيْفَ أَقْتُلُ رَجُلاً سَاجِداً يَشْهَدُ أَنْ لاإِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ قَتَلْتُمُوهُ لَكَانَ أَوَّلَ فِتْنَةٍ وَآخِرَهَا !! » .

---

(٣٢) أبو خيثمة (١٦٠ ـ ٢٣٤ هـ) : زهير بن حرب بن شداد النسائي البغدادي . محدث بغداد في عصره . له كتاب « العلم » أكثر الإمام مسلم من الرواية عنه . اهـ . الأعلام . ـ جاء في الطبعة الحلبية : أبوه خيثمة . قلت : هو تصحيف ظاهر بالمقارنة مع جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة .

(٣٣) طلحة بن نافع الواسطي ، أبو سفيان . نزل مكة . صدوق من الرابعة (أي من الطبقة التي جلّ رواتهم عن كبار التابعين) . روى له أصحاب السنن . اهـ من تقريب التهذيب .

(٣٤) مسلم بن أبي بكرة بن الحارث الثقفي البصري (.. ـ نحو ١٩٠ هـ) : صدوق من أوساط التابعين . روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ● وأبو بكرة : صحابي ثقفي ، اسمه نفيع بن الحارث . اهـ تقريب التهذيب .

قال الحافظ السيُّوطي رضي الله عنه : وهذا الإسناد صحيح على شرط مسلم ؛ فإن رَوْحاً من رجال الصحيحين ، وعثمان الشحام وابن أبي بكرة كلاهما من رجال مسلم .

انتهى ماأردنا نقله من كلام الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى .

وإذا تأملتَ هذا الذي أوردناه من الآيات والأحاديث علمتَ منه الحقّ الواضح والطريق الرابح . وقد اعتنيتُ بسؤال العامة عن هذه المسألة الذين قلوبهم خالية عن الشبهات وما يمنع من وصول الحقّ إليهم ، فأقول لهم : هل يقدر ربنا جل جلاله على إيجاد مثل هذا العالم ؟ فيقولون : ومن يتوقف في هذا ؛ وربنا على كل شيء قدير ، وقدرته نافذة ، لا يعجزها شيء من الأشياء ؟ **وقلت** مرة لبعضهم : هل يقدر ربنا على إيجاد أفضل من هذا العالم . **فقال** لي : ألا تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم ١٩ وفاطر ١٦] . ولم يقيد الجديد بكونه دوننا فجاز أن يكون أفضل منا أو مساوياً لنا فأعجبني - واللهِ - فهمه غاية . **وقلت** لبعض الفقهاء : ماقولك في قول أبي حامد : ليس في الإمكان أبدع مما كان ؟ . **فقال** لي : قد تكلم عليه الشيخ **الشعراني** وغيره . فقلت له : إنما أسألك عما عندك فيه ، فقال لي : وأي شيء عندي فيه ؟ فقلت : ويحك إنها عقيدة أرأيت لو قال لك قائل : هل يقدر ربنا - جل جلاله - على إيجاد أفضل من هذا الخلق ، فقال أقول له : إن مقدورات الله لاتتناهى فيقدر على إيجاد أفضل من هذا الخلق بألف درجة ، وأفضلَ من هذا الأفضل ، وهكذا إلى ما لانهاية له . **فقلت** : وقوله ليس في الإمكان أبدع مما كان ينافي ذلك فَتَفَطَّنَ عند ذلك لمعنى العبارة المنسوبة لأبي حامد - رضي الله عنه - . وهكذا وقع لي مع كثير من الفقهاء ؛ فإذا سألتهم عن عَبارة أبي حامدُ استشعروا جلالة الإمام حجة الإسلام فتوقفوا ، فإذا بدلت العبارة ، وعبرت بما سبق في سؤالنا للعامة ، جزموا بعموم القدرة ، وعدم نهاية المقدورات . والله أعلم .

فصل

وقد ظهر لي أن أُثبت كلام أبي حامد رضي الله عنه في هذه المسألة ، ثم أذكر ماللناس فيه لتتم الفائدة فأقول : **قال** أبو حامد ـ رضي الله عنه ـ في « الإحياء » [٢٢٢/٤ ، ٢٢٣] مشيراً إلى مايثمر « التوكّل » مانصه : وهو أن يصدّق ـ تصديقاً يقيناً لاضعف فيه ، ولا ريب ـ ، أن الله تعالى لو خلق الخلائق كلَّهم على عقل أعقلهم وعِلْم أعلمهم ؛ وخلق لهم من العلم ما لاتحتمله نفوسُهم ؛ وأفاض عليهم من الحكمة ما لامنتهى لوصفه ؛ ثم زاد مثل عدد جميعهم[١] علماً وحكمةً وعقلاً ؛ ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف ، وخفايا العواقب[٢] حتى اطلعوا بذلك[٣] على الخير والشر والنفع والضرّ[٤] ، وأمرهم أن يدبروا الملك والملكوت ، بما أُعطوا من العلم والحكمة لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد ـ فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة ـ جناحُ بعوضة ؛ ولا أن ينقص منها جناح بعوضة ... ولا أن يدفع مرض ، أو عيب ، أو نقص ، أو ضر ، عمن بلي به ؛ ولا أن تزاد صحة أو غنى ، أو كال أو نفع ، عمن أنعم [الله] به عليه ، بل كل ماخلقه الله من السموات والأرض إن أمعنوا فيه البصر ، وطولوا فيه النظر ، لَمَا رأوا فيه من تفاوتٍ ولا فطور . وكلُّ ماقسمه الله بين عباده من رزق وأجل وسرور ، وفرح وحزن ، وعجز وقدرة ، وإيمان وكفر ، وطاعة ومعصية ، فكلُّه عدل لاجور فيه ، وحقٌّ صِرف لاظلم فيه ؛ بل هو على الترتيب الواجب الحقّ على ماينبغي ، وكما ينبغي ، وبالقدر الذي ينبغي ، **وليس في الإمكان** أصلاً أتمّ منه ، ولا أحسن ولا أكمل ؛ ولو كان وادّخره مع القدرة ولم [يتفضل] بفعله لكان بُخلاً يناقض الجود ، وظلماً يناقض العدل ؛ ولو لم يكن قادراً لكان عاجزاً ؛ والعجز يناقض الإلهية ، بل كل فقر وضُرّ[٤] في الدنيا فهو نقص

---

(١) كذا في الإحياء . وفي ظ ١ : عددهم . وفي الحلبية قدرهم . **قلت** : وكلها معان متقاربة .

(٢) كذا في النسخ المخطوطة والمطبوعة . وفي الإحياء : العقوبات .

(٣) كذا في المخطوط والمطبوع . وفي الأصل في الإحياء : اطلعوا به .

(٤) **الضر** : بالفتح ضدّ النفع وبابه ردّ . وبالضم الهزال وسوء الحال . اهـ مختار الصحاح .

في الدنيا وزيادة في الآخرة ؛ وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى شخص غيره . إذ لولا الليل ماعرف قدر النهار ، ولولا المرض لم تتنعم الأصحاء بالصحة ؛ ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدرَ النعمة ؛ وكما أن فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم [و]تسليطهم عليها بالذبح ليس بظلم ؛ بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل ؛ فكذلك تَفَخّم النعم على أهل الجنّة بتعظيم العقوبة على أهل النيران ... ؛ **وما لم يُخلق الناقص لا**[٥] **يعرف الكامل** ؛ ولولا خَلْق **البهائم** لَمّا ظهر شرف **الإنسان** ؛ فإن الكمال والنقص ظهرا بالإضافة ؛ فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص ، وكما أن قطع اليدُ إذا تآكلت إبقاءً على الروح عدلٌ لأنه فداءُ كاملٍ بناقص ؛ فكذلك التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة ؛ فكل ذلك (عدلٌ) لاجور فيه وحقٌ لالعب فيه ، وهذا - الآن - بحر زاخر ، عظيم عميق ، واسع الأطراف ، مضطرب الأمواج ... ؛ غرق فيه طوائف من الناظرين ؛ ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله إلا العالمون ، ووراء هذا البحر **سرّ القدر** الذي تحيَّرَ فيه الأكثرون ومُنع من إفشاء سِرّه المُكاشَفُون . **والحاصل** - أن الخير والشر مقضيٌ به ؛ وقد كان[٥] ماقُضِيَ به واجبَ الحصول بعد سبق المشيئة ، فلا رادّ لحكمه ، ولا معقّب لقضائه ، بل كلُّ صغير وكبير مستَطَرٌ ؛ وحصوله بقَدَرٍ منتظر ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . اهـ كلامه في الإحياء بنقل السيد السمهودي[٦] رحمه الله تعالى في تأليفه في هذه المسألة الذي سماه (إيضاح البيان لمَن أراد الحجة مِن « ليس في الإمكان أبدع مما كان »[٧]) .

وكذا نقله برهان الدين البقاعي[٨] في تأليف له في هذه المسألة سماه « دلالة

---

(٥) كذا في الإحياء . وفي المطبوع والمخطوط : .... لم يعرف الكامل .... قد صار ماقضي ...

(٦) **السمهودي** (٨٤٤ - ٩١١ هـ) : علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي ، أبو الحسن . مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها ● ولد في سمهود (بصعيد مصر) ونشأ في القاهرة ● استوطن المدينة ٨٧٣ هـ وتوفي بها ● له تصانيف منها « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ، « الفتاوى » ، وغيرها . اهـ من الأعلام .

(٧) وسيأتي أيضاً ص ٢٣٤ .

(٨) **برهان الدين البقاعي** (.. - ٨٨٥ هـ) : عمر بن إبراهيم البقاعي . أخذ عن ابن حجر العسقلاني . [ذكره في مقدمة تقريب التهذيب] . له حاشية على « فتح المغيث بشرح ألفية الحديث » . ذكرها في مقدمة (تدريب الراوي) .

DKI انظر ذديخة الكرن 468 الكتاشي

البرهان على أنْ ليس في الإمكان أبدع مما كان » قال السمهودي ـ رحمه الله ـ : وكذا وقع لأبي حامد مثل هذه العبارة في « جواهر القرآن » وفي « الأجوبة المسكتة » ؛ وهي أجوبة عن اعتراضات وردت على كتاب « الإحياء » في زمن مؤلِّفه . قلت : وكذا وقع له مثل هذه العبارة في كتابه الذي سماه « مقاصد الفلاسفة » ● وقد **اختلف العلماء رضي الله عنهم في هذه المسألة المنسوبة إلى أبي حامد على ثلاث طوائف :** فطائفة أنكرتها وردتها ، وطائفة أَوَّلتها ، وطائفة كذّبت النسبة إلى أبي حامد ، ونزّهت مقامه عن هذه المسألة . **الطائفة الأولى** الرادّة على أبي حامد ـ رحمه الله ـ وهم المحققون من أهل عصره ، فمن بعدهم إلى هلمّ جراً : ● قال الإمام « أبو بكر بن العربي » فيما نقله « أبو عبد الله القرطبي » في « شرح أسماء الله الحسنى » قال : قال شيخنا أبو حامد الغزالي قولاً عظيماً انتقده عليه أهل العراق ، وهو [أي هذا القول] ـ بشهادة الله ـ موضع انتقاد ؛ قال : ليس في القدرة أبدع من هذا العالم في الإتقان والحكمة ، ولو كان في القدرة أبدع منه وادخره لكان ذلك منافياً للجود . وأخذ ابن العربي في الردّ عليه إلى أن قال : ونحن وإن كنا قطرةً في بحره ، فإنا لانردّ عليه إلا بقوله . ثم قال : فسبحان من أكمل لشيخنا هذا فواضل الخلائق ثم صَرَفَ به عن هذه الواضحة في الطرائق ● ومن سلك هذا المسلك أبو العباس ناصر الدين بن المنير الإسكندري المالكي ، [٩] وصنف في ذلك رسالة سماها : « الضياء المتلالي في تعقب الإحياء للغزالي » ، وقال : المسألة المذكورة لاتمشى إلا على قواعد الفلاسفة والمعتزلة ● وفي مناقضة هذه الرسالة ألّف السيد السمهودي رسالته السابقة منتصراً لأبي حامد ـ رحمه الله ـ ومعترضاً على ابن المنير . وسيأتي مافي ذلك إن شاء الله تعالى ● وقال كمال الدين بن أبي شريف في « شرح المسايرة » ، ـ بعد أن ذكر أن في مقدورات الله تعالى ماهو أبدع من هذا العالم ـ مانصه : ثم إن مافي بعض كتب الإحياء ككتاب التوكل مما يدل على خلاف ذلك ـ والله أعلم ـ صدر عن ذهول من ابتنائه على طريق الفلاسفة ، وقد أنكره الأئمة في عصر حجة

اختلاف العلماء إلى ٣ طوائف .

الطائفة الرادّة

(٩) ابن المنير الإسكندري المالكي (٦٢٠ ـ ٦٨٣ هـ) : أحمد بن محمد بن منصور . عالم وأديب بالإسكندرية ولي قضاءها وخطابتها مرتين . له تصانيف منها « تفسير » و « تفسير حديث الإسراء » على طريقة المتكلمين . ا هـ من الأعلام .

الإسلام وبعده ، ونقل إنكاره عن الأئمة الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام . اهـ .
وقال بدر الدين الزركشي : قال الغزالي : ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ؛ ولو كان ممكناً ولم يفعله لكان بخلاً يناقض الجود ، أو عجزاً يناقض القدرة ، قال : وهذا من الكلمات العقم التي لا ينبغي إطلاق مثلها في حق الصانع ، ولعله إنما أراد تعظيم صنعة الصانع ● **قلت** : وذلك لأن الإله الحقّ ثبت له الاختيار المطلق ، واستحال في حقه الظلم والبخل والعجز . فقوله في دليله السابق :« إذ لو كان أبدع من هذا العالم وادخره مع القدرة عليه لكان بخلاً وظلماً » ، مخالف لذلك ؛ وقد تعرض أبو حامد بنفسه في كتابه المسمى " بالاقتصاد " الذي ألفه « في الاعتقاد » لبيان استحالة هذه الحقائق في حقه تعالى ، فعلى هذا فإذا كان هناك أبدع من هذا العالم ولم يفعله فذلك لكمال اختياره ، وتعاليه في عظمته وسلطانه ، لا لما قاله هنا : من أن ذلك بخل وعجز وظلم ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ورحم الله ابن العربي في قوله السابق ، ونحن - وإن كنا قطرة في بحره فإنا - لا نرد قوله إلا بقوله ، وإذا أردتَ أن تردَّ قوله بقوله فانظر كتاب « الاقتصاد » المتقدم ؛ وانظر كتاب « القسطاس المستقيم » له أيضاً ، إلى مواضع كثيرة في الإحياء صرح فيها بالحقّ الذي يجب للربّ سبحانه ، ولعلنا نشير إلى شيء من ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى ● **الطائفة الثانية** : وهم المنتصرون لأبي حامد - رضي الله تعالى عنه - ، والمؤوّلون لكلامه على وجه صحيح في ظنّهم ، فأول هذه الطائفة أبو حامد نفسه ، فإنه سئل في زمانه عن هذه المسألة . وهذا كلامه رحمه الله قال في « الأجوبة المسكتة » حاكياً للسؤال : مامعنى (ليس في الإمكان أبدع مما كان) من صورة هذا العالم ، ولا أحسن ترتيباً ، ولا أكمل صنعاً ، ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بُخلاً ، يناقض الجودَ الإلهي ؛ وإن لم يكن قادراً عليه كان ذلك عجزاً ينافي الإلهية . وكيف يُقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختياراً ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ، ويقال: ادخار خلق العالم من العدم إلى الوجود عجز ، مثل ماقيل فيما ذكرناه وماالفرق بينهما ؟ ثم قال في الجواب : إن ذلك - أي تأخير خلق العالم قبل خلقه عن أن يخرجه من العدم إلى الوجود - يقع تحت الاختيار ، من حيث إن للفاعل المختار ، أن يفعل وأن لا يفعل ؛ فإذا فعل فليس في الإمكان أن يفعل إلاّ

الطائفة المؤوّلة

تصحيح من ابن عباس المرجي

نهايةَ ماتقتضيه الحكمة ... إلى آخر كلامه . الذي لا يفيد في الجواب شيئاً ● **قلت** : وإذا ثبت له الاختيار قبل الفعل فيثبت له تعالى حين الفعل وبعد الفعل ـ سبحانه لاإله إلا هو ـ ؛ فإن كان الاختيار هو السبب في تأخير وجود العالم ، فيجب أن يكون هو السبب في تأخير وجود الأبدع ، والإعراض عنه ؛ وحينئذ فقوله وإذا فعل فليس في الإمكان أن يفعل إلا نهاية ماتقتضيه الحكمة ، يقتضي أن الاختيار مسلوب عند الفعل ، وأنه تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، يجب عليه فعل ماتقتضيه الحكمة . وحينئذ فيقال لأبي حامد رحمه الله تعالى : فإذا كان الأبدع عدم تأخير وجود العالم فَلِمَ عدل عنه ؟ فيقول : ـ لا محالة ـ ، إنما عدل عنه ليثبت له الاختيار ، فيقال له : وكذا يقال بعد الفعل إنما لم يجب فعل الأبدع ليثبت له تعالى الاختيار ، فإن قال : عند الفعل ينسلب عنه ، وقبله يثبت له ؛ لزمه نفي وصف الاختيار الثابت له تعالى أزلاً ، « وما ثبت قدمه استحال عدمه » . فهذه حجة واضحة ظاهرة على حجة الإسلام ـ رضي الله عنه ـ ● وقال الشيخ « **الشعراني** » ـ رحمه الله ـ في « الأجوبة المرضية عن سادتنا الفقهاء والصوفية » : ومما أنكروه على الإمام الغزالي قولَه : « ليس في الإمكان أبدع مما كان » ، قال المنكرون : هذا يُفهَمُ منه العجزُ في الجناب الإلهي . والجواب ـ كما قاله الشيخ « **محي الدين بن العربي** » في « الفتوحات » ـ : إن كلام الغزالي في غاية التحقيق ، فلا ينبغي الإنكار عليه ، لأنه ماثَمَّ إلا مرتبتان ، مرتبة قِدَم ، ومرتبة حدوث ؛ فالمرتبة الأولى : للحقّ تعالى وحده ، بإجماع أهل الملل ؛ والمرتبة الثانية : للخلق ؛ فلو خلقَ الله تعالى ماخلق ، فلا يخرج عن مرتبة الحدوث فلا يقال : هل يقدر الحق سبحانه على أن يخلق قديماً يساويه في القدم ؟ لأنه سؤال مهمل في غاية المحال . انتهى ● **قلت** : وليس هذا من الجواب في شيء ، ولا نسبة بينه وبين مسألتنا بوجه ولا بحال ، وإنما يصح أن يكون جواباً لو كان مدعى الغزالي ـ رحمه الله ـ أَنْ ليس في الإمكان أبدع من القديم ، ومدعى المنكرين عليه : أَنّ في الإمكان ماهو أبدع من القديم ؛ فيكون الجواب : أن الحادث لا يبلغ القديمَ أبداً . أما حيث كانت دعواه في مراتب الحدوث ، وأن ماوجد من الحوادث لا يمكن أن يوجد حادث أبدع منه ، ودعوى المنكرين : أنه يمكن أن يوجد ماهو أبدع منه ، وإلا لزم تناهي المقدورات ؛ وذلك يستلزم

أصل في التوحيد .

القصور في القدرة المفضي للعجز . فأنّى يلاقيها ذلك الجواب ..!! . والله تعالى أعلم . ثم قال الشعراني ناقلاً لجواب آخر : ـ وأجاب الشيخ **عبد الكريم الجيلي**(١٠) : بأنّ كلّ واقع في الوجود قد سبق به العلم القديم ، فلا يصح أن يَرقَى عن رتبته في العلم القديم ، ولا أن ينزل عنها . فصح قول الإمام : « ليس في الإمكان أبدع مما كان » . انتهى(☆) .

قلت : وهذا أيضاً ليس بجواب ، لأنا لانسلم أن كل واقع في الوجود لا يرقى عن مرتبته في العلم ، ولا ينزل عنها ، وذلك لا يستلزم أنه لا يمكن وجود أبدع منه ؛ وإنما يصح أن يكون جواباً لو كان كلامُ الغزالي هكذا : ليس في الإمكان أن يرقى الحادث عن مرتبته في العلم أو ينزل عنها . والله تعالى أعلم . ثم قال الشعراني ناقلاً لجواب آخر : وأجاب الشيخ « **محمد المغربي** »(١١) الشاذلي ـ شيخ الجلال السيوطي في الطريق ـ رحمه الله ـ بأن معنى كلام الغزالي « ليس في الإمكان أبدع حكمةً من هذا العالم يَحكم بها عقلنا ؛ بخلاف ما استأثر الحق تعالى بعلمه وإدراكه ، وأبدعيته ، خاصة به تعالى ، فإنّ ذلك أكملُ وأبدعُ حُسناً من هذا العالَم ، الذي أظهره لنا ؛ إذ لو كان هذا العالَم يدخله نقص لتعدى ذلك إلى خالقه ؛ ـ وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ ؛ وقد أجمع أهل الملل كلّها على أنه (لا يصدر عن الكامل إلا كامل) ، قال قاعدة :

(١٠) عبد الكريم الجيلي (.. ـ ٨٣٢ هـ) : أو القطب الجيلي عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ، سِبْط الشيخ عبد القادر الجيلاني . من علماء الصوفية . له كتب كثيرة منها « الإنسان الكامل ... » و « الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم » و « شرح مشكلات الفتوحات المكية » وغيرها . اهـ من الأعلام .

(☆) كما وذكر الإمام الشعراني قدس سره في لطائف المنن والأخلاق ١٣٠/١ ـ عند تأويله لمقولة الغزالي ـ قوله : لعل مراده رضي الله عنه : أن جميع الممكنات أبرزها الله تعالى على صورة ما كانت في علمه تعالى القديم وعلمه القديم لا يقبل الزيادة . ا هـ .

(١١) محمد المغربي (ـ حوالي ٩١٠ هـ) : تركي الأصل . من الراسخين في العلم ، مهاب عند العلماء . يغلب عليه الاستغراق وقلة الكلام . له شرح لكثير من كلام القوم المشكل للغزالي ولابن الفارض . وما ذكره المؤلف في شرح كلام الغزالي منقول من ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ● دفن بالقرافة في مصر . من أقواله : ● إذا أراد الله أن يسلب إيمان عبد عند الموت سلّطه على وليّ يؤذيه . ● كفى شرفاً بعلم القوم قول موسى عليه الصلاة والسلام للخضر عليه السلام : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾ وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة . اهـ من طبقات الشعراني ١١٥/٢ ، ١١٦ في ذكر مشايخه .

الله تعالى : ﴿ والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ . وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ المَاهِدُونَ ﴾ [الذاريات ٤٧ ـ ٤٨] . ومعلوم أنّ الامتنان والامتداح ، لا يكون إلا فيما هو كامل الأوصاف ، وكيف يمتّنّ الحق تعالى ، ويُمتدح عند خلقه بمفضول . اهـ ● **قلت** : وهذا إن سَلِم من التصحيف فليس بجواب أيضاً . أما (**أولاً**) فإنه متدافع إذ أوله يقتضي : نفيَ إمكان الأبدع بحسب عقولنا فقط ، وأنه ثابت بحسب علمه تعالى ؛ وآخره يقتضي : نفيَ إمكانه مطلقاً ، إذ لو ثبت إمكان الأبدع لكان هذا الموجود ناقصاً بالنسبة إليه ، فيسري النقص إلى خالقه تعالى ؛ وحينئذ فنختار ما اقتضاه أولُ الجواب ، ونمنع ما اقتضاه آخره ، ولا نسلم لزوم النقص له سبحانه ؛ إذ « (لا يلزم من ثبوت النقص في المفعول ثبوتُه في الفاعل) » كما لا يخفى ؛ وإلا فالحادث كله ناقص ، لاحتياجه وافتقاره إلى خالقه ، فلو كان نقص الفعل يسري إلى الفاعل لزم امتناع وجود الأبدع أيضاً ، لنقصه بالحدوث . وأما (**ثانياً**) فالإجماع الذي عوّل عليه ، لا يعتمد عليه في هذا الباب ، لأن المسألة راجعة إلى القدرة ، التي هي إحدى مصححات الفعل ، التي لا يمكن إثباتها بالإجماع ؛ كما لا يخفى . وأما (**ثالثاً**) فـ«الإجماع» الذي هو حجة ومُعتَصمٌ ، هو إجماع هذه الأمة الشريفة الكريمة بالخصوص ولا عبرة بإجماع غيرها من الأمم . وهذه الأمة الشريفة قد أثبتت لربّها الاختيار ، وأن يفعل في ملكه ما يشاء ، ويحكم ما يريد ـ سبحانه لا إله إلا هو ـ .

قاعدة

الإجماع المعتبر

☆ ☆ ☆

اعتذارٌ وأدب

واللهُ يعلم أنّي لم أقصد الاعتراض على ساداتنا العلماء ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ، وإنما غرضنا إبانة الحقّ ، وإظهاره ؛ لا غير . والله تعالى أعلم .

☆ ☆ ☆

● وأجاب الإمام « أبو البقاء **محمد البكري**[١٢] الشافعي » بقوله : والجواب عن ذلك أن إيجاد عالَم أبدع من هذا العالَم مستحيل ، لأنه لم يرد به « الكتاب » ولا « السنة » المبيِّنة عن الله تعالى ، ولو كان جائزاً لورد به الكتاب ؛ قال تعالى : ﴿ مافَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] . ولم ترد به السُّنّة ؛ ولو كان

(١٢) **أبو البقاء محمد البكري الشافعي** (٨٠٧ ـ ٨٩١ هـ) : ابن عبد الرحمن بن أحمد يعرف بالجلال البكري ● له : « شرح تنقيح البيان » ، و « شرح مختصر التبريزي » . اهـ معجم المؤلفين ١٠/٢٣٤ .

فيها لذكره العلماء ونقلوه إلينا . فعُلم أن ذلك مستحيل ولا نقص في القدرة .

قلت : وفيه **نظر** من وجوه : **(أحدها)** أن « الكتاب والسنّة » قد وردا بذلك وقد سبق ذلك في صدر الكلام [أول المسألة] فراجعه . **(ثانيها) :** أن « الكتاب والسنة » إنما يُستدل بها في الأمور النقلية التي لادخل للعقل فيها . وأما أحكام العقل الصرفة - التي قيل إنها نفس العقل - التي هي : (١) - العلم بوجوب الواجبات . (٢) - وجواز الجائزات . (٣) - واستحالة المستحيلات ، فهي من الأمور الضرورية التي لايُحتاج فيها إلى دليل نقلي[١٣] . والله تعالى أعلم . ولا شك أن مسألتنا من جواز الجائزات ، فتكون ضرورية لايحتاج فيها إلى دليل . - **(ثالثها) :** إن ماذكره معارَض بكل علم بديهي ، كعلمنا بأن الأربعة زوج ، وأنها نصف الثمانية ؛ وأن الواحد نصف الاثنين . فيقال إن هذه العلوم لم يرد بها « كتاب » ولا « سنة » ، فتكون مستحيلة ؛ لأن كل ماليس في « الكتاب » ولا في « السنة » مستحيل على قاعدة جوابه . والله أعلم .

أحكام العقل ثلاثة عند علماء التوحيد.

● وأجاب بدر الدين **الزركشي**[١٤] - رحمه الله تعالى - : بأن قوله « ليس في الإمكان أبدع مما كان » ، بالنسبة إلى إدراك العقول النيرة ؛ لابالنسبة إلى عالم السّر الخفي الكامل المطلق ، الذي لاتنتهي أحكامه ، ولا تعد عجائبه ، ولا تحصى غرائبه ؛ فمراده ليس في الإمكان بحسب ماتقتضيه العقول ، لابحسب مافي غيب الله : ولذا قال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٨] . فحُكم « العارف » على قدر إدراكه ، لاعلى قدر أحكام ربه سبحانه ؛ فإن **(الرب - تعالى - محيط**

---

(١٣) حيث **الحكم العقلي** - بالتعريف - : هو إثبات الربط بين أمر لأمر ، أو نفيه عنه ؛ بلا توقف على تكرار ولا وضع واضع . وهو ينقسم إلى ضروري ونظري وكل منهما له ثلاثة أقسام : واجب وجائز ومستحيل . كما في مباحث العقيدة .

(١٤) **الزركشيّ** (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) : محمد بن عبد الله بن بهادر الملقب ببدر الدين ● من أعلام الشافعية في مصر ● قرأ على البلقيني ومغلطاي والأذرعي والحافظ ابن كثير ● له (البرهان في علوم القرآن) و (الذهب الإبريز في الحديث) و (البحر المحيط في أصول الفقه) و (الروضة في فقه الشافعية) و (إعلام الساجد بأحكام المساجد) وفي التفسير والفتاوى والتراجم وفي الحكمة والمنطق وغيرها . اهـ ملخصاً من مقدمة مصطفى المراغي في تحقيقه على « إعلام الساجد » .

بكل شيء) ، وليس لأحد إحاطة بنوع من أنواعه من كلّ وجه ؛ فإنّ لكلّ نوع أحكاماً متعددة ؛ منها ماأطلعَ الله عليه بعض عبيده ؛ ومنها ماهو راجع له . اهـ .

قلت : وفيه نظر ، فإن العقول النيرة ، تدرك في بداية نظرها ، جواز وجود ممكن أبدع ؛ ولا تحتاج في ذلك إلى فكر ورويّة ؛ لما سبق أن ذلك راجع إلى العلم بجواز الجائزات التي قيل : إنّها نفس العقل . وقوله : (فحكم العارف على قدر إدراكه) . أقول : إنما ذلك فيما يدق ويخفى على غالب العقول . وأما الظاهر المبذول الضروريّ ، فلا فرق فيه بين عارف وغيره ؛ فمن وافقه وافق الصواب ؛ ومن لا فلا . ● وقد **سألتُ** بعضَ العامة عن هذه المسألة فقال : أوَليست القدرة صالحة لكل ممكن يفرض ؟ فقلت : نعم . فقال : أوَليس قصرها على بعض الممكنات ، دون بعض ، قصوراً أو عجزاً ؟ فقلت : نعم . فقال : أوَليس العجز على البارئ ـ سبحانه ـ مستحيلاً ؟ فقلت : نعم ؛ فقال : المسألة ظاهرة فأي شيء يخفى فيها ؟ ● **وسألتُ** عاميّاً آخر عنها فقال : أوليس صاحب الصغرى يقول : وكذا يستحيل عليه تعالى العجز عن ممكن ما . وهذا الذي تقولونه ممكن فَيَقدر البارئ تعالى عليه ، وإلا كان عاجزاً . والله أعلم .

● وأجاب الشيخ سيدي « أحمد **زروق** » رضي الله عنه في شرح قواعد العقائد للإمام حجة الإسلام أبي حامد ـ رضي الله عنه ـ عند قوله فيها : ولا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله ، على أحسن الوجوه ، وأكملها وأتمها وأعدلها . فقال الشيخ زروق ـ رضي الله عنه ـ : يعني أن كلّ مابرز بالقدرة وتَخَصَّصَ بالإرادة وأُتقن بالعلم الإلهي ، لا يصح أن يكون ناقصاً في وجوده ؛ لكمال الأوصاف التي وجد عنها ، وهو أثر من آثارها ؛ إذ يلزم من وَصْفه بالنقص من حيث ذلك وصفُها ـ أي الأوصاف المنسوبة إليها ـ بقصرها وتقصيرها . ثم « **التقبيح والتحسين** » العقليّ في محلّه ؛ والعاديّ في محلّه ؛ والشرعيّ في محله ؛ لأن ماذكر بحسب الحكمة وظهور النِّسب بالنسبة إلينا ؛ وعلى ماذكر هنا يَتَخَرَّجُ مانُسِبَ إليه من قوله : « ليس في الإمكان أبدع مما كان » يريد : أن ماكان وما

يكون إلى الأبد ، متى حصل في حيز فلا أبدعَ منه : لأن العلم أتقنه ؛ ولا نقص في إتقانه ؛ والإرادة خصصته ، ولا نقص في تخصيصها ؛ والقدرة أبرزته ، ولا نقص في إبرازها ؛ فبروزه[١٥] على أبدع الوجوه وأكملها . وعلى هذا تُفْهَم هذه الكلمة ، وإن لم تفهم عليه لزمه القول بقصور القدرة ، وما معها من الأوصاف ، وذلك باطل ، لا يقوله أحمق ، فضلاً عن عاقل . وبالله التوفيق اهـ .

قلت : ولا يخفى ما فيه فإنه لو كان نقص الأثر يستلزم نقصَ المؤثر وأوصافَه ، لكان وجودُ غيرِ الأبدع مستحيلاً ؛ ولكان وجود الأبدع واجباً ؛ وذلك يجرّ إلى التعليل ، وينفي الاختيار . فالصواب : أن ذلك اللزوم ممنوع ، ووجود الأبدع وغيرِه جائزٌ ؛ والاختيار شامل ؛ والقدرة عامّة ، ولا نهاية لمتعلقاتها ؛ هذا إن أراد اللزوم في نفس الأمر ؛ وإن أراد بحسب عقولنا ، وما تقتضيه الحكمة في نظرنا ، ورأينا ، فقد سبق ما فيه في كلام الزركشي . والله أعلم .

● وأجاب « برهان الدين **بن أبي شريف** »[١٦] ـ وهو أخو الإمام المتقدم في الطائفة الأولى وأصغر منه ، وعاش بعده زماناً طويلاً ـ فقال ما نصه : وليس في مقالة حجة الإسلام إيجابُ شيء ، ولا تحجير على القدرة ، ولا نفيٌ لقدرته تعالى على غير هذا العالم ؛ بل هو قادر على إبراز عوالم لا نهاية لها ؛ ولكنْ لتعلق العلم القديم ، ووقوعَ اختياره وإرادته لإيجاده ، اتصف بالأبدع ، لكونه دالاً على ما اقتضته صفاته ، وقوله « ليس في الإمكان أبدع مما كان » أي : ليس فيما تعلقت القدرة به ، وسَبَق به العلم والإرادة ، من الممكنات ، أبدعُ مما وُجد ، لما قررناه اهـ .

قلت : وفيه نظر من وجهين : (أحدهما) أنه جعل سبق العلم والإرادة دليلاً على أن ما وجد هو الأبدع ؛ وهو لا يدل على ذلك وإنما يدل على أن ما وُجِدَ ، وُجِدَ عن علم وإرادة ، وهل هو أبدع أوْ لا ؟ يبقى ما هو أعمّ . (ثانيهما) أنك قد علمت

---

(١٥) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : فبروزها . قلت : لعله تصحيف .

(١٦) برهان الدين بن أبي شريف (.. ـ ٩٠٦ هـ) : محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف المقدسي ● عالم بالأصول ، فقيه شافعي من أهل بيت المقدس مولداً ووفاة ● درس وأفتى ببلده وبمصر ● له تصانيف منها : الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع . والفرائد في حل شرح العقائد وغيرها . اهـ من الأعلام .

أن الأبدع لانهاية لأفراده لكونه مقدوراً ، والمقدور لانهاية له ؛ وإذا كان الأبدع لانهاية له ، فعلى تقدير أنْ تتعلق الأوصاف القديمة بوجود فرد منه ، يبقى في دائرة الإمكان ما لا يتناهى من أفراده . والمجيب ـ رضي الله عنه ـ ظنّ أن الأبدع جزئي ، شخصي ، لاتعدد فيه ؛ فإذا فُرض تعلق العلم والمشيئة بوجوده ، استحال غيره ؛ وإلا كان العلم جهلاً ؛ وحيث كان الأبدع كلياً ، لانهاية لأفراده ، لم يلزم من وجود فرد منها انتفاءُ غيره عن دائرة الإمكان . والله أعلم .

● وأجاب الشيخ « **أبو المواهب التونسي** »(١٧) ـ رحمه الله ـ بما نصه : قوله « ليس في الإمكان أبدع مما كان » ، قلنا إمكان الحكمة الإلهية ، لاإمكان القدرة الربانية ، وهذا هو اللائق بكلام حجة الإسلام . اهـ .

قلت : لانسلم أنه لايمكن ذلك في الحكمة الإلهية ؛ فإنّها إذا كانت متعلقات القدرة لانهاية لها ، كانت الحكمة الإلهية لانهاية لها ؛ لأنها تابعة لمتعلقات العلم ؛ ومتعلقاتُ العلم ؛ لانهاية لها . فلزم قطعاً أن الحكمة الإلهية لانهاية لها ، ومن الذي يجترئ على حكمة الله تعالى ، ويقول : إنها محصورة ومقصورة . وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد بيان للحكمة وعلى أيّ شيء تطلق من كلام أبي حامد رضي الله عنه نفسه . والله أعلم . الحكمة الإلهية

● وأجاب شيخ الإسلام « **زكريا الأنصاري** »(١٨) الشافعيّ ـ رضي الله عنه ـ بقوله : لايحلّ لأحد أن ينسب لأبي حامد القول : بأن الله تعالى عاجز عن

---

(١٧) أبو المواهب التونسي (٦٨١ ـ ٧٦٣ هـ) : محمد بن محمد بن أبي القاسم بن جبل الربعي التونسي ● من فضلاء المالكية تونسي الأصل ● أخذ عنه الندرومي بالقدس ● استقر بمصر .

قلت : لعله هو نفسه محمد أبو المواهب الشاذلي الذي ترجمه في طبقات الشعراني برقم ٣١٨ . ونقل عنه كلاماً نفيساً مفيداً .

(١٨) زكريا الأنصاري (٨٢٣ ـ ٩٢٦ هـ) : ابن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي ؛ أبو يحيى ● شيخ الإسلام ، قاض ، مفسر ، من حفاظ الحديث ● ولد في سنيكة (بشرقية مصر) . تعلم في القاهرة . كف بصره ● نشأ فقيراً معدماً . ثم بظهور فضله تتابعت إليه الهدايا فجمع نفائس الكتب وأفاد بها ● ولاه قايتباي الجركسي قضاء القضاة ● له مواقف في زجر السلطان عن الظلم ● له عشرون تصنيفاً ـ تقريباً ـ في علوم متعددة . اهـ من الأعلام .

إيجاد ماهو أبدع من هذا العالم ؛ فإنّ هذا الفهم منشؤه توهّم أن المراد بالإمكان في عبارته بمعنى : القدرة ـ أي : ليس في القدرة أبدع مما كان ـ ؛ وليس كذلك ؛ بل هو بمعناه المشهور المقابل للامتناع والإيجاب ، لكن بحذف مضاف ؛ أو نجعله بمعنى الممكن من باب إطلاق المصدر على اسم الفاعل ، فمفاد عبارة حجة الإسلام : أنه ليس في جانب الإمكان ، أو ليس في الممكن أبدعُ مما تعلقت به القدرة . وهو حق إذ الوجود خيرٌ من العدم ، ومفاد عبارة « المعتزلة » ماصرحوا به من : أنه تعالى لا يقدر على إيجاد أبدع مما فعله بكلّ أحد ؛ وهو باطل ، عند حجة الإسلام ، كسائر أهل السنة ، لبنائه على « وجوب الأصلح » عليه تعالى ؛ وهو أصل باطل .. إلى أن قال : فَعُلم أن حجة الإسلام لم يُرد بالإمكان ـ في كلامه ـ القدرةَ لأنه لو أرادها لرجع كلامه حينئذ إلى كلام « المعتزلة » . إلى أن قال : وبذلك عُلم أن اللفظَ المذكور لا يحتاج إلى حملٍ ، وأنه لا ينبغي أن يقال : دُسَّ عليه ؛ أو أنه زَلّةٌ منه ، أو غير ذلك من الكلمات التي لا تليق بمقامه ؛ بل هو كلام حقّ ، يجب اعتقاده على الوجه الذي قررتُه . فليعتمد ذلك في هذا المقام فإنه من مزالّ الأقدام . اهـ .

من عقيدة المعتزلة .

أصل باطل

قلت : ولا يخفى ما فيه ، وما عوّل عليه ، في دفع المحال عن حجة الإسلام ؛ بحمل الإمكان على مقابل الوجوب ؛ والامتناع لا يدفعه ؛ فإن المحذور بحاله ، لأن المعنى حينئذٍ : ليس في جانب الإمكان ، أو في الممكن أبدع مما كان فيلزم أن يكون الأبدع المفروض في جانب الامتناع أو في الممتنع ؛ وكونه في جانب الامتناع باطل ، لأنه ممكن ؛ والممكن لا يكون ممتنعاً ؛ وأيضاً فإذا كان في جانب الامتناع لم تتعلق به القدرة ، فيساوي قول من قال : لا يقدر على إيجاد الأبدع المفروض ؛ لأن الأبدع إذا كان في جانب الامتناع فليس في القدرة إيجاده . فالمحال لازم على حمل الإمكان على معنى القدرة ، أو على معناه المشهور المقابل للإيجاب والامتناع ، وهو ظاهر . والله أعلم . وقوله : (فمفاد عبارة حجة الإسلام : أنه ليس في جانب الإمكان أبدع مما تعلقت به القدرة ، وهو حقّ إذ الوجود خير من العدم) : لا يدل على المدّعى المذكور ، لأنه ليس المدعى أن العدم أبدع من الوجود ، حتى يكون نفيه ـ الذي هو كلام حجة الإسلام ـ حقّاً ؛ وإنما المدعى أن الأبدع المفروض في جانب الإمكان ، وهو حقّ فيكون نفيه ـ الذي هو كلام حجة الإسلام ـ غيرَ حقّ .

والله أعلم . وقوله : (ومفاد عبارة المعتزلة ماصرحوا به من أنه تعالى لا يقدر على إيجاد الأبدع) أقول هو لازم لكلام حجة الإسلام - رضي الله عنه - على ماأوّلتَهُ عليه - أيها المجيب رضي الله عنك - فإنّ الأبدع إذا لم يكن في جانب الإمكان ، ولزم أنه في جانب الامتناع ، لزم قطعاً أن القدرة لاتتعلق بالممتنع . فجاء المحذور اللازم . والله أعلم . وقوله : (وبذلك علم .. إلخ) . أقول : إياك أن تغتر بهذا الكلام ، فإنّ غاية مافيه : أن الإمكان لايحمل على القدرة ، بل على معناه المشهور ؛ وقد علمتَ أن المحذور لازم عليهما . وقوله : (بل هُو كلام حقّ يجب اعتقاده على الوجه الذي قررتُه) . أقول : حاشَ لله أن يعتقد أحد أن الأبدع لو كان مع القدرة عليه ولم يفعله تعالى لكان بخلاً ؛ فإنّ هذا عين رعاية « الصلاح والأصلح » الذي هو عين مذهب « المعتزلة » ، وإنما الذي يجب اعتقاده أنه تعالى فاعل بالاختيار : ﴿ لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ - وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ - وَيَخْلُقُ مَا لاتَعْلَمُونَ - وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ . [الأنبياء:٢٣ - القصص:٦٨ - النحل:٨ - طه:١١٠] . والله أعلم .

تنبيه

تحذير

● وأجاب الحافظ جلال الدين « السيوطي » رضي الله عنه ونفعنا به آمين - وهو من المنتصرين لحجة الإسلام - فقال - في كتابه الذي ألفه في هذه المسألة ، وسماه بتشييد الأركان لمسألة « ليس في الإمكان أبدع مماكان » - ، مامعناه : توقف الناس في ذلك وقالوا : إنه لايناسب أصولَ أهل السُّنّة ، وإنما يناسب أصول المعتزلة إذ كيف يكون مناقضاً للعدل عند أهل السنة ، مع أن فعل الأصلح - عندهم - من باب الفضل . والمعتزلة يوجبونه عليه تعالى ، بناءً على الحسن والقبح العقليين قال : ولا أشك أن الأمر - كما قالوا - من الإشكال وقد توقفتُ فيه أياماً حتى منّ الله علي بفهمه بعد التضرع إليه وإظهار الذل والافتقار ، فألهمني إليه - وله الحمد - وذلك أن حجة الإسلام رضي الله عنه إنما أراد تقرير الدليل على مذهب الفريقين معاً ، لتتم له دعواه عدم الإمكان على المذهبين معاً ؛ فكأنه قال : هو محال إجماعاً من الفريقين ● أما على « مذهب أهل السنة » فلأن ادخاره منافٍ للفضل ، وهو الذي عبر عنه بالجود الإلهي . وأما على مذهب المعتزلة فلأن ادخاره عندهم ظلم ينافي العدل . فأتى

بجملة كل فريق وليس مراده بالجملتين التقرير على مذهب واحد . اهـ .

قلت : ولو عبر حجة الإسلام كذلك لقرب الحال ولكنه قال لو ادخره مع القدرة عليه لكان بخلاً ينافي الجود ، وأهل السنة - رضي الله عنهم - ينزهون ربهم عن وصفه بالبخل . فقد بان أن العبارة الأولى لاتأتي على مذهب أهل السنة - رضي الله عنهم - .

● قال « **شرف الدين بن التلمساني** »[☆] في شرح اللُّمع - بعد ذكره مذهب البغداديين من المعتزلة في وجوب رعاية الأصلح - : وهؤلاء أخذوا مذاهبهم من الفلاسفة وهو أن الله تعالى جواد وأن الواقع في الوجود هو أقصى الإمكان ولو لم يقع لم يكن جواداً اهـ .

● وقال ابن الهمام في المسايرة : إن المعتزلة يقولون : إن ترك مراعاة الأصلح بُخل ، يجب تنزيه الباري عنه ، فيجب أن لا يمكن أن يقع غير الأصلح : فكما أن الشق الثاني مفرع على أصول المعتزلة ، كذلك الشق الأول . والله تعالى أعلم .

● وأجاب الشريف الأشهر المحدث الأكبر مولانا « السيد السمهودي » - رضي الله عنه ونفعنا به - في رسالته السابقة : وقد أطال في هذه الرسالة وكتب فيها ثلاثاً وثلاثين ورقة بخط مضموم ، وهو من المنتصرين لحجة الإسلام - رضي الله عنه - ؛ وقد اعتنى في رسالته بنقض رسالة « ناصر الدين بن المنير » - رحمه الله تعالى - التي سبقت الإشارة إليها [ص ٢٢٣] . وقد تصفّحتُ رسالة « السيد السمهودي » غاية ، وأعطيتها ماتستحقه من الإنصاف والتأمل والتمهل ، فوجدتها دائرة على ثلاثة أمور : أحدها : « المُصَادَرَةُ عن المطلوب »[١٩] . ثانيها : ماوقع له من الغلط في « القبح

(☆) **شرف الدين بن التلمساني** (٥٦٧ - ٦٤٤ هـ) : عبد الله بن محمد بن علي الفهري ● له : « شرح التنبيه » ، « شرح المعالم » وغيرها . اهـ معجم المؤلفين ١٣٣/٦ .

(١٩) **المصادرة على المطلوب** : وهي من أقسام المغالطة - القسم الثالث - من الحجة الباطلة القائمة على الغلط . وتعريفها : أن تكون المقدمات متوقفة معرفتها على معرفة النتيجة ، وهذا هو الدليل الدوري (الذي يتوقف فيه معرفة النتيجة على معرفة الدليل ، ويتوقف معرفة الدليل على معرفة النتيجة) فتكون المقدمة الكبرى والنتيجة شيئاً واحداً . كما في - التعريفات للسيد - وضوابط المعرفة للميداني .

والحسن العقليين » ، وهو أشدّ مافي رسالته شبهة . ثالثها : عدم فهمه لكثير من كلام « ابن المنير » على الوجه الذي ينبغي ● فلنعتبر بإبانة هذه الأمور الثلاثة وإيضاح مافيها حتى يهون على الواقف على الرسالة بعد ذلك أمرها ، ولا يكبر عليه مافيها من الكلام ؛ **فنقول : أما (الأمر الأول)** قال « السيد السمهودي » - رضي الله عنه - : اعلم أن « حجة الإسلام » - رضي الله عنه - لم يُرد قطعاً من الوجوب - في قوله على الترتيب الواجب - الوجوبَ الذاتي المنافي للاختيار - كما زعمت « الفلاسفة » الضُلّال - ؛ ولا الوجوبَ على الله تعالى بالعقل ، - كما يُحكى عن « المعتزلة » المتشبثة بأذيال « الفلاسفة » في المقال - ؛ بل أراد أن ذلك هو الترتيب المتعين الذي لابد من حصوله كما يعضده قوله - في آخر كلامه السابق عن « الإحياء » : وقد صار ماقضى به واجبَ الحصول بعد سبق المشيئة ؛ فسبقُها هو الموجب لحصوله ... إلى أن قال : فالأحسن الأكمل واجب الحصول بسبب سبق القضاء والقدرِ والمشيئةِ النافذة به واقتضاء[☆] الحكمة له . فالوجوب بهذا المعنى وجوبٌ بالاختيار ، لأنه نشأ عن سبق العلم ، الذي لايمكن تخلفه والمشيئة التي لابد من إنفاذها ؛ فاستحال خلافُه لكمال نفوذ المشيئة به ، والقدرةِ التابعة لها ، والحكمة البالغة ، المقتضية لوضع الأشياء في محالّها . اهـ .

ردّ الأمر الأول

قلت : قوله : (بل أراد أن ذلك هو الترتيب المتعين ، الذي لابد من حصوله) . إن أراد عقلاً ، فهو مذهب المعتزلة الذي نفاه ؛ وإن أراد أنه لابد من حصوله لسبقية المشيئة به ، والعلم ، فهو مُسلّم ، ولكنه « مصادرة عن المطلوب » ؛ فإنه لم يأت بدليل عليّ أن هذا الذي وجب ، لتعلق العلم به والمشيئة ، هو الأبدع الأكمل الذي لم يبق في الإمكان غيره . وبالجملة - فإن جعلَ الدليلَ على وجوب وجود الأبدع الأكمل « رعايةُ الصلاح » ، كان هو قول المعتزلة لاغير ؛ وإن جعله ماسبق من العلم والمشيئة ، كان « مصادرة عن المطلوب » كما لايخفى . والله تعالى أعلم . وقوله : (فسبقها هو الموجب لحصوله) . إن كان على وصف أنه الأبدع فهو « مُصَادَرَة » ؛ وإن كان على وصف ماوجد عليه مع احتمال أن يكون ثمّ أبدعُ منه ،

(☆) كذا في بولاق وهو الصحيح . وفي الحلبية وظ١ : واقضاء .

ولم يوجد ؛ فهو مُسَلَّمٌ ، ولا يفيدكم شيئاً . والله تعالى أعلم . ثم ما عوّل عليه في وجوب وجود الأكمل الأبدع ، من أن الحكمة تقتضي ذلك ؛ لأنّها تقتضي وضعَ الأشياء في محالّها ؛ ينبغي أن يقال عليه : ما تريدون بالحكمة ؟ فإنّ أبا حامد - رضي الله عنه - قال في « مقاصد الفلاسفة » : إنّ الأول - سبحانه - حكيم ، لأن « **الحكمة** » تطلق على شيئين ، **أحدهما** : **العلم** ، وهو تصور الأشياء بتحقق الماهية والحد ، والتصديق فيها باليقين المحض المحقَّق . **والثاني** : **على الفعل** ، بأن يكون مرتّباً ، مُحْكَمَاً ، جامعاً لكلّ ما يحتاج إليه ، من زينة وكمال • ثم بيَّن عِلْمَهُ تعالى ... إلى أن قال : وأما **أفعاله** [سبحانه] ففي غاية الإحكام إذ ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه ٥٠] وأنعم عليه ، بكل ما هو ضروري له ، وبكل ما هو محتاج إليه - وإن لم يكن في غاية الضرورة ؛ وبكل ما هو زينة وتكميل - وإن لم يكن في محالّ الحاجة - كتقويس الحاجبين ، وتقعير الأخمصين[٢٠] ، ونبات اللحية الساترة لتشيخ البشرة في الكبر ، إلى غير ذلك من اللطائف الخارجة عن الحَصر ، في الحيوان والنبات وجميع أجزاء العالم . اهـ . وحينئذ فإن أردتم بالحكمة تعلقَ العلم بالأشياء ، الذي هو الوجه الأول ؛ فلا يخفى أنها لاتقتضي عقلاً وجوبَ وجود الأبدع ضرورةَ أن العلم يتعلق بكل شيء . وإن أردتم بها المعنى الثاني فلا يفيدكم أيضاً ، لأنها عبارة عن « تعلق القدرة التنجيزي »[٢١] حتى تكون سبباً في كونه لا يُنجِز إلا الأبدعَ الأكمل ، على أنّ كون الفعل محكماً متقناً لا يقتضي حصرَ الأبدعِ فيه ، وانتفاء سائر أفراده عن دائرة الإمكان . وبالجملة - فالحكمة لاتدلّ على ما ذكروه ، لأنها إما عبارة عن تعلق العلم ؛ وإما عبارة عن تعلق القدرة ، وكلٌّ منهما لا يقتضي إيجاب وجود الأبدع ، وإنما يقتضيه اقتضاء فاسداً أحدُ أمرين : إما التعليلُ ونفيُ الاختيار ، - كما يقوله « الفلاسفة » الملعونون - ؛ وإما لئلا يلزم البخل والظلم - كما يقوله « المعتزلة » - . والله تعالى أعلم . ووراء هذا كله أن الأبدع الأكمل كليٌّ لا نهاية لأفراده كما سبق ؛ فالحكمة وإن اقتضت وجودَ فرد من أفراده ، فما الدليل على الحصر

الحكمة : في العلم والفعل .

مثال

---

(٢٠) الأخمص : هو أسفل القدم . كما في معاجم اللغة .

(٢١) قلت : القدرة لها تعلقان : صلوحي قديم وتنجيزي حادث . كما في كتب التوحيد .

واستحالة باقي الأفراد ؟ وكأنه ـ رضي الله عنه ـ تَوهَّم أن الأبدع الأكمل شخصيٌّ جزئي[٢٢] ، فإذا اقتضت الحكمة إيجادَه استحال غيره ، لسبقية العلم والحكمة بإيجاده . وهذا باطل ؛ لأنه لو كان الأبدع « شخصياً جزئياً » لاتعدّد فيه ، لزم تناهي المقدورات ضرورةً ، فإنّا إذا جزمنا بأنه : ليس وراء هذا العالم الموجود ممكن أبدع منه ، وأنه لم يبق في دائرة الإمكان إلا ماهو أنقص منه ؛ لزمنا قطعاً أن الربّ ـ سبحانه ـ تناهت مقدوراته الأبدعية الأكملية في هذا العالم الموجود ، ولزمنا قطعاً انتفاء التعلق الصلوحيّ للقدرة على إيجاد ماهو أبدع من هذا العالم ، وهو المطلوب ● وهذا القدر كاف فيما يتعلق بالأمر الأول . والكيّس إذا فُتح له باب الكلام علم كيف يدخل وكيف يخرج . والله تعالى أعلم . أما (**الأمر الثاني**) قال « السيد السمهودي » ـ رضي الله عنه ـ : إنّ حكم العقل بالحسن والقبح بما يدركه من صفات الكمال والنقص كحسن العلم والعدل ، وقبح الجهل والظلم ، متفق عليه بيننا وبين المعتزلة ـ كما سنوضحه إن شاء الله تعالى [ص ٢٣٩] ـ يشير إلى ماذكره بعد ذلك في قوله : الفصل الثاني : قد تَوَهّم المعترضون أن « حجة الإسلام » بنى استدلاله لمدّعاه على ماذهب إليه المعتزلة في قاعدة « الحسن والقبح العقليين » ؛ وهو خارج عن قواعد أهل السنة والجماعة وهذا التوهم مردود من وجهين ● أحدهما : ماأسلفناه من استقلال العقل اتفاقاً بإدراك مايرجع إلى صفة الكمال كحسن العلم والعدل ؛ وإلى صفة النقص ، كقبح الجهل والظلم ؛ وإدراك ثبوت الألوهية لله ـ عز وجل ـ وإدراك تنزيهه عن النقائص ، وانتفاء ماأدى إليها ، ولهذا اتفقوا على : استحالة عدم وقوع ماسبق به علمه تعالى أنه سيقع ؛ وسلّم الجميع وجوبه مستدلين بتنزيهه تعالى عن الجهل اللازم على عدم وقوعه ، وهو غير خافٍ على من مارس كُتب « الأصول » ، وماوقع فيها من تحرير محلّ النزاع ، وأن محله إنما هو في استقلال العقل بإدراك الحسن والقبح في حكم الله تعالى ؛ فقالت به « المعتزلة » ، وأباه « الأشعرية » ؛ ثم بنى على ذلك أن وجود غير الأبدع نقص ؛ وبيّن أولاً كونه نقصاً ، بأن وجوده خلاف ماتقتضيه الحكمة نقص في نظر العقل ● وثانياً : بأنه

ردّ الأمر الثاني

---

(٢٢) كما في علم الوضع حيث الشخص:جزئي أو كلي .

خلاف ماسبق بهِ العلم ؛ وخلافُ ماسبق به العلم جهلٌ ؛ والجهل نقصٌ ؛ والنقص قبيح في نظر العقل . أي فقد رجع ماقاله « حجة الإسلام » رضي الله عنه إلى حسن عقلي متفق عليه بيننا وبين المعتزلة ؛ ومن اعترضه ظَنَّه راجعاً إلى حسن المعتزلة .

وجه اتفاق — وليس كذلك ، لأن هذا « الحُسْن العقلي » هو : بمعنى صفة « الكمال والنقص » وهو عقلي متفق عليه ، كما تقرر في الأصول . هذا خلاصة كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الفصل .

قلت : وهو مردود ، وأول ماتقول فيه أنا نرده بكلام أبي حامد نفسه ؛ وقد أوضح ذلك رضي الله عنه في كتابه « الاقتصاد السني في الاعتقاد السني » ، وكذا في

كلام الغزالي في المستصفى: — كتابه « المستصفى » في الأصول وهو من آخر ماألفه ، وقد أشار إلى ذلك في خطبة المستصفى . ـ وعبارة المستصفى : ـ احتجوا ـ أي المعتزلة ـ فقالوا : نحن نعلم قطعاً

مثال (١) — أن من استوى عنده الصدق والكذب آثر الصدق ، ومال إليه بطبعه ، إن كان

مثال (٢) — عاقلاً ، وليس ذلك إلا لحسنه ؛ وأنّ المَلِك العظيم ، المستولي على الأقاليم ، إذا رأى ضعيفاً مُشْرفاً على الهلاك ، يميل إلى إنقاذه ؛ وإن كان لا يعتقد أصل الدين فينتظرَ

مثال (٣) — ثواباً ؛ ولا ينتظر أيضاً منه مجازاة ولا شكراً ، بل يَحكم العقلاء : بحسن الصبر إذا أُكره على كلمة الكفر ، أو على إفشاء السرّ ، ونقض العهد ، وهو على خلاف غرض المكرِه . وعلى الجملة ـ فاستحسان مكارم الأخلاق ، وإفاضةِ النعم ، مما لا ينكره عاقل . والجواب : أنّا لاننكر اشتهارَ هذه القضايا بين الخلق ، وكونَها محمودةً مشهورةً ، ولكنّ مستندها ، إما التدين بالشرائع ، وإما الأغراض . ونحن إنما ننكر هذا في حق الله ـ تعالى ـ لانتفاء الأغراض عنه ؛ فأما إطلاق الناس هذه الألفاظ فيما يدور بينهم ، فيستمد من الأغراض ؛ ولكن الأغراض قد تَدِقّ وتخفى ، فلا يَتَنبه لها إلا المحققون ، ونحن نُنبه على مثارات الغلط فيه وهي ثلاث مَثَارات يغلَطُ الوهم فيها ... [اهـ. ص ٥٨ . ط بولاق] . ثم أطال في ذلك النفَس ، وأتى بورقة من القالب الكبير في بيان تلك المثارات . ويجب الوقوف على كلامه في ذلك ، فإنه نهاية التحقيق ؛ وغاية التوفيق ● ثم بنى على ذلك أن كل مايستقبحونه ـ أي المعتزلة ـ من نحو الكذب والكفر والجهل والظلم ؛ وغير ذلك ، مما يستقبح في العرف والعادة لايخرج عن تلك الأغلاط الثلاثة . إلى أن قال في آخر كلامه : ثم تقول :

نحن لاننكر أن « أهل العادة » يستقبح بعضهم من بعض الظلمَ والكذبَ ، وإنما الكلام في الحسن والقبح بالإضافة إلى الله تعالى ؛ ومن قضى به ، فمستنده : « قياس الغائب على الشاهد » . وكيف يقيس ، والسيد لو تَركَ عبيده وإماءه بَعضُهم يموج في بعض ، ويرتكبون الفواحش ؛ وهو مطّلع عليهم ، وقادر على منعهم لقَبُح منه ؛ وقد فعل الله ذلك بعباده ، ولم يقبح منه . وقولهم(: إنه تركهم لينزجروا بأنفسهم ، فيستحقوا الثواب) ، هَوَس ؛ لأنه علم أنهم لا ينزجرون ، فليمنعهم قهراً ؛ فكم من ممنوع من الفواحش لعجز أو عُنّة ؛ وهذا أحسن من تمكينهم مع العلم بأنهم لا ينزجرون . هذا كلامه في « المستصفى » . وعبارته في « الاقتصاد » أطول وأتم . وقد سبقه إلى هذا الكلام فحول الأشاعرة ، كالقاضي « أبي بكر الباقلاني » ، نقله عنه في « البرهان » ؛ وكإمام الحرمين[٢٣] في « البرهان » ، وكأبي الحسن الإبياري شارح « البرهان » وغيرهم . وإذا سمعت هذا علمتَ أن « الحسن والقبح » المتفق عليه بيننا وبين المعتزلة إنما هما العاديان الجاريان في محاورات الناس ومخاطباتهم ؛ وأن المعتزلة راموا قياسه ، ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ في أفعاله وأحكامه على خلقه ، في عوائدهم ؛ وهو قياس فاسد كما بينه « الغزالي » ـ رضي الله عنه ـ ، وحينئذ فـ (الحسن والقبح) بمعنى : (ملايمة الطبع ومنافرته) ، وبمعنى (صفة الكمال والنقص) ـ المتفق عليها ـ ؛ يجب ردّهما إلى العادة والعرف ، لا إلى الحقّ ـ سبحانه ـ في أحكامه وأفعاله ، ـ كما غلط فيه « السيد السمهودي » رضي الله عنه ، وحينئذ فقوله(: إن ماقاله « حجة الإسلام » راجع إلى حُسنٍ متفق عليه) ؛ غير صحيح ، بل هو راجع إلى حسن المعتزلة . الذين يقيسون الغائب على الشاهد . وقوله(: وهو غير خاف على من مارس كتب الأصول إلخ) ؛ أقول : قد خفي عليك ـ أيها السيد الجليل رضي الله عنك ونفعنا بك ـ فإن الأصوليين أشاروا إلى : أن (الحسن والقبح يجريان في أحكام البشر . واختلفوا في أحكام الله تعالى) ؛

ضرب مثال على القياس الفاسد .

وجه اتفاق بين المعتزلة وأهل السنة .

قياس فاسد

خلاف المعتزلة

(٢٣) الجُوَيني (٤١٩ ـ ٤٧٨ هـ) : عبد الملك بن عبد الله بن محمد الجويني الملقب بـ « إمام الحرمين » ● أعلمَ المتأخرين من أصحاب الشافعي ● ولد في جوين ـ من نواحي نيسابور ـ ● رحل إلى بغداد فمكة حيث جاور أربع سنين . وذهب إلى المدينة فأفتى ودرّس وكان جامعاً طرق المذاهب ؛ ثم عاد إلى نيسابور فمات بها ● من كتبه البرهان . اهـ من الأعلام .

فقاس المعتزلة أحكامه تعالى على أحكام البشر ؛ وخالفهم أهل السنة ـ رضي الله عنهم ـ وقالوا : « لا يقاس الغائب على الشاهد » . هذا الذي وقع من قدماء الأصوليين حتى اشتهر : أن القبح والحسن مختلف فيها بيننا وبين المعتزلة ؛ فجاء المتأخرون ، فبينوا محلّ الخلاف ، وصرحوا : بأنّ (**المقيسَ عليه**) ، ـ وهو ما يجري في أحكام البشر ـ نوافقهم عليه ؛ وقسموه إلى : ملائم للطبع ، ومنافر له ؛ وإلى : ماهو صفة كال ، ونقص . وأما (**المقيس**) ـ وهو ما يجري في أحكامه عزّ وجلّ ـ فلا نوافقهم عليه . و « قياس الغائب على الشاهد » لا يصح ، لأمور : **منها** ـ أن القياس لا يفيد شيئاً في العقليات ، لأنّ مفاده الظنّ ؛ و « القطعَ هو المفيد في العقليات » . **ومنها** ـ أنّ الحسن والقبح في أحكامنا يتبعان الأغراض ؛ وهي مستحيلة في حقه تعالى ؛ فبطل القياس لوجود الفارق وانتفاء المانع[٢٤] . **ومنها** ـ أنه يحسن في حقّه تعالى ما لا يحسن في حقّ خلقه ، ـ كالمثال السابق [ص ٢٣٩] عن الغزالي في المستصفى ـ فإذاً لا يقبح في حقه تعالى شيء ؛ لأنه متصرف في ملكه ، فيفعل فيه ما يشاء ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام ١٤٩] . ثم الأمثلة التي ذكرها [السمهودي] في أول كلامه للحَسن المتفق عليه ، كلُّها مدخولة . أما العدل والظلم والجهل ، فقد سبق في كلام الغزالي ـ رضي الله عنه ـ [ص ٢٣٨ـ٢٣٩] : أن ذلك إنما يقوله « المعتزلة » . وقد رَدَّ عليهم بأبلغ ردّ ، هذا إن ردّ [السمهودي] الحُسن والقبح في الأمثلة إلى الله ـ عز وجل ـ ؛ وإن رَدَّ ذلك إلينا فهو مُسلّم ولا يفيده شيء في أحكام الله تعالى التي يروم إثباتها في هذه المسألة . وأما إثبات الألوهية له تعالى ، وتنزيهه عن النقائص ، وإحالة أن يقع في الخارج خلاف العلم ، فليست من هذا الباب في شيء ؛ وإنما هذه مسائل كلامية فما استقل العقل فيه بإدراكه ؛ فالعقل هو الحاكم بها كالمثال الأول والثالث[٢٥] ، وما لا يستقل العقل فيه ، واحتاج فيه إلى الاعتضاد بالسمع ؛ فالسمع فيه هو الحاكم كالمثال الثاني[٢٥] ، فإن الدليل العقلي فيه ضعيف كما عرف في « علم الكلام » ، والمعتمد فيه هو « السمع » ، ـ كما بينوه في إثبات « السمع والبصر

قاعدة

ردّ

---

(٢٤) كذا في ظ ١ . وفي الحلبية : وانتفاء الجامع . قلت : هو خطأ ظاهر .

(٢٥) تقدم ص ٢٣٨ .

والكلام » . وانظر « الصغرى » وشروحها ـ . ولو كان كل مايدركه العقل من قبيل الحسن المتفق عليه ؛ لزم أن تكون جميع مسائل « علم الكلام » التي يدركها العقل من قبيل الحُسْن المتفق عليه . ولا قائل بذلك . والله أعلم .

ثم مابنى على كلامه ـ من أن (وجود غير الأبدع نقص) ، مردود والتوجيهان المذكوران ـ سابقاً ـ باطلان . أمّا قوله : (إن غير الأبدع ناقص في نظر العقل لأنه خلاف ماتقتضيه الحكمة) فمردود بأنه لاتقبيح في أفعاله تعالى ولا في أحكامه ؛ وحكمتُه تعالى لانهاية لها ؛ وما يعلمه الحادث منها كلا شيء ؟ وحينئذ فلا يسعه أن يقول هذا على خلاف ماتقتضيه الحكمة ؛ فإن هذا الحكم منه ، يقتضي أنه أحاط بحكمة الله تعالى ؛ وهو محال . وأما قوله : (إن وجود الأبدع سبق به العلم والمشيئة) . فهو عين المصادرة عن المطلوب وقد سبق بيانها[٢٦] . ومن عجيب ماذكره في هذا الفصل قوله : و « الحنفية » ـ وهم أتباع « أبي منصور الماتريدي »[٢٧] أحد مشايخ أهل السنة ـ من جملة المصرحين بهذا المعنى الذي حققناه

أبو منصور الماتريدي .

---

(٢٦) عند تعليق رقم (١٩) .

(٢٧) أبو منصور الماتريدي (.. ـ ٣٣٣ هـ) : هو الإمام محمد بن محمد بن محمود ، من أئمة « علم الكلام » . نسبته إلى « ماتُريد » ـ محلة في سمرقند ـ ● مات بسمرقند ● من تلامذة الإمام أبي الحسن الأشعري ● من كتبه « التوحيد » و « أوهام المعتزلة » و « الرد على القرامطة » و « مأخذ الشرائع » و « الجدل » و « تأويلات القرآن » وشرح « الفقه الأكبر [المنسوب لأبي حنيفة] » . اهـ من الأعلام بتصرف . قلت : حدثني شيخنا أبو اليسر عابدين رحمه الله تعالى [حين كنا نقرأ عليه هذا المبحث في علم أصول الفقه] بأن الإمام الماتريدي قد توسط في مذهبه بين الأشاعرة والمعتزلة في موضوع الحسن والقبح . فلم يرد العقل مطلقاً ولم يقبله مطلقاً بل على تفصيل حيث قَسَّمَ الحَسَنَ إلى حسن بنفسه وحسن لغيره ، والقبيح أيضاً إلى قبيح بنفسه وقبيح لغيره ... وكل حسن لغيره أو قبيح لغيره هو عقلي ... اهـ . وانظر شروحات أصول المنار ، وكتب الأصول والتوحيد عند الحنفية .

تنبيه هام جداً : أقول : إن الحنفية بريئون من هذا الكلام وهذا الاعتقاد الذي نقله المؤلف عن السيد السمهودي . حيث المُحقَّق في كتب الحنفية خلاف هذا . بل هم مع الأشاعرة في نفي « وجوب الصلاح والأصلح » في حقه سبحانه ، وفي نفي القبح عن أفعاله سبحانه ● راجع في ذلك عقائد النسفي وشروحات الفقه الأكبر والعقيدة الطحاوية ، وبحث التوحيد في الهدية العلائية ● ففي الكلام مغالطة وهي أن « المعتزلة » هم في مذهبهم الفقهي يعتبرون أنفسهم « حنفية » بل من أئمتهم في الاعتزال من له ترجيحات وكُتُبٌ في المذهب الحنفي كالإمام الزاهدي والزمخشري وغيرهم . ● لكنّ المعتمد عند كبار المحققين في مذهب أبي =

في بيان مراد «حجة الإسلام» حيث قالوا [أي المعتزلة من الحنفية] : وعندنا لا يجوز من الله تعالى العفو عن الكافر وتخليده في الجنة ؛ ولا يجوز أن يخلّد المؤمنون في النار ؛ لأن الحكمة تقتضي التفرقة بين « المسيء والمحسن » ؛ وما يكون على خلاف قضية الحكمة يكون سفهاً ، وأنه يستحيل من الله تعالى . قال « السيد السمهودي » ـ رحمه الله تعالى ـ : وهذا عين ما يقوله حجة الإسلام فلم ينفرد من بين أهل السنة بذلك الاستدلال ، ولا بالقول بتعيين الإيجاد على وفق الحكمة إلى ما سبق من التحسين والتقبيح المتفق عليهما . ولدقة هذا المعنى وذهول أكابر الأشاعرة عن تحرير محل النزاع في التحسين والتقبيح العقليين ، لكثرة ما يُشعرون به نفوسهم من : أنه لا حكم للعقل . توقف المنتصرون لحجة الإسلام ، في قوله في « الإحياء » : (وظلماً يناقض العدل) ، بل وربّما توقف بعضهم في قوله : (وبخلاً يناقض الجود) ، ولم أر في كلام أحدهم التعويل على ما فتح الله به عليّ من توجيهه اهـ .

قلت : أما ما ظهر له من تحرير محل النزاع فقد سبق أنه غلط ، ومنشؤه ـ والله تعالى أعلم ـ أنه سمع أن « الحسن والقبح » بمعنى صفة الكمال والنقص ، عقليٌّ متفق عليه ، فظنّ العمومَ في أحكام البشر ، وفي أحكام الربّ ـ سبحانه ـ ، وغفل

= حنيفة ـ كما صرح بذلك « ابن عابدين » في حاشيته الشهيرة على الدرّ ـ أنه لا يؤخذ بأقوالهم فيما رجحوه مما هو مخالف للمذهب بسبب اعتزالهم .

فتنبهْ لذلك يا أخي المسلم فإن هذا الذي ذكرناه هو الحق الذي وقفنا عليه وقرأناه على مشايخنا كسيدي الشيخ العارف « محمد سعيد البرهاني » وسيدي الشيخ « محمد أبو اليسر عابدين » وسيدي الشيخ « عبد الوهاب الحافظ ـ الشهير بدبس وزيت » . ونقل لنا عن سيدي الشيخ « محمد أبو الخير الميداني » وغيرهم من علماء الحنفية بدمشق ـ رحمهم الله تعالى جميعاً وجزاهم عنا كلّ خير ● وكان الأولى بالمؤلف رضي الله عنه أن يقف على الصحيح من مذهب الحنفية أو يشير إليه إذ مذهبهم هو المذهب الأول من مذاهب أهل السنة والجماعة عملاً وانتشاراً وسعة وشمولية . وإمامهم هو الإمام الأعظم أبو حنيفة الذي عقيدته عقيدة السلف وورعه يضرب به المثل وأصول فقهه وفروعه من أوسع الأصول والفروع والمسائل .

أقول : لأجل كل ما سبق ذكره رأيتُ من الضرورة إضافة زيادة شرح على كلام المؤلف بين قوسين [ ] كي يتنبه القارئ إلى صحة المذهب الحنفي برفع المغالطة . وذلك عند قوله : (... حيث قالوا ...) أي بعد سطرين فيما يأتي . وعند قوله : (الوجه الثاني أن قول ...) أي بعد حوالي صحيفتين . وكذا ما بعده . اهـ المحقق .

عن أن ذلك في أحكام البشر خاصة .

الوجه الأول في عدم الصحة .

وأما مانقله عن « الحنفية » وتخريجه كلامَ أبي حامد عليه فلا يصح لوجهين : ـ **أحدهما :** تصريح أبي حامد بخلاف ذلك . قال رضي الله عنه في « الاقتصاد في الاعتقاد » ، في (الدعوى الخامسة) من (المطلب الثالث) : فدعوى أن الله تعالى إذا كلف العباد فأطاعوه لم يجب عليه الثواب ؛ بل إن شاء أثابهم ، وإن شاء عذبهم ، وإن شاء أعدمهم ، ولم يحشرهم ؛ ولا يبالي لو غَفَر لجميع الكفار ، وعذب جميع المؤمنين ؛ ولا يستحيل ذلك في نفسه ، ولا يناقض صفةً من صفات الألوهية . وهذا لأن **التكليف** تصرف منه [سبحانه] في عبيده ومماليكه . وأما **الثواب** ففعلٌ آخر على سبيل الابتداء . فإن قيل : التكليف مع القدرة على الثواب وترك الثواب قبيح ..!! . قلنا : إن عَنَيتم بالقبيح أنه مخالف غرضَ المكلِّف فقد تعالى المكلِّف وتقدس عن الأغراض . وإن عنيتم أنه مخالف غرض المكلَّف ـ يعني بفتح اللام ـ فهو مسلَّم ؛ ولكن ماهو قبيح عند المُكَلَّف لم يمتنع عليه تعالى فعله ؛ إذ كان « القبيح والحسن » عنده وفي حقه بمثابة واحدة ؛ على أنّا إن تنزلنا على فاسد قولهم فلا نسلِّم أن (من يستخدم عبيده يجب عليه في العادة ثواب) ؛ لأن الثواب يكون عوضاً عن العمل ، فتبطل فائدة الرق ؛ وحق العبد أن يخدم مولاه ، لأنه عبد ؛ وإن كان لأجل عوض فليس ذلك خدمة . ومن **العجائب** قولهم : (إنه يجب الشكر على العباد لأنهم عباد ، قضاءً لحق نعمته ، ثم يجب عليه تعالى الثواب على الشكر) . وهو محال ، لأن المستَحَقَّ إذا وُفِّيَ لم يلزم به عوض . **وأفحش** من هذا قولهم : (إن كلّ من كَفَر يجبُ عليه تعالى أن يعاقبه أبداً ، ويخلِّده في النار) . وهذا جهل بالكرم والمروءة ، والعقل ، والعادة ، والشرع ، وجميع الأمور . فإنّا نقول : العادة قاضية ، والعقول مشيرةٌ إلى : أن التجاوزَ والصفح أحسنُ من العقوبة والانتقام ؛ وثناءَ الناس على العافي أكثرُ من ثنائهم على المنتقم ؛ واستحسانهم للعفو أشدّ ، فكيف يُستقبح الإنعام والعفو ويُستحسن طوْل الانتقام ؟! ثُمَّ إنّ هذا في حقّ من آذته الجناية ونَقَصت من قدره المعصية . والله تعالى يستوي في حقّه الطاعة والعصيان ، والكفر والإيمان ، فهما في حقّ ذي الهيبة والجلال سيَّان . ثم كيف يستحسن إن بنينا على قولهم تأبيد العقاب خالداً مخلداً في مقابلة العصيان بكلمة واحدة في لحظة ؟!

ومن انتهى عقله في الاستحسان إلى هذا الحد كانت دار المرضى أليق[٢٨] به من مجامع العلماء . على أنا نقول : لو سلك سالك ضدّ هذا الطريق بعينه لكان أقوم قيلاً ، وأجرى على قانون الاستحسان والاستقباح ، الذي تقضي به الأوهام والخيالات ـ كما سبق ـ ، وهو أن نقول : الإنسان يَقبُح منه أن يُعاقب على جناية سبقت ، وعَسُر تداركها ، إلا بوجهين : (أحدهما) : أن يكون في العقوبة زجرٌ ، ورعاية مصلحة في المستقبل ، فيحسن ذلك خيفةً من فوات غرض في المستقبل . فإن لم يكن فيه مصلحة أصلاً ، فالعقوبة على ماسبق قبيح ؛ وإنما يحسن الأذى لفائدة[٢٩] فيما مضى ، وما مضى فلا تدارك له . فهو في غاية القبح .

(الوجه الثاني) : أن نقول إذا تأذى المجنيّ عليه ، وانتقم واشتد غيظه ، فذلك الغيظ مؤلم ، وشفاء الغيظ مريح من الألم ؛ والألم بالجاني أليق . فهذا أيضاً له وجه ؛ وإن كان دليلاً على نقصان عقل المجنيّ عليه وغلبة الغيظ عليه . فأما إيجاب العقاب حيث لاتتعلق به مصلحة لأحد في علم الله ولا فيه دفع أذى عن المجني عليه . ففي غاية القبح ، فهذا أقوم من قول من يقول : إن ترك العقاب في غاية القبح . والكل باطل ، واتباع لموجب الأوهام التي وقعت بتوهم الأغراض ؛ والله تعالى متقدس عنها . ولكنا أردنا مقابلة الفاسد بالفاسد ، ليتبين بذلك فساد خيالهم . هذا كلام أبي حامد ـ رضي الله عنه ـ نقلته بطوله لحسنه ومزيد تحقيقه . فاعجب غايةً ممن يحمل كلامه على نقيضه . والله أعلم .

الوجه الثاني في عدم الصحة .

الوجه الثاني : أن قول [المعتزلة من] الحنفية : (وعندنا لايجوز العفو إلخ) يقال عليه إذا استحال العفو المذكور ، فاستحالته إما ذاتية وإما عرضية ، ـ أي وجبت بالغير ـ ، فإن قالوا : إنها **ذاتية** ؛ لزمهم أن القدرة لاتتعلق به ، لاستحالته ، ولا بضده ، لوجوبه ؛ وهي لاتتعلق لابواجب ولا بمستحيل . وذلك تعليل يؤدي إلى التعطيل . وإن كانت استحالتُه **عرضيةً** وجبت بالغير ، يُسألون عن هذا الغير ، فإن قالوا : هو ماسبق في العلم ، فيقال لهم : هو لاينافي الجواز في

التعطيل

(٢٨) كذا في ظ ١ وهو الأصوب . وفي بولاق وغيرها : لائقة . وهو تصحيف .

(٢٩) كذا في ظ ١ وهو الأتم معنى . وفي الحلبية وغيرها : لفائدة ولا فائدة وما مضى فلا تدارك .

الحكمة الإلهية

العفو المذكور نظراً لذاته ، وإن قالوا هو ما اقتضته الحكمة فيقال لهم : أولاً : **الحكمة راجعة إلى العلم والقدرة ، ولا نهاية لمتعلقها** ؛ فلا نهاية للحكمة ؛ فهل أحطتم بحكمة الله تعالى ، التي لا نهاية لها ؟! ومحال أن يحيطوا بها !!.. وإن قالوا كما قال الخضر لموسى ـ عليهما السلام ـ : (ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نَقَص هذا العصفور بنقرته من البحر [كما في حديث البخاري ومسلم]) ، فيقال لهم : فالسكوت خير لكم لو كنتم تعلمون . وثانياً : هل انتهى بالرب سبحانه اقتضاء الحكمة إلى القسر والقهر أو لم ينته إلى ذلك ؟ فإن قالوا : بالانتهاء لزم العجز في حقّ الإله ـ سبحانه وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ـ ، وإن قالوا : لم ينته ، وله تعالى أن يفعل خلاف ذلك ، أبطلوا قولهم ، ورجعوا إلى الحقّ الصريح ، والمذهب الصحيح .

ثم اشتغل « السيد السمهودي » ـ رحمه الله ـ بنصر[٣٠] مذهب [المعتزلة من] الحنفيّة في التقبيح ، ووسّع فيه الدائرة ، قاصداً بذلك إدخال أبي حامد في زمرتهم ، لأنهم أهل سنة وجماعة . وكيف يصح أن يوافقهم « أبو حامد » وهو يهدم قولهم ، ويجعل عاليه سافله ؟!! . ولا يخلو حالُ من يقبّح بعقله في أفعال الله تعالى من أحد أمور ثلاثة : **إما** أن يدعيَ الإحاطة بعلم الله تعالى وأسراره في خليقته . وأنّى له بذلك ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٨٥] وقال تعالى : ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [طه:١١٠] . **وإما** أن يلتزم مقالة الخضر لموسى ـ عليهما السلام ـ ، وفي ذلك اعتراف بسوء مذهبه ، وبطلان جرأته في تقبيحه ؛ **وإما** أن يلتزم قياس الحق سبحانه في أفعاله على عباده في محاوراتهم ومخاطباتهم . وهو قياسٌ فاسد ـ كما سبق ـ ● فالقول بالتقبيح في أفعال الله تعالى فاسد ، على كل احتمال ؛ وباطلٌ على كل حال ؛ حتى قال أبو حامد ـ رحمه الله تعالى ـ في « الاقتصاد » : فاستبان أن مآخذهم ـ يعني الذين يقبّحون في أفعال الله تعالى ـ أوهامٌ رسخت فيهم من العادات ، تعارضها أوهامٌ أمثالها ، ولا محيص عنها ، ـ يعني كما سبق له في إحالتهم تعذيب المطيع ؛ وعكسه ـ . وقال أيضاً : وهذا مع وضوحه للعقل ، فلا ينبغي أن يُغفل عنه ؛ لأن إقدام الخلق وإحجامهم في أقوالهم

---

(٣٠) كذا في ظ ١ . قلت : هو الصواب . وفي بولاق وغيرها : بنقص ـ قلت : هو تصحيف يدل عليه السياق .

وعقائدهم وأفعالهم ، تابعٌ لمثل هذه الأوهام ؛ فأما اتباع العقل الصرف فلا يقوى عليه إلا « أولياء الله تعالى » ، الذين أراهم الحقَّ حقاً ، وقوّاهم على اتباعه . وإن أردت أن تجرب هذا في الاعتقادات فأورد على فهم « المعتزليّ العاميّ » مسألة معقولة جليلة ، فإنّه يسارع إلى قبولها . فلو قلتَ : إنه مذهب الأشعري قفر ، وامتنع عن القبول ، وانقلب مكذِّباً ، بعد ماكان مصدقاً ، مهما كان حَسَنَ الظن بالأشعري ، إذ كان قبح ذلك في نفسه منذ الصبا . وكذلك تُقرر أمراً معقولاً عند العاميّ الأشعريّ ، ثم تقول له : إن هذا قول المعتزلي ؛ فينتفي عن قبوله ويعدل إلى التكذيب بعد التصديق . ولست أقول : هذا طبع العوام في أصل التقليد ، بل هو طبع أكثر من رأيته من المتسمين باسم العلم ؛ فإنّهم لم يفارقوا العوام في أصل التقليد بل أضافوا إلى التقليد في المذهب التقليد في أصل الدليل ، فهم في نظرهم لا يطلبون الحقّ ، بل يطلبون طريق الحيلة في نصرة ما اعتقدوه حقاً بالسماع والتقليد ، فإن صادفوا في نظرهم ما يؤيد اعتقادهم قالوا : قد ظفرنا بالدليل ؛ وإن ظهر لهم ما يضعف نظرهم ومذهبهم قالوا : قد عَرَضَت لنا شبهة فَيُضَيِّعون الاعتقاد المتغلب ، بالتقليد أصلاً وينبذون بالشبهة كل من يخالفهم ، وبالدليل كل من يوافقهم . هذا كلام أبي حامد - رضي الله عنه - . وقول [المعتزلة من] الحنفية : إن خلاف ما تقتضيه الحكمة سفه . قال أبو حامد - رضي الله عنه - في « الاقتصاد » : هو خطأ ، فإنّ (« السفه » : فعل ما يتضرر الفاعل به ، وفعل ما لا نفع فيه للفاعل ولا ضرر) ؛ وكل ذلك إنما يصح فيمن يلحقه الضرر ؛ وفيمن تكون أفعاله للأغراض ؛ والربّ تعالى يتنزه عن ذلك . قال [السمهودي] رضي الله عنه : وكذا قولهم (ما لا فائدة فيه عبث ، والعبث على الله تعالى محال) . قال « أبو حامد » : وهذا تلبيس لأن العبث عبارة عن فعل لا فائدة فيه ممن يتعرض للفوائد ، فمن لا يتعرض لها فتسميته عابثاً محال محض ، لا حقيقة له ، يضاهي قول القائل : الجدار غافل - أي خال عن العلم والجهل - وهو باطل ، لأن الغافل يطلق على القابل للعلم والجهل إذا خلا عنهما ؛ فإطلاقه على الذي لا يقبل ذلك مجاز لا أصل له ؛ فكذلك إطلاق العبث على الله - تبارك وتعالى - ، وإطلاق العبث على أفعاله . اهـ كلامه - رضي الله عنه - . وفيه إقناع وبلاغ ؛ وبهذا تعلم ما في قول « السيد السمهودي » : ولدقة هذا المعنى ،

تعريف السفه

وذهول أكابر الأشاعرة عن تحرير محل النزاع : توقف المتصرون لأبي حامد في قوله : (ظلماً يناقض العدل وبخلاً يناقض الجود) . فإنه قد تبين أنه لادقة لذلك المعنى ؛ بل هو باطل : وأنه لاذهول عن تحرير محل النزاع .

☆ ☆ ☆

مَـدح الإمـام الغزالي .

وأمّا توقف المنتصرين لأبي حامد في الظلم والبخل ، فما كان من حقهم أن يتوقفوا ، بل كان الواجب عليهم أن يبادروا إلى رده وإنكاره ، فإنه مردود ببداهة العقول ، ولا يصح أن يتمشى إلا على أصول الفلاسفة والاعتزال : وأبو حامد ـ رضي الله عنه ـ منزه عن ذلك ، وقد أبدى وأعاد وأفاد وأجاد في ردّ محالهم ، وزُخْرُف باطلهم ، حتى عظمت في الإسلام منته : وظهرتْ على العلماء نعمته ، حتى قال « **ابن العربي** » [المالكي] ـ رحمه الله ـ في « العواصم [من القواصم] » بعد أن ذكر الفلاسفة ومذاهبهم المخالفة للإسلام : وقد جاء الله بطائفة عاصمة ، تجردت لهم ، وانتدبت ـ بتسخير الله وتأييده ـ للردّ عليهم ؛ إلا أنهم لم يكلموهم بلغتهم : ولا ردوا عليهم بطريقتهم ، وإنما ردّوا عليهم ، وعلى إخوانهم من المبتدعة ، بما ذكر الله في كتابه ، وعلّمه لنا على لسان رسوله ؛ فلما لم يفهموا تلك الأغراض ، بما استولى على عقولهم ، من صدأ الباطل ؛ وطفقوا يستهزئون من تلك العبارات ويطعنون في تلك الدلالات ، وينسبون قائلها إلى الجهالات ؛ ويضحكون مع أقرانهم في الخلوات . فانتدب للردّ عليهم بلغتهم ، ومكافحتهم بسلاحهم ، والنقض عليهم بأدلتهم **أبو حامد الغزالي** ـ رحمه الله ـ فأجاد فيما أفاد ، وأبدع في ذلك كما أراه الله وأراد ، وبلغ من فضيحتهم المراد ، فأفسد قولهم من قولهم ؛ وذبحهم بمداهم ؛ فكان من جيد ماأتاه ومن أحسن مارواه ، ورآه وأفرد عليهم فيما يختصون به دون مشاركة أهل البدع كتاباً سماه « تهافت الفلاسفة » ظهرت فيه منته ، ووضحت في درج المعارف مرتبته ، وأبدع في استخراج الأدلة من القرآن على رسم الترتيب ، في الوزن الذي شرطوه على قوانين خمسة بديعة ، في كتاب سماه « القسطاس » ماشاء ، وأخذ في معيار العلم عليهم طريق المنطق فزينه بالأمثلة الفقهيّة والكلاميّة ، حتى محا فيه رسم الفلاسفة ، ولم يترك لهم مثالاً ولا ممثلاً ، وأخرجه خالصاً من دسائسهم ، وقد

ابن حـزم وخطؤه .

كان تعرض سخيفٌ من بادية بلدنا يعرف بـ « ابن حزم »[٣١] حين طالع شيئاً من كلام « الكندي »[٣٢] ، إلى أن صنف في « المنطق » فجاء بما يشبه عقله ، ويشاكل قدره . وقد كان أبو حامد ـ رحمه الله ـ تاجاً في هامة الليالي ؛ وعِقداً في لبة المعالي . اهـ الغرض من كلام ابن العربي ـ رحمه الله ـ ● وأما ردّه على المعتزلة وإبانته عن سيّء اعتقادهم ، فقد أبدع فيه في كتاب « الاقتصاد » بل تعرض فيه بالخصوص لإحالة الظلم منه ـ عزّ وجلّ ـ حيث قال : فإن قيل فيؤدي ـ أي إيلام البريء ـ إلى أن يكون ظلماً وقد قال تعالى إنه : ﴿ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران:١٨٢ ـ الأنفال:٥١ ـ الحج:١٠] . قلنا : الظلم منفيٌّ بطريق « السلب المحض » كما تسلب الغفلة عن الجدار ، والعبث عن الريح ؛ فإن الظلم إنما يتصور ممن يمكن أن يصاف[٣٣] فعله لِمِلْكِ غيره ، ولا يتصور ذلك في حقّ الله ـ تعالى ـ . أو [يُتصور ممن] يمكن أن يكون عليه أمرٌ ، فيخالف فعلُه أمرَ غيره ؛ فلا يُتصور من الإنسان أن يكون ظالماً في مِلْك نفسه بكل ما يفعله ، إلا إذا خالف أمر الشرع ، فيكون ظالماً بهذا المعنى . فمن لا يتصور منه أن يتصرف في ملك غيره ، ولا يتصور منه أن يكون تحت أمر غيره كان الظلم مسلوباً عنه . فلتفهم هذه الدقيقة ، فإنها مزلة القدم . فإن فسر الظلم بمعنى سوى ذلك فهو غير مفهوم فلا يتكلم عليه بنفي ولا بإثبات . هذا كلامه ـ رضي الله عنه ـ . وبهذا ونحوه تطيح رسالة السيد السمهودي ـ رحمه الله ـ ، ويظهر لك فساد ماذكره في الظلم والبخل ، ـ المشار إليها

ردُّ الغزالي على المعتزلة .

---

(٣١) ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ) : علي بن أحمد ابن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد ، عالم الأندلس في عصره ولد بقرطبة . صاحب مذهب غير معتبر ● أخذ عليه حطّه على الأئمة ، وانتقاده الشديد الشنيع للعلماء ... فأقصته الملوك ، فرحل إلى بادية « لَبْلَة » (من بلاد الأندلس) وتوفي فيها ● قيل له (٤٠٠) مجلد تشتمل على (٨٠,٠٠٠) ورقة منها « المُحَلّى » و « الإحكام لأصول الأحكام » اهـ من الأعلام . قلت : وقد ردّت عليه العلماء في كثير من كتبه .

(٣٢) الكندي (الفيلسوف) (.. ـ ٢٦٠ هـ) : يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي . فيلسوف العرب والإسلام في عصره . وأحد أبناء الملوك من كنده (قبيلة أصلها من اليمن) ● نشأ في « البصرة » وانتقل إلى « بغداد » ● اشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك ● ألّف وترجم وشرح كتباً أكثر من (٣٠٠) . اهـ من الأعلام .

(٣٣) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : يصادف فعله ملك ...

في العبارة السابقة ـ ، وقد تركت التعرض لذلك لعلمي بركاكته ، وخشية طول الكلام . والله أعلم ● وأما (**الأمر الثالث**) : وهو كون « السيد السمهودي » ـ رضي الله عنه ـ لم يفهم مقاصد « ابن المنير » ـ رحمه الله ـ ، فإني لاأتعرض له لطول الكلام فيه ، إلا أني أقول فيه قولاً مختصراً وهو : أن غالب ماذكره « ابن المنير » صحيح ، حقّ لاشكّ فيه ، وردوداته على عبارة الإحياء مستقيمة لااعوجاج فيها ؛ وأجوبة السيد السمهودي عنها غير تامة ، إلا حرفاً واحداً ، فإني أخالف فيه ابن المنير ، وهو تنقيصه من مقام أبي حامد ، وغضه من مرتبته ؛ فإني لاأوافق على ذلك ، فإنّ أبا حامد إمام الدنيا والدين ، وعالم الإسلام والمسلمين ، والعبارة المنسوبة إليه في الإحياء مدسوسة عليه ، ومكذوبة ؛ فإن كلامه ـ رضي الله عنه ـ في كتبه يردّها من كلّ وجه ، وسترى مافي ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ . والله أعلم .

وصف مقام الغزالي .

☆ ☆ ☆

(**الطائفة الثالثة**) : **وهم الذاهبون إلى عدم نسبة المسألة إلى أبي حامد** رضي الله عنه وتكذيبها ، ومستندهم في ذلك أنهم عرضوها على كلام أبي حامد في كتبه فوجدوها مع كلامه على طرفي النقيض ، والعاقل لايعتقد النقيضين فضلاً عن أبي حامد ـ رضي الله عنه ـ ، فلذلك حكمنا ببطلان نسبة تلك المسألة إليه ـ رضي الله عنه ـ ، ووقع لأبي حامد مايخالفها ، في غير ماعبارة من كلامه ، ولنثبت شيئاً منها فنقول : ● **العبارة الأولى**[٣٤] : ماسبق في « المستصفى » حيث قال : ـ وقولهم : إنه تركهم لينزجروا بأنفسهم ؛ فيستحقوا الثواب ، هَوَس ، لأنه علم أنهم لاينزجرون ؛ فليمنعهم قهراً ؛ فكم من ممنوع من الفواحش لعجز أو عُنّة ، وذلك أحسن من تمكينهم مع العلم ، بأنهم لاينزجرون اهـ . ووجه الشاهد في قوله : وذلك أحسن ـ أي المنع قهراً أو لعجز أو عُنّة ـ أحسن من التمكين . فالتمكين هو الذي كان ؛ والمنع قهراً ونحوه ، هو الذي لم يكن . وقد صرح بأنه أحسن مما كان وأبدع ؛ ففي الإمكان أحسن مما كان ، وإنما ألّف « المستصفى » في آخر عمره ، بعد رجوعه من السياحة والتبتيل ؛ و « الإحياء » ألّفه قبل ذلك ، كما أشار إليه في خطبة

(٣٤) تقدم أيضاً ص ٢٣٩ .

« المستصفى » . وكان تاريخ انقطاعه عن العلم والتدريس ، وهروبه بنفسه ، سنة ثمانية وثمانين وأربعمائة ، في ذي القعدة من السنة المذكورة ؛ وتاريخ رجوعه إلى العلم والتدريس في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وبلغت مدة العزلة إحدى عشرة سنة ، وقد بسط ـ رضي الله عنه ـ أسباب العزلة ، وأسباب الرجوع إلى العلم ، وأطال في ذلك ، وفي أمور تتعلق به ، في كتابه « المنقذ من الضلال » ؛ فليراجعه فيه من أراده . والله تعالى أعلم ● **العبارة الثانية :** قال رضي الله عنه في « الاقتصاد » : وأما هذا الخلق الموجود فالعقلاء كلهم قد تمنوا العدم ، فقال بعضهم : يا ليتني كنت نَسْياً منسيّا[٣٥] ، وقال آخر : يا ليتني لم أكُ شيئاً وقال آخر : يا ليتني كنت تبنة رفعت من الأرض[٣٦] ، وهذا قول الأنبياء والأولياء ، وهم العقلاء ؛ فبعضهم يتمنى عدم الخلق ، وبعضهم يتمنى عدم التكليف بأن يكون جماداً . وليت شعري ! كيف يستجيز العاقل أن يقول للخلق في التكليف فائدة !؟ وإنما الفائدة في نفي الكلفة . والتكليف في نفسه إلزام الكلفة وهو ألَم ، وإن نظر إلى الثواب ، ـ وهو الفائدة ـ كان قادراً على إيصاله إليهم بغير تكليف . فإن قيل : الثواب إذا كان باستحقاق كان ألذّ وأرفع من أن يكون بالامتنان والابتداء !؟ . والجواب : أن الاستعاذة بالله من عقل من ينتهي إلى التكبر على الله ، والترفع من احتمال منته ، وتقدير اللذة في الخروج من نعمته ؛ أولى من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم . وليت شعري ! كيف يُعدُّ من العقلاء من يخطر بباله مثل هذه الوساوس ..!؟ ، فمن يستثقل المقام أبد الأبد في الجنة من غير تقدم تعب بتكليف ، أخس من أن يخاطَبَ ويناظَر . إلى أن قال : فنعوذ بالله من عدم العقل بالكلية ؛ فإنّ هذا الكلام من ذلك النمط ، فينبغي أن يَسترزِقَ اللهَ عقلاً لصاحبه ولا يشتغلَ بمناظرته اهـ . إلى عبارات كثيرة تقدمت من كلام « الاقتصاد » وإلى عبارات أخر منه بقيت ، لم أثبتها مخافة السآمة . والله تعالى أعلم ● **العبارة الثالثة :** قال في

(٣٥) وهو معنى قوله تعالى عن السيدة مريم رضي الله عنها : ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ [مريم ٢٣] .

(٣٦) قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ كما جاء في ترجمته ـ .

عقيدة أهل السنة .

« الإحياء » في كتاب « قواعد العقائد » : خلق الله سبحانه الخلق وأعمالهم وقدّر أرزاقهم وآجالهم ؛ لا يشذّ عن قدرته مقدور ؛ ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ؛ ولا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته . ثم قال : وإنّه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف ، لا عن وجوب ، ومتطول بالإنعام لا عن لزوم ، فله الفضل والإحسان ، والنعمة والامتنان ؛ إذ كان قادراً على أن يصبّ على عباده أنواع العذاب ، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ؛ ولو فعل ذلك كان منه عدلاً ، ولم يكن منه قبحاً ولا ظلماً ، إذ لا يجب عليه فعل ، ولا يتصور منه ظلم ؛ ولا يجب عليه لأحد حقّ . وقال : فإن قيل : مهما قَدَر على إصلاح العباد ثم سَلّطَ عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبحاً لا يليق بالحكمة . فأجاب عنه ، إلى أن قال : فلا يتصور منه تعالى قبح ، كما لا يتصور منه تعالى ظلم ، إذ لا يتصور منه تعالى التصرف في ملك الغير ؛ إلى أن قال : ثم إن (« الحكيم » : معناه العالمُ بحقائق الأشياء ، والقادر على إحكام فعلها ، على وفق إرادته) ؛ وهذا من أين يؤخذ منه رعاية الأصلح ، وإنما الحكيم منّا يراعي الأصلح نظراً لنفسه ، ليستفيد بذلك في الدنيا ثناءً ، وفي الآخرة ثواباً ، أو يدفع عن نفسه ضرراً أو عقاباً . وكل ذلك على الله تعالى محال . إلى عبارات كثيرة وقعت في الإحياء ، فلتراجع فيه . وقد تكفل بجمعها برهان الدين « **البقاعي** » ـ رحمه الله تعالى ـ في رسالته المتقدمة [ص ٢٢٢] ، وأنتَ إذا تأملتها أيقنتَ أنها تُناقض مانسب إليه في المسألة المتكلَّم فيها ، فإنه قضى فيها بأن (ادخار الأبدع مع القدرة عليه ظلم وبخل) ، وقضى هنا بأن (صبّ العذاب والآلام والأوصاب على الخلائق عدل لاظلم فيه) ، والتناقض بينها ظاهر لايخفى ، فإن ادخار الأبدع ـ إذا كان ظلماً ـ يناقض العدل ، كان صبّ العذاب والآلام والأوصاب ظلماً يناقض العدل بالأولى والأحرى ؛ وقد حكم عليه هنا بأنه عدل لاظلم فيه ، ويلزمه أن يكون ادخار الأبدع كذلك بالأولى والأحرى ، فيكون عدلاً لاظلم فيه ؛ وقد صرح في المسألة بأنه ظلم يناقض العدل ؛ فتهافت الكلامان ، وهذا بمكان في الوضوح لايخفى ، ولعلك تقف على رسالة السيد السمهودي ـ رحمه الله ـ المتقدمة ، فتجده فيها يشير إلى الجمع بين المسألة وبعض ماتقدم عن « الإحياء » بجمع ركيك إلى الغاية ، وساقط إلى النهاية . **فليحذره**

الواقف عليه ، فإنه لولا خشية السآمة لبيّنت سقوطه هنا ، لكنّ الحقّ لا يخفى على الفَطِن . والله أعلم . فإن قلت : كيف تكون المسألة مكذوبة عليه وقد وقعت في عدة من كتبه ، ولا سيا في « الأجوبة المسكتة » المتقدمة ، فإنّ ذلك يقتضي أنه وقف - رضي الله عنه - على إشكالها ؛ واشتغل بالجواب عنها ؛ ولو كانت مكذوبة عليه - كما ظننتم - لبادر إلى إنكارها ، وتبرأ من قبحها وعُوارها ؟!! . قلت : لا مانع من أن يقع الكذب عليه مرتين : مرة - في نسبة المسألة إليه ، ومرة - في نسبة الجواب عنها . وقد قال القاضي أبو بكر « الباقلاني » في كتاب « الانتصار » ما معناه : إن وجود مسألة في كتاب ، أو في ألف كتاب ، منسوبة إلى إمام ؛ لا يدل على أنه قالها ، حتى تنقل عنه نقلاً متواتراً ، يستوي فيه الطرفانٌ والواسطة ؛ وذلك مفقود في مسألتنا قطعاً ، فلذلك قطعنا بأنه لم يقلها ، حيث وجدناها ، مخالفة لعقيدة أهل السُّنّة ، ولكلام الغزالي في سائر كتبه . والله أعلم . والحاصل - أنّ ما نسب إليه في المسألة ، إن كان دليله الظلم - المناقض للعدل - فقد نفاه أبو حامد في كلامه السابق ؛ وإن كان دليله البخل ، فقد نفاه أبو حامد في كلام « الاقتصاد » المتقدم ؛ وإن كان دليله أنه يخالف الحكمة ، فقد أبطله أبو حامد في « الإحياء » و « الاقتصاد » وغيرهما ؛ وإن كان دليله « الاستحسان العقلي » ، ومراعاة « الصلاح والأصلح » ، فقد أبطله أبو حامد في « الاقتصاد » و « الإحياء » و « القسطاس » ؛ وإن كان دليله « الاستحسان » - المتفق عليه - الذي عوّل عليه السمهودي - رحمه الله - فقد أبطلناه فيما سبق ؛ وإن كان دليله ما سبق في العلم والمشيئة ، كما عول عليه السمهودي أيضاً - رحمه الله - فقد بينّا فيما سبق [ص ٢٣٥] أنه مصادرة ، وإن كان دليله أن « الناقص لا يصدر عن الكامل » فقد بينّا بطلانه فيما سبق . والله أعلم .

أصل عند المحدثين . الوجادة وصحتها .

☆ ☆ ☆

وإنما طوّلت في هذه المسألة وتعرضت فيها لنقض الأجوبة السابقة ، لأني رأيت أكثر الخلق جاهلين بها ، معتمدين في تصحيحها على صدورها من أبي حامد - رضي الله عنه - . قال أبو حامد - رضي الله عنه - في كتابه « المنقذ من الضلال » : وهذه عادة (ضعفاء العقول يعرفون الحقّ بالرجال لا الرجال بالحقّ) ،

والعاقل يقتدي بقول أمير المؤمنين « عليّ بن أبي طالب » ـ رضي الله عنه ـ حيث قال : (**لا تعرف الحقّ بالرجال ، اعرف الحقّ تعرف أهله**) . فالعاقل يعرف الحقّ ، ثم ينظر في نفس القول ، فإن كان حقاً قَبِلَه ، سواء كان قائله محقاً أو مبطلاً . إلى أن قال : وهذا الطبع هو الغالب على أكثر الخلق ، فمها نسبت الكلام وأسندته إلى قائل ـ حَسُنَ اعتقادُهم فيه ـ قَبِلوه ، وإن كان باطلاً ؛ وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردّوه ، وإن كان حقاً . وأبداً يعرفون الحقّ بالرجال ؛ وذلك غاية الضلال . هذا كلامه ـ رضي الله عنه ـ .

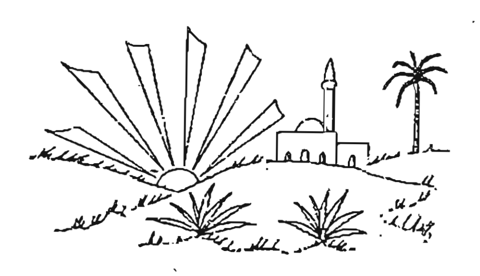
حكمة لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

☆ ☆ ☆

وقد حباني الله ـ تبارك وتعالى ـ من أبي حامد ـ رحمه الله ـ بشيخنا ـ رضي الله عنه ـ ، وذلك أني لما عزمت على ردّ هذه المسألة وإبطالها والإبانة عن سوء مُحالها ، وقّفَ عليّ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ فملأ قلبي بتعظيم أبي حامد ـ رضي الله عنه ـ ، وأجلَّه في عيني ، وعظّمه في نظري ، حتى امتلأ باطني بذلك ، حتى صارت ردوداتي تتوجه إلى المسألة ؛ ولم ينل أبا حامد منها شيءٌ ، بل لم يجر على لساني ـ والحمد لله ـ إلا تعظيمُه واحترامُه . فكان هذا عندي من أعظم بركات الشيخ ـ رضي الله عنه ـ . ومن أكبر اعتنائه بنا ـ حتى بعد الممات ـ فرأيته ـ رضي الله عنه ـ وقد علمت أنه ميت ، وأنا بين النائم واليقظان ـ فما زال يكلمني وأنا أكلمه ، وطال الأمر بيننا ، حتى خرجنا إلى أبي حامد **الغزالي** ـ رحمه الله ـ ؛ فقال رضي الله عنه : إنه **قطب** . وأمرني بتعظيمه جداً ؛ وقال لي ـ رضي الله عنه ـ : إن عليه لباساً ما رأيته ، أو ما دخل به عليّ إلا احتقرت نفسي ، وإنه من الأولياء الكبار . ثم قال لي ـ رضي الله عنه ـ : اسمع لما أقوله لك اليوم . وشبّكَ أصابعه الكريمة في أصابعي ، وقال : هذا عهد النبيّ ـ أو شباك النبي ـ ﷺ ألا هو وليّ كبير . فتكلمتُ معه في شأنه فزادني شباكاً آخر ، على أنه وليّ كبير . ثم قال رضي الله عنه : إن أبا حامد يكون معي ـ أو قال لا يفارقني ـ ، وإنه يسألني كثيراً عن العلوم التي يحتاج إليها يعني في الآخرة . هذا بعض ما في تلك الرؤيا المنامية . فأصبحت ـ والحمد لله ـ وقد دخلتني محبة عظيمة في أبي حامد ـ رحمه الله ـ فلم ينله شيء من

رؤيا في عظيم مقام الإمام الغزالي .

حروشة عبارتنا ، ورزقنا الله حسن الأدب معه ؛ وذلك ببركة الشيخ - رضي الله عنه - ، ولله الحمد التام ، والشكر العام . نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه الحروف التي كتبتها في هذه المسألة خالصة لوجهه الكريم وموجبة لرضوانه العميم . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، و ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾ [الأعراف:٤٣] . وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ ، وعلى آله وصحبه وسلم ، تسليماً كثيراً . والحمد لله رب العالمين .



الباب الثامن

(ملخص)

في خلق آدم عليه السلام وتدريج أمره ، وبيان أن بني آدم هم أفضل الخلائق ، وأن شكل صورتهم هو أفضل الأشكال .

وفيه أربعة عشر بحثاً :

ص

إجمال

● مدةُ خلق آدم من الطينية إلى الجسمية : هي ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان . ● رَفْعُه إلى الجنة ، ونفخ الروح فيه ، وخلق حواء منه . ● حَمْل حواء ووضعها في الأرض بعد ثلاثة أشهر ثم حملت ووضعت لتسعة أشهر . ٢٥٧

تفصيل

١،٢،٣ـ **طينة آدم** عليه السلام من جميع المعادن ، وجَمَعَ الملائكة لها مقدار ما يعمر من الأرض مساحة ميل . ٢٥٧ ـ ٢٥٨

٤،٥،٦ـ الحكمة في **خلق آدم في عشرة أيام** وجعله من طين . الماء الذي بُلّتْ به تربته وتركت عشرين يوماً . ٢٥٨ ـ ٢٥٩

٧ـ **الجنة التي نقل إليها آدم** هي دار السلام (الجنة الأولى) ثم الحكمة في ذلك . ٢٦٠



الباب الثامن

في

ذكر ما سمعنا منه رضي الله عنه في (خلق أبينا آدم وتدريج أمره على نبينا وعليه الصلاة والسلام) (وبيان أن خليقة بني آدم هي أفضل الخلائق وأن شكل صورتهم هو أفضل الأشكال)

[مجمل الموضوع]

فسمعته - رضي الله عنه - يقول : إن الله تعالى لما أراد خلق آدم - عليه السلام - جمع تربته في عشرة أيام ؛ وتركها في الماء عشرين يوماً ؛ وصوّره في أربعين يوماً ؛ وتركه عشرين يوماً بعد التصوير ؛ حتى انتقل من الطينيّة إلى الجسميّة ؛ فمجموع ذلك ثلاثة أشهر ، وهي رجب وشعبان ورمضان . ثم رفعه الله إلى الجنّة ، ونفخ فيه من روحه ، وهو في الجنة ؛ وخلقت منه حواء وهو في الجنة ؛ فكان خَلقُها في الجنة ، ولما تم لها شهران في الجنة ، ركبت فيها الشهوة فواقعها آدم ؛ فحملتْ ووضعتْ حملها - بعد النزول إلى الأرض - لثلاثة أشهر من حملها ومدة مكثها في الجنة تسعة أشهر ، ثم حملت في الأرض بعد ذلك ، فوضعت حملها لتسعة أشهر ، فاستمرّ ذلك إلى اليوم .

مدة خلق آدم عليه السلام .

خلق حواء

حملها

[تفصيل الموضوع]

[س ١] فقلت : وما التربة التي خلق منها آدم ؟ [ج] فقال رضي الله عنه : تربة جميع المعادن ؛ معدن الذهب ، ومعدن الفضة ، ومعدن النحاس ، وسائر المعادن ، فأُخذَت تربته من كل معدن وجُمع ذلك في محل ، وخلق منه آدم [عليه السلام] .

طينة آدم عليه السلام .

[س ٢] فقلت : ومن الذي جَمَع ذلك ؟ [ج] فقال رضي الله عنه :

الملائكة ، ومن شاء الله . وأكثرهم حملاً سيدنا **جبريل** عليه السلام ؛ لأن الله وعده أن مخلوقاً من التراب لأعزّ عند الله منه ، يكون جبريلُ عشيراً له ، ومرافقاً معه ، وينال منه بركةً عظيمة ؛ وهو سيد الوجود [محمد] ﷺ ؛ فكان جبريل يجمع التراب ، وهو يظنّ أنّه لذلك المخلوق الذي وُعد به .

مقدار طينة آدم عليه السلام .

[**س ٣**] فقلت : وما مقدار ذلك التراب ؟ [**ج**] فقال رضي الله عنه : مقدارُ ما يَعمر من الأرض مقدار ميل[1] أو أقلّ منه . يعني : أنهم جمعوا تراباً كثيراً مقدار مساحة ما سبق .

حكمة خلق آدم في عشرة أيام وجعله من تراب .

[**س ٤**] فقلت : فَلِمَ احتاجوا في جمعه إلى عشرة أيام ، والله تعالى قادر على جمعه في لحظة ؟. [**ج**] فقال ـ رضي الله عنه ـ : والله تعالى قادر على خلق السموات والأرضين في لحظة ؛ فَلِمَ جعل خلقهن في ستة أيام ؟! وقادر على خلق آدم من غير تراب ؛ فلِمَ جعله من تراب ؟ ولكنه تعالى يخلق بعض الأشياء ، ويرتب خلقها في أيام ويجريه شيئاً فشيئاً ؛ لأنه يحصل من ذلك توحيدٌ عظيم للملأ الأعلى ؛ لأن في تَنَقُّل ذلك الحادث من طور إلى طور ، ومن حالة إلى حالة ، وظهور أمره شيئاً فشيئاً ؛ ما لا يُكَيَّف من جمع هِمَم **الملأ الأعلى** ؛ إلى الالتفاتات إليه بالتعجب في أمر الله في ذلك الحادث والتفكر في شأنه ؛ وكيف يخلقه ؛ وماذا يكون منه ؛ وإلى أي شيء يصير ؟ فهم يرتقبون الحالةَ التي يخرج عليها ؛ فإذا حصلت حصل لهم من التوحيد ما لا يُكيف ولا يحصى . وفي زمن[2] الارتقاب يحصل لهم من العلم بالله تعالى ؛ والاطلاع على باهر قدرته ، وسريانها في المقدورات ، شيءٌ عظيم ؛ فلا يفوتهم شيء من أسرارها في ذلك المخلوق ؛ فيحصل لهم فيه التفهيم التام ، فالتدريج لهذه الحكمة ، **ولحكمة أخرى** وهي ، أنه بهذا التدريج ، وانتظار خروج الحادث ، والتشوّقِ إليه ، توجدُ مخلوقات أخر ؛ مثلُ هذا الحادث أو أعظمَ . فللّه تعالى في كل شيء أسرار وحكم ...!

---

(١) تقدم ٣٧١/١ : **الميل** = سير نصف ساعة = ٤٠٠٠ خطوة . **الخطوة** = ١,٥ ذراعاً عاميّاً = ١ ذراعاً هاشمياً .

(٢) في ظ ١ : زمان .

ماء طينة آدم عليه السلام .

[س ٥] فقلت : وما هذا الماء الذي جعلتْ فيه تربته وتركتْ فيه عشرين يوماً ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : ماء خاص ، فيه نفع لذات آدم وذريتهِ ، وإنما كان فيه ذلك النفع ، لأنه ماءُ الأرض التي ينسب إليها على الحقيقة ، فيشاكل الذاتَ المذكورة ويناسبها .

[س ٦] فقلت : وهل هو من أصل الأرض ، أم كيف الحال فيه ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : ليس هو من أصل الأرضْ ، ولكنْ حَصَلَ له مرور على غالب أجزاء الأرض ؛ وذلك أن (**المياه المارة على الأرض ، منها مايمر على بعضها ، فلا يأخذ إلا سرّ ذلك البعض ، ومنها مايمر على غالب أجزائها أو كلها ؛ فيأخذ سرّها**) . وهذا الماء عين من العيون الخارجة من الأرض ، الجائية من **أرض الشام** ، فهناك جُمعت تربتُه عليه الصلاة والسلام في غَورٍ من الأرض ، مساحته ماقلناه ـ فيا سبق ؛ وبلّت تربته بهذا الماء ؛ لأنه يَستمد من المياه التي في أطراف الأرض ، فتراه ماشياً في تخوم الأرض ، خارقاً لأجزائها ؛ حتى ينتهي إلى تلك العين ؛ ويأتيَ إليها من جميع النواحي . والعين باقية إلى الآن ؛ وفيها من الموافقة للذات ، ما لا يوجد في غيرها من المياه التي على ظهر الأرض ● قال : فـ (**سبقي ذلك التراب في الماء**) المدة السابقة ـ يعني : (**عشرين يوماً**) ؛ وعند ذلك ابتدأ التصوير في آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو في جوف ذلك الطين ، فبقي التصوير يدخله شيئاً فشيئاً ، إلى أن (**كَمُل**) ذلك (**في أربعين يوماً**) ؛ وهوَ في جوف الطين ، لا يُرى منه شيء ؛ وبعد ذلك (**أراد الله تعالى نقله من الطينية إلى جسم بني آدم**) فظهر في أصابعه شبهُ القَرحة حتى ملأتها ، ثم انفجرت وجَمدت مادتها على الأصبع ، (**فرجع أبيضَ مثل الجُمّار**)[٣] ؛ ثم سرى ذلك فيه عضواً عضواً ، وجزءاً جزءاً ؛ إلى أن صار كله مثل الجُمّار في الصفاء والرطوبة ، أو مثلَ عجين ناصع أُخذ دقيقه من خالص القمح ؛

(٣) الجُمّار : ـ بالضم والتشديد ـ شحم النخل « أي قلب النخل » ـ أو لبّ النبات . اهـ مختار الصحاح والمعجم الوسيط .

فصوّر من ذلك صورةَ آدم ، (**ثم دخلته الدموية**) **شيئاً فشيئاً** ؛ و (**انفلق عنه الطين**) ، وحصل فيه يبس [بفتح الياء أو ضمها ثم سكون] فـ (**صارت الريح تهب عليه**) ؛ واليُبْس يظهر في أجزائه ؛ فـ (**تكوّنت العظام**) ـ بإذن الله ـ ؛ فلما (**تكاملت خلقته في عشرين يوماً**) . وأراد الله (**نفخ الروح فيه ، نقله إلى الجنة**) ورفعه إليها .

جنة آدم عليه السلام وهي دار السلام.

[**س ٧**] فقلت : أيّة جنة هي ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : الجنة الأولى [**دار السلام**][٤] . **فلما حلّ فيها دخلت فيه الروح** ؛ فدخل فيه العقل والعلم ، وحصّلت له المعرفة بالله ـ عزّ وجلّ ؛ فـ (**أراد أن يقوم فارتعدَ ، فسقَط**) ، ثم أراد أن يقوم فحصل له مثلَ ذلكَ أيضاً ، مثلَ مايحصل للصبيان من السقوط إذا أرادوا القيام . ثم إن (**الله تعالى أمده بالمشاهدة**) ـ التي سبق ذكرها في الأسماء[٥] ، وهو واقف على رِجل ، معتمد برُكبته الأخرى على الأرض ؛ فـ (**لما حصلت تلك المشاهدة قال : الله الله الله ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ فأمده الله تعالى بالقوة فاستقلَّ قائماً**) ، وجعل يمشي في الجنة ويروح حيث شاء ، ثم (**ألقى الله عليه وجعاً في ضلعه فحصل فيه مثل الدُمَّل العظيم حتى خرج منه قدرُ رأس إنسان ، فبقي فيه إلى أن انفجر عن مثل القُليب ـ بالتصغير ـ فسقط القليب إلى الأرض فنظر إليه آدم ؛ فإذا هو مصور بصورته ؛ فتركه وجعلت روائح الجنة ونفحاتها تمر على ذلك القليب ؛ فنفعه ذلك في سرعة الكِبر ؛ فجعل آدم يتعاهده فيجده يسرع في الكِبر إسراعاً عظيماً ، فجعل يأنس إليه ، ويجلس معه ؛ فألقى الله العقل في ذلك القُليب فجعل يتحدث مع آدم ؛ فلما مر عليهما شهران في الجنة ألقى الله تعالى الشهوة فيهما ، فوقع آدم على حواء**) التي كانت ذلك القُليب السابق **فحملت فوضعت حملها** في المدة السابقة[٦] ● قال رضي الله عنه : وإنما رفع الله آدم إلى الجنة لتَسقى ذاته من أنوارها ؛

خلق السيدة حواء .

---

(٤) كما سيأتي ذكرها ص ٣٣١ .

(٥) ص ١٧١ .

(٦) أي بعد ثلاثة أشهر . ووضعته بعد نزولها إلى الأرض .

حتى لاتنسى ذريتُه العهدَ الذي أخذه عليهم يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وتعظيماً لسيدنا محمد ﷺ . يَعلمُ هذا أرباب البصائر ... !!

الشجرة التي نهى عنها هي شجرة التين .

[س ٨] فقلت : فالشجرة التي نهى الله آدمَ عن الأكل منها ، ماهي ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : هي « **شجرة التين** » ؛ من غير شكٍّ . قال : وإنما نهاه عن الأكل منها لأن تلك الشجرة وأنواعاً غيرها من الأشجار التي في الجنة تسهل بطن كلِّ من أكل منها ؛ فنهاه الله تعالى عن الأكل منها لئلا يَسهل بطنه ، فلا يكونَ من أهل الجنة .

[س] فقلت : فأطعِمَةُ الجنة ، وثمارها ، والنعم التي فيها ، وإن كانت متجسدة فإنها أنوار لاثقل لها ؛ كما جاءت به الأحاديث الكثيرة ؛ وما لاثقل له فلا يَسهل به بطن .

حكمة النهي

[ج] فقال رضي الله عنه : صحيح ماقلتم . ولكن ذوات أهل الجنة إذا دخلوها يوم القيامة أساسها صحيح ، ولها من القوة مالا يخفى ، فليست هي كذات آدم حين دخل الجنة ؛ فإذا نزلت النعم في ذوات أهل الجنة ، أطاقتها للقوة التي فيها ، ولأن الذواتِ حينئذ أنوارٌ مثل النعم فرجعت الأنوار إلى(٧) أصلها ؛ بخلاف ذات آدم حين دخل الجنة ، فإنها ترابية ضعيفة ؛ فلذا لم تُطِق الأكلَ من تلك الشجرة .

[س ٩] فقلت : هذا يقتضي أن ذات آدم في ذلك الوقت لاتطيق الأكل من تلك الشجرة ، ولا من غيرها .

نعم الجنة على قسمين مع حال أهلها .

[ج] فقال رضي الله عنه : **الأشجار** التي في الجنة ، والنعم التي فيها ، على قسمين : ● (**قسم**) : ـ وهو الغالب الكثير ـ إنما هو أنوار لاتشاكل شيئاً من نعم دار الدنيا ، فهي أنوارٌ لاثقل لها أصلاً ؛ وهذا القسم تطيقه ذاتُ آدم ، وهو الذي أمره الله أن يأكل منه ● و (**قسم**) : ـ وهو القليل ـ نعم تشاكل النعم التي في دار

---

(٧) في ظ ١ : فرجعت للأنوار التي أصلها ...

الدنيا ، في النوْع والصفة ، ولها ثقل . وهذا النوع لاتطيقه ذات آدم حين كان في الجنة ، فنهاه الله تعالى عن الأكل منه لئلا يخرج من الجنة ● قال : وإنما انقسم نعيم أهل الجنة إلى هذين القسمين ، لأن الله تعالى علم في سابق علمه أن (لأهل الجنّة حالتين) : ● **(الحالة الأولى)** : - وهي الحالة الغالبة عليهم - ؛ أن لاتخطر الدنيا الفانية في عقولهم ، ولا تخطر على بالهم ، فتغيب هي وأمورها وجميع مافيها من النعم عن عقولهم ؛ وفي هذه الحالة يكرمهم الله تعالى بالقسم الأول ، فيأكلون منه ويشربون ويتنعمون ● و **(الحالة الثانية)** : - وهي النادرة - أن تخطر الدنيا الفانية في عقولهم ، ويستحضرون الأحوال التي كانوا عليها ، فيتمنّونها فيجدونها حاضرة ، وهي : القسم الثاني . و (الحالة الأولى) : أكمل من **جهة « الفكر »** ؛ فإنّهم فيها بمنزلة من هو مع ربه - سبحانه - ؛ فلا يشعر بغيره . وأكملُ من **جهة « النعم »** ؛ لأنها هي النعم التي كانت لهم بحسب الأصالة ، وبحسب ما اقتضاه حال أهل الجنة . وأكمل من **جهة « الدّوام »** لأنها هي الغالبة عليهم . و (الحالة الثانية) : دونها في جميع ذلك . وأما من جهة « الفكر » ، فإنهم بمنزلة الغائبين عن المشاهدة ، فشعروا بأنفسهم ؛ ومن شعورهم بأنفسهم خرجوا إلى التفكر في أمور الدنيا ، حتى تمنوا نعيمها ● قال رضي الله عنه : فلما علم الله أنّ لأهل الجنّة التفاتاً إلى دار الدنيا - في بعض الأحوال - ، خلق في الجنة نِعماً على طبع الجنة ، لاثِقَل لها أصلاً ؛ وخلق فيها - لأجل ذلك الالتفات - نعماً على غير طبع الجنة ، لها ثقل وشَبَه بنعم أهل الدنيا . ولكنهم لما كانت ذواتهم في الجنة أنواراً قوية لم يظهر فيها ثقل . وذات آدم [عليه السلام] لما ضَعُفت عن ذواتهم - حين دخل الجنة - ، ظهر الثقل الذي فيها في ذاته . فإذاً الثقل الذي في « القسم الثاني » لا يظهر إلا في الذات الضعيفة ؛ وليست إلا ذاتَ آدم [عليه السلام] يومئذ .

☆ ☆ ☆

عقل سيدنا آدم

[١٠] قال رضي الله عنه : وكان « **عَقْلُ آدم** » عليه السلام - قبل أن يأكل من الشجرة - متعلقاً بربه ، غافلاً عن مصالح نفسه ؛ ولما أكل منها انعكس الأمر ؛ فتعلق عقلهُ بمصالح ذاته . وسِرُّ ذلك : هو أنه قبل أن يأكل من الشجرة كان أكله

تنعماً وتفكهاً ، لا يجوع معه ولا يظمأ . فَكُفِيَ شأنَ الجوع ، وتدبيرَ المعاش ؛ فكان العقل متعلقاً بربه . فلما أكل من الشجرة وحصل له الإسهال والجوع ، بَعْدَه ، التَفَت العقل إلى الذات ، وقال : إذا فَرَغَتِ البطنُ فأيُّ شيءٍ تَعْمُر به ؟ فجعل يفكّر في تدبير معاشها ؛ فلذلك أنزله الله تعالى إلى دار الكدّ والشقاء .

[١١] ولما علم الله ـ سبحانه ـ منه ذلك ، وأنه سينزل إلى الأرض رتّب له ـ سبحانه ـ أسباب المعاش ، ونَصَب له سُبُلَها قبل أن يهبط من الجنة . وذلك أنه [سبحانه] لما **صوّره من التربة السابقة** ؛ ـ وقد سبق أنها كثيرة ـ **صوّر له من تلك التربة كلّ حيوان يَحتاج إليه في أمر معاشه** ؛ وكان أصل خلقتِها من التربة المذكورة ، فإن الله تعالى لما رفع آدم ظهرت الحيوانات كلها في ذلك الطين على صورة الدود ؛ وخلق من كل نوع عشرةً ؛ خمسةٌ من الذكور ، وخمسة من الإناث ● قال رضي الله عنه : فالسبع والنَمِر والفهد ، ـ حتى عدّ خمسة ـ كلها نوع واحد .

خلق الحيوانات

ثم أرسل الله بعد رفعه مطراً عظيماً ماسُمع بمثله ، **فجاءت السيول من كل مكان** ، وجاءت **معها بالأوحال** الكثيرة ، **فزادت على ذلك الطين** ، فحصل نفع عظيم ومددٌ قويٌ منها للحيوانات ؛ بمنزلة من اتسع عيشه ، وجاءه الخصب ، وكثرت عليه الخيرات ، **فلما نزل آدم بعد تسعة أشهر ، وجد الحيوانات تمشي على وجه الأرض** ؛ وهي تكبر شيئاً فشيئاً ؛ **فأنس بها ، وأعلمه الله أنها سببُ معاشه** ومعاشِ ذريته إلى يوم القيامة ● قال : **وأنبتَ الله** في الموضع الذي كان فيه « رأس آدم » **من الطين النخيلَ والأعنابَ والتينَ والزيتونَ** ؛ فلما نزل آدم بعد تسعة أشهر وفرغ بطنه طلب ما يأكل ، فجعل الله الطعم في تلك الأشجار والنخيل ، فكان أولَ رزق رزقه الله من أسباب المعاش ؛ وحَمَلت تلك الأشجار في هذه المدة القريبة ـ بإذن الله ـ .

خلق الأشجار بأنواعها من الطين الذي كان فيه رأس آدم .

[س] فقلت : فحديث : « **أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمُ النَّخْلَةَ فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ طِينِ آدَمَ** » . صحيح ، أم لا ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : **ليس هو من كلام النبي** ﷺ[8] .

قلت : وكذا قال الحفاظ للحديث ، مثل : ابن حجر والزركشي والسيوطي وغيرهم .

[س] فقلت : وهل خلق الله له من الأشجار غير الأربعة السابقة ؟.

الأشجار في القرآن .

[ج] فقال رضي الله عنه : كل شجر مذكور في القرآن العظيم[☆] ، كالنخيل والأعناب والتين والزيتون والرمان ؛ وكل ماذكر في القرآن باسمه ، فقد خلقه الله من تلك التربة . والله أعلم .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : **إنه ليس في مخلوقات الله كلها أحسن خلقة من بني آدم** ؛ فذواتهم هي أحسن ذوات المخلوقات ، وأفضلها ، وأرفعها ، وأقومها . والعاقل[9] إذا تأمل في التفاصيل التي في (**ذات الآدمي**) ، والتركيب الذي بين أجزائها ، والترتيب الذي بين مفاصلها وعروقها ، والمحاسن التي اشتمل صنع الله عليها ، في ظاهرها وباطنها ، حار وعلم عظمة خالقها ومصورها ـ سبحانه ـ .

ذات الإنسان أفضل من ذات الملك .

[س ١٢] فقلت : فيم فضلت على (**ذات الملك**) ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : لأنه اجتمع فيه مخلوقات لم تجتمع في ذات المَلَك ؛ وكلُّ مافي (ذات الملك) هو في (ذات الآدميّ) وزيادة ؛ فإن (ذات المَلَك) من نور ؛ وركّب في ذلك النور عقل . هذا مافي ذات الملَك لاغير . و (ذات الآدميّ) فيها ذلك النور ، وفيها العقل ، وفيها الروح ، وفيها ألوان من تراب ، ونار وريح وماء ، في كلّ واحد منها سرّ من الأسرار ، قدّره الله ـ عزّ وجلّ ـ ؛ فاجتماعها في ذاتٍ واحدة تُقَوّي الأسرارَ في تلك الذات .

وبالجملة ـ فـ (ذات الآدمي) فيها عدّة مخلوقات ؛ وذات غيره ليست

---

(٨) تقدم أيضاً : ١١٣/١ .

(☆) كذا في ظ ١ ـ وهو الصواب ـ . وفي بولاق والحلبية وغيرها : كل شجرة مذكورة في القرآن باسمه كالنخيل ... ـ قلت : هو تصحيف بيّن ـ .

(٩) وفي بولاق : والعقل .

ذات الآدمي أقوى الذوات

كـذلـك . فكانت ذات الآدمي أقوى الـذوات ؛ ولهـذا كانت تطيـق من الأسرار مالاتطيقه ذات الملك . ولهذا صوّر نبيّنا ومولانا محمد ﷺ عليها : فـ (**إنـه ﷺ أقوى المخلوقات في تحمل الأسرار الربّانية**) . فلو كانت هنـاك ذاتٌ أقوى من ذات الآدميّ ، لصوّر سيّد الوجود ﷺ عليها . **قلت** : وما ذكره - رضي الله عنـه - من كون ذات الآدمي أقوى الذوات وأحسنها ، أشار إليه « الإمـام القشيري »[10] في « التحبير في شرح أسماء الله الحسنى » . فانظره ؛ فإنّ كلام شيخنا - رضي الله عنـه - أبسـط منـه ، وإنما كتبتُ منـه بعض البعض ، والكثيرُ بقي في لســانــه - رضي الله عنه - . ثم قال - رضي الله عنه - : ومع كون ذات الآدميّ أحسن الذوات فقـد جرى في سابق علمه - جلّ وعلا - أن جعل طائفة منها إلى **الجنّة** ، وطائفة إلى **النار**[11] ، وذلك بسبب حَجْب بصائرهم عنه تعالى ؛ فإنه (أولاً) جعل في تلك الـذات **الروحَ** وسرَّهـا - الـذي هـو **العقـل - ومعرفـةَ الله** تعـالى ، **ونـورَ الإيمـان** بـه ، مـع **المشاهدة** ؛ ورَفْعَ **الحجاب** - جل وعلا - بينه وبينها ؛ فحصلت لها المعرفة بخالقها على الوجه الأكمل . [(وثانياً)] فلما أراد الله تعالى إنفاذ الوعيـد ، وضع **الحجاب** على تلك الذات ، فزالت المشاهدة التي كانت لها ، ووقعت لها القطيعة . ويـا ليتها حيث وقعت لهـا القطيعـة لم تتعلق بشيء ..! فـإنّ ذلـك خيرٌ لهـا مما وقعت فيـه ؛ وذلك أنها نظرت إلى خيط « **نور العقل** » - الذي بقي فيها - فتعلقت بـه وجعلتـه عُمدَتَها وسَنَدها في كل شيء ، فزادها ذلك قطيعة ، لأنها نظرت إليه على أنّه منهـا ، وناشئٌ عنها ، وراجع في جميع الأمور[12] إليهـا ؛ فزادهـا استقلالاً بنفسهـا وانقطـاعـاً عن الله - عز وجل - . ولو أنها نَظَرَت إليـه [أي نور العقل] على أنّـه من الله - عزّ وجلّ - ، وأنـه تعـالى هـو محركُـهُ في كلّ لحظـة ؛ لكان في ذلـك رجـوعُهـا إلى الله

العقل سرالروح

نورالعقل

---

(10) القشيري (٣٧٦ - ٤٦٥) هـ = (٩٨٦ - ١٠٧٢) م : عبـد الكريم بن هـوازن بن عبـد الملـك بن طلحـة النيـسابوري من بني قشير بن كعب . أبو القاسم . زين الإسلام . شيخ خراسان في عصره زهـداً وعلماً ● أقام بنيـسابور . وبها توفي ● كان السلطان « ألب أرسلان » يقدّمه ويكرّمه ● شيخه بالروح : أبو علي الدقّاق ● أصدقاؤه : أبو عبد الرحمن السّلميّ وأبو المعالي الجويني ● بلغت مؤلفاتـه ٣٤ مؤلفاً في فنون متعددة . اهـ من الطبقات الكبرى للشعراني . الأعلام وغيرها .

(11) الحديث الشريف سيأتي سرده كاملاً ص ٣١٦ .

(12) في ظ ١ : أموره إليها .

ـ سبحانه ـ ؛ وحُصلت المشاهدة التي زالت . وبالجملة ـ فحاصل أمرها [أي ذات بني آدم] أنها انقطعت عن قديم ، وتعلّقت في نظرها بحادث [وهو نور العقل] . ولو لم تتعلق بشيء كان خيراً لها .

حكمة بعثة الرسل .

[١٣] **قال** رضي الله عنه : فلما تعلقت بعقلها في تدبيرها ؛ واستندت إليه في أمر معاشها ، ومعاشرتها للخلق ؛ وعَلِمَ الله ـ تعالى ـ أنها لابد أن تنحرف عن الطريق ، أرسل إليها الرسلَ ليردوها إلى طريق معرفته تعالى : فظهر ما(☆) جرى في سابق الأزل : فأجابت طائفةٌ ؛ وكذّبت طائفة . وكان في إجابة الأولى بعضُ الرجوع عن اتباع العقل ؛ وفي تكذيب الثانية غايةُ التعلق بالعقل وتمام اتباعه .

الحجاب هو ظلام من جهنم .

[**س ١٤**] فقلت : وما هو « **الحجاب** » الذي وضع حتى زالت « المشاهدة » ؟ أهو « الدمُ » الذي هو سببٌ في الغفلة ، أم غيره ؟

[**ج**] فقال رضي الله عنه : غيره ؛ وهو ظلام من (ظلام جهنّم) كُسيَت به الذات ، فحجبها عن الحق ومعرفته .

[**س**] فقلت : فما النسبة بينه وبين الدم ؟

الدم يزيد في البعد عن الله سبحانه .

مثال

[**ج**] فقال رضي الله عنه : لانسبة بينهما ، إلا أن « **الدم يزيد في العبد انقطاعاً**(١٣) **عن الله تعالى** » ، **فهو يزيد في الحجاب** . ثم ضرب مثلاً ـ لكون الدم مُبعِداً ـ : (برجل له ولدٌ صغير ، عزيز عليه مثلَ عينيه في المحبة والمعزة ؛ ثم أصابه الضَرّ ـ المعروف بحب البيش ـ حتى كساه في وجهه ، وجميع ذاته ؛ فإن والده يحنّ عليه ، ويهتمّ له ، ويكبر عليه ماأصاب ولدَه ، ولا يفرّ منه ؛ بل يغلب حبّ ولده حتى لا يستقبح ذلك المرض ، فتراه يُقبّل ولده ، ويشمّه مع ذلك المرض . وإنما فعل ذلك لأجل الاتصال الذي بينه وبين الولد . فلو فرضنا الولد بعيداً منه ، أجنبياً

(☆) وفي بولاق وغيرها من الطبعات وكذا في ظ ١ : فظهر فيا جرى ... قلت : والتصحيح من قِبَلِنا نظراً للضرورة ـ .

(١٣) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والحلبية وغيرها : يزيد في البعد عن ...

عنه ، لانسبة بينه وبينه في شيء من الأشياء ؛ بعد[١٤] منه إلى الغاية ، وهَرَب منه إلى النهاية ، وتجافاه[١٤] بالكلية) . قال : فذلك مَثَل الدم في المؤمن والكافر ● ثم قال رضي الله عنه ـ في **الطائفة التي أجابت الرسل** ـ : إنها انقسمت إلى فرقتين : [١] فرقة أجابوا ، ووقفوا مع الإيمان بالغيب ، من غير فتح عليهم ؛ وهم عامّة المؤمنين . [٢] وفرقة أجابوا وترَقَّوا إلى **الفتح** ؛ فمنهم من استمر مفتوحاً عليه ؛ ومنهم من وقف به الفتح . والذين استمر بهم الفتح ، في زيادة دائماً . والذين وقف بهم الفتح في نقصان دائماً ● ثم ضرب مثلاً لوقوف الفتح ونقصانه واستمراره ودوامه : فقال رضي الله عنه : (إنه بمنزلة رجلين فقيرين ، خرجا يطلبان غنياً ، فلمّا رفعا إليه أيديها ، وطلب منه كلٌ واحد درهماً ، فأخذ واحدٌ منهما درهماً ، واستغنى به . والآخر لما أخذه استزاده فزاده موزونَة ؛ فاستزاده فزاده عَشْر موزونات ؛ فاستزاده فزاده ديناراً ذهباً . فإذا فرضنا هذا الغنيَّ كريماً ، وخزائنَهُ لاتنفد ، ولا تغيض ؛ ثم فرضنا هذا السائلَ مستزيداً دائماً ؛ فإن العطيَّةَ لاتقف به أبداً) . وهكذا **حال أولياء الله تعالى ، الذين استمر بهم الفتح ؛ فإنهم في زيادة دائماً ، في كلّ لحظة** ، أبدَ الآبدينَ ، ودهرَ الداهرين ؛ حتى في حال نزول **الموت** بهم ؛ فإنهم رضي الله عنهم **لايحسون به** ، لأن عقولهم وأرواحهم وذواتهم منقطعة عن غيره تعالى ، ومن جملة الغير الموت ؛ فهم لا يشعرون به أصلاً .

طائفة الإجابة فرقتان:
١-عوامّ
٢-خواصّ

موت الأولياء لايشعرون به .

قلت : وهذا قريب من الكلام السابق ، لأن مَنْ قُبض في الباقي ـ سبحانه ـ ، لايموت الموتة المعروفة ، وأن ذلك هو **دواء الموت** . فراجعه فيما سبق[١٥] . والله أعلم .

☆ ☆ ☆

(١٤) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والحلبية وغيرها : نفر منه ..... وتحاماه بالكلية .

(١٥) آخر الباب الثالث (١/٤٨٥) .

الباب التاسع

(ملخص)

الفتح النوراني والظلماني

أقسامها والفرق بينها

المجذوب والأحمق

الفرق بينها



الباب التاسع

في

الفرق بين الفتح النوراني والظلماني

وما يتبع ذلك من تقسيم النوراني إلى : **فتح أهل الكمال وإلى فتح من هو دونه** . وما ينجر إليه الحديث من : **الفرق بين المجذوب والأحمق مع استوائهما في ذهاب العقل عنهما** . وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالمفتوح عليهم .

[١] **اعلم** - وفقني الله وإياك - أنه قد سبق في أثناء هذا الكتاب المبارك أمورٌ كثيرة من أمور « **الفتح** » متفرقة في أبوابه[١] لمناسبة لها مع تلك الأبواب ؛ فلم تمكن إعادتها في هذا الباب خيفة التكرار ، مع كثرتها جداً ؛ فلتراجع في محالّها لاسيا ماكتبناه في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران ٤٢] . مما يشاهده « المفتوح عليه » من الأمور الباطلة الفانية الظلمانيّة ، والأمور الثابتة الباقية النورانيّة ؛ وما في ذلك من التفاصيل . فليراجع[٢] ولا بدّ . وكذلك أيضاً ماكتبناه في مسألة من ادّعى رؤيةَ النبيّ ﷺ يقظة . فإنه نفيس جداً ؛ فراجعه في أول « الباب الخامس » في « السؤالُ الثاني » منه[٣] . وكذا ماكتبناه في مسألة : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[٤] . فإنه متعلق بـ « فتح أهل الكمال » . والغرض الآن : ذِكْرُ مالم يتقدم له ذكر ، مما يتعلق بهذا الباب ، فنقول :

---

(١) ٢٧١/١

(٢) المتقدم ٢٩٦/١ و ٢٩٧ و ٢٩٨

(٣) ٥٤/٢

(٤) المتقدم ١٢٨/١ و ١٣٣

[٢] **سألته** ـ رضي الله عنه ـ : عمّا يذكره « **سقراط وبقراط وأفلاطون وجالينوس** » ، وغيرهم من الحكماء وفلاسفة الكفر ، في « **العالم العلوي** » ؛ مثل كلامهم في « النجوم » وسَيْرها ، وموضع أفلاكها ، وقولهم : إن (القمر في الفلك الأول ، وعطارد في الثاني ، والزهرة في الثالث ، والشمس في الرابع ، والمريخ في الخامس ، والمشتري في السادس ، وزحل في السابع ... إلى غير ذلك) ؛ مما يَحْكُمون به في القِرانات ، وأمورِ تعديل الفلك . من أين لهم ذلك ؟! مع أنه غيبٌ محض ، إذ ليس مما يُدْرك بالحواس ، ولا بأدلة النظر ؛ وهم يستندون في ذلك إلى وحي من الله تعالى لبعض أنبيائه ، وما يحكى في ذلك عن سيدنا إدريس ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ ، لا يفي بتفاصيلِ ماذكروه ، مع أن النسبة إلى سيدنا « إدريس » بَعُدت مسافتها ، والتواتر في طريقها منتفٍ بالضرورة ؛ وخبر الآحاد فيها لا يجدي شيئاً ، إذ هذا الخبر إن كان من « الفلاسفة » فهم أهل كفر[٥] ؛ و « خبر الواحد لا يُقبل إلا من العدل » ؛ وإن كان من غيرهم فهذا الغير لا يُعلم كفره من إيمانه . شرط خبر الآحاد .

[ج] **فقال** رضي الله عنه : إن الله تعالى خلق « الحقّ والنور » ؛ وخلق لهما أهلاً . وخَلَق « الظلام والباطل » وخلق لهما أهلاً ؛ فأهل الظلام يُفتح لهم في الظلام ومَعرفته ، وجميعِ مايتعلق به ؛ وأهلُ الحق يُفتح لهم في الحق ومعرفته وجميع مايتعلق به . **والحقّ** : هو الإيمان بالله تعالى ، والإقرارُ بربوبيته ، والتصديق بأنه يخلق مايشاء ويختار ؛ مع الإيمان بالأنبياء والملائكة وجميع مايتعلق برضاه تعريف

(٥) أي في غالبهم كفرة وهم الطبائعيون القائلون بقدم العالَم الباحثون في ذات الله سبحانه . قال ابن عابدين في حاشيته على الدر ٣٠/١ ، ٣١ ماملخصه : الفلسفة : أربعة أجزاء : ● (١) الهندسة والحساب . وهما مباحان ● (٢) المنطق : وهو بحث عن الدليل والحدّ وشروطهما ويدخلان في علم الكلام . ويكون (حراماً) وهو منطق الفلاسفة في استدلالهم على مذاهبهم الباطلة . ويكون (مباحاً مفيداً) وهو منطق الإسلاميّين ؛ الذي مقدماته قواعد إسلامية ، وقد سماه الغزالي « معيار العلوم » ● (٣) الإلهيات : وهو بحث عن ذات الله تعالى وصفاته . انفردوا فيه بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة ● (٤) الطبيعيات : وهو علم يبحث عن أحوال الجسم المحسوس من حيث هو معرض للتغيُّر في الأحوال والثبات فيها ... وبعض الطبيعيات مخالف للشرع وغالبها لافائدة فيه . ـ وفي فتاوى ابن حجر ـ : ماكان منه على طريقة الفلاسفة فهو حرام لأنه يؤدي إلى مفاسد ... اهـ . قلت : وبعض الفلاسفة رجعوا عن معتقدهم المكفر مثل : ابن سينا وابن رشد . كما ذكر الغزالي وغيره .

ـ سبحانه ـ . **والظلام** : هو الكفر ، وكلُّ قاطع عن الله سبحانه ؛ ومنه الدنيا والأمورُ الفانية ، والحوادث التي تكون فيها . وكفاك دليلاً على ذلك لَعْنُ النبيّ ﷺ لها ، حيث يقول : « الدُّنيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَافِيهَا إلاّ ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالاَهُ [وعَالِماً ومُتَعَلِّماً] »[٦] . وأن **الحقّ** نورٌ من أنوار الله سبحانه وتعالى ؛ تُسقى به ذواتُ أهلِ الحقّ ؛ فتتشعشع أنوار المعارف في ذواتهم . وأن **الباطل** ظلامٌ تُسقى به ذوات « أهل الباطل » ؛ فتَسْوَدّ عقولُهم ، وتَعمى أبصارهم عن الحقّ ، وتُصمّ آذانُهم عن سماعه ؛ بل لا يقع في عقولهم ولا يخطر ببالهم ، وإنما الحقّ عندهم بمنزلة شيء في طيّ العدم ، لم يُسمع به قطّ ؛ فغفلتُهم عن الحقّ كغفلة ذوي العقول عن مثل هذا الذي هو في طيّ العدم على الصفة السابقة . ولذلك يُفتح على أهل الباطل في مشاهدة هذا العالَم ، سمائه وأرضه ؛ ولا يشاهدون فيه إلا الأمور الفانية المتعلقة بالأجرام الحادثة وهيآتها ؛ مثلَ مايذكرونه في « أحكام النجوم » ، مثل : النجمُ الفلاني موضعه في الفلك كذا ، وأنه إذا قارنه نجم كذا ، كان كذا وكذا ؛ ومثل : (نسبة) لغة **العرب** إلى برج العقرب ، ولغة **العجم** إلى المريخ ؛ وغير ذلك .

وأما **قبر النبيّ** ﷺ والنورُ المستمد منه إلى **قبة البرزخ** ؛ وذواتُ **الأولياء** العارفين بالله تعالى ؛ **وأرواحُ المؤمنين** الكائنة بأفنية القُبور ، **والحفظةُ** الكرام الكاتبين ، **والملائكةُ** الذين يتعاقبون فينا . وغيرُ ذلك من أسرار الحقّ الموصلة إلى الله تعالى ، التي وضعها في أرضه ؛ فلا يُفتح لهم في معرفتها ، ولا تقع في عقولهم أبداً ؛ لأن الله تعالى سقاهم بالظلام ، وقطعهم عن معرفته بالكلية . حتى إن المُبطل المذكور ، لو نظر إلى لوح مكتوب فيه كلامُ الله عزّ وجلّ ، ـ الذي هو نورٌ ، وشفاءٌ لما في الصدور ـ ، لشاهد ببصيرته ـ المكسوفة المقطوعة ـ ، جرم اللوح دون حروف القرآن العزيز المكتوبة ، وكذلك لا يشاهدُ « **أهلُ الظلام** » شيئاً من أسرار الحقّ ـ سبحانه ـ التي وضعها في سمائه ، ولا يشاهدون شيئاً من الملائكة ، ولا يسمعون تسبيحهم ، ولا يشاهدون الجنّة ولا القلم ولا اللوح ولا أنوارَ الحروف الخارجة من القلم ، وكذلك لا يعرفون الحق ـ سبحانه ـ الذي هو خالقهم .

---

(٦) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة والطبراني في الأوسط عن ابن مسعود .

و (بالجملة) ؛ فقد حَجَبَهم الحق ـ سبحانه ـ عن نفسه ، وعن كلّ ما يوصِل إليه ؛ وفتح عليهم في غير ذلك ، مما يضرّهم ولا ينفعهم . فأخبار « الفلاسفة » ـ لعنهم الله ـ عن « العالم العلوي » من هذا الوادي ، وكلُّ ما حكموا به في ذلك فهو خطأ ؛ حيث نسبوا ذلك للنجوم ؛ وإنما الفاعل لذلك هو الله تعالى ، الذي هو خالق النجوم ؛ ولذا قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ عز وجل ـ : « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَذلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ؛ وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا ، فَذلِكَ كافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ »(٧) .

فالفلاسفة ـ لعنهم الله ـ حجبهم الحقّ سبحانه عن معرفته ، وعَلّق عقولهم بالكواكب ليشغلهم بها ؛ حتى ينفذَ فيهم الوعيدُ السابق . مع أن الربطَ الذي يذكرونه في أحكام النجوم وإن كان من فعله ـ تبارك وتعالى ـ ، فقد كان منه البعض ، وأخطؤوا في الكثير منه .

[٣ ـ **أنواع الفتح**] وأما **أهل الحقّ** : فلهم فتح في أول الأمر ، وفي ثاني الأمر .

[أ] **أما** (الفتح في أوّل الأمر) : فجميع ما سبق فتحه لأهل الظلام في هذا العالم ، سمائه وأرضه ، فيشاهد(٨) صاحب هذا الفتح الأرضين السبع وما فيهن ؛ والسموات السبع وما فيهن ؛ ويشاهد أفعالَ العباد في دورهم وقصورهم ؛ لا يرى ذلك ببصره ، وإنما يراه ببصيرته ، التي لا يحجبها ستر ، ولا يردّها جدار ؛ وكذا يشاهد الأمور المستقبلة ؛ مثل : ما يقع في شهر كذا ، وسنة كذا . وهؤلاء وأهل الظلام ـ في هذا الفتح ـ على حد سواء . ولذا يقال : « **الكشف أضعف درجات الولاية** » أي لأنه يوجد عند أهل الحقّ ؛ ويوجد عند أهل الباطل ؛ وصاحبه

قاعدة عند العارفين .

---

(٧) رواه البخاري في الأذان والمغازي ، ومسلم في كتاب الإيمان ، وأبو داود في الطب ، ومالك في الموطأ في الاستسقاء .

(٨) في ظ ١ : فشاهدة .

لا يأمن على نفسه من القطيعة ، واللحوقِ بأهلِ الظلام ، حتى يقطع مقامه ويتجاوزه .

[ب] **وأما** (الفتح في ثاني الأمر) : فهو أن يُفتح عليه في مشاهدة أسرار الحقّ التي حُجب عنها أهلُ الظلام ؛ **فيشاهد الأولياء** العارفين بالله - تعالى - ويتكلم معهم ويناجيهم على بُعد المسافة ، مناجاة الجليس لجليسه ؛ وكذا **يشاهد أرواحَ المؤمنين** فوق القبور ، والكرامَ الكاتبين **والملائكة ؛ والبرزخ وأرواح الموتى** التي فيه ، **ويشاهد قبرَ النبي** ﷺ ، وعمودَ النور المُمتد منه إلى قبة البرزخ . **فإذا حصلت له مشاهدة ذات النبيّ** ﷺ **في اليقظة حصل له الأمانُ** من تلاعب الشيطان لاجتماعه مع رحمة الله تعالى وهي : سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ . ثم اجتماعه مع الذات الشريفة سببٌ إلى معرفته بالحق - سبحانه - ، ومشاهدةِ ذاته الأزلية ؛ لأنه يجد الذاتَ الشريفة غائبةً في الحق ؛ هائمةً في مشاهدته - سبحانه - . فلا يزال الوليّ ببركة الذات الشريفة يتعلق بالحقّ - سبحانه - ، ويترقّى في معرفته شيئاً فشيئاً ، إلى أن تقع له المشاهدة وأسرارُ المعرفة وأنوار المحبة . فهذا الفتح الثاني ؛ هو الفاصل بين أهل الحق وأهل الباطل .

الأمان للمفتوح عليه : بمشاهدته ﷺ يقظة .

وأما (الفتح الأول) : فإنه كما يقع لهم يقع لأهل الظلام ؛ فيقع لهم الفتح في مشاهدة الأمور الفانية ، ويتمكنون من التصرف فيها ، فترى المبطل يمشي على البحر ، ويطير في الهواء ، ويرزق من الغيب ، وهو من الكافرين بالله - عزّ وجلّ - ، وذلك أن الله تعالى خلق « **النور** » وخلق منه الملائكة ، وجعلهم أعواناً لأهل النور بالتوفيق والتسديد وخرق العوائد . وكذلك خَلَق « **الظلام** » ، وخلق منه الشياطين ، وجعلهم أعواناً لأهل الباطل ، بالاستدراج والمزيد في الخسران والتمكن من الخوارق .

حكاية يهوذي مع سيدي إبراهيم الخواص .

[أ - ١] **قال** رضي الله عنه : وعلى هذا تُخرّج حكاية اليهودي الذي كان مع إبراهيم الخواص[٩] - رضي الله عنه - في سفينة ، فتعارفا وترافقا في العِشْرة ، فقال له

(٩) **إبراهيم الخواص** (.. - ٢٩١ هـ) : ابن أحمد بن إسماعيل أبو إسحاق . سلك طريق التوكل فكان أوحد وقته . من أقران الجنيد والنوري . له مقامات في السياحة والرياضات .

اليهودي : إن كُنتَ صادقاً في دينك فهذا البحر ؛ فامش عليه ، فأنا ماش عليه ؛ فقام اليهودي يمشي فوق الماء ، فقال إبراهيم الخواص : وَاذُلَّاه إن غلبني اليهودي ثم رمى بنفسه فوق البحر ، فأعانه الله ـ عز وجل ـ ومشى كما مشى اليهودي ؛ ثم إنهما خرجا من البحر ، فقال اليهودي لإبراهيم الخواص : إني أريد منك الصحبة في السفر !؟ فقال إبراهيم : لك ذلك ، فقال اليهودي : بشرط أن لاتدخل المساجد ، لأني لاأحبها ، ولا ندخل الكنائس لأنك لاتحبها ؛ ولا ندخل مدينةً لئلا يقول الناس : اصطحب مسلم ويهودي ؛ ولكن نجول الفيافي والقفار ، ولا نتخذ زاداً ، فقال إبراهيم : لك ذلك . فخرجا إلى الفَلَوات ؛ ثم بقيا ثلاثة أيام لم يذوقا شيئاً ؛ فبينما هما جالسان إذ أقبل كلب يمشي إلى اليهودي وفي فمه ثلاثة أرغفة فطرحها بين يديه وانصرف . قال إبراهيم : فلم يعرض عليّ أن آكل معه ؛ فبقيت جائعاً . ثم إنه أتاني شاب من أحسن الناس شباباً ، وأطيبهم رائحة ، وأحسنهم وجهاً ، وأحلاهم منظراً ، وفي يده طعام ما رؤي مثله ، فطرحه بين يديّ ، وانصرف ؛ فعرضت على اليهوديّ أن يأكل معي ؛ فأبى فأكلتُ ؛ ثم قال اليهودي : يا إبراهيم !! إن ديننا ودينكم على الحق ؛ وكل منهما يوصل وله ثمرة ؛ إلا أن دينكم أرقّ وألطف وأبهى وأحسن . فهل لك أن أدخل[١٠] فيه ؟ قال : فأسلم وكان من جملة أصحابنا المتحققين بالتصوف . هكذا ذكر الحكاية [بنحو منها] أبو نُعَيم ، في الحلية ، في ترجمة إبراهيم الخواص ● فـ (سألت) شيخنا ـ رضي الله عنه ـ عن ذلك فقال : خلا دارُ أبيهم . إنما الشياطين تلعب بهم ، فظنوا أن لعبادتهم ـ على دينهم ـ ثمرةً . ثم ذكر الكلام السابق ، وكيف حالُ أهل الحقّ ، وكيف حالُ أهل الباطل ؟ ولا مطلب للمرء وراءه . والله أعلم .

= ● من أقواله : « من لم يصبر لم يظفر » . سئل عن الورع فقال : (ألاّ يتكلم العبد إلا بالحق غضب أم رضيَ ، ويكون اهتمامه بما يرضي الله تعالى) . (دواء القلب في خمسة : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين) . (آفة المريد ثلاثة : حب الدرهم وحب النساء وحب الرياسة ؛ فيدفع الأول بالورع والثاني بترك الشهوات وترك الشبع والثالث بإثبات الخمول . اهـ ملخصاً)

● مات في جامع الريّ . اهـ طبقات الصوفية ٢٨٥ . الطبقات الكبرى للشعراني ٩٧/١ . الرسالة القشيرية .

(١٠) في ظ ١ : فدخل .

[أ ـ ٢] و (قال) رضي الله عنه : إن **أصل علوم الفلسفة** ـ وما حكوا به في العالم العلوي ، ونحو ذلك ـ ، هو : أن رجلاً كان في زمن سيدنا « إبراهيم » ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ ؛ فآمن به وجعل يَسمعُ منه أموراً تتعلق بالفتح في ملكوت السموات والأرض ؛ ثم لم يزل ذلك دأبَه ، إلى أن وقع له هو أيضاً الفتح ؛ فوقف مع ماشاهد من العالم ، وانقطعَ عن الحق سبحانه ؛ وخسر الدنيا والآخرة ، وجعلَ يفرح بما يُشاهِد في « العالم العلوي » ؛ ويذكر مواضع « النجوم » ويربط بها الأحكام . ورجع عن دين إبراهيم [عليه السلام] ؛ فتلقى[11] ذلك منه من أراد الله خذلانَه . إلى أن بلغ إلى الفلاسفة الملعونين . قال رضي الله عنه : واشتد غضب الله على ذلك الرجل لأنه دَلَّ على غير الله و « **كلٌّ من دل على غير الله فهو من القاطعين عن الله تعالى** » .

حكاية عظيمة في أصل الفلسفة .

أصل

[ب ـ ١] قال رضي الله عنه : إن **فائدة الرسالة** والنبوة خصلةٌ واحدة ، وهي **الدلالة على الله** عز وجل ، والجمعُ عليه ؛ حتى إنا لو فرضنا فَرْضاً مستحيلاً في ذاتٍ أُمرتْ برسالة ونبوّة ، ثم جَعَلت تدل على غيره تعالى ، أو جعلَتْ تجمع الناس على نفسها ، وتقطعهم عن الحق ـ سبحانه ـ ، فإنها تنقلب إلى الوصف السابق في ذلك الرجل . وهذا الفَرَضُ المستحيل ذكرناه على سبيل المبالغة للتنفير من الدلالة على غيره تعالى .

ثم **قال** رضي الله عنه : ـ وكنا نمشي على قنطرة باب الحديد[12] أحدِ أبواب فاس حرسها الله بمَنّه ـ،مافائدة هذه القنطرة ؟ **قلت** : المشي عليها حتى يخلص من المهواة التي تحتها ، فيبلّغ المشيَ عليها إلى مقصوده من الأرض . **قال** رضي الله عنه : ولو ارتفعتْ منها هذه الفائدة ، كانت ضرراً محضاً على الناس . **قلت** : نعم . قال رضي الله عنه : فكذلك **الأنبياء والمرسلون** والملائكة المقربون **وسائر عباد الله** الصالحين ، (**فائدتهم**) : **الدلالةُ على الله** ؛ والجمعُ عليه ؛ ولو ارتفعت منهم هذه الفائدة كانوا على الصفة السابقة في القنطرة . والله أعلم .

---

(١١) في ظ ١ : فبلغ .

(١٢) في ظ ١ : بالجيم . وفي بولاق وغيرها : بالحاء .

[ب ـ ٢] وقال رضي الله عنه : إن **الكاملين من أهل الحقّ** إذا سُئلوا عن مسألة من الحوادث التي ستقع ، لم يتكلموا فيها إلا بالنَّزْر من القول ، لأنه أول أمر شاهدوه ، وقد شاهدوا الحقّ بعده فعلموا بطلانه ؛ فهم يكرهونه ويكرهون الكلام فيه ، « ولأن الدنيا والحوادث الواقعة فيها مبغوضة عند الله تعالى » ، وهم يبغضون ما يبغضه الحق ـ سبحانه ـ ، وأيضاً ، فلا يتكلمون فيها إلا بالنزول عن درجتهم ؛ كمن يَنْزِلُ من الثُّرَيّا إلى الثَّرَى ؛ فإنّ درجة تلك الحوادث هي درجة فتح أهل الظلام . وأيضاً ، فإنهم ـ رضي الله عنهم ـ لا يشاهدون إلا بأنوار الحق ـ سبحانه ـ ؛ و (**نور الحق يرتفع[١٣] فيه الزمان وترتيبه ؛ ولا مُضيّ فيه ، ولا حَال ، ولا مستقبل**) . فأكثر ما يعلم الوليّ بنورِ الحقّ : أن الحادث الفلاني[١٤] واقع لا محالة . وأما أنه يقع يوم كذا فلا يَحصل لهم إلا بالنزول إلى اعتبار الزمان ، وترتيبه ؛ وهو من الظلام عندهم ، بالنسبة إلى نور الحقّ . ومَثَل من يفعل ذلك ، كمثل الشمس ، إذا نزلت من سمائها إلى الأرض ؛ وأخذت مرآةً بين عينيها ، وجعلت تنظر بها .

تَستُّر الأولياء الكاملين بما يُكاشفون .

أصل

خصائص نور الحق .

[س] فقلت : فإن الحق ـ سبحانه ـ يعلم ما سيقع ، وترتيبه ، ويعلم ما في الماضي ، وما في الحال ، وما في المستقبل ؛ والوليّ ينظر بنوره ؛ فينبغي أن يَعلَمَ ما سبق ، من غير نزولٍ إلى درجة الظلام ؟! .

[ج] فقال رضي الله عنه : يعلم الله ذلك ؛ لأنه تعالى أحاط بكل شيء علماً . والربّ تعالى قويٌّ والعبد ضعيف . وعلم العبد قاصر .

[ب ـ ٣] وبالجملة : فـ (**العبد لا يقاس بربه تبارك وتعالى**) ، وقد قال سيدنا الخضر لسيدنا موسى ـ على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام ـ : ما نقص علمي وعلمُكَ من علم الله إلا كما نقصه هذا العصفور بنقرته من البحر !!!

تكلم الولي عما يحدث مستقبلاً هو من التّدني .

قال رضي الله عنه : وقد يتكلم الوليّ بشيء من الحوادث المستقبلة ، فيخبرُ بها

---

(١٣) كذا في بولاق والحلبية وغيرها . وفي ظ ١ : بنور الحق ... يرفع فيه الزمان ...

(١٤) كذا في ظ ١ وهو الصواب . وفي بولاق والحلبية وغيرها : الحادث الفاني . **قلت** : هو تصحيف .

نازلاً عن درجته ؛ وليس ذلك بمعصية ؛ ولكنه قصورُ همةٍ ، وانحطاط عن الدرجة[15] العلية ، وسوءُ أدب ؛ إن قصد إليها مع النبيِّ ﷺ لأن حالته - عليه الصلاة والسلام - لم تكن كذلك . على أن كثرة **الأولياء الكاملين** - رضي الله عنهم - إنما يتكلمون فيها غلبةً بحكم القَدَر وتصريف الحقّ إياهم - سبحانه - على ما يُريد ، إذْ هم - رضي الله عنهم - مظاهر الحقّ ● **قلت** : وأكثر **ضرر الخلق** في معرفة الأولياء ومخالطتهم من هذا الباب ؛ أمّا في **المعرفة** : فإنهم لا يُفرّقون بين فتح أهل الظلام وفتح أهل الحقّ ؛ فيحسبون أن كل ما زاد على علومهم من الكشوفات وخرج عن طوقهم من الخوارق كال وحقّ ، وولاية من الله تعالى لمن ظهر ذلك على يديه . ففريق من الناس يعتقدون ولايةَ من يُكاشف ، ويعتقدون أنه الغاية . وفريق آخر يعتقدون ولاية من استقام في الظاهر ، وداوم[16] على الصيام والقيام ، وإن كان باطنه خالياً من الحقّ متعلقاً بغيره . وأمّا في **المخالطة** : فإن العبد بعد أن يوفقه الله - تعالى - للاجتماع مع وليّ كامل ، قد يكون غرضه من ذلك الوليّ عكس المطلوب من الوليّ ؛ فإن المطلوب من[17] الولي أن يُعرّفَ العبدَ بربه ، ويحذّره من القواطع التي من أعظمها : حبّ الدنيا والميل إلى زخارفها . فإذا جعل العبد يطلب منه قضاء الحوائج والأوطار اليوم على اليوم ، والسَنَة على السَنَة ، ولا يسأله عن ربه ولا كيف يَعْرفه ، مقَتَه الوليّ وأبغضه ؛ فهو السالم [أي ذلك العبد] إن نجا من مصيبة ، تنزل به ؛ وذلك لأمور : ● أحدها : أن محبته للوليّ ليست لله - عز وجل - ، وإنما هي على حرف ، و (**المحبة على حرف** : خسران مبين ، تكون معها الوساويس وتحضرها الشياطين ، ولا ينزل عليها نور الحق أبداً) ● ثانيها : أن الولي يراه في تعلقه بالدنيا في عين القطيعة ، وهو يريد أن ينقذه منها ، والعبد يطلب[18] أن يزيده منها ● ثالثها : أن الوليّ إذا ساعفه في قضاء بعض الأوطار ، وقابله ببعض الكشوفات وقع للعبد المسكين غلط ، فيظن أن هذا

مهمة

قواطع العبد عن ربه .

ضرر الصحبة الفاسدة للأولياء .

(١٥) كذا في ظ ١ وهو الأصوب . وفي بولاق والحلبية وغيرها : الذروة .

(١٦) كذا في ظ ١ وهو الأصوب . وفي بولاق والحلبية وغيرها : ودام .

(١٧) كذا في ظ ١ ولعلها الأوضح . وفي بولاق وغيرها : منه .

(١٨) في ظ ١ : يريد أن ...

هو الذي ينبغي أن يُقصد من الوليّ ● وكل ذلك ضلال ووبال . وقد **سمعت** شيخنا ـ رضي الله عنه ـ يقول : إنما **مثل الوليّ** كمثل رجل عَمَلُه صنعة الفَخّار ، فيه يحرك يده وتعمل جوارحه ؛ ومع ذلك فعنده الخزائن التي يحتاج إليها الناس من طعام وغيره ؛ والخزائن وإن كانت عنده فقلبه مُعْرِضٌ عنها ، لاتقع عنده ببال ، ولا تساوي عنده شيئاً ؛ ولا يُحبُّ الكلام إلا في عمل الفخار وصنعته ؛ ويكره غايةً من يتكلم معه في غيره ، ويبغضه حتى يخاف ذلك المتكلم أن ينالَه ضرر من الرجل المذكور . فإذا جاءه رجلان وقد علما حالته ، وبغضَه للكلام في غير عمل الفخار ؛ وأرادا منه شيئاً من تلك الخزائن . **فالموفق** منهما ، والكيّس : هو الذي يتكلم معه في عمل الفخار ، ويسأله عن صنعته وكيف يعمل ؟ ولا يزال هذا دأبَه ، حتى ينالَه من الرجل محبةٌ عظيمة ، ومودةٌ كبيرة . فإذا سأله بعد ذلك شيئاً من تلك الخزائن مَكَّنه منه ؛ ولا يقع له ضرر . **وغير الموفق** منهما : هو الذي يأتي لذلك الرجل ، ويطلب منه ـ أولاً ـ شيئاً من تلك الخزائن ، ويتكلم معه فيها ؛ فإنه إن سَلِمَ مِن ضرب الرجل له بفخارة على رأسه ، كان هو السعيد ؛ وكان ربحه هو سلامته لاغير . فهذا مثل الوليّ ، لاصنعةَ له ، ولا حرفةَ له ، إلا معرفةُ الحق ، وما يوصل إليه ؛ ولا يحب كلاماً إلا فيه ولا جمعاً إلا عليه ، ولا وصولاً إلا منه ، ولا قرباً إلا إليه ؛ فمن عَرَفه على هذا رَبحَ منه الدنيا والآخرة ؛ ومن عرفه على غير هذا كان على العكس . مثل الولي

و (**سألته**) ـ رضي الله عنه ـ : لِمَ كانت هذه الحوادث من الباطل ، و (هي : أمور ثابتة تشاهد بالعَيان ، وتدرك بالحواسّ) والباطل هو الذي لاأصل له ؟

[**ج**] فقال رضي الله عنه : ـ وقد أشار إلى حائط ـ ، أليس أنّا نشاهد هذا ، وهو يفنى ويزول ، ولا نشاهد ربَّه الذي هو خالقه ، وماسكه بقدرته ؛ وهو الحيّ الدائم الذي لا يفنى ولا يموت ، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ، وهو الخالق لنا ، والمتصرف فينا بما يشاء . فمشاهدة مثل هذا الحائط الذي لاينفع ولا يضرّ ، مع عدم مشاهدة الحق سبحانه ، مشاهدةٌ باطلة . والبطلان فيها نسبيّ ؛ أي : ماشاهدناه

كالعدم بالنسبة إلى مالم نشاهده . وقد سبق [ص ٢٧٥] : أن مشاهدة اللوح دون الحروف المكتوبة فيه ، مشاهدةٌ باطلة . فمن رحمه الله - تعالى - فتح عليه في مشاهدة [أنوار وأسرار] ذاته العليّة ، وصفاته السّنيّة ، وأفعاله الزكية ؛ فتعلق بربه فَحَيِيَ حياة لايشقى بعدها ولا يموت ؛ لأن (**الفاني إذا تعلق بالباقي بقي ببقائه**) - في كلام سبقت الإشارة إليه [٤٨٥/١] - والله أعلم .

و (**سمعته**) - رضي الله عنه - يقول : إن الفتح الأول ، وإن اشترك فيه أهل الظلام ، وأهل الحقّ ؛ لكن المقصود به مختلف . فإن القصد به لـ (أهل الظلام) طردهم عن بابه تعالى ؛ وصدّهم عن سبيله ؛ لأنه تعالى أبغضَهم ، وقطعهم عنه ، وعلق قلوبهم بغيره ، وأمدهم بهذه الخوارق ، إملاءً واستدراجاً ؛ ليحسبوا أنهم على شيء . وأما القصد به إلى (أهل الحق) : فليزدادوا فيه محبة ، وليرقيهم من درجة إلى درجة ؛ وذلك أنه تعالى فتح لهم الباب ، وأزال عنهم الحجاب ، وعلق قلوبهم به ، فأمدَّهم بتلك الخوارق ، لتقوى بصيرتُهم ، وتتأكّدَ معرفتهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٤] .

[ب - ٤] و (**سمعته**) - رضي الله عنه - يقول : إن الصغير قد يكون أقوى من الكبير في مشاهدة هذه الحوادث ؛ وذلك لأن الكبير غائب عنها فيما هو أقوى منها ، وهو : مشاهدةُ الحقّ - سبحانه - ، بخلاف الصغير ؛ فإنّه يقصد إليها لأنها محل مشاهدته ، وإن كانت له مُشاهدةٌ للحقّ سُبحانه ، فهي لاتكون مثلَ **مشاهدة الكبير** . وبالجملة : فـ (الكبير) يقوى في « مشاهدة الحقّ » سبحانه ، ويضعف في « مشاهدة الخلق » . و (الصغير) بالعكس ؛ يقوى في مشاهدة الخلق ، ويضعف في مشاهدة الحق - سبحانه - . وعلى هذا يَتَخرّج[١٩] ما وقع بين سيدنا **الخضر** ، وبين سيدنا موسى - على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام - مما قصه الله تعالى في كتابه العزيز ؛ من أمر السفينة ، والغلام ، والجدار ؛ فإنّ عِلْمَ ذلك إنما غابَ عن سيدنا موسى عليه السلام ، لأنه في مشاهدة ماهو أقوى منه ، - وهو الحقّ سبحانه - ، فقدَّمَ

---

(١٩) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : يخرج .

مثال

عِلم موسى ـ عليه السلام ـ بذلك هو غاية الكمال . **قال** : ومثاله مع الخضر في ذلك كمثل عَبْدَين للْمَلِك ● أما (أحدهما) : فضمّه الملك إلى نفسه ، وجعله جليساً له ، لاشغلَ له إلا الوقوفَ بين يدي الملك ، والنظرُ في وجهه ؛ إذا خرج الملك خرج معه ، وإذا دخل دخل معه ، وإذا أكل أكل معه ، وإذا شرب شرب معه ، وإذا تحدث تحدث معه ● و (العبد الآخر) : مكّنه الملك من التصرف في رعيته . فيخرجُ للرعية ، وينفّذ فيهم أمر المَلِك ؛ ويتحدث معهم في أمورهم ، وما يُصلح أحوالهم ؛ وربما غاب عن الملك الغيبة الطويلة لتنفيذ بعض الأمور ● فلا يُشَكُّ أن العبد الأول أقرب إلى الملك ، وأعرف بأسرار ذاته من الثاني ؛ مع أنه إذا سئل عن شيء من أمور الرعية ، وما يدخل فيها ، وما يخرج ، ولا سيما إن بعدت الرعية من مدينة الملك فإنه لا يعرفه معرفة الثاني به ● وهكذا كانت حال موسى [عليه السلام] مع الله تعالى ، فإنه مثل العبد الأول ، وسيدنا الخضر مثل العبد الثاني ؛ فإن سيدنا موسى [عليه السلام] أكبر منه قَدْراً ـ بلا نزاع ـ لأنه رسول الله وكليمه وصفيه ..!!

الخضر وموسى عليهما السلام .

[مهمات]

[س] فقلت : وهل سيدنا الخضر نبيّ ؟ كما ذهب إليه بعض العلماء حتى قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : ينبغي اعتقاد نبوته لئلا يكون غيرُ النبيّ أعلمَ من النبيّ .. ؟!

الخضر ليس بنبي .

ترجمة الخضر ومقامه .

[ج] فقال رضي الله عنه : ليس بنبيّ ؛ وإنما هو عبد أكرمه الله بمعرفته ، وأمده بالتصرف في رعيته ؛ وأعطاه من تمام التصرّف وكمال المعرفة ما يعطى للغوث من هذه الأمة المحمدية . وأدرك ذلك الخضرُ بلا شيخٍ ، ولا سلوكٍ ، بل أمده الله تعالى بذلك ، ابتداء . فهذه درجته ؛ وهي لا تبلغ مبلغ النبوة ولا الرسالة ، وليس في علم الخضر بما سبق ـ في تلك الأمور ، دون موسى ـ ، ما يوجب أن يكون غيرُ النبيّ أعلمَ من النبيّ ، لما سبق [أعلاه] أن موسى ـ عليه السلام ـ شُغل عن ذلك بمشاهدة الحقّ ، التي لا عِوَض لها ولا مثيلَ ؛ فلا يُحتاج حينئذ إلى اعتقاد نبوته .

[س] فقلت : والذين قالوا بنبوته ، استدلوا بقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَالَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾ [الكهف:٨٢] .

[ج] فقال رضي الله عنه : وكلٌّ غوثٍ وقطب ، وغيرهما من أصحاب التصرّف ، لا يفعلون شيئاً ، ولا يتصرفون في حادث إلا بأمر الله ، وليس ذلك بنبوة ولا رسالة ؛ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ذلك ...!! ثم بيّن ذلك بكلام نفيس تركت كتبه لأنه من الأسرار المكنونة التي لاتكتب . فرضي الله عن شيخنا ماأعرفه بالله ...!

قلت : وهذا الجواب الذي ذكره شيخنا ـ رضي الله عنه ـ في عدم عِلم سيدنا موسى [عليه السلام] بتلك الأمور ، وبيان سرّ ذلك ، من الأسرار والأنوار التي يُغتبط بمعرفتها . وعلى هذا يتخرج حكايات تقع[٢٠] لبعض الكاملين مع مريديهم . فإن **الكامل قد يستفيد من مريده شيئاً مما يقع في العالم** ؛ كـ (قول بعض الأكابر في مريدٍ له : منذ مات فلان غابت عنا أخبار السماء . حتى خلفه مريد آخر ؛ فجعل يخبر بمثل مايخبر به الأول ، فقال ذلك الوليّ الكامل : قد رجع إلينا مافقدناه) . وتركتُ تسميةَ ذلك الكاملِ ومريدَيه لعدم تعلق الغرض بذلك . والله أعلم . حكاية

[**ب ـ ٥**] و (**سمعته**) ـ رضي الله عنه ـ يقول : لكل شيء علامة ، و (**علامة إدراك العبد مشاهدةَ النبي ﷺ في اليقظة**) : أن يشتغل الفكر بهذا النبي ـ الشريف ـ اشتغالاً دائماً بحيث لا يغيب عن الفكر ، ولا تَصْرِفُه عنه الصوارف ، ولا الشواغل ، فتراه يأكل ، وفكره مع النبيّ ﷺ ؛ ويشرب ، وهو كذلك ؛ ويخاصم ، وهو كذلك ؛ وينام ، وهو كذلك .

[س] فقلت : وهل يكون هذا بحيلة وكسب من العبد ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : لا ؛ إذ لو كان بحيلةٍ وكسبٍ من العبد ، لوقعت له الغفلة عنه ، إذا جاء صارف ، أو عرض شاغل ؛ ولكنه أمرٌ من الله تعالى يَحملُ العبدَ عليه ، ويستعملُه فيه . ولا يحسّ العبد مِن نفسه اختياراً فيه ؛ حتى لو كُلِّفَ العبدُ دَفْعَه ، مااستطاع . ولهذا كانت لاتدفعه الشواغل والصوارف . فباطن العبد

(٢٠) في ظ ١ : وقعت .

مع النبي ﷺ ؛ وظاهره مع الناس ؛ يتكلم معهم بلا قصد ، ويأكل بلا قصد ، ويأتي لجميع مايشاهده في ظاهره بلا قصد ؛ لأن العبرة بالقلب ، وهو مع غيرهم . فإذا دام العبد على هذا مدةً ، رزقه الله تعالىٰ مشاهدةَ نبيّه الكريم ورسوله العظيم في اليقظة . **ومدةُ الفكر** تختلف ؛ فمنهم : من تكون له شهراً ، ومنهم : من تكون له أقل ، ومنهم : من تكون له أكثر ● قال رضي الله عنه : ومشاهدة النبيّ ﷺ أمرها جسيم ، وخطبها[٢١] عظيم ؛ فلولا أن الله تعالى يُقوّي العَبْدَ ماأطاقها . ولو فرضنا رجلاً قوياً عظيماً ، اجتمع فيه قوة أربعين رجلاً ؛ كل واحد منهم يأخذ بأُذُن الأسد ، من الشجاعة والبسالة . ثمّ فرضنا النبيّ ﷺ خرج من مكان على هذا الرجل ، لانفلقت كبده ، وذابت ذاته ، وخرجت روحه ؛ وذلك من عظمة سطوته ﷺ ؛ ومع هذه السطوة العظيمة ففي تلك **المشاهدة الشريفة** من اللذة مالا يكيف ولا يحصى ؛ حتى إنها عند أهلها **أفضل من دخول الجنة** ، وذلك لأن مَن دخلَ الجنة لايُرزق جميعَ مافيها من النعم ، بل كل واحد له نعيم خاص[٢٢] ؛ بخلاف مشاهدة النبيّ ﷺ ، فإنه إذا حصلت له المشاهدة المذكورة سقيت ذاته بجميع نعيم أهل الجنة ، فيجد لذةَ كلّ لون ، وحلاوة كلّ نوع ، كما يَجدُ أهلُ الجنة في الجنة ؛ وذلك قليل في حقّ من خُلقت الجنة من نوره ﷺ ، وشَرّفَ وكرّمَ ومجّدَ وعظّمَ ، وعلى آله وصحبه ● (قال رضي الله عنه) : وفي كل مشاهدة يحصل هذا السقيُ ؛ فمَن دامت له دام له هذا السقيُ ● (قلت) : وكنتُ أنظر في شمائل الإمام الترمذي ـ رحمه الله ـ وفي شروحها ؛ فإذا اختلفوا في شيء من لونه ﷺ ، أو طول ذاته ، أو طول شعره ، أو مشيته ، أو غير ذلك من أحواله ﷺ ، ذهبتُ إلى شيخنا ـ رضي الله عنه ـ ، فأسأله عن الواقع من ذلك ، فيجيبني جواب المعاين المشاهد ؛ وقد كتبنا بعض ذلك في آخر الباب الأول [٣١٢/١ ـ ٣١٦] . والله أعلم .

مثال

رؤيته ﷺ أفضل من دخول الجنة .

ومن عجيب أمره ـ رضي الله عنه ـ : أني سألته عن هذه الأمور وهو ـ رضي الله عنه ـ مشتغل بتنقية الأشجار ، وإزالةِ مالا يصلحُ بقاؤه فيها ؛ في صورة

---

(٢١) في ظ ١ : وخطرها .

(٢٢) في ظ ١ : خاص به . وكذا في بولاق .

المعرض عن سؤالي الذي يَرُدُّ باله إلى غيره ، فما أكْمَلُ السؤالَ عن شيء مما سَبق ؛ حتى يجيبَ سريعاً ، من غير تأمل في كلامي ، تحقيقاً لما سبق في قوله : (إن العبرة بالباطن ، وكل مايفعله ظاهراً فهو بلا قصد) . فتنقية الأشجار ونحوها ، كانت منه ـ رضي الله عنه ـ من غير قصد ، وباطنه كان مع الجناب العليّ ؛ ولهذا كان لايتفكر في أمر الجواب . والله أعلم .

حال كامل عند الشيخ الدباغ قدس سرّه .

[ب ـ ٦] **قال** رضي الله عنه : و (**علامة إدراك العبد لمشاهدة [أنوار وأسرار] ربّه** ـ عز وجل ـ) : ● أن يقع في فكره بعدُ مشاهدة النبيّ ﷺ **التعلق بربّه** ؛ بحيث يغيب فكره في ذلك ، مثلَ الغَيبة السابقة في النبيّ ﷺ ● ثم لايزال كذلك ، إلى أن يقع له **الفتح في مشاهدة [أنوار وأسرار] الحقّ** سبحانه ؛ فيقع على ثمرة الفؤاد ونتيجة العُمُر(٢٣) . وإذا كانت ذاته تسقى بجميع أنواع نعيم أهل الجنة عند مشاهدته النبيّ ﷺ ؛ فما ظنّك بما يحصل له عند مشاهدة [أنوار وأسرار] الحقّ ـ سبحانه وتعالى ـ ، الذي هو خالق النبيّ ﷺ ، وخالق الجنّة ، وكلّ شيء !!؟ . قال رضي الله عنه : ● **ثم بعد الفتح** في مشاهدة [أنوار وأسرار] الحقّ ـ سبحانه ـ ، انقسم الناس إلى **قسمين** : [١] فقسم غابوا في مشاهدة [أنوار] الحق ـ سبحانه ـ عما سواه . [٢] وقسم ـ وهم أكمل ـ غابت أرواحهم في مشاهدة [أنوار] الحقّ ـ سبحانه ـ ، وبقيت ذواتهم في مشاهدة النبيّ ﷺ ، فلا مشاهدةُ أرواحهم تغلب مشاهدةَ ذواتهم ؛ ولا مشاهدةُ ذواتهم تغلب مشاهدةَ أرواحهم . قال رضي الله عنه : وإنما كان هذا القسم أكمل لأن مشاهدتَهم في الحقّ ـ سبحانه ـ أكمل مِّن مشاهدة القسم الأول . وإنما كانت مشاهدتُهم في الحقّ ـ سبحانه ـ أكملَ ، لأنهم لم ينقطعوا عن مشاهدة النبيّ ﷺ ، التي هي سبب في الارتقاء في مشاهدة الحقّ ـ سبحانه ـ . فمن زاد في مشاهدته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، زيدَ له في مشاهدة [أسرار] الحقّ ـ سبحانه ـ ، ومن نَقَص منها نُقّص له . قال : ولو كان الاختيار للعبد ، وكان عمره تسعين سنة ، مثلاً ، لاختار في جميع هذه المدة أن لايشاهد إلا النبيّ ﷺ ؛ وقبل موته بيوم يفتح له في مشاهدة

مثال يدل على أن الأصل مشاهدته ﷺ ، ورسوخ القدم بطولها .

---

(٢٣) كذا في ظ ١ وهو الصواب . وفي بولاق وغيرها : نتيجة الفكر .. قلت : هو تصحيف .

[أنوار] الحقّ ـ سبحانه ـ ، فإنه يحصّل له في هذا اليوم ، من الفتح في مشاهدة [أنوار وأسرار] الحقّ ـ سبحانه ـ لأجل رسوخ قدمه في مشاهدة النبيّ ﷺ أكثرَ مما يحصل لمن فُتح له في المشاهدتين معاً في تلك المدة من أولها إلى آخرها . ثم جعل رضي الله عنه مرآة بين عينيه وجعل ينظر في الحروف . فقال : أليس أن الذي يظهر في الحروف وصفائها في النظر يتبع صفاءَ المرآة وحسنَ مائها[٢٤] ؟ فقلت : نعم . فقال رضي الله عنه : فمشاهدة النبيّ ﷺ بمنزلة المرآة ؛ ومشاهدة [أنوار وأسرار] الحقّ سبحانه بمنزلة الحروف . فعلى قدر الصفاء في المشاهدة النبوية يحصل الصفاء ، ويزول الغمام في المشاهدة لـ [أنوار وأسرار] الذات الأزلية . سمعت هذا الكلام منه ـ رضي الله عنه ـ وقد (سأله) بعض فقهاء الأشراف : أيمكن أن يترك الوليّ الصلاة ؟

الولي لايترك الصلاة أبداً .

[ج] فقال رضي الله عنه : **لا يمكن[٢٥] أن يترك الوليّ الصلاة !** وكيف يمكنه ذلك وهو دائماً يُكوى بمِشْهَاتيْن ..!! ، فذاته تكوى بشهاب مشاهدة النبي ﷺ ، وروحه تكوى بشهاب مشاهدة [أنوار وأسرار] الحقّ سبحانه . وكل من المشاهدتين يأمره بالصلاة وغيرها من أسرار الشريعة ● وقال رضي الله عنه مرة أخرى : كيف يترك الوليّ الصلاة ! والخير الذي حصل له في المشاهدتين إنما حصل له بعد سقي ذاته بأسرار ذات النبيّ ﷺ ، وكيف تسقى ذاتٌ بأسرار الذات الشريفة ، ولا تفعل ماتفعله الذات الشريفة . هذا لايكون[٢٦] ...! ● ثم سمعت منه ـ رضي الله عنه ـ في مشاهدة الحق سبحانه ، والنظر بنور الله تعالى ، وارتفاع الزمان في ذلك النظر ، وأنه لا ماضي ولا حال ولا مستقبل ، وكيف مشاهدة [أنوار وأسرار] الذات العلية وصفاته السنية ؟ وكيف تسقى الذات بأنوار الأسماء ؟ وانقسام مراتب الولاية على عدد الأسماء . وفي فتح الروح ... إلى أسرار أخر ؛ مالايحيط به العبارة ، ولا تفيد فيه الإشارة[٢٧] . والله أعلم .

---

(٢٤) في ظ ١ : وحسن صفائها ...

(٢٥) في ظ ١ : معاذ الله أن يترك ...

(٢٦) في ظ ١ : وكيف تسقى الذات ... هذا مالا يكون ..

(٢٧) في ظ ١ : إلى أسرار أخر لاتذكر . والله تعالى أعلم .

[ب ـ ٧] و (سمعته) رضي الله عنه يقول : **إذا أراد الله تعالى رحمة عبده ونقّله من حالة الحُجُب إلى حالة الفتح حصل للأولياء ـ رضي الله عنهم ـ خوف عليه** ، لأنهم لا يدرون هل يموت بالفتح ـ لكونه لا يطيقه ـ أو لا يموت ؟ . وإذا لم يمت ، فهل يسلب عقله ؛ أو يبقى عليه عقله ؟ ومعنى (**سلب العقل**) : أن يذهب العقل مع الأمور العظام التي يشاهدها ، وينقطع عن الذات بالكلية ، بحيث لا يرجع لها . ومعنى (**عدم سلبه**) : أن يذهب شيء من نوره مع ماشاهد ؛ ويبقى شيء منه مع الذات يحفظ عليها أكلها وشربها ، وكيف تلبس ثوبها ؛ وكيف تنظر في مصالحها ● **قال** رضي الله عنه : **ولا يعلم أحدٌ ـ كيف يصير أمر هذا الذي أراد الله رحمته ؟ ـ إلا شيخه** ● **قلت** : ولِمَ يقعُ لذي الفتح الخروجُ عن مركزه حتى يموت أو يزول عقله ؟ **فقال** رضي الله عنه : إذا فُتح على العبد شاهَدَ ما لا يطيق من عالم الملائكة والجنّ والشياطين ، ورأى من الصور الفظيعة ، وسمع من الأصوات الهائلة ، ما تنفلق به كبده ● قال رضي الله عنه : وكم من[٢٨] رجلٍ يكون في حانوته يبيع فيها ، فيفتح الله عليه فيرى ما لا يطيق فيموت من حينه ، فيظن الناس أنه مات فجأة من غير سبب ، وهو إنما مات من الفتح ● وذكر لنا رضي الله عنه مرة : أنه بينما هو يمشي في « سوق العطارين » ـ بفاس ـ فنظر إلى رجل في حانوته يبيع الحناء ، ففتح الله عليه ، فصعق لحينه ومات ؛ فظنّ الناس أنه مات فجأة ، وهو مات على الولاية ● **فقلت** : وأيُّ فرق بين مَن ذهب عقله لأجل الفتح ؛ وبين من ذهب عقله لغير ذلك ؟ . **فقال** رضي الله عنه : أما الذي ذهب عقله لأجل الفتح ، فإنه في الحقيقة لم يذهب له عقل ، وإنما هو غائب في مشاهدة [أنوار وأسرار] الحق ـ سبحانه ـ ، فهو سابح[٢٩] في بحورها دائماً ، إلا أن الله تعالى قطع عقله عن ذاته لحكمة أرادها .

خوف الأولياء على المفتوح عليه .

موت الفجأة قد يكون سببه الفتح .

حكاية واقعة .

المجذوب بسبب الفتح والمجذوب بغيره .

وأما الذي ذهب عقله لغير ذلك ، فسببه : أن الله تعالى إذا أراد هلاك أحد وزوال عقله ـ نسأل الله السلامة ـ قَطعَ روحه عن مشاهدة ذاته العلية ، ساعة أو

(٢٨) كذا في ظ ١ ، وهو الأفصح . وفي بولاق وغيرها : وكم رجل ...

(٢٩) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : سارحٌ .

ساعتين ؛ وجعلها تشاهد أفعالَ الذات التي هي فيها ، فلا تكمل الروح ساعة في مشاهدة تلك الأفعال القبيحة الصادرة من العبد المذنب حتى يحصل لها قبض فيزول العقل بسبب ذلك ، ـ نسأل الله السلامة ـ ؛ فإذا دام ذلك القبض على الروح دام زوال العقل ؛ وإن لم يَدُم القبض ، وحصل للروح بسط وجمال ، ورجعت إلى مشاهدة الذات العلية كما كانت قبل القطع ، رَجعَ العقلُ لصاحبه ● **فقلت** : فإن العقل قد يزول للصغير الذي لم يبلغ ، فكيف تكون أفعاله قبيحة ؟ أم كيف يكون مذنباً ؟ **فقال** رضي الله عنه : أحوال العبد كلها ذنوب عند الروح لأن مشاهدتها وما تعرفه من الحق ـ سبحانه ـ تقتضي أن[30] يكون العبد ساجداً لله دائماً ، ولا يرفع رأسه أبداً ، ولا عندها في ذلك صغير ولا كبير ● قال رضي الله عنه : و « **المفتوح عليه** » إذا جلس إليه شخصان زال عقلها ؛ وأحدهما وليّ ، والآخر غير وليّ ؛ وجعلا يتكلمان ؛ فإنه يُمَيِّز الوليّ منهما لكلامه[31] ، لأنه وإن كان لا يدري ما يقول ، إلا أنه قد تبدو منه أسرار من أسرار الحقّ ـ سبحانه ـ يعرفها أربابها عند سماعها . بخلاف غير الوليّ منهما ، فإنه لا يُسمَع منه شيء من ذلك أبداً ● **ويُمَيِّز الوليَّ** منهما ـ أيضاً ـ بأمر آخر ، وهو : أن يرى **روحه منبسطةً** أبداً ذاتَ فرح وسرور ، ويَرى روحَ الآخر فيه على هيئة الرجل المنقبض ، المنكمش المنكس[32] رأسَه ، الذي يتفكر في أمر نزل به وأغمه وأهمه .

تمييز المفتوح عليه بين الوليّ وغيره .

قال رضي الله عنه : و (**الذين زال عقلهم بغير الفتح في حكم البهائم**) ، إلا أن الله تعالى يرحمهم بدخول جنته ، لأن الصورة الآدمية التي هم عليها تشفع فيهم فكأنهم بهائم ، صُوّروا بصورة بني آدم ؛ فرحمهم الله تعالى بسبب الصورة الكريمة التي صَور عليها أنبياءه ورسلَه وأصفياءَه عليهم الصلاة والسلام ؛ حتى لا يكونوا تراباً مثل البهائم[33] .

---

(30) كذا في بولاق والحلبية وغيرها . وفي ظ ١ : تقضي بأن ...

(31) كذا في بولاق وغيرها . وفي ظ ١ : بكلامه ...

(32) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : المُنكش رأسه ...

(33) قلت : وفيهم ورد الحديث الشريف ـ بما معناه ـ : « البُلْهُ حَشْوُ الجَنَّةِ » . كما ويشتركون ظاهراً ـ مع من زال عقلهم بالفتح ـ في سقوط التكليف لما جاء في القاعدة الشرعية ـ عند الفقهاء ـ « إذا أخذ ما أوهب أسقط =

المجاذيب لهم التصرف زمن الدجّال .

[ب ـ ٨] قال رضي الله عنه : والذين زال عقلهم بالفتح هم من الأولياء الكرام ، إلا أنه لا يكون لهم تصرف مع الأولياء ، ولا يكون منهم غوث ، ولا قطب ، حتى يريد الله ـ تعالى ـ خروجَ الدجال ، فَيجعلَ التصرف في يد هذه الطائفة . ويكون الغوث منهم ؛ فيفسد الحال ويختلّ النظام [كما تقدم في الباب الرابع] . وفي مدة تصرّفهم يخرج الدجال ؛ فإذا انقطع أمره انقطعت دولتهم ؛ ثم لاتعود لهم(٣٤) أبداً.. والله أعلم .

رؤيته ﷺ أفضل من دخول الجنة .

[ب ـ ٩] و (سمعته) رضي الله عنه يقول : سألني الشيخ سيدي « عبد الله البرناوي » : أَتَعْلَمُ شيئاً في الدنيا هو أحسن من دخول الجنة ؛ وشيئاً في الدنيا هو أقبح من دخول جهنم ؟!!

[ج] **فقلت** : أعرفُ ماسألتَ عنه . أما الذي هو أفضل و (**أعز من دخول الجنة**) : **فهو رؤية سيّد الوجود ﷺ في اليقظة** ، فيراه الوليّ اليوم كما رآه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ؛ فهي أفضل من الجنة . وأما الذي هو (أقبح من جهنم) : فهو السلب بعد الفتح . قال رضي الله عنه : فما شعرت بالشيخ سيدي « عبد الله » حتى أكب على رجلي ، وجعل يقبلها تقبيلاً كثيراً ● فقلت له : ماالسبب في هذا التقبيل ؟ فقال : لقد سألتُ عنها نحواً من ثمانين شيخاً فما أجاب فيها واحدٌ نحواً من(٣٥) جوابك . **فقلت** : فإن سيدي « عبد الله » كان يعرف الجواب ؛ وإنما أراد امتحان فطنة من يسأله بهذا السؤال . **فقال** : نعم . كان يعرفه وإنما أراد الاختبار . كما ذكرتَ ● **قلت** : وإنما كانت رؤية سيّد الوجود ﷺ أفضل من الجنة لما سبق بيانُه [ص ٢٨٦] .

السلب أقبح من دخول جهنم .

[س] ثم قلت للشيخ ـ رضي الله عنه ـ ولِمَ كان السَّلْب [بعد الفتح] أقبح من جهنم ؟

= ماأوجب » . وهم جميعاً عند الأصوليين : قاصروا الأهليّة ملحقون حكماً بالصغير والمجنون والمعتوه طالما أن خطأهم أكثر من صوابهم ـ بحسب الظاهر ـ .

(٣٤) كذا في بولاق وغيرها . وفي ظ ١ : إليهم .

(٣٥) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : نحو جوابك .

[ج] فقال رضي الله عنه : ذلك بالنسبة لذي الفتح الدائم ؛ بمعنى أنه يرى[٣٦] السلب المزيل لفتحه الذي هو عليه ، أقبحَ من جهنم ؛ لا بالنسبة للمسلوب بعد السلب ـ والعياذ بالله ـ ، فإنّ قلبه بعد السلب يرجع كالحجر ؛ لا يبصر ولا يعقل شيئاً مما سبق ؛ حتى كأنه لم يشاهد شيئاً أصلاً ؛ وتَجد ذاتُه الخبيثةُ راحةً وخفة من ثقل الفتح عليها . قال رضي الله عنه : وذو الإمارة في الدنيا إذا سُلبها أحسنُ حالاً من هذا المسلوب ـ والعياذ بالله ـ فإنّ ذا الإمارة يجري على فكره جميعُ ما مر عليه من النعم ، فهو يتلذذ ولو بالتذكّر فيها ؛ بخلاف المسلوب ؛ فقد انطمس قلبه ، وانكسفت شمس بصيرته . والله أعلم . »

حكاية ولي من أهل الديوان مع رجل بالعراق .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن سيدي « محمد البنَّا » ـ وكان من أهل طرابلس ـ بقي يطلب من يدله على الله عز وجل أربعة عشر عاماً ؛ وما ترك موضعاً إلا أتاه ؛ فدخل مصر والشام والعراق وقسطنطينية ، وبلاد الهند . وما سمع بولي إلا أتاه فيأتي من هو مشهور في الناس بالولاية مذكور بها فلا يجد عنده شيئاً ، وذلك أنه سمع الحق من أبيه وكان من العارفين ؛ ولَمّا لم يقع له فتح على يده جعل يطلب عارفاً يدله على الله عز وجل ؛ فجعل يطلب على بصيرة ؛ ولا يكترث بشيوع ولا شهرة . فذكر : أنه لقي رجلاً بالعراق وقد اجتمع عليه من الخلائق ما لا يحصى عدده . وكانت له « زاوية » للوارد والصادر ، يطعم فيها كلَّ يوم ما يقرب من مائتي مُدّ من الطعام ، من كثرة الواردين . واتخذ في زاويته خلوة للعبادة والركوع والسجود ؛ بحيث إنه لا يخرج منها إلا في الثلاثة الأيام الأخيرة من الشهر ؛ وأما في السبعة والعشرين يوماً فليس إلا للركوع والسجود . وفي « الخلوة » طاقة يَمُدّ له منها النقيب الطعامَ الذي يأكله . وجعلوا في الخلوة موضعاً للخلاء والطهارة ؛ وأقاموا له أمر الخلوة في كل ما يحتاجه حتى لا يحوجه إلى الخروج ، فيلزم خلوته المدةَ المذكورة ، فإذا تمت ، خرج في الأيام الثلاثة المذكورة فيتكلم مع الواردين في حوائجهم الأسبق فالأسبق ، حتى يفرغ منهم جميعاً ، فإذا تمت الثلاثة الأيام واستهلّ الشهر رجع لخلوته ، فأقام فيها سبعة وعشرين يوماً هذه عادته في

(٣٦) كذا في بولاق وغيرها . وفي ظ ١ : يرى أسباب السلب ...

دهره . فلما سمعت به رحلتُ إليه ، وصبرت حتى خرج ، وتكلم مع من سبقني ؛ فلما بلغتني النوبة قال لي : ماحاجتك ؟ قلت : يا سيدي ! ، أسألك عن مسألتين : إحداهما : تتعلق بالنبي ﷺ ، والأخرى برب العزة سبحانه . فقال : هاتها ، فقلت : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح:١ ـ ٢] . فأثبتت الآية الذنب المتقدم ، والذنب المتأخر ، وصرحت بأن المغفرة تعمها معاً وتشملها جميعاً ، مع أن النبيّ ﷺ معصوم قبل النبوّة وبعدها فلا ذنب له أصلاً ، فكيف يفهم هذا مع الآية الشريفة ؟!! . فـ (قال [الشيخ العراقي المذكور]) : إن الذنوب منها ماهو ثقيل ؛ ومنها ماهو خفيف ، فالثقيل كالزنا وشرب الخمر ونحوهما ، لا يصدر من النبيّ ﷺ . والخفيف مثل الميل إلى بعض نسائه ، وتفضيل بعضهنّ على بعض في القسمة ، ونحو ذلك من الذنوب الخفيفة ، فهي التي تصدر منه ، وهي المتقدمة والمتأخرة المغفورة في الآية ● قال [سيدي محمد البنا] : فعلمت أنه جاهل بمقام النبيّ ﷺ ؛ والعارف لا يكون جاهلاً بشرف النبيّ ﷺ ولا بعصمته من الصغائر والكبائر ؛ وذلك لأن الذنوب لاتصدر إلا من المحجوبين أهلِ الغفلة والظلام ؛ ولا تصدر من العارفين أهلِ القرب والمشاهدة ؛ فكيف بالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ...! . فكيف بسيد الوجود ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ ...! . ثم (قال [سيدي محمد البنا]) : وأما المسألة الثانية فقلتُ : فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد:٤] . فما معنى هذه المعيّة ؟ فقال [الشيخ العراقي] : المراد بهم[٣٧] المؤمنون ؛ والله تعالى في قلوب المؤمنين ، يبتهلون إليه ويذكرونه دائماً ، ويعبدونه . فعلمتُ أنه جاهل بربه عزّ وجلّ ، وأنه من المبطلين ● قال [سيدي محمد البنا] : وذهبتُ لرجل في ناحية الهند ؛ وقد ذُكر لي من عبادته وزهده مايتجاوز الحد . فبلغتُ إليه فوجدتُه كما وصفوا في العبادة والزهد ، حتى إنه بلغ من أمره أن هناك طعاماً يشبه البلوط عندنا ، فيأكل واحدة منه بين الليل والنهار ؛ فيطوي ليله ونهاره ؛ ويتقوت بقدر بلوطة لا زائد ؛ فسألته : عن الله

حكاية بداية وليّ من أهل الديوان مع رجل بالهند .

---

(٣٧) كذا في بولاق وغيرها . وفي ظ ١ : المراد هم المؤمنون .

ـ عز وجل ـ ، فوجدته في غاية الجهل به ، فعلمتُ أنه بَنَى[٣٨] على غير أساس

● قال [سيدي محمد البنا] : وكنت ـ ذات يوم ـ في ساحل بعض البحور ، وذلك البحر مجاور لمدينة من المدن ، وقد جاءت السفن بالسلع ؛ فخرج الماشون[٣٩] ليحملوا السلع ، على ظهورهم ، إلى المدينة ، ويأخذوا الأجرة ؛ فجعلت أنظر إليهم ، فوجدتهم يحملون من السلع ماهو خارج عن المعتاد مثل الفلاحين بمصر ، و « زرزاية » بفاس . فجعلتُ أتعجب من ذلك إذ أقبل إليّ واحد منهم ، وكان من العارفين بالله ـ عز وجل ـ ولم[٣٩] أشعر به ؛ فقال : ـ مكاشفاً لما في ضميري ـ لاتتعجبْ من هذا ؛ ولكن تَعجَّبْ من قدرة الله التي ستظهر فيّ . فذهب بحمله ، فلم ينشب أن رجع ثم استلقى ومد يديه ورجليه ؛ وخرجت روحه ـ رضي الله عنه ـ ، فأشار إلى : أن القويّ في الحقيقة هو الله تعالى ، الذي هو مالكُ القُوى والقُدَر[٣٩] ، يعطيها سبحانه لمن شاء ، وينزعها ممن شاء . فمن قدرته يحقّ التعجب ؛ ولعظيم سطوته يجب الاستعظام : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون ١٤] ● قال [سيدي محمد البنّا] : ولقيت جماعة من العارفين ؛ وكلّ منهم يدلني على الرجوع لبلادي ، وأن حاجتي فيها . فرجعت لبلادي ● قال شيخنا رضي الله عنه : فلقي ببلاده مَن دلّه على أن حاجته بفاس . فأعملَ الرحلة وجاء مع الركب ، فلقي من فتح الله على يده . وأقام بمدينة فاس ـ ستة أشهر ـ ، وصار من العارفين ، وأهل الديوان ـ رضي الله عنهم ـ .

سرّ الذات ووراثته من الشيخ المرشد .

[س] **فقلت** للشيخ رضي الله عنه : قد فتح عليه في حياتكم ـ رضي الله عنكم ـ والوليّ لا يفتح عليه في حياة أبيه . لأن الفتح لا ينزل إلا على **سرّ الذات** ، فإذا انتقل سرّ الذات إلى الولد وقع له الفتح ، وما دام الشيخ حياً فإنّ سرّ ذاته لا ينتقل لأحد ، فلا يقع الفتح ، وإذا وقع فإنه لا يثبت ، بل يزول سريعاً . وهذا الرجل فتح عليه في حياتكم ـ رضي الله عنكم ـ ؛ ودام فتحه ؟

[ج] **فقال** رضي الله عنه : ماهو ولدي وإنما هو متاع الناس للناس .

---

(٣٨) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : يبني ...

(٣٩) كذا في ظ ١ وهو الصواب . وفي الحلبية : ... المعاشون ... لم أشعر ... ، ... والقدرة ...

[س] فقلت : ومَن الناس الذين كان المتاع لهم قبله ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : رجل بناحية « مراكش » ، كان من العارفين بالله ـ عز وجل ـ ، فمات ؛ فبقي سرّه عندي ؛ فلما جاء هذا الرجل ألبسته قميصاً كان عليّ ؛ وأعطيته ذلك السرّ .

[س] فقلت : فإنّ السر المذكور لا يثبت لهذا الرجل إلا بعد انتقال سرّ ذات الأول إليه . وهو لم يره فكيف دام فتحه ؟! .

ولد الروح هو وارث السرّ بعد موت الشيخ المربّي .

[ج] فقال رضي الله عنه : يُمَكّن الله تعالى من أودع عنده السرّ ، من أسرار الذات الأولى ، فيعطيها للثاني ؛ ثم يُمكّنه من السرّ والفتح ، ومع ذلك فلا ينسب إليه بالولادة ؛ إنما ينسب إليه بالولادة من أخذ أسرار ذاته من بعده .

[س] فقلت : والرجل الموروث بناحية « مراكش » ، ووارثه من أهل « طرابلس » ، وهل انقطع الخير من أهل المغرب حتى يتخطاهم هذا الرجل إلى السرّ ويأخذه ؟

إرشاد

[ج] فقال رضي الله عنه : **لا ترث ذاتٌ ذاتاً إلا إذا كانت مشاكِلةً لها في العقل والطبع والدم** . وقد كان سيّدي فلان يقول : لو كانت [الوراثة] بالقرب لكانت لولدي ؛ ولو كانت بالقوة لكانت للسلطان ؛ ولو كانت بالخدمة لكانت لفلان خديمي . ولكنها بموافقة العقل للعقل ، والطبع للطبع ، والدم للدم . وهي أمور لا تدرك بالكسب ، ولا بالعمل . وهذا الرجل كان مشاكلاً لِمَوْروثه ، في هذه الأمور . والله أعلم .

وراثة السرّ أمر مغيب .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : **إذا سمعتَ العارفَ بالله يكثر أن يقول : فلانٌ هو وارثي** ؛ هو صاحبُ سرّي ، فعليكم به بعدي ؛ فالغالبُ أنّه لا يكون كذلك ؛ لأن هذه الأسرار ربانية ، لا تجيء إلا من الوجه الذي لا يظنّه الناس ؛ لأن الأشياخ أدركوها ، والناسُ لا يظنونهم أهلاً لها . فكذلك تخرج منهم .

حكاية نفر

ثم حكى (**حكاية النفر الثانية**) ، الذين كانوا يخدمون شيخاً لهم ، دارياً بالله ـ عزّ وجلّ ـ ؛ واستمر على الخدمة سبعةٌ ، وعَجَز الثامن ؛ فصار لا يقدر على شيء

أينما يوجهه لا يأتِ بنافعةٍ ، وأدْمَنَ على الخدمة ثلاثةٌ ، ومضوا على ذلك ؛ وزادوا على الأربعة ، بأن أهدى كلٌّ واحد منهم بنته للشيخ ، وكانت بنت أحدهم بارعةً في الجمال ، فائقة الحسن والكمال ؛ فصار الشيخ يباشره ويكلمه ، ويقدمه على الجميع في الكلام ، وفي كلّ شيء . فلم يشكّ الناس أنه وارثه ، فلما قربت وفاة الشيخ ، وحضر أصحابه ، وكلٌّ من انتسب إليه ؛ نادى على العاجز السابق ، فقال له : أنت صاحب السرّ . وفاضت نفس الشيخ ، وفارق الدنيا ● **قال :** ورحمة الله ونظره إلى المرموق في أعين الناس بعين الاحتقار أكثر من رحمته ونظرِهِ إلى المرموق في أعين الناس بعين الجلال . فلذا كان « **أهل الاحتقار أحق بالأسرار** » . والله أعلم ● **وسمعته** رضي الله عنه يقول : كان عند وليّ من أولياء الله ـ تعالى ـ مرِيدان ، أحدهما : من عامة الناس والآخر شريف ؛ وكلاهما غير مفتوح عليه ، فقال الوليّ للمريد العاميّ : اذهب إلى الشريف وقل له يبيع لك السرّ والفتح . فذهب إليه ذلك العاميّ ؛ فقال له : بع لي الفتح والسرّ بمائة دينار ؛ فقال : لا ؛ فقال العاميّ : أزيدك مائة دينار أخرى ، فقال الشريف : لا ؛ فقال العاميّ : أزيدك الخادم التي لي ؛ فقال الشريف : لا . فقال العاميّ : أزيدك ابنتي فأزوجكها ؛ فقال الشريف : لا ؛ فقال العاميّ : أزيدك داري ؛ فقال الشريف : الآن قبلت ؛ فقال العاميّ : وأنا قبلت . وكلاهما محجوب ، لا يرى شيئاً من أسرار « الفتح » . وإنما فعل العاميّ ذلك بمجرد تصديقه كلامَ الشيخ . فقال العاميّ للشريف : نأتي لك بالشهود ، فقال الشريف : نعم . فأتى العاميّ بالشهود ؛ فقص عليهم ماأعطاه للشريف ، وقال اشهدوا عليّ به ، وقال الشريف : وأنا فاشهدوا عليّ بأنّي أعطيته الفتح والسرّ . فراحت البنتُ للشريف ، وملَكَ الدارَ ، والخادمَ ، وأخذَ المائتي دينار ؛ وباتَ بخير ليلةٍ في عقله ، مامرت عليه ليلة في دهره أطيب من تلك الليلة . **وأما** العاميّ : فبات يقطع الليل بدفع الوساوس ، التي تخيّب له ظنّه في أمر الشيخ ؛ فما مَرّت عليه ليلة في دهره أظلمَ منها . فلما انفجر الفجر جاء الفتح والسرّ إلى الشريف ، حتى شاهده ؛ فرأى فيه ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ فلما تمّ نظره في ذلك ، وأمعن فيه غاية سُلِبَ ـ والعياذ بالله ـ فذهب الفتح إلى ذلك العاميّ ؛ فرجع وليّاً من أولياء الله ـ عزّ وجلّ ـ . **وأما** الشريف البائع : فإنه ماانتفع بشيء

قاعدة عند الأولياء

حكاية مريدَين فتح على أحدهما ثم سلبه

مما أخذه ؛ وذلك لأنه لما وقع له السلب زال عقله ، فلم يبق في لسانه إلا قوله : أين أنت ؟ خُذِ الدار ، خذ الخادم ، خذ الدنانير ، خذْ ابنتك وأزيدك أمّي ؟ يخاطب ذلك العاميّ كأنه يقول له : أين أنت أردُّ عليكَ جميعَ ماأعطيتني ، وأزيدك عليه أمّي . وطال عمره بعد هذه القصة نحواً من ستين سنة وهو في ذلك مسلوب العقل ، ـ نسأل الله السلامة ـ ● **فقيل** يا سيّدي : إنه ذهب لا دنيا ولا أخرى !!؟

فقال رضي الله عنه : ومن لك بهذا ! فاته السرّ ، وشيءٌ آخر ؛ لانقوله !!! .

قصة رجل فتح عليه ثم سلب عقله بسبب خيانة .

[**أ ـ ٣**] و (**سمعته**) رضي الله عنه يقول : أعرفُ رجلاً **مسلوبَ العقل** ، لاشُغلَ له إلا أنه يرمي الحجارة إلى الهواء ، ويُلقي لها رأسَهُ حتى تدمَغَه . وأعرفه على هذه الحالة مدة طويلة ؛ ولا أعرف لأيّ علة يفعل ذلك ، حتى عرفتُ **السبب** في ذلك . وذلك أن هذا الرجل كان يخدُم السبّاط البالي[٤٠] ، [أي كندرجي] ؛ وكانت حانوته في « عقبة الرصيف » ، فلقيه وليّ من أولياء الله ـ تعالى ـ . فقال : يا ولدي ! إني أريد منك أن تشتريَ لنا قَلَنسوةً جديدة ، فخذ هذه الدراهم ، واشتر لي بها ماقلت لك ؛ ـ وهو لا يعرفه ـ . فأخذ ذلك الرجل الدراهم ، ـ والوليّ ينتظره ـ ؛ فاشترى الرجل قلنسوة ، وجاء بها إلى ذلك الوليّ ؛ فسوّلت له نفسه في الطريق ، وقالت له : هذا الرجل الذي أعطاك الدراهم لتشتريَ بها قلنسوة أحمق ، كيف أمّنك ؟ وهو لا يعرفك ، فالبَسْها ولا تذهب إليه ..!! ، قال : فلبسها ، وأزال قلنسوة بالية كانت على رأسه ، فباعها بنحو الموزونتين ؛ وذهب إلى حانوته للخدمة . فلما علم الوليّ أنه خان ، وغدر ، تركه إلى الغد ، فجاءه إلى حانوته ، واستغفله فقلع القلنسوة من رأس ذلك الخائن ؛ وقال له : انظر إلى مافاتك من الله ـ عز وجل ـ ..!! ؛ وفرَّ من بين يديه ، فنظر إليه ذلك الخائن ، فوقع له « الفتح » ؛ فرأى : مالاعينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ فلما ردَّ بصره إلى حانوته وقع له « السَّلْب » ـ والعياذ بالله ـ ، فعلم أنّ الآفة جاءته من رأسه . فجعل يفعل ذلك الفعل برأسه ، وقد زال عقله ، وبقي كذلك على هذا الفعل إلى الآن ـ يعني : أنه في قيد الحياة ـ . وقد أراه لي الشيخ ـ رضي الله عنه ـ

(٤٠) أي مُصَلِّح أحذية « كندرجي » .

مرة فقال : هـذا هو صاحب الحكاية ، فرأيتُ الصِفَة التي قال الشيخ - رضي الله عنه - والله أعلم .

☆ ☆ ☆

[٤]و **سألته** رضي الله عنه : عن السرّ الذي يشير إليه القوم ؛ فقال - ضارباً مثلاً - : الذَهَبُ يكون عند المَلِك ، ولا يعطيه لكلّ أحد ، وإنما يعطيه لأهل الخصوصية من رعيته .

[ج] قال : فكذلك السرّ ، لا يعطيه الله - تعالى - إلا للمصطفَين من خلقه .

مشتملات الفتح .

[**س و ج**] **فقلت** : وهل هو الفتح ؟ **فقال** رضي الله عنه : الفتح زائد عليه ، يقوى معه السرّ ؛ فإن (**المفتوح عليه**) يفتح عليه في **بصره** ؛ فيرى به السموات والأرضين ؛ وفي **سمعه** ؛ فيسمع به الطيرَ إذا خفق بجناحه في جوّ السماء ؛ والنملة إذا حركت رِجْلَها من مسيرة عام . ويُفتح له في **شمه** ؛ فيشمُّ رائحة التراب ، وكلّ تراب له رائحة ؛ ورائحةَ الماء ، ورائحة الذوات ، ورائحةَ الأرواح ، ورائحةَ الذوات الحيّة ؛ ورائحةَ الذوات المَيْتة ، وروائحَ الأشياء كلّها . ويُفتَح له في **ذوقه** ؛ فيذوق - من غير ملاقاة طعوم - الأشياءَ المتقدمة . وكذا يفتح له في **لمسه** . ويفتح له في **سمعه** أيضاً ؛ فلا تختلط عليه الأصوات ، ولا يشغله سمع عن سمع ، حتى إنه **يفهم ويسمع مايقول - في آن واحد - آلافٌ من الناس** . فإذا كان السرّ - المتقدم - مع الفتح اجتمع قوتان وجهدان ؛ وإذا كان السرّ وحده مع الحجاب فهو سرّ ، ولكنَّ صاحبه لا يقوى قوةَ المفتوح عليه .

[**س**] فقلت : وأيُّ شيء يحصَل في **الذات** ، إذا حَصَل **السرّ** فيها ، من غير **فتح** ؟

حصول السرّ من غير فتح .

[**ج**] فقال رضي الله عنه : يحصل فيها شبه أوصاف الحقّ - سبحانه - . فترى الذاتَ مطبوعةً على الحقّ ، لاتعلم إلا الحقّ ، ولا تتكلم إلا بالحقّ ؛ مع الاتصاف بعليّ الصفات ومكارم الأخلاق من عفوٍ ، وحِلم وتجاوزٍ ، وحياءٍ وكرمٍ ؛ وغير ذلك من الأخلاق الزكية والخِلال المَرْضِيّة ؛ فإذا زاد الفتح على هذا السر حصل ماسبق من القوتين . والله أعلم .

نور القوة

نور الفتح

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن « **الفتح** » إذا نزل على الذات ، قبل « **نور القوّة** » ، حصل في الذات خللٌ وضعف ، يُفضي إلى ماسبق [ص ٢٨٩] من موت ، أو زوال عقل . وإذا نَزَل على الذات « نُورُ القوّة » ـ أولاً ـ ، ثم نزل بعده « نور الفتح » ، لم تتضرر الذات بالفتح .

مثال القوة

[**س و ج**] فقلت : وما هذه القوة ؟ **فقال** ـ رضي الله عنه ـ وقد نظر إلى عُشْبَة ضعيفة : لو أمدَّ الله هذه العشبة الضعيفة بالقوّة التي نتكلم عليها لأطاقت حمل ذلك الجبل ، يشير إلى جبل كان أمامنا . فالموفّق يطلب من الله تعالى أن يُنْزِل عليه « نور القوّة » ، قبل نزول « نور الفتح » عليه . والله أعلم .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إنّي دخلت على سيدي « منصور » في بداية أمري وكان غَزْلِيّاً ـ أي يتعاطى صنعة نسج الكتّان ـ فوجدته يبكي ؛ فقلت له : مايبكيك ؟ فقال : أي شيء نصلح له ؟ إني أشاهد ـ الآن ـ فعلَ الله تعالى في حالة النسج . فكنت أظنّ أني أصنع شيئاً فإذا غيري هو الذي يصنعه . فقال رضي الله عنه : ولَمْ أدرِ ماأقول له . ولو كان اليوم لعرفتُ ماأقول له .

أصل في العقيدة

مثال صفات المفتوح عليهم .

[**س و ج**] فقلت : وأيُّ شيء كنتَ تقول له ؟ فقال رضي الله عنه : أقول له : اطلب اللهَ في الزيادة ، فإنك الآن في مشاهدة الحوادث . لأن « **أفعاله تعالى من جملة مخلوقاته الحادثة** » ● **فقلت** : وهل ترقّى سيدي « منصور » عن هذه الحالة ؟ **فقال** رضي الله عنه : عليها مات ـ رحمه الله ـ . والله أعلم .

صفات شيخه عمر الهواري

و(**سمعته**) ـ رضي الله عنه ـ يقول : لو علم الناس أوصاف سيّدي « **عمر** [الهوّاريّ] » ـ يعني شيخَه ـ لَمّا زاروا غيرَه ، من الأحياء ، كسيدي فلان وسيدي فلان ؛ فإنه كانت فيه **أربعةُ أوصاف** لاتكاد توجد في غيره : **الأول** : أنه (لايتكلّم في أحد) ، ولاتراه قطّ يذكر أحداً بسوء لافي سرّ ، ولافي علانية . **الثاني** : (العزلة) فإنه منقطع طول عمره في سيّدي « عليّ بن حَرزهم » ؛ فهو على قراءة « دلائل الخيرات » ، أو تسبيحه ، دائماً ، بحيث لايفتر ولا يذهب لداره إلا بقرب المغرب ؛ وإذا كثر الزوّار خرج عن « الروضة » إلى « السدرة المحرّرة » التي بإزاء « باب الروضة » ؛ فينقطع عن الخلق ، ويُقبل على شأنه . **الثالث** : (تركُ

الفُضول) ولا ينسب لنفسه قليلاً ولا كثيراً[41] ؛ حتى إن كل من يزور سيّدي « عليّ بن حرزهم » - ولا سيّما من يبيت كلّ « ليلة جمعة » فيه - فإنهم لا يظنّون فيه شيئاً من السرّ أصلاً ، وإذا جاؤوا لزيارة سيدي عليّ ، وكان حاضراً ، وطلبوا الفاتحة ، فإنما يطلبونها من سيدي « عليّ » ، ويوافقهم هو على ذلك ؛ ولا يطلبون قطّ منه فاتحة ، ولا غيرها . **الرابع** : (الزهد في الدنيا) فإني رأيته منذ خالطته يطلع لسيدي « عليّ » عند الصبح ، ولا يأتي معه بشيء حتى بطرف خبز ، وإذا جاء للسيّد « عليّ » شيءٌ أكل منه ماتيسر ؛ وإلا ظلّ يومه طاوياً ، وكنت أراه إذا وجد طرفاً من خُبز يأخذ شيئاً من زيت السيّد ويجعل عليه شيئاً من الملح ويجوز به ، فإن لم يجد زيتاً حلّه في الماء وأكله . والله أعلم .

أهمّ صفات الأولياء .

و (**سمعته**) - رضي الله عنه - يقول : إن في « الأولياء » خصلة لو علمها الناس ، وعلموا ما فيها من الراحة ، لدفعوا كلّ ما عندهم [لتحصيلها] . وهي : أن « **الوليّ** » مالم تنزل به النازلة لا يهتم لها ، ولا يتكدر حاله من أجلها ؛ ولو ظن أو تيقن أنها تنزل به عن قريب لساعة أو أقلّ . فإنها في نظره بمنزلة العدم ، لا شعور له بها أصلاً ، فتراه يشاهد ما ينزل به في المستقبل ، وهو يأكل ويشرب ويضحك ويأتي امرأته ، بمنزلة الجاهل الذي لا بصيرة له أصلاً ، ولا علم عنده بما سيكون رأساً . وذلك أنّهم - رضي الله عنهم - يعلمون أن تَصَرُّفه تعالى لا يحيط به أحد ، فَيُنفذ تعالى في تصرفه ما لا يظنونه كائناً ، ويقطع تعالى من تصرفه ما يرونه واقعاً ؛ فهم يشاهدون تصرفه المطلق الذي لا تقييد فيه بوجه من الوجوه . وفي هذه الخصلة راحة لا تكيف . وإذا كان هذا حال « الوليّ المفتوح عليه » المشاهد للأمور ووقوعها ، فكيف ينبغي أن يكون حال المحجوب ؟..! فـ (من **الواجب** عليه) أن يسلك بنفسه مسلك الوليّ ، فـ (**يطرح الهموم من قلبه ؛ ويستريح من هم التدبير ، وسوء التقدير**) ، مع عدم الفائدة في تدبيره . والله أعلم .

إرشاد المريد لتأسّي بحال الأولياء .

☆ ☆ ☆

(41) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : قليلاً أو كثيراً .

ذوات الوليّ الغوث ٣٦٦ .

[٥] و (**سألته**) ـ رضي الله عنه ـ عن الوليّ الذي تكون له « ثلثمائة وستة وستون » ذاتاً .

ذواته ﷺ (١٣٤٠٠٠) ذاتاً .

[ج] **فقال** رضي الله عنه : هو الوارث الكامل ، ـ يعني الغوث فقط ـ . **فقلت** : وموروثه ﷺ له « مائة ألف وأربعة وعشرون ألف » ذات . فما بال الغوث لم يرثها كلّها ؟..! **فقال** رضي الله عنه : لا يطيق أحدٌ ما يطيق النبيُّ ﷺ ● قال رضي الله عنه : **ومعنى الوراثة** في الغوث : أنه لا ذاتَ شربتْ من ذات النبيّ ﷺ أكثرَ من ذاته . والله أعلم[٤٢] .

خصائص أهل الفتح الكبير .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن « **أهل الفتح الكبير** » **يغفر لهم ماتقدم من ذنبهم وما تأخر ، وحسناتهم مقبولة ، وسيئاتهم كلها ترجع حسنات** إذا فعلوها قبل الفتح ؛ وأما « بعد الفتح » فإنّها لا تصدر منهم معصية ، لأنها لا تصدر إلا من المحجوبين وهم ـ رضي الله عنهم ـ في مشاهدة الحقّ دائماً . ومشاهدة الحقّ تمنع من المعصية ولذا[٤٣] كان الملائكة ﴿ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦] . والله أعلم .

☆ ☆ ☆

صلاة العارفين هي: صلاة الروح .

و **سألته** رضي الله عنه : عن **صلاة العارفين** رضي الله عنهم ، كيف هي ؟! .

[ج] **فقال** رضي الله عنه : إذا قال : « الله أكبر » ؛ وصلّى بهذه الذات الظاهرة صلّت معه ذاتُ الروح في ذاته ، تركع بركوعه ، وتسجد بسجوده . قال رضي الله عنه : فجعلت أنظر إليها وإلى الذات الظاهرة ، أيُّها أقرب إلى الأرض ؟ فأردت أن أحقّق : أيُّها أقرب[٤٤] ؟ فنهاني [الْمَلَكُ] الحافظ عن ذلك . **وصلاةُ الروح مقبولة** على كل حال ● **فقلت** : لأنها لا تُرى فلا يدخلها رياء ...!؟

سبب مشروعية الصلاة .

فقال رضي الله عنه : لا ؛ بل لكونها حقّاً من الحقّ إلى الحقّ ؛ وصلاة الظاهر إنما

---

(٤٢) تقدم أيضاً آخر الباب السادس (١٨٢/٢) .

(٤٣) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : ولأجل أن مشاهدة الحق تمنع من المعصية كان ...

(٤٤) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : أيّها أقرب إلى الأرض .

شرعت لعجز أكثر الخلق عن صلاة الروح . **والعارفون** - رضي الله عنهم - وإن كانوا يصلون بأرواحهم ، فإنّهم يصلون بذواتهم أيضاً ، لجري العادة بذلك ، وحفظاً لظاهر الشريعة ● ثم ضرب مثلاً : بمن يخدم صنعة الدرازة ، ليجعلها وسيلة إلى تعلم صنعة الحِرارة ، ثم فتح الله عليه في صنعة الحرير بلا شيخ ، ولا تعلُّم أصلاً ، فبقي مغموراً في جملة الدرازين . ونفرض لهم زِيّاً ، وعوائد ، وأموراً يُعرفون بها ، وتجري على ظواهرهم ؛ فترك هذا الرجل - المفتوح عليه في صنعة الحرير - زيّهم ؛ فسألوه عن ذلك ؛ فقال : لأني رجعت حرّاراً . وسبق في علم الله أن فتح عليه فيه ، وزاد عليهم بمعرفةٍ لاتظهر إلاّ يوم القيامة . فمن اللائق بهذا الرجل أن يتبع عادة الدرازين ، ويتعاطى زيّهم ، ويبقى على حالته الأولى . والله أعلم .

ضرب مثال

حكاية رجل من أهل القرن العاشر .

[أ - ٤] و (**سألته**) رضي الله عنه : عن « فلان » من أهل القرن العاشر ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : إنه فُتح عليه ، ووقف به الحال ، فرجع ساحراً من جملة السحرة . **فقلت** : وكيف ذلك ؟

تدرّج الفتح

[٦] **فقال** رضي الله عنه : - « **أول مايُفتح على العبد** » : يرى معاصيَ العباد ، وأسبابها ، وكيف يقعون فيها ؟ والضبابةَ الظلمانية التي تَستمد منها ذواتُ أهل الظلام - والعياذ بالله - ، ونحو هذه الأمور . « **فإذا أراد الله بصاحب هذا الفتح شراً** » : رَكَن عَقلُه إليها ، وأدام الفكر فيها ؛ فإن وقف به الفكرُ فيها ساعة واحدة ، انقطعَ - والعياذ بالله - ؛ فلا يبقى في نظره سوى ماسبق ذكره في الفتح ؛ وذلك الذي سبق هو مخيّم الشياطين ، ومحلّ فتنتهم لبني آدم ؛ فيصير مشهدُه ومشهد الشياطين واحداً ؛ فيصيرون معه يداً بيد ، فيسخّر على يده السحر ؛ ويرجع من جملة السحرة . « **وإذا أراد الله بصاحب الفتح خيراً** » : فَتَحَ عليه مايشغل فكره عما سبق ؛ وهكذا لايزال يرقّيه في كل لحظة إلى مالانهاية . والله أعلم

شأن الفتح خطير .

● **وسمعته** - رضي الله عنه - يقول : شأن الفتح عجيب ، وأمره كلّه غريب ؛ وكم من عبد لله محبوب عند الله يمنعه الله - سبحانه وتعالى - من الفتح رحمةً به ؛ وذلك **أن في الفتح أموراً** إذا شاهدها المفتوح عليه قبل أن تطيب ذاته وتصل ، ففي ساعته يرجع - والعياذ بالله - بها نصرانيّاً . **وفيه أمور** إذا شاهدها يرجع بها

ـ والعياذ بالله ـ يهودياً ؛ **وكم من رجل** لا يفتح عليه إلا عند خروج روحه ؛ **وكم من رجل يموت** غيرَ مفتوح عليه ، ويبعثه الله على حالة هي أكمل وأكبر من حالة المفتوح عليه ● **وقال** مرة ، لبعض أحبابه : هذا هو الحمل الكبير الذي خزنوه في هذا التابوت . ـ يشير إلى المعنى السابق ـ . **وسمعته** ـ رضي الله عنه ـ يقول لهذا الحبيب : إن لك حسنات عظيمة جسيمة ، إذا رأيتَها غبطتَك فيها . .ومرة قال له : هل لك أن تَقْسم معي حسناتك ، فإني لا أزال أتعجب منها ومن عِظَمها ● **وكان** رضي الله عنه يقول : إنه « **يُزال عن المفتوح عليه**» حين الفتح شيءٌ شبه « السِلْخ الأسود » ، وهو الظلام المحيط بالذات كلها ؛ فإذا زال ذلك السِلخ صُبَّ على الذات « نور الفتح » ؛ وهو كبكبة عظيمة يأتي بها من شاء الله من الملائكة . وقوم آخرون يشتغلون بزوال السِلخ ، والملائكة حاملة للسِّرّ . وبنفس زوال « السِلخ » تضع الملائكة النور في الذات ● وفي وقت زوال « السِلخ » تدهش الخلائق على المفتوح عليه[٤٥] ، لجهلهم بعاقبة أمره ، من موتٍ أو زوال عقلٍ أو سلامةٍ . فلا يزالون يتضرّعون إلى الله تعالى في أن يرزقه القوة والتأييد والتوفيق لحمل ما طُوِّقَه ● **وكان** رضي الله عنه يقول : إن (**نور الفتح يكون في ذات الشيخ**) فإذا قدر عليه وارثه ـ في آخر حياته ـ أخذه بعد انفصال الشيخ عن هذه الدار ، وإن لم يقدر عليه بقي أمانة عند سيدنا جبريل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ ، إلى أن تطيقه ذات المريد ؛ فيزال عنه السِلخ ، ويأخذ السرّ ● **وكان** رضي الله عنه يقول : إن سيدنا **جبريل** ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ **يخالل المفتوح عليه ، قبل الفتح ثلاثة أيام** ، يؤنسه ، محبة في النبيّ ﷺ ويسدّده للطريق ... إلى غير ذلك من الأسرار التي ذكرها ـ رضي الله عنه ـ في شأن الفتح . **وإياك أن تظن** أن في ذكر سيدنا جبريل ـ على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام ـ هنا إيحاشاً كما يقوله ساداتنا الفقهاء ـ رضي الله عنهم ـ ؛ ويشدّدون النكير على من يزعم أنه يشاهد الملائكة ؛ فقد ردّ ذلك عليهم طائفة أخرى من الفقهاء ـ رضي الله عنهم ـ ؛ بأنه لا مُحالَ فيه ، ولا مزاحمةَ فيه للجانب العليّ

السلخ الأسود: ظلام يحيط بالذات، يزال عن المفتوح عليه .

دهشة الخلائق على المفتوح عليه وتضرعهم له .

نور الفتح يكون في ذات الشيخ .

جبريل يؤانس المفتوح عليه قبل الفتح بثلاثة أيام .

تحذير

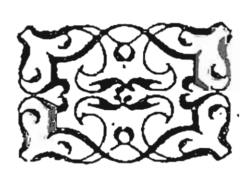
---

(٤٥) تقدم أيضاً ص ٢٨٩ .

الشريف البهيّ ؟ وأيدوه بحكاية الصحابي الكبير الجليل الشهير سيدي عمران بن حصين الخزاعي ـ رضي الله عنه ـ ، وقوله : إنه كان يشاهد الملائكة ويسلمون عليه ، فلما اكتوى انقطعوا عنه[٤٦] . (ومما عدّه الشيخ « الشعراني » ـ رحمه الله ـ في كتابه « المنن » منةً عظيمة : أن جمعةَ اللهُ مع من يشاهد « جبريل » ويكلمه) . ولو سكت مَن لا يعرف [أي من الفقهاء المنكرين] عن الكلام فيما لا يحسنه ، لخرج إلى الناس علمٌ عظيم وخير كثير . وليت شعري ! ما يقول من يمنع ذلك في الأخبار الصحيحة المتفق عليها ، التي أخرجها البخاري وغيره ؛ المُصَرِّحة بوقوع ذلك لغير هذه الأمة . فكيف يَمنع ذلك في حقّ هذه الأمة الشريفة ؟..!! . وانظر أخبار « بني إسرائيل » في « صحيح البخاري » وغيره[٤٧] . والله تعالى أعلم .

☆ ☆ ☆

ثم آن لنا أن نذكر بعض الأمور الباقية النورانية ، التي يشاهدها صاحب « **الفتح الكبير** » مثل : البرزخ والجنّة والنار ، والميزان[٤٨] ، والصراط ، والحوض ، والأرواح ، والملائكة والحفظة ، والأولياء وغير ذلك فنقول :



---

(٤٦) ذكره في الإصابة ٢٦/٣ ، ٢٧ : وأنه كان يرى الحفظة وكانت تكلّمه حتى اكتوى ... قبل وفاته بسنتين ... فاحتبس عنه [أي مكالمتهم ورؤيتهم] حتى ذهب أثر الكيّ ... اهـ . نقله عن الدارمي وابن أبي أسامة وغيره .

(٤٧) (منها) حديث أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول : إن ثلاثةً من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى ، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم « مَلَكاً » فأتى الأبرص فقال : أيُّ شيء أحب إليك ؟ ... الحديث . ● (ومنها) تربية جبريل عليه السلام لموسى السامريّ ● ورؤية قوم لوط للملائكة متمثلين بزي البشر عند سيدنا لوط عليه السلام ● وخطاب الملائكة للسيدة مريم رضي الله عنها ... وكل ذلك مذكور في كتب التفسير حسب مناسبته .

(٤٨) كذا في ظ ١ . وفي بولاق والحلبية : ... والنار والصراط ...

الباب العاشر

(ملخص)

البرزخ: صفته، كيفية حلول الأرواح فيه. **مسائل** وفوائد متعددة .



الباب العاشر

في

البـــرزخ وصفته وكيفية حلول الأرواح فيه

البرزخ طوله: من السماء الدنيا إلى مافوق السابعة .

[١] سمعت الشيخ - رضي الله عنه - يقول في **البرزخ** : إنه على صورة محلّ ضيق من أسفله . ثم مادام يطلع يتسع ، فلما بلغ منتهاه جُعلت قبةٌ على رأسه مثل قُبة الفَنَار(١) ؛ فينبغي أن يمثل بالمهراس الكبير من العود ، فإنّ أسفله ضيق ، ثم جَعل يتسع شيئاً فشيئاً إلى أعلاه ، فإذا جعلتَ قبة فنارٍ على رأسه كان مثلَ البرزخ في الشكل ؛ أما في **القدر والعِظَم** : فإن البرزخ أصله في « السماء الدنيا » ولم يخرج منها إلى ما يلينا ، ثم جعل يتصاعد عالياً حتى خرق « السماء الثانية » ثم تصاعد حتى خرق « الثالثة » ، ثم تصاعد حتى خرق « الرابعة » ، ثم تصاعد حتى خرق « الخامسة » ، ثم تصاعد حتى خرق « السادسة » ، ثم تصاعد حتى خرق « السابعة » ، ثم تصاعد إلى مالا يحصى ؛ وقد جعلت قبته عليه . هذا طوله . قال رضي الله عنه : وهو « البيت المعمور » .

[س ٢] فقلت : و« **البيت المعمور** » إنما هو في السماء السابعة ، والبرزخ مبدؤه من الأولى إلى مافوق السابعة إلى مالا يحصى . فهو في كل سماء ؟

قبة البرزخ

[ج] فقال رضي الله عنه : إنما اقتصروا على ذكر مافوق السابعة ؛ لأنّ فيه القبة المذكورة ، وهي أشرف مافيه ، إذ ليس **فيها إلا روحُ** « **سيّد الأولين** والآخرين » - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - ؛ و« **مَن أكرمه الله بكرامته** » : كأزواجه الطاهرات ، وبناته ، وذريته الذين كانوا في زمانه ؛ وكلّ من عمل بالحقّ بعده من ذريته إلى يوم القيامة . وفيها أيضاً أرواح « **الخلفاء**

---

(١) تقدم تعريفه ٤١٦/١ الفنار : مصباحٌ قوي ينصب على سارية عالية .

الأربعة » ، وفيه أيضاً أرواح « **الشهداء** » الذين ماتوا بين يدي النبيّ ﷺ في زمانه ، وبذلوا نفوسهم ليحيا ﷺ ، ويبقى ؛ ولهم قوة وجهد لا يوجد في غيرهم ، إثابة لهم على حسن صنيعهم ـ رضي الله عنهم ـ .

وفي « القبة » أيضاً ، أرواحُ « ورثته ﷺ الكاملين » من أولياء الله تعالى : كالغوث والأقطاب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ . فأشرف ما في البرزخ القبةُ المقصورةُ ؛ ولذا اقتصر عليها من اقتصر ● ثم رأيت الحافظ « ابن حجر » ـ رحمه الله ـ ذكر في شرح البخاري : أن « في كل سماء بيتاً معموراً » . فانظره في شرح حديث « الإسراء » ـ من كتاب « الصلاة » ـ ؛ فقد نقل ذلك عن بعضهم . ولا يوجد ذلك في جميع نسخه ، بل في بعضها دون بعض ؛ وحينئذ فلا إشكال أصلاً . البيت المعمور

عرض البرزخ

وأما **عرض البرزخ** : فحسبك أن « الشمس » في « السماء الرابعة » لا تدور إلا به على هيئة الطائف به ؛ فتقطعه في عام . وكله ثُقَب ، كما سيأتي في صفة الجنّة ـ إن شاء الله تعالى ـ [ص ٣٣٣] . وفي هذه الثقب الأرواح . **فأما روح سيّد الوجود** ﷺ ومن أكرمه الله بكرامته ـ ممن سبق ذكره ـ : فهي في القبة . قال رضي الله عنه : وهذه « **القبة** » **انقسمت إلى سبعة أقسام** ، بعدد أقسام الجنة ؛ كل قسم منها يشبه جنة من الجنان السبع .

أقسام القبة سبعة .

قال رضي الله عنه : وروحه ﷺ وإن كان محلها في القبة فهي لا تدوم فيها ، لأن تلك القبة ـ وغيرها من المخلوقات ـ لا تطيق حمل تلك الروح الشريفة ، لكثرة الأسرار التي فيها ؛ وإنما يطيق حمل تلك الروح الشريفة ذاتُه الطاهرة ، الزكية الزاهرة ، ﷺ ؛ فلذا كانت روحه ﷺ في البرزخ ، غيرَ مقيمة في محل معيّن ، لأنه لا يطيقها شيء ● **والأرواح التي في البرزخ** من « السماء الرابعة » فصاعداً ، لها أنوار خارقة . ومن الثالثة فسافلاً ، غالبهم محجوب ، لا نورَ لأرواحهم ● وهذه **الثُّقَب التي في البرزخ** كانت قبل خلق آدم ، معمورةً بالأرواح ؛ وكان لتلك الأرواح أنوار ؛ ولكنها دون الأنوار التي لها بعد مفارقة الأشباح . قال رضي الله عنه : فلما هبطت « روح آدم عليه السلام » إلى ذاته بقي موضعها خالياً . وهكذا كلما هبطت روح بقيت ثُقْبَتُها خالية منها ؛ فإذا رجعت الروح بعد الموت إلى

البرزخ ، لاترجع إلى الموضع الذي كانت فيه ؛ بل تستحق موضعاً آخر غيره . قلت : كأنه يقول : بل تستحق منزلاً أعلى إن كانت مؤمنة ؛ وأسفل إن كانت كافرة .

[٣] قال رضي الله عنه : والثُقَب الخالية تُعمر بمخلوقات من مخلوقات الله تعالى ، وكانت الأرواح قبل ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ غيرَ عارفة بالعواقب ، جاهلةً بمراد الله تعالى فيها ؛ فلما أراد الله تعالى أن يُظهر لها ماسبق في قضائه وأزله ، أمَرَ إسرافيل أن ينفخ في الصور ؛ فنفخ ، فاجتمعت الأرواح ، وحصل لها من الهول والفَزَع مثلُ مايحصل في صعقة الموت[٢] والقيام ، أو أكثر ؛ فلما اجتمعتْ أسمعها الباري - جلَّ وعلا - خطابه الذي لايُكيَّف ، وقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف ١٧٢] . فأمّا (**أهل السعادة**) : فإنهم استجابوا لربهم ، مع الفرح والسرور ؛ وهناك ظهر تفاوتهم في الاستجابة ؛ واختلافُ مراتبهم في المشاهدة ، وتبيّن الشيخُ من المريد ، وعلم أنّ فلاناً متصل بفلان ؛ وفلان منقطع عنه ، وظهر أيضاً تفاوت الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - واختلاف أممهم . وأما (**أهل الشقاء**) : - والعياذ بالله - فإنهم سمعوا الخطاب ، وتكدّروا ، وتغيروا ، وأجابوا كارهين[٣] ؛ ثم نفروا نَفْرة النحل إذا دُخِّن عليه ؛ فحصلت لها ذِلَّة ، وانكسفت أنوارها ، وظهر المؤمن من الكافر في ذلك الوقت ؛ وعند ذلك ، عُيّن لكلّ روح الموضع الذي لها في البرزخ ● وأما قبل ذلك فكانت الأرواح في البرزخ ، من أراد محلاً أقام فيه ، ثم ينتقل عنه - إن شاء - إلى غيره ● قال رضي الله عنه : ومن نظر الآن إلى البرزخ عَلِمَ الأرواح التي خرجت من الأشباح بقوة أنوارها ، أو بكثرة ظلامها ؛ وعَلِمَ الأرواحَ التي لم تخرج[٤] إلى الدنيا بقلّة ذلك . قال رضي الله عنه : وعند فراغ الأرواح التي لم تخرج إلى الدنيا واستكمالها الخروج إليها ، حتى لاتبقى روح إلا وخرجت ، حتى تقوم القيامة .

خطاب الأرواح يوم ألست .

أهل السعادة

أهل الشقاء

[س ٤] قلت : فيلزم أن يَعلمَ أربابُ هذا الكشف بالساعة ، ومتى تقوم ،

---

(٢) كذا في ظ ١ - وهو الأقرب للصواب - . وفي بولاق وغيرها : صعقه البعث ... .

(٣) كذا في بولاق وغيرها . وفي ظ ١ : هاربين .

(٤) في ظ ١ : التي ستخرج .

وقد قال تعالى : ﴿ إن اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ الآية [لقمان:٢٤] . وقال النبيّ ﷺ : « [فَذاكَ مِن أَشْرَاطها] في خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إلاّ اللهُ تَعَالَى »[٥] .

علم الأشياء الخمسة .

[ج] فقال رضي الله عنه : إنما قال ذلك النبيّ ﷺ لأمر ظهر له في الوقت ، وإلا فـ (**هو ﷺ لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة**) . وكيف يخفى عليه ذلك ، و « الأقطاب السبعة » من أمته الشريفة يعلمونها ..!! وهم دون « الغوث » . فكيف بالغوث ، فكيف بسيد الأولين والآخرين ؛ الذي هو سبب كلّ شيء ، ومنه كلّ شيء ؟..! ● ثم قال رضي الله عنه : وكان « البرزخ » ـ قبل أن ترجُع[٦] إليه الأرواح من الإشباح ـ قليل الأنوار ؛ وكان قبل خلق « آدم » وفي أيامه قليل الأنوار ، فلما صعدت إليه « روح آدم » ، و « أرواح الأنبياء » من ذريته ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، و « أرواح الأولياء » منهم ، كثرت أنواره على سبيل التدريج ؛ لأن الأرواح إنما صعدت إليه بالتدريج .

البرزخ قبل خلق سيدنا آدم .

[س] فقلت : فأين **أرواح الكفار في البرزخ** ، بعد خروجها من الأشباح ؟

أرواح الكفار أسفل البرزخ ومقرها مظلم .

[ج] فقال رضي الله عنه : في أسفل البرزخ . وإذا نظرتَ إلى مقرّهم فيه وجدتَه أسود ، مظلماً مثل الفحم ، والذي سَوَّده حالُ ساكنيه من الكفرة . وذلك أن الآخرة بعكس الدنيا ، فالشخص إذا لبس في الدنيا ثياباً بيضاء فاخرة زاهرة ، تبقى على حالتها ، إلى أن يدخلها الوسخ من أمر عارض ؛ وأما في الآخرة فوسخ الثياب من « الذوات » . فلو فُرض أن الكافر لبس ماعسى أن يفرض من الثياب الحسان ، الشديدة البياض ، فإنها مقدار لحظة ترجع تلك الثياب أسودَ من الفحم ● قال رضي الله عنه : بل « **الهواء المحيط بنا** » انعكس حاله في الدارين ؛ ففي **الدنيا** : إذا كان مضيئاً أضاء على الأجرام التي فيه من ذوات المؤمنين والكفار . وأما في **الآخرة** : فإنّ الذواتِ غالبةٌ عليه ، وحاكمة فيه ؛ فذوات المؤمنين تضيء عليه ؛

الثياب في الآخرة .

---

(٥) الحديث رواه البخاري عن أبي هريرة في أركان وأشراط الساعة .

(٦) في ظ ١ : ترفع .

ويكتسي من أنوار المؤمنين ما يبهر العقول . وأما ذوات الكفار : فإنّها تُسَخّنُه وتسوّده ، حتى يصير كالفحم الذي لاأسود منه .

عالم الآخرة

وبالجملة - فـ (**الآخرة** : تظهر فيها أحكام الأمور الباطنة) لأنها هي الحقّ ، والآخرة دار حقّ .

العَرَق في الموقف .

[**س ٥**] وبنحو هذا المعنى أجابني رضي الله عنه عن (**العَرَق في الآخرة**) الذي يُلجِم بعضاً ، ويبلغ إلى أوساط قوم ؛ وإلى رُكَب آخرين مع استواء الأرض التي هم فيها . وإذا وقف ثلاثة في ماء أرض مستوية في الدنيا فإنه لا يمكن فيه هذا الاختلاف ...!!

عراجين من البرزخ للمنافقين والمغضوب عليهم .

[**ج**] فقال رضي الله عنه : لأنهم لما تفاوتوا في الباطن في أمر الدنيا ، ظهر حكمه في الآخرة لأنّها دار حقّ ● ثم قال رضي الله عنه : وفي (**البرزخ** الذي فيه الكفرة) « عَرَاجِينُ »[7] خارجةٌ منه على صفة العمود المستطيل ؛ ثم امتدت تلك العراجين إلى ناحية جهنم ؛ فيغدو على أهل تلك « العراجين » من عذابها ونكالها ورائحتها المنتنة ، ما يجعلهم بمنزلة من هو في جهنم بذاته ؛ والذين يسكنون تلك العراجين هم « المنافقون » ، ومن غضب الله عليهم من الكفار ● وفي (**البرزخ** - الذي فيه أرواح السعداء -) « عراجين » أيضاً خارجة منه ؛ ممتدة[8] إلى ناحية الجنة . فيغدو على أهلها من نعيم الجنة وخيرها ، ورائحتها الطيبة ، ما يجعلهم بمنزلة من هو في الجنة بذاته . والذين يسكنونها هم الشهداء ومن رحمه الله تعالى . وهذه العراجين المذكورة في برزخ الفريقين هي من « البرزخ » ، ولكنها على هيئة الزائد عليه ، الخارج منه ، الذاهب إلى ناحية أخرى غير ناحية البرزخ .

[**س ٦**] فقلت : فأسفل البرزخ في السماء الدنيا ، فإذا كانت أرواح الكفار فيه ، فلا تكون فيه إلا إذا فتّحت لها أبواب السماء ؟ وقد قال الله تعالى :

---

(٧) جمع عرجون : هو أصل العِذْق الذي يعوجّ وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً اهـ المصباح المنير . قلت : والمراد به هنا : خيوط خارجة من البرزخ تشبه العراجين في التوائها وجفافها واتصالها بأصلها ومقرّها بالروح والجنة أو النار .

(٨) كذا في ظ ١ - وهو الصواب - . وفي بولاق وغيرها : مستمدة . - قلت : هو خطأ - .

﴿ لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء ﴾ [الأعراف:٤٠] . وأيضاً ، فإن العلماء ذكروا أن البرزخ للمؤمنين : من القبر إلى أعلى عليين . وللكافرين : من القبر إلى سجّين ؛ وهو أسفل سافلين ؟

[ج] فقال رضي الله عنه مرة : إن « روح الكافر » إذا كانت في « السماء الدنيا » ؛ أسفلَ « البرزخ » وقد حجبت بأَنْ خِيطَتْ عينها وأذنها وقلبها وجميع مشاعرها ؛ ـ على سبيل ضرب المثل ـ ؛ فهي بمثابة من لم تفتح له أبواب السماء .

أرواح الكافرين في البرزخ على قسمين .

ومرة أخرى قال : إن **أرواح الكافرين في البرزخ** على قسمين : **قسم محجوب** : لغلبة الظلام وسوء الحال ، حتى لا ترى الروحُ ولا تشاهد قليلاً ولا كثيراً . وهو حجاب غضب ـ والعياذ بالله ـ . **وقسم غير محجوب** : بل يُشاهِد ؛ ولكن لا يشاهِد إلا ماأُعد له من العذاب .

أقوال العلماء في الآية .

وكل من القسمين في سخط الله . فهو بمثابة من لم تفتّح له أبواب السماء .

قلت : ويؤيده اختلاف العلماء في قوله : ﴿ لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء ﴾ [الأعراف ٤٠] . فقيل : لأدْعيتهم . بمعنى : أنها لا تُقبل . وقيل : لأرواحهم . بمعنى أنها لا تفتح لها ، كما تفتح لأرواح المؤمنين . وانظر البيضاوي ، واختلافهم أيضاً في حديث الأسودة التي على يسار آدم ، وهو في السماء ؛ وقوله في الحديث : « إنها أرواح الكفار من بنيه » . فحمله بعضهم على ظاهره وأوَّله آخرون[٩] .

حديث شريف

ومرة أخرى قال : إنا إذا قلنا في البرزخ : ابتداؤه من السماء الدنيا ، على الصفة السابقة ؛ فلسنا نعني أنه لا يكون إلا من ناحية رؤوسنا ، بل ويكون من تحت أرجلنا لأن « **السماء محيطة بالأرض ؛ وكل سماء محيطة بما في جوفها ، والعرش محيط بالجميع** » ، والبرزخ مخلوق عظيم وعرض أصله ـ الذي هو أضيقه ـ قدرَ الأرض سبع مرات . فهو ، إذا قلنا إنه فوق رؤوسنا فإن طائفة منه تكون تحت أرجلنا ؛ فمن قال من العلماء : إن أرواحهم تكون في أسفل سافلين فيعني به : الجهةَ من أسفل البرزخ ، التي تُسامِت جهة أسفلنا .

من علم الهيئة

---

(٩) الحديث رواه البخاري ومسلم وأحمد .

قلت : فكأنه ـ رضي الله عنه ـ يقول : (البرزخ) خَرَق « السموات السبع » إلى أعلى عليين ، وخرق « الأرضين السبع » إلى أسفل سافلين ؛ **فأسفله** في سجين تحت الأرض السابعة ، **وأعلاه** في عليين فوق « السماء السابعة » . وقد صرح رضي الله عنه بذلك ، غيرَ مامرة ، وهذا هو الذي يوافق أن « الجنة » فوق السموات ، و « جهنم » تحت الأرضين ، **فأسفله** : إلى ناحية « جهنم » ، وفيه أرواح الكفار ، والأشقياء والفجار . **وأعلاه** : إلى ناحية « الجنة » ؛ وفيه أرواح المؤمنين والسعداء والأخيار . وهذا لا ينافي الاختلاف السابق في « فتح أبواب السماء » ؛ فإنه لا يلزم من كون « البرزخ » على هذه الصفة أن لاتُفَتّح « أبواب السماء » لأرواح الكفار .

أسفل البرزخ وأعلاه .

و (قال) رضي الله عنه مرة أخرى : إن (**من الكفار من إذا مات حُبست روحه** عن الصعود إلى البرزخ) ، وسُلطت عليها الشياطين والأباليس الذين كانوا يوسوسون للذات ، التي كانت فيها في دار الدنيا ؛ فإذا خرجت « الروح » منها تلقاها أولئك الشياطين فجعلوا يلعبون بها ـ والعياذ بالله ـ لَعِبَ الصبيان بالكرة ؛ فيرميها شيطان لشيطان ؛ ويضربون بها الصخور ؛ ويعذبونها ، بما لا يطاق من عذاب الله ، حتى تفنى الذات التي في القبر ، وترجع تراباً ؛ وعند ذلك ، تصعد تلك « الروح » إلى مقرها في أسفل « البرزخ » . فمن حمل عدم فتح « السماء » لأرواحهم ـ على هذا المعنى ونحوه ـ فهو صحيح ● (قلت) : ولا تنافي بين ماقاله في هذه المرات ، بل هو كلام واحد ، وقول متفق ؛ فيُضَمّ بعضه إلى بعض ، وإنما فرقته بحسب ماسمعته ● فإن (قلتَ) : غالب هذا الكلام ـ في هذه المرات ـ يقتضي أن أسفل « البرزخ » في « السماء الدنيا » ؛ وقد صرح لك بأنّ أسفله في أسفل سافلين ؛ وهذا ينافي ماقبله ـ بلا شك ـ ، فإن هذا يقتضي أن أسفله تحت « الأرض السابعة » ، وما قبله يقتضي أنه في « السماء الدنيا » ؟ (**قلتُ**) : إذا حُمل ماقبلَه على الأسفل بالنسبة إلى السعداء ؛ وحُمل هذا على الأسفل بالنسبة للأشقياء ، لم يقع بينهما اختلاف كما لايخفى ● فإن (قلتَ) : هذا صحيح ، ولكن ماسبق يقتضي : أن « أرواح الكفار » في ذلك الأسفل ، الذي في « السماء الدنيا » ؛ وهذا يقتضي : أنها لاتكون في ذلك الأسفل ، بل في الأسفل التحتاني . فيتنافى

حبس روح بعض الكفار عن الصعود للبرزخ .

الكلامان ؟ قلتُ : إن « **أرواح الكفار** » مختلفة كما سبق ، **فمنها** : مايكون في هذا الأسفل . **ومنها** : مايكون في تلك « العَراجين » . **ومنها** : مايكون في وسط بين الأسفلَين . **ومنها** : مايكون في « الأرض الثالثة » .

كشف

وقد قال لي رضي الله عنه : إنه رأى في « **الأرض الثالثة** » أقواماً في بيوت ضيقة ، ونار محرقة ، وأبيار غامقة ، وعذاب دائم ؛ لايتكلم الواحد منهم كلمة واحدة حتى تهوي به هاويته . فهو في صعود ونزول . قال رضي الله عنه : وبينما أنا أنظر فيهم ، إذ لاح لي رجل منهم ، أعرفه باسمه وبذاته في دار الدنيا ، فناديته باسمه وقلت : ويحك ! ماأنزلكَ هذا المنزل ؟ فأراد أن يكلّمني ، فهوت به هاويته . وأكبر ظني أني قلت للشيخ - رضي الله عنه - : هذا موضع من مواضع البرزخ ؛ لأن البرزخ خارق للأرضين السبع ، إلى أسفل سافلين ، فقال : صدقت . هكذا قال لي . والله أعلم . وما دخلَ لي شكّ في جميع ماكتبته في هذا الكتاب إلا هذه الكلمة ؛ فنبهت عليها لتعلم مرتبتها . والله أعلم . وهذا الرجل الذي رآه الشيخُ رضي الله عنه في هذه الأرض كان في دار الدنيا من جملة المؤمنين .

ثم قال رضي الله عنه : **ومن عجيب إرادة ربنا** - سبحانه وتعالى - أن حجب - بلا حجاب - أرواح الكفار ، عن الانتفاع بأرواح المؤمنين . قال : فتلك الأنوار لها إشراق وإضاءة ، لايبلغها شيءٌ من هذه النيرات ؛ بل نور هذه النيِّرَات إنما هو من تلك الأنوار على ماسيأتي [ص ٣١٩] ؛ ومع ذلك فإنّ « روح الكافر » بالنسبة إلى ذلك النور لاتنتفع به ، ولا تستضيء منه ؛ بقليل ولا بكثير ؛ بل هي في ظلامها وسوادها الذي لايكيّف ؛ فهي بالنسبة إلى تلك الأنوار في الحَجْب عنها بمثابة من جعلها في حُقّ مَنّ[١٠] هنديّ ، وقَفَل عليها بالرصاص ؛ والفرض أنه لا حُقّ ولا رصاص إلا إرادتُه - سبحانه وتعالى - بمنع سريان النفع إلى الروح الكافرة .

أرواح المؤمنين

قال رضي الله عنه : وأمّا (**أرواح المؤمنين**) ، فإنه يَنتفع بعضها من

---

(١٠) المَنّ : - لغة تميم - كيل يكال به السمن وغيره . وقيل الذي يوزن به رطلان - المصباح المنير - .

بعض ؛ ويسقي بعضها بعضاً ؛ ويشفع بعضها في بعض ؛ حتى إنك تشاهد في « بعض الأرواح » آثارَ ذنوب مما اكتسبته الذات ، وترى تلك الآثارَ ظاهرةً على الروح . ثم إن تلك الآثار تزول بسبب روح عزيزة عند الله تعالى ، قريبة من الروح ذات الآثار .

ما بين البرزخ والأماكن التي فيه وبين الجنة أو النار خيوط من نور أو ظلام .

[٧] قال رضي الله عنه : وبين « **البرزخ** » والأماكن التي فيه ، وبين « الجنة » ، خيوط من نور ، لا تحدث فيه إلا **بعد صعود الأرواح من الأشباح** ؛ وذلك النور هو نور الإيمان ؛ فتراه خارجاً من روح زيد مثلاً في « البرزخ » خارقاً إلى « الجنة » . **فتستمد ذاتُ** ذلك « **الوليّ** » **من الجنّة** بسبب ذلك النور ؛ وكذلك بين « برزخ أرواح الكفار » ، وبين « جهنم » ، خيوطٌ وظلام ، ولا تحدث فيه إلا بعد صعود الأرواح من الأشباح . وذلك الظلام هو الكفر ، ـ أعاذنا الله منه ـ ، فتراه خارجاً إلى جهنم . فتستمد أرواح الكفار من سَمُوم جهنم وعذابها ● قال رضي الله عنه : وكذلك بين « البرزخ » ، وبين ذوات المؤمنين في الدنيا خيوط ، هي : نور إيمانهم . فيَرَى « صاحب البصيرة » (**خيطَ الإيمان** : أبيض صافياً) ، مثلَ شعاع الشمس النافذ من منفذ ضيق ؛ إذا ضَربتِ الشمسُ في باب مثلاً ؛ فإنك ترى فيه سلوكاً وخيوطاً من شعاعها خارقة إلى ما وراء الباب . كذلك يُشاهد « صاحب البصيرة » في المؤمنين الأحياء خيطاً خارجاً من كلّ أحد ؛ مستمَداً من رأسه ؛ ولا يظهر له حتى يتجاوز مقدار شبر فوق الرأس ، فيراه حينئذ ذاهباً في امتداد ، إلى مقر تلك الروح التي في ذلك المؤمن ، في « البرزخ » . وهو **يختلف بحسب القسمة الأزلية** ؛ فـ (منهم) : من يُرى فيه على هيئة الخيط كما سبق ؛ و (منهم) : من يُشاهد فيه أغلظَ من ذلك على هيئة غِلظ القصبة ؛ و (منهم) : من يُشاهد فيه أغلظ من ذلك ؛ على هيئة النخلة ، وهم : **الأكابر من الأولياء** ـ رضي الله عنهم ـ ● وكذلك يُشاهد مثل هذه الخيوط بين « ذوات الكفار » ، وبين مقرهم في « البرزخ » ؛ إلا أن (**خيوط الكفار** : لونها أزرق يضرب إلى سواد) ، مثل نار الكبريت ؛ وكلٌّ من شوهد فيه ذلك فهو علامة شقاوته ـ والعياذ بالله ـ وهو يختلف أيضاً كما سبق ؛ فـ (منهم) من يُرى فيه رقيقاً ، و (منهم) من يُرى فيه غليظاً ، مثل النخلة ؛ على حسب تفاوتهم في الكفر ـ نسأل الله السلامة ـ

ما بين البرزخ وذوات المؤمنين خيوط من نور إيمانهم .

ما بين البرزخ وذوات الكفار خيوط .

كشف ● **قال** رضي الله عنه : وكم مرةٍ أنتبه إلى ملاّخي اليهود ! فأرى الخيوط خارجة من رؤوسهم ، ثم تجتمع فيَ الأفق ، صاعدة مثل الضبابة السوداء ؛ وأرى فيهم خيوطاً قليلة بيضاء صافية مشرقة ؛ فأُعلَمُ بذلك أن أصحاب تلك الخيوط سينتقلون إلى دين النبيّ - أي نبينا محمد ﷺ - . وأنتبه إلى مدينة من مدن الإسلام ؛ فأرى الخيوط خارجة من رؤوسهم صافية مشرقة صاعدة إلى البرزخ . وقد يشاهد فيهم بعض الخيوط التي فيها زرقة ، وهي قليلة ؛ وهي علامة شقاوةٍ من شوهدت فيه - كما سبق [ص ٣١٥] - . **قلت** : وهم المشار إليهم في الحديث : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا »[11] . والمؤمنون المشاهَدُون في زمرة اليهود هم المشار إليهم أيضاً بقوله ﷺ : « وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ شِبْرٌ ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا »[11] . وقال رضي الله عنه مرة : من أراد أن ينظر إلى السابقة ، وإلى قوله تعالى في الحديث : « هؤلاَءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلاَ أُبَالِي ، وَهؤلاَءِ إِلَى النَّارِ وَلاَ أُبَالِي »[12] . فلينْظر إلى الصبيان ، - يعني : إن كان من أرباب هذا الكشف - فإنه يرى فيهم مَنْ خيطُهُ مشرق ومَن خيطُهُ أزرق ؛ وهم غير مكلفين بعد ، ولكن السابقة سابقة ● ومررنا مرة على صبيَّيْن صغيرين لهما نحو الأربعة أعوام وهما يلعبان ؛ فقال لي : انظرْ أيُّ شيء عَمِل هذا ؟! وأيُّ شيء عمل هذا ؟! - يعني : أن أحدهما خيطُه مشرق ؛ والآخر أزرق -

كشف ● وقال لي رضي الله عنه مرةٍ أخرى - وقد مررنا على جماعة من الصبيان ، وهم يلعبون - : من نَظَر إلى صبيان هذا الزمان ، علم حُسْنه عن الزمان الذي يأتي في المستقبل ؛ فإن غالب أنوار صبيان هذا الزمان في غاية الحسن والمَلاحة ● وقد مررنا مرة على موضع فخرج منه صبيٌّ ، فنظر إليه ، فقال له : ماإسمك ؟ فقال : المقداد . فقال رضي الله عنه : هذا يخرج منه وليٌّ كبير ، عزيز عند الله - عزّ وجلّ -

كشف ● ونظر مرة إلى صبي آخر ، فقال لي : انظر إلى نور الولاية . انظر

---

(١١) الحديث واحد . رواه البخاري ومسلم بنحوه عن أبي هريرة .

(١٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي . ومطلعه : « إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ثم أخذ الخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ فَقَالَ : هَؤُلاَءِ فِي الْجَنَّةِ وَلاَ أُبَالِيْ ، وَهَؤُلاَءِ فِي النَّارِ ولاَ أُبَالِيْ » .

إلى حلاوتها على وجهه . انظر إلى الولاية في ذاته ؛ فإنها لا تخفى على أحد . ثم قال لي ـ رضي الله عنه ـ : أوصيك به خيراً . (قلت) : وقد كبر ذلك الصبي ورجع اليوم رجلاً ـ والحمد لله ـ ؛ وقد حجّ ، وهو يرى مرائي عظاماً ، مع حسن حالته ، واستقامة أمره ، وسطوع الملاحة على وجهه .

مثال

قال رضي الله عنه : وبنفس سقوط الذات من البطن إلى الأرض يعلم ـ صاحب هذا الكشف ـ ما تصير إليه ؛ بمنزلة الشجرة[13] ، فإنها قَبْل أن تنبت لا يدري هل يكون منها شيء أم لا ؟ فإذا نبتت ، وخرجت إلى العيان ، علم منها ورقة البِطِّيخ من ورقة غيره . وبمنزلة النُّوّارة التي هي صفراء لا ترجع خضراء ، والتي هي حمراء لا ترجع صفراء .

المنافقون

[س] ثم قلت له ـ رضي الله عنه ـ : لِمَ كان المنافقون ـ أسوأ الكفرة ـ في الدَّرْك الأسفل من النار ؛ مع أن لهم صلاة وصياماً وحجاً وجهاداً ؛ وإن لم يكن شيء من ذلك ، فقد كَفّوا أذيتهم عن أهل الإسلام ؟..!

[ج] فقال رضي الله عنه : سبحان الله يا فلان ..! الكفر وخبثه وعِظَمه يمتدّ من السابقة لا من الأعمال ؛ فكم مرةٍ ننظر إلى البرزخ فنرى فيه عموداً ظلمانياً أزرق خبيثاً ، ممتداً هابطاً منه ، ذاهباً إلى مدينة من مدن الكفرة ـ لعنهم الله ـ ، فأقول في نفسي : هذا لا يَحُلّ إلا في سلطانهم ، ولا ينزل إلا في طاغيتهم . قال : فأُتبعه نظري ، فنراه نزل في شُوَيخ ضعيف ، جالس في حانوت يتعش ؛ فَأُوحِّدُ اللهَ تعالى ، وأَحمدَهُ ، وأشكره على نعمه[14] ● وقال لي مرة : إن « الخيط الأزرق » وإن كان يدل على الشقاء ؛ لكنه قد يتبدل ـ بإذن الله ـ إذا جَعَل صاحب ذلك الخيط يخالط أهل السعادة ، ويداخلهم ويباطنهم ؛ فإنه لا يزال خيطه يصفى شيئاً فشيئاً ، حتى يصير مثل أهل السعادة ، والحمد لله . ومرة قال لي : إن الخيط الأزرق

الخيط الأزرق قد يتبدل .

---

(١٣) كذا في ظ ١ . وفي بولاق وغيرها : ... البحرة ـ وهو تصحيف ـ .

(١٤) قلت : يريد الشيخ رضي الله عنه بأن هذا الشُوَيخ ـ أي الشيخ الصغير ـ الذي يبدو فيا يظهر للناس أنه ذو هيئة وصلاة وصلاح ظاهراً هو في حقيقته منافق كبير والناس عنه غافلون لا يدرون خاتمته .

وإن كان أزرق ولا إشراق فيه فإنا شاهدناه ينقلب ؛ وإن كان مع الزرقة إشراق ، فإنا لم نشاهده ينقلب .

حكمة بعثة الأنبياء .

[٨] وقال لي - مرةً أخرى - : مِن **حكمة بعثة الأنبياء** - عليهم الصلاة والسلام - أنهم يجمعون الناس على كلمتهم ، حتى يصيروا أهلَ ملة واحدة ، فيتناصحون ويتناصرون ؛ وفيهم أهل سعادة ؛ وفيهم من خيطه أزرق ؛ فإن طالت صحبته لأهل السعادة انقلب سعيداً ببركة الاجتماع مع أهل السعادة . فبالبعثة حصل الاجتماع ؛ وبالاجتماع حصل الانقلاب . فهذا من فوائد البُعثة ● قلت : وبه يفسّر سرّ الأمر النبويّ : بلزوم الجماعة ، وعُدم الخروج عنها قِيْد شِبرٍ ؛ وأن من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية[١٥] .

لزوم الجماعة

وكنت ذات يوم معه - رضي الله عنه - في سوق من الأسواق ويده الكريمة في يدي ونحن نتماشى ؛ وأنا غائب في سؤاله في هذه « العلوم الكشفية » ؛ فلقينا رجلاً ، ينسبه الناس إلى الصلاح ، وهو قد نصب نفسه لذلك ؛ فخاطَبَنا بكلمة أدرج فيها نصيحة ومقصوده شيء آخر ظهر من قرائن أحواله ؛ فسكتنا عنه . **فقال** لي الشيخ - رضي الله عنه - بعد ذلك : إن خيطه أزرق - والعياذ بالله - ، وأقسم لي على ذلك غير مامرّة . ولا أدري هل يتبدل خيطه أو لا يتبدل ؟

القبر وحالة الروح .

[٩] قال رضي الله عنه : فإذا ماتت الذات انقلبت الروح إلى البرزخ ؛ وانقطع سرها عن الذات ، إذا أخذت الذات في التغير والفناء ، وقد يبقى سرها متصلاً بالقبر في بعض الأولياء ، فيبقى عمود نور إيمانه قائماً بالقبر ، ممتداً إلى الروح التي في البرزخ ، كقيامه بالذات قبلُ ● قال رضي الله عنه : وكم مرةٍ أنظر إلى مقابر « فاس » وأجبنتها[١٦] ومواضعَ منها ، فأرى الأنوارَ خارجة من الأرض ، ذاهبة إلى

---

(١٥) رواه البخاري في كتاب الفتن عن ابن عباس عنه ﷺ قال : « ومن كَرِهَ مِنْ أَمِيْرِهِ شيئاً فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّةً » . وفي روايةٍ أخرى عنه قال : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإن من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتةً جاهليةً » .

(١٦) كذا في بولاق وغيرها - وهو الصواب - . وفي ظ ١ : وأجنتها - وهو تصحيف - .

البرزخ ، على هيئة القَصَب النابت من الأرض الممتد إلى البرزخ ؛ فأعلمُ أن أصحابَ تلك الأنوار أولياءُ أخيار ...!

وكم مرةٍ يقول لي : ههنا « وليّ كبير » في موضع من المواضع ، ههنا نوره خارج إلى البرزخ ... ● وكذلك النور[17] في **قبر نبينا** ومولانا **محمد ﷺ فعمود نور إيمانه ﷺ ممتد من القبر** الشريف **إلى قبة البرزخ** التي فيها روحه الطاهرة ، **وتأتي الملائكة زمراً زمراً ، وتطوف بذلك النور** الشريف الممتد ، وتتمسح به ، وتتطارح عليه تطارح النحلة على يعسوبها ؛ **فكل ملك عجز عن سرّ ، أو عن تحمّل أمر ، أو حَصَل له كَلَل ، أو وقوف في مقام ، فإنه يجيء إلى النور الشريف ويطوف به ؛ فإذا طاف به اكتسب قوة كاملة ،** وجهداً عظيماً من نوره ﷺ فيرجع إلى موضعه وقد قوي أمره ؛ ولا يفرغ من طوافه حتى تجيء جماعة أخرى من الملائكة ، كل واحد منهم يبادر الطواف ● و (**قال**) لي مرة : لما أراد الله أن يفتح عليّ ، وأن يجمعني برحمته ، نظرت ـ وأنا بفاس ـ إلى القبر الشريف ؛ ثم نظرت إلى النور الشريف ؛ فجعل يدنو مني ـ وأنا أنظر إليه ـ فلما قرب مني خرج منه رجل وإذا هو النبيّ ﷺ . فقال لي سيدي « عبد الله البرناوي » : لقد جَمَعَك الله ـ يا سيدي عبد العزيز ـ مع رحمته ، وهو سيد الوجود ﷺ فلستُ أخاف عليكَ تلاعب الشياطين[18] .

قبره الشريف ﷺ .

كشف في بداية فتح الشيخ .

[١٠] وقال رضي الله عنه : إن شأن « **البرزخ** » عجيب ، وإنه **يكتسي بأنوار إيمان المؤمنين** ما يبهر العقول ، حتى إن نور الشمس إنما هو من نور تلك الأرواح المؤمنة . وأمّا نور « النجوم والقمر » : فإنما هو من نور الشمس ، وذلك لأن أسفل البرزخ أسود مظلم ـ كما سبق ـ ، فلا يحصل منه تنوير لما يقابله من النيرات ؛ وهو الحائل المانع من تنويرها بالنور الذي تنورت منه الشمس ؛ لأنها لو تنورت منه لتنوّر أصل « البرزخ » منه ، فتنتفع أرواح الكفار من أرواح المؤمنين ؛ والله تعالى لم يُرِدْ ذلك ؛ وإنما تنورت تلك النيرات من الشمس ، لأن « الشمس » خارجة

نور النجوم والقمر .

---

(١٧) كذا في ظ ١ ـ وهو الأقرب ـ . وفي بولاق وغيرها : هو في ...

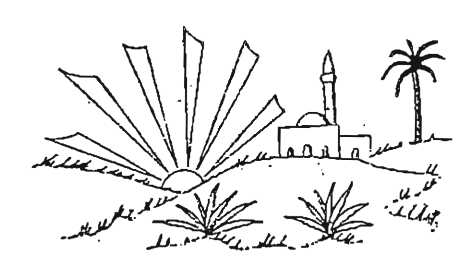
(١٨) تقدم نحو هذا الكلام في أول الكتاب [١/٥٥] .

عن البرزخ ؛ وتلك النيِّرات تسامتها فيحصل لها تنوّر ، و « القمر » في السماء الدنيا في هذا الوجه الذي يلينا .

فقلت : فالمنجّمون يزعمون أن النجوم الثابتة في فلك الثوابت ، وهو الفلك الثامن . **فقال** رضي الله عنه : من أين لهم هذا ؟..! فقلت : زعموا ، من اختلاف سيرها مع سير السبعة السيّارة ...! فقال رضي الله عنه : ليس كما ظنّوا ؛ النجوم كلها في السماء الدنيا ● ثم تكلم على كيفية كلّ سماء ، وما فيها ، وسكانها . ولا[19] يليق بنا كتبه .

☆ ☆ ☆

ولا تظنّ - أيها الواقف على هذا الكتاب - أني كتبتُ كلّ ما سمعت من الشيخ - رضي الله عنه - ، بل إنما كتبت منه بعضَ البعضِ . فهذا ما سمعت منه في أمر البرزخ . والله ينفعنا به آمين .



(١٩) كذا في ظ ١ - وهو الصواب - . وفي بولاق وغيرها : وما يليق بنا ... - قلت : هو تصحيف - .

الباب الحادي عشر

(ملخص)

الجنّة : ـ ترتيبها ـ عددها ـ وما يتعلق بذلك .

الباب الحادي عشر

في

(الجنة وترتيبها وعددها ، وما يتعلق بذلك)

جنة الفردوس

(**سمعت**) الشيخ - رضي الله عنه - يقول - في **جنة الفردوس** - : إن جميع النعم التي يسمع بها في دار الدنيا ، والتي لا يسمع بها موجودة فيها . قال رضي الله عنه : ومنها تفجّر أنهار الجنة . قلت : كما في حديث البخاري وغيره . قال رضي الله عنه : و (**كيفية** جري الأنهار) · أنها **تجري في النهر الواحد أربعة من الأشربة : الْمَاءُ والعَسَلُ واللَّبَن والخَمْرُ** ؛ وتجري فيه ولا يختلط بعضها ببعض ؛ كالألوان التي في عروس المطر [قوس قزح] ، ترى فيه ألواناً : أحمر وأصفر وأزرق وأخضر ، ألواناً غير مختلطة ، كذلك الأشربة في الجنة ، تُرى جارية مجموعة في نهر واحد ، ولا يختلط بعضها مع بعض ، وهي تجري بحسب شهوة المؤمن في الجنة ؛ فإذا اشتهى الأربعة جرت له ؛ فإذا كان من يليه يشتهي اثنين فقط ؛ جرى اثنان ، وانقطع عنه اثنان - بإرادة الله سبحانه - ؛ فإذا كان من يليهما يشتهي واحداً انقطع عنه ثلاثة ، وجرى له واحد ، فإذا كان آخر يشتهي أكثر من الأربعة جرى له ما يشتهي - بإذن الله تعالى - . فإذا نظرت في الجرية من أولها إلى آخرها ، رأيت جرية فيها أنواع أربعة في موضع ، ونوعان في موضع ، ونوع في موضع ، وخمسة في موضع ، من غير حاجز ولا فاصل - فسبحان الملك الخلاّق - ..! قال رضي الله عنه : وهي تجري في غير حَفِير[1] . قلت : كما في الحديث أنها تجري في غير أخدود[2] ● وكنت معه مرة في باب الفتوح ، فقلت له : إني سمعت سيدي فلاناً

أنهار الجنة وخصائصها .

---

(١) **الحفير** : واحدة حفيرة . وهي مايحفر في الأرض - المصباح المنير - .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك قال : « أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض ؟ لا والله ! إنها سائحة على وجه الأرض ؛ إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت وطينها : المسك الأذفر ... » . ورواه ابن مردويه في تفسيره عن أنس مرفوعاً . وروى أبو خيثمة عن أنس أنه قرأ ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ فقال =

ـ نفعنا الله به ـ يقول : إن بعضهم رأى مفروط[٣] الجنة قدرَ ذراع . فقال رضي الله عنه : وأنا رأيته مثل حائط ـ يعني الحائطَ المعترض في قبلة « مُصلّى باب الفتوح » ـ . وقال لي مرة أخرى : إنه فيها مثل طول ذلك الحائط ، وأصغر وأكبر

تصحيح في أفضل الجنان

● ثم قال رضي الله عنه : والناس يظنون أن « جنة الفردوس » هي أفضل الجنان ، وأعلاها ، ولا تبلغها جنة من الجنان . وليست كذلك ، بل هناك جنة أخرى هي أفضل منها وأعلى ، وليس فيها من النعم شيء ، ولا يسكنها إلا أهل مشاهدة الله ـ عزّ وجلّ ـ من أنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومن أوليائه ـ رضي الله عنهم ، ونفعنا بهم ـ . قال رضي الله عنه : **ومُشاهدة الله** ـ عزّ وجلّ ـ عند أهلها أعز عندهم ، وأحلى وأعلى ، وأفضل ، من كلّ نعمة تُصوَّر في الخاطر . وأهل هذه الجنّة ، لا يحبّون الخروج منها إلى غيرها من الجنان ؛ كما لا يحب أهل الجنة الخروج منها إلى الدنيا

جنة دار المزيد .

من خصائص أمته ﷺ في الجنة .

● قال رضي الله عنه : **وغالب من يسكن « جنة الفردوس » أمةُ نبيّنا** ومولانا محمد ﷺ ؛ ولا يخرج عنها منهم إلا نحو العشرين من أهل الظلم والكبائر ومن شاء الله أن لا يسكنها من هذه الأمّة ـ نسأل الله عفوه وفضله ـ

محبته ﷺ لأمته .

قال رضي الله عنه : ولسيدنا محمّد ﷺ محبةٌ عظيمة في أمته ؛ فهو يحب أن يزورهم في الجنة ويَصِلَهم ، كما يصل ذو الرحم رحمه ؛ فلذلك جمع الله له بين وسط الجنة العالية ، ذاتِ المشاهدة السابقة ؛ وبين وسط « جنة الفردوس » ذاتِ النعم الفاخرة[٤] ؛ فجعل مجموعَ ذلك مسكنَ النبي ﷺ ولَم يُعْطِ هذا واحداً من الخلائق غيرَه ، فَيَصِلُ ﷺ جميعَ أمته ، من أهل المشاهدة وغيرِهم ، ـ جعلنا الله من أمته ، ولا عدل بنا عن سنته وطريقته ـ ● قلت : وهذه الجنة العالية التي أشار رضي الله عنه إليها هي « جنة عليين » . والله أعلم . فقد أخرج ابن عساكر[٥] عن أبي سعيد

الجنة العالية لنبينا ﷺ وهي دار المزيد .

= رسول الله ﷺ : « أعطيت الكوثر فإذا هو يجري ولم يُشَقَّ شَقّاً ... » . وعن سفيان الثوري بالسند عن مسروق في قوله تعالى ﴿ وماءٍ مَسْكُوبٍ ﴾ قال : أنهار تجري في غير أخدود .

(٣) كذا في بولاق وغيرها . وفي ظ ١ : قمروض . قلت : ولم أجد للفظين معنى ظاهر . فليراجع .

(٤) في ظ ١ : ذات النعيم الفاخر .

(٥) ابن عساكر (٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ) : علي بن الحسن بن هبة الله . أبو القاسم الدمشقيّ أصلاً ومولداً ● المؤرخ ، الحافظ الرحّالة ، محدّثُ الديار الشامية ، ورفيق « صاحب الأنساب » السمعاني في رحلاته ● أشهر كتبه : تاريخ دمشق الكبير . اهـ من الأعلام .

الخدري[٦] ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أَهْلَ عِلِّيِّينَ لَيُشْرِفُ أَحَدُهُمْ عَلَى الْجَنَّةِ فَيُضِيءُ وَجْهُهُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا يُضِيءُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لأَهْلِ الدُّنْيَا ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ » ● وأخرج أحمد والترمذي وابن حبان[٧] عن أبي سعيد ؛ والطبراني[٨] عن جابر بن سمرة[٩] ، وابنُ عساكر عن ابن عمر[١٠] وأبي هريرة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ » . انظر الجامع الصغير . ومن نظر أيضاً البدور السافرة في أحاديث الرؤية ، وهي التي ختم بها الكتاب ، علم صحة ذلك ؛ واستخرج للجنة العالية أسماء أخر ، وهي « دار المزيد » ، كما في حديث حذيفة[١١] وغيره ● وأخرج « أبو نُعيم » عن « أبي يزيد

---

(٦) أبو سعيد الخدري (.. ـ ٧٤ هـ) : سعد بن مالك بن سنان ... الأنصاري الخزرجي ● من ملازمي النبيّ ﷺ ● استصغر يوم أحد ، وغزا بعد ذلك (١٢) غزوة . توفي بالمدينة ● له في الصحيحين (١٧٠) حديثاً . اهـ من صفوة الصفوة ، وتهذيب التهذيب .

(٧) ابن حبان (.. ـ ٣٥٤ هـ) : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي ● حافظ علامة ، سمع أمماً لا يحصون من مصر إلى خراسان . حدّث عنه الحاكم وغيره ● له المسند الصحيح ، والتاريخ والضعفاء ● فقّه الناس بسمرقند . اهـ سبل السلام ١٩١/١ .

(٨) الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠ هـ) = (٨٧٣ ـ ٩٧١ م) : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخميّ الشاميّ أبو القاسم ● من كبار المحدثين ● أصله من طبرية الشام ونسبته إليها ● ولد بعكا ، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة ● توفي بأصبهان . ● له ثلاثة « معاجم » في الحديث منها « المعجم الصغير » وفيه أسماء المشايخ على حروف المعجم . وله « التفسير » و « الأوائل » و « دلائل النبوة » وغيرها . اهـ من الأعلام .

(٩) جابر بن سمرة (.. ـ ٧٤ هـ) = (.. ـ ٦١٣ م) : ابن جنادة السوائي . صحابي ، حليف بني زهرة ، أبوه صحابي أيضاً ● نزل الكوفة وابتنى بها داراً ● توفي في ولاية بشر على العراق ● روى له البخاري (١٤٦) حديثاً . اهـ من الأعلام .

(١٠) عبد الله بن عمر (١٠ ق هـ ـ ٧٣ هـ) = (٦١٣ ـ ٦٩٢ م) : أبو عبد الرحمن ، صحابي ابن الصحابي سيدنا عمر بن الخطاب ● كان جريئاً جهوراً . نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة ومولده ووفاته بها ● أفتى الناس في الإسلام (٦٠) سنة ● غزا أفريقيا مرتين ، الأولى : مع ابن سرح ، والثانية : مع معاوية بن خديج . اهـ من الأعلام .

(١١) حذيفة بن اليمان (.. ـ ٣٦ هـ) = (.. ـ ٦٥٦ م) : هو حذيفة بن حسل (ولقبه : اليمان) بن جابر العبسيّ أبو عبد الله ● من الولاة الشجعان الفاتحين ● صاحب سرّ النبي ﷺ في المنافقين ● ولاه عمر على المدائن (بفارس) ● غزا نهاوند والدينور و « ماه سندان » ، وهمذان والري ● توفي في المدائن ● روى له البخاري ومسلم ٢٢٥ حديثاً . اهـ من الأعلام .

البسطامي »؛ قال : **إن لله خواصّ من عباده لو حجبهم في الجنّة عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث أهلُ النار** . والله أعلم ● **وسألته** - رضي الله عنه - : عمّا ظهر لي في تسمية « الجنة العالية » - المتقدم ذكرها - ، فحكيت له : أنها جنةُ عليّين .

لله خواص من عباده...

[ج] فقال رضي الله عنه : هي غيرها .

[**س و ج**] فقلت : إن في الحديث : كذا وكذا ؛ وأشرت إلى الحديث السابق عن أبي سعيد الخدري . فقال رضي الله عنه : نعم ؛ فعلمت أنه أراد أن يساعف .

[**س و ج**] فقلت له : اذكر لنا ما عندك . فقال رضي الله عنه : **جنة عليين** هي فوق « جنة الفردوس » ، خارجة عن جهتها ، وليست مسامتة ؛ وهذه « الجنة العالية » جنّة أخرى .

جنة عليين فوق جنة الفردوس .

[**س و ج**] فقلت : فهل تسمى « **دار المزيد** » ؟ فقال رضي الله عنه : ذلك هو اسمها . وليس فيها شيء من النعم ، سوى مشاهدة الله سبحانه . وسبق [ص ٣٢٤] أن **مشاهدة الله عند أهلها [في الجنّة] أعزّ عندهم من كلّ نعيم** . قال : لأن « مشاهدة الله تعالى » فيها لذّة جميع النعم التي في الجنّة ؛ ففيها ما في الجنّة وزيادة شيء آخر ، ولذة أهلها « **لذة الروح** » ، ولذة غير أهل هذه الجنة لذة ذواتهم الباقية . قال رضي الله عنه : ومن له لذة من أحد النوعين لا يطيق الأخرى ، ولا يقدر على الجمع بينهما إلا مخلوق واحد ، وهو سيد الأولين والآخرين نبينا ومولانا محمّد ﷺ ؛ فهو يطيق من لذّة المشاهدة وأسرارها ما لا يطيقه أحد ؛ ويلتذ بذاته أيضاً في نعيم الجنة ما لا يلتذ منه أحد ؛ ولا تشغله هذه عن هذه - فسبحان من قوّاه على ذلك وأقدره عليه ...!! . قال رضي الله عنه : وهذه الجنة فوق جنة الفردوس ، ومسامِتَةٌ لها ، وعدد ساكنيها قليل بالنسبة إلى غيرها من الجنان .

من خصائصه ﷺ الجمع بين لذة الروح ولذة الذات .

وأما « **جنة عليّين** » : فإن فيها من النعيم ما لا يحصى و « جنة الفردوس » أكثر أنواعاً منها ، و « جنة عليين » نعيمها أرقّ وأدقّ . وكأنه يقول : إنه كاد يكون

خصائص جنة عليين .

معنوياً ، لقربها من « دار المزيد » التي نعيمها معنويّ لا حسيّ ؛ فجنة عليين أعلى وأحلى ؛ ونِعَم « جنة الفردوس » أكثر ؛ و (**في جنة عليين يسكن جماعة من الأنبياء** ، منهم : سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل ـ عليهما السلام ـ) .

[**س**] فقلت : فكيف نَصنَع بالأحاديث الدالة على : أن « جنة الفردوس » هي أعلى الجنان كحديث البخاري [عن أبي هريرة عن النبي ﷺ] : « إِذَا سَأَلْتُمُ فَاسْأَلُوا اللهَ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ »(١٢) .

---

(١٢) أنهار الجنة : (ملخص حادي الأرواح لابن قيم الجوزية ص ـ ١٢٦ .) [نذكرها إتماماً للفائدة] :

أنهار الجنة : تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها .

روى البخاري عن أبي هريرة عنه ﷺ أنه قال : إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله ؛ بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة .

روى الترمذي من حديث عبادة بن الصامت : الجنة مائة درجة مابين كل درجتين مسيرة مائة عام . والفردوس أعلاها درجة ، معها الأنهار الأربعة ، والعرش فوقها فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى .

وفي معجم الطبراني من حديث الحسن عن سمرة . قال ﷺ : الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ، ومنها تفجر أنهار الجنة .

وروى البخاري من حديث شعبة عن قتادة عن أنس أنه ﷺ قال : رفعتَ إلى « سدرة المنتهى » في « السماء السابعة » . نبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة . يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان . فقلت ياجبريل ماهذا ؟! قال : أما النهران الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

وروى أيضاً من حديث همام عن قتادة عن أنس أنه ﷺ قال : بينا أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف . فقلت : ماهذا ياجبريل ؟! قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك . قال : فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر .

وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس عنه ﷺ : الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل .

وفي سنن الترمذي عن عبد الله بن عمر قال قال ﷺ : الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ؛ تربته أطيب من المسك ؛ وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج .

وروى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عنه ﷺ قال : إن في الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ؛ ثم تشتق الأنهار بعد .

وروى الحاكم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : من سَرّه أن يسقيه الله عز وجل من الخمر في الآخرة فليتركه في الدنيا . ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا . وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك . ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان مايحلّيه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً . =

قال بعضهم : وسط الجنة أي جَيِّدُها وأعلاها ، حقيقة . وقال بعضهم : الوسط قد يكون أعلى كوسط الأكَمَة ، فهو وسطٌ وأعلى ، ـ قاله الحافظ السيوطي في البدور السافرة ـ . إلى غير ذلك من الأحاديث .

[ج] فقال رضي الله عنه : لمن شاء أن يسميَ هذه الجنان الثلاثة جنةً واحدة ، فله ذلك ، ويقول في المجموع : إنه « جنة فردوس » ؛ باعتبار أن قبته ﷺ أُخذت من « دار المزيد » ومن « جنة عليين » ، ومن « جنّة الفردوس » . فمن كان في « جنّة الفردوس » كان مع النبي ﷺ ، ومن كان في « عليين » كان معه ﷺ ، ومن كان في « دار المزيد » كان كذلك معه ﷺ . فمن نظر إلى مقامه ﷺ وجعل الجنان الثلاث جنّةً واحدة ، فله ذلك . قال رضي الله عنه :

= أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : هذه الأنهار تشخب من جنّة عدن في جوبة ، ثم تصدع بعدُ أنهاراً .

أخرج ابن أبي الدنيا عن أنس : أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض !؟ لا والله ! إنها لسائحة على وجه الأرض ، إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت ، وطينها المسك الأذفر . قال : قلت ماالأذفر : قال الذي لاخلط له .

وروى ابن مردويه في تفسيره عن أنس أنه قرأ هذه الآية ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ فقال رسول الله ﷺ : أعطيت الكوثر فإذا هو يجري ولم يشق شقاً . وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربت بيدي إلى تربته فإذا مسك أذفر ، وإذا حصباؤه اللؤلؤ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عنه ﷺ : سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة .

وروى الدارمي عن ابن عباس عنه ﷺ قال : أنزل الله من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق ، والنيل وهو نهر مصر . أنزلها الله من عين واحدة من عين الجنة ، من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل ﷺ ؛ فاستودعها الجبال ؛ وأجراها في الأرض ؛ وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم ؛ فذلك قوله ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع عن الأرض القرآنَ والعلمَ كله ، والحجر الأسود من ركن البيت ، ومقام إبراهيم ، وتابوت موسى بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسةَ . فرفع ذلك كله إلى السماء ؛ فذلك قوله تعالى (وإنا على ذهاب به لقادرون) . فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد حُرِم أهلها خيري الدنيا والآخرة .

وروى الزهري عن ابن عباس : إن في الجنة نهراً يقال له : البيدج ؛ عليه قباب من ياقوت ؛ تحته جوار . يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى البيدج ؛ فيتصفحون تلك الجواري فإذا أعجبت رجلاً منهم جاريةٌ مسّ معصمها فتتبعه .

والقبـة المشرّفـة أخـذت وسـط « الفردوس » ، وخرجت[١٣] في طرف « عليين » فأخذته ، إلى أن بلغت « دارَ المزيـد » ، فـأخذَتْ وسَطَها ● قلت : وبهذا تجتمع الأحاديث . والله أعلم .

[س و ج] فقلت : وبَقيَّة الجِنان فيها نِعَم ؟ فقال رضي الله عنـه : فيهـا نعم على قَدْر أعمال أهلها ، غيرَ أن « جنّة الفردوس » لهذه الأمة ولمن وَحّد الله بالهدايـة ، من غير بعثة نبيّ .

قس بن ساعدة . زيـد بن عمرو بن نفيل .

[س و ج] قلت : كقسّ بن ساعدة ، وزيـد بن عمرو بن نفيل[١٤] . فقـال

(١٣) كذا في ظ ١ ـ وهو الأصوب ـ . وفي بولاق وغيرها : وجعلت في ...

(١٤) قسّ بن ساعدة (.. ـ حوالي ٢٣ ق هـ) = (.. ـ ٦٠٠ م) : ابن عمرو بن عدي بن مالك . من بني إياد ● أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية . كان أسقفَ « نجران » . ويقال إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا . وأول من قال في كلامه « أما بعد » ● كان يفد على قيصر الروم زائراً ، فيكرمه ويعظمه ● هو معدود من المعمرين ، طالت حياته ● وأدركه النبي ﷺ قبل النبوة ، ورآه في « عكاظ » ، وسئل عنه ﷺ بعد ذلك فقال : يحشر أمّةً . اهـ من الأعلام .

زيد بن عمرو بن نفيل (.. ـ ١٧ ق هـ) = (.. ـ ٦٠٦ م) : ابن عبد العزى ، هو ابن عمّ عمر بن الخطاب ● لم يدرك الإسلام . كان يكره عبادة الأوثان ، ولا يأكل مما ذبح عليها ● رحل إلى الشام باحثاً عن عبادات أهلها ... فعاد إلى مكة يعبد الله تعالى على دين إبراهيم ، وجاهر بعداء الأوثان ... فأخرج من مكة ● كان عدواً لوأدِ البنات ، لا يعلم بينت يراد وأدها إلا قصد أباها وكفاه مؤنتها ● رآه النبي ﷺ قبل النبوة وتوفي قبل مبعثه ﷺ بخمس سنين ● له شِعْر قليل . اهـ من الأعلام .

تتمة للفائدة : قال السيوطي : وردت أحاديث بتحنّف زيد بن عمرو ، وورقة ، وقسّ . روى ابن إسحاق وأصله في الصحيح تعليقاً عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مستنداً إلى ظهر الكعبة يقول : « يا معشر قريش ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيري » . ثم يقول : « اللهم إنّي لو أعلم أحبّ الوجوه إليك عبدتُك به ولكني لا أعلم » ● قال ابن الجوزي في التلقيح : « تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية » : أبو بكر الصديق . زيد بن عمرو بن نفيل . عبيد الله بن جحش . عثمان بن الحويرث . ورقة بن نوفل . رباب بن البراء . أسعد أبو كُرِيب الحِنيري . قسّ بن ساعدة الإيادي . أبو قيس بن صِرمة . اهـ . وعَدّ منهم أيضاً : عمرو بن عبسة السلميّ . وعُمَير بن حبيب الجُهَني .. ثم قال السيوطي : وكذلك نقول في حق أبوي النبي ﷺ : أنها لم يثبت عنهما حالة كفر بالله . فلعل حالهما كحال زيد بن عمرو وأبي بكر وأضرابها ، وهما إنما حصل لهما التَحَنُّف ببركته ﷺ فإنهما كانا صَديقَين له قبل البعثة ... فأبواه أولى بعود بركته عليهما ... ثم ذكر السيوطي تضعيف المحدّثين لما رواه مسلم عن أنس « ... إن أبي وأباك في النار » وصوابه فيما رواه البزار والطبراني والبيهقي على شرط الشيخين =

رضي الله عنه ؛ فهل شهد لهما النبي ﷺ بذلك ؟ فلم أستحضر في الوقت جواباً . ثم رأيت في « شرح منظومة القبور » لابن خليل السبكي[☆] التصريح : بأنه ﷺ شهد لهما بأنهما يبعثان يوم القيامة أمّة وحدهما . وعبارته - قال بعض العلماء : أهل الفترة على ثلاثة أقسام : الأول من أدرك التوحيد ببصيرته ؛ ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ... إلى أن قال - بعد ذكر القسمين - : فأما القسم الأول فقد قال ﷺ في كلٍّ من قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل : « إِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ » اهـ . قلت : ومراده ببعض العلماء الأُبّي في شرح مسلم . وقد نقل كلامه الحافظ السيوطي في « مسالك الحنفا » بأبسط مما نقله شارح المنظومة السابقة ● ثم لقيته - رضي الله عنه - فعرضت عليه هذا الكلام . فقال رضي الله عنه : أردتُ أن أقول معناه ، فخفتُ أن ينقل عني أنّي أقول : إن النبيّ ﷺ شهد لأهل الجاهلية بدخول الجنة ؛ فأردت أن أختبر هل للعلماء في ذلك كلام ؛ فالحمد لله على وجود كلامهم بالموافقة ● قال : وإنما كان هؤلاء ونحوهم من أهل « جنّة الفردوس » ، لأن إيمانهم بالله وسط قومهم الكافرين ، إنما كان عن عناية عظيمة من الله تعالى بهم أوجبت لهم ، أن يكون لهم نور عظيم ، به خرقوا ظلامَ الكفر[١٥] ، وتوصلوا إلى توحيد الله - عزّ وجلّ - ، من غير هادٍ لهم من جنسهم .

أسماء الجنان الثمانية -

[س و ج] قلت : **فعدد الجنان** ؛ كم هو ؟ فقال رضي الله عنه : **ثمان** .

= وابن ماجه ... عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم وكان .. فأين هو ؟ قال : في النّار - قال : فكأنه وجد من ذلك - فقال : يا رسول الله فأين أبوك ؟ قال رسول الله ﷺ : حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ . قال : فأسلم الأعرابي بعد** ... » اهـ ملخصاً من الحاوي للفتاوي ٢٢٥/٢ ، ٢٢٦ .

(☆) أحمد بن خليل السبكي (٩٣٩ - ١٠٣٢ هـ) = (١٥٣٢ - ١٦٢٣ م) : ابن إبراهيم بن ناصر الدين المصري الشافعي ، شهاب الدين ● فقيه ، توفي بمصر ● له : « الفتاوى » ، « فتح الغفور على شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور » ، « فتح المبين بشرح منظومة ابن عماد الدين في النجاسات المعفو عنها » ، « حاشية على الشفا للقاضي عياض » . اهـ معجم المؤلفين .

(١٥) كذا في ظ ١ - وهو الأقرب معنى - . وفي بولاق وغيرها : الكفّار .

[س و ج] فقلت : فما أولها ؟ فقال رضي الله عنه : « دار السلام » ؛ ثم يليها « جنة النعيم » ؛ ثم يليها « جنة المأوى » ؛ ثم يليها « دار الخلد » ؛ ثم يليها « جنة عدن » ؛ ثم يليها « جنة الفردوس » ؛ ثم يليها « جنة عليين » ؛ ثم يليها « دار المزيد » ● قلت : ولم يقع للعلماء - رضي الله عنهم - تحرير في عدد الجنان كما يُعلم ذلك من « البدور السافرة » للحافظ السيوطي - رحمه الله - فإنه نَقَل عن بعضهم أن عددها : أربع ، وعن بعضهم أنها : سبع ، وعن بعضهم أنها : جنة واحدة ● قلت : وكون عددها ثمانية يناسب كون أبوابها ثمانية ؛ كما وردت به الأحاديث الكثيرة في قوله في حديث : « فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَة »[16] . ورد هذا في أحاديث كثيرة . انظرها في « البدور السافرة » ● وقال رضي الله عنه : وليس **ترتيبها** كما يظن الناس أنها لاتكون إلا في جهة فوق ، ثم بعد كونها في جهة فوق ؛ تكون جنةٌ فوق جنة على الترتيب السابق ؛ فإنها ليست كذلك ، بل **هذا العدد ثابت من الجهات الستّ** . فمن جاء من جهة أسفل وجدها على هذا العدد ، ومن جاء من جهة اليمين وجدها على هذا العدد ؛ وهكذا سائر الجهات . وأمر الآخرة لايشبه أمر الدنيا . والله أعلم .

ترتيب الجنان

وسألته - رضي الله عنه - مرة أخرى : عن الجنان وترتيبها وكيفية وضعها ؟

[ج] فقال رضي الله عنه : ليس على وجه الأرض ، ولا في مخلوقات الله ، مابينه وبين الجنة شَبَه ؛ إلا أن يكون « **البرزخ** » فإن له شبهاً بالجنة . و« البرزخ » لم يشاهده الناس ، فكيف يصح التمثيل به ؟ **فقلت له** : - بناءً على أن « البرزخ » هو الصور - سمعنا في الأحاديث : أنه مخلوق عظيم ، على صفة القَرْن ، الدائرةُ الواحدة منه قدرَ مابين السماء والأرض[17] . **فقال** رضي الله عنه :

(١٦) الحديث وتمامه : « مَامِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ وُضُوئِهِ : أَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ إِلاَّ فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَة يَدْخُل مِنْ أَيِّهَا شَاء » . رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن عمر .

(١٧) فما جاء في (**الأحاديث**) : ● (١) مارواه الترمذي (برقم ٢٢٢٨) عن أبي سعيد الخدري : قال ﷺ : « كيف أنتم وقد التقم صاحب القَرْن القرن ، وحنا جبهته ، وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ !! فكأن =

= ذلك ثقل على أصحاب رسول الله [ﷺ] ، فقالوا : كيف نفعل يا رسول الله ؟ وكيف نقول ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » ● (٢) وفي رواية عنه (برقم ٢٤٣٣) : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الأذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ ... » الحديث بنحو من السياق السابق ● (٣) وما رواه أبو داود ، والترمذي (برقم ٢٤٣٢) ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص : « جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : ماالصور ؟ قال : قرن ينفخ فيه » ● (٤) وما رواه أحمد وأبو داود والنسائي ، والترمذي (برقم ٣٢٣٩) والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو : « الصور : قرن ينفخ فيه » ● (٥) وما رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو وفيه : « ... ثم يُنفَخُ في الصورُ ، فلا يسمعه أحدٌ إلا أصْغَى ليتاً وَرَفَعَ ليتاً ... » . واللّيْتُ : صفحة العنق .

ومما جاء في (كلام العلماء) :

(١) (**البرزخ**) : الحائل بين شيئين ، ويعبر به عن « عالم المثال » : وهو الحاجز بين الأجساد الكثيفة وعالم الأرواح المجردة ، أو بين الدنيا والآخرة . ومنه الكشف الصوري اهـ . مصطلحات الصوفية للقاشاني ● وذكر الجيلي في « الإنسان الكامل » : البرزخ موجود ليس بتام ولا مستقل لأنه ليس دار إقامة : فهو في عالم المثال كتصور الشعلة وتلونها بلون الزجاجة ، فتشكلها لنا هو من « عالم الخيال » الذي هو « لأهل الدنيا » غير تام لهم ولا مستقل بنفسه ؛ فلا اعتبار به بسبب فساده لتعلق أهل الدنيا بالأمور العادية والجسدية فانقطع عن حكم الصفاء الروحي ، فخيالهم برزخ بين العالم الوجودي والعدمي . والفلاسفة والبراهمة لما سكنت الأمور العقلية والأحكام الطبيعية في خزانة خيالهم انقطعوا عن الترقي إلى المعاني الإلهية . بينا « أهل الله » عالم الخيال لهم كامل ومستقل وتام بنفسه ، فخيالهم مصون عن طوارق العلل . ● والأرواح إذا تجسّدت كان لها وجود مقيد بلوازم الجسد فهي في البرزخ قاصرة عن جميع ماتقتضيه الروح في الإطلاق الروحاني ؛ فإذا أراد الله بعثها إلى **القيامة** أطلقها من مقتضيات الجسد فصارت في **أرض الحشر** . و « الإطلاق » يكون على حسب ماكانت عليه في الدنيا فإن على خير ، تطلق على الخير ، وإن على شر فإطلاقها على شر ... وهو قوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ .[النجم : ٣٩] .

أحوال الناس في البرزخ : منهم من يعامل فيه بالحكمة ومن يعامل بالقدرة ● فالأول : يتقلب في البرزخ في حقيقة عمله في الدنيا ؛ فيخلق للمطيع معاني الطاعة صوراً ينتقل من صورة طاعة إلى أخرى مثلها أو أحسن ، كما كان في الدنيا . وهكذا إلى أن تقوم القيامة . وحسن تلك الصورة وبهجتها على حسب طاعته واجتماع خاطره فيها وحسن مقصده . وعلى العكس يكون قبح الصورة على قدر قبح العمل ... ومن كان بين طاعة ومعصية ينتقل أيضاً من نور إلى نار ... ● والثاني : ـ الذي يعامل بالقدرة ـ لا يقع في معاني أعماله إنما في معاني صورتها بالقدرة . فـ « العاصي المغفور له » : ينتقل في صورة تشبه الطاعات يقيمها الله تعالى له ، من صورة حسنة إلى أحسن منها ، حتى تقوم القيامة . و « المطيع الذي أحبط عمله » : يقيم الحق تعالى له صورة ماكتبه له في الأزل من الشقاوة فيجليها عليه وينوعها له يتقلب فيها إلى يوم القيامة .

من **سكان البرزخ** : أقوام يعمرونه ليسوا من أهل الدنيا ولا من أهل القيامة ، لكنهم ملحقون بأهل الآخرة . يأنس بهم من جانسهم في الروحيّة بعد موته . ومن لم يجانسهم يراهم غيظاً له . وينبعث منهم من جعله الله =

نعم ؛ وفيه ثُقَب كثُقَب نشافة البحر[18] ؛ وفي تلك الثَقَب تكون الأرواح . ثم تلك الثقب ليست في ظاهره فقط ، بل له عمق عظيم ، وهو كله ثُقَب كما في ظاهره .. فلنجعل من تلك الثقب بمنزلة الثُقَب التي في « شَهْد النحل » ؛ إلا إذا أردنا أن نقرب المثال بضم شهدة إلى مثلها حتى يكمل ذلك عدد عشرين شهدة مثلاً . فلنلصق هذه بهذه ، وهذه بهذه ، حتى يصير المجموع شيئاً واحداً ، فيصير ظاهر ذلك المجموع وباطنه كلّه ثُقَب ؛ ولنفرض الشَهْد مختوماً بغشائه ، حتى لا يرى ما في الثُقَب من العسل في الممثل له . قال رضي الله عنه : فلنشر[19] إلى « الجنة » ؛ فإذا فرضناها مثل ذلك المجموع على قدر ما ينزل التفهيم ، لا على ما هي عليه في نفس الأمر ، إذ

الجنة وترتيبها وكيفية وضعها.

= سبباً لعذاب من لم يجانسهم ؛ فيكون على أقبح صورة كان يكرهها في الدنيا ... ومنهم من تأتيه على أحسن صورة جميلة ، وهي صورة عمله فيلتقي بها من الألفة ما يؤنسه إلى أن تقوم الساعة . اهـ « الإنسان الكامل » بتصرف . وجاء في الفتوحات المكية : ـ البرزخ : جامع للطرائق ، تغلب فيه الحقائق الطيّارة ، وترجع فيه الدولة للأرواح ؛ وخليفتها وقتئذ طائر له (٦٠٠) جناح ، والأشباح فيه تابعة للأرواح . وللإنسان فيه تحول إلى أي صورة شاء مّتميزة بحكم صورة الجسم . وبانتقال « الأرواح المدبّرة » إلى البرزخ تُدبّر لها « أجساد برزخية » خلقها الله تعالى لأنوار تلك الأرواح بناء على ماقبلته من التميز . وتلك « الأجساد البرزخية » هو الصورة التي يرى الإنسان فيها نفسه في النوم .

مدة البرزخ : هي حتى النشأة الآخرة ؛ بمنزلة حمل المرأة الجنين ببطنها ؛ حيث ينشئه الله نشأ بعد نشء . و « الميت » إذا مات ابتدأ فيه ظهور النشأة الأخرى في البرزخ إلى يوم البعث منه ● ويوم هذه الأمة متصل بيوم الآخرة ليس بينهما إلا ليل البرزخ خاصة . وفي فجر هذا الليل تكون نفخة البعث . وفي طلوع شمس اليوم الآخر يكون إتيان الحق للفصل والقضاء . وفي قدر ركعتي الإشراق ينقضي الحكم . اهـ الفتوحات المكية بتصرف (٥/١ ، ١٢/٣ ، ١٨٨/٣ ، ٢٥٠/٣ ، ٢٠٤/٣) .

(٢) (الصور) : قرن من نور فيه ثُقَب بعدد أرواح الخلائق . وهو كهيئة البوق ، ودائرة رأسه كعرض السموات والأرض . وإسرافيل واضعٌ فاه عليه ، شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر ، فينفخ النفخة الأولى للفناء ؛ ثم يلبث الخلائق بعدها في البرزخ أربعين سنة ... ثم يحيي الله إسرافيل فيأمره بالنفخة الثانية للإنشاء والبعث . فالصور : عالم الصور الروحية وبالنفخة الأولى تنعدم الصور وتنحل عن عقد هياكلها كما تنعدم الصور المرئية في النوم بالانتباه ؛ فترجع إلى محلها الذي خلقت منه . وبالنفخة الثانية ترجع كما كانت في عالم الأرواح فتدخل في قوالب الأشباح . والصور بلغة أهل اليمن يعني القرن . اهـ بتصرف واختصار من : (تفسير القرطبي : الأنعام ٧٣ . الإحياء ٤٣٧/٤ . البرهان المؤيد ١٤١ . الإنسان الكامل) .

(١٨) كذا في ظ ١ ـ وهو الصواب ـ والمراد بها : الإسفنج المعروف . وفي بولاق وغيرها : شفاقة البحر .

(١٩) كذا في ظ ١ ـ وهو الأصوب ـ . وفي بولاق وغيرها : فنشير إلى ...

رحمةُ الله الواسعةُ لانهاية لها ، حتى تحصى . فنقول : إذا قَسَّمنا ذلك المجموع **سبعة أقسام** ؛ فتكون الفرقة في (القسم الأول) :- المشار إليه بالثُّقْبة - قَدرَ الدنيا وعشرة أمثالها . و (القسم الثاني) : أضعاف أضعاف ذلك . و (القسم الثالث) : يتضاعف إلى مالايحصى . و (القسم الرابع) : لاتعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين ؛ ففيه مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؛ و (الخامس) : مثل الثالث . و (السادس) : مثل الثاني . و (السابع) : مثل الأول ● قال رضي الله عنه : وإياكِ أن تظنّ أن أهل (القِسم الأول) أدنى من الثاني ، وهكذا ، بل بعض من في الأول قد يفوق من في الثاني ● ومرة قال : إن الله يعطي المؤمن في الجنة قدر مافوق رأسه في الدنيا إلى العرش ؛ وما تحته إلى العرش وما على يمينه إلى العرش ؛ وما على شماله إلى العرش ؛ وما خلفه إلى العرش ، وما أمامه إلى العرش . ثم قال رضي الله عنه : وهذا أدنى الناس منزلة في الجنة ● قال رضي الله عنه : وإياك أن تظن أن المثال السابق موفٍّ بكيفية وضع الجنة ، أو مقرّب ؛ بل لانسبة بينه وبينها أصلاً ، إنما ذكرناه استئناساً ، لأنه أحسن من السكوت .

أدنى الناس منزلة في الجنة .

☆ ☆ ☆

الأَسِرّة في الجنة وتنقلها بأصحابها .

وسمعته - رضي الله عنه - يقول : إن « **السرير** » الواحد يُرى في الجنة على أنواع شتى : - منها : ماهو على لون الفضة ؛ - ومنها : ماهو على لون الذهب ؛ - ومنها : ماهو على لون الزمرُّد الأخضر ؛ - ومنها : ماهو على لون السُندس ؛ - ومنها : ماهو على لون الياقوت الأحمر ، وغير ذلك من الألوان التي لاتكيف . وأصل الجميع واحد غير متعدد ولا مختلف . فإذا أشتهى الذي على السرير النزهة ، والانتقال من موضع إلى موضع ، انتقل به « السرير » إن شاء ، وإن شاء انتقل هو بنفسه ؛ فيمشي إلى أي جهة شاء من الجهات الستّ . بخلاف الدنيا ، فإنه لايمشي إلا إلى جهة أمام ؛ وفي الجنّة : يمشي إلى فوق وإلى تحت ، وإلى يمين وإلى شمال ، وإلى خلف وإلى أمام ؛ وله أيضاً جيران في « الجهات الست » . بخلاف غالب مساكن الدنيا ؛ فإنه لاشيء فيها في جهة فوق ، ولا في جهة تحت ، بل فوقه السماء وتحته

البهموت ● **قال** رضي الله عنه : و (**جميع ما في الجنة من النعم وأنواع الفواكه والثمار لا يشبهه شيء مما في الدنيا**) ؛ ولو خرجت أسماء « نعم الجنة وفواكهها وثمارها » على قدر نورها ، وعلى حسب ما هي عليه في نفس الأمر ، لَمَا فهم الناسُ شيئاً من الألفاظ الدالة عليها ؛ لكنه تعالى بفضله ورحمته تنزّل فسماها بهذه الأسامي التي يألفون في الدنيا ، ويعرفون في محاورتهم . فخاطبهم عن أنواع الثمار والفواكه التي في الجنة بذلك ، ليقع لهم الفهم في الجملة ـ وإن كانت المعاني متباينة ـ ● قال رضي الله عنه : وما مثّلت ذلك إلا بهذه الخطابات التي تقع بيننا وبين أولادنا على قدر عقولهم وصغرهم ؛ فنسمّي لهم الخبز : بب ، واللحم : شي[٢٠] ، وغير ذلك ، مما يقع في مخاطبات الصبيان ● قال رضي الله عنه : فنحن نسمع أن في الجنة عنباً فنحسبه مثل عنب الدنيا ، ولو خرجت حبة عنب من « جنة الفردوس » ، إلى الجنة التي تليها لشغلت أهلها بنورها عما في جنتهم ؛ وهكذا لو خرجت حبة عنب من الجنة التي تليها إلى الثالثة ، لوقع لأهلها مثل ما وقع لأهل الثانية ، وهلمّ جرا ؛ إلى أن تخرج حبة عنب من الجنة التي تليها إلى أهل الدنيا ـ أعني السموات السبع والأرضين السبع ـ فإذا خرجت خُسف ـ لأجل نورها ـ نور الشمس والقمر والنجوم ولا يبقى إلا نورُها وضوؤها . والله أعلم .

ثمار الجنة ونعمها .

نور ثمار الجنة

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن **أبواب الجنة ثمانية** بعدد الجنان كما سبق [ص ٣٣٠] وإنما تكون هذه الأبواب قبل دخول الناس الجنة وأما بعده فلا تبقى . فقلت : لأن المقصود من الباب الدخول والخروج ، فإذا انتفى الخروج لقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] . لم تبق فائدة للباب ـ فسكتَ ولم يقل شيئاً ؛ فعلمتُ أنه لسرٍّ آخرَ أبَى أن يذكره ـ ● ثم قال رضي الله عنه : **ويإزاء كلّ باب من أبواب الجنة ، مَلَك من الملائكة الثمانية الذين يحملون العرش** .

أبواب الجنة

[**س و ج**] فقلت : ما سِرّه ؟ فقال رضي الله عنه : هو أن **نور نبيِّنا** ومولانا محمد ﷺ ، **خلق الله منه** : عدد هؤلاء **الملائكة الثمانية** ، وعدد **الجنان**

ملائكة حملة العرش .

(٢٠) كذا في الحلبية . وفي ظ ١ : شيش . وفي بولاق : شتى .

الثمانية . وبعد أن قسمه إلى ثمانية أقسام وخص كلّ قسم بسرّ من الأسرار فجعل من كل قسم من تلك الأقسام مَلَكاً وجنةً ، فتناسبا في الأصل والسرّ ؛ وجعل من قسم آخر ملكاً وجنة ، فتناسبا أصلاً وسرّاً ؛ وهكذا إلى تمام الأقسام الثانية . فلذا كان بإزاء كلّ باب مَلَك يناسب الجنة التي تشاكله ؛ فيُسقى ذلك الملكُ بنور تلك الجنة .

باب التوبة

[س] فقلت : وهل (**باب التوبة**) ـ المفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها ـ من جملة أبواب الجنة ؟ كما هو ظاهر بعض الأحاديث ، كما أخرجه أبو يعلى والطبراني وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود رضي الله عنه ، فقال في الحديث : « وَلِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، سَبْعَةٌ مِنْهَا مُغْلَقَةٌ ؛ وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ » . أورده في البدور السافرة ... ؟

[ج] فقال رضي الله عنه ـ مشيراً إلى التأويل ـ : ـ **نور الإيمان** : هو جنّة من الجنان ، بل هو سبب كلّ نعيم في الجنان ، بل وسبب في الجنان أنفسها ، فهو سبب كل خير وسعادة . وإذا كانت **التوبة** باباً له كانت بهذا الاعتبار باباً من أبواب الجنان ؛ وأيضاً فداخل الجنان انتقل من حالة سفلى إلى حالة عليا ، وهي : ما كانت عليه ذاته من الوسخ والخبث ؛ وداخل التوبة كذلك انتقل من حالة سفلى ـ وهي ظلام المعاصي ـ إلى حالة عليا ؛ ـ وهي نور التوبة والطاعة ـ . فالتوبة باب من أبواب الجنة بهذا الاعتبار . قال رضي الله عنه : وأما سدّه ـ **عند طلوع الشمس من مغربها** ـ فكناية عن رفع نور الحقّ من الأرض ، ومن الخلائق التي فيها ؛ فذلك الرفع هو أمرُ الله المشار إليه في الحديث : « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ »[٢١] . وهم أهل الدائرة والعدد ، وكلٌّ من أخذ بحظه من ذلك النور ، فهم حملته ؛ وبهم يبقى على وجه الأرض . فإذا أراد الله تعالى رفعه من الأرض لم يبق منهم أحد ، فيرتفع النور لأنه لا حامل له . وذكر كلاماً آخر ، وهو سرّ من أسرار الله تعالى .

سدّ باب التوبة .

---

(٢١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه بنحوه .

قلت : وما ذكره في تأويل الحديث نقل نحوه الشيخ عبد الرؤوف المناوي[٢٢] في « شرح الجامع الصغير » عن ناصر الدين البيضاوي[٢٣] . واقتصر عليه مرتضياً له . .

وإذا تأملتَه مع ماأشار إليه شيخنا ـ رضي الله عنه ـ ، وجدت ماأشار إليه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ أصحّ نظراً ، وأظهر معنى ، وأوضح في التأويل . والله تعالى أعلم .

☆ ☆ ☆

وسألته ـ رضي الله عنه ـ : لِمَ كانت الجَنّةُ تَزِيدُ بالصَّلاةِ عَلَى النَّبيّ ﷺ دون التسبيح وغيره من الأذكار ...؟..!

[ج] فقال رضي الله عنه : لأن الجنّة أصلُها من نور النبيّ ﷺ فهي تحنّ إليه حنين الولد إلى أبيه ، وإذا سَمِعَتْ بذكره انتعشت ، وطارت إليه ، لأنها تسقى منه ﷺ . ثم ضرب مثلاً : بدابّة اشتاقت إلى قُوْتها وعلفها وشعيرها ، فجيء إليها بالشعير ـ وهي أجوع ماكانت ـ ، فإذا شمّت رائحته فإنها تقرب منه ، وإذا بَعُد عنها تبعته دائماً حتى تدركه . فكذا حال الملائكة الذين في أطراف الجنة وأبوابها ؛ يشتغلون بذكر النبيّ ﷺ والصلاةِ عليه ﷺ فتحنّ الجنة إلى ذلك ، وتذهب الجنة نحوهم ، وهم في جميع نواحيها ، فتتسع من جميع الجهات . قال رضي الله عنه : ولولا إرادةُ الله ومنعه ، لخرجت إلى الدنيا في حياة النبي ﷺ وتذهب معه حيث ذهب ، وتبيت معه حيث بات ؛ إلا أن الله تعالى منعها من الخروج إليه ﷺ ليحصل الإيمان به ﷺ على طريق الغيب . قال رضي الله عنه : وإذا دخل النبيّ ﷺ الجنة

ضرب مثل

---

(٢٢) المناوي (٩٥٢ ـ ١٠٣١ هـ) : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين المناوي القاهري ● من كبار العلماء بالدين والفنون . انزوى للبحث والتأليف ● كان قليل الطعام كثير السهر ؛ فمرض ، جمل ولده « تاج الدين » يستملي منه تآليفه . له نحو ثمانين مصنفاً . اهـ من الأعلام .

(٢٣) البَيْضاوي (.. ـ ٦٨٥ هـ) = (.. ـ ١٢٨٦ م) : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو سعيد ، ناصر الدين البيضاوي ● قاض مفسّر ، علامة شافعي . ولد في المدينة البيضاء (بفارس قرب شيراز) ● رحل إلى تبريز فتوفي فيها ● له عدة مؤلفات عد منها في الأعلام سبعة أشهرها تفسير البيضاوي « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » . اهـ من الأعلام .

وأمتَــه ، فرحت بهم الجنــة ، واتَّسعتْ لهم ، وحصَــلَ لهــا من السرور والحبــور مالا يحصى ؛ فإذا دخلهـا الأنبيـاء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأممهم تنكمش وتنقبض ، فيقولون لها في ذلك ، فتقول : ماأنـا منكم ، ولا أنتم مني ، حتى يقع الفصل بواسطـة استمـداد أنبيـائهم من النبيّ ﷺ ● **وسمعتـه** رضي الله عنـه يقـول في قـولهم : إن (**الصلاة على النبي ﷺ مقبولة قطعاً من كلّ أحد**) . فقـال رضي الله عنـه : لاشك أن الصلاة على النبيّ ﷺ أفضل الأعمـال ؛ وهي ذِكْرُ الملائكـة الـذين هم على أطراف الجنّة .

الصـلاة على النبي محمد ﷺ .

ومن **بركـة الصلاة على النبيّ ﷺ** أنهم كلمـا ذكروهـا زادت الجنـة في الاتسـاع ؛ فهم لا يفترون عن ذكرهـا ؛ والجنـة لاتفتر عن الاتسـاع ؛ فهم يَجُرُّون ؛ والجنة تجري خلفهم ، ولا تقف الجنّة عن الاتساع ؛ حتى ينتقل الملائكة المـذكورون إلى التسبيح ؛ ولا ينتقلون إليه حتى يتجلى الحق ـ سبحانه ـ لأهل الجنـة في الجنـة ؛ فإذا تجلّى لهم ، وشاهده الملائكة المذكورون ، أخذوا في التسبيح فـإذا أخـذوا فيـه ، وقفت الجنة واستقرت المنازل بأهلها . ولو كانوا عندما خُلقوا أخـذوا في التسبيح ، لم تزد الجنة شيئاً . فهذا من بركـة الصلاة على النبيّ ﷺ . ولكنّ (**القَبـول لا يُقطع بـه إلا للـذات الطـاهرة ، والقلبِ الطـاهر**) ؛ لأنها إذا خرجت [الصلاة على النبي] من الذات الطاهرة ، خرجت سالمة من جميع العلل ، مثلِ الريـاء والعجب . والعِلَلُ كثيرة جـداً ؛ ولا يكون شيء منهـا في الـذات الطـاهرة ، والقلب الطـاهر . وهذا معنى مافي الأحاديث الأخر : « مَنْ قَالَ لاَإِلهَ إلاّ اللّهُ دَخَلَ الْجَنَّـةَ »[٢٤] . يعني به : إذا كانت ذاته طاهرةً وقلبه طاهراً ؛ فـإن قـائلهـا ـ حينئـذ ـ يقولهـا لله تعـالى مخلصاً . قال رضي الله عنه : ومع ذلـك إذا نظرتَ إلى سطوة المَلِـك [سبحـانـه] ، وغلبةِ قهره تعالى ؛ وكونِ قلب العبد بين أصبعين من أصابعـه ؛ يقلّبـه كيف شـاء ؛ ويُزّيّن له سوءَ عمله في الوجه الـذي قلّبـه إليـه ، حتى يظهر لـه أنـه أولى من الحـال الذي كان عليه ـ والعياذ بالله ـ ، علمتَ أنه لا يأمن مكره تعـالى إلا من خسر دنيـاه وآخرتـه . والله تعـالى أعلم ● قلت : وهـذا الـذي ذكره الشيخ ـ رضي الله عنـه ـ في

شرط القبول

(٢٤) الحديث . رواه البزار بنحوه بلفظ : « من قال مخلصاً ... » .

قبول الصلاة على النبيّ ﷺ هو الذي لاشك فيه . وقد سُئل عن هذه المسألة الوليّ الصالح العالم الرابح سيدي « محمد بن يوسف السنوسي »[٢٥] - رضي الله عنه - ؛ وقد ذكر له السائل أنه سمع من بعض الفقهاء يقول : إن الصلاة على النبيّ ﷺ مقبولة على كل حال ، فأجابه الشيخ المذكور : بأنه وقع مثل ذلك « لأبي إسحاق الشاطبي »[٢٦] - شارح الشاطبية - . واستشكل ذلك الشيخ السنوسي - رحمه الله - بأنه لو قُطع بالقبول للمصلّي على النبيّ ﷺ لقُطع له بحسن الخاتمة ، كيف وهي مجهولة باتفاق ...!! . ثم أجاب عن الإشكال بجوابين ؛ وهما في الحقيقة احتمالان عقليان ، لادليل عليهما من الشرع ، فلا يقبلان في باب القبولِ الذي[٢٧] لا يُعلم إلا من قبل الشرع : (الجواب الأول) - معنى القطع بقبولها : أنه إذا قضى الله تعالى للمصلّي بحسن الخاتمة وجد حَسَنَةَ الصلاة على النبيّ ﷺ مقبولةً ، لاريب فيها ؛ - بفضل الله - ، بخلاف غيرها من الحسنات ، فإنه لاوثوق بقبولها ، وإن مات صاحبها على الإيمان ● وفيه نظر ، فإن هذا التفريق توقيفي لايُعلم إلا من قبل الشرع ، فكان الواجب بذلَ الجهد في تعيين النص على هذا التفريق من صاحب الشرع . فإن وُجد ، فذلك ، وإلا ، فـ « العقليات لادخل لها في أمور الشرع » . من أصول الأشاعرة .

(الجواب الثاني) : أن معنى القطع بقبولها : أنها إذا صدرت من صاحبها على سبيل المحبة للنبي ﷺ فإنه يُقطع بقبولها ؛ فينتَفِع بها في الآخرة ، ولو في تخفيف العذاب

---

(٢٥) محمد بن يوسف السنوسي (... - ٨٩٥ هـ) : أبو عبد الله ، الحسني . عالم تلمسان وصالحها ● له تصانيف كثيرة منها « شرح صحيح البخاري » و « العقيدة الكبرى » و « أم البراهين » المسمى العقيدة الصغرى . وله في المنطق والتفسير والطّب والعربية شروح ومؤلفات . اهـ من الأعلام .

(٢٦) أبو إسحاق الشاطبي : - قلت - : لم أجده بين شُراح الشاطبية التي ذكرها ابن الجزري في « النشر ٦١/١ » وإنما في « الأعلام » : أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبي : عالم بالقراءات . له تصانيف منها « شرف المراتب والمنازل » في القراءات اهـ .

أبو إسحاق الشاطبي (... - ٧٩٠ هـ) = (... - ١٣٨٨ م) : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي ● مُحدّث ، فقيه أصولي ، لغوي ، مفسر . من مؤلفاته : « عنوان التعريف بأسرار التكليف في الأصول » ، « شرح على الخلاصة في النحو أربعة أسفار كبار » ، « الموافقات في أصول الأحكام » ، « عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق » ، « الاعتصام » ، معجم المؤلفين اهـ ١١٨/١ .

(٢٧) كذا في بولاق وغيرها . وفي ظ ١ : ... القبول الذي هو جعلي لا يعلم إلا من قبل الشرع ...

انتفاع أبي لهب وأبي طالب به ﷺ .

إن قضى الله عليه به ، ولو على سبيل الخلود . ثم قاس ذلك على **انتفاع « أَبِيْ لَهَبٍ »** ببقيه في نقرة الإبهام ، وتخفيف العذاب عنه « يوم الاثنين » ، بسبب عتقه الجارية التي بشرته بولادة النبيّ ﷺ ، وعلى **انتفاع « أَبِيْ طَالِبٍ »** بسبب محبته للنبيّ ﷺ ، حتى كان أهونَ الناس عذاباً في الآخرة ، وأنه لولا النبيّ ﷺ لكان في الدرك الأسفل من النار . قال [السنوسي] : وإذا حصل الانتفاع بسبب الحُبّ الطبيعي ـ وإن كان لغير الله ـ فكيف بحب المؤمن لهذا السيد [الأعظم] وصلاته عليه [ﷺ] ؟...! . يعني فيكون القياس أحْرَوياً ● وفيه نظر ؛ فإن النصوص من « الكتاب والسنة » تكاثرت بإحباط عمل الكافر ؛ وأن (**الإيمان** شرط في القبول) ؛ و « أبو طالب » و « أبو لهب » خرجا من ذلك بُنصّ ، فعُدل بها عن سَنَن القياس ، فلا يقاس عليها ، لأن من شرط المقيس عليه ـ على ماتقرر في الأصول ـ : أن لا يُعْدَل به عن سَنَن القياس[٢٨] .

قاعدة في علم أصول الفقه .

وقد قال الحافظ السيوطي[٢٩] رحمه الله في « الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة » ، عندما تكلم على حديث : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي فَوَجَدْتُ مِنْهَا الْمَقْبُولَ وَالْمَرْدُودَ إِلاَّ الصَّلاَةَ عَلَيَّ » : لم أقف له على سند ● وقال صاحب « تمييز الطَّيِّب من الخبيث ، فيما يدور على الألسنة من الحديث » : « كُلُّ الأَعْمَالِ فِيهَا الْمَقْبُولُ وَالْمَرْدُودُ إِلاَّ الصَّلاَةَ عَلَيَّ فَإِنَّهَا مَقْبُولَةٌ غَيْرُ مَرْدُودَةٍ » . قال ابن حجر : ضعيف ● وقال السيد السمهودي في كتابه الذي سماه « الغماز على اللماز » عند كلامه عليه ، مانصه : حديث : « كُلُّ الأَعْمَالِ فِيهَا الْمَقْبُولُ وَالْمَرْدُودُ إِلاَّ الصَّلاَةَ عَلَيَّ

---

(٢٨) أي كما قال علماء أصول الفقه : ماجرى على خلاف القياس فغيره عليه لا يقاس .

(٢٩) جلال الدين **السيوطي** (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) = (١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م) : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ● إمام حافظ مؤرخ أديب ● له نحو (٦٠٠) مصنف . منها الجامع الكبير والجامع الصغير والتدريب شرح التقريب والمزهر ● نشأ في القاهرة يتيماً ، مات والده وعمره (٥) سنين ● اعتزل الناس في سن الـ (٤٠) . وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل . فألف أكثر كتبه ● قصده الناس وقدموا له الهدايا فردها . **قلت** : سمعت شيخنا « محمد أبو اليسر عابدين » رحمه الله تعالى يحكي عن السيوطي قوله : لقد بلغت مرتبة الاجتهاد غير أني لم أعرف مواضع الإجماع اهـ . وذكر الشعراني في « الأنوار القدسية » عنه أنه كان يجتمع بالنبي ﷺ يقظة وأن ورده في اليوم (٥٠٠٠٠) مرة صلاة على النبي .

فَإنّهَا مَقْبُولَةٌ غَيْرُ مَرْدُودَةٍ » . قال ابن حجر : ضعيف ● وقال صاحب التمييز أيضاً : حديث : « الصلاةُ على النبي ﷺ لاتردّ » هو من كلام أبي سليمان الداراني[30] ، وأورده في الإحياء مرفوعاً . قال شيخنا : هو مما لم أقف عليه وإنما هو عن « أبي الدرداء »[31] من قوله : « **إذَا سَأَلْتُمُ اللهَ حَاجَةً فَابْدَؤُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ** ﷺ ، فَإنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ ، فَيَقْضِي إحْدَاهُمَا وَيَرُدُّ الأُخْرَى » اهـ . وشيخه المشار إليه هو أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب « المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث الدائرة على الألسنة » ● إذا فهمتَ هذا ونحوه ، علمتَ أنه : **لا دليل على القطع بقبول الصلاة على النبي** ﷺ ؛ نعم ؛ هي أرجى في القبول ، وأدخلُ ـ في باب الظنون ـ من غيرها . والله تعالى أعلم .

قبول الصلاة على النبيّ ﷺ .

☆ ☆ ☆

لباس أهل الجنة .

و (**سمعته**) ـ رضي الله عنه ـ يقول ـ في **لباس أهل الجنة** ـ : إنها لاتفنى ولا تطرح ؛ وفي ساعةٍ يلبس الشخص مقدار سبعين ألفاً ، وإذا كان لايطرحها فكيف الحال فإنها تثقل عليه ..؟..! والجواب : أنها أنوار ؛ فتجيء أنوار ، وتذهب أنوار .

☆ ☆ ☆

و (**قال**) رضي الله عنه : إنّ **نظر الذات في الجنة** لا يقف على حدّ أبداً ،

---

(٣٠) **أبو سليمان الداراني** (.. ـ ٢١٥ هـ) : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العبسيّ ، من أهل داريّا ـ قرية جنوب غرب دمشق ـ ، مدفون فيها وله مقام مشهور ● علم من أعلام التصوف ، وله إسناد في الحديث ، ترجم له أبو نعيم في الحلية ، وهو من رجال الرسالة القشيرية ، ومن الذين يقتدى بهم ● من أقواله : لاينبغي لفقير أن يزيد في نظافة ثيابه على نظافة قلبه ، بل يشاكل ظاهره باطنه . قلت : لعله يقصد بالنظافة هنا زينة الظاهر كي لايقع في نفاق الأعمال أو الرياء . اهـ الحلية . مصطلحات الصوفية . الأعلام .

(٣١) **أبو الدرداء** (.. ـ ٣٢ هـ) : عُوَيْمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ● صحابي من الحكماء الفرسان القضاة . أول قاض ولاه عمر في دمشق ● أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً في عهد النبوة ● مات بدمشق وقبره مشهور في قلعتها ● له (١٧٩) حديثاً مروياً . اهـ تقريب التهذيب والأعلام .

لأن نعم الله فيها لاحدّ لها . فإذا نَظَرت الذاتُ إلى نعمة ، فبجرد مشاهدتها ، تحصل له نعمة أخرى في مشاهدتها ، ثم ثالثة ورابعة ؛ وهي تتنعم بكل نظرة ، لاختلاف المَشَاهد . ثم ضرب - رضي الله عنه - مثلاً بالمرآة الكبيرة ، وكانت بين أيدينا ، وذلك أنا تعجبنا لَمّا رأيناها ، لأنها كانت كبيرة جداً ، بحيث إن الشخص يقف فيرى ذاته كلّها فيها ؛ فاشتد تعجبنا منها . قال رضي الله عنه : فإذا رأينا أخرى مثلَها فلا نتعجب ؛ وإذا رأينا أخرى مخالفة لها فإنا نتعجب أيضاً ، كما تعجبنا من الأولى . وفي الجنة لا يُرى إلا ما يخالف .

ضرب مثل

قال رضي الله عنه : واختلف الأولياء في : أنّا لو رجعنا إلى النعمة الأولى هل نجدها على حالتها الأولى أم لا ؟ والله أعلم .

اختلاف للأولياء .

☆ ☆ ☆

وسمعته - رضي الله عنه - يقول - وقد جرى في كلامه - : **إن بعض من يكون في الجنة ، قد يعرض له تَحسُّر وتحزّن** . فحضر بعض أهل العلم ؛ فأراد إنكار ذلك ؛ وقال : إن التحسر لا يكون في الجنة . فقلت : لاتنكر ..!! فإني قطّ ماسمعته - رضي الله عنه - يقول شيئاً إلا وجدته منصوصاً عليه بخصوصه أو عمومه ، أو بذكر نظيره ؛ واختبرته على هذه الحالة نحواً من خمسة أعوام . ثم قلت له : وهذا الذي أنكرتَهُ منصوص عليه ؛ واستحضرت النص ؛ ونحن مسافرون - والحمد لله - فأردت أن أكتب ماقاله الشيخ - رضي الله عنه - ؛ ثم أذكر النص . فقال لي - رضي الله عنه - : ولِمَ أنكر ذلك الفقيه ؟ إن أهل الجنة - كلّهم - إذا دخلوا الجنة سطع نورُ الحمد على ألسنتهم ؛ ويكون ذلك النور على قدر معرفتهم بربهم في دار الدنيا ؛ فإذا دخلوا ، وحصلت لهم معرفة بربهم ، زائدة - على ماعرفوا في دار الدنيا - زيادة لاتحصى ، ندموا من عند آخرهم على ماقصروا في حقّ ربهم ، وخدمته ، وعبادته . قال رضي الله عنه : فهذا أمر يكون في الآخرة . وهو حقّ لاشك فيه ولا مرية ● (قال) رضي الله عنه : وتقع مسألة أخرى لخصوص « الزناة » إذا دخلوا الجنة وتجلى لهم الحقّ - سبحانه وتعالى - ؛ فإذا علموا ماهم عليه من الخساسة والجهل بربهم ؛ وعلموا ماهو عليه [سبحانه] من الجلالة والعظمة ،

تحسّر بعض أهل الجنة .

توقف الشيخ الدبّاغ على علوم الشريعة في جميع مايكاشف به .

تحسر الزناة

والكبرياء والقهر ، والغلبة وسَعَة الرحمة ؛ مع ذلك ندموا ، واستحيوا حتى يُغشى عليهم مدة ؛ وعند ذلك ، يقول (**من عصمه الله من الزنا**) ـ بعضهم لبعض ـ : لقد خَصَّنا ربنا في هذا الوقت بجميع نعمه . فإذا أفاق أهلُ الغشية ، حَصَل لهم من القوة وكمال المعرفة ، شيء لا يكيّف . فهذا مااستدل به ـ رضي الله عنه ـ على وجود مطلق التحسر في الجنة .

قلت :ـ وقد ورد النص بذلك : قال الحافظ « السيوطي » رحمه الله تعالى في « البدور السافرة » مانصه ـ باب تحسّر أهل الجنة على ترك الذِّكْر ـ : أخرج الطبراني والبيهقي[٣٢] بسند جيد عن معاذ بن جبل[٣٣] ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إلاَّ عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهَا » .

وأخرج أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَاقَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ » .

وأخرج البيهقي وابن أبي الدنيا[٣٤] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، قالت : قال

---

(٣٢) **البيهقي** (.. ـ ٤٥٨ هـ) : أبو بكر أحمد بن الحسين ، شيخ خراسان ● له تصانيف لم يسبق إلى مثلها بلغت « ألفاً » التزم في جميعها أن لايخرج فيها حديثاً يعلمه موضوعاً ● كان زاهداً ، عالماً ، ورعاً . رحل إلى الحجاز والعراق . نسبته إلى « بيهق » بلدة قرب نيسابور . له : كتاب السنن الكبير (١٠) مجلدات والاعتقاد ، ودلائل النبوة ، والخلافيات ، ومعرفة السنن والآثار ، والمدخل إلى السنن الكبرى ... اهـ سبل السلام ١٨/١ . والرسالة المستطرفة .

(٣٣) **معاذ بن جبل** (.. ـ ١٨ هـ) : أبو عبد الرحمن . صحابي جليل ● أعلم الأمّة بالحلال والحرام . أحد الستة الذين جمعوا القرآن عهد النبوة ● أسلم وهو ابن (١٨) سنة . شهد المشاهد كلها والعقبة . آخى ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب . بعثه ﷺ بعد غزوة تبوك قاضياً إلى اليمن ومرشداً . كان مع عبيدة بن الجراح في غزو الشام ، واستخلفه أبو عبيدة بعد إصابته في « طاعون عمواس » . وأقرّه عمر ومات ذلك العام بناحية الأردن . اهـ من تهذيب التهذيب وصفوة الصفوة والإصابة .

(٣٤) **ابن أبي الدنيا** (٢٠٨ ـ ٢٨١ هـ) : عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا ، القرشي الأموي ، مولاهم البغدادي ، أبو بكر ● حافظ الحديث ● أدّب الخليفة المعتضد في حداثته ، ثم ابنه المكتفي ● له =

رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ سَاعَةٍ مَرَّتْ عَلَى ابْنِ آدَمَ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهَا بِخَيْرٍ إِلاَّ تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . اهـ ما أورده الحافظ في هذا الباب ● وقال ـ في باب « لباس أهل الجنة » ـ ، أخرج الطيالسي[٣٥] بسند صحيح والنسائي[٣٦] وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ ، وَإِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَبِسَهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ هُوَ » . وقال في موضع آخر : أخرج الشيخان عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ » ● والأحاديث في هذا كثيرة . فلنقتصر على هذا القدر لأن الغرض جمع كلامه ـ رضي الله عنه ونفعنا به ـ .

☆ ☆ ☆

أحوال عموم المؤمنين وحال الوليّ في الجنّة .

وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول : إن المؤمنين يستحضرون النعم في عقولهم ، ويجرونها على قلوبهم ، ويفرحون بالجنة ، وبما أعدّ الله تعالى لهم فيها من النعيم . وأما « الوليّ » ففكره منقطع عن غير الله تعالى . وليس المراد أن فكره يتوجه لغيره[٣٧] تعالى ، وهو يقطعه ؛ بل المراد : أنه لم يخلق في عقولهم ، ولا يخلق أبداً ، الفكر في غير الله تعالى ؛ ولذا سُمّوا « أولياءَ الله » ، لانقطاعهم عن غيره تعالى . فهذا الكلام منه ـ رضي الله عنه ـ **جَمْعٌ على الله** ، ودلالة عليه ، وترفيع لهمّة العبد ،

= مصنفات بلغت (١٦٤) كتاباً ● كان من الوعّاظ العارفين بأساليب الكلام ، وطبائع الناس . مولده ووفاته ببغداد . اهـ من الأعلام .

(٣٥) **الطيالسيّ** (١٣٣ ـ ٢٠٤ هـ) : سليمان بن داود بن الجارود ، مولى قريش ، أبو داود ● من كبار حفاظ الحديث . فارسي الأصل . سكن البصرة وبها توفي ● كان يحدث من حفظه . سُمع يقول : أسرد (٣٠٠٠٠) حديث ولا فخر . له مسند . اهـ من الأعلام .

(٣٦) **النسائي** (٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ) : أحمد بن شعيب الخراساني ، حافظ كان أحفظ من مسلم . سمع من سعيد وإسحاق بن راهويه وغيرهم بخراسان والحجاز والعراق ومصر والشام والجزيرة . تفرد بالمعرفة والإتقان وعلو الإسناد . استوطن مصر ● سننه أقل السنن بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً . توفي بالرملة ودفن ببيت المقدس . نسبته : إلى « نَسَاء » مدينة بخراسان ، وقيل كان كثير النساء ● من مؤلفاته السنن ـ أحد كتب السنن الستة ـ . وخصائص الإمام علي كرم الله وجهه . اهـ سبل السلام ١٢/١ .

(٣٧) كذا في ظ ١ ـ وهو الصواب ـ . وفي بولاق والحلبية : بغيره .

حتى لا يشتغل بالنعمة وينسى الذي أنعم عليه - سبحانه وتعالى - ؛ بل **الواجب عليه هو الاشتغال** بالْمُنْعِم عليه ، والابتهالُ إليه ، والتضرع بين يديه ، والخضوع إليه . هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه العبد المؤمن . وأما « **النعمة** » فلا يكون تشوفه إليها إلا على طريقة التحبب إلى ربّه ، والتوددِ إليه ، والإقرار بأنها منه - سبحانه وتعالى - ؛ فلا يَنْظر إليها إلا بهذه العين ؛ وأما قبلها فهو مع سيده وخالقه ؛ حتى لو فرضنا فقدانَ تلك النعمةِ ، أو عدمَ وجودها أصلاً ، فإن القلب يبقى على ما هو عليه ، من التوجه إلى سيده ، والاستغراق في بحار توحيده ، وأسرار ألوهيته ، فلا يشغله وجود نعمة ولا زوالها عن المنعم - سبحانه وتعالى - . ولذا سمعت الشيخ - رضي الله عنه - يقول : (**إذا حصل للوليّ مراده من الحقّ** - سبحانه وتعالى - فلا يبالي أين يُنزله الحقّ - سبحانه وتعالى -) . ثم ضرب مثلاً : بدودة متشوفة لأكل « العسل » ، بجميع عروقها وأجزائها ؛ فإذا جُعلت هذه « الدودة » في خابية عسل ، واتصلت بمطلوبها ، وجعلت تأكل ليلها ونهارها منه . فإذا جُعلت هذه الخابية التي فيها العسل والدودة في خابية أخرى أكبر منها مملوءة بالقَطِران فإنّ الدودة لاتبالي بذلك ، ولا يقع في قلبها غيرُ عسلها ؛ ولا يتكدر عليها مشروبها برائحة قطران ، ولا بغيره ، لأن ذاتها وكليتها متشوفة إلى العسل ، منقطعة عن غيره ، فلا تتشوف للقطران ، فضلاً عن أن تتكدر به . والله أعلم .

الواجب على العبد .

ضرب مثل



الباب الثاني عشر

(ملخص)

جهنم : صفتها، أهلها، عذاب الجن فيها. **مسائل** وفوائد متعددة .

وفيه (١٢) موضوعاً ومسألة :

الباب الثاني عشر

في

ذكر جهنم -أعاذنا الله منها-

وبعض ما سمعناه من الشيخ رضي الله عنه

أشجار جهنم وثمارها وأنهارها .

[١] (سمعته) - رضي الله عنه - يقول : إن « أهل جهنّم » لا يرون الأشجار والأنهار التي هي قريبة منهم ؛ بل لا يرون إلا ما هو بعيد منهم ، قدرَ الأرضين السبع وما بينهن - ليزدادوا عذاباً على عذابهم - ؛ فيرون على بعد المسافة السابقة في نار جهنم ماهو على صورة الأشجار ، ولها ثمار وأوراق خُضر ، فيسرعون إليها ليدفعوا العذاب الذي بهم بأكل ثمارها ، والدنوّ منها ؛ فيقطعون المسافة السابقة في نحو ثلاث خطوات - استعجالاً - فيأخذون من ثمارها ، وأوراقها ، فيجعلونه في أفواههم . قال رضي الله عنه : و (**كلٌّ ما دخلَ الفمَ من جهنم والجنة لا يستطيع العبدُ إخراجَه**) ؛ كما يستطيعه في دار الدنيا . فإذا وقع في فمهم ورقٌ أو ثَمر كان أشدّ عليهم من العذاب السابق ؛ فيرجعون القهقرى ، فيقطعون المسافة السابقة في نحو خَطوة ونصف ، لما بهم من الحريق . والله أعلم .

من حقائق الآخرة .

ظلام جهنم ونارها لا ضياء فيها .

[٢] و (سمعته) - رضي الله عنه - يقول في **نار جهنم : إنها لا ترى شاعلة نيرة** كنار الدُّنيا ؛ لأن النار التي تشتعل ، تستأنس بها الذات ، مع الطول ؛ فلا تتألم بها ، ولا ترجع عليها عذاباً . وإنّ **صفةَ جهنم ظلامٌ محض** . وإنه لو أخرج منها قدرُ الثمرة وفُرّق جِرمه في الهواء حتى يصير في تفريقه مثل « الدخان » ، فإنه لا يظهر فيه الضياء والاشتعال ● قال رضي الله عنه : ولو ملأنا الدنيا ناراً ، ثم قدرنا أنها ضُمّت وجُمِعَت جمعاً شديداً حتى صارت في مثل « الصندوق » ؛ فإنها ترجع سواداً محضاً ، وظلاماً خالصاً .

مثال

أودية جهنم

[٣] و (سمعته) - رضي الله عنه - يقول : في جهنّم « أودية » ؛ وإن المرأة

من « أهل جهنّم » تحمل ولدها على ظهرها ، ذاهبة لنحو الوادي ، مسيرة المسافة السابقة ؛ لشدة العطش النازل بها ، وقد بلغت الوادي وكرعت فيه - سفهاً - هي وولدها . **قلت** : كذا سمعت الشيخ - رضي الله عنه - يقول في ولدها ، ولم أسأله عن الولد هل هو من ولادة جهنّم حتى يكون فيها تناسل ؛ أو هو من أولاد الدنيا ؟ فإن كان من أولاد الدنيا فقد علمتَ :

مسألة أولاد الكفار والمؤمنين .

[٤] **اختلافَ العلماء** - رضي الله عنهم - **في أولاد الكفار** . وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ »[١] لَمَّا سُئِل عنهم . وهو الذي اختاره إمامنا « مالك » - رضي الله عنه - . فعلى هذا ، فَمَن عَلِم منه تعالى أنه لو كَبِر لآمن بمحمد ﷺ فهو من « أهل الجنّة » . وعليه يحمل حديث جابر بن سمرة في رؤياه ﷺ لأولاد الكفار في الجنّة . ومن علم منه تعالى أنه لو كَبِر لكفر بمحمد ﷺ فهو من « أهل النار » . وعليه يحمل هذا الحديث ، وعليه تتخرّج أيضاً قصة « غلام الخضر » حين قتله مع صغره . وقال العلماء - رضي الله عنهم - : إنه مع صغره طُبِع على الكفر - والعياذ بالله - .

غلام الخضر

وقد **سألتُ** الشيخ - رضي الله عنه - عن هذه المسألة : **فقال** رضي الله عنه : الصحيح فيها ما دلّ عليه هذا الحديث . وزاد - رضي الله عنه - فقال : **وكم من صبي يموت صغيراً ، ويُبعثُ من حملةِ كتاب الله** - عزّ وجلّ - !! ، لأنه تعالى علم أنه لو عاش لقرأ كتابَ الله ؛ فَيُبعث من جملة حملته ! **وكم من صبي يموت وهو صغير ، فيُبعث من جملة العلماء الأولياء** !!... ؛ وغير ذلك . لعلمه تعالى بأنه إذا كَبِر كان من تلك الطائفة ● قلت : وقد وقعت حكاية لبعض أصحابنا ، وقد ناهزَ الاحتلام ، وقرأ القرآن برواية « قالون [عن نافع] » أو قراءة « ابن كثير » ؛ فذهب لزيارة الوليّ الصالح سيّدي « أبي يَعْزَى[٢] » - نفعنا الله به -

حكاية واقعة

---

(١) الحديث . رواه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد .

(٢) أبو يعزى المغربي (... حوالي ٥٨٠ هـ) : تخرج به جماعة من أكابر مشايخ المغرب . كان أهل المغرب يستسقون به فيسقون [بإذن الله تعالى] ● أقام في بدايته ١٥ عاماً في البرّ لا يأكل من حبّ الشجر وتأوي إليه الأسد والطير ● من كلامه : أنفع الكلام ما كان إشارة عن مشاهدة أو نبأ عن حضور . اهـ ملخصاً الطبقات .

بنيَّة أن يقرأ القرآن بسبع روايات ؛ وكانت له في ذلك نيةٌ صالحة ، وعزمٌ نافذ ؛ فجعل يطلب ذلك من الشيخ المذكور ويؤكد عليه في الطلب ؛ وقال له : يا سيدي ، جئتك مسيرة ثلاثة أيام ولا حاجة لي أطلبها منك سوى هذه الحاجة ، فلا تخيب طلبتي . فبينما هو كذلك إذ غلبته عيناه ، فوقف عليه الشيخ أبو يعزى - رضي الله عنه - برسم مكتوب على هيئة « الإجازة » التي يكتبها السبعيون(☆) ببلاد المغرب ؛ وفيه خطوط العلماء والقرّاء ، بأن الزائر من جملة السبعيين وأنه من حُفّاظهم ؛ فقال له الشيخ « أبو يَعْزَى » : خذ إجازَتَك ،فأنت من جملة حفّاظ السبع . فلما قدِم من زيارته مَرِض ومات - رحمه الله - ولم يزد في القراءة شيئاً ...!! ● فسألني أبوه عن وجه الرؤيا وتأويلها ؟ فأجبته بما سبق ؛ ففرح كثيراً ، وزال مابه مِن الغَمّ . والله أعلم . وانظر الحافظ ابن حجر في « الفتح » من كتاب « الجنائز » ، والحافظ السيوطي في « البدور السافرة » ؛ لتعلم ماقاله المحدّثون والعلماء - رضي الله عنهم - في أولاد الكفار . والله أعلم .

خازن النار

[٥] وسمعته - رضي الله عنه - يقول : إن « مالكاً خازنَ النار » - عليه السلام - يراه كلُّ من يمر بالنار مؤمنٌ أو كافرٌ ؛ إلا أن « **المؤمن** » يراه ، ويعلم أنه مخلوق من سرّ إيمان المؤمنين ، فلا يَدْهَش منه ؛ وأما « **الكافر** » فإنه يموت منه رُعباً . والله أعلم .

مَلك الكافر في جهنم .

[٦] وسمعته - رضي الله عنه - يقول : **إن أضعف كافر له في « جهنم » قدرَ الدنيا وعشرة أمثالها** في الاتساع ● **[س و ج]** فقلت : وأين ضيقُها ؟ فقال رضي الله عنه : من إحاطة العذاب بهم . **[س]** فقلت : فلو كان رجل في دار ، وهو يضرب فيها ليلاً ونهاراً ، لعلم بالاتساع ، وترتاح نفسه له ؛ ولا يكون في قلق من يضرب ليلاً ونهاراً في مكان ضيق مثل زُجّ(٣) الرمح .

[ج] فقال رضي الله عنه : لأن الهواء لاعذاب عليه فيه .

(☆) **قلت** : لعل المراد - والله أعلم - القرّاء الجامعون على القراءات السبع .

(٣) **الزُّجّ** : - بالضم - الحديدة التي في أسفل الرمح - المصباح المنير - .

هـواء جهنم وعـذابهـا وأحوالها .

[٧] **وهُواءُ جهنم : نـار خـالصـة** ؛ فهو فيهـا مُعَذَّب ظـاهراً وبـاطنـاً ؛ يتخبط فيها تخبطَ الدجاج المذبوح ؛ وتـارة يستغيث ويصرخ . فلو مرّ بهم مؤمن ، وسمع صوتهم حين يستغيثون ويصرخون لتعطلت حواسه كلُّها . ولا يزيدهم ذلك إلا بُعداً وعذاباً ؛ لأن النار تزيد قوتُها وحريقُهـا ؛ فهم حينئـذ بمنزلـة من يـأخـذ أعواد النار التي في الكانون ، وينفض عنها الجمر والرماد ؛ فإن النار يزيد اشتعالها في تلك الأعواد . والله أعلم .

دور وأبـواب وأشجار جهنم .

[٨] وسمعتـه ـ رضي الله عنـه ـ يقـول : إنّ **في جهنمَ دوراً** ، **وقصـوراً** ، **وأبواباً** ، **وأشجاراً** ، **وحيطاناً** ، **وأُودية** ، كحال مدينة من مدن الـدنيـا ؛ غيرَ أنك إذا أخذتَ أيَّ جوهر أخذتَه من أجزائها وأجزاء دورهـا وقصورهـا وغير ذلـك ؛ وجدتَه ناراً خالصة ، وعذاباً صافياً . فـالـدور ، والقصور ، والأشجـار ، والأودية ، كلُّها نارٌ خالصة ؛ لو خرجَ جوهرٌ منها إلى دار الدنيا لأحرقَها برُمّتها .

العبـد وبنـاء قصـوره في الجنة أو النار .

[٩] قال : وإن العبد في دار الدنيا يعمل أعمالاً ، فتبنى لـه قصورٌ في جهنم ؛ فإذا تاب من تلك الأعمال ، أو عمل عملاً صالحاً ، تَقَبَّلَه الله منه ؛ زالت تلك القصور التي بُنيت له في جهنّم ؛ وبنيت له قصور في الجنّة .

حكاية

و (حكى) لنا ـ رضي الله عنه ـ : **أن امرأة من المؤمنـات كانت حـاملـةً بغوث الـزمـان** ، وكان عنـد جيرانها عُرس . فـذهبت إلى دارهم لتتفرج ، فَسُرقت حاجةٌ لها قيمة لمولاة العروس ؛ فاتُّهمتْ بها تلك المؤمنة ، وحبستها عن الـذهـاب إلى دارها ، وكان زوجها شريفاً لا يرضى بخروجها من باب الدار ، فضلاً عن ذهـابهـا إلى دور الجيران ؛ وكانت له نفسٌ أبيّة ؛ وخـافت المرأة المؤمنـة أن يعلمَ زوجهـا الشريف بخروجهـا ؛ فكيف بنسبتهـا إلى السـرقـة ..!؟ فكيف بحبسهـا ..!؟ فنزل بهـا ـ من الخوف من زوجهـا ـ مـا لا يعلمـه إلا الله ؛ فحصـل للحمـل ضرر في بطنهـا . فَبُنيتْ قصور ودور لتلـك المرأة الكاذبـة في جهنم ؛ ثم بقيت القصور مبنيـةً إلى أن زاد ذلـك الحمل ، وكَبِر ، ومـاتت أمـه ، ومـات أبوه . وأراد أن يتزوج ؛ فـأعطتـه تلك المرأة ماأصدقه لزوجتـه ؛ فـأزال الله تعـالى قصورَهـا من جهنّم ؛ وتقبّل الله ـ عزّ وجلّ ـ منها بفضله ورحمته مافعلَتْه مع ذلك الولد . فسبحان من له هذا الملك ..!!!

تحرك العبد وما يبنى له .

وقال رضي الله عنه : مايحرّك العبد رجله - يمدُّها أو يردُّها - إلا بُني له قصرٌ في جهنّم أو في الجنّة . ولا يختلج في باطنه عِرْقٌ - حالةَ نومه - إلا بني له قصر في جهنّم أو في الجنّة . وإذا كان هذا في هذه الأفعال التي لا يقصدها العبد . فما ظنُّك بالأفعال التي يقصدها ، وقد نهى عنها الشرع أو أمر بها ...!!؟

[س] فقلت : وكيف تبنى القصور على الأفعال التي لاتُقصد لاسيا « أفعال النائم » ؟!

[ج] فقال رضي الله عنه : المعتبرُ في بناء القصور الحُالة التي يَرجع الشخص إليها عند القصد ، فهي السبب في بناء قصوره ؛ سواء كان له قصد أو لم يكن له . فالحالة التي يرجع إليها الكافر حالةَ قصده هي حالة كفره وطغيانه ؛ فهي المعتبرة في بناء قصُوره في جهنّم ، على أيِّ حالة صدرت منه أفعاله ؛ سواء صَدَرت على سبيل القصد ، أو الغفلة ، أو حالةَ النوم . والحالةُ التي يرجع إليها المؤمن حالة قصده هي حالةُ إيمانه ومحبته للنبيِّ ﷺ ؛ فهي السبب في بناء قصوره في الجنة ، سواء صدرت منه أفعاله قصداً ، أو غفلة ، أو مناماً . جعلنا الله من المؤمنين ، ولا أخرجنا من زمرتهم . آمين .

بحث من أصول الفقه

قلت : وهذه **مسألة جليلة** نفيسة ، **طال نزاع العلماء فيها** ، حيث تكلّموا على : أن الكفّار مخاطبون بفروع الشريعة ، فإنّهم اختلفوا : هل يجري هذا الخلاف في أفعال الكفار المباحة ، مثل الأكل والشرب ... ونحوها ؟ فقالت طائفة : إنه يجري ، وإنه لامباح عند الكفار أصلاً ، لأن الإباحة : خطاب شرعيّ من نبينا ﷺ ، إذ « **شرائع غيره [ﷺ] منسوخة بشرعه** » وهم لم يؤمنوا بالنبيِّ ﷺ ، ويزعمون أنهم غير داخلين تحت شرعه الشريف ؛ فيلزمهم أنهم لم يدخلوا تحت الإباحة الشرعية . وإلى هذا ذهب المحققون منهم : كـ « تقي الدين السبكي » . وهو الذي كان يَظهرُ لنا صوابه ؛ فتكون أفعال الكفار - لعنهم الله - بأسرها معاصي وذنوباً . وعليه كلام الشيخ - رضي الله عنه - .

تعريف

وسمعته - رضي الله عنه - يقول : **إنك إذا نَظَرْتَ إلى جهنّم ، أو الجنّة** ، ونظرت إلى قصور أهلها ، وبساتينها ، وجدت أعمال العباد في الدنيا مرتبطة بتلك

حكاية — النقم ، أو النعم ، التي في الآخرة ● ثم حكى لي ـ رضي الله عنه ـ في ذلك حكاية وقال : نَظَر بعضهم إلى قصر بعض المؤمنين الأحياء في الجنّة ؛ فرأى فيه نعمة تحركت للزيادة ، وأرادت أن تتهيأ للانتقال من حالة إلى حالة . قال رضي الله عنه : كحبة العنب ؛ إذا أراد أن يجرى فيها الماء والحلاوة . ثم نظر إلى ذلك المؤمن الذي له القصر فرآه في حانوته يبيع الثياب ، ثم تحرك خاطره وانزعج ، فقام من حينه وأغلق حانوته وذهب إلى داره ؛ وقال لأهله هذا اليوم يوم نفقة ، وجيراننا لاشيء عندهم . قال رضي الله عنه : وكان في جيرانه امرأة ، لها بنات ، وكنّ محاويج ، فأمرتْهنّ أمُّهنّ بالاجتهاد في الغزل لعلهن أن يفرغن في أول النهار ، فتبيع ماتشتري به قوتاً لهنّ ، حتى تسد أطماعهن عن الخَلق . فقال الجار لامرأته : اصنعي طعاماً لنا ولجارتنا ، فأخذت المرأة في تصويبه ، وأمرها بالعجلة فيه ، والاتقان له ، والإكثار منه ، وأخذ قعبين[4] ، وخرج إلى السوق ، وملأهما لبناً . فلما أكملت المرأة الطعام قَسّمه نصفين ؛ وأخذ نصفاً له ، والنصف الآخر جعله في آنية وسقاء ؛ ثم حمله بنفسه ، وحمل أحد القعبين إلى جيرانه ـ والبناتُ مشتغلاتٌ بالجدّ في الغزل وهنّ جياع ـ فلم يَرُعْهُنَّ إلا وصاحب الطعام يدقّ البابَ عليهن ، وقال : قد علمتُ أنه لاداخل عليكم في هذا اليوم ، وأنه يومُ نفقةٍ ؛ فهذا مايكفيكم من الطعام ؛ فخذوه ، وخذوا هذا اللبن ؛ ففرحْنَ بذلك غاية ؛ وانصرفَ ؛ وأكَلْنَ ؛ وطلبْنَ اللهَ له في القَبول ● فنظر ذلك « الوليّ » إلى تلك النعمة ، التي تحركت للزيادة ، فوجدها قد زادت ، وانتقلت إلى حالة لاتكيّف ، ولا توصف ● هذا والأمر غيب عن صاحب الطعام ؛ والربّ ـ سبحانه وتعالى ـ يُحرك عبادَه فيما يصيرون إليه . والله أعلم ● وسألته ـ رضي الله عنه ـ ذات يوم : عن بعض « أهل الظلم » وقد اشتد طغيانه وعتوّه ، وكَرِهَه الناس وتبرؤوا منه غاية . فقلت : ادعُ الله عليه .

مثال

[ج] فقال رضي الله عنه : إنه إلى الآن لم تكمل قصوره في « جهنم » وبقيت له قصور كثيرة ، ولا يموت حتى يكملها . وقد توفي الشيخ ـ رضي الله عنه ـ وذلك الرجل في قيد الحياة إلى الآن ـ نسأل الله السلامة ـ . والله أعلم ● وسألته

---

(٤) القعب : إناء ضخم كالقصعة ـ المصباح المنير ـ .

ـ رضي الله عنـه ـ : عن بعض « أهل الظلم والطغيـان » ، وقـد عُـزل عن مرتبتـه ، وفرح الناس بذلك غاية ؛ فكلمته في ذلك .

[ج] فقـال رضي الله عنـه : أوه ، يـا سيـدي ...! ، فلان إلى الآن لم يكمـل نصابه ؛ فردّ إلى مرتبته ، ورجع إلى حالته ؛ ولم يزل في قيد الحياة إلى وقتنـا هـذا ، وهو آخر يوم من رمضان سنة ست وثلاثين ومائة وألف . والله أعلم .

حـدث في ١١٣٦ هـ .

☆ ☆ ☆

أرواح الحيوانات .

[١٠] و (سمعتـه) ـ رضي الله عنـه ـ يقـول في **أرواح الحيـوانـات** التي لاثواب لها ولا عقـاب عليهـا : **منهـا** : مـايكون في جهنم عـذابـاً على أهل جهنّم ، **ومنها** : مايكون في الجنّة نعمة لأهلها . فأرواح الكلاب والسباع والـذئـاب ، ومـا يُستقبح من هذه الحيوانات ، في جهنّم ، إن كانت مع الكفرة في الدنيـا ؛ وإلا فلا . والله أعلم ● وسمعته رضي الله عنه يقول ـ وكان اليوم « **يوم العيد الأكبر** » ـ : إنّـه ينزل في هـذا اليـوم مـلائكـة ، لقبض أرواح الضحـايـا . فيُرى على كل بلـدة ، أو مدينة ، أو موضع يضحّى فيه يومَ(☆) العيـد ؛ ملائكـةٌ كرام ، يحومون لا ينزلون إلى الأرض ، إلا في هذا اليوم ؛ فـإذا ذبحت الضحيـة ، أخـذوا روحَهـا وذهبوا : إمّـا إلى الجنّة ؛ وإما إلى النار ؛ فـ (**إن** كانت) نيّة صاحبها صالحة في ذبحهـا ، وأنّـه لم يردْ بهـا إلا وجـهَ اللهِ خـالصـاً ؛ ولم يردْ بهـا لافخراً ، ولا كِبْراً ، ولا ريـاء ولا خيلاء ، أخذوا روحَ ضحيته ؛ وذهبوا بها إلى قصوره في الجنّة ؛ فتصير من جملة نعمـه التي في الجنّة . و (**إن** كانت) نيّة صاحبها على العكس من ذلك ، بأن كانت نيته فاسـدة ، وعملُـه لغير الله ـ عزّ وجـلّ ـ ، أخـذوا روحَ ضحيتـه وذهبـوا بهـا إلى جهنّم ؛ وتصير نقمـةً من النقم التي أعدت لـه في جهنّم . وإذا نظرتَ إلى تلـك الروح رأيت كبشـاً بذاته وصورته المعلومة ، بقرونه وصوفه ؛ والكلّ نار حامية . فشعر صوفه كلّه نـار ؛ وقرونه نار ؛ وذاته كلّها نار ـ نسأل الله السلامة ـ ● وقـال لي رضي الله عنـه : اذكرْ هذا الكلامَ للناس ، فإنّهم في غاية الاحتياج إليه . فذكرتُه لجماعة من الناس ؛ وفّقنا الله وإياهم وجميعَ المسلمين للنية الصالحة . والله أعلم .

الأضحيـة وروحهـا وقبولها .

(☆) كذا في بولاق والحلبية . وفي ظ ١ : يذبح فيه للعيد .

عذاب الجن في جهنم بالنار الباردة .

[١١] وسمعته رضي الله عنه يقول : إن **الجنّيّ في جهنم لا يعذب** في النار الحامية ؛ لأنها طبعة فلا تضره ؛ وإنما **يعذب بالزمهرير والبرد . والجنّ في الدنيا تخاف من البرد** خوفاً شديداً ؛ فتراهم إذا كانوا في زمن الصيف ، وفي الهواء ، يتخوفون من هبوب الريح الباردة ؛ فإذا هبت فروا فِرار حُمُر الوحش . وأما الماء **فلا يدخله الجن** ولا الشياطين أبداً ؛ فإن قدّر على أحد أن يدخله ؛ طَفِئ وذاب ، كما يذوب أحدنا إذا دخل النار . والله أعلم . (قال) رضي الله عنه : وإذا خفي عليك كيف **أجسام الجنّ** ؟ فانظر إلى نار مظلمة جداً بكثرة دخانها - مثل ما يكون في الفخارين - وصَوِّرْ فيها صُوَرَهم التي خلقوا عليها ، فإذا جعلت الصورة في ذلك الدخان ، وألبسته إياها فذلك هو الجنيّ . والله أعلم[٥] .

صورة الجنّ

عذاب قاتلي الأرواح .

و (سمعته) - رضي الله عنه - يقول - في **عذاب قاتلي الأرواح** - : إنه ليس كعذاب أهل النار .

ضرب مثل

[س و ج] فقلت : وكيف هو ؟ فبيَّنَه - رضي الله عنه - بضرب مثل ، فقال : لو فرضنا مَلِكاً له قاعات[٦] فيها اليهود والمؤمنون ، وله سُوران ، أحدهما : يعلّق فيه اليهود ، والآخر : يعلّق فيه المؤمنين ؛ ثم إن عصاه واحد من المؤمنين فعلّقه في سُور اليهود ، فنعلم أنه أهانه إهانة عظيمة ؛ حيث جَمَعَه مع اليهود في سور واحد . **فقلت** : بيِّنْ لنا ؛ **فقال** رضي الله عنه : **إنّ في جهنّم ناراً حارة ، وبها يُعذّب بنو آدم ؛ وناراً باردة ؛ وبها يُعذّب الشياطين** - كما سبق بيانه [أعلاه] - وقَتَلَةُ الأرواح بهذه النار يُعذَّبون مع الشياطين . قال رضي الله عنه : ولا يختص هذا بالقَتَلة ؛ بل بعضُ العصاة كذلك . ثم أرادَ أن يعيِّنَهم ويعيِّن الحكمة في تعذيبهم بالنار الباردة ، فجاء من قَطَع الكلام . والله أعلم .

[١٢] (قال) لي رضي الله عنه مرة : أتدري من أشد الناس عذاباً يوم

---

(٥) تقدم : ٣٠٩/١ ، ٣١٠

(٦) كذا في الأزهرية والحلبية ولعله الأقرب للصواب . وفي بولاق : طاعات - وهو تصحيف - . وفي ظ ١ : طاقات .

أشد الناس عذاباً يوم القيامة .

القيامة[٧] ؟ فقلت : من هو ؟ فقال رضي الله عنه : عبدٌ أعطاه الله ذاتاً كاملة ، وعقلاً كاملاً ، وصحة كاملة ؛ ومهّد له في العيش ، وأسباب الرزق ؛ ثم يبقى هذا الرجلُ اليومَ واليومين وأكثر ، ولا يخطر ببـاله خالقُه ـ سبحانه وتعالى ـ ؛ وإذا أمكنته المعصيةُ ، أقبلَ عليها بذاته الكاملة ، وعقله الكامل ، واستحسنها واستلذّ بها ، من غير فكرٍ مشوش عليه من ناحية ربه تعالى . فتجده متصلاً بالمعصية غاية الاتصال ؛ ومنقطعاً عن ربه كلَّ الانقطاع ؛ يميل بكليته وهُوِيّته إلى المعصية ، ويستحليها غايةَ الاستحلاء ؛ فيكون جزاءُ هذا ـ يومَ القيامَة ـ : بأنْ ينقطعَ إلى العذاب بجميع شراشره ، وينساقَ إليه بالكلية ، ويقعَ فيه مرة واحدة ● قال رضي الله عنه : فـ (**الغفلة عن الخالق** سبحانه وتعالى) ـ ولا سيما في حال المعصية ـ شأنها عظيم وأمرها جسيم . فـ ١ **ينبغي للمؤمن ـ إذا عصى ـ أن يعلم أن له ربّاً قادراً عليه ؛ فيحصل له الخوف والوجل ؛ فتنكسر بذلك سورة العذاب إن لم يقع بالكلية**) . والله أعلم .

نصح وإرشاد

☆ ☆ ☆

هذا آخر ما كتبه مؤلفه الفقيه الوجيه ، العالم العلاّمة ، والجهبذ الفهّامة ، سيدي[٨] الشيخ أبو العباس أحمد بن مبارك السجلْماسي[٩] اللمطي[١٠] ـ رحمه الله تعالى ـ مما سمعه من شيخه : سيّدنا ومولانا ، غوث الزمان ، سيّدي عبد العزيز ، ابن مولانا مسعود الدبّاغ[١١] الإدريسيّ الحسنيّ ؛ رضي الله عنه . وأرضاه ونفعنا

---

(٧) تقدم أيضاً ٤٥٩/١

(٨) كذا ظ ١ . وفي بولاق والحلبية : الشيخ أحمد بن المبارك .

(٩) كذا في ظ ١ وبولاق ـ وهو الصواب ـ . وفي الحلبية والأزهرية : السلجامي ... ـ وهو تصحيف ـ . ونسبته إلى السجِلْماسة : وهي مدينة كانت قديماً في بلاد المغرب كبيرة مشهورة واسعة تمتد إلى الجنوب تبعد عن فاس مسيرة عشرة أيام ـ انظر الخارطة 14/1 . ومعجم البلدان .

(١٠) اللمطيّ : نسبة إلى لَمْطَة : وهي أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب من البرّ الأعظم يقال للأرض والقبيلة معاً لمطة . اهـ من معجم البلدان .

(١١) في ظ ١ : الدبّاغ الفاسيّ ...

بعلومه . آمينَ يا ربّ العالمين . وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آلـه وصحبـه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١٢) .



☆

☆ ☆ ☆

☆ ☆

(١٢) جاء في آخر المخطوطة المحفوظة في المكتبة الظاهرية برقم ١١٤١٥ [والتي رمزنا إليها في التحقيق بـ « ظ ١ »] : كان الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة ليلة الاثنين منتصف شهر صفر الخير . سنة ستة وتسعين ومائة وألف [١١٩٦ هـ] . عرّفنا الله خيرها وخير مابعدها . ووقانا ضيرها وضير مابعدها بجاه سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ . كتبه العبد الفقير إلى ربه الغفور « محمد بن محمد ماخور » الأندلسي السلياني . لطف الله به في الدارين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً [اهـ] ● وأنا المحقق أقول : كان الفراغ من التصحيح والتحقيق والتعليق والطبع والنشر للجزء الثاني في شهر رمضان ١٤٠٥ هـ للطبعة الأولى حيث استمر العمل في ذلك قرابة خمس سنوات للجزأين ، بعون الله تعالى على يد العبد الضعيف بنفسه القويّ بربّه محمد عدنان بن تيسير سعيد الشماع الدمشقي أصلاً ومولداً ومسكناً . والحنفي مذهباً ، الماتوريدي عقيدة ، الشاذلي طريقةً ، البرهانيّ مشرباً . الجامع بفضل الله تعالى لأنواع العلوم الدينية والدنيوية . من تلامذة سيدي العارف العلامة « محمد سعيد البرهاني » قدس سرّه وجعل الله هذا العمل في صحيفته . وممن قرأ على الشيخ الحنفي الصغير سيدي « عبد الوهاب الحافظ الشهير بدبس زيت » . وممن تخرج على خاتمة المحققين والعلماء الجامعين لأنواع العلوم العقلية والنقلية سيدي العلامة المفتي الحسيب النسيب الطبيب « محمد أبو اليسر عابدين » من أجازني بإجازات خاصة وعامة بأنواع العلوم الشرعية . رحمهم الله جميعاً ، وجزاهم عنا وعن المسلمين كل خير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

١) فهارس الكتاب(☆) جـ (١) و (٢)

أ ـ على حسب حروف المعجم

(☆) تسهيلاً للفائدة من هذه الفهارس قد اتبعنا ما يلي :
- لم تُعتبر (ألـ) التعريف في الترتيب .
- الواو التي تكون في أوئل الآيات والأحاديث أو أبيات الشعر لم تعتبر في الترتيب .
- الأعلام والأماكن التي لها ترجمة ضمن الكتاب قد أُشير إليها بحرف مميز وكذلك بالنسبة للصفحات التي تحوي الترجمة .
- تمّ الترتيب على حسب الحروف الهجائية وبدون ردّ الكلمات إلى أصلها اللغوي .
- تع = تعليق في حاشية الكتاب .

فهرس الآيات الكريمة

ب، ت، ث

ج، ح، خ

د، ذ، ر

س، ش، ص، ض

ع، غ

ف

☆ ☆ ☆

فهرس موضوعات الآيات الكريمة

☆ ☆ ☆

فهرس الأحاديث

أ

ق

ك

ل

م

ن

هـ

أحاديث لا أصل لها



فهرس موضوعات الأحاديث

ملاحظة : كل ما بين قوسين ( ) لم يعتبر في الترتيب .

ف

ق

ك

☆ ☆ ☆

فهرس الأشعار

☆ ☆ ☆

فهرس الأعلام

ب

ت

ث

ج

خ

د

ذ

ر

ز

س

غ

م

ن

فهرس الأمكنة والبلدان

د، ذ، ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق



فهرس الكتب والمراجع

- إعجاز القرآن (للباقلاني) تع ١٢٠/١
- الأعلام (للزركلي) ١٨/١؛ تع ٤١/١، ٤٣، ٤٧، ٥٤، ٧١، ٨٧، ١١٢، ١١٣، ١٢٠، ١٣٦، ١٢٨، ١٣١، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢، ١٨٩، ١٩٣، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣١٨، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٥، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٩، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٥٠، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٥، ٤٦٩؛ تع ٢٥/٢، ٢٧، ٥٧، ٩٩، ١٠١، ١٣٠، ١٣٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٠، ٢٠٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٦٥، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٤
- إعلام الساجد بأحكام المساجد (للزركشي) تع ٢٢٨/٢
- أعلام النساء (للزركلي) تع ١٢٨/١؛ تع ٢٩/٢
- الاقتصاد السني في الاعتقاد السني (للغزالي) ٢٢٤/٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٢
- شرح ألفية العراقي (للسخاوي) ٢١٨/١؛ تع ٣١٨/١
- إمتاع الأسماع (   ) تع ٢٧٥/١
- أم البراهين (للسنوسي) تع ٣٣٩/٢
- إنارة الأفهام بسماع ماقيل في دلالة العام (لأحمد بن المبارك) ١٠/١
- الانتصار (للباقلاني) ١٢٠/١، ١٢٩، ١٨٠، ١٩٢، ٢٣١؛ تع ١٩١/١، ٢٥٢/٢
- الانتصاف ٤٢٢/١
- الإنسان الكامل (لعبد الكريم الجيلي) تع ٢٢٩/٢
- الإنسان الكامل والقطب الغوث الفرد (من كلام ابن العربي الحاتمي، جمع محمود محمود غراب) تع ٩/٢، ١٥، ١٦، ٢٢٢، ٢٢٣
- الانكفاف عن إقراء الكشاف (لتقي الدين السبكي) ٤٢٣/١
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (للبيضاوي) تع ٣٣٧/٢
- أنوار السرائر وسرائر الأنوار ١٦٢/٢
- الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (للشعراني) ٦٦/٢، تع ٣٤٠/٢
- الأنوار المحمدية (للنبهاني) تع ٥٦/٢
- الأوائل (للطبراني) تع ٣٢٥/٢
- الأوسط (للطبراني) تع ٢٧٥/٢
- أوهام المعتزلة (لأبي منصور الماتوريدي) تع ٢٤١/٢
- إيضاح البيان لمن أراد الحجة من «ليس في الإمكان أبدع مما كان» (للسمهودي) ٢٢٢/٢
- الإيضاح في الأصول (للمازري) تع ٢٤٠/١
- الإيضاح والتبيين (للسهيلي) تع ٣٩٤/١

ب

- الباهر في حكم النبي ﷺ في الباطن والظاهر (للسيوطي) ٢١٥/٢
- البحر المحيط في أصول الفقه (للزركشي) تع ٢٢٨/٢
- صحيح البخاري ١٥٦/١، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢؛ تع ٢٣٦/١، ٢٥٤، ٣٩٤؛ ٣٠٤/٢
- شرح صحيح البخاري (لابن بطال) تع ٢٤٠/١
- شرح صحيح البخاري «المسمى بفتح الباري» (لابن حجر) ١٢٩/١، ١٥٦، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٣٤؛ تع ٣٧٦/١؛ ٣٦/٢، ٣٠٨، ٣٥١
- شرح صحيح البخاري (للسنوسي) تع ٣٣٩/٢
- شرح صحيح البخاري (للمهلب بن أبي صفرة) تع ٢٥٣/١
- البدور السافرة (للسيوطي) ٤٢٧/١، ٤٤٣؛ ٢٢٨/٢، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٤٣، ٣٥١
- البردة (للبوصيري) ٥١/١، ١٥٠؛ ٥٧/٢
- البرهان (لإمام الحرمين الجويني) ٢٢٨/١، ٤٠٩؛ ٢٣٩/٢؛ تع ٣٢٩/٢
- البرهان المؤيد (لأحمد الرفاعي) تع ١٨٠/٢، ٣٣٣
- شرح البرهان (لأبي الحسن الأبياري وعلي بن إسماعيل) ٤٠٩/١
- البلاغة الواضحة (لمجموعة مؤلفين مصريين) ٤١٥/١
- بيان ابن رشد ١٠١/٢
- بيان المعاني على حسب ترتيب النزول (لعبد القادر ملاّ حويش) ١٦/١؛ تع ٢٨٤/١

ت

- التاج الجامع للأصول (لمنصور بن علي ناصيف) تع ٣٢/٢
- التاج والإكليل في شرح مختصر الخليل (للموّاق) ٤٦٩/١

ح

خ

د

☆ ☆ ☆

فهرس الفوائد العامّة

- **النقص :** لا يلزم من ثبوت النقص في المفعول ثبوته في الفاعل ٢/٢٢٧
- **الوسواس :** كل عمل دخله وسواس فلا نصيب فيه لله تعالى ١/٤٨٠

● حِكَم

- **الاستقامة** يستحيل أن لا تكون كرامة بخلاف غيرها من الخوارق ١/٧٣
- **البدايات** تدل على النهايات ٢/٦٥
- **الجزم :**
  - الجزم علامة أهل الصدق والتحقيق ٢/٨٠
  - مادامت الذات جازمة بالشيء فإن الشيطان لا يقربها ٢/٨٠
- **الحقّ :** لا تعرف الحق بالرجال ، اعرف الحقّ تعرف أهله ٢/٢٥٣
- **خاطر العبد :** إذا ذهب خاطر العبد مع غير الله فقد انقطع عن الله عزّ وجل ١/٨٠
- **الخوف :** من خاف من شيء سلط عليه ١/٢٤٧
- **الرياء :** من لم يقنع في أقواله وأفعاله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة ٢/١٥٢
- **السرّ :** أهل الاحتقار أحقُّ بالأسرار ٢/٢٩٦
- **الصالحون :** مابين الصالحين بُعدٌ وإن تباعدت أوطانهم ١/٥٧
- **العلم :**
  - آفة العلم عدم التقييد ١/٢٤
  - علم الباطن إذا لم يكن معه علم ظاهر فقلّ أن يُفتح على صاحبه ١/٤١٦
  - العلم سرّ من الأسرار ١/٤٤٩
  - العلم الكامل يحيط بالباطن والظاهر ١/١٥٩
  - لا يدرك حقيقة العلم إلا من توجّه إليه بباطنه ١/٤٤٩
- **القبول :**
  - القبول لا يقطع به إلا للذات الطاهرة والقلب الطاهر ٢/٣٣٨
  - من علامة قبول العمل نسيانك إياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية ٢/١٦٠
- **القلب :**
  - إذا امتلأ القلب حرمة ووقاراً، تعلم اللسان العبارة ٢/١٤٠
  - إذا سكن الوقار في القلب ظهر على اللسان كيفية الخطاب ٢/١٣٩
  - قلوب الأولياء الأصفياء مظاهر الأقدار ٢/٢٩
- **الولي :** إذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الولي معهم بظلّ ذاته ٢/١٠٦

● وصايا

- **التفرقة على الإخوان :** المرء سفينة نفسه في تفرقة النصيب الواجب عليه لإخوانه في الله عز وجل ٢/٢٤
- **الرياء :**
  - لا تطمعْ في المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس ٢/١٥٢
  - لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس ٢/١٥٢
- **الصادق :** لا يحتاج إلى السؤال باللسان في حضرة شيخه ٢/١٣٧
- **الضحك :**
  - إن الله يبغض الضحّاك من غير عجب ، والمشاء من غير أرب ٢/١٤١
  - إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ٢/١٤١
- **المريد :**
  - كل أدب يستعمله المريد مع الشيخ فإنه يثمر مثله مع الله عزّ وجل ٢/١٣٢
  - المريد إذا وجد النقص من نفسه عند غيبة الشيخ فالتقصير منه لا من الشيخ ٢/٥٩
  - المريد لا يجيء منه شيء حتى لا يكون في قلبه غير الله والرسول والشيخ ١/١٠٦
- **النظر في وجوه المؤمنين** يزيد في الإيمان ١/٤٨٨

● تنبيهات

- **المحجوب** لا يخلو من الرياء والسمعة إلا إذا كان يرى في كل لحظة أن أفعاله مخلوقة له تعالى ٢/١٢٧
- **مخالطة الأولياء** بمنزلة أكل السموم ١/١٠٦

ـ **الوسواس :**
ـ الوسواس لا يكون إلا مع الجهل بالطريق ٨٠/١
ـ الوسواس لا ينقطع إلا بالرؤية ٧٠/١
ـ **وطء الزوجة في أوقات الصلاة** إن تكوّن منه ولد فإنه لا يكون بإذن الله إلا عاقاً لوالديه ٩٤/١

● تربية

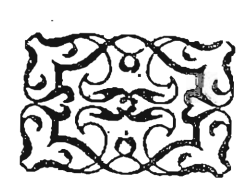
ـ **الشيخ :**
ـ إذا كانت صحبتك مع شيخ كامل فاحرص أن تفنى عن مرادك في مراده ، واطلب أن لا تعيش بعده ، فسلامتك مع غيره غريبة ، ووصلك أغرب وأعجب من كل شيء ١٢٠/٢
ـ الشيخ الذي يغضب على مريده حيث يتركه ويذهب لغيره عاجز أو عقيم ١٣٥/٢
ـ الشيخ الذي يلقى إليه بالقياد هو العارف بأحوال النبي ﷺ ٥٤/٢
ـ **الصحبة :**
ـ الصحبة إن كانت على الحسنات فقط فما هي بصحبة ١٥٥/٢
ـ لا خير في صحبة يستر معها شيء من أحوال المتصاحبين ١٥٤/٢

● أدعية وصلوات وتوسلات

ـ **استعاذة نبوية لدفع الرؤيا المحزنة :**
أعوذ بما أعاذت به ملائكة الله ورسله من شرّ رؤياي أن يصيبني منها ما أكره في ديني ودنياي ٢٥٠/١
ـ **استعاذة نبوية للنوم :**
أعوذ بكلمات الله التامات من غضب الله وعذابه ومن شرّ عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأعوذ بك ربّ أن يحضرون ٢٥١/١
ـ **تلاوة قوله تعالى :**
﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ من أجل دفع بلاء أو مصيبة أو فقر أو جهل ١٧٨/٢
ـ **دعاء الدباغ ـ قدّس سرّه ـ للاجتماع به ﷺ :**
اللهم يا رب بجاه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ اجمع بيني وبين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ في الدنيا قبل الآخرة ٥٢/١
ـ **دعاء الدسوقي ـ قدس سره :**
بسم الإله الخالق الأكبر، وهو حرز مانع مما أخاف وأحذر، لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ، يلجمه بلجام قدرته ، أحمى حميثاً ، أطمى طميثاً ، وكان الله قوياً عزيزاً ، حمّ عسقّ حمايتنا ، كهيعص كفايتنا ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ٣٤١/١
ـ **دعاء ساعة الاستُجابة يوم الجمعة** ٢٣/٢
ـ **صحيح البخاري :**
ـ من أخذ سفراً من صحيح سيدي البخاري وذهب به إلى ضريح ولي وفتحه وتوسل برجال سنده وبذلك الولي إلى الله تعالى فإن حاجته تقضى ٢٠/٢
ـ **صيغة صلاة على النبي ﷺ :**
لسيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها : اللهم صلّ على من روحه محراب الأرواح والملائكة والكون ، اللهم صلّ على من هو إمام الأنبياء والمرسلين ، اللهم صلّ على من هو إمام أهل الجنة عباد الله المؤمنين ٣٠/٢

● كشف وتحقيق

ـ **الأذان** إذا خرج من الذات الطاهرة ملأ نوره جميع الفراغ الذي يبلغه صوت الأذان ٣٠٣/١
ـ **الأرض :** لو علم الناس ما عليه الأرض ما أمكن أحد أن يعصي الله عليها أبداً ٢٩٦/١
ـ **أعمال العباد وخواطرهم :** كل أعمال العباد وخواطرهم تابعة لحركات قلوبهم وحركات قلوبهم تابعة لأفعال الحق سبحانه في القلوب وإرادته فيها ٢٧٨/١
ـ **أنوار الحاضرين العلمية :** إن أنوار الحاضرين العلمية تغيب عند حضوره ﷺ ٢٦٠/١
ـ **أهل السنة والجماعة :** إنه لا يفتح على العبد إلا إذا كان على عقيدة أهل السنة والجماعة ٦٩/١
ـ **الإيمان :**
ـ إن أقل الناس إيماناً من يرى إيمانه على ذاته مثل الجبل وأعظم منه ٥٩/١ ؛ ١٨٦/٢
ـ إن الذاتُ تكل أحياناً عن حمل الإيمان فتريد أن



فهرس الحكايات

ملاحظة : كل مابين قوسين ( ) لم يعتبر في الترتيب .

ط

ع

غ

ف

م

و

ي

☆ ☆ ☆

فهرس التعريفات

فهرس موضوعات الكتاب



المحتوى

حسب تسلسل الأبحاث جـ ٢



تصحيح أخطاء واستدراكات على الجزء الأول

الصفحة	السطر «أو الموضع»	الخطأ «أو نوعه»	الصواب «أو الاستدراك»
3	٣	كلمة الشيخ إبراهيم ...	كلمة الشيخ العارف المحقق الفقيه الحنفي والمالكي إبراهيم ...
6	١	صاحب كشف الظنون	صاحب [ذيل] كشف الظنون
7		صورة وضعت خطأ	إلغاؤها لكراهتها الشرعية (لكونها كاملة)
10 ـ تع ـ	١	ذوي العود ذوياً	ذوى العود ذَوِيّاً ... [اهـ القاموس المحيط]
14	الأخير ـ حاشية ـ	«نقص في الحاشية» مملكة الإسلام ...	الخط الرفيع تعبير عن التسمية المعاصرة جزء من مملكة الإسلام ...
16	جدول (١) حرف النبوة	«نقص»	للنبي فقط
19	جدول (٢) ٤	النبوة وينشأ عنها ... وعدم الإعمام	... وعدم الإشمام
٦	١٧	... لعله»	... لعله»(*). [ويضاف في الحاشية:] في المقاصد الحسنة: ... قال ابن حجر: [الحديث] ليس بثابت ولكن معناه صحيح ...
٨	١٧	... متداولة	... متداولة. بينما جرت المطابقة كاملة مع طبعة بولاق والحلبية والأزهرية وعثمان.
١١ ـ تع ـ	نهاية الأخير	«نقص»	ويمكن اعتبار أميّته كناية عن ضعف قراءته. وقد اعتبره المؤلف أمياً بهذا المعنى حسب ما جاء ص ٢٦١
١٤	١٥	جـ ترجه	جـ ترجمة
١٥	٩	من تداخلُ	من تداخلِ
١٨	١٢	«نقص» سير نبلاء الأعلام	أعلام النساء (٥) أجزاء سير أعلام النبلاء
٢٠	٢١	المتوفى ( )	المتوفى (١٣٤٦ هـ)
٢١	١٣	أحمد بن سعود مفتي الطفيلة ...	أحمد بن مسعود مفتي الطفيلة بالأردن ...
٢٣	الأخير ـ حاشية ـ	«نقص في الحاشية»	وجه كتاب الإبريز مخطوطة الظاهرية (ظ ١)

الصفحة	السطر «أو الموضع»	الخطأ «أو نوعه»	الصواب «أو الاستدراك»
٢٤	الأخير ـ حاشية ـ	«نقص في الحاشية»	الصفحة الأولى من (ظ ١)
٢٦	الأخير ـ حاشية ـ	«نقص في الحاشية»	الصفحة قبل الأخيرة من (ظ ١)
٢٧	الأخير ـ حاشية ـ	«نقص في الحاشية»	الصفحة الأخيرة من (ظ ١)
٣٢	٢٤	تنحطون	يتخطون
٤٤	١٢	شطارة،	شطارة.
٤٥	٢	عنى، من ...	عنّي من ...
٥١ ـ تع ـ	٤	«نقص وتعديل»	... ومن أهل فاس مولداً ونشأةً ووفاة ومدفناً. كان سالكاً سبيل أهل اللامتية وعنه أخذ الشيخ أبو مدين الغوث.
٥٢ ـ تع ـ	٣	«نقص»	الخضر (هـ): بليـا بن ملكان بن فالخ بن ( ) بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. اهـ. **من شجرة الأنبياء، طبع الهند نقلاً من كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب وغيره** ● قال سيدي عبد الكريم الجيلي في «الإنسان الكامل» بما معناه: شرْب الخضر من ماء الحياة. وجاء في ترجمته أنه اجتمع به ﷺ وأن الأولياء يجتمعون به. ويموت شهيداً يقتله الدجال ـ انظر الإصابة ـ. وذكر سيدي محي الدين بن عربي في الفتوحات المكية بأن الخضر نبيّ حيّ من أهل التصريف.
٥٥	١٦	فقال: سيدي عبد الله ...	فقال سيّدي عبد الله: ...
٥٦ ـ تع ـ	١	«نقص»	والصواب غالباً أنها منسوبة إلى أبي مسعود عقبة بن عامر الأنصاري البدري وقد ترجم له في حاشية العدوي على نخبة الفكر.
٥٩ ـ تع ـ	١	ص (، ،) جـ ٢	ص (١٦٥، ١٦٦، ١٦٧) جـ ٢
٦٣	قبل الأخير	نعمل به فبعثوا إلي	نعمل به. فبعثوا إلي
٧١	٢	الوليد بن مسلم	الوليد بن مسلم[*] [ويضاف في الحاشية:][*]: الوليد بن مسلم (١٢٢ ـ ١٩٥ هـ): أبو العباس الأموي بالولاء، الدمشقي. عالم من حفاظ الحديث. قال النووي: أجمعوا على جلالته وارتفاع محله في العلم. وقال الذهبي: لا نزاع في حفظه وعلمه إنما الرجل

الصفحة	السطر «أو الموضع»	الخطأ «أو نوعه»	الصواب «أو الاستدراك»
			مدلس فلا يحتج به إلا إذا صرّح بالسماع ● له (٧٠) مصنفاً في الحديث والتاريخ. قيل فيه: «مَنْ كتبَ مصنفات الوليد صلح أن يليَ القضاء» ● توفي بذي المروة منصرفاً من الحج. اهـ تهذيب التهذيب ١٥/١١. ميزان الاعتدال ٢٧٥/٣. الوفيات ١٥٢.
٧١-تع-	١٥	أبو عوانة	أبو عَوَانَة
٧٦-تع-	٥	«نقص»	له الصلاة المشيشية مشهورة وفيها فتح عظيم ● جاء في محاضرات اليوسي (75): هو من ثلاثة من صلحاء المغرب قد جرب عندهم قضاء الحاجات [بإذن الله تعالى].
٧٩	١٠	[ص ، ، جـ٢]	[ص: ١٥٥، ١٥٦ جـ٢]
٨٧-تع-	الأخير	ص [، ،] جـ٢	ص [٣١٥ حتى ٣١٨] جـ٢.
٩٤	٢١	في أوقات الصلاة	في أوقات الصلاة(*) [ويضاف في الحاشية:](*): أي قبل أن يؤدي صلاته.
٩٥	١١	حُضَرْنا	حَضَرْنا
٩٧	١٥	من المزاح	من المزاح(*) [ويضاف في الحاشية:](*): قلت: كان من الأدب الشرعي عدم ذكر هذه المخالفة؛ وإذا وقعت وأمثالها فيطلب التستر فيها وعدم التصريح بها. مع ملاحظة أنه قد يقع ذلك من الخواص أحياناً من باب عدم العصمة ولكنهم لا يجاهرون ولا يتحدثون بذلك، بل يتوبون فيما بينهم وبين الله سبحانه.
١٠١-تع-	٣	«نقص»	(٥٥) أبو العباس السبتي: (٥٢٤، ٦٠١هـ) أحمد بن جعفر الخزرجي. من أكابر الزهاد والعلماء في المغرب. ولي كبير... اهـ الوفيات ٣٠٢. وله ترجمة طويلة في «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» ٢٣٧/١، ٢٣٩. وكذا في جامع كرامات الأولياء ٣٠٢/١.
١١١	قبل الأخير	لا أصل له.	لا أصل له(*). [ويضاف في الحاشية:](*): قال السخاوي في المقاصد الحسنة ٣٢٧: ليس من كلام النبي ﷺ اهـ. وزاد في كشف الخفا ١٣٢/٢: قال القاري: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى ﴿ وما

الصفحة	السطر «أو الموضع»	الخطأ «أو نوعه»	الصواب «أو الاستدراك»
			خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي: ليعرفون. كما فسّره ابن عباس ...
١١٢ ـ تع ـ	٤	تهجمه على السادة الصوفية	تهجمه على العلماء وبعض الصحابة والتابعين والسادة الصوفية وله بعض فتاوى شاذة منكرة. كما له زلات في العقيدة.
١١٣ ـ تع ـ	١٣	: إمام الحفاظ ...	: نسبته إلى جزيرة ابن عمر، إمام الحفاظ ...
	١٤	في دمشق، ورحل ...	في دمشق، وابتنى فيها «دار القرآن»، ورحل ...
١١٦ ـ تع ـ	٦	... ص ( ) جـ ٢	... ص (٢٧٥) جـ ٢
١١٨	٤	:	
١٢٨	٥	قال في النشر ٢١/١: ... والإتقان ٧٨/١	قال في النشر ٢١/١، والإتقان ٧٨/١: نصّ ...
١٢٨ ـ تع ـ	١	نشء في المدينة	نشأ في المدينة،
١٣٣ ـ تع ـ	١	تقدم ص ١١٨	تقدم ص ١٢٨
١٣٨	٥	إمام جليل، مقرئ الأئمة	إمام جليل، [قلت: هو مدفون في حي العقيبة ـ جادة المَفْتَشَة ـ جانب مقبرة الدحداح، وقبره مشهور. وله كرامات وبركات يلاحظها الجوار] مقرئ الأئمة.
	١٠	أبي ليلى وجماعة	أبي ليلى وأبو حنيفة وجماعة
	١٥	وتفسيرها).	وتفسيرها). (فائدة) قيل: أول مسألة خالف فيها أبو حنيفة شيخه حماد هي عندما خرجا في جنازة الأعمش. فأخّر أبو حنيفة الصلاة إلى آخر الوقت لأنه كان يرجو حضور الماء.
	٢٥	الرواة العشرة	القراء العشرة
١٤٠	١١	«نقص»	... وحكمة. [وسيأتي ٢١٤/١ عدد مرات شق صدره الشريف ﷺ وحكمة ذلك].
١٤١ ـ تع ـ	٢	«نقص»	والصواب «تسفه». قال في القاموس المحيط: سففت الماء: أكثرت منه فلم أروَ. اهـ. قلت: ويصبح المعنى: وتسفّ ذاته الشريفة [ﷺ] النور: أي تكثر منه فلا تروى ولا تشبع.
١٥٩	٢١	، ثم	. ثم
١٦٤	٧	العالم الكامل	العلم الكامل

الصفحة	السطر «أو الموضع»	الخطأ «أو نوعه»	الصواب «أو الاستدراك»
١٦٥ ـ تع ـ	٢	نقص	حتى ص ٢٤٠ . وكان إتمام المطابقة هو من طبعة بولاق وعثمان والحلبية .
١٧٢	١١	حرفاً	حرفاً[*] [ويضاف في الحاشية [*]: انظر الجدول الملخص لهذه الأحرف ص 16 و 17 .
١٨١ ـ تع ـ	٥	أبي عمر بن العلاء	أبي عمرو بن العلاء
١٨٨	قبل الأخير	..!!؟	..!!؟[*] [ويضاف في الحاشية [*]: قلت : وما يؤيد هنا من النقل ما ذكره القاضي عياض في كتابه «ترتيب المدارك» أن قراءته ﷺ هي معجزة بعد أميته . واعتمد ذلك الإمام «أبو الوليد الباجي» . وانظر مقالة (أبي الوليد الباجي) في مجلة دعوة الحق المغربية عدد 233 .
١٨٩	١٧	وعن الزائد ...	و [سألته] عن الزائد ...
١٩٣	١١	رسم آخر لا يوفّى	رسمٌ آخر لا يوفّي
٢٠٠	٢٢	النونان الثلاث	النونات الثلاث .
٢١١ ـ تع ـ	٣	«نقص» .	قال في معجم البلدان ٢٣٦/٤ : حيوة : شاذة في بابه ، لأن الواو والياء إذا التقتا وسبقت إحداهما بالسكون وجب إدغامها . وأظهرت ههنا لئلا يلتبس بالحية .
٢١٢ ـ تع ـ	١	(٩٠) عاصم الجحْدَري (ـ ... هـ)	(٩٠) الجَحْدَرِيّ (ـ ١٢٨ هـ)
٢١٧ ـ تع ـ	٣	«نقص»	وانظر الجدول ص 16 ـ 20 .
٢٢١ ـ تع ـ	٦	منشأه	منشؤه
٢٢٩	١٣	﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾	﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾[**] [ويضاف في الحاشية [**]: كذا في مصاحف أهل الشام وبها قرأ ابن عامر . وكذا في آل عمران : ١٨٤ ﴿بالزبور وبالكتاب المنير﴾
٢٣٢	هامش	المذكور ...	المذكورة في أحاديث الرؤيا
٢٤٨	قبل الأخير	الخبيثة وخبثها	الخبيثة ، وخبثها
٢٤٩	٧	الأسودة	الأسْوِدَة
٢٤٩	١٦	، قلت	. قلت
٢٥٠	١٢	ورسْله	ورسُلُهُ
٢٥٠ ـ تع ـ	٢	سبيل السلام	سبل السلام ـ
٢٦٦ ـ تع ـ	١	«نقص»	ومنها قولهم : اقترح لنا شيئاً نجد لك طبخه ، قلت :

الصفحة	السطر «أو الموضع»	الخطأ «أو نوعه»	الصواب «أو الاستدراك»
			اطبخوا لي جبة وقميصاً. قلت: وسيأتي أيضاً شرح مفصل لهذا التعريف ص ٤٢٦.
٢٩٠ ـ تع ـ	الأخير	نقد» ملاحظة	نقد» ● ملاحظة
٢٩٢	٢	أصبعين	أصبعين
٢٩٣	١٩	ماجة	ماجه
٢٩٦	٢	، قال	. قال
٣٠٠	٢٤	، فاغتنم	. فاغتنم
٣٠٢	١٣	إذا ذات	إلاّ ذات
٣٠٤	٢	لاتّبعاني	لاتّبعاني
٣٠٧	١٢	ماهذا	«ماهذا؟...
٣٠٧ ـ تع ـ	٢	وسيأتي ص ( ) جـ٢	وسيأتي ص (١٠٥) جـ٢
٣٠٩ ـ تع ـ	٩	وسيأتي أيضاً ص جـ٢	وسيأتي أيضاً ص ٣٥٦ جـ٢
٣١١ ـ تع ـ	٣	وسيأتي ص جـ٢	وسيأتي ص ٩ جـ٢
٣١٨ ـ تع ـ	٦	«الحاوي للفتاوى»	«الحاوي للفتاوي»
٣٢٢	١٦	من يعاهد	من عاهد
٣٢٣	٧	غالم	عالم
	٨	وإن الله...	إنّ الله...
٣٢٥	٥، ٦	«نقص»	رسم خط طويل سطراً كاملاً قبل [من ١] لفصل العنوان عن البحث
٣٢٦	١٩	، قلت:	. قلت:
٣٢٨	٤	اتباعه فليس كذلك	اتباعه، فليس كذلك؛
٣٣١	٢١	الله	الله
٣٣٦ ـ تع ـ	٥	بتمامها. السيوطي	بتمامها السيوطي
٣٥٣	١١	[/٢]	[١٦٦/٢]
٣٧٦ ـ تع ـ	الأخير	(٤٩)	(٤٩)
٣٧٩	٢	بقيد	يفيد
٣٨٤ ـ تع ـ	١٢	«نقص»	وجاء في الخصائص الكبرى أيضاً ١/١٨١ أن ابن المنير ذكر في كتابه «أسرار الإسراء» أن ابن حبيب ذكر أن بين السماء والأرض بحراً سمي البحر المكفوف؛ بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط. قال [ابن المنير]: فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق له ﷺ

الصفحة	السطر «أو الموضع»	الخطأ «أو نوعه»	الصواب «أو الاستدراك»
			حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى [عليه السلام].
٣٩٣ ـ تع ـ	٧	طاوس	طاووس
٣٩٥	١٠	كانت أفعال	كانت أفعالٌ
	١٢	شرح	قوله (وهو مادته): أي فعل الله هو مادة كل موجود.
	١٧	شرح	على الصفا: أي على الجبل
٣٩٨	١١	في الْحَيَاة	«في الْحَيَاةِ
	٧	عليه الملك	عليه الملك(*) [ويضاف في الحاشية](*): ذكر الشعراني في الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية [٢٠٦/١ هامش الطبقات]: أهل الله يشهدون الملائكة دون إلقاء، أو يشهدون الإلقاء ويعلمون أنه من الملك من غير شهود. فلا يجمع بين رؤية الملك والإلقاء منه إليه إلا نبيٌّ أو رسول. ولهذا يفرق بين النبي صاحب الشرع وبين الولي التابع. اهـ ملخصاً.
٤٠٤	٢١	كانت	كان
٤٠٧ ـ تع ـ	١	يتبت	يثبت
٤٠٨ ـ تع ـ	٢	الشارع فقط ـ أي ...	الشارع فقط [لأن مراد الحق سبحانه لا يعلمه أحد إلا بنص] ـ أي ...
٤٠٩ ـ تع ـ	٥	نقص	[قلت: له رسالة أيضاً في علم الوضع قرأتها مع شرحها للحموي على شيخنا محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله].
٤٢٢	١١	في هذا	في هذه
٤٢٦ ـ تع ـ	الأخير	«نقص»	قلت: والنسيان محال على ربنا سبحانه. ويكون التأويل: قابل سبحانه نسيانهم بنسيان، بمعنى أمهلهم استدراجاً لهم، ولم يلحظهم بعنايته. وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿ويمكرون ويمكر الله ...﴾
٤٥٢	٩	لاأعصى	لاأعصي
٤٥٨	١٦	عدد من الملائكة	عدد من الملائكة(*) [ويضاف في الحاشية](*): قلت: هذا فهم خاص وفتح مبين للشيخ الدباغ ـ قدس سره ـ فلا يجوز لمعترض أن يعترض عليه إلا بدليل. بل هو يدخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿له معقِّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ وقوله

الصفحة	السطر «أو الموضع»	الخطأ «أو نوعه»	الصواب «أو الاستدراك»
			سبحانه: ﴿ولقد كرمنا بني آدم ...﴾ وقوله عز وجل: ﴿سخر لكم ما في السموات والأرض جميعاً ...﴾ وهو أيضاً ليس فيها ملزماً فلا تتوقف عليه عقيدة. ويحسن الأخذ به للمعتقد المحب.
٤٢٠ - تع -	١	وسيأتي ص ( ) جـ ٢	وسيأتي ص (٣١٠) جـ ٢
٤٦٩	١٦	... بريد الكفره	... بريد الكفر(*) [ويضاف في الحاشية](*): قال في كشف الخفا للعجلوني: المعاصي بريد الكفر أي تجرّ إليه. لم أر من ذكره غير ابن حجر المكي في شرح الأربعين. قال: أظنه من قول السلف. وقيل إنه حديث ...
٤٦٩	٢٠	تُشْهَى	تَشَهّي
٤٧٠ - تع -	١	... ص ( ) جـ ٢	... ص (٣٤٩) جـ ٢
٤٧١ - تع -	٣	لا المعاني، وربما	لا المعاني. وربما
٤٧٤	٧	ورثة بيت	ورثه بيت
	١٥	... تعالى. في نظرها ...	... تعالى في نظرها بأن تمد [الذات] عيونها ...
٤٨١ - تع -	١	وسيأتي أيضاً ص ( ) جـ ٢	وسيأتي أيضاً ص (٣٤٢) جـ ٢
٤٩٣	٦	20-6	20-16
٤٩٦	١١	أن للجادات وجهتان	... وجهتين
	٢٣	٢٥ ج -	٣٠٥
خلف غلاف الكرتون	١١	ترفيهي	يحتوي

كما يوجد بعض أخطاء مطبعية إملائية أو نحوية طفيفة لا تخفى على القارئ النبيه

